

تيسير
القرآن الكريم
للمبتدئين والفهم للمستفيدين

من سورة الروم إلى سورة الناس

الجزء الثالث

لفضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الجليل عيسى

شيخ كلية اللغة العربية

بالأزهر الشريف (مسابقا)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

عيسى، عبد الجليل، ١٩٧٢.....

تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم

المستقيم/ عبد الجليل عيسى، - القاهرة :

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩

مج ٢ : ٧٨ سم

المحتويات: من سورة لقمان إلى آخر سورة

التاس.

تدماك ٨ ٧١٢ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القرآن - تفسير.

١ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب / ٥٥١٢ / ٢٠٠٩

I.S.B.N- 978 - 977 - 420 - 762 - 8

ديوي ٢٢٧

المفردات :- ﴿واذا﴾ : تقدم معنى الحرف

فى الآية (١٠٧) من سورة الأعراف صفحة

٣٠٩

﴿يشق﴾ : أى إنسان يقال للواحد والأكثر.

﴿وتشتشرون﴾ : تشتفرون فى الأرض طلبا للرزق، انظر الآية (١٠) من سورة الجمعة

صفحة ٧٤٢

﴿تستسكروا إليها﴾ : تستترج نفوسكم

بالميل إليها.

﴿مودة﴾ : محبة. ﴿رحمة﴾ : شفقة من أن

يصيب أحكم سوء.

أَنْ تَخْلُقَكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُلْقِيَكُمْ مَوْءِدَةً وَرَبِّهَ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
إِنَّمَا يَعْمَلُ بِتَحَدُّثِ مَوَدَّةٍ وَرَبِّهَ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
تَقَرُّ بِتَحَدُّثِهَا ﴿٥٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ عَقْلُ السَّمَكِ
وَالْأَرْضُ رَاحِيَةٌ لِنَاسِكِكُمْ وَالْزَيْزُكُ أَنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْمُتَعِينِ ﴿٥٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ سَنَابِلُ الْبَلِّ وَالتَّنْكِيرُ
وَالْإِنْفِازُكُمْ مِنْ قَسْبِهِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ تَقَرُّ
بِسَمْعِهِ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْزِقُ الْبَرَّكَ الْبَرَّكَ عَوْنًا وَلَهُمَا
وَيُزِيلُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَشَاءُ وَيُخَيِّضُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنٍ
أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ تَقَرُّ بِعَقْلِهِ ﴿٥٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ تُولَدَ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ بِرَبِّهِ ثُمَّ أَنْتُمْ تَدْعُوهُ
مِنْ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ

﴿منامكم بالليل والنهار﴾ : الخ : إذا علمنا على الآيات (١٢) من سورة الإسراء صفحتى

٣٦١، ٣٦٢، و (٤٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٥، و (٧٢، ٧٣، ٧١) من سورة القصص

صفحة ٥١٧، و (١١، ١٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٧، نعلم أن الأصل فى التركيب هنا ليقف

مع كل ما سبق أن يكون هكذا (ومن آياته منامكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار) ولكنه

سبحانه جاء به على هذه الصورة ليفيد أن كلا من هذين الزمانين وإن اختلف باحد الشئتين:

الراحة والعمل، فهو صالح للآخر عند الحاجة.

﴿ابتغواكم﴾ : أى طلبكم.

(٤) آياته

(٢) آيات	(٢) أرواحا	(١) آياته
(٧) والواكم	(١) واختلاف	(٥) السموات
(١٠) آياته	(٩) للمالعين	(٨) الآيات
(١٣) آياته	(١٢) الآيات	(١١) بالليل
(١١) آياته	(٥) الآيات	(١٤) فيحيى

المعنى :- ثم كان عاقبة الذين عملوا السيئات أقيع العواقب، وذلك بالقتل والخزى فى

الدنيا، والمذاب الدائم فى الآخرة. وسبب ذلك أنهم كذبوا بآيات الله المطفرة، والى أيد بها

رسله، وكانوا يستهزئون بها، وكانوا يسمونها سحرا وخرافات الأولين كبرا وعنادا. ثم شرع

سبحانه فى إقامة الدليل على قدرته على البعث مع بيان بعض ما سيلقيه هؤلاء فقال ﴿والله

يبدأ الخلق﴾ : الخ : أى الله وحده هو الذى يبدأ خلق الناس ثم يعيد هذا الخلق بعد موتهم كما

بدأهم أول مرة. ثم وجه سبحانه الخطاب لكفار مكة لشدة الرجز فقال ﴿ثم إليه ترجعون﴾

لالحساب والعزاء.

ثم بين سبحانه ما سيحصل فى يوم البعث من الهول للمسيئين والسرور للمؤمنين فقال

تعالى ﴿وويم تقوم الساعة﴾ : الخ : أى فى هذا اليوم يناس المجرمون وتقطع حجتهم ولا يوجد

لهم شفيح ممن كانوا أشركهم مع الله ليضعوا لهم ويتحقق لهم حيثئذ كفرهم بهم واعتقادهم

عدم شعهم وتبرعون منهم، انظر الآية (٢٨) من سورة يونس صفحة ٣٧٠، والآية (٢٥)

من سورة المائدة صفحة ٥٢٤. وويم تجئ الساعة التى يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ

يتفرق أهل الموقف إلى فريقين: مؤمن وكافر؛ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى

روضات الجنت يمرحون، واما الذين كفروا بالله أو بأحد من رسله وانكروا البعث بعد الموت

فهؤلاء تحضرهم الملائكة فى مكان العذاب لا يغيرون عنه أبدا. ثم أرشد سبحانه إلى ما يهتئ

العبد للحالة الأولى ويعيده عن الثانية وهو مداومة تزويه سبحانه عما لا يليق به وحمده

والثناء عليه بما هو أهله فى كل وقت، خصوصا حين تدخلون فى وقت المساء وفيه صلاة

المغرب والعشاء، وحين تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح، ثم وسط سبحانه بين هذه

الأوقات ما يرشد عباده المميزين من أهل السموات والأرض إلى حمده سبحانه على ما هم فيه

من النعم، ثم قال سبحانه ﴿وعشيا﴾ أى سبحانه فى العشى وفيه صلاة العصر، وحين تدخلون

فى وقت الظهر، ثم بين سبحانه بعض مظاهر قدرته مقدمة لإثبات قدرته على البعث فقال:

يخرج الشيء من ضده كالغنى من كل حيوان يخرج من التراب الميت، والكراب الميت من كل

حي، ويعبى الأرض بالنبات بعد موتها بالبيس والجفاف، وتستخرجون من قبوركم كهنا

الإخراج، فهما فى قدرته تعالى متساويان. وبعد ما بين سبحانه آثار قدرته فى كل حي أراد أن

يثبت قدرته على البعث بدليل خاص بهؤلاء المتكبرين وظاهر لهم فى انفسهم فقال ﴿وومن

آياته﴾ : الخ...

المفردات: ﴿قانتون﴾: منقادون لما يريده فيهم كالموت والحياة والبعث:
﴿يبدأ الخلق ثم يعيده﴾: تقدم فى صفحة ٥٠٢.

﴿المثل الأعلى﴾: المراد الوصف البديع الذى ليس لغيره ما يديانه كالقدرة الشاملة والحكمة التامة.
﴿ضرب لكم مثلا﴾: جعل لكم مثلا، انظر صفحة ٤٤٤، ٢٥٥.

﴿هل لكم﴾: ﴿هل﴾ حرف استفهام يراد به التوبيخ والإنكار أى النفسى.

وَالْأَرْضَ كُلَّهَا قَنِينَ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْأَعْلَى ﴿٢﴾ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَالِكُمْ مِثْلُ بَعْضِ مِمَّا كُنْتُمْ تَرْكَبُونَ ﴿٤﴾ فِي مَا رَزَقْتُمْ قَانِتِينَ يَدْعُوا بِمَالِهِمْ وَيُكْفَرُونَ أَنْفُسَهُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعِ النَّاسَ فَإِنَّهُمْ أَنْفُسُ اللَّهِ فَنَفَخْنَا فِيهِمُ النَّفْسَ الْفَاسِقَ الْفَاسِقَ فَتَقَرَّرَ اللَّهُ أَلَى فَعَرَّ النَّاسَ عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لِمَتَابِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَوْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ كُفْرُهُمْ وَأَيْسَرُ الصَّاعَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِيَارَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

﴿من شركاء﴾: ﴿من﴾ لتأكيد عموم النفسى فيها بعدها.
﴿سواء﴾: أى مستنون. ﴿خيفتكم﴾: أى خوفكم.
﴿أنفسكم﴾: أى الأحرار مثلكم.
﴿بل اتبع﴾: ﴿بل﴾ حرف بديل على الانتقال إلى كلام آخر.
﴿فمن يهدى﴾: ﴿من﴾ حرف استفهام يراد به النفسى، والمراد لا أحد يهدى.

﴿أقم وجهك للدين﴾: المراد: خلص توجهك وقصدك لعبادة الله وحده، انظر الآية (١٠٥) من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

(١) قانتون	(٢) يبدأ	(٣) السموات	(٤) مما
(٥) إيمانكم	(٦) رزقناكم	(٧) الآيات	(٨) ناصرين
(٩) فطرة	(١٠) الصلاة		

﴿خوفًا وطمعًا﴾: لإخافتكم من الصواعق المهلكة، وإطمعكم فى المطر الذى يحيى الأرض بالنبات.
﴿تقوم الساعة﴾: تبقى قائمة على حالها ونظامها. انظر الآية (٢) من سورة الرعد صفحة ٣٢٠، ٣٢١.

﴿بإمراه﴾: بإرادته انظر الآية (٦٥) من سورة الحج صفحة ٤٤٢، ٤٤٣.
المعنى: - ومن أدلة قدرته سبحانه على ما يشاء من إيجاد وإفناء أنه خلقكم وأنتم لحم فيه حياة من تراب ليس فيه شئ، من مظاهر ذلك، ثم بعد إخراجكم من هذا التراب إذا أنتم ينشرون فى الأرض لمطالبكم المختلفة.
ومن دلائل قدرته أنه خلق لكم من جنس أنفسكم لا من جنس آخر أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم توادا وتراحما لتدوم العشرة وتكون مبعث سعادة: إن فى ذلك آيات لقوم يتفكرون ليصلوا إلى ما فى ذلك من الحكم.

ومن دلائل قدرته تعالى خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، واختلاف لغاتكم اختلافًا لا حد له مع اتحاد أصلكم، واختلاف ألوانكم كذلك: إن فى كل ذلك آيات لكل عالم يتأمل فى أسرار الوجود فيخشى ربه، انظر الآية (٢٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٥.
ومن دلائل قدرته وحكمته أن يهين لكم النوم بالليل للراحة، والسعى فى طلب الرزق فى النهار: إن فى ذلك آيات لقوم يسمعون الله فيستظنون بها.

ومن آياته أنه يريكم البرق فتخافون مما فيه من الصواعق، وتطمعون فيما يجلبه من المطر: إن فى ذلك آيات لقوم يستعملون عقولهم، ومن آياته قيام السموات والأرض بإقامته لهما على نظامهما المتقن، ثم تكون النهاية أنه إذا دعاكم سبحانه من القبور للبعث إذا أنتم تخرجون بلا تأخير، انظر الآية (٥٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١، ولا عجب فكل من فى السموات والأرض ملكه يتصرف فيه كما يشاء.

التصرف فى هذا المال على قدم المساواة تخافون من التصرف دونهم كما يخاف الحر من الممائل له؟ والمعنى إذا كنتم لا ترضون بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا له بعض عباده شركاء له؟ كهذا التفصيل والبيان اليبين تفصل الآيات الدالة على العبر لقوم يقتلون ضرب الأمثال.

ولما لم يقتبها أعرض عن مخاطبتهم مبينا سبب جعورهم فقال: بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم بالشرك كما فى الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠ شهورات أنفسهم جاهلين العاقبة، وإذا صمم الشخص على العناد والكفر فلا أحد يهديه إذا عاقبه الله تعالى بزيادة ضلاله، وليس له من يصدمه من عذابه، انظر شرح ما سبق فى الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، ثم أمر نبيه بالاهتمام بنفسه وبالمؤمنين معه وعدم انمبالاة بهم فقال فراقهم وجهك للدين﴾ إلخ: أى أخلص قصدك للدين الحق حل كونك بعيدا عن الباطل الذى هم فيه، وأنرم فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولا يقدر أحد أن يغير خلق الله بوضع فطرة أخرى مغايرة لما خلقها، ذلك الذين المأمور بإقامته هو دين الله المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون مزيته لعدم تدبرهم، حافظوا أيها المؤمنون على هذا الدين حال كونكم راجعين إلى ربكم فى كل شئ، وخافوا عقابه، وحافظوا على الصلاة، ولا تكونوا كالمشركين الذين حرموا أنفسهم نعمة رضا الله تعالى عنهم، وهم الذين فرقوا دينهم تبع شهواتهم، وكانوا فرقا شايخ كل فرقة أمامها بدون عقل ولا دليل.

ولا تغفل عن أن المشرك هو كل من لم يفرد الله تعالى بالعبادة أو غير شرع الله. انظر شرح الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، والآية (٣١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥.

وصفحة ٢٧١.

المفردات : : فإذا من الناس ضرب : تقدم مثل هذا فى آيتى (٢٢، ٢٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآية (٦٥) من سورة العنكبوت صفحتى ٥٢٩، ٥٣٠.

فإذا فريق منهم : إلخ : فإذا حرف يدل على سرعة حصول ما بعدها عقب حصول ما

فخيفاً : مائلا عن الباطل إلى الحق، انظر الآية (١٢٥) من سورة البقرة صفحة ٣٦، ففطرة : يقال فطر الله الشئ أى أوجده على نظام بديع انظر الآية (١) من سورة فاطر صفحة ٥٧١، والآية (٢٢) من سورة يس صفحة ٥٨١، والفطرة الحالة التى خلق الله الناس عليها، والمراد بها ما استقر فى طبائعهم من الخضوع لإله قادر حكيم، ومن الميل إلى الحق وكل مكارم الأخلاق التى تقرها العقول السليمة بحيث لو تركوا بدون تدخل الشياطين لما تحولوا عنها؛ ولهذا قال بعض السلف : الفطرة هى المبادئ العامة للإسلام، انظر الآية (١٢٨) من سورة البقرة صفحتى ٢٦، ٢٧، وشرح الآية (٨٠) من سورة آل عمران صفحة ٧٦، فالفريق : المستقيم الذى لا عوج فيه، انظر صفحة ٢٨٠، فمثنين إليه : أى راجعين إليه بالتوبة وفى كل شئوكم.

ففرقوا دينهم : أى مزقوه قطعاً تبعاً لأهوائهم، انظر الآية (١٠٥) من سورة آل عمران صفحة ٨٠، والآية (١٥٩) من سورة الأنعام صفحة ١٩١.

فشيئاً : أى فرقا وأحزابا.

المعنى : : وله سبحانه كل من فى السموات والأرض خلقا وعبدا كل له خاضعون، يحيى ويميت، ويعت من يشاء من القبور للحساب والجزاء.

ثم قرر البعث بأسلوب آخر فقال فوهو الذى يبدأ الخلق﴾ إلخ: أى هو وحده الذى يبدأ هذا المخلوق من عدم ثم يعيده للحياة بعد موته، وإعادة ثانيا أسهل عليه على حسب تصور الناس، وإلا فهو سبحانه يستوى عنده كل شئ فليس عنده سهل وأسهل، وله سبحانه الصفة العليا التى لا يشاركه فيها غيره، وهو العزيز الغالب فى ملكه الحكيم فى صمنه.

وبعدما أقام الدليل على قدرته على البعث شرع فى إقامة الدليل على وحدانيته بمثل يحسنونه من أنفسهم فقال: فحزب﴾ أى جعل لكم زبم أيها المشركون مثلاً منتزعا من أنفسكم وما تحسنونه، ثم بين المثل فى أسلوب استنباط توبيخى فقال: هل لكم أيها الأحرار شركاء من عبيدكم المملوكين لكم يشاركونكم فى أموالكم التى رزقها لكم فأنتم وهم فى

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَاقُ إِسْقَاطُ أَصَابِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ضُرٌّ مِنْ جَدْبٍ أَوْ خَوْفٌ غَرَقٍ أَوْ شِدَّةٌ مَرَضٍ أَخْلَصُوا الدُّعَاءَ لِلَّهِ وَحْدَهُ رَاجِعِينَ إِلَيْهِ، وَإِذَا كُشِفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الضَّرُّ رَزَقَهُمْ مَا بِهِ رَحْمَتُهُمْ مِنْ خُصْبٍ أَوْ نَجَاةٍ يَسْرِعُونَ إِلَى الشَّرِّكَ ثَانِيًا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُذْهُمْ غَيْرُهُ سَبِّحَانَهُ ثُمَّ هَدَّاهُمْ فَقَالَ: ﴿لِيُكْفِرُوا﴾ الْإِنْسَاقُ: أَيْ لِيُجْعِدُوا نِعْمَتًا عَلَيْهِمْ كَيْفَ شَاءُوا، وَتَقُولُ لَهُمْ تَعَمَّوْا مَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٌ، فَسَتَعْلَمُونَ صَدَقَ وَعْدِي، وَشَدِيدَ عَذَابِي. ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ خَطَايَاهُمْ تَعْقِيرًا لَهُمْ فَقَالَ: ﴿أَنزَلْنَا﴾ الْإِنْسَاقُ: أَيْ مَا لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ مَصْمُومِينَ عَلَى هَذِهِ الْغَلْطَةِ؟ هَلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا يَدُلُّهُمْ عَلَى صَحَّةِ شِرْكِهِمْ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ سَبِّحَانَهُ نَوْعًا آخَرَ مِنَ النَّاسِ اِمْتَنَزَ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ هِيَ الْبَطَرُ وَالْفَخْرُ فِي السَّرَّاءِ وَالْيَأْسُ فِي الضَّرَّاءِ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ فِي الْآيَةِ (١٠) مِنْ سُورَةِ هُودٍ صَفْحَةَ ٢٨٥ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ كَسَعَةً رَزَقَ وَصَحَّةً وَكَثْرَةً أَوْلَادٍ فَرَحُوا بِهَا فَرَحَ بَطْرِ وَطَيْشٍ حَتَّى شَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ بِهَا، وَإِنْ تَصَبَّهَتْ سَيِّئَةٌ كَمَرَضٍ وَضَيْقٍ وَفَقْدٍ وَلَدَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ مِنْ فَرَجِ اللَّهِ، فَيَقْعُونَ فَرِيسَةَ الشَّيْطَانِ، أَيْ فَيُفْهِمُ حَرَمُوا شُكْرَ النِّعْمَةِ وَالصَّبْرَ عَلَى النِّقْمَةِ فَخَسِرُوا الْخَيْرَ كُلَّهُ. هَلْ غَفَلَ هَؤُلَاءِ وَلَمْ يَشَاهِدُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي وَقْتٍ وَيَضَيِّقُهُ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ، أَوْ عَلَى غَيْرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ صَابِرُونَ فِي الضَّيْقِ، شَاكِرُونَ فِي السَّعَةِ، إِنْ فِي ذَلِكَ الْبَسْطِ لِمُقْتَضِيهِ وَالتَّضْيِيقِ عِنْدَ وَجُودِ سَبَبِهِ لِأَدْلَةٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لِحَكْمَةٍ يَعْلَمُهَا. وَلَمَّا قَالَ فِيمَا سَبَقَ إِنَّ السَّيِّئَةَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي الْعَبْدِ، أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَهُ إِلَى أَنْ طَاعَتُهُ مَجْلِبَةٌ الرِّضَا وَالْيَسْرَ، كَمَا فِي الْآيَةِ (٩٦) مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ صَفْحَةَ ٢٠٨، وَالْآيَةِ (٩٧) مِنْ سُورَةِ النُّحْلِ صَفْحَةَ ٢٥٩ فَقَالَ: ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الْإِنْسَاقُ: أَيْ اتَّخَذَ الْمَخَاطَبُ قَرِيبًا حَقَّهُ مِنْ صَلَةِ الرَّحِمِ، وَالْبَرِّ لِلْمَحْتَاجِ، وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا غَيْرَ الزَّكَاةِ، أَنْظَرَ شَرْحَ الْآيَةِ (١٤١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٨٦ وَأَيَّتِي (٢٤، ٢٥) مِنْ سُورَةِ الْمَعَارِجِ صَفْحَةَ ٧٦٦: ﴿وَالْمُسْكِينُ﴾ الَّذِي لَا يَجِدُ حَاجَتَهُ مِنَ الْقُوَّةِ، ﴿وَالْإِنْسَاقُ﴾ ذَلِكَ الْإِعْطَاءُ خَيْرٌ لِلدُّنْيَا وَيَرْبِدُونَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ وَجْهَ الْخَيْرِيَّةِ بِقَوْلِهِ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ﴾ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ جَزَاءَ مَنْ يَرْجُو وَجْهَ اللَّهِ شَرَعَ فِي بَيَانِ غَيْرِهِ فَقَالَ ﴿وَمَا آتَيْتُمُ﴾ الْإِنْسَاقُ: أَيْ

كُلِّ حَرْبٍ بِمَا آتَيْتُمُ قُرْحُونَ ﴿٩٦﴾ وَإِذَا سَسَّ النَّاسُ ضُرَّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْنَاهُمْ نِعْمَةً رَبِّنَا إِذَا قُرْبَى بَيْنَهُمْ وَيَوْمَ يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ لَعْنَتُنَا فَصَبُّوا نُفُوسَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ﴿٩٧﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٩٨﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنَّا نُضَيِّقُهُمْ نِيْلًا فَلَعْنَتُنَا الْإِنْسَاقُ ﴿٩٩﴾ أَوْ لَرَبُّوهُ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ فَاتَّخَذَ الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْيَكِينُ وَكَانَ السَّبِيلَ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

قَبْلُهَا. ﴿لِيُكْفِرُوا﴾: تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ (٦٦) مِنْ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ صَفْحَةَ ٥٣٠. ﴿سُلْطَانًا﴾: كِتَابًا.

﴿يَتَكَلَّمُ﴾: الْمُرَادُ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ مَا يَعْمَلُونَ، وَنَظِيرُهُ فِي الْآيَةِ (٦٢) مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ صَفْحَةَ ٤٥١، وَالْآيَةِ (٢٩) مِنْ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ صَفْحَةَ ٦٦٤. ﴿يَقْتَنُطُونَ﴾: يَبْأَسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. ﴿يَضْيِيقُ﴾: أَنْظَرَ الْآيَةَ (١٦) مِنْ سُورَةِ الْفَجْرِ صَفْحَةَ ٨٠٧.

﴿إِنْسَاقُ السَّبِيلِ﴾: هُوَ الْمَسَافِرُ الَّذِي نَفَدَ مَالَهُ، ﴿لِيُرِيدُوا وَجْهَ اللَّهِ﴾: الْمُرَادُ يَخْلُصُونَ لَهُ فِي الْإِنْفَاقِ.

انْظُرْ آيَتِي (٢٦٤، ٢٦٥) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٥٦. ﴿مَنْ رِيَا﴾: ﴿مَنْ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا بَيَانٌ لِمَا قَبْلُهَا، وَالْمُرَادُ مِنَ الرِّيَا الْمَالِ الَّذِي يَخْرُجُ إِلَى الرِّيَا. ﴿لِيُرِيدُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: الْمُرَادُ يَزِيدُ عَلَى حَسَابِ أَمْوَالِ النَّاسِ الَّتِي لَا تَحُلُّ لَكُمْ، ﴿فَلَا يَرِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أَيْ لَا يَزِيدُهُ سَبِّحَانَهُ بَلْ يَمَحَقُهُ، أَنْظَرَ الْآيَةَ (٢٧٦) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٥٩.

الْمَعْنَى: لَا تَكُونُوا أَنِهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ تَبَعًا لِاخْتِلَافِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَصَارَ كُلُّ فَرِيقٍ شَدِيدَ الضَّرْحِ بِمَذْهَبِهِ مَهْمَا كَانَ بَاطِلًا، وَهَذِهِ صِفَةٌ لَا يُمْكِنُ مَعَهَا جَمْعُ كَلِمَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ مَا جَاءَتْ لِأَجْلِهَا الْأَدْيَانُ، ثُمَّ رَجَعَ سَبِّحَانَهُ إِلَى بَيَانِ حَالِ الْمُشْرِكِينَ يَعْرِفُونَ بِهَا، وَهِيَ أَنَّهُمْ حَالُ الشَّدَّةِ لَا يَجِدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَنْسَوْنَ حَالِ الرِّخَاءِ فَقَالَ

(١) آتَيْتُهُمْ	(٢) سُلْطَانًا	(٣) لَآيَاتٍ	(٤) فَاتَّخَذَ
(٥) آتَيْتُهُمْ	(٦) لِيُرِيدُوا	(٧) أَمْوَالٍ	
(٨) يَرِيدُوا	(٩) آتَيْتُهُمْ	(١٠) زَكَاةً.	

المنى :- والذين يؤمنون الصدقات لا يريدون إلا وجه الله هؤلاء هم الصالحات إلى سبعمائة وأكثر ثم بين سبحانه أنه هو الغافل لكل ما يصيبهم دون غيره فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أى أنه وحده هو الذى خلقكم من العدم، ثم رزقكم ما به حياتكم، ثم يميتكم عند

(الجزء الحادي والعشرون)

وما دفعتم للغير من مال ليحبل لكم زيادة من أموال الناس فإن هذا لا يباركه الله بل يمحقه. هو ما آتيت من زكاة أي صدقة لا تريدون بإعطائها إلا رضا الله فإنه يضاعف لكم ثوابها.

المفردات :- هو المضعفون أي أصحاب الأضعاف بفتح الهمزة، كالموسرين أي أصحاب اليسار وهو الغنى، فالعمراد هم أصحاب الأجر المضاعف كما في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة صفحة ٥٠، وفي المختار المضعفون جميع مضعف اسم فاعل

﴿هَلْ﴾ : حرف استفهام أُريد به النفي.

﴿اعلمهم يرجعون﴾ : انظر الآية (٩٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨. ﴿فأقم وجهك للدين

(3) 78

(١) شركائكم
(٢) سيجانه
(٣) وديان
(٤) مصالحات
(٥) آمنا
(٦) آمناه
(٧) آمنا
(٨) الكافرين
(٩) آياته
(١٠) مبشرات.

وما دفعتم للغير من مال ليجلب لكم زيادة من أموال الناس فإن هذا لا يباركه الله بل يمحقه. هــروما آتيت من زكاة أي صدقة لا تريدون بإعطائها إلا رضا الله فإنه يضاعف لكم ثوابها.

المفرات :- (المضغفون) أي أصحاب الأضغاف بفتح الهمزة، كالمرسين أي أصحاب اليسار وهو الغنى، فالمراد هم أصحاب الأجر المضاعف كما في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة صفحة ٥٠، وفي المختار المضغفون جميع مضغف اسم فاعل

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ الآية (٣٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤.

﴿قوة﴾ : هى بلوغ الأشد المبين فى الآية

(١٤) من سورة القصص صفحة ٥٠٨. ﴿تقوم

الساعة﴾ : الساعة هنا هى القيامة.

﴿غير ساعة﴾ : أى غير لحظة.

﴿يفكرون﴾ : أى يصرفون وهم فى الدنيا

عن الحق.

﴿الذين أوتوا العلم﴾ : هم الملائكة. انظر

شرح الآية (١٢) من سورة المؤمنون صفحة

٤٥٥ وما بعدها.

﴿ليقيم فى كتاب الله﴾ : أى مكتتب فيما كتبه الله فى سابق علمه، والمراد حسيما قدره الله

وقضى به.

﴿ولا هم يستعجبون﴾ : أى لا يرشدون إلى طلب عفو الله عنهم، انظر شرح الآية (٨٤) من

سورة النحل صفحة ٣٥٧.

المعنى : : إنك أيها النبى لا يمكنك أن تسمع الصم صوتك خصوصا إذا انصرفوا عن

محيطك معرضين حسا ومعنى، وما أنت بهادى عمى القلوب مبعدا عنهم عن ضلالهم البعيد.

- (١) بهادى
- (٢) ضلالتهم
- (٣) بانياتنا
- (٤) الإيمان
- (٥) كتاب
- (٦) القرآن
- (٧) بانية.

الْأَعْمَى أَفَأَنْتَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِبَصِيرٍ أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ عَجَلٍ ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ الَّذِي عَلَّمَكَ مَا مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قُوَّةً وَمِمَّا وَضَعَتْ يَدَاكَ مَا تَتْلُو وَوَعَدَ اللَّهُ لَكَ الْجَنَّةَ كَذَلِكَ كُنَّا نَبْقَرُونَ ﴿١٤﴾ وَكَانَ الْآدَمُ أَوَّلُ الْعِلْمِ وَالْأَوَّلِينَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَيُّ كَيْفٍ أَنْتُمْ تُرْكَضُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَحْزَنْ لِمَسْئِرٍ فِيهِمْ وَلَا يُمْسِرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَئِذٍ لَا يَفْغُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا يُنصَرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا الْبَنِيَّانَ فِي ذُلِّهِمَا وَالْأَوَّلِينَ مِنْ كُنْزٍ رَاسٍ ﴿١٨﴾ كَثُرُوا إِذْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ

كلا الحالين، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿والذين ينفقون فى السراء والضراء... الخ﴾ الآية (١٢٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٤. وانظر آيات (١٥٦، ١٥٧، ٢١٢) من سورة البقرة صفحات ٣٠، ٥٥، وبالإجملة هم الذين جمعوا الصفات المذكورة فى الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحات ٣٢، ٣٤.

والثانى : : فاسقون مذنبون. إذا وقعوا فى شدة لجأوا إلى الله تعالى يخبرون إليه مخاضمين له الدين حتى إذا كشف الضر عنهم رجعوا إلى ما كانوا عليه متبجحين. وفى هؤلاء جاءت الآيات (١٢٤، ١٢٥) من سورة الأعراف صفحات ٢١٢، ٢١٣. و (١٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٧. و (١٧) من سورة الإسراء صفحة ٧٢. و (٦٥) من سورة العنكبوت صفحات ٥٣٠، ٥٣٩.

والثالث : : يرجع إلى الله تعالى عند الشدة، فإذا كشفها عنهم كانوا فريقين. فريق يستمر على الطاعة، وفريق ينكس على عقبه وفى هؤلاء جاءت الآيات (٥٣، ٥٤) من سورة النحل صفحة ٣٥٢. و (٢٢) من هذه السورة صفحة ٥٢٥ وفى الفريق الأول بخاصة جاءت الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٨١.

والرابع : : لا ينفق معه شدة ولا رخاء، ففى الشدة يسخط ويأس. وفى الرخاء يزهو ويفرح ويطن على غيره وفيه جاءت آيات منها ما هنا و (٤٢، ٤٣، ٤٤) من سورة الأنعام صفحات ١٦٨، ١٦٩. و (٧٦، ٧٧) من سورة المؤمنون صفحات ٤٥٢، ٤٥٣. و (٣٦) من هذه السورة صفحة ٥٢٥، فلا تحزن أيها النبى على عدم إيمانهم لأنهم موتى القلوب صموا آذانهم عن سماع الحق وأنت لا تستطيع أن تسمع الموتى ولا تسمع الصم، انظر الآية (٢٢) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤.

المفردات : : ﴿مذبرين﴾ : تأكيد لما قبله انظر الآية (٨٠) من سورة النمل صفحة ٥٠٤.

﴿إن تسمع﴾ : ﴿إن﴾ حرف نفى بمعنى ﴿وما﴾.

﴿ومن ضعف﴾ : المراد ابتداءكم ضعفاء حتى كان الضعف أساس تكوينكم كما فى

وما تسمع إسماع فهم وقبول إلا من قلبه مهيباً للإيمان بالقرآن لخلوه من الكبر والفناد، فهم مستسلمون متقادون، وقد تقدم مثلها في صفحة ٥٠٤.

وبعد ما ذكر سبحانه أدلة وجوده وقدرته في الأفاق أراد أن يذكر أدلة ذلك في أنفسهم حتى يتبين لهم الحق كما في الآية (٥٣) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧، فقال: الله وحده هو الذي بدأ خلقكم في غاية الضعف، ثم نماكم حتى جعل لكم من بعد ضعفكم قوة؛ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيئاً، أي جمع عليكم في الكبر بين مقدمات الفناء الباطنة والظاهرة، يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيئة، وهو العليم بأحوال خلقه القدير على فعل ما يريد. وبعد ما بين سبحانه أدلة قدرته على بعث الناس يوم القيامة أراد أن ينبه لما سيكون في هذا اليوم فقال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ إلخ: أي ويوم تجيء ساعة البعث ويرى المجرمون من الكافرين ما فيها من الهول يحلفون أنهم ما مكثوا في قبورهم إلا لحظة قليلة، ومثل صرفهم عن الحق في مدة المكث في القبور كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق إلى الباطل، فيقولون ماهي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وغير ذلك من كل ما أنكروا به القيامة، وترده عليهم الملائكة الذين يعلمون الحقيقة: والله لقد مكثتم في القبور المدة الطويلة التي قضى بها فإن كنتم ما زلتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث، أي فقد تبين لكم بطلان إنكاركم، ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في البحث عن الحق والتباعد؛ فيوم يحصل كل هذا لا يتفجع الذين ظلموا أنفسهم بالشرك اعتذارهم بجهل ولا بغيره، ولا يمكنهم أن يرضى عنهم ربهم لأنه لا ينظر الشرك أبداً كما في الآية (١١٦) من سورة النساء صفحة ١٢٢.

ثم بين سبحانه ما يقطع العذر فقال ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ إلخ أي ولقد أوضحن لهم الحق وضربنا لهم الأمثال التي تبين قدرتنا على ما نريد بصور شتى، ولكنهم أعرضوا استكباراً وعناداً، وعزّزى لئن جثتهم أيها النبي بأية واضحة قاطعة ليقابلوك بالإلحاد الشديد، ويقولون ما أنت يا محمد والذين اتبعوك إلا قوم على الباطل موزرون. مثل هذا الطبع الذي طبعه الله على قلوب كفار قومك يطبع الله على قلوب كل من لم يطلب العلم.

قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(٣١) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَعْلَاهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِيمَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ إِنَّ إِلَهًا لَّهُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ هَدَىٰ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا يُوَفُّونَ الزَّكَاةَ وَلَا يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أَنَّ إِلَهُكَ عَلَىٰ هَدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَنَّ إِلَهُكُمُ الْمَلَكُوتَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي بِنَفْسِهِ لِيُحْصِلَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَدًّا مَّرًّا أَوْ إِلَهُكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴿٦﴾

﴿الحكيم﴾: صاحب الحكمة وهي وضع الشيء في محله.

﴿هدى ورحمة﴾: حالان من الكتاب.

﴿يؤتون الزكاة﴾: كانت الزكاة مفروضة في مكة من غير تحديد قدر، بل الأمر متروك لرغبة كل مسلم في زيادة الأجر، وبعد الهجرة حددت مقاديرها ببيان من النبي ﷺ، ووزع على الولاة في الأقاليم وحددت مصارفها على الوجه المبين في الآية (٦٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١.

- (١) ألف. لا. م. ميم.
- (٢) آيات.
- (٣) الكتاب.
- (٤) الصلابة.
- (٥) الزكاة.
- (٦) بالآخر.

المفردات: ﴿لا يستخفك﴾ أي لا يحملك

على الخفة والقلق جزوا.

﴿لا يوقنون﴾: لا يصدقون تصديقاً قوياً،

انظر صفحة ٣.

المعنى: وإذا علمت أيها النبي أن هذا هو

حالهم فاصبر على أذاهم معتمداً على أن

وعد الله تعالى بنصرتك عليهم وإظهار دينك

حق لا بد من إنجازه، ولا يفلتكم ويرجعكم

الذين لا يوقنون بدينك ولا بالبعث.

(سورة لقمان)

المفردات: ﴿الم﴾: تقدم كيفية النطق بها في

صفحة ٥٣٠، وتشم المراد منها أول سورة البقرة.

﴿زوج﴾: صنف من النبات.

﴿كريم﴾: أى حسن، انظر الآية (٤) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٧.

﴿بل الظالمون﴾: بل للانتقال من كلام إلى آخر.

﴿مبين﴾: أى واضح، انظر شرح الآية (٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.

﴿لقمان﴾: قيل فيه كلام كثير من أنه حبشى أو سودانى أو نوبى وفى عهد داود إلى غير ذلك مما لم يثبت من طريق صحيح، والمقطوع به أنه كان رجلا صالحا دقيق الحس صادق الوجدان حسن التعبير كامل الفضائل.

﴿الحكمة﴾: هى مجموعة من الفضائل تجعل صاحبها يضع كل شئ فى محله.

﴿إن اشكر﴾: هى (أن) مفسرة لشئ مفهوم من السياق، أى ألهمناه إلهاماً هو أن الشكر مطلوب إلخ.

﴿ووصينا الإنسان﴾: جاء سبحانه بهذه الوصية بين وصايا لقمان لابنه مسارعة لتأكيد ما فى وصايا لقمان من النهى عن الشرك كأنه يقول أن الوالدين الذين قرنت الإحسان إليهما وطاعتهما بعبادتي وحدي كما فى الآية (٣٦) من سورة النساء صفحة ١٠٦، والآية (١٥١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩، والآية (٢٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٧ لا يستحقان الطاعة فى الشرك فما بالك بغيرهما.

المعنى: وإذا تتلى آياتنا على هذا الذى اتخذ دين الله هزوا أعرض عنها متكبراً لا يعبأ بها كأنه لم يسمعها؛ لأن فى أذنيه صمما، فأحسن خبر يسمعه هو إنذاره بعذاب شديد الألم، ثم ذكر سبحانه مآل مقابلة فقال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الجنات المملوءة بأسباب النعيم خالدين فيها، وعد سبحانه بذلك وعداً ثابتاً لا يتخلف؛ وهو العزير أى الغالب الذى لا يجزئه شئ عن إنجاز وعده، الحكيم الذى لا يسوى بين المؤمن والنافق كما فى الآيات (١٨)

إلى (٢٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، ٥٤٧. ثم شرع سبحانه فى بيان كمال قدرته على خلق هذا العالم ليثبت بذلك وحدانيته ويبطل الشرك فقال (خلق السموات) إلخ: أى وهو وحده الذى خلق السموات ورفعها بغير عمد وأنتم ترونها كذلك. وألقى فى الأرض جبلاً راسيات كالأوتاد كما فى الآية (٧) من سورة النبأ صفحة ٧٨٧ لتلا تميل وتضطرب بكم فتهاكوا، ونثر فيها دواب من كل نوع، وأنزل سبحانه من جهة السماء ماء، وأنبت فيها من كل صنف حسن من أصناف الزروع والأشجار. ثم انتفت سبحانه مخاطباً المشركين تبيكتا لهم فقال: هذا الذى ترونه فى السماء والأرض هو مخلوق لله، فأرونى أيها المشركون ما الذى خلقه الذين هم غيره وهم معبوداتهم. ثم انتقل من تبيكتهم إلى تسجيل ضلالهم مع وضوح الدليل فقال: ﴿بل الظالمون﴾ إلخ: أى الحق أن السبب هو أن هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك فى ضلال واضح. وبعدما أبطل سبحانه الشرك بالعقل أراد أن يبطله بالنقل عن رجل صالح سلمت فطرته فأدرك بطلان الشرك فقال: ولقد آتينا لقمان الحكمة، وألهمناه شكر نعم الله، فإن شكره يعود نفعه على نفسه، ومن كفر ولم يشكر فلا يضر إلا نفسه، لأن الله تعالى غنى عن شكره، كثير استحقاق الحمد. ثم نبين سبحانه أن لقمان مع كماله فى نفسه فإنه كان مهتما بتكميل غيره فقال: وإذا قال لقمان لابنه فى حال وعظه له: يا بنى لا تشرك بالله غيره لأن الشرك بالله ظلم لأنه وضع للعبادة فى غير موضعها، عظيم لأنه تسوية بين ما لا يضر ولا ينفع، ومن الضر والنفع كله بيده ثم أكد كلام لقمان فى النهى عن الشرك فقال:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ إلخ.

المفردات: ﴿وهنا على وهن﴾: ضعفا ينضم إلى ضعف كلما تقادم حملها.

﴿فصالة﴾: المراد فطامه، انظر ايضاح ما هنا فى صفحة ٦٦٨.

﴿جاهداك على﴾: أى أفرغاً جهديهما فى حملك على الشرك.

﴿ما ليس لك به علم﴾: المراد لا يمكن أن تعلم أن له شريكاً لأنه مستحيل.

﴿أنكر﴾: أي أشد نكرا أي قبيحا كما في الآية (٧٤) من سورة الكهف صفحة ٣٩١.

المعنى: ووصينا الإنسان بوالديه خيرا خصوصا الأم؛ لأنها حملته في بطنها جنينا تضعف

به كل يوم ضعفا فوق ضعف حتى تضعه، ويبقى في حجرها وتحت رعايتها ورعايتها حتى يأتي

وقت فطامه في تمام العامين لمن أراد أن يتم الرضاعة كما تقدم في صفحة ٤٧، وقلنا له في

الرضية اشكر لي نعمي عليك بطاعتي، واشكر لوالديك تربيتك والسهو عليك بالإحسان إليهما

والدعاء لهما كما في الآية (٢٤) من سورة الإسراء صفحة ٣١٧، واحذر مخالفة أمرى فإن

مصيرك ومرجعك إلى في الآخرة، وسأجازيك خيرا أو شرا. وإن جاهداك على أن تشرك بي

ما لا وجود له بل هو مجرد أسماء كما في الآية (٤٠) من سورة يوسف صفحة ٣٠٩ فلا

تفعلهما، وهذا لا ينبغي أن أحتم عليك أن تصاحبهما في الدنيا صحبة حسنة بطم و بر وطاعة

في غير مكر، أما في أمور الدنيا فاتبع سبيل فريق المؤمنين الذين يرجعون في كل أمورهم

إليه تعالى، ثم إلى مرجعك أيها الإنسان ومرجع والديك فأنشئ كلا بعمله وإجازته عليه. يا بني

إن العملة الصعبة أو السهلة مهما قلت كانت في الصغر وزن حبة خردل ومهما خفيت في

جوف صخرة أو في عنان السماء أو في باطن الأرض فلا بد أن يأتي بها الله يوم القيامة

مسجلة في صحيفةك كما في الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٨، ويحاسب

فاعلمها لأنه لطيف خبير لا يخفى عليه شيء، ثم عاد سبحانه لذكر بقية وصية لقمان لابنه

فقال يا بني، أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما يصيبك من البلاء،

ولا تجزع كعدم الإيمان إن ذلك الذي وصيتك به هو من الأمور التي يجب العزم عليها والثبات.

ولا تعرض عن الناس تكبرا فيكرهوك بل أقبل عليهم بوجهك متواضعا. ولا تقش في الأرض

حال كونك شديد الفرح فإن هذا شأن المفلحين، لأن الله لا يحب كل مختال في صنيته، فخور

بتمشيد بقعدد مناقبه، وتوسط في مشيك فلا تتماوت ولا تعجل كالمتسرع فإن ذلك أليق

بالوقار، وانخفض من صوتك مازاد على الحاجة؛ لأن رفع الصوت بدون حاجة يجمله أشبهه

بصوت الحمار، وأنكر الأصوات، صوت الحمير.

حَمْدُ اللَّهِ الْمَوْلَى عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ فِي عَالَمِي أَنْ تَنْكُرَ
وَلَوْلَا إِلَهُكَ إِلَّا الْغَيْبُ وَالْإِيمَانُ وَالْجَهَنَّمَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
فِي عَالَمِي أَنْ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ يَوْمَ
مَرُوفًا وَتَبِعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْتَ أَنْ تَمَّ أَنْ تَرْجِعَ
فَانْتَبِهْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِنِي إِيَّا أَنْ تَكُنْ
مِثْلَ خِيَةٍ مِنْ خِزْيَةٍ فَتَكُنْ فِي عَرَا فِي السَّمَوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ بَالٍ بِمَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ
يَبْنِي أَيْمُ السَّلَاطَةِ وَأَمَّا بِالْمَعْرُوفِ وَكَانَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا صَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِّ الْأُمُورِ
وَلَا تُصِرْ عَنَّا نَسِيرَ لَا تَحْشَى فِي الْأَرْضِ مَرًّا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ وَأَقْبِدْ فِي مَنَاحِكِ
وَأَقْبِضْ مِنْ مَوْتِكَ إِنَّ أَفْكَرَ الْأُمُورِ لَمَوْتُكَ

﴿ومعروفا﴾: أي صحابا معروفا والصحاب

بوزن السحاب هو الصحبة.

﴿فانابه﴾: أي رجع.

﴿ممثل خية﴾: أصل المثل ما يوزن به غيره

والمراد ثقل حبة.

﴿فخردل﴾: حب صغير جدا يضرب به

المثل في الصغر.

﴿لطيف﴾: المراد يعمل علمه إلى كل

خفى، انظر الآية (٢٠) من سورة الأنعام

صفحتي ١٧٩، ١٨٠.

﴿خبير﴾: عليم بتفاصيل الأشياء

وأمرها.

﴿عزم الأمور﴾: أي الأمور التي يجب الثبات عليها، انظر شرح الآية (١٨٦) من

سورة آل عمران صفحة ٩٤.

﴿ولا تصغر خدك للناس﴾: المراد: لا تلو عنهم خدك تكبرا وأعراضا، مأخوذ من (الصغر)

وهو داء يصيب البعير فيلوى عنقه.

﴿ومرجحا﴾: أي فرحا شديدا ويطرا، انظر الآية (٣٧) من سورة الإسراء صفحة ٣١٩.

﴿مختال فخور﴾: تقدم في الآية (٣٦) من سورة النساء صفحة ١٠٦.

﴿واقصد﴾: أي توسط.

﴿اغضض﴾: أي اخفض.

(١) وقصاه.

(٢) يا بني.

(٣) جامداك.

(٤) يا بني.

(٥) السموات.

(٦) الأصوات.

(٧) الصلاة.

المعنى: بعدما نهى عن رفع الصوت فوق الحاجة نقر منه بأن ذلك يشبه صوت الحمار، وأقبح الأصوات هو صوت الحمير وبمدا فرغ سبحانه من وصايا لقمان رجع لتوبيخ المشركين على إصرارهم على الشرك مع مشاهدتهم أدلة توحيده وانتفاعهم بنعمه فقال (ألم تروا) إلخ: أى ألم تعلموا أيها الناس أن الله وحده هو الذى سخر لنفعكم ما فى جهة السماء من شمس وقمر ونجوم تهتدون بها فى سفر الليل، ومن مطر وما فى الأرض من أنهار وثمار وزروع ودواب، وأتم عليكم نعمه حال كونها ظاهرة وباطنة، ومن العجب بعد كل هذه الأدلة أن يجادل بعض الناس فى توحيد الله تعالى بلا دليل عقلى ولا هدى من نبي، ولا كتاب منزل من الله ينير لهم طريق الحق، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا لا نل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فرد سبحانه عليهم فى صورة استهزاء توبيخى فقال (أو لو كان) إلخ: أى هل يتبع هؤلاء آباءهم فى كل حال حتى لو كان الشيطان دعا آباءهم إلى طريق عذاب جهنم؟ وبمدا بين سبحانه حال الكافر المساند وعاقبته أراد أن يبين حال مقابله وهو المؤمن الخاضع لربه مع ترضيته ﷺ فقال «ومن يسلم» إلخ: أى ومن يقبل على الله تعالى إقبالا كلياً والحال أنه محسن لأعماله كلها فقد تعلق أتم تعلق بأقوى الأسباب الموصلة إلى رضا الله، ولله وحده عاقبة الأمور، فيجازى كلا حسب عمله، ومن كفر فلا يحزنك أيها النبي كفره لأنه ليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ وقد فعلت. إينما مرجع كل من يكفر فنطلبهم على معاصيهم بما يقطع عليهم سبيل الاعتذار. انظر آيتي (١٤، ١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، والآية (٤٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧، وسجل عليهم سبحانه كل شيء لأنه علم بدخائل نفوسهم فضلا عن ظاهر أعمالهم. ثم حذر الناس من الاعتزاز بما هم فيه من متاع الدنيا فقال (نمتهم) إلخ: أى نتركهم يتمتعون بما فى الدنيا زمنا قليلا ثم نرغمهم إلى عذاب شديد. ثم أراد أن يبرهن على أن الكافرين يماندون ويكابرون بدليل اعترافهم فقال «ولئن سألتهم» إلخ: أى ولئن سألت أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك من الذى خلق السموات والأرض لا يجدون جوابا إلا اعترافهم بأنه هو الله. عند ذلك قل الحمد لله الذى أوجد من دلائل وحدانيته ما أرغمهم على الاعتراف بما يهدم عقائدهم من إشراك غيره فى الطاعة التى لا يستحقها إلا صاحب الفضل فى خلق هذه الأشياء، انظر شرح الآية (٥٩) من سورة النمل، ثم انتقل إلى بيان جهلهم الفاض فقال بل أكثرهم لا يعلمون أن اعترافهم هذا أقوى حجة عليهم يوم القيامة.

المعنى: بعد ما سجل سبحانه اعتراف المشركين انتقل إلى إبطال معتقداتهم من وجه آخر فقال: ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ الخ: أي كل ما في السموات والأرض مخلوق له تعالى ومملوك له، والمعلوم لا يكون شريكا لماله، فكيف يستحق ما هو حقه وحده من العبادة وغيرها؟ وهم بهذه التسوية لم يفسروا إلا انتفسهم لأن الله تعالى غنى عن طاعتهم مستحق لجميع الحمد رغم أنوهم، وبعد ما بين سبحانه أنه أسبغ نعمه على عباده ظاهرة وباطنة، وأن له ما في السموات والأرض، وأن أدلة وجوده ظاهرة لا يمكن إنكارها، أتبع ذلك ببيان أن تلك النعم وهذه المخلوقات وأدلة وجوده لا حصر لها فقال: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجر اقلام﴾ الخ: أي لو ثبت كون جميع ما في الأرض من أجزاء الشجر أقلاما والحال أن ماء البحر ومعه يحار كثيرة مداد، وكتب تلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله ما تعدت لعدم تناسها، ولتعدت تلك الأقلام والمداد لتناهيها. إن الله عزيز غلب لا يعجزه شيء يريد، حكيم لا يخلق شيئا عبثا: ثم أبطل استبعادهم للبعث يوم القيامة: ﴿وما خلقكم﴾ الخ: أي ليس خلقكم جميعا وبشكل للحساب يوم القيامة بالنسبة لله تعالى إلا كخلق نفس واحدة وبعث نفس كذلك، لأن الجميع لا يحتاج منه إلا لقوله كن فيكون، انظر صفحة ٥٨٦، إن الله سبحانه سميع لكل مسموع، بصير بكل مبصر، لا يشغله شيء عن شيء، ثم نبه سبحانه إلى أدلة قدرته وكثرة نعمه فقال (الم تر): أي ألم تعلم أيها المخاطب أن الله يتقن من الليل بمقدار ما يزيد في النهار وبالكمس وسخر الشمس والقمر كل منهما يجري لحين معين، وألم تعلم أن الله بما تعملون أيها المكلفون خبير فتخالقوا خسابه، ذلك الوصف الذي وصف به سبحانه نفسه من كمال القدرة وتمام الحكمة التي يعجز عنها الأحياء القادرون فضلا عن الجماد الذي يعلمونه من دون الله، إنما هو بسبب أنه سبحانه هو وحده الحق الثابت الأوفى، وأن ما يخضعون له من كل ما سواه باطل زائل، وأنه سبحانه هو العلى القدر الكبير السامع، ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال: ألم تر أن التلك تجري في البحر بإحسانه ليحكم بعض دلائل الوقيته ووحدايته، لأن في كل ما ذكر أدلة عظيمة لكل مؤمن قوى الصبر على المعاصى والبلاء لا يقطع من رحمة ربه، كثير الشكر لنعمه، ثم بين أن المشركين إنما يتسبون الله في الرخاء ولكهم لا يجدون غيره في الشدة فقال: ﴿ولو إذا غشيتهم﴾ الخ: وإذا ركبا في السفن وعظامهم الموج ومن فوقهم السحب وخافوا الفرق دعوا الله وحده مخلصين له العبادة، لزوال ما ينافخ النظر من تقليد الآباء، فلما استجاب لهم ونجاهم إلى البر انقسموا إلى فريقين.

لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَءَلٰهٌ
اَحَدٌ ۝ وَلَوْ اَنَّ فِي الْاَرْضِ مِنْ شَيْءٍ اَنْفُسٌ وَّالْحَيٰ
يُحْيِي مِنْ بَيْنِهِمْ سَبْعًا اَوْ اَكْثَرَ اُولٰٓئِكَ كَلِمَاتٌ اِلٰهٍ اِنْ اِلٰهَ
عِزِّكُمْ ۝ مَا تَعْلَمُوْنَ وَلَا يَشْكُرُ اِلَّا الْكَافِرُ
وَعِبَادُ اِلٰهٍ اَسْمِعُ يَوْمَ ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اِلٰهَ مُوَلِّجُ الْاَلْبٰلِ
فِي السَّحَابِ يُوَلِّجُ السَّحَابَ فِي الْاَرْضِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا
نُجُومٌ ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَءَلٰهٌ اَحَدٌ ۝ وَلَوْ اَنَّ فِي الْاَرْضِ
مِنْ شَيْءٍ اَنْفُسٌ وَّالْحَيٰ يُحْيِي مِنْ بَيْنِهِمْ سَبْعًا
اَوْ اَكْثَرَ اُولٰٓئِكَ كَلِمَاتٌ اِلٰهٍ اِنْ اِلٰهَ
عِزِّكُمْ ۝ مَا تَعْلَمُوْنَ وَلَا يَشْكُرُ اِلَّا الْكَافِرُ
وَعِبَادُ اِلٰهٍ اَسْمِعُ يَوْمَ ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اِلٰهَ مُوَلِّجُ
الْاَلْبٰلِ يُوَلِّجُ السَّحَابَ فِي الْاَرْضِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا
نُجُومٌ ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَءَلٰهٌ اَحَدٌ ۝ وَلَوْ اَنَّ فِي
الْاَرْضِ مِنْ شَيْءٍ اَنْفُسٌ وَّالْحَيٰ يُحْيِي مِنْ
بَيْنِهِمْ سَبْعًا اَوْ اَكْثَرَ اُولٰٓئِكَ كَلِمَاتٌ اِلٰهٍ
اِنْ اِلٰهَ عِزِّكُمْ ۝ مَا تَعْلَمُوْنَ وَلَا يَشْكُرُ اِلَّا
الْكَافِرُ ۝ وَعِبَادُ اِلٰهٍ اَسْمِعُ يَوْمَ ۝ اَلَمْ تَرَ
اَنَّ اِلٰهَ مُوَلِّجُ الْاَلْبٰلِ يُوَلِّجُ السَّحَابَ فِي
الْاَرْضِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا نُجُومٌ ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ
لَءَلٰهٌ اَحَدٌ ۝ وَلَوْ اَنَّ فِي الْاَرْضِ مِنْ شَيْءٍ
اَنْفُسٌ وَّالْحَيٰ يُحْيِي مِنْ بَيْنِهِمْ سَبْعًا
اَوْ اَكْثَرَ اُولٰٓئِكَ كَلِمَاتٌ اِلٰهٍ اِنْ اِلٰهَ
عِزِّكُمْ ۝ مَا تَعْلَمُوْنَ وَلَا يَشْكُرُ اِلَّا الْكَافِرُ
وَعِبَادُ اِلٰهٍ اَسْمِعُ يَوْمَ ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اِلٰهَ
مُوَلِّجُ الْاَلْبٰلِ يُوَلِّجُ السَّحَابَ فِي الْاَرْضِ
وَيَخْرُجُ مِنْهَا نُجُومٌ ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَءَلٰهٌ
اَحَدٌ ۝ وَلَوْ اَنَّ فِي الْاَرْضِ مِنْ شَيْءٍ اَنْفُسٌ
وَّالْحَيٰ يُحْيِي مِنْ بَيْنِهِمْ سَبْعًا اَوْ اَكْثَرَ
اُولٰٓئِكَ كَلِمَاتٌ اِلٰهٍ اِنْ اِلٰهَ عِزِّكُمْ ۝ مَا
تَعْلَمُوْنَ وَلَا يَشْكُرُ اِلَّا الْكَافِرُ ۝ وَعِبَادُ
اِلٰهٍ اَسْمِعُ يَوْمَ ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اِلٰهَ مُوَلِّجُ
الْاَلْبٰلِ يُوَلِّجُ السَّحَابَ فِي الْاَرْضِ وَيَخْرُجُ
مِنْهَا نُجُومٌ ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَءَلٰهٌ اَحَدٌ ۝

فقال بل أكثرهم لا يعلمون أن أعترافهم هذا أقوى حجة عليهم يوم القيامة.

المفردات: ﴿ومده﴾: أي يزيده ويساعده،

انظر الآية (١٠٩) من سورة الكهف صفحة (٣٩٥).

﴿من بده﴾: أي بعد فراغ ما فيه.

﴿سبعة أبحر﴾: المراد بالعدد الكثرة

لا التحديد بسبعة فيشمل ما فوق الألف.

﴿كلمات الله﴾: المراد بها مقدوراته وكل

ما يريده ويقول له ﴿كن فيكون﴾ من كل مافى

الدنيا مما يدل على وجوده سبحانه وعجيب

عجيب، ومن جميع نعمه في الدنيا والآخرة

انظر الآيات من (٢) إلى (١٨) من سورة النحل صفحة ٢٤٥ وما بعدها.

﴿يولج الليل في النهار﴾ الخ: تقدم في الآية (٢٧) من سورة آل عمران صفحة ٦٧.

﴿إلى أجل مسمى﴾: محدد ومعين وهو قيام الساعة.

﴿بنعمة الله﴾: إحسانه بتهيئة أسباب الجري من الريح، وجعل الماء وهو سؤال يحمل

السفن التقل، انظر الآية (٣٣) من سورة الشورى صفحة ٦٤٣.

﴿الباطل﴾: جمع ظلة بوزن غرقة وهي السعابة، انظر الآية (٢١٠) من سورة القمرة صفحة ٤١.

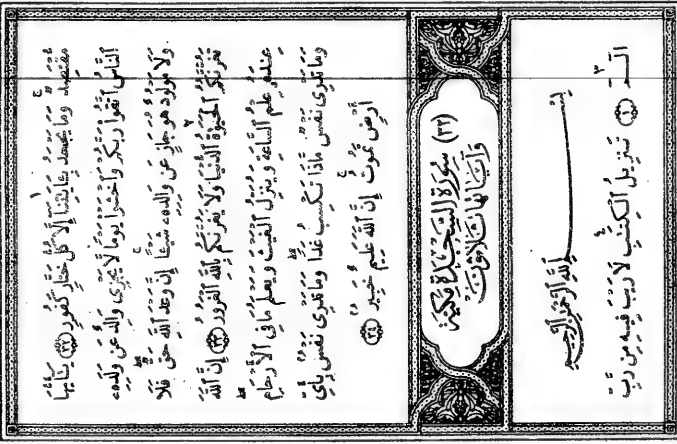
- | | |
|--------------|----------------|
| (١) السموات. | (١) أن ما. |
| (٢) اقلام. | (٤) كلمات. |
| (٣) واحدة. | (٧، ١١) الليل. |
| (٨) الباطل. | (٩) بنعمة. |
| (١٠) آياته. | (١١) آيات. |
| (١٢) بجاهم. | |

«يعلم ما فى الأرحام»: أى أحوال ما فى الأرحام كلها، الحاضر منها والمستقبل انظر الآية (٨) من سورة الرعد صفحة ٣٢٢، والآية (١١) من سورة فاطر صفحة ٥٧٣.

«تكسب غدا»: المراد بالغد هنا الزمن المستقبل ولو بعد لحظة، ومثله (غدا) فى الآية (٢٣) من سورة الكهف صفحة ٢٨٣، والمراد بالكسب ما يصيب الإنسان وغيره ويحصل له أو على يديه من خير، أو شر، أو رزق، أو موت، أو قتل، والمراد أنه سبحانه هو الذى اختص بعلم ما سيحصل للنفس فى مستقبلها، وقصر العلم عليه سبحانه هنا مستقار بالضرورة كما سيأتى.

«وما تدرى نفس بأى أرض تموت»: المراد أنكم كما تجهلون زمان ما سيحصل تجهلون أيضا مكانه.

المعنى: ففهم معتدل فى كل أفعاله كما هو شأن العقلاء، ومنهم جاحد كافر، وما يكفر أى يجحد فضلتنا إلا كل غدار ناقض لمعهد الفطرة التى خلقه الله تعالى عليها، كما تقدم فى الآية (٢٠) من سورة الروم صفحة ٥٣٤، وينقضه ما عاهد الله عليه عند خوف الفرق، انظر الآية ٧٢، ٧٣، من سورة يونس صفحة ٢٦٩، فهو كثير الكفر بنعمة الله. ويعد ما ذكر من دلائل التوحيد والبعث أنواعا أراد أن يخوفهم بما سيكون فقال بأنها الناس من كفار قريش وغيرهم اتقوا سخط ربيكم واخشوا عذابه الذى لا يغنى فيه والد عن ولده شيئا، ولا مولود هو مفن عن والده شيئا، بل كل نفس بما كسبت رهينة، واعلموا أن وعد الله بمجىء هذا اليوم حق، فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا فتجعلوها كل همكم وتتسوا الاستعداد للأخرة، ولا يخدعنكم الشيطان. ولما كان من أهم أسباب إنكارهم البعث هو زعمهم أن الساعة لو كانت ستحصل لوجب أن يعلمنا بوقتها محمد، فذكر سبحانه لهم خمسة أشياء، منها ما هو لاصق بهم ومع ذلك فإنه يستحيل عليهم علم واحد منها فقال «إن الله عنده علم الساعة» إلخ: أى إن الله وحده هو الذى يعلم وقت قيام الساعة، وهو وحده الذى ينزل المطر الكثير فى وقته ومكانه ووصفته المعينة له، وإذا كان سبحانه هو وحده الذى ينزل المطر فلا يعلم وقت نزوله غيره، فضلا عن أنه يعلم ذلك من الأزل، ويعلم جميع أحوال كل ما فى الأرحام، انظر الآية (٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٣، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، والمراد أنه لما كان ما يصيب الإنسان هو من فعل الله عز وجل، وإذا كان لا يمكن أن يعلمه الإنسان قبل وقوعه انحصر علمه فيه سبحانه. وإنما جاء به على هذا الأسلوب لتوبيخهم على إنكار البعث، كأنه يقول إذا



تدري نفس بآى أرض تموت؟ غيب خاص بالمكان فقط بالنسبة لشيء واحد فقط وهو الموت. فكانه سبحانه يقول إذا كنتم تجهلون الحوادث التي تصيبكم وتجهلون مكان أهمها وهو الموت مع أن المكان متضمن بكم لا تتأقرونه لعقاة، وجهلكم هذا لا يمنع وقوعه بكم كل يوم فمن باب أولى لا يصح جهلكم بقيام الساعة ذليلا على عدم وقوعها وقد يقول آخرون إن علماء الطبيعيات يعلمون المطر قبل حدوثه فكيف يقال إنه مما استأثر الله تعالى بعلمه؟ والجواب أن الله سبحانه قد استأثر بعلم زمان المطر قبل حصوله بما لا يخص من عدد السنين أما علماء الطبيعيات فلا يعلمونه إلا قبل حصوله بزمان محدود فظهر فيه مقدماته وتسجيلها ألاتهم فعلمهم هذا ليس من علم الغيب المطلق المتحدت عنه في هذه الآية. بل هو من قبيل إدراك الرجل شديد الحساسية برذا أو حرا أو راتحة لا يشعر بها غيره. فلا يعتبر ما بلم جميع أحوال الغيب من أول عناصر وجوده وأسباب نزوله وزمانه ومكانه ومقداره بكل دقه حتى عدد ذراته وما يحدثه من خير أو شر وكل هذا مستحيل على غير المعلم الخبير بأحوال ما خلق. أما قوله ﴿وما يحدثه من خير أو شر﴾ فاعلم أن (ما) اسم موصول يفيد العموم. (وال) في ﴿الأرحام﴾ للاستغراق المفيد للعموم أيضا. أى يعلم أحوال جميع ما في كل الأرحام. فكل حيوان من إنسان وغيره حتى صغار العشرات إن كان لها أرحام يعلم سبحانه جميع أحوال ما فيها. من عدد، وتمازج أعضائه أو زياتها أو نقصانها. وخروجه إلى الدنيا خيا أو ميتا. ومستقبله. فقيرا أو غنيا، سعيدا أو شقيا يعلم سبحانه كل ذلك ما كان منه وما سيكون. وهذا مستحيل على غير الخالق العليم بما خلق، انظر الآية (٥٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧١. والآية (١٦) من هذه السورة صفحة ٤١.

سورة السجدة

المغررات: ﴿والهم﴾: تقدم كيفية النطق بها في صفحة ٥٢ والمقصود منها أول سورة البقرة.

﴿ولا ريب فيه﴾: أى لا شك في أنه من عند الله.

المعنى: ﴿الهم﴾: تتقدم المراد منها أول سورة البقرة. تنزيل الكتاب وهو القرآن حال كونه لا شك فيه هو من رب العالمين قطعا.

كنتم لا تعرفون ما سيحصل لكم في اللحظة المستقبلية. وكثير مما يحصل لكم عليه مدار حياتكم، فكيف تجهلون جهل وقت الساعة علامة على عدم حصوله؟ وأشار سبحانه إلى الغيب الخامس بقوله ﴿وما تدري نفس بآى أرض تموت؟﴾ وهذا تغير خاص بالمكان بالنسبة لشيء واحد فقط مما يعتري الإنسان وهو الموت، فكانه يقول إن جهلكم كما يكون بزمان الحوادث يكون أيضا بمكان بعنفسها وهو الموت، وإذا كنتم تجهلون مكان موتكم والمكان شيء ثابت لا يتغير من مودعه فجهلكم بزمان الموت من باب أولى. لأن الزمان لحظات لا تستقر بل تتعدد دائما. إن الله عليم بجميع الأشياء، خبير بطواهرها وبوطائها، ويجب أن يعلم أنه ليس في الآية ما يفيد أن علم الغيب محصور فيها ذكر فلا يناقش أن هناك غيبا لا يعلمه غيره سبحانه غير ما ذكر هنا منه عدم علم الشخص بما يكسب غيره، ولا مكان موت غيره، وكذا ما في قوله تعالى ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر﴾ الخ... الآية (٥٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧١: ويجب هنا أن تنبه إلى أنه قد يقال ثبت أن هذه الأشياء الخمسة المذكورة في هذه الآية هي مما استأثر الله سبحانه بعلمه فما حكمه اختلاف التعبير عنها. تارة بجملة اسمية، وأخرى بجملة فعلية؟ قد يقال والله أعلم: إنه سبحانه عبر عن أول هذه الخمسة وهو (علم الساعة) بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار، لأن علمه سبحانه بالساعة مستمر، ولما كان نزول المطر يتجدد، أى يتجدد، أى يفعل فى أصل وضمه يفيد التجدد وهكذا عبر عنه بالجملة الفعلية، أى ﴿ينزل الغيث﴾ لأن الفعل فى أصل وضمه يفيد التجدد وعدم الاستمرار، وكذا يقال فى ﴿ويلعلم ما فى الأرحام﴾ لأن أحوال ما فى الأرحام تتجدد. فعلم الله سبحانه بأنه سيحصل غير علمه بأنه حصل فعلا. ولم يقل ويعلم نزول الغيث، لأنه أراد أن يفيد علمه به بطريق اللزوم الذى يشعر بالدعوى ودليها. فكانه سبحانه وتعالى يقول أنا وحدى أعلم نزول الغيث لأنه لا يعلم وقت نزوله غيرى، وأما تعبيره سبحانه عن اختصاصه بعلم ما سيحصل فى المستقبل بقوله ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بآى أرض تموت؟﴾ فإنه يفيد قصر علم ما سيحصل وزمانه ومكانه عليه سبحانه وحده بطريق اللزوم أيضا. وإنما صنع ذلك سبحانه هنا لتوبيخ الكفار وإقامة الحجة عليهم فى إنكارهم البعث بحجة أنهم لا يعلمونه وقولهم مستهزئين به ﴿ولا تأتينا الساعة﴾ الآية (٣) من سورة سينا صفحة ٥٦٢ ﴿وما تدري ما الساعة﴾ الآية (٣٢) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤. فكانه يقول إن عدم علمكم بالشيء لا يدل على عدم وقوعه؛ ومن هنا نعلم أن الغيب الخامس وهو ﴿وما

تفسير ذلك فى الآية (٩١) من سورة الانبياء صفحة ٤٣٠. ﴿الافتقده﴾: التلويح، انظر شرح الآية (١٠) من سورة القمصن صفحة ٥٠٧. ﴿قليلا ما تشكرون﴾: ﴿قليلا ما﴾ تقدم شرح هذا التركيب فى شرح الآية (١٠) من سورة الاعراف صفحة ١٩٣. ﴿ضللنا﴾: انظر معانى ﴿ضل﴾ فى الآية (٢٤) من سورة الانعام صفحة ١٦٥، وأصل معناها هنا غيبتنا عن الاعين واختلطنا بتراب الارض فهى كناية عن الموت وصيرورة اجسامهم ترابا.

المعنى: .بعد ما اخبر سبحانه أن تنزيل هذا القرآن هو من الله بلا شك، انتقل إلى ما يزعمه المكذبون من أنه أنزل عليه من الشياطين، انظر الآيات (٢١٠، ٢١١، ٢١٢) من سورة الشعرا. صفحة ٤٩٢.

فقال ﴿أم يقولون﴾: إلخ: المراد: بل هل يقول هؤلاء المشركون أن محمداً افترى هذا القرآن ونسبه إلى الله، ثم انتقل سبحانه من توبيخهم على الباطل إلى تأكيد أنه من الله فقال: بل هو الحق نازل إليك من عند ربك لتتذر قومك الذين ما اتاهم نذير خاص بهم من قبل إرسالك متراجيا هدايتهم. ثم بين قدرة منزل هذا الكتاب وحذرهم من حسابه فقال ﴿والله الذى خلق﴾: إلخ: أى الله هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أزمان لا يعلم مقدارها غيره تعالى، ثم استوى على العرش استواء يليق به سبحانه، مالكم أيها المشركون ناصر يدفع عنكم عذابه، ولا شفيع لكم عنده، هل انطمست بمئاتكم فلا تقتربون بصنفة سبحانه. يدبر سبحانه الأمر على وجه الانتقان منزلا أسباب تنفيذه من ملك وغيره إلى الأرض، ثم يصعد إليه متقنة على حسب حكيمته، وسبحانه مستو على عرشه، ثم يصعد خير ذلك الأمر إليه إظهاراً لمزيد عظمته واتساع ملكه وانتشار سلطانه، إلى غير ذلك من حكم يعلمها. وكل ما ذكر من الصعود إليه والاستواء يكون على وجه لائق به سبحانه متفق مع تنزيهه عن مماثلة الحوادث. تعالى رينا عن ذلك علواً كبيراً. ذلك الذى يفعل هذه المعجائب هو الله الذى يستوى فى علمه الحاضر والغائب، وهو الغالب الذى لا يعجزه شئ أراد: الرحيم بأهل طاعته، الذى أحسن كل شئ خلقه بأن جعله على وفق الحكمة، وبدأ خلق الإنسان الأول وهو آدم من طين مباشرة، ثم

المفسردات: .﴿لتتذر قومًا﴾: إلخ: أى لتحذر قومًا ما حذر آباؤهم من قبل تحذيرا مباشرا، انظر الآية (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٣.

﴿خلق السموات إلى قوله العرش﴾: تقدم فى الآية (٥٤) من سورة الاعراف صفحة ٢٠١. والآية (٥٩) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٧.

﴿من ونى﴾: ﴿من﴾ تأكيد تأكيد عموم النفس فيما بعدها، والولى: التاصر، ﴿يدبر الأمر من السماء﴾: أى من جهة العلو كقولته ﴿أمأنتم من فى السماء﴾.. إلخ الآية (١٦) من سورة المؤمنون صفحة ٧٥٥، والمراد وهو سبحانه مستو على عرشه. ﴿إلى الأرض﴾: أى منزلا له إلى الأرض.

﴿يعرج﴾: أى يصعد.

﴿فى يوم﴾: المراد مدة من الزمن لا يعلم مقدارها إلا الله. انظر شرح الآية (٥٤) من سورة الاعراف صفحة ٢٠١. ﴿عالم الغيب والشهادة﴾: المراد بالغيب كل ما غاب عنا، وبالشهادة كل ما نشاهده ونعلمه، انظر الآية (٧٣) من سورة الانعام صفحة ١٧٤. ﴿سلاسل﴾: أى خلاصة، انظر الآية (١٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦. ﴿مهاء مهين﴾: هو الضمى. سواء: أى أنتم خلقه. ﴿ننخ فيه من روجه﴾: المراد وضع فيه سراً من أسرارها كان به حياته، انظر

(١) الماعن	(٢) افتراه	(٣) اتاهم
(٤) المصوات	(٥) عالم	(٦) الشهادة
(٧) الإنسان	(٨) سلاسل	(٩) سواء
(١٠) لأنصار	(١١) أيدا	(١٢) سواء

المعنى : بعد ما بين سبحانه ترددهم فى البعث واستبعادهم له انتقل الى بيان أنهم

كاذبون فى هذا التردد بل هم جازمون بعمده فقال: **فويل لهم كافرون** ﴿٩٠﴾. ثم أثبت سبحانه ان البعث لابد منه، وهددهم بما يكون بعده فقال: **فويل يتوفاكم** ﴿٩١﴾ أى قل أيها الذين لهؤلاء الكافرين: إن ملك الموت الذى وكل قبض أرواحكم يستوفى العدد الذى كتب عليه الموت منكم حين انتهاء أجله، ثم تردون إلى ربكم يوم القيامة أحياء، والمراد أن الذى يقتل على نزع أرواحكم من غير سبب ظاهر لكم قادر على إعادتها لأجسامها كذلك، ثم بين حال هؤلاء المشركين بعد البعث فقال: **فويل ترى** ﴿٩٢﴾ أى ولو ترى يا من تصح منك الرؤية حين يقف المجرمون بين يدي ربهم عند الحساب، ومنهم منكرو البعث مطرقت روعهم من العزى والمضيقه قائلين: يا ربنا إنا صرنا مستعدين لأن نبصر أدلة وجودك ووحدايتك ولسماع قورك وقول رسلك وكنا قبل ذلك لا نبصر ولا نسمع، انظر آيتي ﴿٩٠﴾ من سورة الملك صفحة ٧٥٥، فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا إنا الآن أصبحنا موفقين بالحق الذى جاء على لسان رسلك، والمراد لو ترى أيها الناظر هذا الموقف لرأيت هو لا عظيمًا. قد بين سبحانه أنهم كاذبون حتى فى هذا الموقف، وأنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه، انظر ذلك فى آيتي ﴿٧٨﴾، ﴿٧٩﴾ من سورة الأنعام صفحة ١٦٦. ثم بين سبحانه أنه كان قادرا على أن يجعل الناس جميعا مهديين كالملأكة، ولكنه لم يشأ ذلك للحكمة التى بناها فى شرح الآية ﴿٣٩﴾ من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، ولذا قال ولكن سبق القول من إليس عندما قال لأعين بنى آدم، فقلت له وعزتى لأملأن جهنم من الجن والناس الذين يتبعونك أجمعين، انظر الآية (١٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٤، وبما أنه يستحيل رجوعكم إلى الدنيا، فذوقوا أيها المجرمون عذاب جهنم بسبب ترككم الاستعداد ليومكم هذا، إنا تركاكم فى العذاب، ثم بين أن هذا العذاب دائم لا مخلص لهم منه، فقال وذوقوا عذاب المكث الخالد بسبب ما داومتم على عمله من الكفر والجرائم، ثم ذكر سبحانه علامة أهل الإيمان التى استحقوا بها النعيم فقال **وإنما يؤمن** ﴿٩٣﴾ أى لا يصدق بعيجنا وآيات كتابنا إلا الذين إذا وعظوا بها سقطوا على وجوههم سجدا لله أقرارا بعبوديتهم له، ونزهوه سبحانه عما لا يليق به، حامدين له خربل

يُؤْتِيهِمْ كُتُوبًا * قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ تِلْكَ الْمَوْتُ
الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ
الْمُجْرِمُونَ كُنُوزَهُمْ عند ربهم ربنا أسرناهم
فأرسلناهم مملئين صلبا إنا موثون ﴿٩٥﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ
كُلُّ نَفْسٍ عند ربها ولكن حزن القبول يتي لأملأن جهنم
من آتية والناس أجمعين ﴿٩٦﴾ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا إِذْ يُبَيِّنُ لَكُمْ دُخُولَ عَذَابِ النَّارِ كَيْ تَكُونَ
تَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا يُؤْنِ بِأُنْفُسِهِ الَّذِينَ إِذْ أُذِيقُوا بِأَنْبَاءِ
يَوْمِهِمْ وَسُجُودًا يُعِيدُ رَبُّهُمْ لَعْنَهُمْ ﴿٩٨﴾ وَكَانَ
جُحُودًا عَنِ الصَّاحِجِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَا
رَبِّهِمْ يَتُوبُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ أَنْتُمْ أَنْفُسُ النَّاسِ كَيْ تَكُونَ
تُؤْمِنُونَ بِحُجَّتٍ يَأْكُلُونَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ لَنْ كَانَ مُؤْمِنًا

جعل نسله من خلاصة مأخوذة من ماء ممتحن بعد أخذ هذا الماء من التراب، انظر الآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠، ثم أتم خلفه ووضع فيه الروح، وجعل لكم يا بنى آدم السمع والأبصار والقلوب، ولا تشكرون الله تعالى إلا قليلا. ثم بعد أن بين سبحانه أدلة وحدانيته وصحة رسالة نبيه أتبع ذلك بالركن المهم الثالث وهو البعث حاكيا قول المنكرين مع الرد عليهم فقال **هو قالوا** ﴿٩٤﴾ أى قال الكفار منكروين هل إذا صارت أجسامنا مختاطلة بتراب الأرض نبعث خلقا جديدا؟ فرد سبحانه بقوله **فويل لهم** ﴿٩٤﴾ الخ.

المفسرات : . **فويل** شيئا لا يتينا ﴿٩٤﴾ الخ : تقدم الكلام على ذلك فى الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. **هو حق القول** ﴿٩٤﴾ : تقدم فى شرح الآية (٨٧) من سورة النمل صفحة ٥٠٤. **هو الحق** : الجن، انظر الآية (٦) من سورة الناس صفحة ٨٢٧. **هو سيئاتكم** ﴿٩٤﴾ : أى تركاكم فى العذاب. **هو خروا سجدا** ﴿٩٧﴾ : تقدم فى الآية (١٠٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٩. والآية (٧٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨. ويطلب السجود للمتوضئ عند تلاوة كلمة **فولا يستكبرون** ﴿٩٨﴾ **هو هنا سجدة** ﴿٩٩﴾.

هو تتجافى ﴿٩٩﴾ : أى ترتفع وتبتعد. **هو المصاحح** ﴿٩٩﴾ : جمع مضارع يفتح فسكون ففتح وهو مكان

النوم.

هو قرة أعين ﴿١٠٠﴾ : تقدم المراد منها فى الآية (٤٠) من سورة طه صفحة ٤٠٩.

- (١) كافرون (٢) يتوفاكم (٣) صالحا (٤) مدحا (٥) سيئاتكم (٦) تاباها (٧) روقاهم (٨) صالحا (٩) مدحا

ثم عرض: ثم تدل على استبعاد الإعراض عقلا عن الآيات مع وضوحها وفائدتها.

﴿الكتاب﴾ : هو التوراة. ﴿مصرية﴾ : شك.

﴿من لقاءه﴾ : من لقاء موسى للكتاب.

﴿هدی﴾ : أصله مصدر وأريد به هاديا..

﴿أئمة﴾ : هم أنبياء بنى إسرائيل.

أي يبين لهم، انظر شرح الآية (١٠٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨

﴿كم أهلكتنا﴾ : كم اسم يدل على الكثرة.

وهي في موضع نصب بـ ﴿أهلكنا﴾ الآتية في الصفحة القادمة.

المعنى :- هل بعد ما بين المجرم والمؤمن من التفاوت يتوهم مساواة المؤمن بالظالم؟

كَلَّا لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجِزَاءِ، انْظُرِ آيَةَ (٢٨) مِنْ سُورَةِ ص، صَفْحَةُ ٦٠٠، وَالْآيَةُ

(٢١) من سورة الجاثية - صفحة ٦٦٣، والآة (٢٠) من: سورة الحبيب - صفحة ٧٣٣.

الفرق بقوله فما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الخواتم التي أقامتها دائمة بخلاف نعمه

الدنيا فإنه لابد من الرحيل عنه، نزلا أي محل، وأعطاهم لهم ذلك، فزارهم.

الصالح. وأما الذين خرجوا على إمامهم بالكفر فمجاناً إقامتهم الزنا كما هو في الخبر.

منها عندما تصور بهم كما في الآية (٧) من سورة الملك صفحة ٧٥٥ دفعتمهم الى الاخرة ١١

فقرها، انظر آيتي (٢٢، ٢١) من سورة العنكبوت صفحتي ٤٣٦. وبقها. لهم الملايكة اه اذاعة

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون. ثم بين سبحانه ما سيفعله بهم فقال: ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ﴾

الخ: أى وعزتى لعذبتهنم فى الدنيا بالعذاب الأقال، قلا العذاب الأكبال، جمعاً بالزيادة قلا.

الوقوع في العذاب الأكبر. ثم أبرز الفرق بين من قاتل، آتاه الله بالإيمان، ومن قاتل،

وَمِنْ أَظْهَرِ الْخَبَرِ أَنَّ أَحَدَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يَسْجُدُ وَالتَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ فَقَالَ

مَنْ ذَكَرَ بَيَّاتِ رَبِّهِ ثُمَّ قَالَهَا بِالْأَعْرَاضِ، وَبَيْنَ سَجَّاتِهِ جَاءَهُ فَقَالَ: يَا مَنْ كَرَّمَ

[illegible]

والصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، ثم قرأ هذه الآية، ثم بين سبحانه أن التفرقة في المعاملة بين المجرمين والصالحين يقتضيها العدل والحكمة، فقال مؤلفنا كان مؤمناً بالغ:

المفردات : ﴿جنات المآوى﴾ : المآوى محل الإقامة، والمراد جنات الإقامة الحقيقية، أما الدنيا فهي دار سقر.

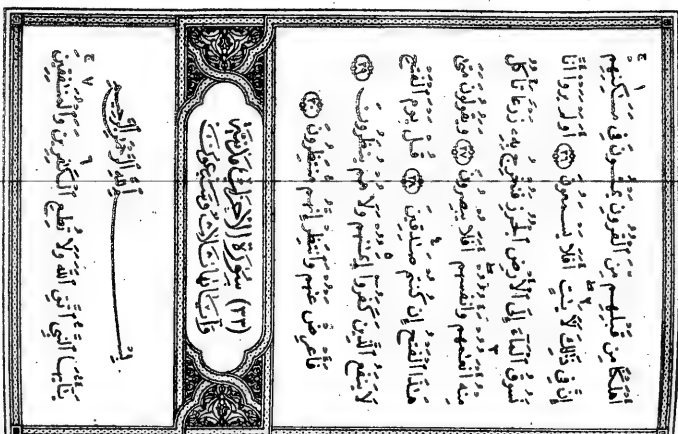
تقديم في الآية (١٠٢) من سورة الكهف صفحة ٣٩٤

﴿العذاب الأدنى﴾ : هو ما حصل لهم في الدنيا من أسر وخوف وذل وجوع. ﴿العذاب الأكبر﴾ هو عذاب جهنم.

(٥) بَيِّنَات	(٦) فُتُو
(١٠) إِسْرَائِيلَ	(١١) أُمَّة
(١٥) فَضَاوَاهِمَ	(١٢) بَيِّنَاتَا
(٢٠) وَجَعَلْنَاهُ	(١٣) الْقِيَامَةِ
(٢٥) جَنَاتٍ	(١٤) أَكْبَابَ
(٣٠) جَنَاتٍ	(١٥) أَكْبَابَ
(٣٥) جَنَاتٍ	(١٦) أَكْبَابَ
(٤٠) جَنَاتٍ	(١٧) أَكْبَابَ
(٤٥) جَنَاتٍ	(١٨) أَكْبَابَ
(٥٠) جَنَاتٍ	(١٩) أَكْبَابَ
(٥٥) جَنَاتٍ	(٢٠) أَكْبَابَ
(٦٠) جَنَاتٍ	(٢١) أَكْبَابَ
(٦٥) جَنَاتٍ	(٢٢) أَكْبَابَ
(٧٠) جَنَاتٍ	(٢٣) أَكْبَابَ
(٧٥) جَنَاتٍ	(٢٤) أَكْبَابَ
(٨٠) جَنَاتٍ	(٢٥) أَكْبَابَ
(٨٥) جَنَاتٍ	(٢٦) أَكْبَابَ
(٩٠) جَنَاتٍ	(٢٧) أَكْبَابَ
(٩٥) جَنَاتٍ	(٢٨) أَكْبَابَ
(١٠٠) جَنَاتٍ	(٢٩) أَكْبَابَ
(١٠٥) جَنَاتٍ	(٣٠) أَكْبَابَ
(١١٠) جَنَاتٍ	(٣١) أَكْبَابَ
(١١٥) جَنَاتٍ	(٣٢) أَكْبَابَ
(١٢٠) جَنَاتٍ	(٣٣) أَكْبَابَ
(١٢٥) جَنَاتٍ	(٣٤) أَكْبَابَ
(١٣٠) جَنَاتٍ	(٣٥) أَكْبَابَ
(١٣٥) جَنَاتٍ	(٣٦) أَكْبَابَ
(١٤٠) جَنَاتٍ	(٣٧) أَكْبَابَ
(١٤٥) جَنَاتٍ	(٣٨) أَكْبَابَ
(١٥٠) جَنَاتٍ	(٣٩) أَكْبَابَ
(١٥٥) جَنَاتٍ	(٤٠) أَكْبَابَ
(١٦٠) جَنَاتٍ	(٤١) أَكْبَابَ
(١٦٥) جَنَاتٍ	(٤٢) أَكْبَابَ
(١٧٠) جَنَاتٍ	(٤٣) أَكْبَابَ
(١٧٥) جَنَاتٍ	(٤٤) أَكْبَابَ
(١٨٠) جَنَاتٍ	(٤٥) أَكْبَابَ
(١٨٥) جَنَاتٍ	(٤٦) أَكْبَابَ
(١٩٠) جَنَاتٍ	(٤٧) أَكْبَابَ
(١٩٥) جَنَاتٍ	(٤٨) أَكْبَابَ
(٢٠٠) جَنَاتٍ	(٤٩) أَكْبَابَ
(٢٠٥) جَنَاتٍ	(٥٠) أَكْبَابَ
(٢١٠) جَنَاتٍ	(٥١) أَكْبَابَ
(٢١٥) جَنَاتٍ	(٥٢) أَكْبَابَ
(٢٢٠) جَنَاتٍ	(٥٣) أَكْبَابَ
(٢٢٥) جَنَاتٍ	(٥٤) أَكْبَابَ
(٢٣٠) جَنَاتٍ	(٥٥) أَكْبَابَ
(٢٣٥) جَنَاتٍ	(٥٦) أَكْبَابَ
(٢٤٠) جَنَاتٍ	(٥٧) أَكْبَابَ
(٢٤٥) جَنَاتٍ	(٥٨) أَكْبَابَ
(٢٥٠) جَنَاتٍ	(٥٩) أَكْبَابَ
(٢٥٥) جَنَاتٍ	(٦٠) أَكْبَابَ
(٢٦٠) جَنَاتٍ	(٦١) أَكْبَابَ
(٢٦٥) جَنَاتٍ	(٦٢) أَكْبَابَ
(٢٧٠) جَنَاتٍ	(٦٣) أَكْبَابَ
(٢٧٥) جَنَاتٍ	(٦٤) أَكْبَابَ
(٢٨٠) جَنَاتٍ	(٦٥) أَكْبَابَ
(٢٨٥) جَنَاتٍ	(٦٦) أَكْبَابَ
(٢٩٠) جَنَاتٍ	(٦٧) أَكْبَابَ
(٢٩٥) جَنَاتٍ	(٦٨) أَكْبَابَ
(٣٠٠) جَنَاتٍ	(٦٩) أَكْبَابَ
(٣٠٥) جَنَاتٍ	(٧٠) أَكْبَابَ
(٣١٠) جَنَاتٍ	(٧١) أَكْبَابَ
(٣١٥) جَنَاتٍ	(٧٢) أَكْبَابَ
(٣٢٠) جَنَاتٍ	(٧٣) أَكْبَابَ
(٣٢٥) جَنَاتٍ	(٧٤) أَكْبَابَ
(٣٣٠) جَنَاتٍ	(٧٥) أَكْبَابَ
(٣٣٥) جَنَاتٍ	(٧٦) أَكْبَابَ
(٣٤٠) جَنَاتٍ	(٧٧) أَكْبَابَ
(٣٤٥) جَنَاتٍ	(٧٨) أَكْبَابَ
(٣٥٠) جَنَاتٍ	(٧٩) أَكْبَابَ
(٣٥٥) جَنَاتٍ	(٨٠) أَكْبَابَ
(٣٦٠) جَنَاتٍ	(٨١) أَكْبَابَ
(٣٦٥) جَنَاتٍ	(٨٢) أَكْبَابَ
(٣٧٠) جَنَاتٍ	(٨٣) أَكْبَابَ
(٣٧٥) جَنَاتٍ	(٨٤) أَكْبَابَ
(٣٨٠) جَنَاتٍ	(٨٥) أَكْبَابَ
(٣٨٥) جَنَاتٍ	(٨٦) أَكْبَابَ
(٣٩٠) جَنَاتٍ	(٨٧) أَكْبَابَ
(٣٩٥) جَنَاتٍ	(٨٨) أَكْبَابَ
(٤٠٠) جَنَاتٍ	(٨٩) أَكْبَابَ
(٤٠٥) جَنَاتٍ	(٩٠) أَكْبَابَ
(٤١٠) جَنَاتٍ	(٩١) أَكْبَابَ
(٤١٥) جَنَاتٍ	(٩٢) أَكْبَابَ
(٤٢٠) جَنَاتٍ	(٩٣) أَكْبَابَ
(٤٢٥) جَنَاتٍ	(٩٤) أَكْبَابَ
(٤٣٠) جَنَاتٍ	(٩٥) أَكْبَابَ
(٤٣٥) جَنَاتٍ	(٩٦) أَكْبَابَ
(٤٤٠) جَنَاتٍ	(٩٧) أَكْبَابَ
(٤٤٥) جَنَاتٍ	(٩٨) أَكْبَابَ
(٤٥٠) جَنَاتٍ	(٩٩) أَكْبَابَ
(٤٥٥) جَنَاتٍ	(١٠٠) أَكْبَابَ
(٤٦٠) جَنَاتٍ	(١٠١) أَكْبَابَ
(٤٦٥) جَنَاتٍ	(١٠٢) أَكْبَابَ
(٤٧٠) جَنَاتٍ	(١٠٣) أَكْبَابَ
(٤٧٥) جَنَاتٍ	(١٠٤) أَكْبَابَ
(٤٨٠) جَنَاتٍ	(١٠٥) أَكْبَابَ
(٤٨٥) جَنَاتٍ	(١٠٦) أَكْبَابَ
(٤٩٠) جَنَاتٍ	(١٠٧) أَكْبَابَ
(٤٩٥) جَنَاتٍ	(١٠٨) أَكْبَابَ
(٥٠٠) جَنَاتٍ	(١٠٩) أَكْبَابَ
(٥٠٥) جَنَاتٍ	(١١٠) أَكْبَابَ
(٥١٠) جَنَاتٍ	(١١١) أَكْبَابَ
(٥١٥) جَنَاتٍ	(١

صفحة ٣٤٢، والآية (٥٨) من سورة القصص
صفحة ٥١٥، وأتى (١٣٧، ١٣٨) من سورة
الصافات صفحة ٥٩٥ إن في ذلك لآذلة على
قدرة الله، فهل أصيب هؤلاء الكفار بالصمم
فأصمبوا لا يسمعون كلام الله تعالى سماع
تدبر واتعاطى ثم ذكر دليلا آخر فقال «واو لم
يروا» الخ: أى هل عموا فلم يهتدوا آثار
أعمالنا حين نسوق الماء إلى الأرض اليابسة
التي لا نبات فيها فيخرج بسببه زعجا تاكل
أنعامهم من حشائشه، ويأكلون هم جبه وفناره
فهل طمس على أعينهم فلا يسمعون فيعلمون
قدرتنا على كل ما نريد؟ ولما كان المسلمون
والقنن من وعد الله عز وجل لهم بالنصر كانوا دائما يقولون للكفار إن الله سيفتح لنا عليكم
بالنصر، ويفضل بيننا وبينكم فيهرزنا وينلكم، فرد الكفار على ذلك بأسلوب الاستبعاد
والاستهزاء بقولهم متى يحصل هذا النصر إن كنتم صادقين قائلوا به.

وأمر سبحانه نبيه بالرد فيقال «وقل يوم» الخ: أى قل لهم يوم يحصل النصر وتقتلون لا
يتفجع الكافر منكم إيمانه كما في الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحتي ١٩٠، ١٩١،
والآية (٨٥) من سورة غافر مرة ١٢٩، ولا يمهلون حين المناب لحظلة. فأعرض أيها النبي
عن سنهم ولا تجبه إلا بما أمرت به، وانتظر صدق وعد ربك، ولا تأمل خيرا فيهم، لأنهم
ينتظرون بك الهلاك، انظر الآية (٣٠) من سورة الطور صفحة ١٩٨.



(١) مسألكهم (٢) آياتهم (٣) مصاديقهم (٤) مصاديقهم (٥) إيمانهم (٦) الكافرين (٧) المناقبة

جرمه سنتقم فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم؟ وبعد ما ختم الكلام على المكذبين انتقل إلى
تصوير نبيه على إيذاء قومه وتبشيرهم بأنه سيجعل من أتباعه قادة الخ: فقال موجهها
الخطاب له ﷺ والمراد غيره لما تقدم في شرح الآية (٩٤) من سورة يوسف صفحة ٢٨١: ولقد
آتينا موسى التوراة كما آتيناك القرآن، فلا تشك في أن موسى أنزل عليه هذا الكتاب من ربه،
وجعلنا الكتاب هاديا لبني إسرائيل كما جعلنا القرآن هاديا لأممتك، وجعلنا من بني إسرائيل
قادة يهتدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم بذلك كما جعلنا في أممت علماء يهتدون الناس إلى
الحق بأمرنا كما في الآية (١٠٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٠: فنحن بنى إسرائيل هذه
المزايأ حين صبروا على مشاق الطاعة ومقاساة شدائد الكفار، وكانوا بابائنا التي في الكتاب
وفي الكون يعلمون علما لا يخالفه شك، فإذا صبرتم مثلهم كان لكم أجرهم.

إن ربك أيها النبي يقضى بين الرسل وأممهم وبين المؤمنين والكافرين يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون، فبين الموق من المبطل ويعسن إلى ذلك وعاقب هذا. ثم رجع سبحانه
إلى آذلة توحيده وكمال قدرته فقال «واو لم يهد لهم» الخ: أى هل غفلوا ولم يبين لهم طريق
ومال كفرهم كثرة من أهلنا من الكافرين مثلام.

المفردات: .. «والعز» : الأرض التي قطع نباتها.

«والنعم» : المراد كل ما بهمهم من الحيوانات خصومنا الأنعام وهي الإبل والبقر
والغنم.

«والفتح» : الفتح معناه الحكم ويقول أهل اليهون للفتاحين : الفاتح والمراد به هنا الفصل
بين الخلق يوم القيامة ومنه ما في الآية (٨٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٧.

«ينتظرون» : يمهلون.

المعنى: .. هل غفل هؤلاء الكفار ولم يرشدهم إلى طريق الخلاص كثرة من أهلنا منهم من
القرون الماضية مثل عاد وثمود وقيوم لوط، ولا عذر لهم في هذه الغفلة لأنهم يسمعون في
أسفارهم للتجارة على أماكن ديارهم وينشأهدون آثارهم، انظر الآية (٧٦) من سورة الحجر

﴿يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ : يقال هداه السبيل وهداه إلى السبيل أى أرشده إليه، انظر الآية (٢١٣)

من سورة البقرة صفحتى ٢١٢، ٢١٣، والآية (٣) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ : أى انسيبهم لآبائهم. ﴿اقْصُطُوا﴾ : اعدل.

﴿مَوَالِيكُمْ﴾ : أى نصرائكم فى الدين.

﴿جُنَاحٌ﴾ : أى إثم ومؤاخذة.

﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ : أى قصصتموه عمدا.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ : أى أصحاب القرابات.

المنى : : بعدما أمر سبحانه بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين رغب فى طاعته فقال : ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أى بالصالح من الأشياء والفاصد. ﴿حَكِيمًا﴾ لا يأمر إلا بما فيه مصلحة.

واتبع أيها النبى أنت ومن آمن معك فى كل ما تفعلون وتتركون من أمور الدين ما يتلى عليك من ريك، ومنه ما سبق من الأمر بالتقوى وما بعدها. ثم طمأن المؤمنين وهدد الكافرين فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ : أى لا تخف أيها النبى أنت ومن آمن معك فإن الله عليم بما تعملون أنتم والكافرون والمنافقون، فيحفظك من كيدهم، ويخذلهم، وتوكل على الله فى جميع أموركم،

وكناسك سبحانه حافظا لك، وقبل الدخول فى تفسير هذه السورة يجب أن نعلم أن مقاصدها ترمى إلى إحباط مؤامرات فاشلة، وإشاعات باطلة، تمهد إثارها المنافقون واليهود، وساعدهم

المشركون، فأحبط سبحانه كيدهم، وأمر نبيه أن يسد عليهم منافذ الفتنة من كل ناحية، من جهة شخصه الشريف، ومن جهة نسائه الطاهرات، وفى أثناء ذلك ذكرهم بحوادث كان يكفى

أقل منها لأن يعتبروا ويكفوا. ثم التفت سبحانه إلى العرب الذين أسلموا حديثا فهذب أخلاقهم، وعلمهم أرقى آداب المعاشرة، واحترام الرسول الأكرم، انظر ذلك فى الآيات من (٥٣)

إلى (٥٨)، و (٦٩) إلى (٧١) من هذه السورة صفحات ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦١.

وكان من عادة الجاهلية التى استمرت إلى صدر الإسلام أن الرجل إذا تبنى ولد غيره جعله كابنه الحقيقى فى كل شئ : فى الميراث، وفى تحريم مطلقته على والده بالتبني، وكان ﷺ

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم.

المفردات : : ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ : أى داوم على

تقوى الله تعالى.

المنى : : كان مشركو قريش أرسلوا وفدا

منهم إلى المدينة يطلب منه ﷺ أن لا يتعرض

لأهاتهم بسوء، فترلوا على عبدالله بن أبى بن

سلول رأس النفاق بالمدينة، وكان ﷺ

أعطاهم الأمان فى زيارتهم له، فلما طلبوا

منه ﷺ ما يريدون ووعده بأنهم لا يتعرضون

له بشر، رفض ﷺ. وكان المنافقون

يخوفونه ﷺ من بطش المشركين وقوة اليهود القاطنين حول المدينة؛ لكل ذلك أنزل سبحانه

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ : أى على تقوى الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فى شئ يخالف ما أمرناك به، انظر مثل محاولة الكفار هنا فى الآية (٧٣) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٣٧٤، وآيتى (٢٨، ٢٩) من سورة الكهف صفحتى ٢٨٥، ٢٨٥.

المفردات : : ﴿تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ﴾ : أى يقول أحدكم لزوجته: (أنت على كظهر أمى) يريد محرمة كحرمتها، وكانوا يعتبرون ذلك طلاقا لا رجعة بعده، وسيأتى تفصيل ذلك صفحة ٧٧٤.

﴿ادْعِيَاكُمْ﴾ : جمع دعى بفتح فكسر مع تشديد الياء، وهو الذى يدعى غير أبيه أنه ابن له ويعطيه كل حقوق الأبناء.

ويعطيه كل حقوق الأبناء.

(١) أزواجكم	(٦) لأبائهم	(١٠) أزواجه
(٢) اللائى	(٧) أبائهم	(١١) أمهاتهم
(٣) تظاهرون	(٨) فإخوانكم	(١٢) كتاب
(٤) أمهاتكم	(٩) مواليتكم	(١٣) المهاجرين
(٥) بافواهاكم		

والله يقول الحق الشايت في الواقع، وهو يهدي إلى طريق الحق، فاتركوا قولكم أيها المنافقون واليهود، واتبعوا قوله تعالى.

ثم بين الحق فقال ﴿ألا عظم﴾ الخ: أي انسبهم لأبائهم، أي قولوا زيد بن حارثة مثلاً، لا زيد بن محمد، فإن نسبهم لأبائهم أعدل في حكم الله، فإن لم تعلموا لهم أبا تنسبهم إليه فقولوا للواحد منهم هذا أخى ومولاى، أى فى الدين، ولا تقولوا أبنى، ولا إثم عليكم فيما يصدر عنكم عن خطأ وسبق لسان، ولكن عليكم ذنباً إذا قلتم قاصدين.

وكان الله غفورا لما مضى، رحيماً لغفوه عن المخطئ، وبعد ما قرر سبحانه هذه الحقائق، أراد أن يرتب عليها آثارها فقال ﴿والنبي﴾ أى أن النبي وإن كان ليس أبا نسبياً لواحد من المؤمنين فإن له أبوة رافة ورحمة كما فى الآية (١٧٨) من سورة التوبة صفحة ٢٦٨ فهو ﷺ أشد ولاية ونصرة للمؤمنين من أنفسهم، لأنه لا يطلب منهم إلا ما فيه سعادتهم، أما النفس فإنها أمارة بالسوء، ولأزواجه أمومة احترام وتوقير يترتب عليها ما سياتى فى الآية (٥٢) الآتية صفحتى ٥٥٨، ٥٥٩. ثم أطل سبحانه التوارث بالنسب والمؤاخاة فقال ﴿ولو الأرحام﴾ الخ: وكان التوارث فى بدء الإسلام بالمؤاخاة بين المسلمين، فكان المهاجري يترث الأنصارى دون أقربائه وذوى رحمته بسبب الأخوة التى كان يعقدها ﷺ بينهم، فكان شرط التوارث الإيمان والمؤاخاة، فبطلت هذه الآية وأرجعته إلى ما فى صفحة ٩٩ وما بعدها. فالمنى وأصحب الترابيات أولى ببعض فى الميراث بسبب القرابة فيما كتبه الله عز وجل وفرضه على عباده فى صفحة ٩٩ المتقدمة، أولى فى هذا الميراث من المؤمنين بسبب الإيمان والهجرة مع المؤاخاة، إلا أن تعلموا...

المفردات: . . وفى الكتاب: المراد به هنا اللوح المحفوظ المذكور فى صفحة ٨٠٢.

﴿ميثاقهم﴾: تقدم فى الآية (٨١) من سورة آل عمران صفحة ٧٦.

﴿ميثاقاً غليظاً﴾: تقدم فى الآية (٢١) من سورة النساء صفحة ١٠٢، والميثاق الغليظ هو الميثاق السابق وإنما كره لتأكيد زيادة الصفة وهى ﴿غليظاً﴾.

بنى قبل النبوة زيد بن حارثة، وكان عبداً مملوكاً لخديجة زوجة ﷺ، فاهدته له فاعنته، وتبناه، وكانوا يقولون عنه زيد بن محمد، ثم منع الإسلام هذا العمل وأبطل آثاره، فبأج للرجل المتبنى (يكسر النون) أن يتزوج مطلقة متبناه، ولكن لتأصل التبنى عند العرب من قديم لم يقدم أحد على زواج مطلقة متبناه، لأن صورته ما زالت بشعة فى مخيلتهم كصورة زواج الواحد منهم مطلقة ابنة الحقيقى، لذلك اقتضت حكمته سبحانه أن يكون أول من يبطل هذه العادة هو رسوله ﷺ: لأن فيه أكبر قدوة، فأوحى إليه أن يزوج بنت عمته زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة، وأمره أن يتزوجها إذا طلقها زيد، لمحق هذه العادة الشاذة محققاً، فخطبها ﷺ لمولاه زيد من أخيهما عبد الله بن جحش فامتنعت وامتنع أخوها، لأنها من أشرف العرب، فلا يصح أن تتزوج من كان رقيقاً، فانزل سبحانه الآية (٣١) الآتية صفحة ٥٥٥، فحضمنا لعكم الله، وتزوجها زيد، ولكنها شمتحت بأنفها عليه، واحتقرته، وأطلقت لسانها فيه، فشكا زيد لرسول الله ﷺ، واستأذنه فى أن يطلقها، ولما كان ﷺ شديد الحياء تولمه أخف كلمة، شديد العذر مما قد يتهمه به المنافقون واليهود فيشيعون ما يطعنه الناس مما ساء بآثاره الشريفة، رأى ﷺ سماً لهذا الباب أن يرجئ الأمر حتى يرجو ربه فى أن يكون القدوة فى هذا الأمر غيره من المؤمنين، وشجعه على هذا الرجاء علمه بأن ربه الكريم الرحيم أعفى خليفه إبراهيم عليه السلام من دبح ولده إسماعيل بعد تكليمه به؛ لهذا الاعتبار قال ﷺ لزيد عندما شكاً من زينب ﴿أمسك عليك زوجك﴾ فلامه سبحانه، انظر الآية (٣٧) الآتية صفحتى ٥٥٦، ٥٥٧. عند ذلك خضع ﷺ لأمر ربه وأذن لزيد فى الطلاق، وبعد استيفاء العدة تزوجها، فتلقتها المناقون وصاروا يقولون تزوج محمد حليلة ولده، فانزل سبحانه توبيخهم من أول قوله ﴿وما جعل الله لرجل﴾ الخ، فقوله ما جعل الخ تمهيد لأصل يحمل عليه ما بعده، فالمراد كما لم يجعل الله قلبين فى جوف واحد، ولم يجعل المرأة الواحدة أما وزوجاً، كذا لم يجعل الولد الواحد ابناً لرجلين. ذلكم الذى صدر منكم من تسمية المتبنى أبناً هو قول صادر من أفواهكم فقط من غير أن يكون له حقيقة فى الواقع كما فى الآية (١٧٦) من سورة آل عمران صفحتى ٩٠، ٩١، والآية (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥.

المعنى : بعدما أبطل سبحانه التوارث بالمؤاخاة وحصره فى القرابة قال : ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا الْخ: أَي لَكُنْ لَكُمْ أَنْ تَقْدِمُوا إِلَى أَوْلِيَانِكُم بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ وَالْمُؤَاخَاةِ مَعْرُوفًا غَيْرَ الْمِيرَاثِ بَانَ تَوْصُوا لَهُمْ بِجِزءٍ مِنْ مَالِكُمْ. كَانَ كُلُّ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَحْكَامِ مَسْجُلاً فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَاشِئًا عَنْ اضْطِرَابٍ فِي الْأَوْامِرِ بَلْ إِنَّمَا خُطِّطَ مَرْسُومَةُ اقْتَضَتْهَا الْحِكْمَةُ فِي كُلِّ زَمَنٍ يَمَّا يَنْبَاسِيهِ. ثُمَّ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيَّهُ عَلَى تَبْلِيغِ كُلِّ مَا يُوْحِيهِ إِلَيْهِ فَقَالَ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ الْخ: أَي وَاذْكَرَ أَنَّهُمَا النَّبِيُّ وَقَدْ أَخَذْنَا عَلَى النَّبِيِّينَ عَهْدَهُمْ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ، وَكَدُّوا هَذَا الْعَهْدَ بِالْعَلْفِ عَلَيْهِ، وَخَصَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ النَّبِيِّينَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي الْعُمُومِ السَّابِقِ وَأَدْخَلَ فِيهِمْ نَبِيَّنَا ﷺ: أَنَّهُمْ أَوَّلُو الْعَرَمِ مِنَ الرِّسْلِ وَأَضْحَابُ الشَّرَانِغِ، فَلَهُمْ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ. اخَذَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمِيثَاقَ عَلَى التَّبْلِيغِ لِيَسَالِ الرِّسْلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ تَبَكُّيتًا لِلْكَافِرِينَ وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ: وَلِذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّمَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ انظر الآية (١٠٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٩ ثم أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْجَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهُ ضَامِنٌ نَصْرَهُمْ فَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الْخ: وَهَذَا أَوَّلُ الْكَلَامِ عَلَى غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَآخِرُهُ الْآيَةُ (٢٧). وَبَيَّانُ أَسْبَابِهَا أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدٌ فَخَالُوا الْعَهْدَ، فَطَرَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ فِي خَيْبَرَ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ أَوَّلُ سُورَةِ الْخَشْرِ صَفْحَةَ ٧٢٩، وَلَمَّا يَسُّوْا مِنْ رَجوعِهِمْ عَمَدُوا إِلَى تَالِيِبِ الْمَشْرُوكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى كَفَارِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ وَحَرَضُوهُمْ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَوَعَدُوهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ هُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْشَةَ الَّذِينَ كَانُوا مَزَالُوا حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدٌ لَمْ يَنْقُضُوْهُهَا، وَلَمَّا قَبِلَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ ذَهَبَ وَقَدْ الْيَهُودُ إِلَى قِبَاثِلِ غُطْفَانَ بْنِجَدٍ وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا تَمَّ فَوَاقَعُوا أَيْضًا، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى بَنِي قُرَيْشَةَ وَحَرَضُوهُمْ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا تَمَّ أَيْضًا فَقَبِلُوا، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِجَيْشٍ يَبْلُغُ عَشْرَةَ أَلْفٍ تَحْتَ قِيَادَةِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ قِبَاثِلُ غُطْفَانَ تَحْتَ قِيَادَةِ ثَلَاثَةٍ مِنْ كِبَارِهَا، وَلَمَّا عَلِمَ ﷺ خَيْرَ هَذِهِ الْأَحْزَابِ عَظَمَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ خَوْفُ الْمُسْلِمِينَ

﴿جنود﴾ : هم جيوش الأحزاب الآتى ببيانهم. ﴿جنودا لم تروها﴾ : جنود الله التى يسلطها على أعدائه وهى كثيرة، منها الملائكة وشدة البرد الذى يفتت العظم، وإثارة الغبار والرمال فى الوجوه وكل ما يلقى الرعب فى الصدور ولا يعلمه إلا هو، انظر الآية (٢١) من سورة المذثر صفحتى ٧٧٦، ٧٧٧. ﴿من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ : كناية عن الإحاطة من كل جانب. انظر الآية (٥٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨. ﴿راغت الأَبصار﴾ : أصل الزبغ الميل عن الاستقامة والمراد هنا اختلت فصارت لا تبصر. ﴿بلغت القلوب الحناجر﴾ : كناية عن اضطراب القلوب عند الفزع.

﴿تظنون بالله الظنونا﴾ : المراد اختلفت ظنونكم فى وعد الله بالنصر، فالمؤمن القوى واثق، والضعيف خائف. ﴿منالك﴾ : فى هذا الوقت. ﴿أبلى﴾ : اختبر. ﴿أرزلوا﴾ : أى اضطربوا.

﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ : المرض هنا هو النفاق كما فى الآية (١٠) من سورة البقرة صفحة ٤، ففعلته من عطف الصفة على الموصوف كما تقدم فى الآية (٤٨) من سورة الأنبياء، صفحة ٤٢٥. ﴿غرورا﴾ : باطلا يفر ضعيف العقل. انظر الآية (١١٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨١.

(١) أولياكم	(٢) إيتاكم	(٣) النبيين
(٤) ميثاقهم	(٥) إبراهيم	(٦) ميثاق
(٧) نيسال	(٨) الصادقين	(٩) للكافرين
(١٠) آمنوا	(١١) الأَبصار	(١٢) الماهضون

تَقَعَلُوا إِنَّ أَوْلِيَاءَكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْجُلاً وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ وَأَنْتُمْ أَوْفَى وَأُولُوا عِلْمٍ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَرْشٌ عَظِيمٌ يَبْسُطُ الْعَصَائِدَ عَنْ مَضْمُونِهَا وَأَعَدَّ لِكُلِّ فِرْقَةٍ غَذَاءً أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَ زُكْرُومٌ فَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ زُكْرُومًا وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَوُضِعَ الْكُلُّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَهُ الْظُفْرُوتَ هَكَذَا يُجِيبُ الْمُؤْمِنُونَ وَزُكْرُومًا زَاغَتْ عَيْنُهَا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ

في هذا الوقت اختبر الله سبحانه المؤمنين وأصطبروا أصطبرنا شديدا حين يقول المنافقون وهم الذين في قلوبهم مرض، المنافقون ما وعدنا الله ورسوله بالانصر إلا نغتربا بنا وإلا فمأدا أصبحنا محاصرين في هذا المكان الضيق حتى كدنا نموت جوعا. وحين قالت طائفة من المنافقين الخ.

المفردات : . مؤثرب : هو الاسم
الجاهلي لمدينة رسول الله ﷺ . وقد كرمه
صلوات الله وسلامه عليه وسماها طيبة .

ولا مقام : لا إقامة.

وغيره من دخولها **﴿١﴾** أي دخل تلك البيوت عليهم جيش العدو .

﴿أَقْعَارُهَا﴾ : أي جوانبها. ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ : الخراء بالفِتْنَةِ هنا إعلان الكفر ومحرقة المسلمين.
﴿وَمَا تَلْبِثُوا بِهَا﴾ : التلبث التوقف، أي ما توقفوا في إعطائها إلا زمنا يسيرا. ﴿وَالْمَعْرُوقِينَ﴾ :
المحبطين لهم عن القتال مع الرسول ﴿وَلَهُمْ إِيْنَا﴾ : تعالوا واقبلوا علينا. ﴿وَالْبَاسُ﴾ : شدة
العرب. ﴿وَأَشْعَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ : بخلاء، عليكم، بالمساعدة.

المعنى : . . وإذا قالت جماعة من المنافقين الذين خرجوا مع المسلمين لملاقاة الأحزاب

عند الخندق : بأهل المدينة لا ينبغي لكم الإقامة هنا حول الخندق فأرجعوا إلى منازلكم.

$$(3) \text{ } \gamma_{\text{max}}(3)$$

(۵) مَلَايَا

$$\mathbf{I}_{\text{gluon}}^{\text{gluon}}(\gamma)$$

(۱) بیست و نوزده

$$(\gamma)$$

(٦) القائلين

(c) \mathcal{M}^{c}_1

عَظِيمَةٌ فِيهِمْ يَخَافُ كَلَّابٌ لَّزِيمٌ ﴿١٠٠﴾ لَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَفًا فَوْقَ الْمَدِينَةِ ﴿١٠١﴾ وَلَا يَدْرِي أَلِغَنِي اللَّهُ الْبَصَرَ أَمْ أَدْرَأَهُ ﴿١٠٢﴾ فَلْيُحَرِّصْ عَلَيْكَ إِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ رَءِيسِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ذُو الْأَرْبَعَةِ أَعْيُنَ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ لَوْ رَدُّوا عَنْكَ أَلْفَ أَلْفَ مَوْجِدَةٍ لَأَخَذَتْهُمُ الرَّسُولُ وَآلُكَ فَتَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ وَأَيُّكُمْ مُنْجِيٌّ وَأَيُّكُمْ كَاذِبٌ ﴿١٠٥﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ الْحُدُودُ الْمَعْلُومَةُ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ الْأَخْفَى ﴿١٠٧﴾ إِنَّ إِلَٰهَهُمْ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهُ الْوَالِدِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاذْكُرُوا أَهْلَ الْقُرَىٰ الَّتِي نَزَّلْنَا بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ مَدِينَةٍ ﴿١٠٩﴾ وَلِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْآيَاتِ ﴿١١٠﴾ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١١١﴾

[illegible]

فأرسلنا إليهم ريعا وجنودا لم يترؤا وكأَنَّ اللَّهَ بما تعملون من حفر الخندق والمسير على المشاق بصيرا ، فانتدبكم من شردكم ، ثم بين كيف جاءت جنود هذه الأحزاب فقتلوا هزاجا وكم أنعم عليكم وقت أن حاصرتكم هذه الجنود من كل جهة ، وحين كادت بجاركم الخ : أي أنه أنعم عليكم وقت أن حاصرتكم هذه الجنود من كل جهة ، وحين كادت أبصاركم لا ترى من شدة الغم ، واضطربت قلوبكم من الخوف ، واختلفت ظنونكم أيها الذين آمنتم الإيمان في صدق وعد الله لكم بالنصر ، فالؤمن القوي ثابت وثق ، والضعيف خائف ،

المفردات : . «تدور أعينهم» : أى شمالا ويمينا من شدة الخوف. «يفشى عليه» : يغمى عليه. «سلقوكم» : يقال سلقه بالكلام إذا آذاه به. «حداد» : جمع حديد. والحديد هو القوى من كل شىء. انظر الآية (٢٢) من سورة ق صفحة ٦٩٠. ولسان حديد أى صارم كالسيف فى إيلام المخطاطب. «أحيط» : أبطل.

«يودوا» : يتسمنوا. «لو» : حرف يدل على أن ما بعدها مؤول بمصدر. أى تصنوا إقامتهم فى البادية.

«بادون» : جمع باد وهو ساكن البادية بعيدا عن المدينة. انظر الآية (٢٥) من سورة الحج

صفحتى ٤٣٦، ٤٣٧.

«فى الأعراب» : هم سكان البادية.

«أسوة» : أى قدوة.

«فدنى نعيه» : أصل النعي هو النذر الذى يلزمه الإنسان. وقضاؤه تأديته والفرار منه.

ثم استعمل قضاء النعي فى الموت كأنه نذر لازم فى عتق كل حى.

المعنى : . فإذا جاء الخوف من العدو، وخيف على هلاك أهل المدينة جميعا، رأيت أنها

النبى هؤلاء المنافقين ينظرون إليك مستجدين بك، والحال أن أعينهم مضطربة من شدة الخوف، كما ينظر الشخص المغمى عليه من شدة سكرات الموت، فإذا ذهب الخوف بانتصار

- | | | | |
|------------|------------|------------|------------|
| (١) أعانهم | (٢) يستأون | (٣) أنابكم | (٤) قاتلوا |
| (٥) الآخر | (٦) رأى | (٧) يبعثنا | (٨) عاهدوا |

وفريق من المنافقين منهم يستأذن النبى ﷺ فى الرجوع إلى المدينة متعالمين بأن بيوتهم معرضة غير حصينة يخشى عليها. فكذبهم سبحانه بقوله «وماهى بعورة» أى ماهى معرضة لشىء.

ثم بين السبب الحقيقى فقال «إن يريدون» إلخ: أى ما يريدون بهذا الاستئذان إلا الفرار من مساعدة المسلمين. ثم فضحهم أكثر فقال «ولو دخلت» إلخ : أى لو دخل جيش تلك البيوت من جميع جهاتها ثم طلب منهم الكفر ومقاتلة المسلمين لأجابوا طلبه وما توقعوا إلا زمنا يسيرا مقدار ما يستعدون، وما ذلك إلا لتمكن النفاق من قلوبهم. وشدة كراهتهم للمسلمين. ثم ذكر لهم مخازيهم يوم أحد فقال «ولقد كانوا» إلخ : أى ولقد كان هؤلاء المستأذنون عندما جبنوا يوم أحد كما تقدم فى شرح سورة آل عمران صفحة ٨٣ عاهدوا الله تعالى على أن لا يفرؤا بعد ذلك، وكان عهد الله مسئولاً من صاحبه أن يوفى به، ولكن لم يوفوا. قل لهم أيها النبى لن ينفعكم من الموت على فراشكم أو القتل بالسيف مثلاً فراركم منه يوم الأحزاب مهما فررتم. لأنه لابد لكل نفس أن تموت فى أهلها المحدد لها. انظر الآية (٧٨) من سورة النساء صفحة ١١٤، وإذا فرضنا المستحيل ونفعكم فراركم فى تأخير الموت أو القتل فإن الله لا يمتعكم بالحياة إلا زمنا قليلا هو مقدار أطول عمر عاشه إنسان. وهذا ليس شيئا بالنسبة لعمر الدنيا أو لحياة الناس فى الآخرة. قل أيها النبى لهؤلاء المنافقين الجبناء. لا أحد يمتعكم مما يريد الله لكم من شر أو خير. أى إذا أراد بكم شرا فلا يستطيع أحد دفعه، وإذا أراد خيرا فلا يستطيع أحد منعه. وإذا كان الأمر كذلك فلا يجد هؤلاء المنافقون غير الله ولها، أى مواليا وصديقا يقدم النافع، ولا نصيرا يدفع عنهم الأذى، ثم حذر المنافقين فقال «قد يعلم الله الموفقين منكم» وهم القائلون لإخوانهم فى النفاق الموجودين مع عسكر المسلمين عند الخندق : تعالوا إلينا فى المدينة واتركوا محمداً ولا تساعدوه، وهم الذين لا يحضرون شدة الحرب إلا زمنا قليلا بقدر ما يراهم المخلصون، فإذا غفلوا عنهم تسلوا إلى بيوتهم. ثم بين لهم عيوبها هى البخل وشدة الخوف والفخر الكاذب والتبجح فى طلب المغنم فقال (أشحة) أى بخلاء عليكم بالمساعدة بالنفس والمال، فإذا حصل للمسلمين خوف من هجوم العدو واشتد القتال رأيتهم أيها النبى....

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَكُونُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْحُفُوفُ سَلَقُوا بِاللَّيْلِ حُدُودَهُمْ عَلَى الْخَبَرِ وَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ تَنْتَهِى عَنْهُمْ أَنْ يُعْلِمُوهُمْ وَأَنْتَ كُنْتَ تَقُولُ لَوْ أَنَّكَ عَلَى اللَّهِ يَدْسِيرًا لَنَبْحَثَنَّ الْأَعْرَابُ لَنَبْحَثَنَّ لَيْسَ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ كَرَّ اللَّهُ كِبِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُمْ يُخْلَفُونَ وَلَا تَزِدْهُمْ إِلَّا عَذَابًا وَسَيُؤْمِنُنَّ مِنَ الْفُؤُورِينَ رِجَالٌ مَدَّوْا مَآعِدَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ قِيمٌ مِنْ شَيْءٍ نَجِدَ وَهُمْ مِنْ يُنْظَرُ وَمَا بَدَلُوا

من سورة العنكبوت صفحات: ٥٣، ٥٢١
وصدق الله ورسوله في الوعد بال نصر، وما زادهم ذلك الخطب والبلاء إلا إيماناً بالله وتسلماً لقضائه. ثم وصف سبحانه بعض المؤمنين الكاملين فقال ﴿من المؤمنين رجال﴾ الخ؛ أي من المؤمنين الصادقين رجال وفروا ما عاهدوا الله عليه من الصبر في البأساء والضراء، فمعهم مَنْ استشهد يوم بدر ونجم أحد وغيرهما، وفي مقدمتهم حمزة، ومنهم مَنْ ينتظر ذلك ليُنال شرف الشهادة وما بدلوا في عهدهم شيئاً ولو قليلاً. المفردات :- ﴿والذين ظاهروهم﴾ : أعانوهم،

(مسورة الأحزاب)

تَبْدِيلًا ۝ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلَّذِينَ اصْلَحُوا مِنْهُمْ مِغْفِرًا وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ مَعَهُ أَوْثَانَ عِلْمِهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَانِهِمْ لَرَبِّهِمْ أَعْرَابًا ۝ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا مُهِيمًا ۝ وَاتَّخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَالِحِيهِمْ ذُرِّيَةً فَفِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبُ ۝ وَلَمَّا تَفَقَّهْتُمْ لَأَخَذْتُمْ

انظر الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٦، والمراد بهم يهود بنى قريظة كما تقدم أول القصص. ﴿صياصياهم﴾: جمع صيصية يكسر فسكون ففتح، وهي كل ما يحمصن به صاحبه. ﴿وذاق به عن نفسه﴾: كثرن الثور ومخلب الصقر والحصن. ﴿وارضا لم تطاؤها﴾: أى لم تدخلوها إلى الآن، والمراد بها خيبر وما بعدها، وقد استولوا على خيبر سنة سبع هجرية.

﴿أَمْتَعْنِ﴾ : أَعْطَيْنِ مَتْعَةً الطَّلَاق.

﴿أَسْرَحَكَ﴾ : أي أطلقك. ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ : هو ما لا إضرار فيه ولا مخاصمة معه.

المعنى : وما بدل المؤمنون الصادقون في العهد شيئاً كما بدل المنافقون حصل من

المنافيقين ما حصل، ومن الصادقين ما حصل، لتكون العاقبة أن الله يجزي الصادقين بسبب صدقهم أحسن الجزاء، وبغضب المنافقين شر العذاب إن شاء، أو يقرب عليهم. وإنما قل إن

(١١) الصادقين	(٢) المفلّحين	(٣) عافروهم	(٤) الكلاب	(٥) ديارهم	(١) أمراءهم
(٧) لأزواجك	(٨) الصّالة	(٩) الأخرى	(١٠) المعصنات	(١١) يانساء	

سورة الأحزاب

المسلمين وجمعت الغنائم، سلبوا المستنهم عليكم عند قسمة الغنائم، يقولون لابد أن تأخذ منكم فاستم بأحق منا، فقد قاتلنا أكثر منكم، وهم في كل هذا كاذبون، أى فهم عند القسمة أجبن قوم، وعند قسمة القسمة أشجع قوم. ثم بين سبب تسليط المستنهم بقوله: «وأشعة عليكم» الخ: أى هم بخلاء حريصون على الغنائم التى هى خير اعطاء الله تعالى للمسلمين المجاهدين. وبعدما وصفهم بهذه الصفات الذميمة الثلاثة أراد أن يبين السبب فى وجودها فيهم، وهو عدم ثقتهم بالله تعالى، فقال «وأولئك لم يؤمنوا» بالله ورسوله ويعلموا أن الأمر كله بيده. فأبطل الله تعالى كل أعمالهم التى تظاهروا بها معكم، واذنب عليهم أجورها لأن شرط ثقتها هو الإيمان. وكان ذلك الإحباط سهلاً على الله لا يبالى به لأنهم فعلوا ما يوجبونه ثم وضح مقدار الجبن والخوف المستطلم عليهم فقال «ويحسبون» الخ: أى أنهم من شدة جنونهم لا يزالون يظنون أن الأحزاب من قريش وعصفان واليهود مازالوا محاصرين المدينة مع أنهم انصرفوا. وإن بات الأحزاب مرة أخرى المدينة يتعنوا أن يكونوا مقبضين فى البداية مع الأحزاب بعيدين عن المدينة حال كونهم يسألون كل قادم من المدينة عن أخباركم وعما جرى لكم، منتظرين أن يسروا بخذلانكم، ولو كانوا معكم عند الخندق ولم يرجعوا إلى المدينة وفرض وقوع حرب بالسيف، واختلطت فيها الصفوف، ما قاتلوا إلا قتلاً ضئيلاً لمجرد الرياء وخوفاً من العار. ثم أبرز عدم إخلاصهم بصورة أخرى هى أن المؤمن الصحيح لابد أن يقتدى برسوله فى الصبر والثبات فقال «ولقد كان لكم» الخ: أى كان عندكم فرصة الاقتداء بأعمال رسول الله ﷺ فى الثبات فى الحروب ومقاومة الشدائد، وهذه قدوة حسنة ينتفع بها من كان يرجو رحمة الله تعالى وفيهم اليوم الآخر. ويذكر الله تعالى كثيراً فى الخوف والرجاء، والشدّة والرخاء، حتى يستعين بذلك على ملازمة الطاعة. وبعد ما فرغ سبحانه من بيان فضائح المنافقين شرع فى بيان حال المؤمنين ليظهر الفرق بينهما حين لقاء الأحزاب فقال «ولما رأى المؤمنون» الخ: أى ولما أبصر المؤمنون الصادقون كثرة الأحزاب قالوا هذا الذى نراه من كثرة العدو هو الاختيار الذى وعدنا الله بأنه سيلاقينا حتى يتبين الصادق من الكاذب فينصر الأول ويعذل الثانى، انظر الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحـة ٤٢، والآيات (٢٠٧، ٢٠٨) من سورة البقرة صفحـة ٤٢.

شاء مع أن المنافق ألعن أنواغ الكافرين، وسيكون في الدرك الأسفل من النار كما في الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٧٨، لبيان أنه سبحانه لا يجب عليه شيء من تعذيب أو إنعام، وأن مشيئته سبحانه مطلقة لا حد لها، إلا أنه سبحانه هو نفسه الذي وضع نظام الثواب والعقاب حسب حكمته، فكأنه يقول: إنه سبحانه بحسب مشيئته التي لا سلطان لأحد عليها إن شاء عذب المنافق، وإن شاء لم يعذبه، لكنه شاء أن نفسه تعذيبه، لأنه سبحانه حكيم لا يستوى عنده المؤمن والفاقد، كما تقدم في الآية (١٨) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، وقال بعض العلماء: المعنى يعذب المنافقين في الدنيا إن شاء، وإن شاء يعفيهم من عذاب الدنيا ليكون عذابهم في الآخرة أشد، ثم نههم للتوبة قبل أن يهوتوا فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لكل من رجع إليه تائبًا. ورد الله الذين كفروا من طوائف الأحزاب بغيظهم لم ينالوا شيئًا مما كانوا يظنونونه خيرًا لهم وهو النصر على المؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله تعالى قويا على إيجاد ما يريد، عزيزا لا يظلمه أحد. روى البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول (لا إله إلا الله، وحده، صمد، عده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده) وأنزل سبحانه يهود بنى قريظة الذين كانوا أعانوا المشركين من حصونهم، وملأهم خوفا، لم يستطيعوا مقاومته، تقتلون فريقا منهم أيها المؤمنون، وهم الذين كادوا في الحرب مع المشركين، وتأسرون الباقين، وأورثكم أرضهم الزراعيية، وديارهم وأموالهم من تقدر وماشية وأثاث، وأورثكم أرضا لم تكونوا دخلتموها وقتئذ، وكان الله على كل شيء قديرا. ولما رأى أزواجه ﷺ كثرة هذه الفنائم اجتمعن حوله ﷺ وقالن: يا رسول الله هذه نساء كسرى وقيصر في الحلى والحلل من الحرير والإيما والخدم، ونحن على ما نرى من الفاقة والضيق، فتألم قلبه الشريف أشد الألم من ميلهن إلى زخارف الدنيا التي تشغلن عن الاستعداد للآخرة، فانزل الله عز وجل قوله: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتكن، أي أعطيك من النفقة ما يعطى للمطلقة، وأطلقك طلاقا لا ضرر معه من خصومة أو نقص حق. وإن كنتن تردن رضا الله ورسوله وتعليم الدار الآخرة فتردن بالخير كله، لأن الله تعالى أعد للمحسنات بتقديم رضا الله أجرا عظيما هو نعيم الجنة الخالد. وقل لهن أيضا

يُحْجِزُ مَنِّيَّةً يَضْمَعُ كَمَا أَهْلُ الْهَدَابِ مَنِّيَّةً وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَيَرًا * وَمَنْ يَنْتَ مَكْنُيَّ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ وَمَنْ يَصْلِحْ فَلَهُ جَزَاءُ عَمَلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلَّهِ
رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٥٦﴾ يَسَاءَ أَتَى لَسَنَ كَاكِدٍ مِّنَ النَّسَاءِ
إِنْ أَتَيْتُ فَلَا تَحْضُنْ بِأَقْرَبَ قَطْعَ الدِّيِّ فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ وَقُلْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥٧﴾ وَتَرَى فِي يَدَيْكَ وَلَا
تَبْرَحُ تَرَجَ الْجَوْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَتَأْتِينَ
الزَّكَاةَ وَالْفَقْرَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ يُكْرَهُ يَدُ اللَّهِ لِيُجِبَ
عَنْكَ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كَرَّ تَطْهِيرًا ﴿٥٨﴾
وَأَذْكُرَنَّ مَا بُشِيَ فِي يَدَيْكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحَقِّ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَبِيبًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ إِنَّا أَلْسَيْنَ وَالْمُسْلِمِينَ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ

﴿قرن﴾ : أصله اقرن، أي ائتبن في البيوت. ﴿لاتبرجن﴾ : أي لا تطهرن ما يجب إخفاؤه من محاسن الجسم، انظر الآية (٦٠) من سورة النور صفحة ٤٦٨.
﴿الرجس﴾ : المراد به هنا الذنب المندس. ﴿أهل البيت﴾ : أصله يا أهل البيت.
﴿والحكمة﴾ : هي القرآن فهو من عطف الصفة على الموصوف كما في الآية (٤٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥.

المعنى : يا نساء النبي من يفعل منك كبيرة فإظهار قبحها تعذب مثل عذاب غيرها مرتين، لأن جرم الشخص صاحب المنزل العظيمة له أثر كبير في الضرر، وكان تشديد

(١) بياضة	(٢) بضائع	(٣) صالحا	(٤) يا نساء	(٥) الجاهلية
(٦) الصلاة	(٧) وآتين	(٨) الزكاة	(٩) آيات	(١٠) المسلمات
(١١) المؤمنات	(١٢) القانتين	(١٣) القانتات	(١٤) الصادقين	

﴿يا نساء النبي من يأت منكن بياضة﴾ : إلخ: أي بكبرة، وخطابهن بعنوان (نساء النبي) فيه تشريف لهن وحث على الامتثال.
المفردات : «مبينة» : واضحة، انظر شرح الآية (٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.
٥٠٦. «بضائع لها العذاب ضعفين» : ضعف الشيء مثله، والمراد تعذب مثل عذاب غيرها مرتين. «يقنت» : يداوم على الخضوع التام لربه، انظر الآية (٩) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧.
﴿مرض﴾ : هو النفاق وحب الفجور.

﴿قولا معروفا﴾ : معتدلا لا تكسر فيه

﴿قرن﴾ : أصله اقرن، أي ائتبن في البيوت. ﴿لاتبرجن﴾ : أي لا تطهرن ما يجب إخفاؤه من محاسن الجسم، انظر الآية (٦٠) من سورة النور صفحة ٤٦٨.

﴿الرجس﴾ : المراد به هنا الذنب المندس. ﴿أهل البيت﴾ : أصله يا أهل البيت.

﴿والحكمة﴾ : هي القرآن فهو من عطف الصفة على الموصوف كما في الآية (٤٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥.

المعنى : يا نساء النبي من يفعل منك كبيرة فإظهار قبحها تعذب مثل عذاب غيرها مرتين، لأن جرم الشخص صاحب المنزل العظيمة له أثر كبير في الضرر، وكان تشديد

الإرشادات فقال وإنما يريد الله الخ : أي إنما أراد سبحانه أمرين وتبين أن لينه كل نقص عنكم يا أهل بيت النبوة ويظهر لكم من قدره الآثار تطهيراً عظيماً لا تتخاطله شبهة.

والمراد بالبيت بيت سكرته عليه السلام لا بيت الله راية والنسب، فالمراد بأهله تساوؤه المظاهرات للقرائن الدالة على ذلك سابق الكلام ولا حاجة. قال ذلك ابن عباس وعمره بن الزبير وعكرمة وغيرهم وجاء بعدهم والمذكور في حديثكم و هو بطونكم ومراماة للفظ أهل، والعرب تجعل ضميره مذكراً، انظر جملته، سبحانه امرأة زوج إبراهيم عليه السلام في الآية (٧٢) من سورة هود صفحة ٢٩٥.

وانما أقر البيت مع أن لكل واحدة بيتاً لأنها جميعاً بالنسبة له عليه السلام بيت واحد، فهو واحد بالنسبة له عليه السلام وتعتمد بالنسبة لكل واحدة، هؤلاء هم أهل البيت، أما الله عليه السلام الذين تحرم عليهم الزكاة فهم مؤمنون به، وليس هم، وقال الشافعي : وبني الخطاب، وتذكرون دائماً ما يقلى في يوركن من الخطاب الجاهل ويرون كونه الله الله على صدق النبوة، وكونه حكمة مشتملة على فنون الماد والذات، ويرون ما تعرفون قدر رحمة الله عليكم حيث جعلكم في بيت النبوة، ومهبط الرحمة، وهذا يؤيد به ما يورد على خلاف الحالة.

إن الله كان لمليها وكان حيث جعلكم في بيت النبوة فممن آياته، خبيراً يكن إذ اختاركن أزواجاً لرسوله. ثم أراد من سائر آياته أن يبين الأوصاف التي يستحق بها عباده مشرقته ورضوانه، سواء أكانوا من أزواجه عليه السلام أو من غيره من ماله فإن المسلمين والمسلمات الخ:

أي أن المؤمنين لا يحكم الله عليهم، في القول والعمل والمعاداة، والمصدقين بقاوتهم لكل ما أخبر الله عز وجل به، ولا والله لا يردوا إلى الدنيا إلا من آمنوا وماتوا على الطاعات في طهانية والمداويع والخصائص في الآثقال والأعمال، وذلك علامة الإيمان، كما أن الكذب علامة النفاق.

المفردات : : خالدين، ديار، الاختيار، أي الآية (٧٨) من سورة القصص، صفحة ٥١٦.
والذي أتم الله ما وعده : الآية ١١٠، الأسماء وهو قوله: من جازة.

عنا بكن سهلاً على الله لا يمنع منه كونه في بيت النبوة ولا شرفكن، فليس الله سبحانه كملوك الدنيا يمن عليه عقاب، الاشراف، بل الجميع أمام عدله سواء، وتظهر ذلك أن من تقنت منكم لله ورسوله وتعمل صالحاً توفىها أجرها مرتين؛ مرة على المال، ومرة على رضاها بالقناعة، وترجيحها رضا الله ورسوله، على رضا نفسها برفقة الدنيا. وإذا كان أجر الصالحة من غير من يضاعف إلى عشرة فما جهرها منون عليه السلام وأما ما في الجنة فوق هذا الأجر رزقاً حسناً لا يعلم مقداره إلا الله كما في الآية (١٧) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦. يا نساء النبي ليست كل واحدة منكم كواحدة من آحاد نساء الناس الصالحات، بل منزلكن أرفع، وثوابكن عند الله أعظم، بشرط أن تداومن على صلاحة أعلى منازل التقوى، وهذا يرجع إلى تكريم رسول الله والبعد بالصالح الناس به عن كل شبهة؛ وإذا قال بعد ذلك بياناً لبعض التقوى، فلا تخضعن بالقول في أي إذا خاطبن رجلاً فلا يكن في همتكن مجموعة الآثمة وطروقتها، ولكن قولاً عادياً معتدلاً. ويعد ما علمهن المعروف من الله ولن شئ في تعليمهن الحسن من الفضل، ففقال فوقرن في بيوتكن في أي إيمان، الأمثل في تعليمكن المكث في البيوت، لأن ملاحة مصالحتها نصف المعيشة. وهذا الحكم ثابت لجميع النساء، بدليل قوله عليه السلام للنساء عندما قلن له : يا رسول الله ذهب الرجال بفضلهم، في سبيل الله قول لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين؟ فقال عليه السلام (من قدمت منكن في بيتها ترضى شؤون زوجها وولدها فلها أجر المجاهدين) هذا وأجاز الشرح الخروج للمع، وإزالة الوالدين والجدات المرفى المجام ونحو ذلك، بشرط مبنية في محلها. ولا تخرجن كثير من نساء المجاهلة الأولى التي كانت قبل الإسلام إذ كانت تقمل ما نعت منه الآية (٢١) من سورة النور، صفحة ٤٦١، والآية (١٠) من نفس السورة صفحة ٤٧٨؛ فقد كانت المرأة لا ترضى نفسها في تقصير نفسها في نظير غير زوجها، ووراء ذلك متبصرة في مشيتها منزلة معطوق، رغبة في تحصيل نفسها في نظير غير زوجها، ووراء ذلك ما وراءه. والرجل الذي يقبل أن تقمل له رآته ذلك، في رآته البرية، ثم أورشدهن إلى ما يساعدهن على التقوى فقال سبحانه فوقرن الصلوات وأقرن الزكاة، الآية روضة والندوة إذا كان عندكن مال، وحافظن على طاعة الله ورؤيته، ثم بين الحكمة في هذه

﴿فلولا﴾ : مضوا. ﴿وقدرا مقدورا﴾ :
القدر هو الإرادة الأزلية، ومقدورا تأكيد كما
في الآية (٤) من سورة آل عمران صفحتي
١٤، ١٥، والمراد حكما مقطوعا به. ﴿ولكن
رسول الله﴾ : استمدراك بعد نفي الأوبة
الحقيقية بالذات الأوبة المجازية التي هي من
شأن كل رسول، انظر شرح الآية (٧٨) من
سورة هود صفحتي ٢٩٥، ٢٩٦.

﴿خاتم النبيين﴾ : أصل الخاتم يفتح الخاء
الآلة التي يختم بها، والمراد آخرهم الذي به
ختموا. ﴿فكرة وأصيل﴾ : أول النهار وآخره.
﴿فيملى عليكم﴾ : الصلاة هنا مفادها الحنو
والعطف، وهي من الله تعالى الرحمة، ومن

الملاكمة الدعاء للمؤمنين بالمعفرة والنعيم واليعد عن كل سيئ، انظر الآية (٧) وما بعدها من
سورة غافر صفحة ١١٨. (شاهدا) : علي من بعث إليهم، انظر الآية (٤١) من سورة النساء
صفحة ١٠٧. (مبشرا) : من صدقك بالجنة. (نذيرا) : أي منذرا من كذبك بالعذاب. (بإذنه) :
المراد بتيسيره وتسهيله (سراجا) : المراد بالسراج هنا الشمس كما في الآية (١٦) من سورة
نوح صفحتي ٧٦٩، ٧٧٠ أي أن الرسول يشبه الشمس في طرد ظلمة الكفر والضلال، وعليه
حياة القلوب بالإيمان بعد موتها بالكفر.

المنى :- وكان أمر الله لا يد نافذا. ثم أبطل سبحانه اقتراء المنافقين بأسلوب آخر فقال
﴿وما كان على النبي﴾ : الخ : أي ليس على النبي حرج في عمل ما أحل الله له من كل شيء،
ومنه تزوجه امرأة متبناه بعد طلاقها، ولم يكن رسولنا محمدا ﷺ هو الوحيد في ذلك من بين

الله تفعلا ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَمَا يُؤْمِرُ
اللهُ بِهِ مِنْهُ﴾ الله في الذين علما من قبل وكان أمر الله
قدرا مقدورا ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ وتلقت الله وتكونهم
ولا يجنبون أحدًا إلا الله ﴿وَكُلٌّ إِلَى اللَّهِ حَسِيبًا﴾
مَا كَانَ عَمْدًا إِتِّفَاقًا ﴿رَبِّكُمْ﴾ ولكن رسول الله
وكان النبيين وكان الله يكل كلمة عليهما ﴿بَيْنَهُمَا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية (١٦) ﴿وَكُلٌّ إِلَى اللَّهِ حَسِيبًا﴾
ولم يلا ﴿مُؤَدَّى﴾ يملئ قلبكم وتلكم ليخرجكم
مِنَ الْعَالَمِينَ إِلَى الْآخِرَةِ ﴿وَكُلٌّ إِلَى اللَّهِ حَسِيبًا﴾
يخرجهم يوم يقوم السور وأعد لهم أجرا ﴿وَمَا كُنَّا
بِإِلَهِ إِلَّا أَنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَيْخًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَرْجُو مُبَارَاةً ﴿وَرَبِّهِ الْكَرِيمِ﴾

(١) أمرا	(٢) النبيين	(٣) رسالات
(١) سلام	(٥) الطلقات	(٤) ملاكته
(٨) شاهدا	(٦) أرسلناك	(٧) أرسلناك

الأحق بالغشبية في كل شيء. فلما قضى زيد منها حاجته، وأصبح لا يريد لها طلقها، وانقضت
عقدتها، زوجها لها، لتبطل تعرف المؤمنين من ذلك حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجا من أن
يتزوجوا من كن زوجات أديانهم، وكان ما أمر الله بفعله حاصلا. وهذه هي الزوجة الوحيدة
التي تولى سبحانه تزويجها لرسوله بأمره بدون وساطة عقد، ولا وكالة ولا صدق، وهي إحدى
خصوصياته ﷺ، ولهذا كانت رضى الله عنها تقتصر دائما على سائر أمهات المؤمنين قاتلة:
أنتن زوجكن أهلكن، أما أنا فزوجني رضى من فوق سبع سموات، وكان السقي في زواجي بين
الله ورسوله جبريل عليه السلام... وقد أخرج ابن إسحاق هذه القصة من طريق السدي
فساقها سياقاً واضحا حسنا، ونظمه: بلننا أن هذه الآية نزلت في زيب بنت جعش وكانت
أما أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وبعد ما زوجها رسول الله ﷺ زيدا بعد
امتناع منها أعلم الله رسوله ﷺ أنها ستكون من أزواجه، وكان يحصل بين زيد وزيب ما
يكون بين الناس، فأمر ﷺ أن يمسك عليه زوجته ودين الله، وكان يخشى الناس أن يمسوا عليه
ويقولوا تزوج امرأة ابنة لأنه كان يتباه، قال الله قد أخبرتك أني مزوجها لك وتخفى في نفسك
ما الله مجيبه، وقد أطلب الترمذي الحكيم في تفسيره هذه الرواية وقال إنها من جواهر العلم
المكثون. ثم قال الحافظ بن حجر وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي خاتم والطبري ونقلها
كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها والذي أوردته هنا هو المعتقد.

ثم قال الحافظ: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ وسلم هو إخبار الله سبحانه إياه
أنها ستصير زوجته والذي كان يعمل على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنة وأراد
الله تعالى إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ في الإبطال منه.
والله أعلم.

المفردات :- ﴿وقميا فرض الله له﴾ : المراد فيما أباح له الانتفاع به وجعله نصيبا له، ومن
هذا المعنى ﴿ورمى السرايت أي أفضيتها التي يستحقها كل وارث.
﴿فوسية الله﴾ : أمهله سن الله ذلك سنة، أي طريقته التي عامل بها الأولين.

الرسول، بل جعل الله تعالى ذلك سنة في الرسل الذين مضوا قبل محمد؛ فلم يُخرج عليهم استعمال حلال، ووسع عليهم حتى في باب التمتع بالنساء، وقد كان لأتباعه بنى إسرائيل خصوصاً داود وسليمان عليهما السلام من الزوجات عدد كثير لا يُدانيه ما أُجيز لمحمد صلوات الله تعالى عليه، وكان أمر الله الذي يقدره حاصلاً لا محالة. ثم وصف الأنبياء الماضين بصفات الكمال فقال: الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه سبحانه وحده ولا يخشون غيره. وفي هذا عتاب له ﷺ: أي فكن مثلهم ولا تبأل بافتراء الكاذبين، فإله كافيك شرهم ومبطل كيدهم، وكفى به سبحانه رقيباً حسيباً، وسيجازي كلا بما يستحق. ثم أبطل منشأ تضليلهم صراحة فقال: ﴿وما كان محمد﴾ إلخ: أي كيف تقولون تزوج محمد امرأة ابنه وما كان محمد في يوم من الأيام أباً حقيقياً لواحد من رجالكم، ولكن كان رسول الله وآخر النبيين بما فيهم الرسل، انظر شرح الآية (٥٢) من سورة الحج صفحة ٤٤١، وهذا تأكيد لكمال نصحه لأمته؛ لأن الرسول الذي يعلم أنه سيأتي بعده رسول ربما لا يبلغ في الشفقة غايتها اتكالاً على مَنْ يأتي بعده، وأيضاً تقييد أن شفقتهم ورحمته ﷺ ثابتة لكل مؤمن إلى قيام الساعة، بخلاف غيره فإنها تنتهي بوجود نبي بعده، وهذه منزلة زافية لم ينلها غيره ﷺ، ولذا قال: ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ فيعلم مَنْ هو الأحق بأن يكون خاتم الأنبياء، ويعلم المصلحة في كل تصرف، كما أنه هو العليم وحده بمن يصلح للرسالة، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٣. ولما كانت رسالة النبي رحمة من الله وفضلاً، رُشد سبحانه إلى طريق شكرها فقال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم، ذكراً كثيراً بقدر طاقتكم؛ لأنه سبحانه هو المنعم عليكم، وسبحوه أي نزهوه عما لا يليق به في كل وقت، خصوصاً طرفي النهار؛ لأنهما وقت شهود ملائكة الليل وملائكة النهار كما في حديث البخاري. وإنما خص التسبيح مع أنه داخل في الذكر؛ لأن المقام يقتضيه؛ لأن الإله الحق لا يبرضى لرسوله إلا كل فضيلة. ثم ذكر سبحانه بعض نعمه التي يستحق عليها الذكر والتسبيح فقال: ﴿هو الذي يصلي﴾ إلخ: أي يعطف عليكم بالرحمة ومنها إرسال محمد لإنقاذكم، وملائكته بالدعاء لكم، ليخرجكم من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعة. لأنه سبحانه دائم الرحمة بالمؤمنين، فسخر الملائكة لمصلحتهم. ثم بين ما سيكون للمؤمنين في الآخرة فقال: ﴿تحيتهم﴾ إلخ: أي أنه؛ التحية التي ستوجه إليهم من الملائكة يوم يلتقون بهم في الجنة هي قولهم سلام عليكم، انظر الآية (٢٤)

[illegible]

وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ.

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيَا
الْخَلْقِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ الدِّينَ الْحَقُّ
بِتَيْسِيرِهِ سَبْحَانَهُ، وَجَعَلْنَاكَ كَالسَّرَاجِ، فَكَمَا
أَنَّهُ يَضْءُ الطَّرِيقَ فَكَذَا تَضْءُ سَبِيلَ الْحَقِّ.

وَجِهَ سَبْحَانَهُ الْخَطَابُ لِنَبِيِّهِ مَبْنِيًّا لَهُ مَنْزِلَتُهُ
وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

مِنْ سُورَةِ الرِّعْدِ صَفْحَةٌ ٣٢٥، وَالْآيَةُ (٧٣)

حَسَنًا هُوَ مَا تَشْتَبِهِي الْأَنْفُسَ وَلَتَذِ الْأَعْيُنَ. ثُمَّ

المفردات :- ﴿دع﴾ : أى اترك ولا تقبال.

﴿نكحتم﴾ : المراد بالنكاح هنا العقد.

﴿تستوفونها﴾: أى تستوفون عند أيامها. ﴿فتمتعوهن﴾: أى أعطوهن متعة تحب الخاط.

سر جو هن سراجا حملا: ای اسمحو لمن بالخروج من: منا: لکه لأنه ليس: اکم عام: ما:

والسراح الجميل: هو المشتغل على الكلام الطيب، وليس معه حق ولا مطالبة بجمال.

جاء من : المراد : مهم من

﴿إِن يَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ : أى مما أعطاك الله من سبب الكفار

﴿وَبَنَاتُ عِمَّاك﴾ الخ: أفرد العم والخال وجمع العمات والخاللات حرثاً على المعروف عند

العرب، تراه كثيرا في أشعارهم مثل :

قالت بنات العم يا سلمى، و (ان بنى عمك فيهم راح). ويظهر أن منشأ ذلك تأثرهم بأن

(٥) المؤمنات	(٤) آمنوا	(٣) اذاهم	(٢) المنافقين	(١) الكافرين
(١٠) خلائك	(٩) عمالك	(٨) آتيت	(٧) اللاتي	(٦) أزواجك
		(١٢) ليمانهم	(١٢) أزواجهم	(١١) اللاتي

الدخول فليس لكم عليهم أن ينتظروا أياما بدون زواج، وإذا كان الأمر كذلك فأعلموهن متعة تجبر خاطرهن، وهي تختلف باختلاف حال الزوج من عسر ويسر، فكل يدفع حسب قدرته، وأظها كسوة كاملة تصلح أن تخرج بها المرأة من بيتها. والراجح أن لكل مطلقة متعة وهي غير مؤخر المداق. وقد سبق تفصيل ذلك في الآية (٢٤١) من سورة البقرة صفحتي ٤٩، ٥٠، وارتكوهن بمال ولا منع حق. ثم شرع سبحانه في سد منفذ آخر من منافذ المنافقين التي معه مطالبة بمال ولا منع حق. إن محمدا استحل لنفسه ما حرمه على أمته. يتسللون منها ليجعلوا عقول البهلاء فيقولون: إن محمدا استحل لنفسه ما حرمه على أمته. وستعلم قبل الفراغ من هذا المبحث عند الآية (٥٦) حكمة كل تصرف من تصرفاته ﷺ في هذا الموضوع؛ فقال سبحانه: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيتن مهرهن كحائشة بنت أبي بكر، وخفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، بفتح فسكون، رضي الله تعالى عنهن، وما ملكت يمينك من أسيرات الحرب، وهو ﷺ، وإن أباح له الله سبحانه معاشرة المملوكه بهجرد الملك لعله لم يفعل ذلك، بل كل من ملكهن من هذا النوع أسلمن واعتقتهن وعقد عليهن ودفع لهن مساقا كجارية بنت الحارث سيد بني المصطلق التي سيأتي الكلام عنها. ثم ذكر سبحانه بعض ما أحله لنبيه ﷺ من النساء بفنوان آخر وإن كن داخلات فيما سبق للتويه بفصلهن ماري غيرهن فقال: فزينات عمك الخ؛ أي وأحلنا لك بنات عمك وبنات عماتك، أي بنات القرشيين والقرشيات، وبنات خالك وبنات خالاتك، المراد بنات بني زهرة ذكورهم وزناهم، ثم وصف هؤلاء القرشيات والزهريات بالوصف الذي فصلهن على غيرهن فقال: فواللاتي هاجرن معك والمراد من اشتركن معك في الهجرة إلى المدينة ولو لم يتفق الزمن.

والمعروف أنه ﷺ دخل بقرشيات ولم يعلم أنه تزوج واحدة من الزهريات. وإذا لاحظت الحكمة من هذا التفصيل وإنه إعلام من الله تعالى بالتوسعة على نبيه في هذا الباب ليقطع أسن المنافقين، تعلم أن المراد بالإحلال مجرد الجواز، وهو لا يستلزم أن يقع حصول كل ما ذكر. ثم وسع سبحانه على رسوله أكثر فقال: فوامرأة مؤمنة إن وهبتك الخ؛ أي أحللنا لك أيها النبي أية امرأة مؤمنة تهب نفسها لك، ولا تغلب مهرها، إن حصل ذلك، فالمراد إعلامه بجل هذا النوع أيضا.

القرابة التي منشؤها الذكر تعتبر من جهة واحدة، ويعتبرون أبناء النساء أباعد عنهم، فهم يتعدون بتعدد آبائهم. فوهبت نفسها للنبي ﷺ: كان الأصل أن يقول وهبت نفسها لك لكنه سبحانه أظهر فيها مقام الإضمار للإشارة إلى أن الواهبة رغبت فيه؛ لأنه بنى الله لا لأنه محمد بن عبدالله.

فويستحكمها ﷻ: تقول العرب تكح واستكح بهمن واحد، كتحج واستحجل، والمراد يتزوجها.

فخالصة لك ﷻ: أي جعلنا هذه الأحكام السابقة من الزيادة على أربع نسوة وقبول هبة المرأة نفسها للرجل خاصة بك، أما غيرك فلا يزيد على أربع، ولا تصح الهبة له الخ. وقد علمنا ما فرضنا عليهم ﷻ جملة توسطت بين الحكم السابق وبين حكمته الآتية في فوكي لا ﷻ الغرض منها بيان أن ما شرعه سبحانه لرسوله وأمثه ناتج عن علم وحكمة.

فخرج ﷻ: تفصيل.

المنعني: ويشر أيها النبي المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا هو نهيم الجارات، وأثبت على ما أنت عليه، ولا تطع الكافرين في عدم التعرض لأهنتهم، ولا المنافقين في تخويفهم لك من اليهود الخ ما سبق أول السورة صفحة ٥٤٨، ويوضح هنا ما سبق في شرح الآية (٨١) من سورة القصص صفحتي ٥١٩، ٥٢٠، ودع أذاهم، أي لا تبال بليدائهم لك بالدس الدنيء والقول الباطل كقولهم تزوج محمد ابنه بسبب تمسكك بالنداهم، واصبر على ما ينالك منهم، وتوكل على الله في كل ما تفعل فإنه يكفيك شرهم، وكفى به موكولا إليه الأمور. ثم شرع سبحانه في سد باب آخر من أبواب فتن المنافقين فقال: فإيها الذين آمنوا إذا تكلمتم الخ؛ وإذا رجعت إلى ما تقدم في شرح صفحة ٥٤٩ علمت مناسبة هذه الآية، وذلك أنه ﷺ كان تزوج ثم طلق قبل الدخول بسبب خارج عن إرادته، فسد باب استقلال المنافقين بين سبحانه وحكم معاملة المؤمنين مطابقا والرسول أولهم للمطامات قبل الدخول، ومنه يعلم أن لا عيب على المسلم في ذلك متى كان مستوفيا شروطه. والمعنى: إذا عقدتم على النساء ثم طلقتم قبل

علمتها، وبعد أخذته ﷺ نفسه بالأفضل، فاسمع ما أكرم الله به زواجه بعد ما اخترن البقاء معه كما في آيتي (٢٨، ٢٩) السابقتين صفحة ٥٥٢، وما شدد به سبحانه عليه ﷺ مقابل ذلك حيث قال: «ولا يحل لك النساء من بعد ﷺ أي من بعد الموجود عندك الآن. وكن عند نزول هذه الآية تسماً، فأصبحن في حقه كأربع في حق غيره، لا يجوز له الزيادة عليهن، بل شدد عليه أكثر من غيره فقال: «ولا أن تبدل» الخ: أي ولا يحل لك أيضاً أن تغير واحدة منهن بأخرى، بأن تطلقها وتزوج من تريد، ولو فرض وأعجبك حسن من ليست عندك، لكن أحل الله تعالى لك بعد الآن ما تملكه يملك من الجوارى فقط، ولم يأخذ من الجوارى بعد هذه الآية إلا مارية القبطية التي أهداها له ملك مصر. وكان الله على كل شيء رقيباً، فحافظوا على أوامره لأنه سبحانه سيحاسبكم عليها. وقبل أن تنتقل من هذا الموضوع يحسن أن تذكر ما يطلع السنة المبشرين بنير الإسلام وأعداء الرسول الأكرم، كما قطع سبحانه السنة المنافقين، فقول: «لعلك علمت مما سبق أن الرسول ﷺ كان في هذا الموضوع مضيقاً عليه أكثر من غيره من أمته: فقد كان الحال قبل تحديد عدد الزوجات بأربع كما في الآية (٣) من سورة النساء صغحتي ٩٧، ٩٨ أن كثيراً من المسلمين كان يجمع في عصمته ما شاء من العدد، كما كان شائعاً في العالم في ذلك العین. ولما جاء التحديد بأربع أمر ﷺ من عنده أكثر أن يطلق ما زاد، ولكن أحل لهم الطلاق حتى من هؤلاء الأربع بشروطه، كما أباح لهم استبدال المرأة بغيرها بشروطه أيضاً. هنا ما أجازته الشرع لكل مسلم إلى يوم القيامة. أما بالنسبة له ﷺ بعد أن خير نسائه واخترته فقد حرم الله عليه غيرهن، كما حرم عليه طلاق واحدة منهن، ولا شك أن هذا تضيق شديد إذا قورن بما أتيح لفرد من أفراد أمته من الزواج متى شاء بمن يشاء، وإنما لم يجز له ﷺ أن يقتصر على أربع ويطلق الباقي كما هو الحال مع غيره، لما في ذلك من الإحراج والتضييق على من يطلقها بعد أن جعلها الله تعالى أمماً للمؤمنين، إكراماً لها، كما تقدم في الآية (١) من هذه السورة صغحتي ٥٤٩، ٥٥٠؛ ولهذا حرم زواجهن بعد فراقه ﷺ كما في الآية (٥٢) الآتية. فلو طلقهن ﷺ بعد ذلك فأنين يذهبن؟ نعم كان يمكن ذلك عند تخييرهن إذا اختارت إحداهن الدنيا وطلقها ﷺ، فإن لها أن تتزوج: لأنها لم تمنع ميرة

يترتب على إغفالها من الجفاء وظن إهمال أو احتقار الداعي. «فإذا طعتمهم»: أي اكتبتم الطعام، «فانتشروا»: أي أنصرفوا. وهذا خطاب لقوم مخصوصين وأمثالهم كما سيأتي بيانهم، ولا لما جاز لأحد أن يدخل بيته ﷺ بلان تغير طعام، وكذا لما جاز المكث بعد الطعام ولو لأمر مهم. «مستأنسين لحديثا»: أي يستأنس بعضكم لأجل سماع حديث زميله فيقبل الاستماع، «ومتاعا»: أي شيئاً ينتفع به.

المعنى: - وأراد سبحانه أن يبين ما وسع به على نبيه من وجه آخر ليقضى على البقية الباقية من دسائس اليهود والمنافقين؛ وبيان ذلك أن الحكم السابق الذي شرعه الله تعالى للناس عامة وهو وجوب التسوية بين الزوجات في كل شيء خصوصاً في المبيت، فأبان سبحانه هنا أنه أباح لرسوله ما منعه على غيره، وأن الأمر متروك لاختياره: يرجى من يشاء من زواجه ويؤخرها عن ليلتها، ويضم إليه من يشاء فيقدمها على غيرها، ثم إذا أبعده واحد منهن مدة فله أن يلغى هذا الإبعاد ويقرها إليه ثانياً؛ لا حرج عليه في شيء من ذلك، ثم بين سبحانه المحكمة في هذا التخيير فقال: «ولذلك» الخ: أي هذا الذي فهم مما تقدم من علمهن بأن لك الخيار، وبأنك إذا عزلت واحدة كان لك أن ترجعها ثانياً؛ هذا أقرب إلى سرور من تقررها، وإلى عدم حزن من ترجعها، لعلها بأنك سترجعها، فيكن جميعاً راضيات بما تمنع منهن، خصوصاً بعد علمهن بأن هذا حكم من الله تعالى، والله سبحانه يعلم ما في قلوبكم من زيادة ميل للبعض بحسب الطبع البشري مما لا قدرة لكم على منعه؛ لأنه سبحانه دائم العلم بأحوال خلقه، حليم لا يؤاخذ على كل هفوة، بل يعفو عن الكثير كما في الآية (٣٠) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢. وإذا علمت مما تقدم أنه ﷺ لم يستعمل كل ما أحله الله تعالى له، فاعلم أنه هنا كذلك، فقد اتفق الرواة على أنه ﷺ كان شديد العرص على العدل بين زوجته وفي كل شيء حتى في كلمة التحية إذا قالها لأحداً من طائف على الجميع بها، وحتى في السفر ما كان يأخذ من يريد، بل كان يقرع بينهم فمن خرجت القرعة لها سافرت معه؛ فهو ﷺ لم يستعمل شيئاً مما أبيع له، ضيقاً لنفسه، وعَملاً بالأفضل، وليكون خير قدوة لأمته في العرص على الأخصين، فضلاً عن الأوجب. وبعد هذه التوسعة التي منحها له ربه للحكم التي

أنها أم المؤمنين... ويحسن بنا أن نتعرض لبعض من ظروف زواجه ﷺ لتعلم منها صورة صحيحة لباقيها، ترفع عنك الشك، وتزجح الشبهة، فنقول : لما بلغ ﷺ من العمر ٢٥ سنة، رغبت فيه السيدة خديجة بنت خويلد، فأرسلت من يعرضها عليه ﷺ، فقبل وتزوجها، وكانت سنها عند ذلك ٤٠ سنة، أي أنها كانت في حكم من تلده، وهذا عكس ما عليه الناس عادة، وعاش معها ٢٨ سنة، وفيها لها لا يرغب في غيرها حتى ماتت رضى الله عنها في سنة الهجرة عن ٦٨ سنة. وكانت سنه ﷺ عند موتها أكثر من ٥٢ سنة، أي أنه قضى معها زهرة شبابه، ولما ماتت حزن عليها حزنا شديدا، طفحت به كتب التاريخ والسير؛ منه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها، قالت : تذكر ﷺ خديجة يوما فاطنب في الثاء عليها حتى أدركتني الغيرة التي تدرك النساء، فقلت : يا رسول ما هذه المعجزة من عجائز قريش التي مازلت تذكرها، وقد أبدلك الله خيرا منها! فتغير وجهه الشريف تغيرا شديدا لم أره إلا عند الشدايد، وقال : لا والله لم يبدلني الله خيرا منها، وإنى لأعرف فضلها، وإنها لخير نساء العالم. قالت عائشة: فأقسمت ألا أتعرض لخديجة بعد ذلك أبدا.

وقالت عائشة أيضا: إنه ﷺ كان إذا دبح شاة يقول: أرسلوا لصدقات خديجة. ويقول : إنى لأحب من كانت تحبه... فخيرنى بريك أيها القارئ هل هناك صورة في الوفاء أروع من هذه الصورة؟

وهل هناك خلق أنبل من هذا الخلق الكريم؟ قاتلكم الله أيها المنافقون، وبيا أذناب المنافقين.

ثم كانت أول امرأة تزوجها بعد موت خديجة في مكة قبل أن يهاجر بقليل هي السيدة سودة بنت زمعة القرشية، وكانت من السابقات إلى الإيمان؛ هاجرت من مكة إلى الحبشة هي وزوجها، وكان ابن عمها، وترك أهلها، فرارا بدينها، ولما توفي زوجها ورجعت من الحبشة وقعت في حرج شديد، إن رجعت لأهلها عذبوها حتى يردوها عن دينها كما كانوا يفعلون بغيرها، فمادّا تصنع عند ذلك أنقذها بكلماتها، فتزوجها قبيل الهجرة، ولما هاجر لحقت به إلى المدينة.

ثم تزوج بعد ذلك بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، وكان أول من آمن بالنبي من الرجال وساعده بنفسه وبماله، ورافقه في الهجرة، وصاحبه في الفار، فكان ذلك مجاملة منه ﷺ لأبى بكر حيث رضى صهرا، ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها.

ثم جاء بعد ذلك دور أكبر أنصاره ﷺ بعد أبى بكر، وهو عمر بن الخطاب، جرح زوج ابنته حفصة في غزوة ومات من ذلك، وبعد انقضاء عدتها عرضها والدها على أبى بكر الصديق ليتزوجها فلم يجبه، فغضب عمر، ولما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ ذهب عمر إلى زوجها عثمان بن عفان وعرض عليه زواج ابنته حفصة فلم يجبه أيضا، فذهب عمر إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه صاحبيه الذين اختارهما لابنته المنكوبة في زوجها، فقال له ﷺ : لا تعزن سيرزقها الله خيرا منها. ففهم عمر قصده ﷺ وسر سرورا عظيما؛ لأنه حصل على أكبر أمنية كان يتمناها، وهى مصاهرة رسول الله. وبهذا سوى ﷺ بينه وبين أبى بكر وزيره الأول.

ثم جاء بعد ذلك دور أم سلمة هند بنت أمية المخزومية، وكانت رضى الله عنها زوجا لأبى سلمة عبدالله بن عبد الأسد من السابقين إلى الإسلام؛ أسلم بعد عشرة أنفس، وكان ابن عمه ﷺ وأخاه من الرضاعة، ولما اشتد أيداء المشركين بمكة لمن يظهر إسلامه، هاجر عبدالله وأم سلمة إلى الحبشة فرارا بدينهما، وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة رجع إليها عبدالله وزوجته، وجرح في إحدى الغزوات، ومات بعد غزوة أحد، وترك زوجته أم سلمة، ومعها أربعة أولاد في بلد غربة ليس لها من يعولها ويعولهم، فأرسل إليها ﷺ من يطلبها له، فقالت : إنى امرأة مسنة وصاحبة أولاد.

فقال ﷺ : أنا أسن منها، والأولاد رزقهم على الله، فقبلت وتزوجها.

ثم تزوج بعدها ﷺ السيدة زينب بنت جحش، وقد علمت كيف كان ذلك وما حكمته.

ولما جاءت سنة ٦ هجرية علم ﷺ أن بنى المصطلق وهى أكبر قبيلة في خزاعة تستعد لمعاربته ﷺ تحت قيادة رئيسها الحارث، غلب ذلك جهز جيشا وخرج إليهم وقاتلهم فهزهم، وأسر المسلمون رجالا ونساء ونزيرة، ولما قسمت الغنائم خرجت بنت كبير القوم وسيدهم وهى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾ إلخ: المعنى: لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال إلا في حال إذنه لكم لتناول الطعام، بشرط ألا تدخلوا قبله وتنتظروا نضجه. ولما كانت بعض النفوس ربما تتأذى من الدخول بعد منعها منه إلا بإذنه مهما أدن لها فيه ثانيًا، أراد سبحانه أن يحذر من ذلك ويبين أنه يجب إجابة الدعوة متى وجهت لها يترتب على عدم إجابتها من التباغض، فقال سبحانه: ولكن إذا دعيتُم فادخلوا، فإذا طعمتُم فانصرفوا، ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضًا، إذ ما ذكر من الدخول بدون إذن والمكث بعد الطعام فوق المعتاد يؤذي النبي لضيق طائرله ومنعه من الاشتغال بما يفنيه، فيستحيى من إخراجكم، ولكن الله تعالى لا يستحي من الجهر بالحق.

قال الرمضشرى: هذا أدب أدب الله به التثلاء. وقالت عائشة رضي الله عنها:

يكفيك من التثلاء أن الله سبحانه لم يحملهم وأمرهم بالانصراف. ولما كان ذكر بيوت النبي ﷺ وسلم يشعر بأن فيها نساء، قال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ إلخ: أي وإذا أراد أحدكم حاجة من إحدى زوجاته ﷺ فلا يكلمها إلا وبينه وبينها ساتر يعجبها عنه.

المفردات: .. ﴿وَلَكُمْ﴾: أي السؤال من وراء حجاب.

﴿وَإِطْعَمْتُمُوهُنَّ﴾: أي أشد طهرا وأبعد عن الخواطر النفسانية؛ لأن نظر العين سبيل الفتنة.

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: أي لا إثم.

﴿وَسَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: المراد بالنساء هنا المسلمات لأنه لا يضاف لأمهات المؤمنين غيرهن أما الكافرات فيجب الاحتجاب عنهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: أي الأرقاء المملوكين لهن.

﴿وَيُحِيلُونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: انظر معنى الصلاة في شرح الآية (٤٢) السابقة من هذه السورة. صفحة ٥٥٦.

جويرية بنت العارث بن ضرار، من نصيب ثابت بن قيس، فقلت من ثابت أن يكاتبها على مال تدفعه له لتكون حرة على الطريقة التي تقدم بيانها في الآية (٣٢) من سورة النور صفحة ٤١٢، فذهبت إلى رسول الله ﷺ تطلب منه المساعدة، ويظهر أنه ﷺ أدرك أن هذه القبيلة العريقة لو عولمت معاملة كريمة في أسراها دخلت في الإسلام طوعا، فعرض على جويرية أن يدفع لسيدها كل ما طلبه منها على أن يسلم ويتزوجها، فقبلت.

ولما ذاع زواجه ﷺ بها سارع المسلمون إلى عتق جميع ما بأيديهم من أسرى، وقالوا لا يحسن بنا أن يكون أصحاب رسول الله أسرى بأيدينا، فانفذت جويرية من الرق نحو مائة بيت وأسلم سببها جميع بني المصطلق، قالت عائشة رضي الله عنها: لا نعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية، من الله عليهم بالحرية والإسلام بسببها.

قال صاحب المنار: إنه ﷺ كان يرضى المصلحة في اختيار زواجه في التشريع والتأديب، فربط به كبار الرجال والقبائل بالمصاهرة، وعلم أتباعه احترام النساء والعدل بينهن، وترك بعده منهن من يطمئن إلى تقبلن الأحكام التي لا يطالع عليها الرجال، لأنها من الأمور السرية التي تقع بين المرء وزوجه، ولكنها يجب أن يعلمها المسلمون.

ولو كان ﷺ يريد بتعدد الزوجات ما يريده أهل الدنيا من التمتع بالحلل فقط لاختار حسان الأفكار، ولما جمع في عصمته هؤلاء المعجائز من الشابات فيهن ذوات الأولاد، حماء الله تعالى مما يقتريه المفترون. ولما كانت العرب أمة أمية بعيدة عن آداب الحضارة الرفيعة وكان في تقلها مما هي فيه دفعة واحدة صمدية، عالج سبحانه أحوالهم بالحكمة في مناسبات عديدة، منها ما في أول سورة الخجرات إلى آخرها صفحة ٦٨٤ وما بعدها، ومنها ما في صفحات: ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ومنها ما هنا، قال ابن عباس:

كان رجال من المسلمين ينتظرون أوقات طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه في بيته قبل الطعام ويجلسون إلى أن ينضج، ثم بعد الأكل لا يخرجون بل يستمرون، يسامرون، وكان ﷺ يتأذى من ذلك، ولكنه كان شديد الجلاء، فأنزل سبحانه في هؤلاء وأمثالهم:

ويكون من آثار هذا اللعن أنهم في أي مكان ظفر بهم فيه أخذوا وقتلوا تقتيلاً. سن الله تعالى ذلك سنة قديمة هي أن يتشدد للذين نافقوا رسله وسعوا في إضعافهم بالأكاذيب لن تبدل سنته تعالى إذا استمر هؤلاء على نشر هذه الأكاذيب. ويظهر أن كثيراً منهم خاف واخفى، وقد نال جزاءه من ظهر كفره منهم، وكان اليهود يساعدون المنافقين في زلزلة عقائد الناس، وكانوا يعرفون من التوراة أن موعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله سبحانه، فكانوا يسألون النبي ﷺ عن موعدها لعله يخطئ فيكذبونه، فقال سبحانه: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أي عن موعدها قل لهم إنما علمها عند الله، ثم هددهم وخوفهم فقال: ﴿وما يدريك أي وما يدريك أيها السائل لعل زمن الساعة يكون قريباً جداً، فهل عملت ما يتخذ من هولاء مستعرة، خالدين فيها أبداً لا يجدون موالياً يحفظهم، ولا ناصر يدفع عنهم العذاب؛ لا يجد هؤلاء ناصر يوم تقلب أجسامهم في النار حتى وجوههم كما يتقلب اللحم الذي يشوى على النار، وهم يقولون ندماً بالبيتنا ألعنا الله وألعنا الرسول، انظر الآية (٣٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٣: ثم ذكر سبحانه ما سيعتذر به الأتباع منهم ولا ينفعهم فقال: ﴿ربنا إنا ألعنا سادتنا﴾ إلخ.

المفردات: .- ﴿سادتنا﴾: ملوكنا وأمراننا.

﴿كبرائنا﴾: رجال الدين الذين علموهم ما فيه كفر ومعصية.

﴿رضعنين﴾: أي قدر غذائنا مرتين لأنهم ضلوا وأصلونا معهم.

﴿والذين آذوا موسى﴾: هم الذين أرسل إليهم قائده بقولهم: إنه مجنون في الآية (٣٧) من سورة الشعراء صفحة ٤٨١.

وساخر كتاب في الآية (٣٤) من سورة غافر صفحة ٦٢٠، ومهين أي حقير في الآية (٥٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٢.

﴿وجها﴾: أي صاحب جاه ومنزلة تجعله مستجاب الدعوة. ﴿سديدا﴾: القول السديد هو

﴿أدنى أن يعرف﴾: أي أقرب إلى معرفة العرة من غيرها.

﴿المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون﴾ إلخ: هم المنافقون الجامعون بين هذه الصفات القبيحة كما مر في الآيات من (١٢ إلى ٢٠) من هذه السورة صفحات ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢. وأصل الإرجاف الزلزلة، والمراد يزلزلون عقائد الناس بالإشاعات. ﴿ونفرتك بهم﴾: أي تسلطك عليهم. ﴿إنما ثقنوا﴾: أي في أي مكان وجدوا وأمكنك السيطرة عليهم. ﴿أخذوا﴾: أي أسروا. ﴿قتلوا تقتيلاً﴾: أي قتلوا أشد قتل لا شفقة معه. ﴿هسته الله﴾: الأصل سن الله تعالى ذلك سنة. ﴿خلوا﴾: أي مضوا. ﴿وليا﴾: موالياً يحفظهم. ﴿نصيرا﴾: ناصرٌ يدفع عنهم العذاب. ﴿وجوههم﴾: المراد أجسامهم، وإنما عبر بالوجه لأنها أشرفها. ﴿وبالبيتنا﴾ ﴿ربا﴾ حرف أصل وضعه لإفادة نداء ما بعده ولكنه أريد به هنا تشبيه السامع لما يفيد التحسر والندم بعده.

المعنى: .- روى أن النساء كن يخرجن ليلاً لقضاء حاجاتهن في النخيل والعيطان في رى متعد لا يميز العرة من الأمة، وكان فساق المنافقين يتعمشون للإماء طمعاً فيهن، وربما تعرضوا في أثناء ذلك لعره، فإذا رآهم أحد قالوا ظنناها أمة. فأمر سبحانه العرائر بالاحتشام في لبسهن ليميزن عن غيرهن فقال تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يسدن على محاسن أجسامهن بعضاً من جلابيبهن. انظر ما تقدم في الآية (٣١) من سورة النور صفحات ٤٦١، ٤٦٢؛ ذلك اللباس على هذا الحال أقرب لمعرفة العرة من غيرها فلا يتعرضن لما يؤذي سمعتهن، وكان الله غفورا رحيمًا لما سلف من التقريط؛ ولهذا كان عمر رضى الله عنه في خلافته يحرم على الإماء التتبع كالعرائر وهو القتال: (انتشبهن بالعرائر بالكاف). ثم هدد سبحانه المنافقين بأنهم إذا لم يكفوا عن فتنهم المشاير إليها في الآيات (١٢، ١٣، ١٨، ١٩) ينزل عليهم غضبه، فقال: ﴿ولئن لم ينته﴾ إلخ: أي وعزى إن لم يكف هؤلاء المنافقون الذين جمعوا تلك الصفات الذميمة لتعرضنك على أن تفعل بهم ما يرغمهم على الجلاء، ثم لا يجاوزوك في المدينة بعد ذلك إلا زمناً قليلاً جداً مقدار ما يلتقطون ما يستطيعون التقاطه: حال كونهم في هذا الزمن القليل ملمونين من الله وملائكته،

المصادق الذي يراد به الوصول إلى الحق، مأخوذ من قبولهم سدد السهم إذا وجهه للغرض فلم يخطئه.

﴿الامانة﴾ : هي الصفات التي ميز الله سبحانه بها الإنسان عن غيره وكانت منشأ تكليفه بالطاعات، لتمييز من يشكره عليها فلم يستعملها إلا فيهما برضيه، عمّن أهل ذلك، وهذه الصفات هي مجموع العقل المفكر المستنتج، وحرية الإرادة، والكلام جاء على سبيل التمثيل لتحويل أمر هذه الامانة والإشعار بنخامتها. فالمعنى: أن هذه الامانة بلغت منزلة في العظم بحيث لو كانت

يمرعتها الأجرام العظام التي يضرب المثل بقوتها، وكان فيها إدراك لا تمتعت عن قبولها وخافت من التقصير في واجباتها. وهذا أسلوب عربي فصيح يعتمد إليه العرب إذا أرادوا تصوير أمر مفروض بصورة أمر محقق لزيادة تحقيق المعنى وتوضيح المقصود. وهناك معان أخرى للأمانة أوردناها في شرح حديث رقم ٦٤٠ من كتابنا (صفوة البخاري). ﴿فأبين﴾ : أي امتنعن. ﴿أن يحملنها﴾ : يقال لم يحمل فلان الشيء أي لم يتم بمقتضاه، وانظر عدده حمل بنى إسرائيل للتوراة في الآية (٥) من سورة الجمعة ٧٤١.

﴿اشفقن﴾ : أي خفن. ﴿الإنسان﴾ : المراد الإنس والجن، ولكنه اقتصر هنا على الإنسان؛ لأن المقام في تعداد جرائمهم. (إنه كان ظلوماً جهولاً) : توسطت هذه الجملة بين الفعل وهو (حملها) ونتيجة وهي (ليعذب) إلخ. للمساعدة بإضافة عدم وفاء الإنسان ﴿ليعذب الله﴾ إلخ.

(١) أنهم	(٢) آمنوا	(٣) آذوا	(٤) آمنوا	(٥) أعمالكم	(٦) السموات
(٧) الإنسان	(٨) المنافقين	(٩) المنافقات	(١٠) المشركات	(١١) المؤمنات	

سَادَاتِنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿١﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا
 ضَمِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّارِ لَمَّا كُنَّا كَافِرِينَ ﴿٢﴾ يٰٓأَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا كَاذِبِينَ ؕ وَأَدْرَأَ سَوْسِ قِرَاءَةَ اللَّهِ
 مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجْهًا ﴿٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُؤْمِنُوا بِرَسُولِهِ وَأَقِمْ وَجْهَكَ
 لِلدِّينِ كُلِّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا فَآزَ قَوْرًا عَظِيمًا ﴿٤﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَنفَرْنَ
 مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٥﴾
 لَيُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

هذه اللام تسمى لام العاقبة والنتيجة لما قبلها كما في قوله ﴿ليكون لهم عدوا﴾ الآية (٨) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

المعنى : . وقال الكافرون لما رأوا العذاب معتذرين عذراً غير مقبول : يا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضللونا عن سبيل الحق، يا ربنا عذبهم مرتين : مرة بضلالهم، وأخرى بإضلالهم لنا، وأطردهم عن رحمتك طرداً أبدياً، وهذا منهم مع إنه شبه اعتذار فيه تشف من سببوا في هلاكهم، انظر الآية (٦١) من سورة ص صفحة ٦٠٣. ثم وجه سبحانه الخطاب للمنافقين الذين يدعون الإيمان فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلخ : أي يا من تظهرون أنكم آمنتم لا تؤذوا نبيكم بما تشيعونه عنه من أنه تزوج امرأة ابنه، وأنه يتمتع بما حرمه على غيره، إلى غير ذلك، فتكونوا كالذين آذوا موسى، وتكون العاقبة أنه سبحانه يبرئ نبيه محمداً كما برأ موسى من قبل، وجعله ذا منزلة رفيعة.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا الصدق فقط، أي لا تقولوا كذباً، فإنكم إن فعلتم ذلك توبة مما سبق بوفتكم الله لصالح الأعمال كما في الآية (٧٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨. ويغفر لكم ذنوبكم السابقة؛ لأنكم بعملكم هذا كنتم مطيعين لله، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً. ثم أراد سبحانه أن يوضح عظيم منزلة الطاعة، وأنها أهل لنور صاحبها هذا الفوز العظيم، فقال سبحانه : ﴿إننا عرضنا الأمانة﴾ : أي أن منشأ التكليف من تلك الصفات الجميلة بلغت في خطورة تبعاتها أنها لو عرضت على السموات والأرض والجبال لرفضتها خوفاً من نتائجها، لكن جنس الإنسان الذي أكثره بالغ غلبة الظلم لنفسه ولربه، وغاية الجهل بعاقبه الأمور، فرح بها وقبلها، وصار يفتخر بأنه ممتاز على غيره بها، غير مقدر لمعاقبة التفرط فيها، انظر الآية (٢) من سورة العصر صفحة ٨٢٠. ثم بين سبحانه عاقبة حمل الإنسان لهذه الأمانة فقال : ﴿ليعذب الله﴾ إلخ : أي لتتحقق العدالة الإلهية، فيعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات على عدم قيامهم بواجب الشكر على ما أنعم الله تعالى عليهم من نعمة العقل والحرية، ويقبل سبحانه توبة المؤمنين والمؤمنات مما عسى أن يقع منهم؛ لأنه تعالى كثير المغفرة والرحمة لمعباده المتقين، والله تعالى أعلم.

[illegible]

سوڙيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المفسر دات :- قولنا في الأرض : وفيها :
ففيها : فمن السماء : المراد من قوله الأرض : الأرض
التي هي في السماء : قوله في : أي يصعد و (في) :
حرف بمعنى (إلى) .

(بلى): مصروف يدل على إبطال نفى ما قبله

وثبات تقييده، انظر شرح الآية (١٧٢)؛

سورة الأعراف ٢٢١.

(الاعيرب، ومشتقال، وذرق، ولا أصغبر، الروكنا، وروكنا، الروكنا، الآية (١١) من

سورة يوسف ٢٧٠، ٢٧١

ولا فرق، إلا أن هناك أعضواً وأكبر معطوفين على: ذرة، ومبدأ، وأرواح، وثيره إلا في كتاب.

المعنى: - تتضمن هذه السورة إثباتاً على ما ذكرنا، أن الله تعالى، لا يبدل ما وعده، وهذا ما يدعى

الإله، ورسالة الرسل، واليوم الآخر، وبني آدم، واليه، تارة يكفر،

بمجرد الإقرار كما في الآية (٧)، وتارة بالأسبقية (٨)؛ أي أن

كما في (٢٩). ثم بين الحكمة في (٢٨) (٢٧) (٢٦) (٢٥) (٢٤) (٢٣) (٢٢) (٢١) (٢٠) (١٩) (١٨) (١٧) (١٦) (١٥) (١٤) (١٣) (١٢) (١١) (١٠) (٩) (٨) (٧) (٦) (٥) (٤) (٣) (٢) (١) (٠) (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨

من (٣١ إلى ٣٩) ومن الآية (٤٢) ثم حذف منه ما ذكرى الروي القائل أنه من (٣٨ إلى ٣٦) والرواية في الآيات

(١) السموات
(٢) الآخرة
(٣) العلم
(٤) ما بين يدي
(٥) ما بين يدي
(٦) ما بين يدي
(٧) ما بين يدي
(٨) ما بين يدي

[illegible]

فحجاة: هـ داية الأرض: الأرض هنا مصدر، تقول العرب أرضت الخشب، بضم الهمزة وكسر
الراء ورفع الخشبة على أنها نائب فاعل، أرضا بفتح فسكون إذا اكتها الأرضة بفتحات وهي
الرداء داية تشك بالخشب في أسرع وقت، فالعنى داية كل الخشب فمنساته: عصاه. هـ خن:
سقط. (لبثوا): أي مكثوا. (رسياً): هي قبيلة سبأ. هـ زى مسكنهم: موضع سكنهم وهو
مأرب بوزن منزل، من بلاد اليمن، بينها وبين صنعاء نحو مائة كيلو متر. (وأيام): أي دليل على
قدرة الله سبحانه وتعالى. (وجنتان): البراء طائفتان من البسائيين وهن يمين وشمال أي
قسم من البسائيين عن يمين القبيل عليهم والأخرى عن شماله ولكنها متقاربة حتى كأنها بساتان
واحد.

المعنى: - وألنا لداود الحديد، وقلنا له اعمل دروعا كاملات من كل وجه. وغير سبحانه عن هذا بأنه علمه صنعة عمل الدروع، انظر الآية (٨٠) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٢٨، ٤٢٩ كما علم نوحا عمل السفينة الآية (٣٧) من سورة هود صفحتي ٢٨٩. وقلنا له وللآله اعملوا يالآن داود كما في الآية (١٢) الآية كل الأعمال الصالحة لدينكم ودينناكم، إني بما تعملون بصير، وسأجزئك أحسن الجزاء؛ وقيل إن تناول الآيات التي تحدثت عن سليمان، نبي الله يجب أن نعرض لما قاله المفسرون تحديدا في تحديد ملك سليمان، وفي انتفاعه بهذه الرحمة، وما قاله العلماء المأخوذون عن المراد بالجن، وعلى ضوءه يمكن فهم الآية فهما صحيحا.

أما تحديد ملكه: فقد قال جمهور المفسرين إنه كان يشمل الشام على حدودها القديمة، وجزءاً من العراق، وفي آخر أمره استولى على ملك سبأ في جنوب الجزيرة العربية، انظر الآيات من (٢٢ إلى ٤٤) من سورة النمل مصفحة ٤٩٦ وما بعدها، والآية (١٥) وما بعدها هنا. وقال النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في كتابه المسمى بالمرائس مصفحة ٢٢٥ ما يأتي: وقال: كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأفضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من ابنه سليمان. وكان ملك سليمان مابين الشام إلى إصطخر (مدينة في إقليم بلوختستان من بلاد الفرس القديمة). وقيل إنه ملك الأرض كلها. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فاما المؤمنان فسليمان وداود القرينين، وأما الكافران فالعمرود ابن كعان وبختنصر). انتهى كلام النيسابوري.

نقول إن صنع هذا الكلام يكون المراد من الأرض أرض المنطقية التي كان فيها الأكر

الفردات: **فَسَايَغُهَا**: السايغ هو التام الكامل، والمراد دروعا. **فَوَقَدَرُ** من التقدير، وهو جعل الشيء على قدر الحاجة. **فَوَفَى** المسرود: أي النسيج **فَوَضَعَهَا** شهبس: أي جربها بالندوة مقدار سير شهر بالسير العادي السريع والندوة يضم فسمكون هي من أول النهار إلى الظهر، وفي كتب اللغة ما بين الفجر وطلع الشمس **فَرَوَّاحُهَا** شهبس: الرواح: اسم للوقت من الظهر إلى الغروب.

هو أسلفنا: أي أُنْبِئنا. **و**عَيْن القطر: القطر: النحاس المذاب، وعَيْن القطر: يعني ذات النحاس كما تقول عَيْن الشيء: أي

الشيء نفسه والله أعلم. (يزعج): أي، يتعزف، عن أمرنا بسبب عصيانه لسليمان. (السمير): تار ملتهب في الدنيا، والعرب تطلق بعض أسماء ماوفي الآخرة علي ماوفي الدنيا، انظر الآية (٩٧٧) من سورة الصافات صفحة ٥١٢، ويصح أن يكون المراد في الدنيا والآخرة وهذا أشد تهديدا. (محارِب): جميع معرّاب والراد به هنا المكان المُرشع كالمحصر (قرئاثيل): جمع تمثال وهو الصورة الجسميّة لما فيه روح. وكان هذا جائزا في شرعهم وحرمه الإسلام بشرطه. (رجفان): جمع جفنة يفتح فسكون وهي القفص عنة الكبيرة. (الجواب): أصلها الجوابي واو أحدها الجابية، وهي الحوض الكبير. (رقودور راسيات): القنودر واحدها قدر وهو مايلجح فيه. وراسيات ثابتات لاتزل لمظمتها. (رقضينا عليه الموت): الراد حكمتنا عليه به ونفذناه، حكى ابن كثير في البداية والنهاية في سياق كلامه على إبراهيم عليه السلام أن سليمان مات

الْحَمِيدُ ۝ أَنْ تَعْلَمَ سَبْعِينَ مِائَةً وَقَدَّرَ فِي السَّعْدِ وَأَعْلَمُوا
صَلَاتِهِ إِنْ يَمَسُّ عَمَلُونَ بِعَمَدٍ ۝ وَلَسْتُمْ فِي رَجْعِ
عَذَابِهِمْ شَرٌّ وَلَا دَارُهُمْ شَرٌّ وَأَسْلَمُوا ۝ عَنْ الْقَطْرِ وَنَ
إِلَهِ بْنِ يَعْلَمُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَقْدَارِهِ ۝ وَنَحْنُ بِرَجْعِ بَعْثِهِمْ
عَنْ أَمْرِهِمْ نَقِيقُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْلَمُونَ ۝
مَائِمَةً مِنْ عَجْرِبٍ وَتَعْلَمُ رَحْمَانٌ كَلِمَاتٍ وَقَدَّرُوا
رَبِّهِمْ ۝ أَعْلَمُوا أَلَّا دَارُهُمْ شَرٌّ وَأَسْلَمُوا ۝ وَبَيْنَ مِنْ عَجْرِبَةٍ
الْمَكُورِ ۝ فَلَمَّا قَبَضْنَا عَظْمَ الْمَوْتِ أَدْنَمْنَا عَلَى
مَوْتِهِ ۝ لَا دَارَ لَهُ فِي الْأَرْضِ ۝ فَكُلُّ مَنْ تَبَيَّنَتْ
الْحَقُّ أَنْ تَعْلَمُوا يَعْلَمُونَ الْعَمَلُ وَالْأَمْرُ وَالْعَدَابُ
قَدْ كَفَى لَنَا فِي مَسْكِنِهِمْ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ
الْأَنْبِيَاءَ ۝ لَقَدْ كَفَى لَنَا فِي مَسْكِنِهِمْ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ
عَنْ عَجْرِبَةٍ وَتَعْلَمُ ۝ كَلِمَاتٍ مِنْ رَجْعِ وَتَعْلَمُوا ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ

(١) سلافيات .
(٢) اسليمان .
(٣) تماثيل .
(٤) آل .
(٥) آية .

الأرضية، انظر ما قبل عن ذي القرنين وملكه في سورة الكهف فإنه لم يملك إلا منطقة معينة. وكذلك النمرود ويختصر فلم يملك غير جزء معين من الأرض.

وأما انتقاعه عليه السلام بالريح: فقال جمهور المفسرين إنها كانت له بمنزلة الطائرة في زماننا، يستعملها في تنقلاته.

وقال الشيخ النجار في كتابه (قصص الأنبياء) إنها كانت تُسير له السفن في البحار، وقال بعضهم كانت تحمل السحاب المطر ليسقى له الزرع، ويحیی الأرض الميتة. لكن المتأمل لهذه الآيات يرى أن قوله تعالى «تجرى إلى الأرض التي باركنا فيها» الآية (٨١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٩، يُبعد أنها لتنقلاته، لأن تلك الأرض هي مملكته أو جزء منها فالناسب أنها تجري منها إلى غيرها، ولو أراد التنقلات داخل مملكته فقط لقال تجري فيها، وقوله عاصفة لا يناسب الركوب. ولعل الأقرب إلى الفهم هو القول أنها كانت مسخرة لحمل السحاب المطر الذي عليه حياة الإنسان، والحيوان، والزرع.

وقوله: (رخاء) على هذا معناه أنها دلول، سهلة القيادة لما يريده منها ومما يساعد القول الأول في تحديد ملكه قوله إلى الأرض التي باركنا فيها، ولم يصف القرآن الأرض بالمباركة إلا أرض الشام، وأيضاً لو كان يستعملها في تنقلاته: لما كان في حاجة إلى السفر الطويل مع جنده على الأرض حتى كاد يبطش بالحيوانات كما في الآية (١٨) من سورة النمل صفحة ٤٩٦.

أما عن قول العلماء في قوله تعالى: «ومن الجن من يعمل بين يديه» إلخ: فقد قال بعض المعاصرين من العلماء: إن المراد بالجن هنا هم المتمردون من الإنس، الخارجون على النظام، وحجتهم في ذلك أن الجن المعروف يعلم كل ما يحصل في المحيط الذي يوجد فيه، وموت سليمان حصل وهم موجودون بل قريب منه كما يروى، فكيف لا يعلمونه؟

وهذا مردود من وجوه.

الأول: أنه ليس في اللغة ولا في القرآن طبعاً إطلاق الجن على الإنس، وإنما الذي ورد إطلاقه عليهم هو لفظ «شياطين» كما في الآية (١١٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨١.

الثاني: أن القرآن جعل الإنس قسماً مقابل للجن، مياناً له، انظر الآية (١١٢) المشار

إليها هنا والآية (١٢٨) من سورة الأنعام أيضاً صفحة ١٨٤ والآية (٦) من سورة الناس صفحة ٨٢٧.

الثالث: أن الجن ما كانوا يعلمون كل ما يحصل في الوجود خصوصاً ما كان من الأمور غير المنظورة كخروج الروح حتى لو كان قريباً منهم، ودليل ذلك عدم علم الكثير منهم والذي كان بعيداً عن مكة ينزل القرآن على خاتم الرسل ﷺ إلا بعد أن سمعه نثر منهم وذهبوا إليهم وأخبروهم بما سمعوا، انظر الآيات من (٢٩ إلى ٣٢) من سورة الأحقاف صفحات ٦٧٠، ٦٧١، والآية (١) وما بعدها من سورة الجن صفحة ٧٧٠ وما بعدها، وأيضاً اعترفوا بجهلهم بحكمة إرسال الرسول في الآية (١٠) من سورة الجن أيضاً صفحة ٧٧١ ومن الآية (٨) من نفس السورة تعلم أنهم لم يعلموا أن السماء ملئت حراساً إلا بعدما قاربوها للسمع ولو كانوا يعلمون الغيب بطريق غير مألوف لعلموا وهم على وجه الأرض.

فمن مجموع هذا يعلم أن الحق في الموضوع أن الجن كالإنس خاضع للنظام الذي وضعه سبحانه لخلقه، وكيف يعلم بعض خلقه مالا يعلمه الآخر فالله سبحانه لم يمكن الجن من علم كل غيب عن الإنسان، بل يمنعهم عما يريد منهم منه حتى لو حصل في الخارج ماداموا لم يصلوا إلى علمه، ومنه خروج روح نبي الله سليمان، بل قد منعهم الله سبحانه من أن يتصرفوا كما يريدون في كل شيء حتى التمثل بالنبي ﷺ، ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يمثلي بي) والشيطان من الجن كما في الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨. قال القاضي عياض: منع الله الشيطان من أن يتصور في صورته ﷺ لئلا يتوصل بذلك إلى الكذب على لسانه صلوات الله عليه، فليتبس الحق بالباطل، ولا يوثق بما جاء في عهد النبوة. ويكون معنى الآية تبين الجن أنهم لو كانوا يعلمون كل غيب ما مكثوا في العمل الشاق بعد موت سليمان، أي فهم كغيرهم من بني الإنسان إلا أنهم لطافة أجسامهم، وخفتها، وسرعة تحركهم، يمكنهم الإطلاع على بعض ما يحصل في الوجود، ويخفى على بعض أفراد الإنسان، وهذا النوع من الغيب يسمى الغيب الإضافي الذي يعتبر غيباً بالنسبة للبعض دون البعض، وهو يحصل للإنسان نفسه مع الإنسان الآخر فقد يعلم إنسان شيئاً ويجهله غيره، وذلك كالقرار الذي تتفق عليه المحكمة في غرفة الدالة السرية، فهذا الحكم قبل إعلانه غيب يجهله كل الناس حتى التهم، ويعلمه أعضاء المحكمة فقط. أما الغيب

قطع المسافة حتى على الأغنياء منهم، فضجروا بالشكوى وقالوا تحسروا: إن ربنا باعد بين منازلنا في السفر حتى عجزنا.

يدل على هذا القراءة الأخرى السبعية (ربنا بضم الباء، وياعد بفتح العين والدال) فكان الذي حصل منهم شيئان: الأول تمنى الأغنياء منهم إبعاد المسافات بين القرى. والثاني تحسر الجميع على ما حصل حتى عمَّ العجز. والقرآن أفاد المعنى الأول بالقراءة الموجودة بالمصحف، وأفاد المعنى الثاني بالقراءة الثانية. وذلك نظير إفادة معنيين في قوله: ﴿وَأَرْجَلُكُمْ بِالْأَيَةِ﴾ (٦) من سورة المائدة صفحتي ١٣٦، ١٣٧. وبعملهم هذا ظلموا أنفسهم، فكانت النتيجة أننا جعلناهم أحاديث الناس. ثم بين كيف جعلهم سبحانه أحاديث فقال: ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾ إلخ: أي فرقناهم في أنحاء الأرض غاية التفريق؛ بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى المدينة وهم الأوس والخزرج، وبعضهم إلى عمان وبعضهم إلى تهامة؛ إن في كل ماذكر لعبرة لكل مؤمن قرى الصبر على المعاصي، كثير الشكر لنعم ربه، فهو الذي تنفعه الذكرى. ولقد صدق إبليس ظنه على بني آدم الذين منهم أهل سبأ، فاتبعوه في وسوسته إلا فريقاً من المؤمنين فأنهم لم يتبعوه، وهم لأنهم تحصنوا بالصبر شرفهم الله تعالى بالإضافة إلى نفسه في الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤١. ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ إلخ: المراد نمكن الشيطان من التسلط عليهم بالنوسوسة لإمتحانهم فيظهر ويتميز من يؤمن بالآخرة منهم فيخاف ربه، ممن هو في شك من الآخرة لا يؤمن بها، فيعلم الله تعالى ما يحصل من كل فريق منهم علم حصول. وريك على كل شيء حفيظ. فهو سبحانه مهيم بقدرته وعلمه، فكان يستطيع منع إبليس ويعمل العبد مجبوراً على التقوى كالملائكة. وهو سبحانه يعلم كل شيء قبل حصوله على أنه سيحصل، والذي وجّه هنا هو علم أنه حصل، قال أبو الحسن البصري: والله ما ضربهم إبليس بعصا، وما كان منه إلا أنه حسن لهم شهوراتهم فأجابوه. ثم انتقل سبحانه لتوبيخ مشركي العرب وإقامة الحجّة عليهم فقال: قل يأيها النبي لكفار قومك ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة غير الله ليحلبوا لكم نفعاً أو يدفعوا ضرراً.

الفاحلة، وبهذا يعجز الفقير فتتخصر التجارة في الأغنياء، وهذا منتهى الجشع والبطر. ﴿جعلناهم أحاديث﴾: يتحدث بها الناس ويضربون بهم المثل، فيقولون تفرق القوم أيدى سبأ والأيدى الجماعة، أي كتفرق جماعة سبأ. ﴿كل ممزق﴾: تقدم في صفحة ٥٦٣. ﴿صدّق عليهم إبليس ظنه﴾: أي حقق عليهم ما ظنه فيهم من أن شهوراتهم ستمكنه من إغوائهم، وأقسم على ذلك كما في الآية (٨٢) من سورة ص صفحة ٦٠٥. ﴿من سلطان﴾: (من) تنقيد تأكيد عموم ما بعدها، وسلطان أي تسلط وقهر. وإنما هي مجرد وسوسة. انظر الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٣.

المعنى: وقلنا لهم على لسان رسلهم: هذه بلدة طيبة في هوائها وخصوبتها. وريكم الذي رزقكم بهذه النعم وأمركم بالشكر عليها هو رب غفور لما قد يحصل منكم من هفوات. فأعرضوا عن الشكر وكفروا، فأرسلنا عليهم السيل الذي كان يحجزه السد فأهلك زروعهم وأشجارهم، ولم يبق لهم بعد هلاك تلك الجنتين الثمرتين لكل فاكهة إلا شيء حقير هو أشجار ذات ثمر مر الطعم، وأشجار الأثل الذي لا ثمر وبعض قليل من شجر التبق. ذلك الذي حل بهم جازيئناهم به بسبب كفرهم نعم ربهم وعبادتهم غيره. والله تعالى لا يجازي مثل هذا الجزء إلا شديد الكفر. وبعد ما بين سبحانه ما أنعم به عليهم في مساكنهم، وما قابلوا نعمته به من الكفر، وما حل بهم، أراد أن يبين نعمة أخرى عليهم في أسفارهم التي اضطروا إليها بعد تخريب مزارعهم بالسيل. وكان ممكناً أن يعتبروا ويستقيموا ليرجع الله تعالى إليهم شيئاً مما فقد منهم، ولكنهم قابلوها أيضاً بالبطر وقسوة القلوب ولم يعتبروا. فعاقبهم في هذه المرة بالتشريد في أنحاء الأرض فقال: ﴿وجعلنا بينهم﴾ إلخ: أي لما كانت حياتهم تقتضى السفر إلى

الشام للتجارة سهلنا لهم ذلك بأن جعلنا بينهم وبين الشام قرى متقاربة، وقلنا لهم بلسان الحال سيروا فيها ليأبى وأياماً آمينين لا يخافون جوعاً ولا عطشاً. ولكن أغنيائهم تمنوا في دخلة أنفسهم أن تكون المسافات بين كل بلد وأخرى في الطريق بعيدة جداً لتتخصر التجارة فيهم، ولما حصل لكثير من تلك البلاد ما خربها، وكان سيل العرم قبل ذلك أفقرهم وصعب

لأن أولاده يؤمنون برسول من البشر: لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالكتب التي سبقته. ثم انتقل سبحانه لبيان ماسيكون من جدال بينهم يوم القيامة لهم يشبهون فقال: ﴿ولو ترى﴾ أي: ولو ترى يا من تصح منك الرؤية في ذلك اليوم حال هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر حين توقفهم الملاذكة للحساب عند ربهم حال كونهم يرد بعضهم على بعض التهم لرأيت حالاً مفزعة تنفست لها الأكباد، انظر الآية (٧٢) وما بعدها من سورة المصافات صفحة ٥٨٨ فهي نظير ذلك، ثم فصل، بعض جدالهم فقال: ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ أي: يقول الأتباع الضعفاء للروساء الذين كانوا مستكبرين: لولا وجودكم وتضليلكم لكنا مؤمنين، فيرد المستكبرون على الضعفاء بقولهم: هل نحن منعناكم عن اتباع الحق بعد عامكم بمجيئه من عند الله؟

كلا لم نمنعكم قهراً عنكم، بل أنتم الذين كنتم متمكنين من الإجماع في داخل أنفسكم بأعمالكم نفوسكم، خطأ من الشهوات، وتفضيلكم الدنيا على الآخرة، فيرد المستضعفون قائلين: بل صدنا مكرهم بنا الدائم بالليل والنهار لتعلمونا كما يحمل الأمر المأمور على أن نكفر بالله ونجعل له شركاء يشبهونه. ثم بين سبحانه ماداهم حتى قطع عليهم الجدال فقال: ﴿وأسروا﴾ أي: وأخذوا الندامة على ماكان منهم من ضلال وإضلال حين رأوا العذاب الشديد، وعقد المستنهم ماشاهدوه من الهول. وجعلنا الأغلال في أعناقهم يسعون بها إلى جهنم لأنهم كفروا، وماجانازهم إلا أجزاء يناسب أعمالهم الشنيعة. وبعدما بين سبحانه ماسيكون عليه الكافر يوم القيامة أراد أن يصبر رسوله على عنادهم بأن هذه هي عادة الأمم مع أنبيائهم، والمراقبة للمتشين، فقال: وما أرسلنا في قرية من قرية إلا أمة سابقة لهم.

المفردات: ﴿نذير﴾: المراد رسول يحذرهم ويخوفهم من عصيان ربهم. ﴿شرفوها﴾: هم المتوسعون في الترف وهو التتبع، انظر الآية (٦٤) وما بعدها من سورة المؤمنون صفحة ٤٥١. ﴿أرسلتم به﴾: قالوا ذلك على سبيل التهكم لأنهم لايعتقدون أنهم رسل، انظر مثله في الآية (١) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨. ﴿فقدروا﴾ أي: يضيق. (زانبي): هي القريش وزناً ومعنى وهي مصدر من معنى النفل قبله جاء لتأكيد كقولهم فقد جلوسا.

المفردات: ﴿ميعاد يوم﴾: المراد باليصاد هنا هو زمن الشيء الموعود به، فهو مضاف لما يبينه، فالعنى زمن ماوعدتم به هو يوم محدد الذي بين يديه: مرادهم الكتب التي سبقت القرآن كالطورا والإنجيل ويرجع بعضهم إلى بعض القول: أي يرد بعضهم على بعض ويلقى اللوم عليه. ﴿الذين استضعفوا﴾: هم الأتباع. ﴿بعد إذ جاءكم﴾: الأصل بعد وقت مجيء الهدى، والمراد بعد علمكم بما فيه هدايتكم.

﴿الذين استكبروا﴾: هم الروساء انظر الآية (٦٧) من سورة الأحزاب صفحتي ٥١٠، ٥٦١. ﴿مكر الليل والنهار﴾: أي مكرهم بنا المستمر ليلا ونهارا. ﴿نداد﴾: أي شركاء.. يدعون أنهم يشبهونه تعالى وهو سبحانه ليس كمثله شيء.

﴿أسروا الندامة﴾: لم يظهروها لاشتغالهم بما دهامهم من الأهوال. ﴿الأغلال﴾: قيود الحديد التي جمعت أيديهم إلى أعناقهم. ﴿هل﴾: حرف استنهام مشرب معنى النفي أي لايجزون. ﴿من نذير﴾: (من) حرف ينفذ النص على العموم في نذير.

المعنى: ويسأل الكفار على وجه الاستهزاء قائلين: متى هذا الوعد فأت به إن كنت صادقا يامحمد أنت ومن معك ممن يقول بقلوك، قل لهم لكم زمن يتحقق فيه ماوعدتم به محدد لاستتأخرون عنه لحظة إذا جاء، ولاستقدمون عليه قبل مجيئه، لأن الله جعل له أجلا لايتخطاه، ولا يعلمه غيره سبحانه. وبعدما أثبت الأصول الثلاثة وهي التوحيد، وإرسال رسل من البشر، والبعث، وكانوا كافرين بها، ذكر جريمة أخرى لكثير منهم وهي إنكار كل الكتب السماوية فقال: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: أي وقال مشركو العرب أي غير أولاد إسماعيل،

- (١) صادقين. (٢) تستأخرون. (٣) القرآن. (٤) الظالمين. (٥) صدناكم. (٦) الليل. (٧) الأغلال.

صَدِيقِينَ ﴿١﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِزُّونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نَمُوتَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ رَأَوْا إِذْ الظَّالِمُونَ مُوقِفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَقُولُ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَلَمَتْ لَكُمُ مَؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا أَهْنُ صَدَقْتُمْ عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْبَيْلِ وَالْبَشَرِ إِذْ ظَنَرْتُمْ أَنَّكُمْ تَكْفُرُونَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّ مَرْجُونٍ ﴿١٠﴾

الرزق لمن يشاء، ويضيق حسب حكمته، فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع. وربما عكس، وربما وسع عليهما، أو ضيق عليهما. بل قد يوسع على الشخص الواحد في زمن ويضيق عليه في زمن آخر. ينزل سبحانه كل ذلك حسب حكمته يعلمها، فلو كان البسط دليل الرضا لخص به المطيع، ولو كان التضيق دليل السخط لخص به العاصي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حكمته تصرفه فيهم مطعون متاكم، انظر الآيات (٤٤) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٨، (٥٥) من سورة التوبة صفحتي ٢٥٠ و (٢٥) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٢٤ و (٥٥) وما بعدها من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٠، ٤٥١ وشريح (٨٧) من سورة القصص صفحتي ٥١٩. ثم وضع ذلك فقال: وما أموالكم ولا أولادكم بالشيء تقرّبكم خلدنا قريباً فنعلمكم، لكن من آمن وعمل صالحاً فإني أنعم به عليهم، وما لهم المال هو الذي يقرّبهم منا قريباً شديداً فتجزيهم بإعطائهم أجراً مضاعفاً كذا ذكره، وندخلهم جنة، الجنة وهم آمنون من كل سوء، أما الذين يجتهدون في تطهير شربهم من هؤلاء تجزهم الملائكة على وجوههم للمذاب، ثم رغب المؤمن في الإنفاق فيما يرضى، فقال: إنا، أيها النبي المؤمنون لا تخافوا فقراً من الإنفاق في سبيل الله: لأن الله تعالى هو الذي يبدله الزهدة والتخفيف، وقد ضمن لكم أن ما أنفقتموه فيما يرضيه يخلف عليكم خيراً منه لأفادته خير من الرزق، انظر معنى ذلك في الآية (٥٨) من سورة الحج صفحتي ٤٤٢. ويهد ما بين يديهم خطاهم فيما يرضون أراد أن يبين بعضاً آخر مما سيكون منهم يوم القيامة فقال: أولهم يحسنونهم، وذكر أيها النبي لكفار قومك ماسيكون منهم يوم يحسنونهم ربهم جهنم، الما الذين منهم والمؤمنين، ثم يقول للملائكة توبخا للكفار وقطعوا لأمرهم ربهم في ذلك فامدة الملائكة لهم، وسأوضح التفسير، بمثل ذلك في الآية (١١٦) من سورة المائدة صفحتي ١٠٠، ١١١ هل كان هؤلاء لا يبدون إلا إياكم؟ فقالوا: ننزهك بارئنا عن الشريك تنزيهاً، لا مولاة بيننا وبينهم من جهنم، بل أنت ولينا من دونهم، انظر ما تقدم في الآية (١٨) من سورة الفرقان صفحتي ٤٧٢.

المراد بالجنة: الجنة بدون النار، أي: يدبرونهم في ربه وسنة ربهم، يريدون به النبي ﷺ.

انظر الآية (٧) من سورة سبأ صفحتي ٥١٢.

نَذِرْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ إِنَّا جَاءَ بِكُمْ لُغْمًا كَبِيرًا ﴿٥٥﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَنَعْنَاهُمْ مِّنْهُ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ بِالْأَلَمِ فِي شَيْءٍ مِّنْهُ لَئِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ
مَعِي أَتَأْتِيَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ
عَلَيْهَا كَافِرُونَ ﴿٥٨﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾
قُلْ إِن كَانَ رِزْقُ اللَّهِ يَزِيدُ لَشَيْءٍ فَلَنَزِدَنَّ رِزْقَهُ وَقَبْلُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

خاص بالبسط والتضييق لشخص واحد باعتبار وقتين وحالين.

فأنت ولينا من دونهم: تقدم بيان ذلك في الآية (١٨) من سورة الفرقان صفحتي ٤٧٢.

المنى: وما أرسلنا في قرية رسولاً يعجز أهلها من عقيلان ربهم إلا قال فادعها وكبارها إنا بما أرسلتم به في زعمكم من التوحيد واليهت وبغيرهما كافرين. وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً منكم أيها الذين تزعمون أنكم رسل الله، وهذا دليل على رضا الله عنهم، فلو كان ما نعدوننا إلى تركه من الشرك وغيره لا يرضيه لما أعادنا هذه النعم، وأراد الله أن يرسل الرسل من الأغنياء الذين يرضى عنهم، انظر الآية (٢١) من سورة الزخرفة صفحتي ١٥٠ والآية (٥٢) من سورة الزخرف أيضاً صفحتي ١٥٢. ولما كان الأمر كذلك، فما نحن بمعتدين في الدنيا بشيء سورة الزخرف أيضاً صفحتي ١٥٢. ولا في الآخرة إن جاءت كما تزعمون. قل لهم أيها النبي: إن ربي يستعمل مما يكدر حياتنا، ولا في الآخرة إن جاءت كما تزعمون.

- (١) كافرون. (٢) أملاك. (٣) أولاد. (٤) أملاك.
(٥) أولادكم. (٦) آمن. (٧) صالبا. (٨) القروا.
(٩) آمنون. (١٠) أيتا. (١١) معاذرون. (١٢) الرادون.
(١٣) للملائكة. (١٤) سبيلك.

عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، وتقولون لا يبعث الله من يموت وليس هناك دار جزاء. ثم ذكر سبحانه بعض باطلهم الذي استحققوا به العذاب فقال: وإذا قرأ رسولنا عليهم آياتنا حال كونها واضحات في الدلالة على الحق هؤلاء الكافرون ما هذا إلا رجل يريد أن يمتنع عما كان يعبد آباؤكم، وقالوا أيضاً: ما هذا القرآن الذي يتلو عليكم محمد (ﷺ) بالنسبة لمعاليه إلا كذب ادعى محمد أنه من عند الله، وقالوا أيضاً للقرآن الحق لما جاءهم في أسلوب معجز: ما هذا إلا سحر واضح. ثم رد عليهم بقوله ﴿وما آتيناكم﴾ الخ: أي وما آتينا أهل مكة كتباً يدرسونها تنقيد صحة الشريك حتى يمدحوا فيه، انظر الآية (٣٥) من سورة الروم صفحة ٥٢٥ والآية (٢١) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩ والآية (٤) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٦، وما أرسلنا إليهم قبلك نذيراً يحذرهم من عدم الشرك، وإذا كنا لم نفعل ذلك فمن أين جاءوا بهذا الشرك؟ بل جاءتهم الرسل بالتوحيد انظر الآية (٢٤) من سورة فاطر صفحات ٥٧٤، ٥٧٥، ثم هددهم إذا استمروا بأن يحصل لهم مثل ما حصل لأمثالهم فقال ﴿وكذب الذين﴾ الخ: أي وقد سبق أن الذين قبلهم من الأمم كذبوا أنبياءهم، كعاد ونمود، وما بلغ أهل مكة عشر ما آتينا هؤلاء الأولين من طول الأعمار وقوة الأجسام وكثرة الأموال والأولاد، انظر الآية (٧٨) من سورة القصص صفحة ٥١٨ والآية (٩) من سورة الروم صفحة ٥٣١ والآية (٨٢) من سورة غافر صفحات ٦٢٨، ٦٢٩ والآية (٨) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٧؛ كذب هؤلاء رسلنا فانظر كيف كان أثر غضبي عليهم ترى هولاً عظيماً.

والمعنى: فليحذر كفار قريش مثل ذلك، ثم أمر سبحانه نبيه أن يبين لهم الجانب في الإرشاد فقال: ﴿إنا أعظكم﴾ الخ: أي لا أنصح لكم أيها الناس إلا بخصلة واحدة هي أنكم بدان أن تسارعوا إلى التكذيب عناداً بدون بحث أن تهتدوا في الأمر بإخلاص لوجه الله. حال كونكم متفرقين اثنين اثنين أو واحداً واحداً؛ لأن الكثرة فوق ذلك توجب تهويل الخواطر وتشديد العقول فيفسد التفكير؛ لأن الفرد الواحد في الكثرة يفكر ويعمل بعقل غيره ويسير تبعاً لحركة تلك الجمهرة، ثم تنفكروا في أمر صاحبكم محمد الذي عاشرتموه مدة طويلة، وعرفتم عنه سلامة العقل وحسن التفكير، وفيما جاء به، فستصلون قطعاً إلى أنه ليس به كاذب كما تزعمون. انظر الآية (١) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

لَّ كَاذِبِينَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٨٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿٩٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ الْآيَاتِ ﴿١٠٠﴾

﴿إفك﴾: كلام لا حقيقة له. ﴿مفتري﴾: مدعى أنه من عند الله. ﴿الحق﴾: اللام بمعنى (من) كما في الآية (١١) من سورة الأحقاف، صفحة ٦٦٧. (إن) هذا إلا حس: (إن) حرف نفري أي ما هذا الخ. ﴿من كتب﴾: (من) التأكيد المعلوم فيهما بعدها، وكذا من في قوله: (من نذير). ﴿مشار﴾: عشر بضم فسكون. ﴿مكبر﴾: انظار الآية (٤٤) من سورة الحج صفحة ٤٤٠. ﴿اعظكم﴾: أنصحكم. ﴿تقووا﴾: أي قهروا فيما أطلبه منكم. ﴿شرك﴾: أي اثنين اثنين. ﴿فرائد﴾: واحداً واحداً. ﴿مباحيكم﴾: ليس بمباحيكم مذهبكم. ﴿تأكلهم﴾: تأكلهم فيهم وتأكلهم فيهم. ﴿الجنة﴾: الجنة البتة.

والمعنى: لما سأل سبحانه الملائكة الذين قالوا كفروا قريش، فمدحهم بزيادة تقديهم، أجاب الملائكة بقولهم: سي عذابكم، وقد علمت أن الذين عذبكم من هؤلاء فلا موالاة بيننا وبينهم، إنما علينا أن نذكركم، وهم كاذبون في زعم أنهم كانوا يمشون، بل كانوا في الحقيقة خاضعين لأفكار المشركين الذين زعموا لهم الشرك، يدعوى بتأييد الآراء، وأكثرهم مؤمنون بهذه التوسعة، وأقلهم متقدمون، ومن ذلك قولهم: ﴿ما علمنا منكم شيئاً﴾ الخ: أي ما علمنا منكم شيئاً في الآية (١١) من سورة غافر صفحة ١١٩. ﴿ما علمنا منكم شيئاً﴾: أي ما علمنا منكم شيئاً في الآية (١١) من سورة غافر صفحة ١١٩.

(١) إنا

(٢) ينادي

(٣) إنا

(٤) ينادي

(٥) ينادي

(٦) ينادي

(٧) ينادي

(٨) ينادي

(٩) ينادي

(١٠) ينادي

(١١) ينادي

(١٢) ينادي

(١٣) ينادي

(١٤) ينادي

(١٥) ينادي

(١٦) ينادي

(١٧) ينادي

(١٨) ينادي

المنى: الشاء الجميل كله لله لأنه خالق جميع هذا العالم على مثال لم يسبق، وهو سبحانه الذى جعل الملائكة رسلا إلى مخلوقاته لتنفيذ أوامره فيها ولو بالمعذاب كما فى الآية (٥٨) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢، وإلى أنبيائه، وهم كبارهم كما فى الآية (٧٥) من سورة الحج صفحة ٤٤٤. وجعل هؤلاء الملائكة أصحاب أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة. والبحث عن حقيقة هذه الأجنحة وصفتها ومواضعها من الجسم فى هذا العالم الغيبى مما لم يكلفنا الله عز وجل علمه، ولم يصح فيه عن النبى ﷺ حديث، وإنما الذى يعيننا أن نعلم أن كثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة فى تنفيذ أوامره تعالى وتبليغ رسالته، ويفيد أن الملائكة تتفاوت أقدارهم عند الله ومقدرتهم على الانتقال. يزيد سبحانه بموجب مشيئته فى خلقه ما يشاء زيادته، ومن ذلك أجنحة الملائكة. روى مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح. فسبحان العليم بأسرار خلقه. إن الله على كل شىء قدير، لا يعجزه شىء أراد. ومن دلائل قدرته سبحانه أنه إذا أعطى بعض الناس أشياء من آثار رحمته كصحة وولد ومال وعلم وحكمة وغير ذلك فلا أحد يستطيع منعها، انظر الآية (٢٨) من سورة الزمر صفحة ٦١١. وإذا منع أثر من آثار رحمته عن أحد فلا يستطيع غيره سبحانه أن يعطيه له، انظر الآية (٢١) من سورة الملك صفحة ٧٥٦. وهو سبحانه العزيز أى الغالب على ما يشاء بلا منازع، الحكيم الذى لا يفعل إلا بعلم وإتقان. وبعدما بين سبحانه أنه المالك لكل شىء وأن مصدر الخير كله بيده، أمر بشكره، فقال: يا أيها الناس اذكروا نعمة الله واحفظوها بطاعة المنعم بها. ثم نفى أن يكون لغيره فى ذلك مدخل فقال: هل من خالق؟ إلخ. أى لا خالق غير الله يرزقكم من جهة السماء بالمطر وغيره، ومن الأرض بالنبات وغيره كما تقدم فى الآية (٢٤) من سورة سبأ صفحة ٥٦٦، لا إله إلا هو، فكيف تصرفون عن توحيدده ثم تكلم سبحانه على إثبات رسالته ﷺ مسلماً له على ما قابله به الكفار فقال: وإن يكذبوك فلا تحزن فقد كذب رسل من قبلك، فعليك أن تتأسى بهم وتصبر، وإلى الله المرجع كله.

(٢٥) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَأَنبِئْهُمْ بِمَا هُمْ كَاذِبُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ
رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يَبْغُونَ
مَا يُبَدِّلُ اللَّهُ عَلَى كَيْفٍ يُقَدِّرُ ۚ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مَحْجُومَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُمْسِكَ
لَهُمْ مِنْ بَدَلِهِ ۚ وَهُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ ۚ يَتَكَبَّرُ النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ تَأْتِي تَوَكُّدُهُمْ
وَأَن يَكْفُرُوا بِهِ فَقَدْ حَبِطَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تضمنت هذه السورة كمعظم السور الحكيم
إثبات الأصول الثلاثة، وهى: التوحيد
والرسالة والبعث.
﴿فاتر﴾: موجد على غير مثال سابق.
﴿السموات والأرض﴾: المراد هما وما
حوى من العالم بأسره.
﴿أولى أجنحة﴾: ذات أجنحة. ﴿مثنى

وثلاث ورباع﴾: تقدم فى الآية (٣) من سورة النساء صفحات ٩٧ و ٩٨ .
﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾: يفتح أى يعطى و﴿من﴾: حرف يدل على أن ما بعده
مبين وموضح للمبهم قبله وهو ﴿ما﴾ فى قوله: ﴿ما يفتح﴾ والمراد الرحمة التى يعطيها الله
سبحانه للناس.
﴿لا محسك لها﴾: أى لا مانع لها، وذكر الضمير هنا مؤنثاً لملاحظة معنى ﴿ما﴾ وهو
الرحمة وذكره مذكر فى قوله: ﴿وما يسلك خلا يرسل له﴾ باعتبار لفظ ﴿ما﴾. ﴿هل﴾: حرف
استفهام إنكارى يفيد النفى، أى لا خالق. ﴿من﴾: لتأكيد العموم فيما بعدها. ﴿فأنى﴾: فكيف.
﴿تؤفكون﴾: أى تصرفكم الشياطين عن الصواب.

(١) السموات (٢) الملائكة (٣) ثلاث
(٤) رباع (٥) خالق

﴿أحيينا به الأرض﴾: أى جعلنا فيها نباتًا وأشجارًا.

﴿النبشور﴾: البعث من القبور للحساب والجزاء.

﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾: إلخ: صعود الكلم الطيب كناية عن قبوله سبحانه له ورضاه عن صاحبه، والكلم الطيب كل كلام يرضى الله عز وجل، ككلمة التوحيد، وتلاوة القرآن، وكل كلام يؤدي إلى خير لقائه أو للغير.

﴿والعمل الصالح يرفعه﴾: قال ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: المعنى يرفع العمل الصالح قدر الكلام الطيب، ويحقق معناه لأنه يدل على صدق نية صاحبه، فيقبله الله سبحانه، وهذا هو ما يشير إليه قولهم: إن الأقوال إذا لم تصدقها الأعمال تفقد قيمتها، وقد عاب سبحانه على أصحاب هذه الأقوال في الآية (٤٤) من سورة البقرة صفحتي ٩، ١٠ وآيتي (٣) من سورة الصنف صفحة ٧٢٨. وقال قتادة وارتضاه ابن عطية: المعنى والعمل الصالح يرفعه الله سبحانه ويقبله.

المننى:- والى الله سبحانه ترجع الأمور في الآخرة فيجازي كلا بما يستحقه. ثم ذكر سبحانه الأصل الثالث وهو البعث فقال: ﴿إياها الناس إن وعد الله حق﴾ إلخ: أى إن وعد الله بالبعث والجزاء يوم القيامة حق لا شك فيه، فلا تفرطكم الحياة الدنيا بصرف جميع همكم إلى التمتع بها فتهلكم عن طلب الآخرة، ولا يفرطكم بعلم الله وإمهاله الشيطان الشديد. التفرير باليسماء فيمنعكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية، فإن من يطمع في ذلك كمن يطمع في السلامة مع تناول السم اعتمادا على أن يمر به طيب. ثم حثهم على عصيان الشيطان فقال: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. بعصيان: لأنه لا يدفع حربه إلا لعمل عاقبته أن يدخل نارًا مستقرة، انظر الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨.

ثم بين جزاء حزب الشيطان وجزاء أعدائه فقال: الذين كفروا واتبعوا الشيطان لهم عذاب شديد، والذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات لهم عند الله مغفرة لذنوبهم وأجر كبير هو نعيم الجنة الخالد. ثم بين أن حكمته تعالى وعدله هما اللذان اقتضيا هذه التفرقة في الجزاء فقال

ترجع الأمور ﴿إليها الناس﴾ أى بعد الله حق فلا تفرطكم الحياة الدنيا ﴿ولا يفرطكم﴾ أى لا يفرطكم وعد الله ﴿حق﴾ إلخ: أى إن وعد الله بالبعث والجزاء يوم القيامة حق لا شك فيه، فلا تفرطكم الحياة الدنيا بصرف جميع همكم إلى التمتع بها فتهلكم عن طلب الآخرة، ولا يفرطكم بعلم الله وإمهاله الشيطان الشديد. التفرير باليسماء فيمنعكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية، فإن من يطمع في ذلك كمن يطمع في السلامة مع تناول السم اعتمادا على أن يمر به طيب. ثم حثهم على عصيان الشيطان فقال: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. بعصيان: لأنه لا يدفع حربه إلا لعمل عاقبته أن يدخل نارًا مستقرة، انظر الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨.

المفسر دات:- ﴿والغفور﴾: تقدم في الآية (٣٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤. ﴿ولين له سوء عمله...﴾ إلخ: انظر الآيات (٣٠) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦ و(١٠٤) من سورة الكهف صفحة ٣٩٥ و(٣٧، ٣٦) من سورة الزخرف صفحتي ٦٥٠، ٦٥١.

﴿وتذهب نفسك﴾ إلخ: المراد لا يشهد حزبك عليهم حتى تهلك نفسك حسرة عليهم، انظر الآية (١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠ والآية (٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٧٩.

﴿وتشتر سعياب﴾: تقدم في الآية (٤٨) من سورة الروم صفحة ٥٣٧.

﴿ففسقناه﴾: لم يقل (فساقه) وحول الكلام إلى أسلوب المتكلم لفتنا لنظر السامع إلى بدع صنع ما يذكر بعده انظر نظير ذلك في الآية (٩٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩ والآية (٥٣) من سورة طه صفحة ٤١٠.

﴿وميت﴾: جذب لا نبات فيه.

- (١) الحياة
- (٢) الشيطان
- (٣) أصحاب
- (٤) أمرا
- (٥) المصالحات
- (٦) غراء
- (٧) حشرات
- (٨) الرياح
- (٩) فستاه
- (١٠) الجبال

المفردات: . فوشكور: كثير الشكر لطاعة عباده، والمراد يحسن مجازاتهم عليها.

فولما بين يديه: المراد: لما سبقه من الكتب السماوية.

فأورثا الكتاب: فأورثا: الأصل نورث ولكنه أراد أنه محقق كأنه مضى. فوالكتاب: هو القرآن. انظر وقارن بين ما هنا وما في الآية (٥٣) من سورة غافر صفحة ٦٢٥ والآية (١٤) من سورة الشورى صفحة ٦٤٠.

فأصطفينا: أي اختيرناهم وفضلناهم على سائر الأمم يجعلهم أمة وسطا كما في الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحتي ٣٧.

ويعلمهم خير أمة كما في الآية (١١٠) من سورة آل عمران صفحتي ٨٠، ٨١.

وظالم لنفسه: هو من أسرف في المعاصي حتى غلبت سيئاته على حسناته.

فمقتصد: هو من خلط عملا صالحا وآخر سيئا حتى تساويا، انظر الآية (١٠٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٩.

فوساق بالخيرات: متقدم على غيره في دخول الجنة بسبب ما عمل من خيرات رجعت على سيئاته حتى أذهبتها، انظر الآية (١١٤) من سورة هود صفحة ٢٠١.

فأحلتنا: أي جعلها محلا لنا وأزلنا فيها.

(٢١) الكتاب.
(٢) بالعقوبات.
(٤) جنات.

نَعْمُ ۖ وَالَّذِي أَذِجْنَا لَكَ مِنَ الْكِتَابِ مَرَّ
الْمُسْتَقِيمَ إِنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّ اللَّهَ يَوْمِكُمْ هَـ خَيْرٌ
يَوْمَ ۖ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
وَمِنْ كَلَامِ رَبِّكَ وَبِهِمْ مَقْصِدٌ وَبِهِمْ سَائِقٌ
بِالْمَكْرِتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالَّذِي هُوَ الْقَوْلُ الْكَبِيرُ ۖ
جَنَّتْ عَنْ يَدِ خَلْقٍ يُحْزَنُ فِيهَا مِنْ سَائِرِ مَنْ هُمُ
وَأُولَئِكَ وَلِيَائِهِمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ وَقَالُوا الْعَمْدُ لَهُ الْآيَةُ
أَعْبَ غَالِبُ الدِّينِ إِنْ زَيْنَا لَعْمُ شَكُورٍ ۖ الَّذِي
أَمَلْنَا أَنْ نَرْفَعَهُ مِنْ قَبْلِهِ لَا يَكُنْ لَنَا حِسْبٌ فِيهَا نَفْسٌ وَلَا
يَسْتَأْذِنُ الْوَيْلُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ نَأْزِجْهُمْ
لَا يَفْقَهُ عِلْمٌ يَوْمَئِذٍ لَا يَخْفَى نَجْوَاهُمْ مِنْ عَالِيهَا
كَذَلِكَ تَجْرَى كُلُّ نَفْسٍ ۖ وَهُمْ يَسْمَعُونَ قِيَامَ يَوْمِ

المعنى: إنا أرسلناك أيها النبي للناس كافة بالدين الحق مبشرا من آمن به بالجنة ومنذرا من كفر بالبار. وما من أمة من الأمم إلا جاء لها نذير أي ونشير، وإنما اقتصر على النذير لأنه المناسب لحال كفار قريش، وإنما فعل ذلك سبحانه لأنه عادل حكيم والحكيم لا يفعل شيئا عبثا فلا يصح أن يترك ملائكة من الناس كبيرة في أي عصر دون أن يرشدوا لما فيه صلاحها ويحذروها، انظر الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، وانظر تفصيل ذلك في الآية (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٢. وإن يكذب قومك أيها النبي فلا تحزن فقد كذبت الأمم قبلهم رسلهم حال مجيئهم لهم بالمعجزات الواضحات، وبالمواعظ التي تهز القلوب، وبالكلمة الموضحة لطريق المصواب، فعاقبتهم بأخذهم بالمعقوبة الشديدة، فانظر كيف كان أثر إنكارهم عملهم وفضيبي عليهم، ثم شرع سبحانه في تقرير قدرته ووحدايته بأدلة سماوية وأرضية يشاهدونها كل لحظة فقال هوالم تر أن الله: إلخ: أي ألم تنظر وتتأمل أن الله ينزل من السماء ماء واحدا فيخرج به ثمرات مختلفا ألوانها بالعمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك. ومن بديع صنعه تعالى في الجبال أن منها ما هو ذو خيوط بيض وحمرة مختلف ألوانها في البياض والعمرة من شديد البياض والعمرة إلى متوسطها إلى ضعيفها، ومنها خيوط سوداء شديدة السواد كالنجم، وهذا لون غريب في الجبال. ومن الناس والدواب والأنعام والإبل والنعمة والبقرة مختلف ألوانه كاختلاف ما تقدم، فمن تأمل هذا الصنيع العجيب علم بديع صنع الله فخشيته حق الغشبية: لأنه لا يخشى الله عن بيته إلا العلماء الذين يعلمون على أسرار صنعه. هؤلاء هم الذين ينجح قينهم الإنذار المستقدم في الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٥٧٤: إن الله غالب يخشى المؤمنون غضبه، كثير المغفرة لمن رجع إليه بالتوبة. ثم هدد من يقصر، ويشتر من يرجع، فقال: إن الذين يتلون كتاب الله تلاوة تدبر تستلزم العمل بما فيه، وأقاموا الصلاة بشروطها، وأنفقوا بعض ما رزقهم الله سرا في الصدقات، وعالانية في الواجب كالزكاة، يفعلون ذلك راجين تجارة مع الله غير كاسدة: لأن من تاجر مع الله لا يبور تجارته أبدا أي لن تكسد وتفسد، انظر الآية (١٠) وما بعدها من سورة الصف صفحة ٧٣٩. هؤلاء يرجون تلك التجارة ليوفيقهم رهم أجورهم، ويريدهم من فضله أمهاتا كثيرة كما في الآية (٣١) من سورة البقرة صفحة ٥٥: لأنه سبحانه كثير المغفرة لهؤلاء.

وإن أمسكهم! الخ (إن) حرف نفى بمعنى (ما) و(من) تدل على عموم ما بعدها.

المعنى: يستغيث الكفار في جهنم ويقولون يا ربنا اخرجنا منها نفعل عملا صالحا غير العمل الطالح الذي كنا نعمله في الدنيا. فيقال لهم توبيعنا وتبكيها: ألم نصبر عليكم ونظّل أعماركم زمنا يتمكن فيه من التذكر والتدبر من يريد أن يتذكر يا خلاص، وجاهكم مع ذلك رسولنا ينذركم بعقاب الله إذا خالفتم أمره، فلم يحصل منكم إلا الكفر والمناد، فذوقوا اليوم عذاب جهنم، فليس لكم أيها الظالمه من ينصركم ويدفع العذاب عنكم، انظر آيتي (٥٩، ٥٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٤. ولما كان يجول في بعض الغواطر أنهم لو أجيبوا إلى طلبهم لاستقاموا، دفع ذلك سبحانه بأنه عالم بكل ما غاب في السموات والأرض وأنه عالم بدخائل الصدور، وعلم أنهم لو أجيبوا وعادوا للحياة الدنيا لما اعتبروا ولعلب عليهم طبعهم، انظر آيتي (٢٨، ٢٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦.

ثم بين سبحانه أنه مكن لهم في الأرض فكان عليهم أن يشكروه، ولكنهم كفروا، فقال: هو الذي جعلكم خفاء في الأرض لعمارتها، وبهكم إلى أن من شكر نعمة ربه عليه فشكره عائد عليه بالفائدة، ومن كفر ولم يشكر فويل كفرة عليه، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا أي غضبا شديدا، ولا يزيدهم إلا خسرا لكل خير في الدنيا والآخرة. ثم رجع إلى توبيخهم على الشرك فقال هؤلاء شركاءكم الذين هم شركاءكم في خلق السموات فويل أي خبروني في الدنيا والآخرة. ثم رجع إلى هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله تسموئهم دونه لقضاء حاجاتكم أروني أي جزء من الأرض انفردوا بخلقه، أم لهم شركة مع الله تعالى في خلق السموات فهل أتينا هؤلاء المشركين كتابا يدلهم على صحة شركهم فهم على علم وحجة واضعة بصحة ما يزعمون؟ الحق أنه لا شيء من ذلك، بل الواقع أن القادة الظالمين لا يعدون أتباعهم إلا باطلا مزخرفا، انظر ما تقدم في صفحة ٥٦٧.

وبعدما بين ضعف معبوداتهم، وأنها لا تفعل شيئا، أثبت لنفسه تعالى جلال الأعمال فقال: **وإن الله يمسك الخ:** أي أنه وحده هو الذي يمنع اختلال نظام السموات والأرض فيفضضها من أن تزولا من الوجود، ولئن فرض أنهما زالتا ما أمسكهما أحد غيره تعالى.

بِئْسَ بَعْدُ لَهُ كَانَ حَيًّا قَوْمًا وَأَقْسَمُوا لِلَّهِ جَهَنَّمَ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِّنْ نَّذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَلَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِّنْ نَّذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَلَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِّنْ نَّذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَلَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِّنْ نَّذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَلَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِّنْ نَّذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ

(٦١) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿أجل مسمى﴾: أي أجل معين هو يوم القيامة.

المعنى: ولئن زالت السموات والأرض لا يمسكها أحد غير الله تعالى إنه سبحانه كان حليما على هؤلاء المشركين، فلم يجعل يعاقبهم غفورا لمن يتوب منهم، انظر الآية (٤٥) الآتية والآية (٨٢) من سورة طه صفحة ٤١٢، والآية (٧٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨.

ثم أراد سبحانه أن يثبت أن عادة كفار قريش الكذب، وأنهم غير صادقين فيما قالوه في الآية (٣٧) المتقدمة من هذه السورة، فقال: **﴿وأقسموا بالله﴾** الخ: وذلك أنه كان بلغهم قبل مبعثه ﷺ أن طائفة من أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنهم، واجتهدوا في الحلف بالله قائلين

(١) إيمانهم. (٢) سنة. (٣) سنة. (٤) سنة. (٥) عاقبة. (٦) السموات.

المفردات: - ﴿وأقسموا بالله﴾ جهنم

إيمانهم: - المراد مؤكدين إيمانهم، كما تقدم في الآية (٥٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٨، ١٤٧

﴿نذير﴾: رسول.

﴿من إحدى الأمم﴾: إحدى هنا مراد بها العموم.

﴿يحقيق﴾: أي ينزل ويحيط.

الأولين: - أي عادة الله تعالى في مجازاة الأمم السابقة التي عصت رسلها.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ الخ: تقدم في الآية

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: «يس»: تطلق ياسين، يسكون آخرها. وتقدم أول سورة البقرة المراد من مثلها.

«الحكيم»: صاحب الحكمة وهي وضع كل شيء في محله.

«صراط مستقيم»: تقدم في الآية (٦) من سورة الفاتحة صفحة ٢.

«ما أنذر آبائهم»: تقدم بيان ذلك في شرح الآية (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٣.

«حق القول»: تقدم في شرح الآية (٨٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٤.

«أغلا لا»: مفردا غل بضم أوله وهو طويق من حديد تشد اليد إلى العنق للعذيب.

«الأذقان»: جمع ذقن بفتحين وهي آخر الوجه من أسفل. «متمحون»: جمع متحج بضم فسكون ففتح. وهو الذي رفع رأسه وغض بصره. يقال: أقمح الغل الرجل. أي جعل رأسه مرفوعاً من ضيقه. «بين أيديهم»: أمامهم.

«أغشيانهم»: جعلنا على أبصارهم غشاوة كما في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤.

المعنى: اشتملت هذه السورة أيضاً كالسور المكية على إثبات الأصول الثلاثة: الوجدانية والرسالة والبعث، كما اشتملت على ضرب الأمثال وذكر القصص للعبارة، ولما كان كثر قريش قالوا للنبي ﷺ لست مرسلًا كما في الآية (٤٣) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨، رد سبحانه

(٧) أغلا لا.

(٨) فاعشيانهم.

(٩) أنذرهم.

(١) ياسين.

(٢) القرآن.

(٣) صراط.

والله لئن جئنا رسول لنكونن أهدى من كل واحدة من أمم اليهود والنصارى وغيرهم فنؤمن جميعاً، انظر الآية (٦٧) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٦، فلما جاء محمدٌ نذيراً لهم من قبل الله ما زادهم حجته إلا نفورا من الحق وتباعداً عن الهدى حال كونهم مستكبرين في الأرض عن الإيمان به وماكرين بالرسول المكر السيئ، انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١. ولا يحيط المكر السيئ إلا بأهله. ومن هذا يعلم أن من مشركي العرب من كان يؤمن بأن لله رسلاً من البشر كهم كفروا بنبيينا عناداً فقط انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآية (٤٨) من سورة القصص صفحة ٥١٣، ٥١٤. كما أن منهم من لا يقول برسول من البشر كما في الآية (٩٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٧، والآية (٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠.

ثم هددهم فتال: «فهل ينظرون» إلخ: أي لا ينظر هؤلاء إلا مثل ما فعله الله مع الأولين المكذبين لرسولهم مثلهم من العذاب الشديد. ولن تجد لعادة الله تعالى تبديلاً، فلن يضع موضع عذاب المكذب رحمة، ولن تجد لعادته تعالى تحويلاً بأن ينقل عذابه من المكذبين لغيرهم، ثم استشهد على ما سبق فقال «أولم يسيروا في الأرض» إلخ: أي هل قعدوا ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين قبلهم من الهلاك والدمار مع أنهم كانوا أشد قوة؟ وذلك لأن الله لم يكن يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، بل لابد من أن يفعل ما يريد، ولا يقف شيء في طريق قدرته لأنه عليم بكل شيء في الوجود، فلا يخفى عليه منه شيء، قد يرفعل ما يشاء. ثم أراد سبحانه أن يبين سبب عدم إهلاكهم كما فعل بغيرهم، وأن ذلك مرجعه لسمة حلمه سبحانه وتعالى. فقال «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من الذنوب ما ترك على ظهر الأرض، المفهومة مما سبق، دالة واحدة لا من إنسان ولا من غيره: لأن شوم المعاصي يعم الجميع. وقيل الدابة هنا لمن يعقل فقط. ولكن اقتضت حكمته أن يؤخرهم إلى يوم القيامة، فإنما جاء هذا الأجل المضروب لهم فإنه سيجازى كلا على قدر عمله بكل دقة: لأنه كان بصيراً بأعمال عباده فيجازى عن علم. والله تعالى أعلم.

المفردات: ﴿إنما تنذر﴾: المراد إنما

ينفتح بتحذيرك.. إلخ انظر الآية (٥٥) من

سورة الذاريات صفحة ١٩٦.

﴿الذاري﴾: هو القرآن. انظر الآية (٩) من

سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

﴿خشى الرحمن بالنيب﴾: خاف ربه في

خلوته كما تقدم في الآية (١٨) من سورة

فاطر صفحة ٥٧٤.

﴿ما قدموا﴾: أي من أعمال. انظر الآية

(١٣) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩.

﴿آثارهم﴾: أعمالهم التي بقيت بعد موته

من حسنة وسيئة كبناء مسجد أو مدرسة

أو مصحة أو كتاب نافع، أو سيئة كخيرية طائلة أو إزالا شعب أو طائفة من الناس إلى غير ذلك.

﴿إمام﴾: هو اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب وقوتها.

﴿واضرب لهم مثلاً﴾: انظر الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤.

﴿القرية﴾: هي انطاكية ففتح أولها وسكون النون وكسر الكاف مع الياء المحذوفة. وهي الآن

في مقاطعة اسكندرية التابعة لتركيا. وقد انكر ابن كثير في تفسيره أنها انطاكية واستدل

على ذلك بأدلة.

- (١) آثارهم.
- (٢) إحصيائهم.
- (٣) أمصارهم.
- (٤) البلاع.
- (٥) طائركم.
- (٦) النون.
- (٧) يا قوم.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَذِيَ الرِّجْلُ الْغَلِيظَ
فَتَنِيذِرَةٌ وَمِثْلُهُ نَازِحٌ مُّرْجِيٌّ ﴿٥٥﴾ وَأَنْتَ خَلَقْتَ
وَرَبَّكَ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ وَكُلٌّ فِي أَفْئِدَةٍ
فَإِنْ أَمْرٌ مِثْلُ الْقُرْآنِ فَتِلْكَ الْأَفْئِدَةُ
جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ
فَنَزَّلُوا بِآيَاتٍ فَتِلْكَ الْأَفْئِدَةُ
الَّتِي لَا يَنْفَعُهَا شَيْءٌ وَالَّذِينَ لَا
تُكْفَرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَلْزَمْنَا بَاطِلَ الْهَيْمَنِ
وَمَا عَمِلُوا إِلَّا الْإِثْمَ وَالْكَرْبَ ﴿٥٨﴾
لَئِنْ أَرْتَبْنَا لُزُومَ الْوَعْدِ فَتِلْكَ الْأَفْئِدَةُ
فَأَلْزَمْنَا بَاطِلَ الْهَيْمَنِ وَكُلٌّ فِي أَفْئِدَةٍ
فَإِنْ أَمْرٌ مِثْلُ الْقُرْآنِ فَتِلْكَ الْأَفْئِدَةُ
الَّتِي لَا يَنْفَعُهَا شَيْءٌ وَالَّذِينَ لَا
تُكْفَرُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَلْزَمْنَا بَاطِلَ الْهَيْمَنِ
وَمَا عَمِلُوا إِلَّا الْإِثْمَ وَالْكَرْبَ ﴿٦٠﴾

عليهم هنا بقوله: ﴿والقرآن الحكيم﴾... إلخ: أي وحق هذا القرآن الممتلئ حكمة أنك أيها
التي من الذين اخترناهم لتبليغ رسالتنا للخلق، وإليك سائر على صراط مستقيم وهو دين
الإسلام. نزل تنزيلًا من الله العزيز الخالب الذي لا يعمه مخلوق عن تنفيذ ما يريد. الرحيم
بعباده إذ أرسل إليهم من يرشدونهم إلى طريق النجاة، انظر الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء
صفحة ٤٢٢. أنزلنا عليك هذا القرآن لتنذر كفار قريش الذين في عهدك الذين لم ينذر
آباؤهم الأقرين على لسان رسول خاص إنذارًا مباشرًا، وإن كانوا وصلتهم تعاليم إبراهيم
وجاهم بها اسماعيل، انظر الآية (٢٤) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤، ٥٧٥: وكل هذا في غير
اعتقاد وجود الخالق وتوحيد، أما اعتقاد وجود الخالق سبحانه وتحيده فلا يحتاج إلى رسول
كما سبق بيانه في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٣٢١.

ثم جاء بما هو علة الإنذار فقال: ﴿فهم غافلون﴾ أي لأنهم في غفلة عن الصواب كما تقول
(اسق فلانًا فإنه عطشان)، ثم أراد سبحانه أن يبين أن الإنذار يقطع جحهم كما في الآية
(١٦٥) من سورة النساء صفحة ١٢١ فقال: ﴿ولقد حق القول﴾ إلخ: أي أنذرهم لتقوم عليهم
الحجة؛ أما حقيقتهم فإنما نعلم أن أكثرهم من أتباع إبليس، وأن كلمتي حقت عليهم بأن يدخا
جهم، انظر الآية (١٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٤: لكل ذلك فهم لا يؤمنون أبدًا. ثم صور
حالهم الذي جعلهم لا يؤمنون فقال إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي محيلة بالنق ومرقمة
إلى دقونهم لكونها عريضة فهم لذلك مرتقعة رؤسهم إلى أعلى فشيء إصرارهم على الكفر
واستكبارهم على الحق وعدم تواضعهم لاستماعه بالأقمار؛ لأن المقمح لا يطأ رأسه.
وشبه عدم نظرهم في العواقب المستتيلة بمن سد الطريق أمامه. وشبه عدم تفكيرهم في
أحوال الأمم الماضية بمن وضع خلفه سد فلا يستطيع الرجوع إلى الوراء، فكانت النتيجة أن
أعينهم أصبحت لا تبصر شيئًا من أدلة الحق، كأن عليها غشاوة؛ ولذا قال: ﴿فهم لا
يبدرون﴾. وإذا كان الأمر كذلك فأرج نفسك أيها النبي منهم فإن إنذارك وعدمه مستويان
فنتيجتهما واحدة وهي أنهم لا يؤمنون أبدًا. انظر نظير ذلك في آيتي (٧، ٦) من سورة البقرة
صفحة ٤.

﴿المرسلون﴾: قال قوم هم رسل عيسى عليه السلام. وقال ابن عباس وجماعة إنهم رسل من عند الله أيد بهم عيسى كما أيد موسى بهارون. وأيدوا رايهم بأمور منها قوله تعالى ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ ومنها قول أهل القرية ﴿وما أنتم إلا بشر مثنا﴾ والبشرية لا تنافى عندهم إلا الرسالة من قبل الله تعالى لا من قبل شخص آخر.

ومنها قول الرسل ﴿وما علينا إلا البلاغ﴾. وهذا غير مهوود إلا في رسل الله.

﴿عزنا﴾: أي قويتنا.

﴿تطيرنا بكم﴾: تقدم في الآية (٤٧) من سورة النمل صفحة ٥٠٠.

﴿طائركم معكم﴾: أي شؤمكم معكم.

﴿أئن ذكرتكم﴾: معناه هل إن ذكرناكم بما أمرنا الله تعالى به تهددوننا بالقتل؟

﴿بل﴾: حرف يدل على الانتقال من كلام إلى آخر.

﴿مسرفون﴾: المراد: متجاوزون الحد في الطغيان والكفر.

﴿المدينة﴾: هي القرية المتقدمة.

﴿رجل﴾: هو حبيب النجار كان يخفي إيمانه، ولما سمع بالرسول جاء ليسبأ عدهم وينقذهم من ظلم قومه.

﴿يسعى﴾: أي يسرع.

المعنى: بعد ما بين سبحانه عدم نفع الإنذار في كفار قريش، أتبع ذلك ببيان من يستفيد منهم فقال: ﴿إنما تندر﴾ إلخ: أي إنما ينتفع بإنذارك من أتبع ما في القرآن وتأمل فيه، وخشى عقاب الله بينه وبين ربه لا يرائي أحداً، ولم يفتر برحمته سبحانه فإنه مع سعة رحمته شديد العقاب لمن لا يشكره عليها ويقتدر فضله بها، انظر آيتي (٤٩، ٥٠) من سورة الحجر صفحة ٦١٧.

فبشر من يفعل ذلك بمغفرة من الله تعالى لدنوبه، وأخبر حسن هو نعيم الجنة. ثم بين سبحانه ما يساعد من تأمله على خشية فقال ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ إلخ: أي إنا وحدنا

سنحيي الموتى من قبورهم يوم القيامة، وفي الدنيا نأمر الملائكة أن تكتب ما قدموه من خير أو شر في صحائفهم، وكذلك تكتب أعمالهم التي تبقى بعد موتهم حسنة أم سيئة، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحات (٣٨٧، ٣٨٨)، والآية (٢٩) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤.

وقال في هذا سورة يس (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة). ثم أكد سبحانه ما سبق فقال ﴿وكل شيء﴾ إلخ: أي وكل شيء في هذا الوجود ومنه عملكم أحصيناه وحفظناه في اللوح المحفوظ.

ثم أراد سبحانه أن يذكرهم بما حل بأمثالهم لعلهم يرجعون فقال ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ إلخ: أي اجعل أيها النبي قصة أصحاب القرية مثلاً لقومك إذ اتفقوا معهم في الكفر والإصرار على التكذيب؛ وبين لهم قصتهم حين جاءهم المرسلون لإقتادهم من الشرك، ثم فصل كيف كان ذلك فقال (إذ أرسلنا) إلخ: أي حصل ذلك حين أرسلنا إليهم رسولين فكذبوهما، فقولناهما برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل أنطاكية: إنا إليكم مرسلون.

فاستمروا على التكذيب وقالوا: ما أنتم إلا بشر مثنا لا فضل لكم حتى يميزكم الله علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من شيء من الوحي، ما أنتم إلا تستسيغون الكذب ولا تستحقون منه. ﴿قالوا ربنا يعلم﴾. العرب تستعمل هذا التركيب في القسم، أي والله إنا إليكم مرسلون، وما يطلب منا إلا أن نبلغكم رسالة ربنا واضعجة. قالوا إنا تشاء منا بكم لأنكم تطالبون منا أن نخالف ما كان عليه آبائنا، ووالله إن لم تنتهوا عن قولكم هذا لنقتلنكم رجماً بالحجارة، أو لنعذبكم بالسجن مع المجرمين قالوا: سبب شؤمكم معكم وهو كفركم. ثم تعجبوا من حالهم مع توبيخهم فقالوا ﴿أئن ذكرتكم﴾ إلخ: أي هل إن ذكرناكم بما فيه مصالحكم تهددوننا بالقتل؟ بل أنتم قوم مسرفون في الظلم والطغيان. في أثناء هذا الجدل جاء من أبعد مكان في المدينة رجل يسرع، وقال: يا قوم اتبعوا المرسلين.. إلخ.

المفردات: ﴿فطرني﴾: خلقتني.

﴿صيحة﴾: هي صوت شديد يصدر من أحد الملائكة لا يسمعه حي إلا مات.

فإذا اتبعوهم اهتديتم. عند ذلك شعر أهل القرية أنه آمن بهم وقد كانوا يطوفونه على دينهم، فقالوا له: هل آمنت بهم؟ فطُغف بهم؟ فطُغف في إرشادهم بكلام يشعر أنه ينصح به نفسه، وأنه لم يختار لهم إلا ما اختار لنفسه، فقال: وما لي لا أعبد الذي فطرني ثم أشعرهم بالخوف من الله فقال: وإليه ترجعون في الآخرة. ثم نفى عن نفسه أنه يبد غير الله تعالى في أسلوب استقحام فقال: هل يصح أن اتخذ من دون الله الهة؟ ثم بين السبب في نفيه بقوله: إن يرزني الرحمن بغيري، أي إن أراد الله أن يضرني لا تتمنى شفاعتهم عنده شيئاً على فرض أنهم سيشفعون، فليس لهم عنده تعالى منزلة، وليس عندهم قوة يقدرن بها. إنى إذا عبت غيره تعالى والله نفى ضلال واضح. انظر ما سبق في شرح مبین في الآية (٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٦. ثم جهر بالحق مظهر عدم المبالاة بهم فقال: إنى آمنت بربكم الذي ليس لكم إله غيره، فاسمعوا جميع ما قلت واعملوا به. عند ذلك فتكوا به وقتلوه، وعقب قتله بشرته الملائكة بأن روحه مع أرواح الشهداء في الجنة والمراد في نعيم لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى، كما أن الكافر يدخل عقب موته في نار لا يعلمها غيره تعالى، انظر الآية (٢٥) من سورة نوح صفحة ٧٦٩. فلما شعر بالسعادة قال: هيا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى وجعلني من المكرمين. ثم أراد سبحانه أن يبين ما اقتضته حكمته في إهلاكهم من احتقار شأنهم فقال: وما أنزلنا على قوم هذا الرجل الصالح من بعد موته جنداً من السماء لإهلاكهم، وما كان يصح في حكمنا أن نعمل ذلك لأننا نهلك كل قوم بما يليق بهم، انظر الآية (٤٠) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦. وفي الكلام تعظيم شأن نبينا ﷺ، لأن الله سبحانه أنزل له ملائكة تشد عزائم أصحابه، انظر الآية (١٢٥) من سورة آل عمران صفحة ٨٣. ثم بين سبحانه ما أملاكهم به فصاح فقال: (إن كانت) إلخ. أي ما كانت الفعلة التي أملاكهم بها إلا صبيحة واحدة لا أكثر، صاح بها جبريل عليهم فإذا هم ميتون فيما أيها السامعون يحق لكم أن تتحسروا حسرة شديدة على عباد خلقهم الله تعالى وتفضل عليهم ثم كفروا برسله، فما يأتيهم رسول من ربهم إلا كانوا به يستهزئون! ثم ويخ سبحانه كفار مكة على إهلاكهم ما يعلمونه مما يدل على خيبر ما هم فيه فقال: (هو) لم يروا إلخ. أي هل جهلوا ولم يعلموا إهلاكاً أمماً كثيرة قليلهم حاكمين عليهم أنهم لا يرجعون إليهم، بل يرجعون إلينا نحن لمجانزاتهم بما يستحقون وفي الكلام تحكم بكفار مكة وإبرار إهلاكهم بما لا يسمح أن يجهل، وما ذلك إلا لأنهم كانوا مثلمهم فيجب أن يعتبروا، ثم هددهم بما سيلاقهم يوم القيامة فقال: (هو) أن كل إلخ. أي وما لكم إلا جميع... إلخ.

الْمُرْسَلِينَ ۝ أَيْمُنًا لَا يَنْفَكُوا مِنْهُمْ
مُتَدُونٌ ۝ وَمَا لِلْأَعْمَى أَنْ يَحْكُمَ
بِأَيِّ شَيْءٍ ۝ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
عَذَابَ اللَّهِ الْكَبِيرِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ
لِلْإِنْسَانِ سَمْعًا ۖ وَلَئِنْ سَمِعْ
أَلَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانَ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَاسْمَعُونَ ۝ وَلَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانَ
بِلِسَانٍ ۖ فَكَلَّمَهُ ۖ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ۝ مَا تَقُولُ رَبِّ وَمَا تَدْعُو
مِنَ الْمَكْرُورِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا
كَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ نَبِيٍّ
وَمَا تَكُنْ لِنَفْسٍ أَنْ يَنْفَكُ عَنْهُمْ
خُدُودٌ ۝ يُخَوِّدُونَ عَلَى الْبَيْتِ
الْبَيْتِ ۖ وَاللَّهُ يَوْمَ يَكْفُلُ لَهُمْ
إِلَّا كَأَنَّهُمْ بِبَيْتِهِ يَشْتَرُونَ ۖ
وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ
الْكَبِيرِ ۖ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

فخادمون: ميتون هادمون كما تغد النار. هيا حسرة على العباد: المراد بالعباد هنا هم كل من كذبوا رسلهم، وبدخل فيهم المهالون هنا دخولاً أولياً، وأصل معنى الحسرة النعم على ما فوات وأريد به هنا لازمها وهو التآلم، ولو كان للغير والمعادى محذوف. يقول العربي يا رعاك الله أقل كذا مثلاً، يريد يا هذا الرجل رعاك الله... إلخ، فالمراد هنا يا أيها السامع العاقل يحق لك أن تتحسر حسرة شديدة وتتآلم لأجل هؤلاء الكفار حيث فوتوا على أنفسهم السعادة الأبدية. والغرض تبشيع حالتهم حتى يعذر السامعون سلوك طريقهم.

فأولم يروا: هذا استفهام تقريرى، أى قدروا أنكم رأيتم أى علمتم، انظر مثلها في الآية (١) من سورة الشرح صفحة ٨١٢.

فكم أهلكنا قبلهم من القرون: كم تنقيد معنى الكثير ولهم القرون: بيان لهذا الكثير.

فأنهم إليهم لا يرجعون: معمول لفعل مقدر مفهوم من سياق الكلام وهو حكمنا وقضينا أنهم لا يرجعون.

هو أن كل لما: (إن) هنا حرف نفى بمعنى (ما) و(لما) بمعنى (لا) انظر الآية (١١١) من سورة هود صفحة ٢٠٠ أى ما كل واحد منهم إلا... إلخ.

المعنى: قال هذا الرجل المؤمن مخاطباً أهل أنطاكية: يا قوم اتبعوا رسل الله ثم رضيتهم فقال: اتبعوهم لأنهم لا يسألوكم على رسالتهم شيئاً من حطام الدنيا، والحال أنهم مهتدون.

- | | | | | | |
|-------------|--------------|-------------|---------------|----------------|-----------|
| (١) يسألهم. | (٢) اتبعوهم. | (٣) آلهة. | (٤) شفاعتهم. | (٥) ضلال. | (٦) آمنت. |
| (٧) يا ليت. | (٨) واحدة. | (٩) خامدون. | (١٠) يا حسرة. | (١١) يستهزئون. | |

﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾: إن حرف نفى أى ما أنتم.

﴿الْوَعْدِ﴾: المراد: الموعود به وهو البعث.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: أى ينتظرون،

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: أى يختصمون فى البيع والشراء ومشاكل الحياة، فالمراد: بغتة وهم لا يشعرون بها، انظر الآية (٢٠٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢.

﴿نَفْخَ فِي الصُّورِ﴾: المراد هنا: النفخة الثانية، انظر الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾: إذا تقييد مفاجأة ما بعدها لما قبلها.

﴿الْأَجْدَاثِ﴾: جمع جدث بفتح تين، وهو القبر.

﴿يَسْرِعُونَ﴾: أى يسرعون، انظر آيتى (٩٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣٠ و (٤٣) من سورة المعارج صفحة ٧٦٧.

﴿يَا وَيْلَنَا﴾: أى يا هلاكنا وهى كلمة يقولها المتحسر.

﴿مَنْ مَرَقَدْنَا﴾: المراد: مَنْ رقادنا، وذلك أنهم لما شاهدوا هول القيامة تصوروا أن كل ما قضوه فى القبور كان نومًا، ومهما كان فيه من العذاب لا يساوى شيئًا بالنسبة لما شاهدوه انظر آيتى (٤٥) من سورة يونس صفحة ٢٧٢ و (٥٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١.

المعنى: - ومن فضلنا عليهم أننا خلقنا لهم ما يركبونه مثل السفن، وإن نشأ إغراقهم هم وذريعتهم نغرقهم فجأة فلا يستطيعون استغاثة، وإذا فرض أن استأنفوا فلا أحد ينقذهم؛ ولكن رحمة منا بهم جعلناهم يتمتعون بالحياة إلى حين انتهاء آجالهم، ومن جزائهم كفار قرئش أنهم كانوا إذا قيل لهم احذروا عذاب الآخرة أو عذاب مثل ما حال بمن قبلكم راجين من الله تعالى

رحمته لم يبالوا واستمروا فى إضرابهم، ثم بين عدم ميلاتهم بقوله ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أى ما تأتيهم حجة من الحجج التى ساقها الله تعالى لهم إلا استمروا فى إضرابهم عنها.

وبعد ما بين إضرابهم عن خالقهم بين قسوة قلوبهم على المخلقين المحتاجين فقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْقِضُوا﴾ أى وإذا قال لهم بعض المؤمنين ناصحين لهم، كما نصح المؤمنون قارون فى الآية (٧٧) من سورة القصص صفحة ٥١٨ يقولهم أعطوا المساكين بعض ما رزقكم الله، قال هؤلاء الكافرون بالله وينعمته للمؤمنين مغالطة هل تطعمون أن تكون أحسن للفقراء من الله؟ لو شاء الله إطماعهم لأطمعهم، ما أنتم أيها الناصحون إلا فى بعد عن الصواب حيث تريدون أن تطعم من حرمه الله، وهذا فوق أنه هو الضلال، جهل بحكمة الله تعالى فى تفاوت الخلق فقرًا وغنى، لأنه سبحانه جعل ذلك اختبارًا للفنى أشكر ويتصدق أم لا؟ وهل يصبر الفقير أم لا؟ انظر شرح الآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، وأيضًا ليتخذ بعضهم بعضا سخريًا، انظر شرح الآية (٣٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠، وبعد ما بين بخلهم وتضليلهم ودفاعهم عنه بين سبحانه إنكارهم للبعث فقال ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى﴾ ... أى ويقول هؤلاء المشركون على سبيل الاستهزاء بالرسول ﷺ وأصحابه متى هذا البعث الذى تهددوننا به؟ أخبرونا عن وقته إن كنتم صادقين فى أنه آت، ورد سبحانه بقوله ﴿يَوْمَا يَنْظُرُونَ﴾ أى لا ينتظر هؤلاء وأمثالهم إلا صيحة واحدة هى نفخة إسرافيل الأولى المصرح بها فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ تأخذهم فجأة وهم متخاضعون فى أمور الدنيا، فلا يستطيع الواحد منهم أن يوصى فى أمواله وأولاده لأحد، ولا يستطيع من كان بعيدًا عن أهله أن يرجع إليهم، ونفخ فى الصور النفخة الثانية، فإذا هم من القبور يسرعون إلى لقاء ربهم للحساب، وعندما يشاهدون الأحوال يقولون قولًا مقطوعًا بتحقيقه: يا هلاكنا من الذى أيقظنا من نومنا؟ فترد عليهم الملائكة توبيخًا لهم: هذا الذى تشاهدونه هو ما وعد به الرحمن... إلخ.

الآية (٥) من سورة الحج صفحتي ٣٣٣، ٣٣٤ والآية (٥٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٨.

﴿الشعر﴾: انظر المراد من الشعر هنا في الآية (٧٢٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٣.

﴿إن هو إلا ذكر﴾: إن حرف نفى بمعنى (ما) أي ما هذا المنزل على رسولنا إلا تذكير للماقل وقرآن يتلى.

﴿من كان حيا﴾: أي عاقلا يحفظ الضمير متاملا لأن الغافل كالميت.

﴿يرى القول﴾: تقدم في الآية (٨٧) من سورة النمل صفحة ٥٠٤.

﴿أيننا﴾: الذي يجب علينا أن نفهمه من ذلك أنه سبحانه خلقه بلا شريك ولا معين.

﴿أعماها﴾: هي الإبل والبقر والغنم. ﴿ذللتها لهم﴾: جعلناها متقادة لهم. ﴿مركوبهم﴾: مركبوهم كحلوب بمعنى محلوب. ﴿مشاربهم﴾: جمع مشرب بمعنى مشروب أي اللبن. كما تاكل أي المأكول.

المعنى: يقال اليوم ادخلوا النار بما كنتم تكفرون. ويبلغ من حيرتهم أنهم حين يسألون في الحساب عن أعمالهم تخرس ألسنتهم، وتطق أيديهم وأرجلهم بكل ما كسبوا من سيئات، ثم أراد سبحانه أن يبين شمول قدرته وأنهم كانوا يستحقون أن يعذبهم في الدنيا حالا، ولكن سعة رحمته اقتضت إمهالهم لعل فيهم من يرجع إلى الصواب فقال: ﴿ولو نشاء﴾ أي لو شئنا محو أبصارهم لنملا وأعماهاهم، فإذا تسابقوا إلى الطريق كعادتهم فلا يمكن أن يبصروا. ولو نشاء لمسخناهم أي أهلكناهم رغم ظنهم أنهم أقوياء، ثم أراد سبحانه أن ينبههم إلى قدرته على البعث بحالة يشاهدونها في أنفسهم فقال: ﴿ومن نمره﴾ أي ومن نزل عصره تغلب حاله من قوة في جسمه وعقله إلى ضعف فيها. فهل غفلوا عن هذا فأصبحوا لا يعقلون أن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف يقدر على أن يطيس على أعينهم ويمسحهم ويبعثهم بعد الموت. ولما كان افتراؤهم عليه ﷺ يقولهم إنه شاعر وأن ما جاء به من القرآن شعر أي خيالات وأوهام لا حقيقة لها، لما كان كل هذا، رد سبحانه - بقوله: وما علمناه الشعر. وما ينبغي لرسولنا ذلك؛ لأنه لا يقول إلا الحق، وما هذا الذي جاء

تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ الْيَوْمَ نَكْتُمُ عَنْ أَعْقَابِهِمْ ذِكْرَهُمْ ﴿٢﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورَهُمْ ﴿٣﴾ وَنَسْفَعُ الْمَغْصُومَاتِ فِي بُطُونِهِمْ ﴿٤﴾ ذُنُوبَهُمْ ثِقْلَ أَوْسَارِهِمْ ﴿٥﴾ وَالْعِزَّةَ وَالْجَلَالَهٖ ﴿٦﴾ وَنَسْفَعُ الْمَغْصُومَاتِ فِي بُطُونِهِمْ ﴿٧﴾ ذُنُوبَهُمْ ثِقْلَ أَوْسَارِهِمْ ﴿٨﴾ وَالْعِزَّةَ وَالْجَلَالَهٖ ﴿٩﴾ وَنَسْفَعُ الْمَغْصُومَاتِ فِي بُطُونِهِمْ ﴿١٠﴾ ذُنُوبَهُمْ ثِقْلَ أَوْسَارِهِمْ ﴿١١﴾ وَالْعِزَّةَ وَالْجَلَالَهٖ ﴿١٢﴾

المفردات: ﴿اليوم نختم﴾ .. إلخ: انظر الآية (٢٤) من سورة النور صفحة ٤٦٠، والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢.

﴿استبقوا الصراط﴾: تقدم في الآية (٢٥) من سورة يوسف صفحة ٢٠٦.

﴿فاني﴾: فكيف.

﴿لمسخناهم﴾: المسخ تحويل حالة الشيء من حسنة إلى قبيحة، قال ابن عباس لمسخناهم أي أهلكناهم.

﴿على مكانتهم﴾: (على) بمعنى (مع) كما في قوله تعالى ﴿أتى المال على حبه﴾ إلخ.

الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحتي ٣٢، ٣٤.

والمعنى مع تمكثهم في القوة والعُدَّة والعدَّة وظنهم أن لا غالب لهم فنأخذهم من حيث لا يشعرون بما يهلكهم.. فهو نظير ما في الآية (٨٢) من سورة غافر صفحتي ٦٢٨، ٦٢٩ والآية (١٥) من سورة غافر صفحة ٦٣١، وانظر أصل معنى المكالمة في شرح الآية (١٣٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٥.

﴿مضيا ولا يرجعون﴾: لا يستطيعون ذهابا وإيابا والمراد: هلكوا.

﴿نمره﴾: تقدم في الآية (١١) من سورة فاطر صفحة ٥٧٣.

﴿ننكسه في الخلق﴾: أصل التنكيس جعل الأعلى أسفل، والمراد نجعل قوته ضعفا، انظر الآية (٥) من سورة الحج صفحتي ٣٣٣، ٣٣٤ والآية (٥٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٨.

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) أفواههم. | (٦) الصراط. |
| (٢) لمسخناهم. | (٧) استعاضوا. |
| (٣) علمنا. | (٨) قرآن. |
| (٤) الكافرين. | (٩) العلم. |
| (٥) ما يكون. | (١٠) ذللتها. |
| (٦) منافع. | (١١) آلهة. |

﴿رؤسهم﴾: أى بالقديم. يقال رم يرم بوزن حن يحن إذا بلى وتفتت، فهو فعيل بمعنى فاعل وإنما لم يؤنث فيقال (رؤسية)؛ لأنه لقلية استعماله غير مسبوق بموصوف صار الأسماء الجامدة التى لا يعرى عليها حكم الصفات، وأما إذا كان (رؤسهم) مأخوذاً من قولهم رمت البقر العجاشيش أى اكلمته وكان ما بلى وتفتت اكلمته الأرض فيكون بوزن فعيل بمعنى مفعول، وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال فيقال رجل جريح وامرأة جريح.

﴿ومن الشجر الأخضر نارا﴾: قال ابن عباس فى كل شجر نار. وخص الأخضر بالذكر لبيان كمال القدرة الإلهية.

﴿وقادرا﴾: إذا كلمة تدل على سرعة حصول ما بعدها.

﴿وقادرا﴾: الباء لتأكيد ثبوت القدرة له تعالى.

﴿ولى﴾: حرف يدل على إثبات ما بعد النفى السابق أى نحن قادرون؛ انظر تفصيل ذلك فى شرح الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

﴿ويقول له كن﴾: لم يقلهنا سبحانه حقيقة هذا القول، وإنما الذى يجب أن نعتقد أنه سبحانه إذا قضى أمراً أنى بقدرته سريعاً من غير توقف على شيء آخر.

﴿وملكوت﴾: تقدم فى الآية (٧٥) من سورة الأنعام صفحة ١٧٤.

المعنى: واتخذ الكفار لأنفسهم آلهة غير الله يرجون نصرهم فيما يهيمهم من الأمور مع أن تلك الآلهة لا تستطيع نصرهم ومع ذلك فإن هؤلاء الكفار جند لأهوتهم محضرون لخدمتهم وحضتهم، انظر الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤.

وهل هناك حماقة أشد من حماقة من ينتظر النصر من حيث هو فى حاجة إلى من يحافظ عليه؟ وبعد ذلك أراد سبحانه أن يخفف عن رسوله ﷺ عذابهم فقال ﴿فلا يحزنك قولهم﴾:

أى فى الله تعالى بأن يكون له شريكاً، وفيك أيها النبى بآئك شامراً إلى غير ذلك، لأننا نعلم ما يسروته من نياتهم الخبيثة، وما يملونه من أفعالهم الذميمة، وسنجازيهم على كل ذلك أشد الجزاء. وبعد ما أبطل الشرك أراد أن يبين بطلان إنكارهم اليمت بعد ما شاهدوا فى أنفسهم

يُسْعِرُونَ ﴿٤٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرهم وهم قسِمُ جُنْدٍ عُجْرُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَا يَزِيدُكُمُ تَوَلُّهُمُ إِلَّا تَلَمُّمًا يَمُرُّونَ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ أَوْزَارُ الْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَوَارَاهُ تَجْهِيمٌ ﴿٤٦﴾ وَتَرَبَّصْ لَكَ بَعْلًا وَبَيْنَ عَيْنَيْكَ قَالَ مَنْ نَحْيِي الْبَيْعَ وَهِيَ رَيْبُ ﴿٤٧﴾ قُلْ يُحْيِيهَا أَتَبْنَاهُ أَرْكَانَ مَرَّةٍ وَنَحْيِيهَا تَعْلَى خَلْقِ ﴿٤٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُنْتَبِهَتْ تَوَدَّعُونَ ﴿٤٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَاقَى الشُّعْرُبُ وَالْأَرْضُ يَبْدُرُ عَنْ أَنْ يَخْلَقَ لَهُمْ بَلَى وَمَنْ يَحْكُمُ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ أَفَكُلُّكُمْ أَوْ لَا أَرَآهِنَّ أَنْ يَقُولُنَّ لَهُنَّ يَكْبُرُونَ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ لِلَّذِي بَدَأَ مَكْرَتُنَّ كُلَّ نَجْوَةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٢﴾

به الكافرين. ثم أعاد سبحانه الكلام فى وحدانيته وتفرده بالخلق فقال ﴿ولو لم يروا﴾ إلخ: أى هل عميت أبصارهم ولم يروا أننا خلقنا لمنفعتهم من ضمن ما التفتدنا بإيجاد أنعاما فهم متصرفون فيه، واخضعنا ما لهم ليعتصموا بها، فمنها ما يركبونه، ومنها ما ياكلونه، ولهم فيها منافع أخرى منها اللبن الذى يشربونه، فهلا شكروا الله على هذه النعم؟ ثم صرح بجرمهم فقال: واتخذوا من دون الله آلهة راجين نصرها لهم.

المفردات: ﴿وهم لهم جند﴾: أى أن المشركين هم الجنود المدافعون عن الأصنام.

﴿ومحضرين﴾: أحضرهم الشياطين للدفاع عنهم، انظر الآية (٦٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧.

﴿فخصيم مبين﴾: تقدم فى الآية (٤) من سورة النحل صفحة ٣٤٥.

﴿فوضرب لنا مثلاً﴾: انظر ضرب المثل فى الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤، والجملة معطوفة على جملة ﴿ير الإنسان﴾ داخله فى خبر الإنكار.

﴿فونس خفيه﴾: أى ترك التامل فى خلق الله له من التراب والنفاسة القدرة. انظر الآية (٥) من سورة الحج صفحات ٤٢٣، ٤٢٤ والآية (٨) من سورة السجدة صفحة ٥٤٥.

- (١) الإنسان.
- (٢) خلقنا.
- (٣) النعام.
- (٤) السموات.
- (٥) بقادر.
- (٦) العقلاق.
- (٧) شيعان.

سورة الصافات

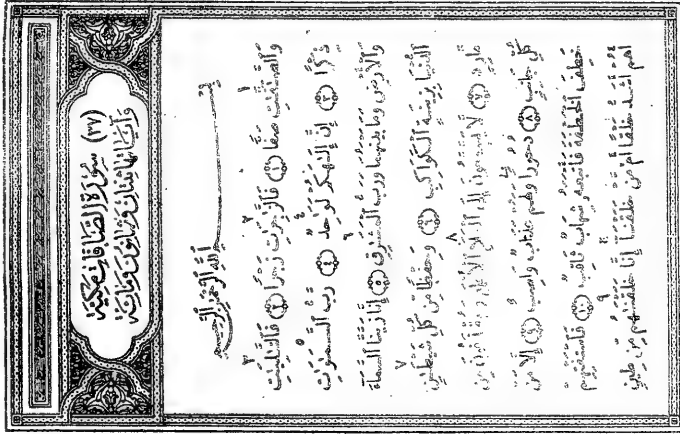
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الصافات﴾: هي جموع الملائكة المحلقة
بأجنحتها في صفوف منتظمة منتظرة أوامر
ربها، انظر شرح الآية (١) من سورة فاطر
صفحة ٥٧١، والآية (١٦٥) الآتية في هدم
السورة صفحة ٥٩٦.

﴿فالزاجرات﴾: هي الملائكة التي تشمل
على إبعاد الشياطين عن استراق السمع

(سورة الصافات)

٥٨٧



بشدهم بالشهب، انظر الآية (٧) الآتية وما بعدها، والآية (٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٤

والآية (٨) من سورة الجن صفحة ٧٧١.

﴿التاليات﴾: هي الملائكة التارئات، لكلام الله المنزل على رسوله. ﴿ذكرنا﴾: المراد كتب الله.

انظر الآية (٤٢) من سورة النحل صفحة ٢٥١، والآية (١٠٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١،

والآية (٤١) من سورة فصلت صفحة ١٣٥، والآية (٥١) من سورة القلم صفحة ٧١١.

﴿المشارق﴾: جمع مشرق وهو موضع شروق الشمس والقمر والنجوم وهي كناية عن رب العالم كله.

﴿الدنيا﴾: مؤنث الأذن بمقتضى الأقرب، فالمراد القربى لمن على وجه الأرض. ﴿مارد﴾: أي

- | | | |
|--------------|----------------|---------------|
| (١) الصافات. | (٢) فالزاجرات. | (٣) التاليات. |
| (٤) لواحد. | (٥) السموات. | (٦) المشارق. |
| (٧) شيطان. | (٨) الملائكة. | (٩) خلقهم. |

سورة يس

ما يوجب التصديق به فقال ﴿أو لم ير الإنسان﴾: أي هل جهل هذا الإنسان ولم يعلم أنا خلقناه من نطفة من ماء مهين فإذا هو شديد الخصومة لربه مجاهر بها، إذ ادعى أن الله شريكاً، وكذب رسوله. وهذا منه تعالى إنكار شديد عليهم، ونفت لأنظار العقلاء للتمجب من عنادهم، ثم زاد في تجهيلهم فقال ﴿وضرب لنا مثلاً﴾: أي جعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق إذ قاس قدرتنا على قدرتهم، فجعل ما يمتنع عليهم ممثلاً علينا، وأهمل النظر في قدرتنا على خلقه هو من النطفة الحقةرة، وأن من قدر على ذلك يقدر على إعادته بعد موته بل ذلك أسهل عليه، انظر الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤. ثم بين سبحانه ما قاله الكافر بقوله ﴿قال من يحيى العظام﴾: أي قال في أسلوب المنكر لا أحد يستطيع إحياء العظام المفتتة، قل لهم أيها النبي: يحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو عليهم بكل ما يخلق ويتفاصيل أجزائه. ثم أرشد الكفار إلى دليل على البعث غير ما تقدم فقال: ﴿والذي جعل لكم﴾ أي الذي أحيا العظام أول مرة هو الذي قدر على إيجاد النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من الماء المضاد للنار، ولا شك أن من يقدر على ذلك يكون أقدر على أن يعيد البعثة إلى ما كان غصاً فيبس ثم أكد أنهم متحققون من قدرته على ما تقدم فقال: ﴿فإذا أنتم منه توعدون﴾: أي لا تشكون في أنها نار حقيقية، ثم أثبت مضمون ما سبق فقال ﴿أوليس﴾: أي أليس الذي خلق السموات والأرض مع ضخامتهما، يقادر على أن يحيى مثل هؤلاء الكفار انظر الآية (٥٧) من سورة غافر صفحة ٢٦٥، والآية (٢٣) من سورة الأحقاف صفحة ١٧١، والآية (٢٧) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠.

ثم رد على إنكارهم بقوله ﴿بلى﴾ أي نعم هو قادر على ذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الخلاق لكل شيء، العليم بدقائق خلقه، ثم أكد كل ما سبق من شمول قدرته وعلو سلطانه فقال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً﴾: أي لا يحتاج إلا لقوله كن فيكون، أي فينشد سريعاً بلا حاجة إلى معين. ثم بعد ذلك أرشدنا إلى تنزيه سبحانه عما افتروه فقال: ﴿فسبحان الذي﴾: أي تنزه ربنا الذي تحت سلطانه كل هذا الملك الواسع علويه وسفليه تنزيهاً يليق به.

﴿واليه ترجعون﴾ أيها الناس جميعاً وفيكم هؤلاء المشركون، فيجازي كلا بما هو أهله نسأله الله السلامة في ذلك اليوم.

انظر الآية (٣٧) من سورة فصلت صفحات ٦٢٤ و ٦٢٥ وصفتى ٧٠٠ و ٨٠٩ ومنها الرياح كما في الآية (١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٢. ومنها الطور وغيره صفحتى ٦٩٦ و ٦٩٧. ومنها القلم. والسماء ذات البروج. والفجر. والتين وغير ذلك مما سبأتى. وأهم ما أقسم سبحانه عليه الاصول الثلاثة التى جاء بها جميع الرسل. وهى الوحداية كما هنا الآية (٤) والرسالة كما فى الآية (٣) من سورة ص صفحة ٥٩٧، والبعث يوم القيامة كما فى آتى (٥ و ٦) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٢، والآيات (٧ إلى ١٦) من سورة الطور صفحة ٦٩٧. ومما يجب التنبيه له أن هذا النوع من القسم مما اختص به سبحانه. فلا يجوز لنا أن نخلف إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته سبحانه. لقوله ﷻ: «من كان حائفا فليحلف بالله أو ليسكت».

ثم أكد تفرده فقال (انا زينا) الخ: أى انا وحدنا الذين زينا مايرى فى رأى العين أنه السماء التى برزقة هى الكواكب التى يراها أهل الأرض فى الليل مشرقة متلازمة على سطحها الأزرق باشكال وأوضاع مختلفة، وحفظنا السماء حفظا من كل شيطان متعور ثم بين سبحانه حال الشياطين بعد حفظ السماء بقوله (لا يسمعون) الخ: أى لا يسمعون مصفين إلى مايدور فى الملأ الأعلى، وإذا حاولوا من أية جهة تسمعا يرمون من كل جانب إبعادا عنها، ولهم على تلك المحاولة فى الآخرة عذاب دائم، لا يسمعون شيئا إلا من اختلس من كلام الملائكة جملة. عند ذلك يلعنه شهاب يثقب ظهره، وكل هذا من أحوال الغيب التى يجب علينا الإيمان بها. وعدم التعمق فى بحثها؛ لأنه لو أن الله تعالى أخبرنا بها ما أمكن الوصول إلى علم شيء منها. فيجب أن نقف عندما أعلمنا أنه سبحانه لم يكلفنا البحث فيما وراء ذلك، ثم شرع بعد ذلك فى إثبات البعث والباطل إنكارهم فقال مخاطبا رسوله (فاستقبرهم) الخ: أى خلقنا من الملائكة مشركى مكة أيها النبى وآسائهم هل هم أصعب خلقا وأشق إبعادا، أم من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وغير ذلك، ثم بين أنهم هم أسهل من كل ماذكر، فقال (انا خلقناهم من طين لازب) ولا شك أن من خلق من طين رخو تسهل إعادته يوم القيامة، فكيف يستكبرون أن يخلفوا مرة ثانية كما فى الآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠.

متعذر خارج عن المطاعة. (لا يسمعون): أى لا يسمعون خلسة. (الملأ الأعلى): المراد بهم هنا كبار الملائكة. (يقذفون): أى يرمون.

(وإحورا): المحور هو المحرور والإبعاد. (واصب): دائم كما فى الآية (٥٧) من سورة النحل صفحة ٣٥٢. (وشهاب): أصل الشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة، والمراد هنا مايرى فى الجو كأنه كوكب ساقط من السماء. (واقب): أى مخترق لجسم المار.

المنى: . يقول سبحانه أقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية، الراجرين الشياطين عن التسمع لما يدور فى الملأ الأعلى، التالين لأيات الله تعالى على رسله: إن إلهكم أيها الناس لواحد، هو رب السموات والأرض وما بينهما. وهو رب مطالع الشمس على هذا النظام البديع الذى لا يخل يوما. وهذا دليل على وجود صانع حكيم منفرد بتصرف ملكه ولا لاخل وفسد، انظر الآية (٣٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢ وقد ورد مثل هذا القسم فى القرآن كثيرا؛ لأنه جاء بلغة العرب وآساليهم وكان من عادتهم إذا سمعوا الرجل يقسم يعلمون أنه سيقول كلاما مهما يجب الإصغاء إليه. وسبب ذلك أنهم كانوا يخافون من الإيمان الكاذبة. ويعتقدون أنها تشرب الديار. فيستقبلون الكلام البدوء بالقسم باهتمام. فإذا فاجأهم البرهان القاطع وهم بهذا الاستعداد كانوا أقرب إلى الانقياد. ولا يعرض إلا من كان شديد المناد. وعلى هذه المادة المعروفة عندهم أقسم سبحانه بأشياء كثيرة منها القرآن؛ ومنها بعض مخلوقاته كما هنا لحكم كثيرة فى المقسم به والمقسم عليه. منها أنه يلقى النظر إلى مواضع العبرة فى هذه الأشياء المقسم بها. والحث على تأملها حتى يصلوا إلى الصواب فيها. فمما أقسم به سبحانه القرآن ببيان أنه كلام الله حقا، وفيه كل أسباب السعادة انظر الآية (٢) من سورة يس صفحة ٥٧٩ والآية (١) من سورة ص صفحة ٥٩٧ والآية (٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٧ وغير ذلك؛ ومنها الملائكة لبيان أنهم عباد لهم خاضعون، لا آلهة يعبدون كما فى هذه السورة. ومنها الشمس والقمر والنجوم لما فيها من التوائك؛ ولأن تغييرها من حال إلى حال ينادى بحدوثها وأن لها خالقا حكيمًا. فلا تصح الغفلة عن شكر المنعم بها فضلا عن عبادتها.

النعيم فيما نحن بميتين ﴿نزلاً﴾: يطلق النزول على المكان الذي ينزل فيه الضيف المكرم، كما في الآية (١٠٧) من سورة الكهف صفحة ٢٩٥ ويطلق على ما يقدم للضيف من الطعام كما هنا.

﴿شجرة الزقوم﴾: الزقوم اسم لشجرة صغيرة منتنة الرائحة مرة الطعم تثبت بأرض تهامة من بلاد العرب، ﴿فتنة﴾: محنة لهم في الآخرة بإرغامهم على أكلها، وفي الدنيا حيث سارعوا إلى إنكارها وقالوا كيف يكون في النار شجر، فيزيد عذابهم على ذلك، انظر الفرق بين المؤمن بالكافر به في الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحة ٦ و ٧. ﴿أصل الجحيم﴾: أي قاع جهنم.

المفني: من صفات خسر الجنة أن شاربيها لا يسكرون ولا يصيبهم منها صداع، ولا يخرج ماضي جوفهم بسببها، وعندهم نساء لا ينظرون إلا إلى أزواجهن حسان العيون والبشرة كأنهن بيض محفوظات، ثم عطفت على قرواه (يعطاف عليهم) قوله (فاقبل) (الخ: أي يشربون فيتحادثون يسأل بعضهم بعضاً عما كان في الدنيا، فيقول قائل منهم: إنني كان لي صاحب يقول لي ميكائيل هل أنت ممن يصدق بالبعث؟ وهل عقلك مصدق أننا إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نحاسب ونجازى؟ ثم قال هذا القائل لإخوانه هل أنتم مطمعون معي نبحث عنه أين هو الآن؟ فاطلع جهة النار فرأى صاحبه في وسط جهنم، فقال له شماعة به: والله إنك لقد قاربت تهلكي ياغواذك لي في الدنيا، ولولا نعمة ربني على بالتوفيق لكنت الآن من المحضرين معك في جهنم، ثم خاطب إخوانه متلذذا بنعمة الله تعالى عليهم فقال: أفضا نحن بميتين إلا الموة الأولى كما وعدنا ربنا؟ انظر الآية (٥٦) من سورة الدخان صفحة ٦١٠ وما نحن بمعتبين أبداً، بل سنكون في نعيم خالد، ثم بين سبحانه الفرق بين حال المؤمنين والكافرين بقوله (إن هذا) (الخ: أي إن هذا الذي فيه أهل الجنة لهو الفوز العظيم، مثل هذا فليعمل الماملون، هل هذا الرزق المعلوم الذي يقدم لأهل الجنة خير أم شجرة الزقوم التي جعلناها محنة للكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك؟ كما في الآية (١٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠، ثم شرع سبحانه يوضح شيئاً من بشاعة شجرة الزقوم فقال: إنها شجرة تثبت في قاع جهنم.

ويجب علينا الإيمان بأن الله الذي خلق الأشياء وخصائصها قادر على أن يفعل مايشاء فيجعل في النار شجراً، كما يجعل في الشجر الأخضر ناراً، كما تقدم في الآية (٨٠) من سورة يس صفحة ٥٨٦.

وإذا كان الإنسان استطاع أن يخترع شيئاً لا تحرقها النار فهل يمكن خالق الإنسان أن يخلق

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَوْنَ ﴿٥٥﴾ وَعِندَهُمْ قُضِرَتُ الْأَرْفُ
يَمِينٌ ﴿٥٦﴾ كَانَتْ يَمِينٌ مُكْمَرٌ ﴿٥٧﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَكْتُمُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرْنٌ ﴿٥٩﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِيَنِ الْمُصَفِّينَ ﴿٦٠﴾ أَوَلَمْ نَسْأَلْ
وَكُنَّا تَرَاءٍ وَعِظَمْنَا أَنَا لَمُعِينُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَأَطْلَعَ نَرَةً فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِن كُنتَ تَرْوِينِ ﴿٦٤﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتَ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٥﴾ أَفَمَا تَحِثُّ يَتِيمِينَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ نَكُنْ
أَوَّلَ مَا نَحْنُ مُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ إِن هَذَا هُوَ الْأَقْوَرُ
الْيَقِينُ ﴿٦٨﴾ لَيْسَ هَذَا بِلَيْسَلِ الْعَمَلِينَ ﴿٦٩﴾ أَذَلِكَ
خَيْرٌ لَّوَلَا أَمْ نَجْعَرُ الْأُنُومَ ﴿٧٠﴾ إِنَّا كَفَعْنَا فِيهِ
لِتُظْلَمِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّا نَجْعَرُ نَجْرًا قِيَّ أَسْمَلَ الْجَحِيمِ ﴿٧٢﴾

المرأة الجميلة لصفاء بياضه واختلاطه بما يكسبه جمالا في نظرهم. ﴿مكمنون﴾ أي محفوظ لا تمسه الأيدي ولا يلحقه غبار. ﴿قربين﴾: خليل وصاحب. انظر الآية (٢٨) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢.

﴿إنك﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري المنفي، أي لا تصدق بيوم البعث. ﴿مدينون﴾: أي مسئولون عن أعمالنا ومجازون عليها. (سواء الجحيم): أي وسط جهنم. (إن كنت.. إلخ): إنك قاربت تهلكي.

﴿المحضرين﴾: الذين تحضرهم ملائكة العذاب كما تقدم في الآية (٦١) من سورة القصص صفحة ٥١٥ و ٥١٦.

﴿أفضا نحن﴾: استفهام تلذذ من القائل وتوبيخ للقربين، والأصل: هل نحن مخلدون في

- | | | | | |
|-------------|---------------|--------------|---------------|----------|
| (١) قاصرات. | (٢) إنك. | (٣) إذا. | (٤) عظما. | (٥) أنا. |
| (٦) قرأه. | (٧) الماملون. | (٨) جعلناها. | (٩) للظالمين. | |

المعنى: ثمر شجر الزقوم كأنه رؤس الشياطين. وعندما يشتد الجوع بالكفار يأكلون من طلع هذه الشجرة فيموتون منها بجلونهم مكرهين.

فإذا عطشوا واستغاثوا وطلت استغاثتهم تسحبهم الرابية إلى الحمير، فيثاقون بالما شديد الحرارة، انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٤، ٣٨٥ والآية (١٥) من سورة محمد صفحة ٧٢. ثم بعد ذلك ترجمهم الملائكة إلى الجحيم، انظر الآية (٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١. ثم بين سبب استحقاقهم لهذا العذاب بقوله: إنهم أنفوا... إلخ: أي وجدوا آبائهم ضالين فأسرعوا في السير على طريقهم، ثم بين أن ضلال الأمم وتقليد بعضها بعضا قديم كما في الآية (١٧٠) من سورة البقرة صفحة ٣٢ والآية (٧٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤، فقال وقد ضل قبلهم أكثر الأولين. والراد تهديد كفار مكة بأنه سيحصل لهم ما حصل لمن قبلهم عندما فعلوا مثلهم، فالراد ولقد ضل قبل كفار مكة أكثر الأمم الماضية. ولقد أرسلنا فيهم رسلا منذرين كما أرسلناك في قومك أيها النبي، فانظر ماذا كانت عاقبة المنذرين عندما كذبوا رسلاهم، ينتها الآية (٤٠) من سورة المعنوت صفحة ٥٢١ أي أملاكهم إلا عباد الله المؤمنين الذين خصهم الله تعالى لديه فإنهم نجوا من العذاب.

ثم فصل بعض ما أشار إليه فيما سبق من إنذار الرسل وتكذيب الأمم ليخفف عن نبيه ﷺ فقال (ولقد نادانا نوح) أي بقوله يارب إني مغلوب فانتصر كما في الآية (١٠) من سورة القمر صفحة ٧٠٥ فوعزت لي نعم المجيبون لدعائه نحن فانتقمنا منهم بالغرق. ونجّياه وأهلكه من الكرب العظيم أي الفرق وما كان يلاقيه من إنباء قومه. وكافاه على صبره بجعلنا ذريته هم الباقين وحدهم ولم يبق على ظهر الأرض واحد ممن كان خارج السفينة، انظر الآية (١٦) من سورة نوح صفحة ٧٦٩. وتركنا أي أبقينا عليه ثناءً حسناً على لسان من جاء بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة. وقالنا سلام على نوح ونشترناه في جميع العالمين ليسلموا عليه كما سلمنا عليه. إنا كما جزينا نوحاً بهذا الفضل نجزي كل محسن. ثم بين سبحانه علة إحسانه عليه بقوله إنه... إلخ. أي لأن نوحاً كان من عبادنا المؤمنين إيماناً كاملاً. ثم ختم سبحانه قصه نوح بالنتيجة المقصودة منها وهي تحذير كفار قريش، فقال: ثم أغرقنا كل من بقى خارج السفينة لأنه لم يكن مؤمناً. انظر الآية (٣٦) من سورة هود. صفحة ٢٨٩ والآية (٤٠) من سورة الحجر. صفحة ٣٩٠.

سَلَّمَهَا كَاتِبٌ رَّوَاهُ السَّيِّطَانُ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ يَا هُمْ عَلَيْهَا لَتَنَزَّلُنَّ بِهَا
جَحِشٌ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ يَا مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ فَأَسْمِ
الْقَوْمَ أَبَاءَهُمْ نَسَبَاتٍ ﴿٥٨﴾ فَمُسَّ عَلَى أُنْيُسَ هُمْ
مَرْجُونَ ﴿٥٩﴾ وَنَقَلَ حَقْلٌ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوْدِيَةِ ﴿٦٠﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا قَوْمَ مِثْذَرٍ ﴿٦١﴾ فَانْقَطَعَ عَنْهُمْ عَصَى
الْعُلَاقِ ﴿٦٢﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا مِمَّا نُسَبِّحُ بِهِ قَوْلَهُ إِنَّكَ لَمِنَ الْأَكْرَبِ
الْعَظِيمِ ﴿٦٤﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ نَجَارَ الْيَأْسِ ﴿٦٥﴾
وَوَضَعْنَا عَصَاهُ فِي الْأُجْرَيْنِ ﴿٦٦﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي
الْأُفُقَيْنِ ﴿٦٧﴾ إِنَّا نَذَارُكَ نُوحَى الْمُحْشَيْنِ ﴿٦٨﴾ إِنَّمَا
رَبُّنَا إِلَهُ الْوُحِيدِ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٧٠﴾

سورة الأنعام صفحـة ١٧٩. وظاهر ما في الآية (١٠) من سورة قصص صفحـة ٦٨٩ يتفق مع الأخير. **أرورس** المشياطين: من عادة العرب أنهم يشبهون كل قبيح في صورته بالشيطان لأن صورته بشعة في مجئ الآية ١٠. ويشبهون حسن الصورة بالملك.

﴿هَشَوْنَا﴾: أضلّله مصدر شباب الشيء بالشيء إذا حبلطه به والراد به هنا المشرب به وهو الخمر الذي يشتمط على الفساق الآية (٢٥) من سورة النبأ صفحـة ٧٨٧.

﴿حَمِيمٌ﴾ : ماء شديد الحرارة. ﴿الْفَوَّارُ﴾ : وجدوا.

﴿على آثارهم﴾: انظر الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٠.

﴿يُحَرِّعُونَ﴾: تقدم في الآية (٧٨) من سورة هود صفحات ٢٩٥، ٢٩٦.

(١) الشياطين. (٢) لأكرون. (٣) آباءهم. (٤) آثارهم. (٥) عاقبة. (٦) نادانا. (٧) ونجناه. (٨) الآخرين. (٩) سلام. (١٠) العالمين. (١١) الآخرين. (١٢) نادانا.

المفتى: - لما وعد سبحانه بأن يجعل نوح ذكراً حسناً فى العالم، نوه هنا بأن خليل الله إبراهيم من شيعته نوح الذين اتفقوا معه فى أصول دينه؛ أى جعلناه من أتباعه حين أقبل على دين يره بقلب سليم من أمراض القلوب كالنفاق والشك والحسد حين قال لأبيه وقومه ما الذى تعبدونه من دون الله، أى لا يصح منكم ذلك، هل تريدون آلهة غير الله ولا يحملكُم على ذلك إلا مجرد الكذب، وهذا تشنيع عليهم بأنّه لا شيعه لهم فيها فعلوا. ثم هددهم فقال فما ظنكم بالبح: أى فما الذى ظننتموه بمن هو أحق بالعبادة وحده لأنه هو الذى خلق كل العالمين. هل تظنون أنه سيترككم بدون عقاب على كفركم به؟ ونظير ذلك فى الآية (٧٨) من سورة مريم صفحه ٤٠٤، وكان للقوم عيب يخرجون إليه بعدما يتركون عند أصنامهم طعاما لتباركه، ثم يأكلونه بعد رجوعهم من احتفالهم بالعيد كما تقدم فى شرح صفحه ٤٢٦. وصار بعضهم ينيبه بعضا للخروج لمكان الاحتفال فقالوا لإبراهيم: اخرج معنا. فنضجر من جرمهم ورفع بصره إلى السماء متأملاً فى صنع الله الذى ماكان يصبح أن يهلكوه، موهماً لهم أنه يستوحى النجوم لأن علم التجيم كان شائعاً عندهم فخافوا العدو وانصرفوا مسرعين بعيداً عنه.

فذهب مستخفياً إلى أنصنامهم. فقال مستهزئاً بها: أعرض عليكم أن تأكلوا، ثم بالغ في الاستهزاء فقال ما لكم لاتتطوقون؟ ثم عمد إليهم بضربهم ضرباً بقوة حتى كسرهما ولم يترك إلا واحداً؛ انظر الآية (٥٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٦. وبعد فراغهم من عيدهم أقبلوا إليه مسرعين، وحصل مافصلته الآيات (٥٩) ولبعدها من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٦. فقال لهم مويخاً: هل تعبدون ما تتحوتونه من الحجارة وغيرها وتتركون الله مع أنه هو الذي خلقكم وخلق هذه الحجارة التي تتعبتون منها أنصنامكم فهو الأحق بالعبادة وحده. فلم يلتفتوا إلى حججته بل عمدوا إلى القوة، وقال كبارهم لعمالهم: ابنوا له بنيانا واملأوه بالحطب ثم أوقدوا فيه النار وألقوه فيه حتى لا يستطيع الهرب فأتادوا أن يكيدوه بقتله فانجنياه وجعلناهم الأذلين المقهورين، بعد ذلك عزم إبراهيم على الهجرة من بلاد الكفر ببابل بالعراق إلى الشام فقال إني سأذهب إلى دار يرضى فيها ربي عنى لأتمكن من عبادته وحده فيها. وسهدينى سبحانه إلى مايقبى صلاح دينى. ولما وصل إلى الشام قال يارب لى ولدا من الصالحين ليغيننى على الدعوة لدينك.

فاستجاب الله تعالى دعاءه وبشره بأنه سيكون له غلام كثير الحلم. وهل هناك حلم أجلى مما ظهر منه عندما عرض عليه أبوه الذبح.

المفردات: ﴿وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: المراد: وإن من الجماعة التي اتفقت مع نوح في مبدئه كما تقدم في الآية (٦٥) من سورة الأنعام صفحة ١٧٢ والمراد هنا: مَنْ تابعه في أصل الدين. ﴿أَنفَكَا أَلْهَمَةً﴾: الهَمْزَةُ الأولى للاستفهام التوبيخ، وإلْفَك أَقْبَحُ الْكُذْبِ كما في شرح الآية (١١) من سورة النور صفحة ٤٥٨. وهو هنا مفعول لأجله، وآلهة مفعول (تَرْيُونُونَ) مقدّم عليه. ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: انظر مسمى هذا في الآية ٦ من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥. ﴿تَقْطُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾: المراد: فكر تفكيراً عميقاً في أحوالها انظر الآيات (١٦١) من سورة آل عمران صفحة ٩٥ و٧٥ وما بعدها من سورة الأنعام صفحة ١٧٤ (١٨٥) من سورة الأعراف

وَأَهْمُهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ مَرِيضٌ يَمُوتُ مَعَهُ حَتَّى يَنْصُرُوا عَنْهُ.

المترجم: المراد: سقيم القلب، لحزنه على كفرهم بالله سبحانه وتعالى، قال ابن عباس:

﴿تَدْرُؤُوا عَنْهُ مَدِيرَيْنِ﴾: انصرفوا عن مريضين كما تقدم في الآية (٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢٤٤ والآية (٨٠) من سورة النمل صفحة ٥٠٤. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتَهُمْ﴾: أصل معنى الروغ والروغان ميل الشخص إلى جانب ليخضع من رعايقه. والمراد ذهب خفية إلى أصنامهم. ﴿وَالَا تَكُونُوا﴾: (ألا) هنا: حرف يراد به طلب حصول مايبده؛ انظر الآية (١٠٦) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦. كأنه يعرض عليهم سخرية بهم. ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا﴾: المراد: مال مستعيا عليهم ضارباً لهم ضرباً شديداً. ﴿بِالْيَمِينِ﴾: المراد بقوة. ﴿يَنْزِفُونَ﴾: أي يسرعون. تقول العرب زف النعمان إذا أسرع في السير. ﴿غُلَامَ حَلِيمٍ﴾: هو اسماعيل عليه السلام. ﴿بَلِّغْ مَعَهُ السَّعْيَ﴾: المراد ببلغ السعي الذي تؤمله لأن سعيه معه في أعماله.

(٥) آلهتهم. (٦) يثلام.
(٧) فجعلمانهم. (٨) الصداصير،
(٩) فشرطاه. (١٠) فجعلمانهم.
(١١) فجعلمانهم. (١٢) فجعلمانهم.
(١٣) فجعلمانهم. (١٤) فجعلمانهم.
(١٥) فجعلمانهم. (١٦) فجعلمانهم.
(١٧) فجعلمانهم. (١٨) فجعلمانهم.
(١٩) فجعلمانهم. (٢٠) فجعلمانهم.
(٢١) فجعلمانهم. (٢٢) فجعلمانهم.
(٢٣) فجعلمانهم. (٢٤) فجعلمانهم.
(٢٥) فجعلمانهم. (٢٦) فجعلمانهم.
(٢٧) فجعلمانهم. (٢٨) فجعلمانهم.
(٢٩) فجعلمانهم. (٣٠) فجعلمانهم.
(٣١) فجعلمانهم. (٣٢) فجعلمانهم.
(٣٣) فجعلمانهم. (٣٤) فجعلمانهم.
(٣٥) فجعلمانهم. (٣٦) فجعلمانهم.
(٣٧) فجعلمانهم. (٣٨) فجعلمانهم.
(٣٩) فجعلمانهم. (٤٠) فجعلمانهم.
(٤١) فجعلمانهم. (٤٢) فجعلمانهم.
(٤٣) فجعلمانهم. (٤٤) فجعلمانهم.
(٤٥) فجعلمانهم. (٤٦) فجعلمانهم.
(٤٧) فجعلمانهم. (٤٨) فجعلمانهم.
(٤٩) فجعلمانهم. (٥٠) فجعلمانهم.
(٥١) فجعلمانهم. (٥٢) فجعلمانهم.
(٥٣) فجعلمانهم. (٥٤) فجعلمانهم.
(٥٥) فجعلمانهم. (٥٦) فجعلمانهم.
(٥٧) فجعلمانهم. (٥٨) فجعلمانهم.
(٥٩) فجعلمانهم. (٦٠) فجعلمانهم.
(٦١) فجعلمانهم. (٦٢) فجعلمانهم.
(٦٣) فجعلمانهم. (٦٤) فجعلمانهم.
(٦٥) فجعلمانهم. (٦٦) فجعلمانهم.
(٦٧) فجعلمانهم. (٦٨) فجعلمانهم.
(٦٩) فجعلمانهم. (٧٠) فجعلمانهم.
(٧١) فجعلمانهم. (٧٢) فجعلمانهم.
(٧٣) فجعلمانهم. (٧٤) فجعلمانهم.
(٧٥) فجعلمانهم. (٧٦) فجعلمانهم.
(٧٧) فجعلمانهم. (٧٨) فجعلمانهم.
(٧٩) فجعلمانهم. (٨٠) فجعلمانهم.
(٨١) فجعلمانهم. (٨٢) فجعلمانهم.
(٨٣) فجعلمانهم. (٨٤) فجعلمانهم.
(٨٥) فجعلمانهم. (٨٦) فجعلمانهم.
(٨٧) فجعلمانهم. (٨٨) فجعلمانهم.
(٨٩) فجعلمانهم. (٩٠) فجعلمانهم.
(٩١) فجعلمانهم. (٩٢) فجعلمانهم.
(٩٣) فجعلمانهم. (٩٤) فجعلمانهم.
(٩٥) فجعلمانهم. (٩٦) فجعلمانهم.
(٩٧) فجعلمانهم. (٩٨) فجعلمانهم.
(٩٩) فجعلمانهم. (١٠٠) فجعلمانهم.

علمه بأنه حتم ليطمئن على قوة عزيم ولده وحسن خضوعه لأمر ربه، ولهذا كان ذلك مناما لتكون مبادرتهم إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد. قال إسماعيل: يابيت افعل ما أمرك به ربك ستجني إن شاء الله من المصائبين. وقد صدق إسماعيل فيما وعد. ومدحه ربه عليه انظر الآية (٥٤) من سورة مريم صفحة ٤٠١. فلما انقاد الخليل وولده لأمر الله وطرح الولد ولده على الأرض كما تطرح الذبيحة. ووضع السكين على عنقه تجلى للسلا الأعلى صدق عزيمته فأنعمنا عليه بالخلعة حتى لقب بظيل الرحمن. وادنياه على لسان ملك قائلين له: يا إبراهيم قد وفيت الرؤيا حقها. وبذلت جهدك في تحقيقها فجازيناك أحسن الجزاء: لأن من شأنا أن نجزي كل محسن مثل ما جزيناك.

إن هذا التكليف الذي كفناك به والله هو اختبار عظيم واضح لم يمتنع به أحد قبلك. وقدينا ولده بحيوان يذبح بدله عظيم الجثة سمعين. وأيقينا عليه ذكرنا حسنا في الأمم الآتية. وقتنا سلام منا ومن أوليائنا على إبراهيم. كذلك نجزي كل محسن لأنه من عبادنا كاملين الإيمان. ثم مننا عليه بعد ذلك بأن بشرناه بولد آخر من زوجته الأولى (سارة) وهو إسحاق. وبشرناه بأنه سيكون نبيا من الصالحين. وأفضنا عليه وعلى ابنه إسحاق بركات فكثرتا نسلهما وجعلنا جميع الرسل بعدهما من نسلهما ماعدا خاتم الأنبياء محمدا ﷺ فإنه من نسل ولده إسماعيل. ومن ذرية إبراهيم وإسحاق فترق محسن لمقيدته وعمله بالإيمان والطاعة. وفريق ظالم بالضللال وعلى أن فجور الخائف لا ينقص أجر السلف انظر الآية (١٢٤) من سورة البقرة صفحة ٢٤ والآية (٤٦) من سورة هود صفحة ٢٩١. ومما سبق تعلم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام؛ وقد جاء في التوراة التي في أيدي اليهود الآن (أن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه الوحيد) وفي نسخة أخرى (ابنه البكر) بكسر الباء ولا يقال بكر أو وحيد إلا لإسماعيل ولكن اليهود يفتلون حسداً ويقولون إنه إسحاق. واغتر بهم بعض السلف.

قال ابن كثير: ما أظن من قال ذلك إلا تلقته عن أخبار اليهود وسامه من غير بحث ولا دليل. وعندنا كتاب الله تعالى يدل على أنه إسماعيل لا مور، منها قوله سبحانه في البشارة، بإسحاق ﴿فبإعلام علي﴾ الآية (٥٢) من سورة الحجر صفحة ٣٤١. وقيل في إسماعيل جليم كما هنا. ومنها أنه بعد ما فرغ من قصة إسماعيل هنا قال وبشرناه بإسحاق. وهذا يدل على أن حدث الذبيح حصل قبل البشارة بإسحاق، ومنها أنه لما بشره بإسحاق في الآية (٧١) من سورة هود صفحة ٢٩٥ قال (ومن وراء إسحاق يعقوب): أي أن إسحاق يعقوب حتى يولد له في حياة

يَبْنِي إِبْرَاهِيمَ فِي النَّامِ إِلَى أَذُنِكَ وَأَقْرَبَ عَادًا رَوَّاهُ
قَالَ يَابَيْتُ افْعَلْ مَا أَمَرْتُ سَتَجْلِبُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الْمَصِيبِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَتَيْنَا وَقَدْ تَلَّحِينُ ﴿٥٥﴾ وَكُنْتُمْ
أَنْ يَكْرَهُهُمْ ﴿٥٦﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا نَحْنُ
الْمُحْصِينَ ﴿٥٧﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ
وَقَبْلُكَ يَذْبَحُ عِيسَى ﴿٥٨﴾ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْأَرْضِ
سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٠﴾
إِبْرَاهِيمَ عِدَاءَ الْأَوْثِينَ ﴿٦١﴾ وَبَشَّرْتُمْ بِهَاجَتِ يَسَاءِ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ وَبَرَكَا عَلَيْهِ وَقَالَ ائْتِنِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ
مُحْسِنٌ وَقَالَ لِنَفْسِهِ مِنْ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّ عَلَى مَرْيَمَ
وَوَرَّاهُ ﴿٦٤﴾ وَبَيَّنَّاهَا ذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَلِيمِ ﴿٦٥﴾
وَمَرْيَمَ ﴿٦٦﴾ وَكُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَابْنَهُمَا
وَمَرْيَمَ ﴿٦٨﴾ وَكُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٩﴾ وَابْنَهُمَا

٣٧٩. والمراد: طرحه على شقه فوق أحد جبينيه على الأرض. فكل إنسان جبينان بينهما جيته. هــان يا إبراهيم: أن تفسيرية: لأنها تدل على أن مابعدا تفسير لما وقع به النداء. انظر (أن) الثانية في الآية (٧) من سورة يونس صفحة ٣١٥.

وقد صدقت الرؤيا... إلخ: أي عزمت عزما قويا على تنفيذ ما أمرنا به في المنام. هــالبلاء: أي الإمتحان. هــالمبين: الواضح انظر الآية (٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.

هــالنج: هو الحيوان. الذي يذبح فيما بعد. كحبل بمعنى محمول.

المعنى: ولما كبر إسماعيل وصلح للسمع مع والده رأى إبراهيم في المنام ملكا يقول له إن الله تعالى يأمر بك أن تذبح ولدك. ولما كانت رؤيا الأنبياء وحيا كالوحي في اللحظة قال إبراهيم لإسماعيل: يابني إني أرى في المنام أنني أذبحك ففكر وقال لي رأيك، وإنما قال له ذلك مع

المفردات: هــالفلما أسلما... إلخ (لما):

حرف يدل على وجود ارتباط بين جملتين: الأولى تسمى شرطا، والثانية تسمى جوابا، والجواب هنا مقدر لأنه مفهوم من سياق الكلام، تقديره أنعمنا عليهما بالرضى التام هــالروادنياه... إلخ كجواب (إذا) في الآية (٤٥) من سورة يس صفحة ٥٨٢. هــالأسلما: أي استسلما وانقادا الأمر الله سبحانه

وتعالى. هــاللقين: أصل التل الرمي على (التل) وهو التراب المجتمع، ثم استعمل في كل رمى على الأرض. هــاللقين: (اللام) بمعنى (على) أي على الجيبين. انظر

الآية (٧٧) من سورة الإسراء صفحة ٣١٥، والآية (١٠٧) من سورة الإسراء أيضا صفحة

- | | | | | |
|-----------------|-----------------|--------------|------------------|-----------------|
| (١) الرؤيا. | (٥) يا إبراهيم. | (٤) وادنياه. | (٢) الصابرين. | (٧) يابتي. |
| (١٧) وبشرناه. | (١١) إبراهيم. | (١٠) سلام. | (٩) في الآخرين. | (٨) وقديناه. |
| (١٨) وبشرناهما. | (١٧) وهارون. | (١١) إسحاق. | (١٥) وباركا. | (١٢) بإسحاق. |
| | | | (٢١) وألقيناهما. | (١٩) ونمدرناهم. |

﴿المخلصين﴾: الذين أخلصهم سبحانه لطاعته.

﴿الغافرين﴾: أى الهالكين كما تقدم فى الآية (٨٢) من سورة الأعراف صفحتى ٢٠٥، ٢٠٦.

﴿دمرنا﴾: أى أهلكنا.

المعنى: - وآتينا موسى وهارون التوراة المبينة لما ينفعهما فى دنياهما وآخرتهما، وهديناهما بسبب ذلك الطريق المستقيم الموصل للحق سريعاً، وتركنا عليهما البناء الحسن فى لسان الأمم بعدهما، وقتلنا سلام منا على موسى وهارون، إنا كذلك نجزي من أحسن أعماله؛ لأنهما من عبادنا المؤمنين الكاملين وإن إلياس كمن الذين اختارهم ربهم لرسالته، اذكر أيها النبى حاله وحال قومه حين قال لهم وكانوا جماعة من بنى إسرائيل سكنوا المدينة المعروفة اليوم ببيلىك، وهى تابعة الآن للبنان، وكانوا قد ظهر فيهم الفساد والشر، وعبدوا أصناماً من دون الله، فبعث الله تعالى إليهم إلياس لتجديد العمل بالتوراة، ولا غرابة فى سرعة تسرب الشرك إلى بنى إسرائيل فهم الذين أغفلوا نعمة ربهم عليهم فى إنجائهم من فرعون، وقالوا عقب خروجهم من البحر وأرجلهم مازالت مبللة (باموسى اجعل لنا إلهاً كآلهة القوم الذين مروا عليهم) انظر الآية (١٢٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، قال لهم نبينهم إلياس: أطلب منكم أن تخافوا عقاب الله، وهل يصح أن تطلبوا حاجاتكم من رب باطل وتتركوا أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين.

فكذبوه فى دعوى أن الله يعشه إليهم، فذلك حكمنا أنهم يحضرون إلى النار إلا من آمن منهم فكانوا من عباد الله الذين اختارهم للعمل بدينه، وتركنا عليه فى الآخرين، سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وقد تقدم شرح كل هذا.

وإن لوطاً لمن المرسلين، اذكر أيها النبى لقومك حاله وحال قومه حين نجيناه وأهلكه المؤمنين معه أجمعين إلا أمرأته المجوز تركناها فى الهالكين، ثم أهلكنا غير المؤمنين من كفار قومه، انظر ما حصل لهم فى الآية (١٦٠) وما بعدها من سورة الشعراء صفحة ٤٨٩.

الفردات: ﴿لتفرون عليهم﴾: انظر الآية (٧٦) من سورة الحجر صفحة ٣٤٣.

الْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١﴾ وَهَدَيْنَاهُمُ الْقُرْآنَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ وَزَكَّاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿٣﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤﴾ إِنَّا كُنَّا بِتَحَوُّلِ الْمَعْجِينِ ﴿٥﴾ إِتْمَامًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَإِنَّا إِلْيَاسَ لَمَنْ أَلْمُسْلِمِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلْتَفَكُونَ ﴿٨﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٩﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ فَكَذَّبُوهُمْ فَانْتَبَهُوا لِعَمَلِهِمْ ﴿١١﴾ إِنْ أَعَادَ اللَّهُ الْفَالِقِينَ ﴿١٢﴾ وَزَكَّاهُمْ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴿١٤﴾ إِنَّا صَكَّاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ الْمُسْتَقِيمِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨﴾ إِذْ عَجَّبَهُ وَاهْلُوهُ بِاجْمَعٍ ﴿١٩﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢١﴾

إبراهيم وإسحاق، فلا يصح بعد هذا أن يأمر بذبحه وهو صغير، ولقد أنعمنا على موسى وهارون بالنبوة وغيرهما، ثم فصل بعض ما أنعم به عليهما بقوله ونجيناهما وقومهما مما كانوا فيه من الدل وتقتيل آبائهم وترك نسائهم على يد فرعون، ونصبرناهم على فرعون وقومه فكانت نتيجة ذلك أنهم غلبوه بعدم تمكنه منهم وخرقه.

وآتيناهما بعد ذلك التوراة.

الفردات: - ﴿الكتاب﴾: هنا التوراة.

﴿المستقيين﴾: أى البالغ النهاية فى البيان والتفصيل.

﴿تركنا عليهما فى الآخرين﴾: إلى قوله (المؤمنين) تقدم فى الآية (٧٨) وما بعدها صفحة ٥٩١.

﴿إلياس﴾: هو نبى من أنبياء بنى إسرائيل من نسل هارون عليه السلام.

﴿أتدعون إلح﴾: أى أطلبون حاجاتكم منه، كما تطلبون من الله سبحانه؟ ﴿ربلا﴾: اليملى لغة اليمن هو الرب فالمراد: أتدعون رباً من الأرباب الباطلة التى حذر يوسف الصديق منها فى الآية (٣٩) وما بعدها من سورة يوسف صفحة ٣٠٨ وما بعدها.

﴿وتفرون﴾: أى وتتركون ﴿أحسن الخالقين﴾: تقدم شرح المراد منه فى الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

﴿محضرون﴾: أى تحضرهم ملائكة العذاب، كما تقدم فى الآية (٦١) من سورة القصص صفحتى ٥١٦، ٥١٥.

(١) الكتاب.	(٢) وهديناهما.	(٣) الصراط.	(٤) الآخرين.	(٥) سلام.	(٦) هارون.
(٧) الخالقين.	(٨) آتيناكم.	(٩) الآخرين.	(١٠) سلام.	(١١) نجيناه.	(١٢) النادرين.

آيتي (٨٧ و ٨٨) من سورة الانبياء صفحتي ٤٢٩، ٤٣٠.

لكنه لما كان يسبح الله دائماً أخرجناه من بطن الحوت إلى ساحل ليس فيه شجر وهو عليل. قال مجاهد: التقمه الحوت في الضعى وطرحه آخر النهار. وجعلنا ورق القرع يظله من حر الشمس. ولما أفاق أرسلناه ثانياً إلى أهل نينوى الذين غضب منهم وتركهم وكانوا بعد أن فارقه ندموا وخافوا العذاب، انظر ماتقدم في الآية (٩٨) فن سورة يونس صفحة ٢٨١ وكانوا مائة ألف بل يزيدون. فأمنا فأيقيناهم متمتعين بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم. وبعد ما ذكر من أحوال الأمم السابقة ما فيه عبرة لكفار قريش، رجع ثانياً إلى توبيخهم على مايزعمونه مما لايليق به سبحانه، فقال فاستفتهم إلخ، أي اسأل أيها النبي على وجه التبكيت كقمار قومك الذين قالوا: الملائكة بنات الله هل يصح أن يكون لربك البنات فقط ويختصون هم بالبنين؟ أي إذا كنتم أنتم تفضلون البنين على البنات فهل يصح أن تخصوا أنفسكم بالافضل؟ إن هذه قسمة جائزة انظر آيتي (٢١، ٢٢) من سورة النجم صفحة ٧٠١. ثم انتقل من تبكيت بالاستفتاء إلى تبكيت بالجهل فقال أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون أي حاضرون وقت أن خلقناهم، فالمراد إبراز جهلهم بصورة أوضح. ثم شرع في إبطال أصل زعمهم ببيان أن أساسه ليس إلا الكذب القبيح فقال (إلا إنهم من إفكهم) إلخ أي مجرد كذبهم فقط يقولون ولد الله بنات أسماها الملائكة فيجب أن نعبدها لتقربنا إليه تعالى، ثم أكد كذبهم فقال ألا إنهم... إلخ أي تحقق أيها السامع ما ألقيه إليك وهو أنهم لكاذبون، ثم نقض دعواهم من طريق أن العقل لايقبلها فقال: أصطفى البنات... إلخ، أي هل تقبل عقولكم أن الله يختار من خلقه البنات على البنين. ما لمعقولكم؟ وأي شيء دهاها! وأي دليل جعلكم تحكمون بذلك الحكم الباطل ببدهة العقل هل فقدتم عقولكم فلا تتذكرون بطلان ماأنتم عليه انظر الآية (٤٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩.

وبعد ما أبطل زعمهم بالأدلة العقلية أراد أن يبطلها بالدليل النقلى فقال: أم لكم سلطان...

إلخ.

سُلِّطَ مِنْهُ^١ فَأُتِيَ بِكُمْ^٢ مِنْكُمْ صُلَاقِينَ^٣ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِهِمْ نَسَبًا^٤ وَلَقَدْ عَلِمَتْ آلُهُمْ^٥ لَهُمْ صُلَاقِينَ^٦ سَخِينِ^٧ اللَّهُ عَمَّا يَصْنَعُونَ^٨ الْإِجَادِ^٩ اللَّهُ الْمُخْلِصِينَ^{١٠} فَأَنكَرُوا مَا تَعْبُدُونَ^{١١} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِبَنِينَ^{١٢} إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَمِيعِ^{١٣} وَمَا مِتْنَا إِلَّا لِمَقَامٍ مَعْلُومٍ^{١٤} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَهْلَافُونَ^{١٥} وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ^{١٦} وَإِنْ كَانُوا يَتَّقُونَ^{١٧} لَوَ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ^{١٨} لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^{١٩} فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^{٢٠} وَلَقَدْ بَشَّرْنَا لِمَعَادِنِ الْمَرْبِيِّينَ^{٢١} بِأَنَّهُمْ هُمْ الْمُحْصَرُونَ^{٢٢} وَإِنَّا جُنْدًا هُمْ الْغَائِبُونَ^{٢٣} تَنَزَّلَ عَمَهُمْ حَتَّى جَنَى^{٢٤} وَأَنبَصَرَهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ^{٢٥}

المفردا ﴿سلطان مبین﴾: المراد: برهان واضح نزل به وحى عليكم من الله. ﴿وجعلوا بينهم هينا الملائكة سموا بذلك لاجتماعهم أى استتارهم عن العيون. ﴿نسبا﴾: حيث قالوا الملائكة بنات الله، كما فى الصفحة السابقة (إنهم لمحضرون): أى لقد علمت الملائكة أن هؤلاء المشركين محضرون إلى جهنم.

﴿بفسفين﴾: المراد يكذبون، انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿المخلصين﴾: خلصهم ربهم من المعايب، انظر الآية (٢٤) من سورة يوسف صفحة ٣٠٦.

﴿بناتين﴾: (الباء) لتأكيد نفي نسبة مايعبدها لما قبلها و (فانتين) أى مفسدين والمعنى: بفسدين المخلصين... تقول العرب فتن فلان على فلان فزوجه. أى أفسدها عليه وأخرجها عن طاعته. ﴿صال﴾: أصله صالى كقاضى. وهو من الصلى وهو الاحتراق بالنار. انظر الآية (٧٠) من سورة مريم صفحة ٤٠٢. ﴿الصافون﴾: تقدم أول السورة.

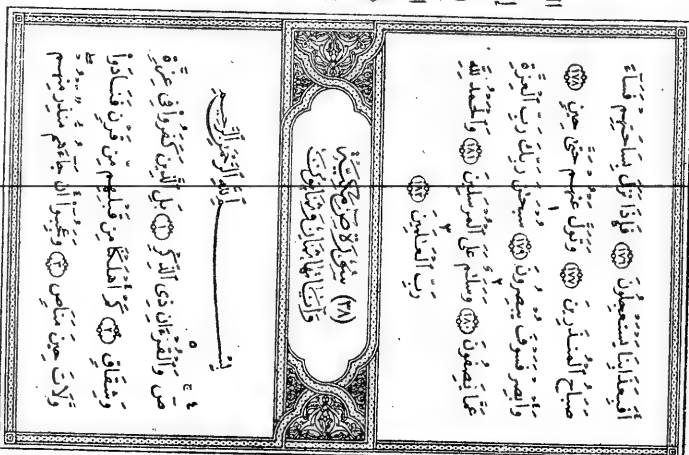
(إن كانوا)... إلخ: المراد: أن حال كفار قريش هو قولهم كذا. ﴿ذكراً﴾: يريدون (كتاباً) منزلاً من عند الله انظر شرح الآية (٤٤) من سورة النحل صفحة ٢٥١ والآية (١٠٥) من سورة الانبياء صفحة ٥٨٧ والآية (٣) من هذه السورة صفحة ٥٨٧.

﴿جندنا﴾: المراد بهم هنا: المؤمنون من أتباع كل نبي. ﴿فتقول عنهم﴾: المراد أعرض عنهم واصبر. ﴿حتى حين﴾: أى إلى وقت إذنا لك فى قتالهم. ﴿وأنصبرهم﴾: أى انظر إليهم فى ذلك الوقت فسترى مايسرك. ﴿ببصرون﴾: أى فسوف يرون مايسوءهم.

- (١) سلطان.
- (٢) يكادكم.
- (٣) صادقين.
- (٤) سبحانه.
- (٥) بناتين.
- (٦) الغائبون.

المفردات :- ﴿أفبِعذابنا﴾... إلخ : المراد بالعذاب هنا : عذاب الآخرة المشتمل إليه في الآية (٥١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١. ﴿سَاء﴾ : أى قبيح. ﴿المنذرين﴾ : أى الكفار الذين حذرهم الرسل من عذاب الله. ﴿تول عنهم﴾ : سبق أنه سبحانه أمر نبيه في الآية (١٧٤) السابقة إلى حين وقوع عذاب الدنيا، وأمره هنا ثانيًا بالإصرار عنهم إلى حين عذاب الآخرة ﴿العرزة﴾ : هى العظمة والغلبة التى تجعل صاحبها يطلب ولا يغلبه أحد، وهذه هى العزة الحقيقية، وهناك عزة كاذبة يدعيها صاحبها جهلاً وتكبراً كما فى الآية (٢٠٦) من سورة البقرة صفحة ٤٠ والآية (٤٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢.

﴿يصفون﴾ : تقدم فى المصنعة السابقة.



المنى :- إنه بلغ من استخفاف كفار قريش بما كان يتوعدهم به ﷺ من العذاب أنهم كانوا يستعجلونه استهزاء، انظر الآية (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١ والآية (١٨٧) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١. فأنزل فى ذلك سبحانه قوله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون، أى هل بلغ من جهلهم أنهم يستعجلون هلاكهم، فأنذرهم أنه إذا نزل العذاب تبدأ بهم فى وقت غفلتهم صياحاً فليس صياح المنذرين صياحاً، والمراد إذا نزل بهم فى أى وقت، وإنما خص الصباح لأن معظم غاراتهم كانت صياحاً. فحاملهم بما تعودوا خطره، انظر الآية (٣١) من سورة العاديات صفحة ٨١٨. ولها أمر سبحانه نبيه فيما سبق بالإصرار عنهم إلى حين وقوع عذاب الدنيا أمره هنا ثانيًا بالإصرار لحين وقوع عذاب الآخرة فهو تهديد بعذاب الآخرة بعد التهديد بعذاب الدنيا. فى كل هذا قال سبحانه ﴿وتول عنهم﴾ إلى قوله سبحانه ﴿يصفون﴾.

(٥) القرآن.	(٤) صاء.	(٢) المالمين.	(٢) سلام.	(١) سبحان.
-------------	----------	---------------	-----------	------------

المنى :- هل لكم يا كفار مكة دليل واضح تازل فى كتاب من السماء يثبت أن الملائكة نبات الله. إن كان عندكم فأتوا به إن كنتم صادقين فى ادعواكم، وهذا تعجيز لهم وتهكم بهم، ولما أعجزهم وأثبت جهلهم أعرض عن خطابهم، وثبت للناس ما سيكون عليه حالهم يوم القيامة عندما تكنهم الملائكة فقال تهيباً لما سيكون: وجعلوا... إلخ، أى وجعل كفار قريش بين الله سبحانه وبين الملائكة نسيباً إذ قالوا: إنها نباته، والله لقد علمت الملائكة أن هؤلاء الكفار لحضرون إلى النار لكذبهم هذا. والرداد المبالغه فى تكذيبهم: لأن الملائكة الذين يدعون أنهم يتقربون بهم، يعلمون أنهم كاذبون وأنهم لذلك سيدخلون جهنم قطعاً، وتقول الملائكة أيضاً: لكن عباد الله الذين أخلصهم سبحانه لطاعته لا يدخلون النار، ثم تبين الملائكة السبب فى نجات المخلصين وأنه عجز المضلين عن إزوائهم فتقول: فإنكم يا كفار مكة أنتم ومالعيندون من شياطين الجن الذين أغروكم كما فى الآية (٤١) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨ و ٥٦٩ ما أنتم جميعاً بفاتنين المؤمنين المخلصين على الله أى مقسديهم تقول العرب فلان فتن على فلان زوجته أى أفسدها عليه، إلا من هو داخل النار لاختياره الكفر والضلال انظر الآية (٤٢) من سورة الحجر صفحة ٣٤١، ثم بيئت الملائكة مقامها من العبودية لتأكيد الرد على من يزعم خلاف ذلك، فقالوا وما لنا إلا له مقام لا يجاوزه خضوعاً لأمر الله، وإنا لنحن الواقفون صفوفاً تنتظر الأوامر الإلهية.

وإنا لانتطلع عن تنزيهه تعالى عما لا يليق به، ثم رجع سبحانه إلى توبيخ المشركين وبيان كذبهم وأنهم لا يريدون الحق أبداً، فقال: وإن كنوا ليقولون إلخ: أى أن كفار قريش كانوا يقولون قبل بعثة الرسول صلوات الله عليه: لو أن عندنا كتاباً من الله كتب الأنبياء الأولين لكنا عباد الله المخلصين، فلما جاء سيد الأكار وهو القرآن الكريم كفروا به، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم هذا انظر الآية (٤٢) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨، ثم هدهم سبحانه بقوله: ولقد سبقت كلمتنا... إلخ: أى ولقد سبق منا وعد لرسنا، ثم بين سبحانه هذا الوعد بقوله: إنهم لهم المنصورون، وإن جند كل نبى من المؤمنين هم الملائكون، ونظير ما هنا ما فى الآية (٣١) من سورة الجاثية صفحة ٧٢٨، فأعرض عنهم أيها النبى واصبر حتى يؤذن لك فى قتالهم وانظرهم فى ذلك الوقت فيستدركهم فى أسوأ حال مما حل بهم من ذل وأسر وقتل، فسوف يصمرون هم أيضاً ما سيكون لك من نصر وتأييد.

وبعد ذلك أرشد سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يسبحوا ربهم دائماً فقال تعالى ﴿سبحان ربك﴾ أي قولوا سبحان ربك رب العزة الحق، تنزهه عما يفتره الكاذبون، وقولوا أيضاً سلام من الله على المرسلين كلهم من ذكر هنا ومن لم يذكر. والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، انظر شرح الآية (٥٩) من سورة النمل صفحة ٥٠١، وقد ورد أنه ﷺ كان إذا قام من مجلسه قال: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون... إلى قوله تعالى العالمين).

(سورة ص)

المفردات : . ﴿ص﴾ تنطق صاد يسكون الدال. ﴿ذی الذکر﴾ : أي صاحب الصيت العالي والشرف الرفيع، انظر الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ والآية (٤٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١. ﴿بیل﴾ : حرف يدل على الانتقال من كلام إلى آخر. ﴿عززة﴾ : هي الكاذبة المشار إليها سابقاً. وهي التكبر. وحمية الجاهلية ﴿شقاق﴾ : أي خلاف مع الحق وأهله، انظر الآية (٥٣) من سورة الحج صفحة ٤٤١. ﴿كم﴾ : كلمة تدل على الكثرة. ﴿من قرن﴾ : ﴿من﴾ حرف يدل على بيان المراد من ﴿كم﴾، أي قرنوا كثيرة أهلكتها. والمراد من ﴿قرن﴾ : الأمة، انظر الآية (٦) من سورة الأنعام صفحة ١٦٢ و ١٦٣. ﴿ولات﴾ : كلمة مركبة من ﴿لا﴾ النافية بمعنى ليس ومن ﴿التاء﴾ التي تتصل بالحرف لتؤكد معناها؛ فتتراد في ﴿رب﴾ فيقولون: ريت رجل لقيته. وفي ﴿ثم﴾ لتأكيد ترتيب العطف فيقولون جاء محمد ثمث أبو بكر. ﴿مناص﴾ : أي فرار ونجاة. تقول العرب: ناص فلان عن مرافقه، ينوص. إذا فر ورأغ منه. وأصل التركيب معناه وليس الحين حين مناص. ﴿منذر﴾ : المراد رسول يخوفهم من عقاب الله تعالى إذا عصوه.

المعنى : . ﴿ص﴾ تقدم المراد من مثل هذه الحروف أول سورة البقرة. أقسم بالقرآن صاحب الذكر العالي إنك يا محمد لمن المرسلين فالمتقسم به هنا وفي صفحة ٥٧٩ هو القرآن. والمتقسم عليه هو إثبات رسالة خاتم الأنبياء ﷺ. ويؤيد ذلك الآية (٤) الآتية. وبعد هذا القسم العظيم من رب أعظم انتقل سبحانه إلى العامل للقرار قرينش على اعتقاد تعدد الآلهة وعلى إنكار رسالة محمد. فبين أنه ليس الدليل ولا شبه دليل بل الغناد والكبر الجاهلي وحب الخلاف والعداوة حسداً. ثم حذرهم أن يبطش بهم كما يبطش بمن قبلهم لما عملوا مثلهم، فقال كم أهلكتنا .. إلخ: أي أهلكتنا كثيراً من الأمم قبلهم لما كفروا وعصوا رسليهم فلما رأوا العذاب نادوا مستغِيثين ولكن بعد فوات الأوان.

وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾ أَجَلُ الْآئَةِ
إِنَّمَا وَحْدًا إِنَّمَا هَذَا كَذِبٌ عَجَبٌ ﴿٢﴾ وَأَتْلَقَ النَّارُ
بَيْنَهُمْ أَنْ أَسْرَ وَأَصْبَرُوا عَلَى الْفِكْرِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ﴿٣﴾ مَا مَعْنَى بَيْنَهُمْ فِي إِلَهٍ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَخْلَاقٌ ﴿٤﴾ أَهْوَى عَلَيْهِ الَّذِينَ مِنْ بَيْنَهُمْ بَلْ فِي شَكٍّ
مَنْ ذَكَرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٌ ﴿٥﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٦﴾ أَمْ لَهُمْ ثَلَاثُ مُلْكٍ
وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكَيْفَ يَتَّقُوا فِي الْأَنْسَابِ ﴿٧﴾
جَدَّ مَا هَؤُلَاءِ مَوْلَا مِنْ الْأَوْتَادِ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَكَانَ وَرِثَتُهُمْ ذُرِّيَّةً وَوَعْدُ الرَّحْمَنِ
لُوطٍ وَأَخْبَتَ يَتَرِكُكَ أَرْثُكَ الْأَخْرَابُ ﴿٩﴾ إِنْ كُلُّ
إِلَّا كَذَّبَ الرَّسْلَ فَكَيْفَ عَذَابٌ ﴿١٠﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا

ألهكم، واقتبوا على عبادتها. ﴿الملة الآخرة﴾ : يريدون دين النصراني المحدث الذي قالوا فيه إن الله ثالث ثلاثة، انظر الآية (٧٣) من سورة المائدة صفحة ١٥٢. ﴿هذان﴾ : أي كذب. ﴿الذکر﴾ : أي القرآن. قالوا ذلك استهزاء كما في الآية (٦) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

﴿بل هم﴾ : ﴿بل﴾ حرف يفيد الانتقال من سبب من أسباب كفرهم إلى سبب آخر أي إن إنكارهم ليس عن علم. ﴿بل لما﴾ : ﴿بل﴾ هنا للانتقال إلى بيان أن شكهم هذا يزول عندما يرون العذاب، ولا يتفهم شيء حينئذ. ﴿لما﴾ حرف يدل على عدم حصول ما بعده إلى وقت التكلم مع القطع بأنه سيحصل، والمعنى هنا: أنهم سينذرونه حتماً. ﴿فليترتقوا﴾ : أي فليصعدوا. ﴿في الأسباب﴾ : جمع سبب وهو كل ما يتوصل به إلى شيء آخر كالجبل في الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٣٥، والسلم في الآية (٣٦) من سورة غافر صفحة ٦٢٢. والنظر

- | | | | | | |
|---------------|-----------|--------------|-------------|-------------|------------|
| (١) الكافرون. | (٢) ساحر. | (٣) الآلهة. | (٤) واحدا. | (٥) الهكهم. | (٦) الآخرة |
| (٧) اختلاق. | (٨) أنزل. | (٩) السموات. | (١٠) أصحاب. | (١١) أصحاب. | (١٢) الآية |

إذ ليس الوقت وقت نجاة وفرار، انظر الآية (٦٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥١. ومن أسباب إنكارهم رسالة نبينا ﷺ أنهم عجبوا لمجيء الرسول بشراً منهم انظر الآية (٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٥.

المفردات : . ﴿عجاب﴾ : أي عجيب جدا كقولهم رجل طوال أي طويل جدا. ﴿الملا﴾ : هم الزعماء والقادة، انظر الآية (٦٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٢. ﴿ان﴾ : أن أمشوا. ﴿ان﴾ : تفسيرية، انظر ﴿ان﴾ الثانية في الآية (٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٥، والمعنى: انصرفوا وهم يقولون لأتباعهم قولا مضمونة: ﴿امشوا﴾ أي انصرفوا عنه إلى

٦٥٠. وبعد ما بين سبحانه ما يزعمونه شبهة لهم انتقل عنه مبطلا له ببيان سبب مهم في جمودهم على الكفر فقال: بل هم في شك... إلخ، أي أن الذي معهم من الإيمان هو تمكن الشك منهم بسبب تمسكهم بتقاليد الآباء الذي حجب عقولهم عن النظر في الأدلة، ثم انتقل سبحانه إلى بيان أنهم سيعرفون الحق مكرهين فقال أول لما يدوروا عذاب... إلخ، أي أنهم إلى الآن لم يدوروا عذاباً وسيدوقونه قطعاً. وعند ذلك يعرفون بالحق ولكن بعد فوات الأوان فلا تنفعهم تلك المعرفة، انظر الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحة ١٩٠. ثم سغه سبحانه عقولهم على حسدهم فقال أم عندهم خزائن رحمة ربك أي هل يملك هؤلاء الكفار خزائن رحمة ربك الغالب الكثير المعطاء لمن يستحقه حتى يتصرفوا فيها حسب شهواتهم فيملوا النية لمن يريدونه، ويعملوها بمن لا يريدونه انظر الآية (٣٧) من سورة الطور صفحة ١٩٩، ثم أكد ما سبق بقوله: أم لهم ملك السموات... إلخ، أي أنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الذي هو جزء يستتر من خزائن رحمة الله فمن أين لهم التصرف فيه. وإن زعموا أن لهم ذلك فليصعدوا في المعارج الموصلة للعرش حتى يستقروا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يشاؤون. وهذا منتهى التعجيز والسخرية بقولهم، ثم أراد سبحانه أن يطمئن رسوله بأن هؤلاء المشركين الذين فقدوا عقولهم فصاروا كأنعام سيقلون قطعاً فقال جند... إلخ، أي من في مكة من هؤلاء الذين فقدوا عقولهم هم جند من جنس الأحزاب التي تحزبت على الأنبياء مهزومون قطعاً. وقد تحقق ذلك في بدر وغيرها حتى لم يبق للشرك أثر، ثم أكد ذلك ببيان ما حل بالطاعة أمثالهم من الأمم السابقة لهم يقتبهون فقال كذبت قبلهم قوم نوح، وعاد لوقم هود، وكانت مساكنهم في الأحقاف انظر الآية (٢١) من سورة الأحقاف صفحة ٦١٩. وفرعون صاحب المياني العظيمة التي تشبه الجبال في الثبات، وشود قوم صالح وقوم لوط واصحاب الأيكة لوقم شعيب.

هؤلاء هم الذين تحزبوا على رسالهم. ما كل فريق منهم إلا كذب رسوله، ويكون بهذا كذب الرسل جميعاً فوقع عليهم عقاب الله تعالى فاهلكهم انظر الآية (٤٠) من سورة النجرات صفحة ٥٢٦. وبعد ما بين سبحانه عقاب الأمم السابقة بالهلاك العام أراد أن يبين أن عقاب قریش نظراً لأنه امتنع عنهم هذا النوع من العذاب. كما في الآية (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١ وشرح الآية (١٢٩) من سورة طه صفحة ٤١٨ و الآية (١٧) من سورة يس

مع هذا الآية (٣٥) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧. فوجد ما هنالك... إلخ، فهناك: أي في مكة ووجد خبر فما مقدم، والأصل هؤلاء الذين يقاومونك أيها النبي في مكة هم جند مهزوم قطعاً، من عداد جنود الكفار الذين تحزبوا على الرسل قبلك فهزموهم الأحزاب: أي من جنس الأمم الكافرة التي تحزبت على رسلها واهلكها سبحانه، انظر الآية (٥) من سورة غافر صفحة ٦١٧ و الآية ٦١٨، والآية (٣٠) من نفس السورة صفحة ٦٢١ و الآية ٦٢٢. والمراد بها الأهرامات الثابتة ثبوت الأوتاد، أي الجبال، انظر الآية (٧) من سورة الأنبياء صفحة ٧٨٧، والآية (١٠) من سورة النجر صفحة ٨٠٦. والآيكة: شجرة كثيرة الأغصان، انظر الآية (٧٨) من سورة الحجر صفحة ٣٤٣. وإن كل: وإن كل: حرف نفى بمعنى ما. فكذب الرسل: انظر بيان ذلك في الآية (٣٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤. فحقق: انظر شرح الآية (٨٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٤. لوقم ينظر: أي وما ينتظر، راجع الآية (١٢) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠.

المعنى: قال مشركو مكة عن النبي ﷺ هكذا قال المجرمون والله سبحانه يتسم إنه لرسوله الصادق. ومن أصدق شهادة من الله؟ انظر الآية (٤٢) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨، والآية (٥٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨، والآية الأولى من سورة المنافقون صفحة ٧٤٢ و ٧٤٣. ثم تعجبوا من قوله ﷺ: (لا إله إلا الله) فقالوا هل يزعم محمد أن المعبود إله واحد، ونظيره في الآية (٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٥ إن هذا من محمد شيء عجيب جداً. ولندفع صناديد المشركين ورؤسائهم في قول الباطل وقالوا لا تبعهم قولاً ففسره بقوله امشوا أي سيروا على طريقة آبائكم وحافظوا عليها، وابتعوا على عبادة آلهتكم وتعلموا طعن محمد فيها حتى ترتب الخلاص منه، ثم عللوا أمرهم بالثبات بقولهم إن هذا الادعاء الذي يدعيه محمد من توحيد الإله شيء يريد به السيادة على العرب والعجم، ثم أكدوا الترتيب في الثبات بقولهم ما سمعنا بهذا الذي يدعو إليه محمد في مكة النصارى التي هي آخر دين نزل من السماء لأنها تتفق معنا في تعدد المعبود. فما الذي يقول محمد إلا كذب واقتراء من عند نفسه ونسبه إلى الله. ثم ذكروا ما يدل على أن الباعث لهم في الحقيقة على محاربة الدعوة إنما هو الحسد. فقالوا هل صحيح أن الله خصه من بيننا بإزالة ما يدعى أنه ذكر مع أننا زعماء العرب، انظر الآية (٣١) من سورة الزخرف صفحة

﴿فصل الخطاب﴾ : ﴿فصل﴾ بمعنى فاصل. والأصل الخطاب الفاصل بين الحق والباطل على أتم وجه فالتركيب من قبيل قولهم ﴿جوامع الكلم﴾ أى الكلام الجامع لمعان كثيرة. ﴿هل﴾ : المراد بها تنبيه الخير فى نفس المخاطب، كما فى الآية (٩) من سورة طه. ﴿الخصم﴾ : لفظ يستعمل فى الواحد والأكثر والمراد هنا الطرفان المتخاصمان. وكان كل طرف أكثر من واحد بدليل قوله تعالى ﴿تسوروا﴾ و ﴿دخلوا﴾ : إلخ. ﴿تسوروا﴾ : تقول العرب تسور فلان البيت أى علا سورره، وتسم الجملى أى علا سنامه والمراد هنا دخلوا من فوق سور المحراب، والسور الجدار. ﴿المحراب﴾ : هو أشرف مكان فى المنزل وكان لا يسمى محراباً إلا إذا كان مرتفعاً يصعد إليه بسلام، انظر الآية (٣٧) من سورة آل عمران صفحات ٦٨ و ٦٩. ﴿ففرغ﴾ : أى خاف، قال ابن عباس : كان داود عليه السلام يقسم أوقاته، يوماً يتفرغ فيه للعبادة، ويوما للقضاء بين الناس، ويوما لإرشاد بنى إسرائيل ووعظهم، وكان حين دخلوا عليه فى يوم عبادته والاحتجاج عن الناس، والحرس على الأبواب لا يدخلون أحداً. وعندما جاءوا من غير الأبواب، وتسوروا عليه محرابه من الخلف ظن أن أهل مملكته شفقوا عليه عصا الطاعة، وخرجوا عليه، فيكون فرغه من فساد النظام، أو خاف أن يقتلوه؛ لأن بنى إسرائيل كان فيهم جرأة على أنبيائهم حتى قتلوا بعضهم، وهذا لم يعرف فى أمة غيرهم، انظر الآية (١١) من سورة البقرة صفحة ١٢. ﴿لا تشطط﴾ : أى لا تتباعد عن الحق. ﴿سواء الصراط﴾ : تقدم فى الآية (١٠٨) من سورة البقرة صفحة ٣١. ﴿نمجة﴾ : هى الأنثى من الضأن. ﴿أفطانيها﴾ : أصل معناه اجعلنى أكفلها تحت يدى. والمراد: اتركها لأنها ملكى. ﴿عزنى﴾ : أى غلبنى. ﴿فى الخطاب﴾ : أى فى مخاطبته لى. ﴿الخطاء﴾ : جمع خليط، وهو الشريك الذى يخطئ ماله بمال غيره.

المعنى : لا ينتظر كفار مكة إلا صبيحة إسرائيل للبعث صبيحة واحدة لا تتكرر. ولما سمع الكفار هذا التهديد لهم بهذاب الآخرة قالوا على سبيل الاستهزاء والسخرية يا ربنا عجل لنا نصيبنا من هذا العذاب ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذى هو يوم القيامة كما يزعم محمداً. وهذا منتهى الحماسة كما فى الآية (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٣٣١. بعد ذلك قال سبحانه لنبيه اصبر على ما سمعت وما تستمع من مثل هذا الكلام المنفر وذكر قصة عبنا داود صاحب القوة فى الإيمان والعمل الصالح لتنتفع بها أنت ويعتبر بها كفار قومك، أما أنت فلا تضعرج ولا تفرج مما يقع منهم حتى لا تقع فيما يوجب عتابك، أما هم فسيقتلون لقبح عملهم

صبيحة واحدة مائة من فواق ﴿٥﴾ وقالوا ربنا عمل لنا فقلنا قبل يوم الحساب ﴿٦﴾ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴿٧﴾ إنا نحن أحياء لمعدن سينجى بالعمى والإفراق ﴿٨﴾ وأظفر عذرة كل مؤأوب ﴿٩﴾ وقد دنا ملككم وبأنت الحكمة وقصص الخطاب ﴿١٠﴾ * وقل أنك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴿١١﴾ إذ دخلوا على داود ففرج بينهم قالوا لا تخف خصمنا نبى بعصنا على بعض قاتكم بيننا الحق ولا نضطط وأهدنا إلى سواء الصراط ﴿١٢﴾ إن هذا الذى له أربع نسوة نعمة ولي نعمة ومنة فقال أكتفينا وعزنى فى الخطاب ﴿١٣﴾ قال لقد ظنك بسؤران فتجك إلى نساء وإن كثيراً من الخطاء يسؤران

صفحة ٥٨٥ - سيأتيهم العذاب الأكبر فقال وما ينظر .. إلخ: أى وإذا كان كل من كذب هلك فما ينتظر هؤلاء المشركون إلا صبيحة... إلخ.

المفردات : . ﴿صبيحة﴾ : المراد بها هنا النفخة الثانية فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

﴿من فواق﴾ : ﴿من﴾ حريف يدل على النص على عموم نفى ما بعده، والفواق أى الرجوع، من أفراق المريض إذا رجع إلى صحته والمراد : صبيحة واحدة لا تتكرر.

﴿قطنا﴾ : أى نصيبنا.

﴿الأيد﴾ : أى القوة والمراد : القوة فى الدين.

﴿أواب﴾ : أى كثير الرجوع إلى ربه.

﴿سخرنا الجبال﴾ ... إلخ : تقدم فى شرح الآية (١٠) من سورة سبأ صفحات ٥٦٣ و ٥٦٤.

﴿العمى﴾ : آخر النهار.

﴿الإفراق﴾ : المراد به وقت شدة ضوء الشمس ضحى والمراد من قوله تعالى بالعمى

والإفراق أى دائماً.

﴿شددنا ملكه﴾ : أى قوينا به الهيبة والنصر.

﴿الحكمة﴾ : هى كمال العلم ومعرفة أسرار الأشياء والإصابة فى القول والعمل، كما فى الآية (٤٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٠.

(١) واحدة.

(٢) وأتينا.

(٣) وأتاك.

(٤) نبا.

(٥) الصراط.

(٦) واحدة.

لتأكيد القلة في **﴿وقليل﴾** والأصل **﴿وهم قليل**

جدا.

﴿وانما﴾ : يرى كثير من العلماء أن **﴿وانما﴾**

يفتح الهمزة لمجرد التأكيد، ولا تقيد المحصر مثل **﴿انما﴾** بكسر الهمزة، فالمراد أننا

فتناه... إلخ.

وقال بعضهم: إنه لا مانع من إعادة المحصر ويصح هنا كما سيأتي في الشرح.

﴿وقتنا﴾ : أي امتحنناه بما حصل ليظهر

هل هو من أولى المزم الذين لا يبالون بشيء مما داموا بين يدي الله عز وجل وفي رهبة

الخشوع له سبحانه وله في جده إبراهيم عليه السلام خير قدوة حيث لم يبال باللقاء الكفار له

في النار كما في الآيات (٦٨ و ٦٩ و ٧٠) من **﴿سورة الأنبياء﴾** صفحة ٤٢٧.

﴿وخر راكعاً﴾ : **﴿وخر﴾** سقط على الأرض، كما في الآية (١٠٧) من **﴿سورة الإسراء﴾** صفحة ٣٧٩ و **﴿راكعاً﴾** أي مهبطاً بالركوع سجوداً.

﴿اناب﴾ : رجع إلى ربه بالتوبة من هفوته، حيث ظن أن المتخاصمين سيقتلونه. وهم برآء من ذلك.

(هنا يطلب من القارئ والمستمع المتواضع أن يستعيد سجدة واحدة تعرف بسهولة

التلاوة).

(١) أموا.	(٢) قتله.	(٣) ما لب.	(٤) يا داود.
(٢) جفلك.	(٧) بالفل.	(٩) الصالحات.	(١٠) كتاب.
(١١) أنزلناه.	(١٢) مبارله.		

وخطر ما سيحصل لهم لو استمروا! لأن داود مع علو شأنه لما حصل منه ما هو خلاف الأولى حصل له ما غمه وألمه. ومما يدل على قوة داود في الإيمان أنه كان كثير الرجوع إلى ربه في كل شئونه، ثم شرع في بيان قصته فقال إنا سخرنا الجبال معه فيزهن الله سبحانه عن كل نقص في كل الأوقات خصيصاً في السماء والصحى. وسخرنا معه الطير أيضاً حال كونها

مجتمعة على تسبيح ربها. كل من الجبال والطير رجاع إلى ربه أي مطيع لمشيئته انظر شرح الآية (١٥) من سورة الرعد صفحة ٣٢٢ والآية (١٨) من سورة الحج صفحة ٤٢٥ و ٤٢٦.

وقويتا ملكه بالهبة وكثرة العتود والنصر المتلاحق. وآتيانه المحكمة والبيان الأوفى الذي يفصل به بين الحق والباطل. ثم ذكر ما حصل منه وله فقال وهل أتاك... إلخ: أي تبيه أيها

النبي لخبر الطرفين المتخاصمين أمام داود عليه السلام حين اعتلوا سبور معاربه ودخلوا عليه وهو قائم يعمل فجأة من غير الباب الموعود وفي مكانه الخاص الذي لا يدخله أحد إلا

بإذنه، فتوجس منهم شراً وظن أنهم سيقتلونه. فلما رأوا خوفه قالوا لا تخف، ثم شرعوا في سرد قصتهم فقالوا: نحن فريقان متخاصمان بسبب بني بعضنا على بعض، فاحكم بيننا

بالحق ولا تتباعد عنه. وأرشدنا بحكمك إلى عين الصواب. وانما قال أحد طرفي الخصومة ذلك لأنه يعتقد أنه صاحب الحق والله سبحانه يرشدنا بذلك إلى أنه ينبغي للحاكم أن يعمل

مثل ذلك من المظلوم، ولا يفضل بزعم أن ذلك يحط من قدره. فإن قدره مهما علا لا يصل إلى قدر نبي الله داود. وانما خاف داود لأن المستوسدين كانوا من قومه بني إسرائيل،

المعروفين بالغلظة والتهجم على أنبيائهم والاستهانة بقتلهم، انظر الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧. ويظهر أن فريق الشاكي (المظلوم) كانوا كثيرين حتى استطاعوا أن يرغموا فريق

الظالم على الحضور معهم بهذه الكيفية وفي هذا الوقت ولم ينتظروا حتى يخرج داود. ثم شرع الشاكي في تفصيل شكواه فقال: إن هذا الرجل من الشريق الثاني هو أخي في النسب

والدين وهو أغنى مني: لأن له تسعاً وتسعين نعجة ولا أملك إلا نعجة واحدة. فافتصبها مني. ولما جادلته غلبني في المجادلة؛ لأنه أفصح مني وأقوى على تزويق الكلام حتى يغلب السامع

أنه صاحب حق. عند ذلك بعث داود التمنية حتى وقف على أن الشاكي صاحب حق. فقال: والله لقد ظلمك هذا الرجل ياخذ نعتك ضاماً لها إلى نطاجه. ثم أراد أن يخفف من شدة غيظه على أخيه ببيان أن هذه هي طبيعة أكثر الناس فقال وإن كثيراً من الغطاء... إلخ.

المغفرات: .: **﴿وقليل ما هم﴾** : **﴿فهم﴾** مبتدأ مؤخر و **﴿وقليل﴾** خبره مقدم عليه. و **﴿لأما﴾**

﴿ولنفي﴾ : تقدم معناها في الآية (٣٧) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨.

﴿مآب﴾ : المراد : مرجع في الجنة.

﴿خليفة في الأرض﴾ : خلافة خاصة غير المذكورة في الآية (٣٠) من سورة البقرة صفحات ٧ و ٨. والمراد بها هنا خليفة لمن سبقه من الأنبياء، انظر الآية (٧٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٤.

﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾... إلخ : المقصود بهذا حثه على المداومة على ما ذكر. وتنبهه غيره ممن يتولون أمور الناس.

وقد قال سبحانه مثل هذا لنبينا ﷺ للحكمة نفسها.

في آيتي (٤٨ و ٤٩) من سورة المائدة صفحات ١٤٦ و ١٤٧؛ واحكم أخرى كما في شرح الآية (٨٦) من سورة القصص صفحات ٥١٩ و ٥٢٠.

﴿وما خلقنا السماء والأرض... إلخ : انظر الآية (١٩١) من سورة آل عمران صفحة ٩٥ والآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ والآية (٢٢) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٣.

﴿أم نجعل﴾ : ﴿أم﴾ هنا تأكيد معنى حرفين: ﴿بل﴾ التي تأكيد الانتقال من كلام إلى آخر، و﴿هزة الاستفهام الإنكاري﴾ التي تأكيد نفى ما بعدها. وهو هنا التسوية بين الأتقياء والأشرار.

﴿الفجار﴾ : جمع فاجر. وهو الذي يشق ستر الشرائع ويتجاهر بالفسق.

المعنى : : فلا يشتد غضبك على أخيك لأن طبيعة الناس القالية عليهم أن التزكاء يبغى القوى منهم على الضعيف. ولا يسطم من ذلك إلا من آمن بالله حق الإيمان وعمل صالحا. وهؤلاء قليل جدا. ولما انصرفوا من مجلسه تذكر أنه حصلت منه هفوة. وهو ظانه أن الداخلين عليه سيقظونه وهم براء من ذلك، وهذا وإن كان هفوة بالنسبة إلينا لكنه بالنسبة للأنبياء يحاسبون عليه لعلو مقامهم، انظر نظير ذلك في شرح الآية (٣٠) من سورة الأحزاب

صفحتي ٥٥٣ و ٥٥٤. قال سبحانه وتعالى في ذلك فظن داود أننا لم نفعل به إلا الفتنة. فاستغفر ربه وسجد على الأرض حال كونه سابقاً ذلك بالركوع. ورجع إلى ربه بالتوبة. فغفرنا له تلك الهفوة. والحال أن له عندنا لزيادة في القرب منا وله مرجع حسن في الآخرة هو الجنة. وقلنا يا داود إنا جعلناك خليفة الأنبياء السابقين في الأرض تدبر أمور الناس. فداوم على الحكم بينهم بالحق. ولا تتبع هوى النفس لأن من يتبعه يتعبد عن طريق الحق. والذين يتعبدون عن الحق لهم عذاب شديد بسبب نسيانهم اليوم الذي يحاسبون فيه على ما فعلوا ولو لاحظوا ما ارتكبوا ذنباً. ثم أراد سبحانه أن يبين أن يوم الحساب الذي هو يوم القيامة لابد منه لأنه لولاه لكان خالق هذا العالم بلا حكمة؛ لأن كثيراً من الظلمة المفسدين في الأرض لا يعاقبون في الدنيا. وكثيراً من المظلومين لا يستطيعون الانتقام ممن ظلمهم في الدنيا. فالعمل والحكمة تقتضى أن يكون هناك دار يقص فيها للمظلوم ممن ظلمه، ولذا قال سبحانه ذلك ظن... إلخ: أي ظن ألا يبعث من يموت هو ظن الذين كفروا باليوم الآخر، فويل أي هلاك لهم من عذاب النار.

ثم انتقل سبحانه إلى بيان أن حكمته وعدله لا تسوى بين المصلح والمفسد فقال أم نجعل... إلخ: أي هل يصح في حكم الإله العادل أن يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض بالكفر والشرك وبقرية الميراث بل لا يصح أن نجعل المتقين من المؤمنين كالفجار منهم. ثم أراد سبحانه أن يبين أن في القرآن إنقاذ الناس من الضلال لو تنبه له المشركون لاهتدوا فقال كتاب أنزلناه... إلخ أي هذا كتاب أنزلناه إليك النبي مبارك أي كثير المنافع في الدين والدنيا ليتدبروا آياته وما اشتملت عليه مما فيه سعادتهم وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما أودع في طياتهم من الشعور بوجود إله واحد. انظر شرح الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١ والآية (٣٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤.

﴿ظنق﴾ : أى شرع ﴿مصحفا﴾ : المسح : إمرار اليد على الجسم والأصل يمسح سيقانها وأصابعها مسحا.

﴿السوق﴾ : جمع ساق.

﴿فقتا سليمان﴾ : أى ابتلياه بما يشق عليه. ليظهر هل يصبر كما صبر أيوب أم لا.

﴿كرسيه﴾ : المراد به هنا عرش الملك الذى كان يجلس عليه، كما فى الآية (٣٨) من سورة النمل صفحة ٤٩٨.

﴿جسدا﴾ : يراد به الجسم الذى لا روح فيه ولا قوة؛ انظر الآية (٨) من سورة طه صفحة ٤١٤.

﴿أناب﴾ : أى رجع.

﴿رخاء﴾ : أى ليلة مريحة فى السير وإن كانت سريعة؛ انظر الآية (٨١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٩.

﴿حيث أصاب﴾ : ﴿حيث﴾ ظرف مكان و ﴿أصاب﴾ أى أراد. تقول العرب: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب أى أراد قول الصواب فلم يوفق.

﴿غواص﴾ : فى البحار لاستخراج اللؤلؤ.

﴿مقرنين﴾ : أى مربوطا ببعضهم ببعض.

﴿الأصناد﴾ : جمع صنف يفتح أوله وثانيه وهو السلسلة.

﴿هنا﴾ : أى الملك الواسع والمال الكثير.

﴿فأمنن﴾ : أى فاعط.

﴿أمنك﴾ : أى أمنح.

﴿فأرضي وخسن مآب﴾ : تقدم فى الآية (٢٥) من هذه السورة صفحة ١٠٠.

أَوْرَاكَ الْإِنْبِيَّ ۖ وَوَعَدْنَا لَدَارِهِمْ مَكِيلًا ۖ فَمَتَّعْنَاهُمْ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ مَرَّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَنُوحًا إِذْ دَاخَلَ الْفُتُوحَ ۖ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ مِن فِيْهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ۖ وَذَكَرَ رَبِّي ۖ فَخَرَّتْ لِحَابِي ۖ وَدَوَّاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَاسْلُوكَ الْأَعْيُنَ ۖ وَقَدْ فُتِنَّا سُلَيْمَانَ ۖ وَالْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ۖ ثُمَّ أَنَابَ ۖ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَتَنًا ۖ لَا يُبْقِي ۖ لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِلَّا أَنْتَ ۖ أَرْوَاهُ ۖ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ يَجْرِى بِأَمْرِهِ رَحَاءً ۖ حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالتَّيَّابِينَ كُلَّ بَنَاتٍ ۖ وَأَوَّصَّ ۖ وَكَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فِي الْأَمْصَادِ ۖ فَهَذَا مَقَالُؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ۖ يُخَيَّرُ حَلَبَ ۖ وَكَأَنَّهُمْ عَسَدًا رَّزِقُوا ۖ وَخَسَنَ مَّالِي ۖ وَأَذْكُرْ عَبْدًا لَّيِّبًا ۖ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَيُّ سَيِّئِ الْقَائِلِينَ ۖ

المفردات : : ﴿أواب﴾ : تقدم فى الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ٥٩٩.

﴿إذ عرض﴾ : ﴿إذا﴾ بمعنى حين. متعلق بآواب.

﴿المعش﴾ : هو ما بعد الظاهر إلى الغروب.

﴿المصافات﴾ : جمع صافن وهو من الغسيل ما يقف على ثلاثة أرجل ويرفع الرابعة، واضعا طرف حافرهما على الأرض، وهذا لا يكون إلا فى الأصل من الخيل؛ يقال صفن الفرس بوزن جلس.

﴿الجهاد﴾ : جمع جواد يطلق على الذكر والأنثى؛ ومعناه الأصيل، سريع الجرى. والمراد : مدحها بأنها قوية نشيطة أصيلة. سباقه إذا جرت.

﴿أحببت﴾ : أى آثرت وفضلت، انظر الآية (١٠٧) من سورة النحل صفحة ٣١٠.

﴿الخير﴾ : أصل الخير المال الكثير كما فى الآية (١٨٠) من سورة البقرة صفحتى ٣٤ و ٣٥ والآية (٨) من سورة العاديات صفحة ٨١٨.

﴿ومن ذكر ربى﴾ : ﴿ومن﴾ قيد أن ما بعدها علة وسبب فيما قبلها، انظر شرح الآية (٤٧) من سورة المصافات صفحتى ٥٨٩ و ٥٩٠ فالمراد حبا حاصلًا بسبب تذكر أمر ربى بالعناية بالخيال، لأنها عدة الجهاد فى سبيل الله.

﴿بالحجاب﴾ : المراد به هنا ما حجبها عنه من افق، أو غبار، يند جريها للاستعراض.

(١) الألب. (٢) سليمان. (٣) المصافات. (٤) سليمان. (٥) التيابين. (٦) اخرون. (٧) ملب. (٨) الشيطان.

«مستى الشيطان»: المراد مرضت، ومن أدب الأنبياء أنهم ينسبون ما يؤلم إلى الشيطان. وكل خير إلى الله عز وجل. انظر آيتي (٧٨ و ٨٠) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥ والآية (١٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٨.

المعنى: : هذا القرآن المبارك يتذكر به أصحاب العقول، وبعد ما فرغ سبحانه من قصة داود شرع في حديث ابنه سليمان فقال: ووهبنا ... إلخ: أي أنعمنا على داود بولد صالح يرث ملكه ويكون نبياً بعده هو سليمان.

نعم العبد هو لأنه رجع إلى ربه في كل أموره، ومنها حين عرض عليه بعد الظهر الخيل الجياد بأمر منه عليه السلام.

وذلك أن العناية بالخيل كانت مطلوبة في دينه كما هي مطلوبة في الإسلام «باعتبارها من أدوات الحرب» فجلس يوماً لاستعراضها، وأمر بإجرائها فجرت، فأراد أن ينبه من حوله إلى أنه لم يفعل ذلك للفخر وحب الدنيا، بل فعله لتنفيذ أمر الله وتقوية دينه، وصار يردد هذا التنبيه حتى توارت الخيل بما حجبتها.

فقال ردوها عليّ. فلما رجعت قام إليها، وصار يمسح سوقها وأعناقها بيده، إظهاراً للعناية بها، وإرشاداً لغيره من أمته، ثم انتقل سبحانه إلى حادث آخر لسليمان فقال: ولقد فتنا ... إلخ: أي ابتلينا سليمان فألقينا على كرسي ملكه جسداً لا فائدة فيه ثم رجع إلى الله بالتوبة أو رجع إليه الكرسي. وبيان ذلك أنه نظراً لأنه لم يرد في تفسير الآية ما يفيد القطع برأى معين تشعبت فيها آراء المفسرين فروى بعضهم أن سليمان حين شعر بأنه ليس له من يرثه فيما هو فيه، كما ورث هو أباه، تمنى أن يكون له ذلك، بل صرح لمن حوله بأنه سيكون له أولاد كثيرون يصلحون لذلك ويجهادون في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم يولد له إلا شق ولد (سقط). فأدرك هبوطه فرجع إلى ربه بالاستغفار والتوبة. وطلب من الله بدل الأولاد ما يحفظ له ذكره من باب آخر وهو الملك الذي لا يناله أحد غيره إلى آخر ما سيأتى. ورغبة سليمان في ولد من نسله يرث مجده ليس غريباً فقد طلب ذلك إبراهيم عليه السلام من قبل،

انظر الآية (١٧٤) من سورة البقرة صفحة ٧٤ ومن بعده زكريا كما في الآية (٣٨) من سورة آل عمران والآيات من (٣ إلى ٦) من سورة مريم صفحة ٣٩٦ والآية (٨٩) وما بعدها من سورة الأنبياء صفحة ٤٣٠، وقال ابن الأثير في تاريخه في الجزء الأول:

إنه كان لداود ولد أكبر من سليمان وكان فاسداً، وعلم أن أباه يرغب في أن يكون كرسي الملك بعده لسليمان فحارب أباه، وانتزع منه الملك، ثم تكاثر عليه أنصار أبيه حتى قتلوه فخرج الملك لداود وخلص الكرسي لسليمان من بعده فتقوله ألقينا على كرسيه جسداً يريد هذا الولد الفاجر، لأنه كان كأنه جسم ميت لا روح فيه. فتقوله على هذا الرأي: «ثم أناب» أي رجع إليه الكرسي بعدما سلب منه، وقال الضعزعي الرازي: إن فتنة سليمان، أن الله تعالى ابتلاه بمرض شديد أقعده حتى صار من شدته عليه كأنه مجرد جسد لا روح فيه ثم أناب أي رجع إلى حاله الأولى من العافية. وقد عرضنا على القارئ أقرب ما قيل في هذا الموضوع ليعلم أنه لا حرج عليه في أن يختار ما يطمن له قلبه، والله سبحانه أعلم. وبعد ذلك طلب سليمان من ربه ما يريد به حالة كونه مقدماً الاستغفار ليكون أقرب إلى الإجابة فقال يا رب اغفر لي ما يكون قد حصل مني، وهب لي ملكاً لا يسهل حصوله لأحد من بعدى.

إنك أنت كثير العطاء، فاستجاب الله تعالى له فسخر له الريح تجري بأمره لينة لازعزعة فيها إلى حيث أراد، وسخرنا له الشياطين كل بناء منهم للمحاربين والقصص وغير ذلك. وشياطين آخرين مقيدون في السلاسل لأنهم خالفوا أمره؛ انظر آيتي (٨١ و ٨٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٩، وآيتي (١٧ و ١٢) من سورة سبأ صفحة ٥٦٤.

وقال سبحانه له: هذا الملك الواسع هو عطاء منا لك، فأعطاه منه من شئت وامنع من شئت، فإن نجاسبك على شيء من تصرفك فيه، لأننا نعلم أنك لا تتصرف إلا في الوجوه المشروعة النافعة، سخرنا كل ذلك لسليمان والحال أن منزلته عندنا عالية، وله في الآخرة حسن مرجع، وذكر أيها النبي لقومك قصة عبدنا أيوب حين نادى ربه بقوله يارب إني مستى الشيطان... إلخ، وهو من نسل إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

﴿الابصار﴾ : جمع بصير، والمراد به هنا البصيرة وهي معرفة أسرار الدين وغيره.

﴿واخلصناهم بخلاصة﴾ : أي جئناهم خالصين لطاعتنا بسبب توفيقهم لخصلة خالية من كل عيب، انظر الآية (٢٤) من سورة يوسف صفحة ٣٠٦.

﴿ذكرى الدار﴾ : بيان للخالصة السابقة والمعنى تذكر دار الآخرة والعمل لها.

﴿المصطفين﴾ : المختارين المفضلين على غيرهم.

﴿الاخيار﴾ : جمع خير فوزن سيد وهو كثير الخير.

﴿اليسع وذا الكفل﴾ : من الأنبياء بنى إسرائيل.

﴿هذا ذكر﴾ : أي ما تقدم شرف عظيم لهؤلاء الأنبياء، انظر شرح الآية (١٠) من سورة الانبياء صفحة ٤٢١ والآية (٤٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١.

﴿ويدعون فيها بشاكة﴾ : أي يطلبون وهم في الجنة فاكهة كثيرة.. إلخ.

﴿واقصرات الطرف﴾ : أي لا ينظرون إلى غير أزواجهم لجمالهم في نظروهم، كما تقدم في الآية (٤٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠.

﴿أتراب﴾ : جمع ترب يكسر فسكون، وهي المساوية لغيرها في السن، أي متساويات في سن الشباب، انظر آيتي (٣٦ و ٣٧) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥.

المعنى : : إن أيوب لما ابتلاه ربه سبحانه وتعالى بقصد الصحة والأولاد صبر ولم يشك لأحد غير الله. ولم يلجأ إلا إليه تعالى، فقال: إني أصببت بتعب وألم من المرض، فألقذه سبحانه فقال له اضرب الأرض برجلك يخرج ينبوعًا من الماء البارد، فاقبسل منه واشرب أي استعمله ظاهرا وباطنا يذهب ما بك من الألم، ونحن نجد بعض المياه المعدنية الآن تشفى أمراضا كثيرة جلدية وغيرها. فسيحان العلم بأسرار خلقه. ثم عوضه أولًا بعدد من مات منهم مرتين.

يُصْبِي وَيَلْبَسُ ۖ أَزْكَىٰ يَرْفُكُ هَذَا مُقْبِلٌ
بَارِدٌ وَتَرِبٌ ۖ وَجِئْنَا لَهُ أَنْهَارٌ وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ

رَحَىٰ نَبَاٌ وَيَكْنَىٰ أُولَىٰ الْأَنْبِيَا ۖ وَفِي يَدَيْهِ
صِفَاتٌ قَاتِرِبٌ بِهِ ۖ وَلَا تَحْتَفِئُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ

الْمُتَّبِعُ ۖ لَهُ أَتْرَابٌ ۖ وَأَذْكُرْ عَيْنَاتَنَا إِبْرَاهِيمَ وَأَحْسَنَ
وَيَعْقُوبَ أُولَىٰ الْأَنْبِيَا ۖ وَالْأَبْصَرَ ۖ إِنَّا أَنْصَبْنَاهُمْ

بِحِلْمَةٍ ذَكَرَىٰ الدَّارَ ۖ وَأَنْتُمْ عِدَّةَا بَيْنَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَرِ ۖ وَأَذْكُرْ إِسْحَاقَ وَكَالِيعَ وَذَا الْكَفْلِ

وَكُلٌّ مِنْ الْأَخْيَرِ ۖ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لِلشَّعْبَيْنِ عِلْمُنْ
مَلِيٍّ ۖ جَنَّتٍ عَنْ يَمِينٍ مَشْجُوعَةٌ كَسَمِ الْأَنْبِيَا ۖ

مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ ۖ هَذَا
وَعَدْنَاهُمْ قَصْرًا تَرْفَعُ الْأَرْبَابَ ۖ هَذَا

المفردات : ﴿رضب﴾ : أي مشقة وتعب.

﴿عذائب﴾ : المراد : ألم يضرب صاحبه،

انظر الآية (٨٢) من سورة الانبياء صفحة ٤٢٩.

﴿اركنض﴾ : أي اضرب الأرض برجلك

يخرج منها ينبوعًا من الماء البارد.

﴿مصطفين﴾ : أصل المفضل المكان الذي

يقتل فيه، وطلق على الماء الذي يقتل به،

وهو المراد هنا، لعطف ما بعده عليه وهو

﴿شرب﴾ والمراد : مشروب، ﴿ذكرى لأولى

الابواب﴾ : أي عظة لأصحاب العقول يتعلمون

منها انتظار الفرج بالصبر الجميل.

﴿وضعت﴾ : هو العزمة الصغيرة من عيدان الحشائش، انظر شرح الآية (٤٤) من سورة يوسف صفحات ٣٠٩ و ٣١٠.

٣١٠ و ٣٠٩

﴿ولا تحنت﴾ : أي لا تقع في الحنت، بسبب عدم فعل ما حلفت عليه، انظر

الآية (٤٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥.

﴿أتراب﴾ : تقدم في الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ٥٩٩.

﴿أولى الأيدي﴾ : ﴿الأيدى﴾ جمع يد والمراد بها هنا القوة في الطاعة، انظر شرح الآية (٢٨) من سورة الصافات صفحة ٥٨٨. فالمراد أصحاب القوة في الطاعة.

(١) الأتارب.	(٢) عذابه.	(٣) عذابه.	(٤) إبراهيم.	(٥) إسحاق.
(٦) الإجمال.	(٧) انحصارهم.	(٨) إسماعيل.	(٩) نبي.	(١٠) جات.
(١١) الأبواب.	(١٢) عاكهة.	(١٣) قاصرات.		

ثم يقول خزنة جهنم لرؤساء الكفر والضلال مشيرين إلى اتباعهم هذا جمع كثير من اتباعكم حشر معكم في جهنم.

فيقول هؤلاء الزعماء: لا مرجحاً بهم، دعوا عليهم ثم عللوا كرههم بأنهم داخلون النار.

فيرد الأتباع على الرؤساء قائلين: بل أنتم لا مرجحاً بكم، أى أن الدعاء الذى دعوتكم به علينا أنتم أحق به.

وعللوا ذلك بقولهم أنتم قدتمتم لنا هذا العذاب بتفيريكم بنا حتى اتبعناكم، فبئس هذا المقر الذى أوقفتمونا فيه.

ثم قال هؤلاء الأتباع: يا ربنا من شئب لنا فى تقديم هذا العذاب فزده عذاباً مضاعفاً فى النار، عذاباً على ضلاله وآخر على إضلاله لغيره، ونظيره فى الآية (٣٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٨ والآية (٤٧) من سورة غافر صفحة ١٢٤.

وقال رؤساء الكفر: ما لنا لا نرى رجالاً من فقراء المؤمنين كنا فى الدنيا نعددهم من النعماء.

هل كنا سخرنا منهم مع أنهم من أهل الجنة، أم هم معنا فى النار ولكن لم تقع عليهم أبصارنا؟

ثم بين سبحانه أن هذا التخاصم سيكون حقاً فقال إن ذلك... إلخ أى هذا الذى حدثناك عنه أيها النبى حق، هو تخصصهم أهل النار، انظر الآية (٩٦) من سورة الشعراء صفحة ٤٨١.

فل أيها النبى لكفار مكة إلهما أنا محذر لكم من عذاب الله إذا أشركتم به والحال أنه ما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز أى الغالب على أمره. انفار لكل من تاب.

والمراد: أنا منذر وليست بساحر ولا كاذب كما تقترون.

﴿أزواج﴾: أى أصناف وأنواع.

﴿فوج﴾: أى جمع كبير من اتباع رؤساء الكفر والضلال.

﴿مقتحم﴾: أى داخل بشدة ومشقة مع ضيق فى جهنم مكم.

﴿لا مرجحاً بهم﴾... إلخ الأصل: قالوا ﴿لا مرجحاً﴾... إلخ.

﴿وصلوا النار﴾: أى داخلوها ومقاسون حرها.

﴿لا مرجحاً بكم﴾: هذا رد من الأتباع على الزعماء..

﴿القرار﴾: أى المقر الذى أوقفتمونا فيه، وهو جهنم.

﴿ضعفاً﴾: أى مرتين.

﴿رجالاً﴾: يريدون فقراء المؤمنين.

﴿الأشرار﴾: يريدون المعتدين الذين كانوا يستخرون منهم، انظر الآية (٣٩) وما بعدها من سورة المنافقين صفحة ٧٩٨.

المنفى: - يقول سبحانه لعباده المؤمنين هذا الذى ذكرناه من الجنة ونعيمها هو ما وعدكم به ربكم تتألفونه بعد يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار. ثم طمأنهم بأنه نعيم دائم بقوله: إن هذا الرزق لكم منا غير مقطوع.

وبعد ما وصف سبحانه نعيم المؤمنين أتبعه بوصف عقاب الظالمين من الكافرين والضالين فقال: هذا جزاء المبتقين... إلخ. (أى الأمر بالنسبة للمبتقين هو الذى سمعت).

وان للظالمين لشعر مرجع، ثم بينه بأنه جهنم يقاسون حرها ففتيح المهاد مهادهما هذا العذاب قليدوقوه.

ثم بيئه بأنه حميم أى ماء حار يقطع الأمعاء. وصديد، انظر الآية (١٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٤ ولهم شراب آخر من مثل ما ذكر أنواع مختلفة لا يلمها غيره تعالى.

﴿رجيم﴾ : أى مرجوم باللعن من الجميع. ﴿يوم الدين﴾ : يوم الحساب والمراد يوم القيامة.

﴿انظرنى﴾ : أمهلنى. ﴿إلى يوم يبعثون﴾ : يريد الخبيث أن ألا يموت مع الخلائق عند النفخة الأولى المذكورة فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٢١٥، فلم يجبه سبحانه بل أخبره بأنه سيصفق مع كل حى. ﴿يوم الوقت﴾ ... إلخ : تقدم فى الآية (٢٨) من سورة الحجر صفحة ٣٤٠.

المنى : . قل أيها النبى لكفار قومك: هذا الذى أخبركم به من أنى رسول الله ومنذر لكم من عذاب شديد. ومن أنه واحد لا شريك له، هو خير عظيم الأثر. ولكنكم معرضون عنه لا تتأملون فى عواقبه. ثم نبههم إلى بعض أدلة صدقه بقوله: ما كان لى علم مطلقاً بأحوال الملا الأعلى حين يختصمون، ولما كان من أدلة صدقه ﷺ الإخبار بغيث لا يعلمه غيره تعالى كره سبحانه فى القرآن مراراً، انظر الآية (٤٤) من سورة آل عمران صفحة ٧٠، والآية (٤٩) من سورة هود صفحة ٢٩١ والآية (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٣١٨، والآيات من (٤٤) إلى (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٢ ثم أكد ما سبق بقوله إن يوحى.. إلخ: أى ما يوحى إلى شئ من الله سبحانه إلا أنى نذير لكم، وخص الإنذار مع أنه مبشر أيضاً؛ لأنه المناسب لحالهم. انظر آيتى (١٩٣ و ١٩٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١، ثم شرع سبحانه فى تفصيل ما أجمله أولاً فى الآية (٦٩) من قصة امتناع إبليس ليعتبروا ويعلموا أن الحسد والكبر أهلكا إبليس. فلا يحملهم الحسد والتكبر على محمد ﷺ على الوقوع فى الهلاك أيضاً، إذ قال ربك ... إلخ. أى اذكر لهم ما قاله للملائكة إلى آخر ما سبق فى صفحات ٨ و ١٩٣ و ٢٤٠ و ٢٧٢ و ٣٧٢ و ٣٨٨. وبعدما عصى إبليس قال له سبحانه أخرج من الجنة التى كان فيها آدم على حسب ما سبق فى سورة البقرة، وقال له ستكون ملعوناً على كل لسان وملعوناً منى أيضاً إلى يوم القيامة؛ ولما يئس الملعون من رحمة الله قال ربى أمهلنى ولا تهلكنى واتركنى حياً إلى يوم القيامة. قال سبحانه: فإنك من الممهلين إلى يوم النفخ فى الصور لإهلاك الخلائق.

المفردات : . ﴿من علم﴾ : ﴿من﴾ حرف يدل على النص على عموم نفى ما بعده.

﴿الملا الأعلى﴾ : المراد بهم هنا الملائكة ومن تبعهم ممن أمروا بالسجود لآدم فى الآية (٣٠) من سورة البقرة صفحة ٨، ويدل على ذلك ما سياتى فى الآية (٧١) وما بعدها هنا.

﴿إن﴾ : أى «حين».

﴿يختصمون﴾ : المراد من الاختصام هنا:

مجرد المحاربة، أى يتحاورون فى شأن آدم.

﴿إن يوحى﴾ : ﴿إن﴾ حرف نفى بمعنى

ما. ﴿إذا قال ربك﴾ .. إلخ بيان لبعض ما حصل من المحاربة فى الملا الأعلى.

﴿سويت﴾ .. إلخ : تقدم فى الآية (٢٩) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠.

﴿خلقت بيدى﴾ : تقدم المراد بها فى الآية (٧١) من سورة يس صفحة ٥٨٥.

﴿استكبرت﴾ : الهمة للاستفهام المراد به التوبيخ، أى هل يصح أن تتكبر على آدم مع أنه خير منك، أى هل استولى عليك كبر.

﴿أم كنت من العالمين﴾ : ﴿أم﴾ تقدم المراد بها فى الآية (٧١٤) من سورة البقرة صفحة

٤٢. ﴿من السالين﴾ : المراد الخارجين على أوامر الله تعالى بعبادتها بغيثاً، انظر معانى العلو

فى الآية (١٩) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧.

- | | | |
|-------------|---------------|---------------|
| (١) نيا. | (٢) بالملأ. | (٣) للملائكة. |
| (٥) ساجدين. | (٦) الملائكة. | (٧) الكافرين. |
| | (٨) يا إبليس. | (٩) خالق. |

خطاب لصغارهم التي توقن أنه صادق أمين. ولم يعرف بغير ذلك فيما بينهم. ثم أكد ذلك بقوله فإن هم الخ: أي ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير لكل العالين من إنس وجن. ثم بعد أن نبههم إلى العبارة هددهم إذا فخرطوا فحقاقتهم. الخ: أي والله تعلمون إن أصبرتم على الباطل خبر هذا القرآن وأنه حق، ولتعلمونه بعد قليل. أي حين موتكم. ولن ينفعكم علمكم حينئذ. نسأل الله تعالى الهداية، والله تعالى أعلم.

١٥٨٨

الفردات: الزمر: يفتح الميم وسببتي بيان هذا اللفظ في الآية (٧١) الأتية.

وَيُنَزِّلُ الْكِتَابَ فِيهِ الْغَايَةُ الْمَقْصُودُ

﴿المعزى﴾: هو النبىء الذى لا يقايله أحد. ﴿الحكيم﴾: الذى لا يفشل إلا مسافيه حكمة

Belang

﴿الذين﴾: المراد به هذا الأمة، ﴿وأولياءهم﴾: المراد: مبيوعات باطلة يوارثونها بالتقرب إليها.

المعنى: تنزيل هذا الكلام، أو تدعيم هو: من الله العزيز الحكيم الذى لا يفضل شيئاً عبيداً. لا من

إِنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

شروع فی بیان ما اُفتدیل (ہذا ازیلہ)۔ اےخ۔ آی انا انزلنا الیک ایہا الرسول ہذا

الكتاب أمر بالحق والعدل، وحمايته سعادة الجيوش. فاعبد الله تعالى وحده مخلصاً له الطاعة من شوائب الشرك والرياء، ثم ذبه على أن الله تعالى لا يقرب إليه إلا الطاعة الخالصة من كل عيب، وذلك إذا سجدته، أنه أن يدين قبح الشر، ويأمر بالحق صائحه من غير جسيم فقال:

الْعَمُورَ ﴿٥٥﴾ قَالَ فَبِعِمْرِكَ لَا أَغْرِبُهُمْ أَهْلِينَ ﴿٥٦﴾
عَبَادُ اللَّهِ الْمُطْعَمِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ فَالْقُلُوبُ رَأَتْهُ أَثَرُ ﴿٥٨﴾
لَا أَتَانَهُمْ مِنْكَ بِشَيْءٍ سَأَلْتَهُمْ أَهْلِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
مَنْ مَعَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمٍ وَثَانٍ مِنَ التَّكْوِينِ ﴿٦٠﴾ إِنَّا
مَنْعُوكُمْ مِنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَأَوَّلَ مَا دُكِيَ اللَّيْلِيَّاتِ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ حِينَ ﴿٦٣﴾

(۴۹) مَدِينَةُ الْبَرَكَةِ
وَأَرْضُهَا أَطْيَبُ وَأَرْضُهَا أَطْيَبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحْتَرِي الْكُتُبَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ فَأَنزَلْنَا
الْبَيْتَ الْكَبِيرَ يَلْقَىٰ قَائِدُ اللَّهِ مَخْصَصًا لِلدِّينِ ۝
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

﴿التكليفين﴾: أى المدينين مسؤولية
 ما لا يعرفون. قال عبد الله بن مسعود: أئها
 الناس من علم منكم علما فليقل به. ومن لم
 يعلم فليقل الله أعلم. قال سبحانه لرسوله
 قل وما أنا من التكفين.

ان هون: ان حرف نفسى به معنى ما.

أى: ماهو. ذكر: أى تذكير وعلة.

المعنى :- لما أخبر سبحانه إيليس بأنه آخر موته ليوم النسخة الأولى. قال العيين : القسم

إلا عبادك منهم الذين أخذتهم لهم الصلوة، فإن إغواءى لا يفتق معهم لخرقهم منك. قال سبحانه وتعالى فالحق قولى دائماً ولا أقول إلا الحق، وعزضى لأمرأتى جهنم منك أى من جنسك من ذريتك من الجن كما فى الآية (٥٠) من سورة الكهف صفة: ٧٨، ومن كل من يتبعك من أولاد آدم أجمعين.

سورة يونس صفحتها ٣٦٨. وقد رد عليهم سبحانه موضحاً لهم في الآية (٧٨) من سورة الأحقاف صفحتها ٣٧٠. ثم هددهم سبحانه بقوله: إن الله يحكم بينهم أي وبين المؤمنين فيما اختلفوا فيه من التوحيد والشرك يوم القيامة فيدخلهم جهنم. ويدخل المؤمنين الجنة. ثم بين سبحانه سبب ضلالهم.

فقال: إن الله لا يهدي من هو مصمم على الافتراء شديد الكفر والعناد. انظر شرح ذلك في الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحتها ١٦٨. ثم بين سبحانه استحالة مايزعمون فقال: (لو أراد الله أن يتخذ) .. إلخ: أي كما قالوا: اتخذ الرحمن ولدا في الآية (٣٦) من سورة الأنبياء صفحتها ٤٢٢ و ٤٢٣؛ ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يتخذ ولدا لما أمكن أن يختاره إلا من خلقه، لاستحالة وجود أحد قديم في الكون لا أول له غيره تعالى، انظر الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحتها ٢٣، ومن القطوع به أن الولد من جنس أبيه، ويستحيل أن يكون المخلوق من جنس الخالق القديم، وحاصل المعنى: لو أراد الله سبحانه وتعالى اتخاذ ولد لاستلقت تلك الإرادة لتعلقها بالمتنوع، لكن لا يجوز على الباري أن تتعلق إرادته بالاستحيل، فالنتيجة أن الولد محال عليه سبحانه وتعالى؛ ونظير ذلك ما في الآية (١٧) من سورة الأنبياء صفحتها ٤٢١ و ٤٢٢؛ ولكنه لو أراد أن يصطفى أحداً من خلقه لاصطفى ما شاء، وقد اصطفى فعلاً في الآية (٣٣) من سورة آل عمران صفحتها ٦٨ ولا يكون هذا من اتخاذ الولد في شيء؛ ولذا قال «سبحانه» أي تنزيهاً له تعالى عن ذلك لأنه الواحد الذي قهر كل شيء قدرته. ثم بين كمال قدرته على كل شيء فقال: خلق السموات والأرض بالحق ولحكمته سامية لا عيباً كما في الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحتها ٤٢١، ومن قدرته أنه يطيل الليل ويقصر النهار تارة ويعكس الأمر تارة أخرى لحكم عالية. وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه. كل منهما يجري لحين انتهاء العالم. ألا هو الغالب على أمره. القاهر لكل كافر لا يعجز. الغفار لكل من تاب من ذنبه. ومن دلائل قدرته وحكمته أنه خلق الناس من نفس واحدة وجعل لها زوجاً من جنسها وأنزل أي خلق (كما في إنزال الحديد في الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحتها ٧٢٣). والمعنى: خلق لكم من الأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعاز. ومن قدرته وحكمته أيضاً أنه يخلقكم أطواراً في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق من خلقه إلى مضغة إلى علق، وهذه التطورات تحصل في جوف الرحم محاطة بثلاثة أغشية. ذلكم الذي يفعل كل هذا هو ربكم الحق لا إله إلا هو. فكيف يصرفكم الشيطان عن عبادته وخدمه إلى عبادة غيره معه. ثم بين سبحانه أن عبادتهم له لمصلحتهم فقال: إن تكفروا فلن يضره كفرهم لأنه سبحانه غني عنكم. ولا يرضى لعباده أن يكفروا به؛ لأنه هو الذي خلقهم ورزقهم فيجب ألا يعرفوا غيره.

المفردات: - «ولنفي»: تقدمت في الآية (٣٧) من سورة سبأ صفحتها ٥٦٨. «كفار»: أي شديد الكفر. «لاصطفى»: أي اختار.

«يكور الليل»: إلخ: تقول العرب كور العمامة على رأسه أي لفها طaque فوق طaque. فالنفي يلف الليل على جزء من النهار فيطول الليل، وليف النهار على جزء من الليل فيطول النهار. والكلام كناية عن طول أحدهما وقصر الآخر وتشاوت جزئه كل منهما بين الضوء والظلمة، كما في الآية (٢٧) من سورة آل عمران صفحتها ٦٧. «ألا»: حرف ينيه السامع للفتية بما بعده. «خلقكم من نفس واحدة»: إلخ: تقدم شرحها في الآية (١) من سورة النساء صفحتها ٩٧. «وأنزل لكم من الأنعام»: معنى الإنزال هنا: الخلق والإيجاد؛ انظر الآية (٣٦) من سورة الأعراف صفحتها ١٩٥ والآية (٢٥) من سورة الحديد صفحتها ٧٢٣.

«ثمانية أزواج»: تقدم معناها في الآية (١٤٣) من سورة الأنعام صفحتها ١٨٧.

«خلقاً من بعد خلق»: تقدم بيان ذلك في الآية (١٢) وما بعدها صفحتها ٤٤٦.

«في ظلمات ثلاث»: أثبت التشريح الطبلي الحديث أن الجنين محاط بثلاثة أغشية في داخل الرحم. فسبحان من علم رسوله مالم يكن أحد يعلمه.

«فاني»: أي فكيف. «تصرفكم الشيطان عن الحق».

المعنى: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتقربون إليهم يقولون مانعهم إلا ليقربونا إلى الله منزلة وذلك أنهم جعلوا تماثيل للكواكب والملائكة وللأنبياء وللصالحين الذين ماتوا.

وقربوا لها القربان. وتوسلوا بها إلى الله تعالى. وقالوا إن الله أعظم من أن نتوجه إليه مباشرة. فتحن تنحرف إلى هذه. وهي تقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده كما في الآية (١٨) من

- | | | | | | | |
|--------------|-------------|-------------|---------------|-------------|-------------|------------|
| (١) كاذب. | (٢) سبأ. | (٣) الواحد. | (٤) السموات. | (٥) الليل. | (٦) الغفار. | (٧) واحدة. |
| (٨) الأنعام. | (٩) ثمانية. | (١٠) أزواج. | (١١) أمهاتكم. | (١٢) ظلمات. | (١٣) ثلاث. | |

(١) الخاسرين.

(٢) القيامة.

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

(١) الخاسرين. (٢) القيامة. (٣) يا عباد. (٤) الطلائعوت. (٥) هدهم. (٦) الألباب.

لتكرر براهيته ومواعطه وقصصه بسمور مختلفة لقطع العذر على من يحاول الاعتذار يوم القيامة، انظر الآية (٤) من سورة الزمر صفحة ٧٠٥. **﴿وتتشكروا﴾** : من وعيده بالعذاب جلودهم لأنهم يخشون ربهم. **﴿ولم تلبسوا﴾** ... إلخ: أى تلمسوا وتسلوا لوعده.

﴿واقمن يلقى بوجهه﴾ ... إلخ: يقال فيه ما قيل في مثله في الآية (١٩) السابقة.

المعنى: إن الله وعد المتقين بأن يكون لهم في الجنة غرف فوقها غرف حقيقية نظمت على أساس أنها تجري من تحتها الأنهار. وعدهم الله تعالى بذلك وعداً. والله لا يخلف وعده. وعندما وصف سبحانه نعيم الآخرة بما يرغب فيه. أراد أن يبين نعيم الدنيا وسرعة زواله تحذيراً من الاعتزاز به، وصرف كل الهممة فيه. فقال: **﴿والم تر﴾** .. إلخ أى ألم تشاهد أيها الناظر الماء وقد نزل من السماء فادخل منه كثيراً في بطن الأرض، ثم فجّر منه عيوناً تجري على ظهر الأرض، ثم يخرج به أنواعاً مختلفة من النباتات من بر وشعير وأرز إلى غير ذلك، ثم تضجّت وجفت واصفرت بعد خضرة ثم صارت فتاتاً تهتكسرة. إن في هذا الذي تشاهدونه تذكيراً وعبرة يقترب بها أصحاب العقول فلا يغترون بزخارف الدنيا لأنها سريعة الزوال وإنما خص سبحانه ماء العيون بالذكر مع أن المطر قد يجري أنهاراً على ظهر الأرض مباشرة؛ لأن ماء العيون هو الدائم في البلاد الصحراوية كبلاد العرب الذي كان الخصام دائراً معهم ذلك الحين. ثم بين سبحانه أنه لا ينتفع بهذه العبرة إلا من شرح صدره للدين الحق فقال: **﴿واقمن يلقى بوجهه﴾** .. إلخ أى هل يظن عاقل أن من دخل النار قلبه، فانشرح للإسلام صدره، ما علم فيه من الحق، فأصبح متمكناً من الهداية التي أنعم الله بها عليه، كمّن طبع على قلبه لفتاته عن المصير المحتوم انظر الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. فهلاك أشد أنواع الهلاك لمن قست قلوبهم من أجل ذكر الله الذي من حقه أن تلين الجلود لذكره. هؤلاء في ضلال واضح لا يخفى على بصير. ثم بين هذا الذكر الذي لم يهز قلوبهم بقوله: **﴿الله الذي أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً أي متماثلاً في الإتيان، تكرر قصصه ومواعطه وأوامره ونواهيته بصور مختلفة، إذا سمعها المؤمنون تشعروا من وعيده بالعذاب جلودهم لأنهم يخشون ربهم. وإذا سمعوا آيات الرحمة والمغفرة تلين جلودهم وتلين قلوبهم: ذلك الكتاب هو هدى الله يهدي به من يشاء. ومن يهده الله تعالى عن الانتفاع به فما له أحد يهديه إلى الصواب، انظر شرح الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. ثم أراد سبحانه أن يبين الفرق بين حال الهتدي والضلال: **﴿وقال﴾** اقمن يلقى بوجهه **﴿﴾** .. إلخ أى هل من يقضى بوجهه الذي هو أشرف أعضائه يوم القيامة العذاب السيئ، لكون يده التي يقضى بها المخاوف مولولة إلى عتقه كمّن هو آمن لا يعتريه مكروه فلا يحتاج إلى انتفاعه وتقول الملازمة لهؤلاء المعتدين ذوقوا جزاء ما كنتم في الدنيا تعملون من الكفر والمعاصي**

مبينه تجري من تحتها الأنهار **﴿﴾** وعد الله لأجل ذلك الميمية **﴿﴾** ألزماً أن الله أنزل من السماء ماء فلكم يشرب في الأرض ثم يخرج به رزقاً عظيماً **﴿﴾** ثم يخرج قلوباً مصفواً ثم يجعل جحشاً **﴿﴾** أي ذلك الذي لأولى الألبان **﴿﴾** أفن شرح الله صدره لإسلامهم **﴿﴾** فهو على نور من ربه **﴿﴾** قول اللغوي: فليس من ذكرى **﴿﴾** أولئك في ضلال مبين **﴿﴾** الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً **﴿﴾** فأتى بتغيير فيه جلود الدين **﴿﴾** يحثون دسماً ثم يلبس جلودهم **﴿﴾** وكلمهم **﴿﴾** أي ذكرى الله **﴿﴾** ذلك هدى الله يهدي به **﴿﴾** يشاء **﴿﴾** ومن يقلل الله **﴿﴾** لذكر من **﴿﴾** أفن يلقى بوجهه **﴿﴾** سوء العذاب يوم القيامة **﴿﴾** قول اللغوي: ذوقوا ما كنتم تكسبون **﴿﴾**

أي **﴿﴾** **﴿وهييج﴾** أي أصنافه. **﴿وهييج﴾** أي يتم جفافه. **﴿وحطاماً﴾** : الحطام هو الشيء المنكسر بعد بيسته، ويسمى فتاتاً بضم الفاء.

﴿واقمن شرح﴾ الله صدره **﴿﴾** .. إلخ: الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي ومقابل **﴿ومن﴾** شرح **﴿﴾** مقدر في الكلام مفهوم من السياق والأصل: هل عمت بصائركم فجعلتم من تشرح الله صدره للإسلام كمّن جعل صدره ضيقاً لا يدخله الإيمان. والمراد الاستمويان و **﴿وتشرح﴾** الله صدره **﴿﴾** أي جعله مسروراً به مرتاحاً إليه. **﴿فمن ربه﴾** : المراد: هدى منه تعالى كما في الآية (٥) من سورة البقرة صفحة ٤. **﴿وقول﴾** : أي هلاك. **﴿ولقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾** : المراد: المتصلية قلوبهم والمتانة من سماع القرآن، انظر آيتي (١٢٤ و ١٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢١٤ والآية (٤٥) الآية في هذه السورة صفحة ١١٢. **﴿ومتشابها﴾** : المراد هنا: متماثلاً في النظم، والإتيان، والإرشاد إلى كل نافع. **﴿ومشاني﴾** : جمع مشى بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون مشددة مفتوحة، بمعنى مردد، وتكرر، لتكرر قراءة آياته بلا سآمة بل بإقبال واشتياق، وأيضاً

طليقات في الجنة لتزداد حسرة الخاسرين فقال لكن الذين اتقوا ربهم فلم يفعلوا ما يغضبهم. لهم في الجنة غرف من فوقها غرف.

الفرادات: **﴿ومبينه﴾** : تذكر العرب مثل هذه

الكلمة مع سابقها لتأكيد أن ما قبلها حقيقة

لا تجوز فيها. فيقولون: رأيت الشيء بعيني

رأسي. وطار الصقر بجناحيه، انظر الآية

(٣٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

﴿وسلكه﴾ : أي أدخله كما في الآية (١٢) من

سورة الحجر صفحة ٣٢٨، انظر الآية (١٨)

من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٧. **﴿هنيئاً﴾** :

جميع ينبوع كما في الآية (٩٠) من سورة

الإسراء صفحة ٢٧٦؛ وهو العين التي يجري

مساؤها في بطن الأرض. **﴿والوانه﴾** : أي

أنواعه، وأصنافه. يقال أعد فلان من ألوان

الطعام الشيء المنكسر بعد بيسته، ويسمى

فتاتاً بضم الفاء.

﴿واقمن شرح﴾ الله صدره **﴿﴾** .. إلخ: الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي ومقابل **﴿ومن﴾**

شرح **﴿﴾** مقدر في الكلام مفهوم من السياق والأصل: هل عمت بصائركم فجعلتم من تشرح الله

صدره للإسلام كمّن جعل صدره ضيقاً لا يدخله الإيمان. والمراد الاستمويان و **﴿وتشرح﴾** الله

صدره **﴿﴾** أي جعله مسروراً به مرتاحاً إليه. **﴿فمن ربه﴾** : المراد: هدى منه تعالى كما في الآية

(٥) من سورة البقرة صفحة ٤. **﴿وقول﴾** : أي هلاك. **﴿ولقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾** : المراد:

المتصلية قلوبهم والمتانة من سماع القرآن، انظر آيتي (١٢٤ و ١٢٥) من سورة التوبة صفحة

٢١٤ والآية (٤٥) الآية في هذه السورة صفحة ١١٢. **﴿ومتشابها﴾** : المراد هنا: متماثلاً في

النظم، والإتيان، والإرشاد إلى كل نافع. **﴿ومشاني﴾** : جمع مشى بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون

مشددة مفتوحة، بمعنى مردد، وتكرر، لتكرر قراءة آياته بلا سآمة بل بإقبال واشتياق، وأيضاً

(٧) للإسلام.

(٨) الألبان.

(٩) حطاماً.

(١٠) قوله.

(١١) الوان.

(١٢) يتابع.

(١٣) ضلال.

(١٤) اللغويين.

(١٥) القاسية.

(١٦) متشابها.

(١٧) كناية.

(١٨) للنفس.

(١٩) للنفس.

المنكوبت صفحة ٥٧٦. فأذاهم الله الخزي بالذل والهوان والقتل في الحياة الدنيا. وما أعد لهم من عذاب الآخرة أكبر لشدة ودوامه. لو علموا حقيقته لاعتبروا. ثم أراد سبحانه أن يبين أن قيمه قصه القرآن عليهم من الأمثال والمواعظ أكبر عبدة؛ فقال: ﴿ولقد ضربنا... إلخ. أي: ولقد جعلنا لكدار مكة أمثلاً من كل نوع لهم يتعظون.

سهلنا لهم أن يتذكروا قيرانا عربياً بلغتهم يسهل عليهم فهمه. ليس في هذا القرآن اختلاف بين معانيه ولا انحراف عن الصواب، لهم يتقون الكفر والمفاسد ثم ذكر مثلاً من هذه الأمثال التي جاء بها القرآن؛ فقال ﴿ضرب الله... إلخ: أي جعل الله تعالى لهم مثلاً للمشرك والمؤمن حال عبد مملوك لشركاء متنازعين دائماً يصدرون إليه أوامر متناقضة فهو بينهم حائر إذا أرضى واحداً أغضب الباقي، وإذا احتاج إلى شيء رده كل إلى الآخر. وعبد آخر مملوك لرجل واحد. فأيهما أسعد حالاً؟ لا شك أنه الثاني. فهو يعرف مايرضى سيده. ولا يخاف غضب غيره. أما الأول فإنه يخضع لأهله، وإذا أصابه ضرر لجأ إلى غيرهم كما في الآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٣. فالنتيجة أن صفاتهما مختلفة. ولما ثبت الحق على أوضح وجه أرشد سبحانه عباده أن يحمدوه بقوله: الحمد لله. ثم انتقل سبحانه وتعالى إلى بيان سبب عدم هدايتهم للحق فقال بل أكثرهم لا يملكون أن صاحب الفضل هو الله وحده. فلا يصح أن يشرك معه غيره. ولما كان كدار مكة يمتنون أنفسهم بموته ﷺ ليستريحوا منه كما في الآية (٣٠) من سورة الطور صفحة ٦٩٨. أخبر سبحانه بأن الموت سيعمهم جميعاً، فلا يموت أحد ويبقى الآخر، فلا معنى لتمنيه فقال جل جلاله: إنك ميت أي ستموت قطعاً كما أنهم سيموتون أيضاً. ثم يختصم الخلائق أمام ربهم بما فيهم وما هؤلاء فتحتج عليهم بأنك بلغتهم وأنهم عاندوا، ويمتدنون بتقليد الآباء وتغيرير الرؤساء كما في الآية (٦٧) من سورة الأحزاب صفحة ٥٦١ و ٥٦٠. فلا أحد أظلم ممن كذب على الله بادعاء أن له شريكاً وكذب بالكتاب الصادق الذي جاءه على لسان رسولنا الصادق محمد ﷺ، ثم هدهم بأن في جهنم متسعاً لكل كافر فقال: ﴿ليس في جهنم مثوى للكافرين... أي هل ضاقت جهنم حتى أصبحت لا مكان إقامة فيها لهؤلاء الذين مامنهم عن تصديق رسولنا إلا كبرهم، ثم بين فضل من صبق وما أعد لهم فقال ﴿والذي جاء بالصدق... إلخ: أي والرسول الذي جاء بالصدق والمؤمنون الذين صدقوا برسالته. هؤلاء جميعاً هم المتقون الله حقاً.

الفرادات: - ﴿ضربنا للناس﴾: المراد: نوحنا لهم أسباب العبر والاتعاظ على وجوه شتى، منها ما في الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤. ﴿من كل مثل﴾: ﴿من﴾ لتأكيد عموم ما بعدها. ﴿عوج﴾: ميل عن الصواب كما تقدم في الآية (١) من سورة الكهف صفحة ٣٨٠. ﴿رجلاً﴾: المراد به هنا: عبداً مملوكاً؛ نظير ما في الآية (٧٥) من سورة النحل صفحة ٣٥٥.

﴿متشاكسون﴾: أي متنازعون دائماً لشراسة طباعهم، كل يجتذبه لنفسه. ﴿سلباً لرجل﴾: أي خالفاً لسيد واحد لا ينازعه فيه أحد.

﴿هل يستويان﴾: ﴿هل﴾ حرف استفهام إنكاري يفيد النفي. أي لا يستويان. ﴿مثلاً﴾: أي صفة وحالاً. ﴿الحمد لله﴾: تقدم المراد منها في مثل هذا المقام في شرح الآية (٥٩) من سورة النمل صفحة ٥٠١. ﴿ميت﴾: الميت بالتشديد: الحي الذي سيموت.

والميت بسكون الياء هو من خرجت روحه فعلاً. ﴿تختصمون﴾: انظر بعض هذا الخصام في الآيات: (١٦٦) من سورة البقرة صفحة ٣٢ و (٣١) وما بعدها من سورة سبأ صفحة ٥٦٧ و (٢٧) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٨٨. ﴿مثنى﴾: أي مأوى يقيمون فيه. ﴿الذي جاء بالصدق﴾: هو النبي ﷺ. والذي صدق به هم المؤمنون.

المعنى: أراد سبحانه أن يحذر كفار قريش حتى لا يصيبهم ما أصاب أمثالهم. فقال: ﴿كذب الذين... إلخ: أي لما كذبوا رسلهم أتاهم العذاب بفتة كما في الآية (٤٠) من سورة

- | | | | |
|-------------|---------------|--------------|---------------|
| (١) فاتاهم. | (٢) الحياة. | (٣) الآخرة. | (٤) القرآن. |
| (٥) قرأنا. | (٦) متشاكسون. | (٧) القيامة. | (٨) للكافرين. |

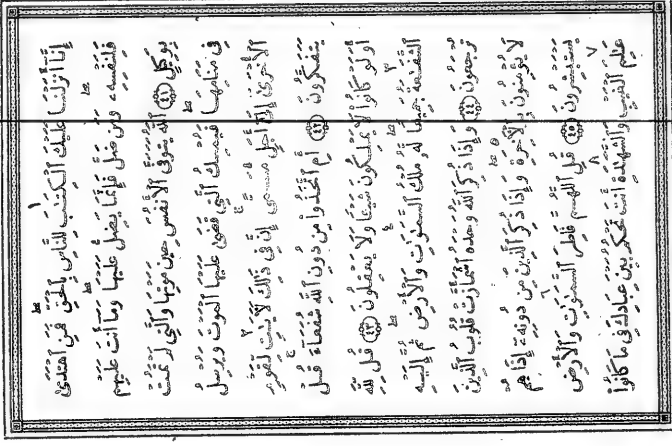
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴿فَأَذَاهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا النَّاسَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿فَرَبُّنَا أَخْبَرُنَا أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ الْكَاذِبِينَ ﴿وَرَجُلًا سَلَبًا إِذْ كَانَ مِنَ الْبُصُرِ ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ حَيُّونَ ﴿ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ الْفَيَاقَةَ عَنِ الرِّجِّ وَنُوحِيَ عَنْهُمْ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ عَنْ اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي حُجَّتِهِمْ مَثَلٍ لِكَبِيرِينَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿

إلا الظن ماتهور الأنفس الآية (٢٣) من سورة النجم صفحة ٧٠١؛ وإذا كانت متأرجحة بين عوامل الخير والشر وتقلب مقاومتها للشر وميلها للخير تسمى النفس اللوامة، انظر الآية (٢) من سورة القيامة صفحة ٧٧٨؛ وإذا تقلبت على كل عوامل الشر وركبت إلى الخير فإنها تسمى النفس المطمئنة، انظر الآية (٢٧) من سورة الفجر صفحة ٨٠٧. إذا علمت كل هذا فاعلم أن النفس التي معنا في هذه الآية هي من القسم الأول الروح التي بها الحياة. وبما أن الروح بعد خروجها من الجسد بالموت تنتقل إلى موضع آخر لا يعلمه إلا الله، تنتم فيه، كما في آيتي (١٦٩، ١٧٠) من سورة آل عمران صفحة ٩١؛ أو تشقى، كما في الآية (٤٦) من سورة غافر صفحة ٦٢٤... تكون نسبة الموت والنوم إليها نسبة مجازية، والمراد موت الجسم الذي تحل فيه، أو نومه. وهذا أسلوب عربي فصيح، يقول العربي: هذا نهر جار، وبما أن النهر اسم للمكان الذي يجري فيه الماء، فإن السامع يفهم من هذا الكلام أنه يريد بقوله هذا نهر جار مأوؤه. وكذا يقول العربي رأيت علياً في الماء، وهو يريد رأيت جزءاً منه. والتجاوز هنا من نوع المثل الأخير باعتبار المعنى الثاني للنفس. (أي الجسم بجملته) والمراد هنا: يقبض الله الروح عن الأبدان ظاهراً فقط فيمنع الشعور والتصرف عن الجسم حال النوم. أو ظاهراً وباطناً فيمنع كل مظاهر الحياة كحال الموت. «أجل مسمى»: هو انتهاء عمرها المقدر عنده تعالى:

﴿لَا يَاتُ: دلالت: آيات: على قدرة الله تعالى وكمال علمه. ﴿م﴾: هنا تقيد معنى حرفين: «همزة الاستقحام الإنكارى» المقصود به التوبيخ و ﴿ل﴾ التي تقيد الانتقال من كلام إلى آخر: «إذا هم يستبشرون»: «إذا» كلمة تدل على سرعة حصول ما بعدها عقب ما قبلها. «فاطر السموات والأرض»: أي خالقهما على غير مثال سابق.

المعنى: بعدما أقام سبحانه وتعالى الأدلة وهددهم أراد أن يخفف عن رسوله حزنه على عدم إيمانهم الذي كان يؤله كما في الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠ والآية (٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٧٩، فقال: (إنا أنزلنا عليك القرآن لمصلحة الناس وإنقاذهم من الضلال.

مقترباً هذا القرآن بالحق في كل أحكامه ومواظبه، فمن اهتدى منهم فإنا كنا له ناهية ونصية، ومن ضل فإنا كنا له ناهية ونصية، ولست أنت أيها الرسول مهيناً عليهم حتى تجبرهم على الإيمان والهدى. بل أنت محذر ومبشر فقط، انظر آيتي (٢٢، ٢١) من سورة الغاشية صفحة ٨٠٥؛ ثم ذكر شيئاً مما يدل على أنه وحده المهيمن على خلقه فقال: (الله يتوفى) .. إلخ أي الله وحده هو الذي يقبض الأرواح حين انقضاء أجلها بالموت ويقطع تعلقها بالجسد. ويقبض الأرواح التي لم يحضر أجلها فيمنعها التصرف في الجسم مع بقائها متصلة به،



اعملوا أقصى ما يمكنكم من المكر والكيد إلى عامل آخر جهدي في تقرير الدين والسمعي في نشره. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه بالقتل والأسر، ويحل عليه عذاب دائم في الآخرة. هل هو أنا أو أنتم؟ ستعلمون قريباً أنه أنتم وحكم ومن عمل عملكم.

المفردات: ﴿يُتَوَفَّى﴾: الباء هنا حرف يدل على تأكيد نفى ما بعدها عما قبلها، والوكيل هنا معناه الحفيظ المهيمن الذي يجبرهم على ما يريد. ﴿يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾: يتوفى أي يقبض، انظر الآية (٦٠) من سورة الأنعام صفحة ١٧١. الأنفس: اعلم أن النفس في كلام العرب تطلق على معان كثيرة، وأكثر ما جاء منها في القرآن يدور على خمسة معان: الأول: الروح التي بها الحياة، انظر الآية (٩٣) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧، والآية (٥٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٠.

والثاني: الإنسان بجملته، أي جسده وروحه انظر الآيات (٣٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٢ و (٤١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٨ و (٥٠) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٨، ٥٥٧.

والثالث: الضمير وموضع السر من الإنسان، انظر الآية (٧٣٥) من سورة البقرة صفحة ٤٨.

والرابع: القوة العاقلة، انظر الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥ والخامس: قوة أودعها الله جسم الإنسان صالحة للتأثر بعوامل مختلفة، وهذه القوة إن كان يقبض عليها الغضب والانتقاد للشهوات التي تجمع الصفات المذمومة تسمى (النفس الأمارة بالسوء). وهدي قال فيها النبي ﷺ «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»، وأمر صلوات ربي وسلامه عليه بمجاهدتها بقوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وقد جاءت في قوله تعالى «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» الآية (٥٣) من سورة يوسف صفحة ٢١١، وقوله «إِنَّ يَتَّبِعُونَ

- (١) الكتاب. (٢) الآيات. (٣) الشفاعة. (٤) السموات. (٥) بالآخرة. (٦) السموات. (٧) عالم. (٨) الشهادة.

المررات: هويدا لهم: أي ظهر لهم من عقاب الله. هويستبون: أي يطنون. هوحاق بهم: أي نزل وأحاط بهم، حتى صارا لاخلاص لهم منه. هوماكانوا به يستهزئون: هو العذاب الذي كانوا يتكبرونه استهزاء، انظر شرح الآيات (٥٢) من سورة يونس صفحة ٣٧٤، و (٥١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١، و ٨٠٧ من سورة سبأ صفحة ٥١٣.

هوخونناهم: تقدم في الآية (٨) من هذه السورة صفحة ١٠٧. هواؤيته على علم: تقدم في الآية (٧١) من سورة القصص صفحة ٥١٨، والضمير يعود على الشيء النعم به المفهوم من المقام، ونظيره في الآية (٥٠) من سورة فصلت صفحة ٦٣٧.

هول: حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده. هوقته: أي اختبار وامتحان ليتجلى ما في نفسه للناس هل يشكر أم يكفر؟ انظر الآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤. هوبمعزين: الباء تأكيد. نفى ما بعدها عما قبلها؛ والمراد بموقمين الله في العجز، حتى يفلتوا من عقابه، انظر الآية (١٢) من سورة الجن صفحة ٧٧١. هوبيسماهم: أي يوسع. هوبقد: أي يضيّق، انظر شرح الآية (٣١) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨. هولايات: أي براهين. قاطعة بأن كل شيء بيده سبحانه. هواسرقوا على أنفسهم: أي أكثروا من المعاصي جالين بذلك على أنفسهم.

المعنى: بعد ما بين سبحانه جرائم الكفار وذكر لهم من الأدلة ما كان يكفي أقل منه في أرجاعهم. أراد أن يبين ما سيلاقونه من الأحوال فقال: ولو أن للذين ظلموا... الخ: أي ولو أن هؤلاء المشركين كانوا يملكون كل ما في الأرض من الأموال وغيرها ومثله معه وقبيلتهم الشدية لافتدوا به أنفسهم من هول ما يشاهدون من العذاب الشديد. وذلك أنه ظهر لهم من

فِيهِ يَحْتَبِرُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِثًا وَمِثْلَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٣﴾ ﴿١﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ فَأَوَّاهَ سُلَيْمٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ فَأَوَّاهَ الْأَنْبِيَاءُ شَرُّ دَعْوَاهُمْ إِذَآ جُؤِثْنَةُ نَعْمَةٍ يَمَّا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُمْ عَلَىٰ بَلٍّ مِّنْ رَبِّي وَلَكِنِّي أَخْبَرُهُمْ لَا يَحْتَرُونَ ﴿٦﴾ قَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَّا أَتَيْنَاهُمْ أَتَيْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٧﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٨﴾ وَأَوَّاهَ السُّبْحَاتُ إِنَّمَا كَانَ عَصِيانُهُمْ لِيَلْزَمَنَّ اللَّهَ الْعَاقِبَةُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٩﴾ قُلْ يَحِبُّهُ رَبِّي وَأُوتِيَهُم عَلَىٰ بَلٍّ مِّنْ رَبِّي لَنُورَهُنَّ نُورَهُنَّ ﴿١٠﴾

فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردّها إلى جسدها ويرسل النافثة إلى الجسد عند البقعة، ويرتكها حتى ينقضى أجل المحدث لبقائها في الدنيا.

إن فيما ذكر لعظة وعبرة لقوم يتفكرون في صنع الله وعظمته. روى البخاري أنه ﷺ قال: إذا أوى أحدهم إلى فراشه فليغضه بطرف إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه بعده. ثم ليقُل: (باسمك ربّي وضعت جنبى وباسمك أرفعهُ، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين). ثم أنكر سبحانه على المشركين اتخاذ معبوداتهم شفعاء لهم عنده. فقال: (أم اتخذوا) ... الخ: أي بل هل اتخذ المشركون معبوداتهم شفعاء لهم عند الله في قضاء حاجاتهم؟ ثم أمر رسوله ﷺ أن يخبرهم فقال هوّل أو لو كانوا... الخ أي قل أيها النبي لهم لإظهار جهلهم هل تتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون شيئاً ولو حقيراً ولا يقولون أنكم تستشفعون بهم؟ قل لهم الشفاعة بكل أنواعها، ملك لله وحده لا يقدم عليها مخلوق إلا بعد إذنه ولن يرضى عنه كما تقرر في الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦. وهذا ان الشيطان مستفرد هنا؛ لأن له سبحانه التصرف المطلق في العالم كله علويه وسفليه ومنه ما يستشفعون به، فلن يأن في الشفاعة لكم. فخير لكم أن تعبدوا مالك الملك وحده لأنكم إليه ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم. ثم ذكر سبحانه ما يدل على بشاعة جهلهم فقال وإذا ذكر الله وحده... الخ: أي إذا أفردت الله بالذکر وبأنه هو وحده المتصرف في الكون انقيضت قلوب هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بيوم يرجعون فيه إلى الله. وإذا ذكر غيره تعالى ممن يعظمونهم ويعتقدون فيهم الشئ والضرر أسرع اليهم الاستئصال لشدة قنوتهم بأنهم ينفونهم. قال الأوسي في تفسيره الكبير باكياً حال المسلمين اليوم (وقد رأينا كثيراً من الناس على هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين. يسرون عند ذكر أموات يستغيثون بهم ويطلبون منهم حاجاتهم. ويطلبون من سماع حكاية كاذبة عنهم توافق معتقداتهم فيهم، وعظمون من يحكى لهم ذلك، ويتقبضون ممن يقول لهم لا يتصرف في الكون إلا الله سبحانه. ثم قال وقد قلت يوماً لرجل يستغيث في شدة يعمى الأزمات ويبادى بإفلاق أغشى فقلت له: قل يا الله أغشى لأنه سبحانه قال (وإذا ساءك غيادى غنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الآية (١٨٦) من سورة البقرة صفحة ٣١ فتغيب ويلقى أنه قال: فلان ينكر الأولياء، ثم قال: وسمعت من بعضهم أنه قال: الولي أسرع إجابة من الله سبحانه، وهذا كثر صريح نسال الله تعالى أن يعصمنا من الرين والطغيان) انتهى. وبعد ما ذكر سبحانه عن المشركين جهلهم للمشرك ونفورهم من التوحيد أمر رسوله بالتوجه إليه وحده ليخفف عنه ما قاساه من عنادهم فقال: (قل اللهم)... الخ: أي قل يا الله مبيع السموات والأرض، بامن يستوى في عالمك ما غاب عنا وما تشهده الميوت أنت وحدك الذي تحكم بين عبادك فيما اختلفوا فيه. فتتصف الحق وتغاقب البطل.

- (١) القيامة. (٢) يستهزئون. (٣) الإنسان. (٤) خولاه. (٥) لايات. (٦) يا عبادي.

فَأَشْرَقَتْ نَبُورٌ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ سَبْحَانَهُ. بِهِ يَرَى أَهْلُ الْمَحْشَرِ بِضُوءِهِ بَعْضُكُمْ لَأَنَّهُ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَبِهِ يَتَحَقَّقُ الْعَذَابُ بِأَجَلِي صَوْرِهِ.

المعنى: .. ويجئ الله الذين اتقوا معاصيه مصاحبين فوزهم حال كونهم لايمسهم أقل سوء ولايحزنون على فوات مرغوب، ثم رجع سبحانه ليبيان أنه وحده الخالق لزيادة تسفيه المشركين، فقال الله خالق كل شيء وليس لما يشركونه مع الله خلق شيء، حتى ولا ذنابا كما فى الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤، وهو مهيمن على كل شيء يتولا ويحفظه، ثم فصل ذلك بعض التفصيل فقال (له مقاليد).. إلخ. أى له وحده التصرف التام فى كل شيء، من السموات والأرض وما فيها. تبته لذلك الموفقون فأمنوا. والذين كفرو بالأدلة التى بثها الله تعالى فى الكون وجاء بها القرآن دالة على وحدانيته سبحانه، هؤلاء هم الذين خسرو السعادة الآخرة، ولما كان كفار قريش لا يؤمنون فى العمل على صرفة ﷻ، فدعوتوه بكل حيلة. ومن ذلك أنهم قالوا له: اعبدا آلهتنا يوما ونحن نعبدك الهك يوما... فرد الله سبحانه وتعالى عليهم أشد رد، قطع أطماعهم.. هنا وفى سورة (الكافرون) صفحة ٨٢٤، فقال هنا: قل أفغير الله.. إلخ. أى قل لهم أيها النبي تسفيتها لعقولهم وقطعا لأطماعهم؛ هل تأمرونى أيها الجاهلون أن أعبدا غير الله الذى لا يصح أن يعبد غيره. ثم شدد فى التحذير وأعلمهم هم وكل من يأتي بعدهم أن الدين لله عند كل رسول هو التوحيد، فقال: ولقد أوحى إليك أيها النبي، وإلى الأنبياء من قبلك وحيانا قلنا فيه لكل نبى والله لئن أشركت بالله غيره ليبطلن كل عمل عمله من الخير كصلة رحم وبر مسكين وبناء مصحة... إلخ. فتكون من الخاصرين لكل فائدة، انظر الآية (١٢) من سورة الشورى صفحتي ٦٣٩، ٦٤٠، فلا تعب مايريدون بل اعبدا الله وحده وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لفضلته عليك. ثم بين سفهم وجهلهم بقوله (وماقدروا).. إلخ. أى وماعرفوا الله المعربة اللاتقة به والحال أن له قدرة باهرة من مظاهرها أن الأرض مقبوضة بيده يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، والمراد يتصرف فيها كما يشاء. روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: يقبض الله الأرض يطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك. أين ملوك الأرض؛ انظر الآية (١٦). من سورة غافر صفحة ٦١٩، ثم علمنا سبحانه كيف نكرهه عما يزعم المشركون فقال سبحانه وتعالى عما يشركونه به من العبودات الباطلة ثم ذكر شيئا مما يدل على كمال قدرته من مقدّمات يوم القيامة فقال: ﴿وَنُخِصُّ فِي الصُّورِ﴾ أى النفخة الأولى ﴿فَنُصْعِقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولم يصح حديث فى بيان من هؤلاء الذين شاء سبحانه سيحانه بقاءهم.. وقبل: هم حملة العرش؛ وقال قتادة: اندرد من هم، ثم نفخ فيه الثانية فإذا جميع الخلائق من عهد آدم قيام من قبرورهم ينتظرون ملايفل بهم، وأشرفت الأرض بنور ربها

[illegible]

النساء صفحة ١٣١ و (٢١) من سورة ق صفحة ٦٩٠ و (١٠) من سورة الانقطار صفحة ٧٩٥:
والجوارح، انظر الآية (٢٠) من سورة فصلت صفحة ٦٣٢. ﴿زمر﴾: جمع زُمْرَة
بضم فسكون، وهى الجماعة المتفقة فى المرتبة والمبادئ، والمراد: طوائف حسب ترتيب
درجات كضربهم وجرائمهم. انظر الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٢٨، والآية (٦٩)
جاءوا. ﴿حقت﴾: أى ثبتت ووجبت. ﴿كلمة العذاب﴾: تقدمت فى الآية (١٩) من هدم
السورة صفحة ٦٠٨. ﴿مثنى﴾: أى مكان يحتوئهم، انظر الآية (٣٢) من هذه السورة.
صفحة ٦١٠.

حتى إذا جاءوها وقتحت... إلخ. جواب ﴿إذا﴾ مقدر بعد ﴿خالد بن﴾ الآتية. والمراد

- (١) الكتاب. (٢) جىء. (٣) بالنبيين. (٤) أبوها. (٥) آيات. (٦) الكافرين. (٧) خالدين. (٨) أبوها. (٩) سلام. (١٠) خالدين.

الفردات: ﴿الكتاب﴾: هنا.. الذي تسجل فيه أعمال كل عبد، انظر الآية (١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، والآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتي ٢٨٧، ٢٨٨، والآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠، والآية (١١) من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٦. ﴿النبيين والشهداء﴾: عطف الشهداء على النبيين من عطف العام على الخاص: لأن الشهداء في هذا اليوم يكون منهم الأنبياء الذين يشهدون على أنفسهم أنهم بلغوهم، انظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧، والآية (٧٥) من سورة القصص صفحة ٥١٧، ومنهم المؤمنون من أمة محمد ﷺ، انظر الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتي ٢٧، ٢٨، ومنهم الحفظة من الملائكة، انظر الآيات (١٦٦) من سورة

المفردات: ﴿خافين﴾ : أي محيطين.

﴿العرش﴾ : تقدم الكلام عليه في الآية

(٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١.

وحم : تنطق هكذا : حا ، ميم بكسر أوله
وسكون ثانيه وأخره .

﴿العزیز﴾ : أى الغالب الذى لا یغلب.

﴿التوب﴾ : إلى التوبة.

روزي الطول : روزی، آی مصاحب

﴿الطول﴾ أى الفضل والإحسان.

﴿تَمْلِيهِمْ﴾ : أى تَقْلِيهِمْ للتجارة وغيرها.

انظر الآية (٤٦) من سورة النحل صفحة

101.

﴿الْحَبَاب﴾ : المراد بهم : الذين تجزيهم - على رسلهم، وأظهروا لهم العداوة .

كذلك في الآية (١١، ١٣) من سورة ص صفحة ٥٩٨.

المعنى : : بعد دخول
المتقين الجنة وحمدهم ربهم يقول سبحانه تعظيماً للهمم الزيادة

وترى يا مَنْ يصحُّ أن تَرى في ذلك اليوم الملائكة جميعاً محيطين بالعرش من كلِّ جانبِهِ

يَتَّبِعُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِقَوْلِهِمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَنُورَاهُمْ ذَلِكَ التَّسْبِيحَ الْمَصَاحِبَ لِلْحَمْدِ،

(۳) حاکمیت

(١) العاملين.

(١) العامليين.

(٥) يجادل.

(٥) يجادل.

(٧) اَبِلَاد۔
(٨) آيَات۔

(٦) آيات.

قلب بشر. ﴿لَوْ فَتَحْتَ أَبْوَابَهَا﴾: الواو تدل على أن الجملة بعدهما حال، انظر ﴿وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ لَهُمُ
الْأَبْوَابُ﴾ في الآية (٥٠) من سورة ص. ﴿وَلَقَبْتَهُ﴾: أي طاب حالكم وحسنت.

والأرض: المراد: أرض الجنة. وتنبؤاً: أي نزل.

المفنى :- ووضع الكتاب فى يد كل مكلف فاصحاب السعادة يأخذونه بإيمانهم من أممهم والأشقياء يأخذونه بفسادهم من وراء ظهورهم، انظر الآية (١٩) وما بعدها من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢ وما بعدها؛ والآية (٧) وما بعدها من سورة الانشقاق صفحة ٧٨٩ وما بعدها. وأحضر النبىون والشهداء وقضى بين جميع الخلائق بالحق لا يزال أحداً منهم ظلم.

ووفى الله تعالى كل نفس جزاء عملها بكل رقة، لأنه سبحانه يعلم كل أفعالها فلا يضيع على أحد مثقال ذرة.

وسيق الذين كفروا يسوق عنهم إمامان إلى جهنم حال كونهم طوائف موزعة على أنواع أعمالهم شدة وأشد. فيطرح كل فوج في الدرك الملائق به في جهنم. حتى إذا وصلوا إلى جهنم فتحت الخزنة أبوابها، وكانت قبل ذلك مغلقة كأبواب المسجون التي تغلق، والفتح إلا عند حضور أرباب الجرائم؛ وقالوا لهم تقريرًا وإظهارًا لعدل الله تعالى ألم يأتكم في الدنيا رسل منكم تفرقوهم وتنهون ما يقولون وتلوا عليكم آيات ربكم الدالة على وحدانيته وقدرته، وخوفكم من أن تلقوا العذاب في يومكم هذا؟ قالوا نعم حصل كل هذا، ولكن سبقت علينا شقوتنا فوجب علينا وعيده الذي توعد به الكافرين، انظر الآية (١٠٦) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥، فتقول لهم الملائكة: ادخلوا أبواب جهنم عابدين بأنكم ستدخلونها فيها. ففس هذا المكان مكانًا للمتكررين على قبول الحق. وسبق الذين اتقوا... إلخ. المراد من السوق هنا إسراع الملائكة بهم إلى دار الكرامة حيثما في الإسراع بإدخال السرور عليهم كما يعمل حاشية اللوك بالوافدين على الملك المرضى منه عنهم فإنهم يستحثونهم على سرعة المتابعة لتعجيل سرورهم. وهم طوائف أيضًا، لكل طائفة منزلة في الجنة. حتى إذا وصلوا الجنة والحال أن الملائكة كانت فاتحة أبوابها كأنها مسرورة بقدومهم. مهية لاندخالهم. وقال لهم خزنوها سلام من الله عليكم، طاب عيشكم فادخلوها موقنين بالخلود في هذا النعيم العظيم. وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا أرض الجنة ننزل منها في المكان الذي نشأوه. ومن لحلف الله بهم أن أحدهم لا يريد منزلة فوق المنزلة التي اختارها الله له ويسره سرور إخوانه في الجنة، انظر الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤١.

وسمت رحمتك وعلمك كل مخلوق، تعلم أعمال المكلفين منهم ونياتهم، فانظر للذين تابوا من الكفر والمعاصي واتبعوا دين الحق الذي أنزلته على رسلك، وحفظهم في الآخرة من عذاب النار.

يا ربنا أجب دعائنا السابق وأدخلهم جنات عدن أي إقامة طيبة التي وعدتهم بها هم ومن صلح أي اتصف بالصالح الميسوغ لدخول الجنة من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى يتم تتمهم ويكمل سرورهم، انظر شرح الآية (٢٢) من سورة الرعد صفحة ٣٢٥، والآية (٢١) من سورة الماور صفحتي ٦٩٧، ٦٩٨.

إنك يارب أنت العزيز الغالب الذي لا يعجزه شيء عما يريد.. الحكيم الذي لا يفعل إلا الحكمة.

ومنها الوفاء بالوعد وحفظهم يارب من كل ما يسوءهم في الدنيا والآخرة ومن تحفظه من السيئات يوم المؤاخظة عليها فقد رحمته.

وذلك المذكور من الرحمة هو الفوز الذي ليس بعده فوز.

وبعدما بين سبحانه أن الكفار سيدخلون النار أراد أن يبين أحوالهم بعد دخولهم النار فقال: (إن الذين كفروا)..
إلخ.

أي الذين كفروا تتادبهم الملائكة عندما يظهر منهم التضمر من أنفسهم التي قادتهم بشهواتها إلى الشقاء.

فتقول لهم: والله لمقت الله لكم أشد من مقتكم لأنفسكم، وكان بعض الصالحين إذا شعر بشهوات نفسه تدفعه إلى منكر يقول:

(والله ولك يا نفسي من ليلة وضعى في رمسى.. أي قبري) نسأل الله السلامة.

المفردات :- **وقالوا** ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين : إذا رجعت إلى ما تقدم في بيان ما للعرب من أساليب مختلفة في شرح الآية (٥٦) من سورة الدخان صفحة ٦١٠ تعلم أن المراد

وَيؤْمِنُونَ بِهِ : صرح بذلك مع أنه مقطوع به لإظهار فضل الإيمان وشرف أهله. وأنه هو السبب في عطف بعض المؤمنين على بعض مهما تخالفت الأجناس وتباعدت المسافات. **ووسعت كل شيء رحمة وعلما** : أصلها وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، تقول العرب.

ووقهم عذاب الجحيم : أي احفظهم منه بإيعاده عنهم.

ووقهم السيئات : المراد بالسيئات هنا: عقوبات الدنيا والآخرة فذكره بعد.

وعداب الجحيم من ذكر العام بعد الخاص.

وقمقت الله : أي بغضه سبحانه وكرهيته لكم.

وقمقتكم أنفسكم : أي عندما تدركون أنها سبب مصائبكم، انظر الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٣.

المعنى :- وهمت كل أمة من أمة قوم نوح والأحزاب برسولهم ليفتكوا به. وكانوا قبل ذلك جادلوه بالباطل ليطلوا به الحق فأهلكهم، فتأمل أيها العاقل على أي حال كان عقابي لهم. ألم أجعلهم عبرة للمعتبر؟ وبعد ما بين سبحانه ما حل بهم في الدنيا أراد أن يبين ما سيلاقهم في الآخرة فقال (وكذلك)..
إلخ.

أي كما ثبت إهلاك هؤلاء المتعذبين على رسالهم في الدنيا أوجبت إدخالهم النار في الآخرة.

ثم أراد سبحانه أن يطمئن رسوله بأن الملائكة الذين في المقام الأعلى مداومون على الدعاء للمؤمنين بما يسرهم فقال: (الذين يحملون)..
إلخ. أي ركب الملائكة الذين يحملون عرش الرحمن.

والملائكة الذين يحضون به يقولون دائما سبحان الله ويحمده مع إيمانهم الكامل بآله واحد كإيمانك أيها النبي أنت ومن معك ويستغفرون لمن آمنوا مثلهم قائلين في استغفارهم يا ربنا

﴿رَزَقًا﴾ : المراد : مطراً يكون سبباً لريزقكم. ﴿يُنِيبُ﴾ : أى يرجع إلى ربه ويترك العناد والكبر.
﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ : أى ارتفعت درجات كماله حتى لا يظهر دونها كمال. ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ : أى صاحب العرش العظيم.

﴿الرَّوْحِ﴾ : المراد بها هنا الوحي، انظر شرح الآية (٨٥) من سورة الإسراء صفحـة ٣٧٦.
﴿لِيُنْذِرَ﴾ : أى يحذر ويخوف. ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ : أى يوم تلاقي الخلق بالخالق للحساب والجزاء، انظر الآية (١٥٤) من سورة الأنعام صفحـة ١٩٠.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ : اليوم تجزى: أى تعلم، ومن هذا قول الرجل الذى صدر الحكم لصالحه بأخذ منزل مثلاً: اليوم أخذت المنزل. يريد: أى حكم لى به، انظر الآية (٩) من سورة الحج صفحـة ٤٣٤، والمراد هنا: تعلم كل نفس يوم القيامة قضاء الله لها بجزاء ما عملت من خير أو شر، ثم تسوقهم الملائكة بعد ذلك كل إلى دار جزائه من جنة أو نار، انظر الآيات من (٧٠) إلى (٧٣) من سورة الزمر صفحـة ٦٦٦.

﴿الْأَزْفَةِ﴾ : أى القسرية والمراد بها القيامة. من قولهم أزف الرحيل إذا قرب، انظر الآية (٥٧) من سورة النجم صفحـة ٧٠٤، والآية (٧) من سورة المعارج صفحـة ٧٦٥.

المعنى : : يقال للكمار فى جهنم مقت الله لكم أشد لأنكم كنتم فى الدنيا يدعوكم رسل الله إلى الإيمان بالله واحد فتأبون وتشركون به، ثم ذكر سبحانه ما سيقولونه قطعاً بعد ذلك فقال: قالوا ربنا.. إلخ. أى قالوا متضرعين يا ربنا خلقتنا أولاً تراباً. ثم بعد الحياة أمتنا عند انقضاء الأجال ونفخت فيها الروح مرتين، مرة فى الأرحام وأخرى عند البعث من القبور، واعترفوا بذلك هنا مقدمة لطلبهم الخروج من جهنم ولذا قالوا فاعترفنا بذنوبنا بانتكار البعث وغيره فهل تفضل علينا بإرثادنا إلى طريق لخروجنا من النار ولو ببطء. انظر مرادهم فى الآية (١٧) من سورة السجدة صفحـة ٥٤٦، فيقال لهم كلا لن تخرجوا أبداً. ذلك العذاب الذى أنتم فيه بسبب أن حالكم فى الدنيا كان إذا عبد الله حال كونه منفرداً بالعبادة كفرتم أنتم وأشركتم به غيره. وإن يشرك معه غيره تؤمنوا بهذا الإشراك، انظر مثل هذا فى الآية (٤٥)

أَذْمُنُّونَ إِلَى الْإِنْسِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا
أَلَيْسَ بِالْحَقِّينَ وَالْحَقِيقَتَيْنِ مَا عَزَمْنَا بِنُوحٍ إِنْ هُوَ إِلَّا
مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠٨﴾ كَذَلِكَ يُلْهِمُ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ إِذَا دَعَى اللَّهَ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
وَأِنْ شِرْكُهُمْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَتُلْكُوا وَلِلَّهِ الْغَلْبُ الْكَبِيرُ ﴿١٠٩﴾
هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَسْتَدْرِكُ إِلَّا مَنْ يَنْبَغُ ﴿١١٠﴾ قَادِعُوا اللَّهَ غُلْبَتَيْنِ
لَهُ الدِّينَ وَالْوَكْرَةَ الْكَبِيرَةَ ﴿١١١﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١١٢﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ الْيَوْمَ لَهُ الْوِجْدُ الْقَهَّارُ ﴿١١٣﴾
الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِذْ
أَلَّفَ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿١١٤﴾ وَأَنْذَرْتُمْ يَوْمَ الْأَرْثِ إِذْ

هنا بالمؤمنين، الموت المجازية وهم مارا لها
تراباً، والموت الحقيقية التى تكون عند انتهاء
الأجل.

وأما الحياتان، فالأولى وهم فى الرحم،
والثانية، عند البعث من القبور يوم القيامة
ويعد هذا القول اعتراف منهم فى هذا المقام
الخطير بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما فى
الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحـة ١٦٦.
واقرار الله سبحانه وتعالى هذا الاعتراف
بمؤنيتين أحدهما مجازية والأخرى حقيقية،
مع ما تقدم من قوله تعالى فى المؤمنين.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ
الْأُولَى﴾ الآية (٥٦) من سورة الدخان صفحـة

٦٦٠، وقد يكون هذا الإقرار مما حمل ابن كثير فى تفسيره على القول بأن عذاب القبر للروح فقط؛ لأنه لو عادت الروح إلى الجسد بعد الدفن وفارقته ثانياً لكانت الموتات والإحياء ثلاث لا اثنتين فقط.

﴿إِلَى خُرُوجٍ﴾ : أى من جهنم، يريدون أى نوع من الخروج ولو بطيئاً، انظر الآية (١٠٧) من سورة المؤمنون صفحـة ٤٥٥، والآية (٣٧) من سورة فاطر صفحتى ٥٧٦، والآية (٥٨) من سورة الزمر صفحـة ٦١٤.

﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ : ﴿مِنْ﴾ لتأكيد العموم فيما بعدها، وسبيل: أى طريق. ﴿وَأَنْ يَشْرِكَ بِهِ
تُؤْمِنُوا﴾ : انظر الآية (١٠٦) من سورة يوسف صفحـة ٣١٩، والآية (٤٥) من سورة الزمر
صفحـة ٦١٢. ﴿آيَاتِهِ﴾ : البراهين التى نشرها فى الكون دالة على كمال خالقها، وتقرده.

(١) الإيمان.	(٢) آياته.	(٣) الكافرون.	(٤) الدرجات.
(٥) يارزون.	(٦) الواحد.	(٧) الآفة.	

المغزرات :- : ﴿القلب لدى الحاجج﴾ :
الحاجج جميع خجيرة وهى الحلقوم وهذا
كناية عن شدة الخوف والتألم والضييق، انظر
الآية (١٠) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠.
﴿كافلين﴾ : أصل الكظم الحس والحسد،
مماثلة قلوبهم غما وكرا، انظر أصل المعنى
فى الآية (١٢٤) من سورة آل عمران صفحة
٨٤.
﴿حميم﴾ : الحميم شديد الشفقة من
قريب أو صديق. انظر الآية (١٠١) من سورة
الشعراء صفحة ٤٨٦ والآية (١٠) من سورة

الْقَلْبُ الَّذِي كُنَّا بِرُكْبَتَيْهِ لَإِلَهِ الْغَالِبِينَ مِنْ جَبَرٍ
وَكُنَّا نَسْتَعِجُّ بِطَاعٍ ۝ وَعَلَّمَ عَالِمًا الْأَعْيُنَ وَتَأْمَنَّى
الْعُسُورَ ۝ وَاللَّهُ يَقْبِضُ بِالْكِبَرِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ لَا يَقْبِضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝
* أَوْزِ شَيْءًا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا مِنْ شَدِيدِ مُؤَذِّبِنَا وَإِنَّا لَنَّا
فِي الْأَرْضِ فَاعْلَمَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ
مِنْ رَأْفٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَزَيُّمُهُمْ رُسُلَهُمُ الْكَافِرِينَ
فَكَفَرُوا بِمَا عَقَّبَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ قَوْلُكَ شَيْدُ الْعَالَمِينَ ۝
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ الْإِسْرَاعُونَ
وَحَمْدٌ وَزُورٌ فَهَارًا سَخِرَ كَذِبًا ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَوْلِيَاءَ آلِهَتِنَا آمُرُوا مَعَهُ

المعارج صفحة ٧١٥.

﴿خاتمة الأعين﴾ : المراد : الخاتمة من الأعين. وهى التى تسترق النظر إلى ما نهى الله

تعالى عنه.

- (١) كاطمين.
- (٢) للظالمين.
- (٣) عاقبة.
- (٤) آثارا .
- (٥) بالبيانات.
- (٦) يأتاها.
- (٧) سلطان.
- (٨) هاملان .
- (٩) قارون.
- (١٠) ساحر.
- (١١) آمنوا.

من سورة الزمر صفحة ١١٢. فالحكم اليوم عليكم وعلى غيركم بما تستحقون لله العلى عن أن
يشرك معه غيره.

﴿الكبير﴾ : أى العظيم سلطانه فلا يرد حكمه. وعندما خوفهم به من المصير العظيم
نهبهم هم وغيرهم إلى دليل وحدانيته وعظمته فقال هو الذى يريكم آياته الدالة على جليل
صنعه ثم خصص بعضها بالذكر لشدة حاجتهم إليها فقال (وينزل من السماء) ... إلخ: أى ينزل
مطرًا فيخرج به أرزاقكم .

وما يعتبر بذلك إلا من يرجع إلى ربه فيعرف بدين صنعه. وإذا كان الأمر كذلك فادعوا الله
وحده مخلصين له العبادة. ولا تتالوا بكراهة المشركين لكم فسيكتفيكم ربكم شرهم. ثم ذكر
سبحانه بعد ذلك ثلاث صفات لنفسه تدل على أنه لا يصح معها أن نشرك معه غيره. فقال
﴿رفيع الدرجات﴾ ... إلخ.

أى هو سبحانه أرفع مما سواه قدرًا: لأن كل ما سواه محتاج إليه، وهو مستغن عن الجميع.
وأنه صاحب العرش العظيم يدير ملكه وحده، وأنه هو الذى يلقى الوحي الذى هو سر من
أسراره على من يختارهم من عباده لرسالته، لينذر الناس بيوم القيامة حتى لا يعملوا إلا
صالحًا. يوم التلاق هو يوم يبرز إليه الخلائق لا يستترهم شيء. لا يخفى عليه من أعمالهم
شيء كما فى الآية (١٨) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.

ويقول سبحانه فى ذلك العين لمن الملك اليوم؟ فلا أحد يجيبه. فيجب نفسه بقوله الله
الواحد القهار لجميع الخلق بالموت، وعندما بين سبحانه صفات قهره وعظمته شرع فى بيان
صفات عدله وفضله فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت. لا ظلم اليوم. إن الله سريع
الحساب، فيحاسب الجميع كما يحاسب نفسه واحدة. ونظير ذلك فى الآية (٧٨) من سورة
لقمان صفحة ٥٤٢، والآية (٥٠) من سورة القمر صفحة ٧٠٨. وعندما بين أن رسله ينذرون
أمرهم بيوم القيامة، أمر نبينا ﷺ بإنذار قومه فقال (وانذره) ... إلخ: أى خوف قومك من
يوم القيامة القريب حصوله... إلخ.

﴿واق﴾ : أى حافظ يقيهم الشر.

﴿بياتنا وسلطان مبين﴾ .. إلخ: أى المعجزات والحجة الواضحة، كما تقدم فى الآية (٩٦)

من سورة هود صفحة ٢٩٨.

﴿هامان﴾ : كبير وزراء فرعون.

﴿قارون﴾ : تقدم فى الآية (٧٦) من سورة القصص ص ٥١٧، ٥١٨.

﴿قالوا اقتلوا﴾ ... إلخ : إذا رجعت إلى الآيات (٤) وما بعدها من سورة القصص صفحة ٥٠٦.

تعلم أن المراد استمروا وانشطوا فى قتل أبناء ... إلخ.

المعنى : . وأنذر أيها الرسول مشركى قومك أهوال يوم القيامة حين يشتد كربهم ولا يستطيعون منه خلاصاً.

وليس لهؤلاء الظالمين لأنفسهم وللحق من يعطف عليهم. وليس لهم شفيع مطلقاً فضلاً عن كونه يطاع فالكلام من قبيل من يقول فى أهل بلد كلهم أميون (ليس فى هذا البلد عالم يسمع قوله) يريد ليس فيها عالم مطلقاً.

ولمّا قال فيما سبق ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ أراد أن يبرهن على ذلك بقوله يعلم خائنة الأعين وكل ما تخفيه القلوب.

ومن كان هذا شأنه لا يخطئ فى أحكامه، ولذا قال والله يقضى بالحق أى يحكم بالعدل.

أما معبوداتهم الباطلة فليس لها فى ذلك اليوم قضاء بشيء ولو حقيراً.

لأنهم لا يعلمون شيئاً ولا يقدرون على شيء.. بل ليست لهم حقيقة كما اعترفوا هم بذلك فى الآية (٧٤) الآتية فى هذه السورة صفحة ٦٢٧.

وإنما اختص سبحانه بذلك لأنه هو وحده السميع لما تنطق به الألسنة البصير بكل ما تعمل به الجوارح. وبعدماء حذرهم سبحانه عذاب الآخرة أراد أن يحذرهم أيضاً عذاب

الدنيا، فقال (أو لم يسيروا فى) ... إلخ: أى هل غفلوا ولم يسيروا فى الأرض يوماً فبيروا كيف كانت عاقبة من كان مثلهم من الأمم الذين عملوا مثل عملهم، وقد كانوا أشد منهم بطشاً وأبقى آثاراً، من قصور وحصون ومبان ضخمة كالأهرامات مثلاً.

ثم بين هذه العاقبة بقوله فأخذهم .. إلخ: أى فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم. وما كان لهم من عذاب الله من حافظ يدفعه عنهم.

ثم بين سبحانه بعض هذه الذنوب فقال: (ذلك بأنهم) .. إلخ: أى ذلك العذاب الذى حل بهم بسبب أنهم كانت تأتهم رسالهم بالمعجزات والأحكام الواضحات فكفروا فأهلكهم الله؛ لأنه قوى لا يعجزه شيء أراد، شديد العقاب لمن طغى وتجبر وعاند رسله.

وبعدما فرج سبحانه عن رسوله بذكر عاقبة الأمم الذين كذبوا رسالهم أراد سبحانه أن يذكر واحدة منها تخويفاً لقومه من أن يحل بهم ما حل بفرعون وقومه، فقال: ولقد أرسلنا موسى مصاحباً لمعجزات وبرهان واضح إلى فرعون ملك مصر وهامان وزيره وقارون أكثر أهل زمانه مالا فلماً بهرتهم حجته عمدوا إلى المغالطة وقالوا هو ساحر كذاب.

ثم جمعوا له كبار سحرة المملكة، ولمّا تفوق عليهم، وأمن السحرة، لجأ فرعون ومن معه من الرؤساء إلى القوة، انظر الآيات من (١٠٦) إلى (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩ وما بعدها.

فى كل هذا قال سبحانه: فلما جاءهم بالحق من عندنا أى وعجزوا عن مقاومته قالوا اقتلوا أبناء الدين آمنوا معه ... إلخ.

المفردات : . ﴿فى ضلال﴾ : أى فى ضياع والمراد: لا يضر رسل الله سبحانه وتعالى.

﴿ذرونى﴾ : أى اتركونى.

﴿عذت بربى﴾ : أى تحصنت به تعالى.

والمراد بالأيام الوقائع التي حلت بهم،

انظر الآية (٥) من سورة إبراهيم صفحـة

٣٢٠، والأحزاب هي الأمم الكافرة التي

تحزبت على رسلها، انظر ما تقدم في الآية

(٥) من هذه السورة صفحتي ٦١٧، ٦١٨.

﴿مثل داب﴾ : الداب : العادة الدائمة

والمراد : مثل عاداتهم القبيحة.

﴿يوم التناد﴾ : أصله التنادى بمعنى النداء

فالمفاعلة على غير بابها كما في قوله تعالى

في الآية (٢٨٦) من سورة البقرة صفحـة ٦٢

﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ فالمؤاخذة بمعنى الأخذ

بالعقاب، والمراد : يوم القيامة الذي تتادى فيه كل أمة برسولها، انظر الآية (٧١) من سورة

الأنبياء صفحـة ٣٧٤.

﴿تولون مدبرين﴾ : المراد : تهربون مسرعين لا تلتفتون إلى الخلف خوفاً من العذاب

فتساقون إليه سوفاً، كما في الآية (٧١) من سورة الزمر صفحـة ٦١٦.

﴿بالبينات﴾ : الأمور الظاهرة الدالة على صدقه.

﴿فما زلت في شك﴾ : أي لم يخالط الإيمان به قلوبكم، وأظهرتم له أنكم مؤمنون، لأن

السلطان والمال كان بيده.

﴿هلك﴾ : أي مات، كما في الآية (١٧٦) من سورة النساء صفحتي ١٣٣، ١٣٤.

- | | | | | | |
|---------------|----------------|---------------|--------------|----------------|-------------|
| (١) وبأقـوم . | (٢) بالبينات . | (٣) يجادلون . | (٤) آيات . | (٥) سلطان . | (٦) آتاهم . |
| (٧) آمنوا . | (٨) يا هامان . | (٩) الأسباب . | (١٠) أسباب . | (١١) السموات . | |

موسى عليه السلام من فروع هذا التهديد صرخ في وجوههم بأنه لا يلجأ إلا إلى الله تعالى

فقال إني استجرت بربي وربيكم من شر كل مستكبر لا يباين الحق ولا يؤمن بيوم يحاسب فيه

الخلق عند ذلك فيض الله تعالى رجلاً من آل فروع أنفسهم يدافع عن موسى على أكمل

وجه.

قال تعالى: (قال رجل).. إلخ: أي قال رجل منهم كان يخفى إيمانه خوفاً من طغيانهم هل

يصح لكم أن تقتلوا رجلاً لمجرد قوله ربي الله؟ وقد جاءكم بأدلة صدقه أيده بها ربيكم الحق.

قال ابن عباس لم يكن في آل فروع مؤمن غير هذا الرجل وامرأة فروع المذكورة في

الآية (١١) من سورة التحريم صفحـة ٧٥٢.

وقال المؤمن: ولأي شيء تقتلونه مع أنه إن كان كاذب فعليه وحده وبال كذبه أي يفترض

ويفهان.

وإن كان صادقاً يصيبكم على الأقل بعض الذي يعدكم به وهو عذاب الدنيا. وعلى الأكثر

عذاب الآخرة. ثم أظهر لهم أنه يدلل على كلامه مع أنه يقصد التعريض بهم فقال: (إن الله

لا يهدي) .. إلخ: أي أن موسى إن كان مسرفاً في الجراءة على الله تعالى، كذاباً في دعوى أنه

سيحانه أرسله. فإله لا يهديه أبداً ولا يؤيده بمعجزات.

ثم وعظهم مع شيء من التهديد فقال: (يا قوم).. إلخ: أي يا قوم لكم اليوم ملك مصر

مسلطين على الناس بالرياسة والقوة، فلا تتعرضوا لعذاب الله بقتل موسى، لأنه لا يتخذنا

أحد من عذاب الله إن جاءنا، ولما خاف فروع من تأثير نصيحة الرجل سلك سبيل تضليله

المعتاد فأراههم أنه أبدهم نظراً فقال: (ما أريكم) .. إلخ: أي لا أشير عليكم إلا بما تخفقت

فائدته وهو قتل موسى. وما أدلكم إلا على طريق الصواب.

المفردات :: ﴿يوم الأحزاب﴾ : يوم اسم جنس بمعنى الأيام لأن لكل حزب يوماً فالحزب

لم ينزل بها في يوم واحد.

ثم نصحبهم بأن يعتقدوا عن أسباب إضلال الله لهم لأنهم إذا لم يثبتوا فلا بد أن يضلهم. ومن يضل الله سبحانه فلن يستطيع مخلوق هدايته.

ثم نبههم إلى خطر التقليد الذي قد يكون هو المؤثر فيهم، فقال ولقد جاءكم يوسف .. إلخ: أي ولقد جاء آباءكم يوسف بن يعقوب من قبل موسى بنحو ٤٠٠ سنة بأدلة صادقة يدعوكم إلى طاعة الله وحده، فلم يلتفتوا لهذه الهداية:

وإنما قصرنا طاعتهم على أمور الدنيا في حفظ الأموال والأوقات، انظر شرح الآية (٥٥) من سورة يوسف صفحة ٣١١. ولأنه كان وزيراً لم يواجهوا بالكذب ولم يصرحوا بالتصديق. ولذا قال قمارتكم في شك مما جاءكم به حتى إذا مات يوسف قال أسلافكم إن يبعث الله من بعده من يدعى أنه رسول.

أي قطعوا بكذبه وكذب من يأتي بعده بدون برهان. ومثل هذا الإضلال الذي حل بكم يضل الله كل مسرف في الجرائم شاك فيما لا يصح الشك فيه لوضوح دليبه. ثم هددهم بغضب الله فقال (الذين يجادلون) .. إلخ: أي الذين يجادلون في البراهين التي نصبها الله قاطعة بالحق بدون أن يكون معهم دليل من الله على ما يزعمونه اشتد مقت الله والمؤمنين لهم على جدالهم بغير دليل بل لمجرد العناد والجمود على تقليد الآباء.

هكذا الختم الذي ختم الله على قلوب المعاندين حتى حرهم الوصول للحق يحتم الله على كل قلب متكبر على الحق جبار في العصيان.

وبعد كل هذه المواقف التي تليين الحديد عاد فرعون لتدجيله ثانيةً فقال لوزيره الأول: يا هامان ابن لي بناءً عالياً لأبلغ به السلام التي توصل إلى السموات فاطلع إلى إله موسى. وهذا تضليل منه وأحقار لمقول قومه واستخفاف بهم وذلك لأنه يعلم أنه ليس لإله موسى مكان، انظر الآية (٥٤) من سورة الزخرف صفحة ١٥٢.

فوسرف: أي مكثر من المعاصي.

فمرتاب: المراد: شاك في دينه.

والذين يجادلون: مبتدأ خبره فوكبر الآية.

فسلطان: أي برهان.

(كبر مقتاً) .. إلخ: فوكبر أي عظم واشتد، وهي تفيد معنى الذم كبئس. وفوقاً أي شدة الكراهية المستوجبة للقبض، والمراد: كبر مقت جدالهم أي المقت المترتب عليه.

فيطيع الله: أي يختم عقاباً لهم، انظر الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤.

فحقاباً لهم: انظر شرح الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

فوصحاً: المراد به هنا البناء العالي، وانظر الآية (٥١٢) من سورة القصص صفحة ٥١٢.

والأسباب: تقدم في الآية (١٠) من سورة ص صفحة ٥٩٨.

فوطأطأ: يفتح العين على أنه جواب فلول كما في الآية (٤) من سورة عبس صفحة ٧٩١.

المعنى: قال المؤمن يا قوم إنني أخاف عليكم من مثل المصائب التي حلت بالأمم السابقة التي تعزيت على رسلها وحاربهم مثل جزاء الكفر الذي دارم عليه قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كقوم لوط وشعيب، ولم يحاسبهم الله بغير ذنب بل لكفرهم وعنادهم؛ لأنه سبحانه لا يريد ظلاماً لأحد. وبعدما حذرهم عذاب الدنيا أراد أن يحذرهم عذاب الآخرة فقال (ويا قوم) .. إلخ: أي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الذي ينادي فيه على الخلائق للوقوف موقف الحساب يوم تولون مسرعين من الموقف إلى النار عندما تسوقكم ملائكة العذاب إليها كما تقدم في صفحة ١١٦، وليس لكم في هذا اليوم عاصم يعصمكم من عذاب الله.

المعنى : . قال فرعون وإنى لأظن موسى كاذباً فى أن له إلهاً غيرى، ومثل التزيين المستبشع فى الأذهان زين الشيطان لفرعون عمله السيئ من الكفر والعناد، وجعله فى نظره حسناً، ومنعه عن سلوك طريق الحق بالاجتهاد فى الكيد لموسى وإبطال دعوته، ولكن وراء موسى إله قادر على إبطال كيد فرعون، ولذا قال وما كيد فرعون.. إلخ: أى وما احتيال فرعون لمحاربة دعوة موسى إلا فى ضياع، ولما رأى الرجل المؤمن تهادى فرعون فى تضليله أعاد النصيح مرة أخرى، بأسلوب آخر شديد التأثير، فقال يا قوم.. إلخ: أى يا قومى اتبعوا نصيحتى وأمنوا أذكلكم على طريق الصواب، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة زائلة، وأن الآخرة هى دار الاستقرار والدوام، ثم بين كيف يحصل الجزاء فى الآخرة لينتبهوا فقال من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلاً.

كما تقدم فى الآية (١٦٠) من سورة الأنعام صفحة ١٩١، ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى والحال أنه مؤمن أى مصدق بالله وبرسله فهو لا يدخلون الجنة يرزقهم الله تعالى من نعمها رزقاً واسعاً لا يمكن حصره، وبيا قوم مالى.. إلخ.

أى أخبرونى كيف هذا الحال، أدعوكم إلى ما فيه نجاتكم من مهالك الدنيا والآخرة، وتدعوننى إلى ما يدخلنى النار، ثم فسّر ما سبق بقوله تدعوننى لأكفر.. إلخ: أى بينما أنتم تدعوننى لأكفر بالله وأشرك معه فى العبادة معبودات ليس عندى علم بصحة ألوهيتها، أنا أدعوكم إلى من جمع صفات الألوهية الحقّة، وهى العزة أى الغلبة والقهر لكل ما سواه، القادر على المجازاة على كل عمل، الفشار لمن تاب ورجع إليه، قد ثبت عندى حقاً أن ما تدعوننى إلى عبادته ليس فى قدرته أن يجيب دعوة من يدعو لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فهو لا ينفع من يظلمه ولا يخلص من يحتقره وثبت أيضاً أن مردنا بعد الموت إلى الله فيجازى كل عبد بما يستحق، وأن المسيرفين فى العصيان بالكفر والطغيان هم أصحاب النار، ثم ختم نصيحته بكلمة فيها تحذير لهم يتفكرون فى عاقبة أمرهم فقال: فستذكرون ما أقول لكم ... إلخ.

وَإِنِّي لأظنك كذاباً وكدالك زين لفرعون سوء عمله
وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب
وقال الذى آمن يقوم أؤمن أذكر سبيل الرشاد
يقوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة وإن الآخرة هى دار
القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلاً ومن عمل
صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأنت لك يكفلون
الجنة رزقون فيها بغير حساب * ويقيمون ما
أدعوكم إلى النجوة وتدعوننى إلى النار تدعوننى
لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم
إلى التوحيد القل لأرجو أنما تدعوننى إليه ليس
لكم دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله
وأن المسيرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول

المفسررات: «تباب»: أى خسران وضياح.
«الرشاد»: هو ضد الضلال وهو الرشد المذكور فى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحة ٥٢، ٥٤.
«متاع»: أى متعة زائلة، انظر الآية (٣٦) من سورة الشورى صفحة ٦٤٤.
«ما لى أدعوكم»: أى، أى شئ حصل يجعلنى أتعجب من أمركم؟
«لا جرم»: السمراد: حقاً، انظر الآية (٢٢) من سورة هود صفحة ٢٨٧.

«ليس له دعوة»: المراد: ليس فى قدرته أن يجيب دعاء من يدعو، انظر الآية (١٤) من سورة الرعد صفحة ٢٢٣، والآية (٥٠) الآية فى هذه السورة صفحة ٢٢٤.
«المسيرفين»: أى فى المعاصى بالكفر والطغيان.

- (١) كاذباً.
- (٢) آمن.
- (٣) يا قوم
- (٤) الحياة.
- (٥) متاع.
- (٦) الآخرة.
- (٧) صالحاً.
- (٨) يا قوم.
- (٩) النجاة.
- (١٠) النار.
- (١١) الآخرة.
- (١٢) أصحاب.

التمصيح كثير، ومنه في القرآن غير ما هنا، ففى قوله تعالى ﴿وَأَمْوَالٌ الذِّينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الآية (٤٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠ المراد تقول الملائكة ادخلوا الجنة .. إلخ.

ومثل ذلك فى الآيات (١٠٦) من سورة آل عمران صفحة ٨٠، و (٣١) من سورة الحاشية صفحة ١٦٤، و (٢٠) من سورة الأحقاف صفحة ١٦٩، و (٣١) من سورة المطففين صفحة ٧٩٨.

﴿الضُّمَاءُ﴾ : المراد بهم هنا : الأتباع ﴿وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ : هم الرؤساء والكبراء والرعاة، انظر الآية (٣١) وما بعدها من سورة سبأ صفحة ٥٦٧، والآية (١٦٦) من سورة البقرة صفحة ٣٢.

﴿يَتَّبِعُوا﴾ : أى إتباعاً تفعل كما فعلتم، و ﴿يَتَّبِعُوا﴾ من الجمع النادرة عند العرب، مفردة ﴿يَتَّبِعُ﴾ كخدم جمع خدم، ﴿قَوْلُوا أَنْتُمْ مُقْتَنُونَ﴾ ... إلخ : ﴿قَوْلُوا﴾ حرف استقهم يدل على أن المتكلم به يرغب فى حصول ما بعده، و ﴿مُقْتَنُونَ﴾ من الغناء بفتح الغين، وهو النفع والإفادة، انظر الآية (٣٨) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢ و ﴿مُقْتَنُونَ﴾ متضمن معنى ﴿مُؤَدِّعِينَ﴾، والمراد هل تنفعونا دافعينا عنا .. إلخ؟

﴿وَالْغَزَاةَ جَهَنَّمَ﴾ : الغزاة جمع خازن، وهم الملائكة المكلفون بتعذيب أهل النار، انظر الآيات من (١٩ إلى ٣٢) من سورة الحج صفحة ٤٣٦، والآية (٧١) من هذه السورة صفحة ١٦٧، والآية (٤٨) من سورة القمر صفحة ٧٠٨ وغير ذلك فى القرآن كثير، وانظر الآيات (٧١) من سورة الزمر صفحة ١١٦، والآية (٨) من سورة المملك صفحة ٧٥٥، وكان أصل التركيب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهَا﴾ ولكنه سبحانه وضع الاسم الظاهر ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل الضمير لإلقاء الرعب فى قلوب الكافرين ليتعقوا فيخافوا هول ما هم قادمون عليه إذا استمروا على كفرهم، وذلك أن ﴿جَهَنَّمَ﴾ أخص من النار، فالنار تطلق على نار الدنيا، انظر الآية (١٠) من سورة طه صفحة ٤٠٦، ٤٠٧، والآية (٦٩) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧ : كما تطلق على نار

لَكَرُّ وَاقْرَأْ أَمْرِتَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَصْمُتُ بِالْمَنَادِ ﴿٥٥﴾
قَوْلُهُ اللَّهُ سَبَّحَاتٌ مَّاسِكُورًا رَوَّاقٌ قَالَ فِرْعَوْنُ سُبُّهُ
الْعَذَابُ ﴿٥٦﴾ أَنَاذَرُكُمْ بِمُصْرَفٍ عَلَيْهَا عَذَابًا وَجْهًا وَيَوْمَ
تُؤْتِمُّ السَّاعَةُ إِذْ خَلَّوْا آلَ فِرْعَوْنَ أَتْنَدُّ الْعَذَابُ ﴿٥٧﴾
وَأَوْ يَحْتَابُونَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ يَقُولُ الْمُسْمِقُونَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا نَكْرَهُهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَهُمْ شَبَّهْتُمُ الْمُنَاقِبَ ﴿٥٨﴾
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا فِيهَا إِنَّا لَنَعْلَمُ حَكْمَ بَيْنِ
الْعِبَادِ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِمْ أَمَّا
رَبُّكُمْ يُحَقِّقُ عَنَّا بَيْنَنَا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ
نُذَكِّرْكُمْ رَسُولًا مِّنْ بَيْنِيَّ قَالُوا بَلَى قَالُوا قَدْ مَعَا رَمَا
دَعَاؤُا الْكَافِرِينَ لَا فِي مَكَلِّهِ ﴿٦١﴾ إِنَّا لَنَعْلَمُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا فِي الْكِبَرِ الْآتِيَا وَيَوْمَ يُنَادُّهُمْ أَلَيْسَ

المفردات .. : ﴿حَقَّاقٌ﴾ أى نزل وأحاط بهم، وقد تقدم فى الآية (٤٨) من سورة الزمر صفحة ١١٢، والمراد من ﴿أَلَّا فِرْعَوْنَ﴾ فرعون وقومه جميعاً وجميع من يتبعه.

يقول المرئى يعرجينى من آل عمر صلاحيهم يريد عمر وأهله، ومنه قوله ﷺ : نحن آل محمد لا نحل لنا الصدقة، يريد ﷺ هو وأهله.

﴿غَدُوا وَعَشِيَا﴾ : أى صباحاً ومساءً، من صباح ومساء أهل الدنيا، وأخرج ابن أبى شيبه وغيره أن هذا العرض للأرواح دون

الأجساد التى تبلى وتأكلها الأرض، ففى الآية دليل على بقاء الأرواح، وتؤيده قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربهم﴾ ... إلخ انظر آتى (١٦٩، ١٧٠) من سورة آل عمران صفحة ٩١، وهذه الآية تدل بوضوح على عذاب البرزخ؛ لأن عذاب القيامة ذكر بعد ذلك فى قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ .. إلخ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ ادخلوا آل فرعون أشد العذاب : إذا رجعت إلى ما قلناه فى تفسير الآية (٩) من سورة الحج صفحة ٤٢٤، تعلم أن المراد هنا أنه بعد حساب الخلائق يوم القيامة، يقول سبحانه للملائكة : ادخلوا فرعون وقومه أشد أنواع العذاب فى جهنم، فتسوقهم الملائكة إليها بتقديمهم فرعون كما فى قوله تعالى ﴿وَيَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وبس الورد المورود : انظر الآية (٩٨) من سورة هود صفحة ٢٩٩، وتقدير القول فى الكلام

(١) فوقه. (٢) بآل. (٣) آل. (٤) الضمطاء. (٥) بالبيئات. (٦) نداء. (٧) الكافرين. (٨) ضلال. (٩) أموات. (١٠) الحياة. (١١) الأتباع.

الآخرة كما في الآية (٤٦) السابقة، يخلاف فإنها لا تطلق إلا على مكان معد لأشد أنواع العذاب في الآخرة كما في الآية (٤٦) السابقة، وكما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...﴾ إلخ الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٢٨.

﴿بلى﴾ : حرف جواب بمعنى «نعم» والمراد : نعم جاءتنا رسالتنا، انظر الآية (٧١) من سورة الزمر صفحة ٦١٦.

﴿ضلال﴾ : أى ضياع لا يقيد شيئاً.

﴿الأشهاد﴾ : جمع شاهد كأصحاب وصاحب، أو شهيد كأشرف وشريف، وهم الملائكة الحفظة والأنبياء، كما تقدم في الآية (١٨) من سورة هود صفحة ٢٨٦، وهم الشهداء في الآية (٦٩) من سورة الزمر صفحتي ٦١٥، ٦١٦، وانظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧، ونقل ابن كثير عن مجاهد أن الأشهاد هم الملائكة الحفظة، انظر الآية (٢١) من سورة ق صفحة ٦٩٠، وآيتي (١١، ١٠) من سورة الانفطار صفحتي ٧٩٦، ٧٩٥.

المعنى :.. ولما شعر الرجل المؤمن من آل فرعون أنهم نوا به شراً، ختم نصيحته بقوله فستذكرون ما أقول لكم، وأفرض أمرى إلى الله، أى ليحفظنى من كل سوء لأنه يصير بمباده فيعلم من هو على حق ومن هو على باطل؛ فوقاه الله مكربهم السيئ وأنجاه مع موسى وأحاط بفرعون وقومه العذاب السيئ وهو بعد الفرق في البحر، تعذيبهم في القيور بمرضهم على النار صباحا ومساء، ويقال لهم هذا مصيركم في الآخرة، ليعيشوا في شقاء وذعر دائم من هول ما سيلاقونهم ويوم تقوم القيامة يقول الله سبحانه للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد أنواع العذاب، ثم بين سبحانه ما سيحصل من أهل النار بعضهم مع بعض فقال: ﴿وإذ يتحاجون﴾... إلخ: أى واذكر أيها النبي لقومك حين يتخاصم أهل النار فيقول الأنبياء المقلدون للرؤساء والقواد:.. إنا كنا في الدنيا تابعين لكم فيما طلبتم منا فزاد جاهكم وقوى نفوذكم فخرجوكم اليوم أن تنفوننا بدفع شيء من العذاب عنا، فيقول الرؤساء:.. إنا نحن وأنتم الآن في النار فكيف ندفع عنكم؟ ولو قدرنا لدفعنا عن أنفسنا، إن الله قد حكم بين العباد

فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وقدر لكل منا عذاباً لا يدفعه أحد عنه، ولما يس كل من الطرفين من الآخر لجئوا إلى خزنة جهنم من الملائكة وقالوا لهم: ادعوا ربكم أن يخفف عنا من العذاب ولو مقدار يوم من أيام الدنيا، فتقول الملائكة توبيخاً لهم هل أهملكم الله في الدنيا، ولم تك تأتكم رسلكم بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم؟ قالوا : نعم. جاءتنا الرسل بالبراهين ولكننا كذبنا ونرجو الصفح، قال لهم الخزنة : إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فلن ينفعكم الدعاء، أما نحن فلا نعمل العيب.

ثم أيد الله سبحانه الملائكة بقوله وما دعاء الكافرين في الآخرة إلا في ضلال أى ضياع لا فائدة منه.

وهذا في دعاء الكافر يوم القيامة، أما في الدنيا فقد يجاب لما يدعوه به كما في الاستسقاء الذي يطلب فيه نزول المطر ويساعده الإطلاق في قوله تعالى ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾... إلخ الآية (٦٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٢، وأيضاً إجابة إبليس عندما طلب من الله عز وجل البقاء إلى يوم القيامة، انظر آيتي (٣٦، ٣٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠، وانظر مع هذا شرح قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٢٧) من سورة المائدة صفحة ١٤١.

وبعدما هدد سبحانه الكافرين بما سيكون قطعاً: شرع في تلميع رسوله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، فقال: إنا لننصر رسالتنا والذين آمنوا بهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر بالأعداء وقتلهم والانتقام الشديد لهم، ولا منافاة بين ما هنا وبين قتل بنى إسرائيل لبعض رسلهم، انظر الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧، لأن المراد بالرسول هنا هم الرسل الذين أمرهم الله سبحانه بقتال من يحارب دعوتهم، ويعمل على إحيائها بحد السيف، وقد يخفى على العقول أن تنصور أن المزيح الحكيم يأمر رسله بقتال أعداء دعوتهم ثم لا ينصرهم، فالعقول من رسل بنى إسرائيل هم الرسل الذين لم يكلفهم الله سبحانه وتعالى بالقتال؛ وقد ورد أن بنى إسرائيل لما قتلوا نبي الله يحيى أهلك الله به منهم سبعين ألفاً وخلد ذكره الحسن في الخالدين، وتنصرهم يوم القيامة، يوم يقوم بين يدي الله الشهود العدول على من كفر وعصى.

سورة الروم صفحة ٥٧٨، ولهم اللعنة من الله وإناس أجمعين فتبعدهم عن الرحمة، ولهم سوء الدار وهي جهنم، ولما ذكر سبحانه أنه ينصر رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر مثلا لذلك فقال: ولقد آتينا موسى... إلخ: أي أعطينا موسى ما فيه الهداية من المعجزات والتوراة وأورثا بني إسرائيل من بعد موسى الكتب المقدسة حال كونها هادية ومذكرة لذوى العقول السليمة، فاصبر أيها النبي على إثناء قومك، كما صبر موسى، ولكن واتقا بنصر الله لك؛ لأن وعده حق، واستعن عليهم بما يقربك من الله وهو الاستغفار عما قد يكون فرط منك وممن تبعك من هفوات. وادوم على تسبيح ربك وحمده في كل وقت خصوصا في الصباح والمساء، ثم أراد سبحانه أن يبين لرسوله والمؤمنين أن جدال الكفار لم يكن إلا أعدادا وكبرا فقال فإن الذين يجادلون... إلخ: أي إن الذين يخاصموك أيها النبي فيما جئت به من عند ربك من الآيات بغير دليل لا يحلهم على ذلك إلا كبر وحب للرئاسة، ولكن يستحيل أن يصلوا إلى الباعث على هذا الكبر وهو الرئاسة. فالتجئ أيها النبي إلى الله ليحميك من كيد من يحسدك؛ لأنه سبحانه هو السميع لما تقول ويقولون. البصير بملك وعلمهم، فهو حافظك من كيدهم، ولما كان مما جادلوا فيه البعث وقالوا إنه مستحيل بعد أن يصير الميت ترابا... إلخ، ذكر هنا سبحانه برهانا على إمكانه فقال: **﴿ولخلق السموات﴾**... إلخ: أي والله لخلق السموات والأرض ابتداء من غير سبق مادة أعظم في النفوس وأشد في العادة عند الناس من خلق الناس مرة ثانية بعد أن خلقهم سبحانه أول مرة. انظر الآية (٢١) من سورة الأحقاف صفحة ١٧١، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحجة، فهم كالأعمى، ومن يعلمها كالبصير، وما يستوى الكافر الذي لا يتأمل حجة الله فصار كالأعمى، ولا المؤمن الذي يرى تلك الحجة فيعتبر بها فهو كالبصير الذي لا يفضل الطريق فضلا فتذكرون إلا قليلا؛ وكذلك لا يستوى المؤمنون المصيرين مع العصاة المسيئين لأعمالهم؛ ثم هددهم سبحانه وتعالى بقوله **﴿إن الساعة آتية﴾**... إلخ: أي إن القيامة التي تتكونها والله لحاصلة قتلما ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك لغلبة الغفلة عليهم واشتغالهم بحب الدنيا الذي حجب عقولهم.

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَوَرَّيْنَا بِنُورِ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَبَ ۝ هُدًى وَكَرِّمًا لِلَّذِينَ الْأَلْبَبَ ۝ كَذَّبُوا عَنْ وَعْدِ اللَّهِ فَقَرَّبَهُ إِلَيْنَا ۝ إِنَّ الَّذِينَ وَسَّخُوا بَعْدَ رِبِّكَ بِالْبَغْيِ وَالْإِكْبَرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالشُّكْرَ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ عَلَنِي النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَتَّبِعِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا أَلْبَسَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ كِبْرًا ۝ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ رَبُّكَ

المفردات :.. **﴿الكتاب﴾** : المراد به هنا:

ما يشمل التوراة والزبور والإنجيل.

﴿واستغفر لذنبك﴾ : انظر مع هذا الآية

(١٩) من سورة محمد صفحة ١٧٥، والآية

(٢) من سورة الفتح صفحة ١٧٨، والآية (٢)

من سورة النمر صفحة ٨٣٥.

﴿والعشى والإيكار﴾ : **﴿والعشى﴾** من الظهور

للغروب، **﴿الإيكار﴾** من طلوع الفجر إلى وقت

الضحى، انظر الآية (٤١) من سورة آل عمران

صفحة ٦٩.

﴿يفسير سلطان آتاهم﴾ : السلطان هو

الحجة والبرهان وتشييد ب **﴿آتاهم﴾** بيان أن الدليل لا يكون إلا من جهته تعالى فضلا عن

استحالة وجود دليل عندهم فهم قوم يهرفون بما لا يعرفون.

﴿إن في صدورهم﴾ : إن حرف نفى بمعنى **﴿وما﴾**. **﴿وماهم﴾** ببالغيه **﴿: الباء للنص على**

عموم نفى ما بعدها، والمراد : لن يبلغوا سبب كبرهم وهو الرئاسة والرعاية على غيرهم.

﴿وقبلا ما تتذكرون﴾ : المراد : لا تتذكرون إلا لحظات قليلة جدا يرغبكم عليها سطوة

الدليل أو قسوة الحوادث وسرعان ما تزول.

المعنى : يوم يقوم الشهود هو يوم لا ينفع الظالمين لأنفسهم بالشرك بالله تعالى، انظر

الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠، لا ينفعهم اعتذارهم إن اعتذروا، انظر الآية (٥٧) من

(١) الظالمين.	(٢) آتينا.	(٣) إسرائيل.	(٤) الكتاب.	(٥) الألباب.	(٦) الإيكار.
(٧) يجادلون.	(٨) آيات.	(٩) سلطان.	(١٠) آتاهم.	(١١) ببالغيه.	(١٢) السموات.
(١٣) أموا.	(١٤) المصالحات.	(١٥) لآتية.			

سبحانه من يعرض عن عبادته فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ...﴾ إلخ أى إن الذين يتعاضمون عن عبادتى وحدى سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء. ثم ذكر ما يدل على من هو أحق بالتوجه إليه وحده فقال: ﴿اللَّهُ...﴾ إلخ: أى الله وحده هو الذى جعل لكم الليل لتسترحوا فيه، والنهار مضياً تبصرون فيه مصالحكم. إن الله وحده هو صاحب الفضل الكثير على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه عليها لغفلتهم عن أنه مصدرها فكفروا به، انظر الآية (٣٤) من سورة إبراهيم صفحة ٢٣٥، ذلك الذى جعل لكم ما سبق هو الله ربكم، وهو الخالق لكل شيء، لا إله إلا هو، فكيف تصرفكم الشياطين عن توحيد الله وفصله المتعلق بالزمان أراد أن يبين فضله سبحانه أن كفار مكة سلخوا طريق من كفر قبلهم، فقال ﴿كذلك...﴾ إلخ: أى كما صرف الشيطان هؤلاء عن توحيد الله صرف الكفار قبلهم الذين كانوا يجحدون بآيات الله الدالة على وحدانيته كبيراً وعناداً، وبعدما بين سبحانه فضله المتعلق بالزمان أراد أن يبين فضله المتعلق بالمكان فقال: الله الذى جعل لكم الأرض مكان استقرار لتمشوا فى مسالكها لطلب الرزق، والسماء سقفاً محفوظاً كالبناء المتين، ثم انتقل لبيان فضله المتعلق بأنفسهم فقال ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ انظر الآية (٤) من سورة التين صفحة ٨١٣، ورزقكم مما تستطيه نفوسكم التى لم تقسدها الخبائث. ذلك الذى فعل كل ذلك هو وحده الله ربكم، وإذا كان الأمر كما ذكر فيجب أن ينزه سبحانه وهو رب العالمين عن كل نقص وشريك. هو وحده الحى الحية الحقيقية التى لا نهاية لها، لا إله إلا هو فادعوه بكل ما يجوز أن تطلبوه منه سبحانه، حال كونكم مخلصين له الطاعة، انظر شيئاً من ذلك فى الآيات (١٩١) وما بعدها من سورة آل عمران صفحة ٩٥، وأيتى (٤٠، ٤١) من سورة إبراهيم صفحة ٢٣٦، حال كونكم قائلين الحمد لله رب العالمين الذى هدانا للصواب، انظر حكمة ذكر الحمد فى هذا المقام فى شرح الآية (٥٩) من سورة النمل صفحة ٥٠١. وبعدما أثبت سبحانه لنفسه صفات الجلال والكمال أمر نبيه أن يقطع أطماعهم فى ترك دينه بأستولب لين لطيف فقال: ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ...﴾ إلخ: أى قل أيها النبى لكفار قومك إن البراهين المنتشرة فى الكون وآيات الله المنزلة نهتني أن أعبد الذين تعبدونهم غير الله عندما جاءتني تلك البينات. وأمرت أن أنقاد له تعالى لأنه هو وحده خالق العالمين وربهم بفضلهم ورحمته.

المفردات : : ﴿عبادتى﴾ : المراد : دعائى؛ لأن الدعاء خلاصة العبادة كما قال ﷺ الدعاء مع العبادة. ﴿واخريين﴾ : المراد : أذلاء مهانين، انظر ما تقدم فى الآية (٤٨) من سورة النحل صفحة ٣٥١. ﴿مبصر﴾ : المراد : مضياً، كما تقدم فى الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحتى ٣٦٥، ٣٦٦. ﴿فانى﴾ : أى فكيف. ﴿تؤفكون﴾ : أى تصرفكم الشياطين عن قبول الحق، انظر الآية (٧٥) من سورة المائدة صفحة ١٥٢، وانظر شرح الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢. ﴿يؤفك﴾ : الأصل (أفك) بالفتح الماضى لكفه جاء به بالصورة الدالة على الحال والاستقبال (الفتح المضارع) لاستحضار الصورة البشعة التى هم عليها. ﴿يجحدون﴾ : أى يتكبرون الحق مع اعتقادهم به، انظر الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥. ﴿أَن أَسْلَمَ﴾ : أى أن أستسلم بانقياد وخضوع.

المعنى : : وبعدما أثبت سبحانه أن يوم القيامة لا ب منته، طلب الاستعداد له بالتوبة إليه وحده، ثم هدد من لا يخضع له، وبين شيئاً من أدلة قهره بالملك فقال ﴿ادعوني...﴾ إلخ والدعاء هنا هو العبادة بدليل ما بعده، ولما كان الدعاء المعروف وهو طلب الحاجات من الله سبحانه هو خلاصة العبادة كما ورد فى حديث أنس عنه ﷺ، كان مراداً أيضاً، أما إجابة العبادة البدنية كالصلاة مثلاً فهى الإثابة عليها. وأما إجابة الدعاء القولى إذا استوفى شروطه المشار إلى بعضها فى قوله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ الآية (٢٧) من سورة المائدة صفحة ١٤١، فهى إثابة الداعى عليه أولاً، ثم إعطاؤه الأنفع له فى الدنيا والآخرة، ثم هدد

(١) الليل.

(٢) خالق.

(٣) بآيات.

(٤) الطيبات.

(٥) العالمين.

(٦) البينات.

مجرد أوهم لا حقيقة لها. **﴿وتقرحون﴾**.. إلخ : المراد : تفرحون بمتاع الدنيا بما لا يصح أن يكون منشأ فرح، حتى نسيتهم أهوال الآخرة فتجراتهم على المعاصي، انظر الآية (٧٦) من سورة القصص صفحتي ٥١٨، ٥١٩ والآية (٨٢) صفحة ١٢٩.

المعنى :.. ومن أدلة قدرته سبحانه ما تشاهدونه في أنفسكم أنه بدأ خلقكم من عناصر أهمها التراب، ثم خلق النطفة من التراب بعد تحويله إلى غذاء قدم ثم علقه كما تقدم في صفحة ٤٤٦، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم حال كونكم أطفالاً، ثم يقيمكم لتباليوا غاية نمو الجسم والعقل، ثم لتكونوا بعد ذلك شيوخاً، والشيخوخة تبدأ من ٥١ سنة إلى نهاية العمر، انظر الآية (٧٢) من سورة هود صفحة ٣٩٥، ومنكم من يتوفى من قبل الأشد أو الشيخوخة، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، وما فعل سبحانه كل ذلك بكم للعب أو لهو وإنما فعله لتعبده ولتبلغوا بعد ذلك يوم جزائكم، وهو يوم القيامة ولتلقوا ما في التنقل بكم من حال إلى حال من أدلة قدرته سبحانه. ومن أدلة قدرته وتفرده أيضاً أنه هو وحده الذي يحیی من يشاء أول مرة كما تقدم، ويوم البعث. وبقيت من يشاء عند انتهاء أجله وليس شيء من ذلك يشق عليه لأنه سبحانه إذا قضى إيجاد أمر من الأمور حصل في طريقة عين من غير أن يستعين بغيره، ثم أراد سبحانه أن يجعل الناس يفتخرون من أحوال الكفار الشنيعة بعد كل تلك الأدلة فقال **﴿والهم تر﴾**.. إلخ : أي انظر واعجب أيها السامع إلى هؤلاء الكفار الذين يجادلون بالباطل في آيات الله الواضحة الدالة على الإيمان به وحده وتعجب كيف يصرفهم الشيطان عن التأمل فيها. ثم بين صفاتهم مع تهديهم فقال **﴿والذين كذبوا﴾**.. إلخ : أي هم الذين كذبوا بالقرآن وجميع ما أرسلنا به رسلاً من التوحيد والبعث، فسوف يعلمون حقيقة ما أخبرناهم به حين توضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أيديهم وأرجلهم يسحبون بها **﴿وفى العميم﴾**، ثم تسلط بطونهم ناراً وهم في وسط النار، أي تعمهم النار وظاهراً وباطناً، ثم تقول لهم الملائكة **﴿توبيعاً أين ألهكم التي كنتم تشركونها مع الله من غير إقرار الله بالعبادة، لم تم يفتذكهم من العنايب﴾** فيقولون غايروا الآن عنا وتركنا في البلاء، لا، بل الحق أننا ما كنا ندعو في الدنيا شيئاً لأنهم كانوا كالعبد، وكما أضل سبحانه أعمال هؤلاء المشركين بإطاعتها وعدم تفعلها يضل أعمال كل كافر. انظر الآية (١) من سورة محمد صفحة ١٧٢، ثم يقال لهم **﴿ذلكم الذي أنتم فيه من العذاب بسبب فرحكم في الدنيا بارتكابكم المعاصي﴾**.

الْعَالَمِينَ ۝ **﴿مُوَالَيْ خَلْقِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ثُمَّ مِنْ شَيْءٍ ۝ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ۝ ثُمَّ يَخْرُجُكُمْ فِلَاقًا ۝ ثُمَّ يَنْبَلِثُ أَثْنَا عَشَرَ نَجِمْ ۝ يَكُونُوا شُيُوعًا ۝ وَمِنْكُمْ مَنْ يَبْزُقُ مِنْ قَبْلِ وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ أَمْسٍ ۝ وَلَكُلٌّ تَقْبُولُونَ ۝ مُوَالَيْ نَحْيِي رُؤُوسَ قَوْمًا فَفَصَحْ أَمَّا قَوْلُ لَارِ كِي تَكُونُ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي بَابَتِ اللَّهِ أَتَى عَصْرُونَ ۝ أَلَيْسَ كَلِمَاتُ الْأَكْبَيبِ وَيَوْمَ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسُوفَ يَعْثُبُونَ ۝ إِذْ الْأَقْلِلُ فِي أَصْغَرِهِمْ وَكَانَ لَيْسَ بِمُعْتَرَفٍ ۝ فِي الْحَقِّمْ فِي الشَّرِّ يَسْتَعْرِضُونَ ۝ ثُمَّ يَقُولُ لَمْ يَنْزِلْ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا مَسْأَلَةَ بَلْ لَنْ تَنْزِلَ ۝ تَعْمُرِينَ قَبْلَ شَيْءٍ كَذَلِكَ يُفِضُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۝ ذَلِكُمْ يَوْمَ كُنْتُمْ تُفْرَحُونَ**

المفردات :.. **﴿فعلقاً﴾** : هذا اللفظ يطلق على الواحد، والأكثر، انظر ما تقدم في الآية (٣١) من سورة النور صفحتي ٤٦١، ٤٦٢. **﴿واشدكم﴾** : المراد هنا : غاية نمو جسمكم واشتداد قوتكم، وضالماً يكون ذلك عند بلوغ سن الخامسة والعشرين، انظر الآية (٢٢) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥. **﴿ولتبلغوا﴾** : معطوف على خلقكم من تراب، واللام متعلقة بفعل مقدر بعدها تفيد الحصر كما سيأتي في الشرح. **﴿وأجلاً مسمى﴾** : أي وفقاً محدداً لجمعكم هو يوم القيامة، انظر الآية (١) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦. **﴿وكن فيكون﴾** :

المراد يحصل سريعاً، انظر شرح الآية (٨٢) من سورة يس صفحة ٥٨٦. **﴿وانى﴾** : أي كيف، **﴿وإن الأغلال﴾** : **﴿وإن﴾** أصلها ظرف يدل على الزمن الماضي، كما في الآية (٨٤) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، واستعملت هنا استعمال **﴿إذا﴾** الدالة على الزمان المستقبل، كما في قوله تعالى **﴿ولئن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾** للدلالة على تحقيق ما سيحصل كأنه حصل فعلاً، و **﴿والأغلال﴾** جمع **﴿قُلٌّ﴾**، يضم أوله، وهو الحديد الذي يوضع في العنق. **﴿والسلاسل﴾** : هي الحديد الذي يوضع في الأيدي والأرجل. **﴿والحميم﴾** : هو الماء الذي يغلى من شدة الحرارة. **﴿ويسجرون﴾** : يقول المرئي سجرت النور أي ملأته ناراً، انظر الآية (٤٠) من سورة هود صفحة ٣٩٠، والمعنى تسلط بطونهم ناراً، انظر آيتي (٦، ٧) من سورة الهمة صفحة ٨٢١.

﴿فخلوا عنا﴾ : أي غايروا عنا، ولم يفتقدوا في وقت الشدة. **﴿قول﴾** : حرف يدل على الانتقال من غرض في الكلام إلى غرض آخر. **﴿ولم تكن تدعو من قبل شيئاً﴾** : يريدون أن آلهتهم كانت

- (١) التامين. (٢) يعطلون. (٣) آيات. (٤) بالكاتب. (٥) الأغلال. (٦) اعناقهم. (٧) السلاسل. (٨) الكافرين.

المعنى : ما حصل لكم من العذاب بسبب انكم كنتم في الدنيا تفرحون بما لا يصح الفرح به وهي المعاصي، ومن علامات الفجر الفاضح ان يفتخر الشخص بأنه قتل أو سرق، أما المؤمن فإنه يحزن إذا قُلت منه ذنب، وبما كنتم تخالون وتطاولون على الناس. ويقال لهم يوم القيامة ادخلوا ابواب جهنم المبينة في الآية (٤٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤١ موقنين بالخلود فيها فينست محل إقامة للمتكبرين عن قبول الحق. ثم خفف سبحانه عن نبيه ﷺ ألمه من عدم إيمانهم به بأنه سينقم منهم في الدنيا أيضاً فقال : «فاصبروا إن وعد الله» أي بتعذيبهم «حق» أي لابد من وقوعه. فإن أريناك بعض الذي نعدهم به من عذاب الدنيا فالأمر ظاهر، وإن توفيناك قبل ذلك فالإبنا يرجعون يوم القيامة فننقم منهم أشد انتقام، ولما كان من ضرورب عنادهم أنهم اقترحوا معجزات معينة غير القرآن الذي أعجزهم، كما في الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦، وكان سبحانه يعلم أنهم مهما جاءتهم المعجزات قلن يؤمنوا لأنهم متفنون كما في الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١٢٣ و (١١١) من نفس السورة صفحة ١٨١، لما كان كل هذا أراد سبحانه أن يصرف عن رسوله ألمه منهم فقال «ولقد أرسلنا... إلخ» أي لقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممهم، منهم من قصصنا عليك حاله وحال قومه معه، وهم ٢٣ منهم ١٨ في الآية (٨٢) وما بعدها من سورة الأنعام صفحة ١٧٥ وما بعدها، والباقي إدريس. هود. شعيب. صالح. ذو الكفل. ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وليس واحد منهم إلا أعطاه الله تعالى معجزات، وليس واحد منهم إلا وجادله قومه وكذبوه، فصبروا، فاصبر كما صبروا. وأعلم أنه ما كان لرسول من رسل الله مطلقاً أن يأتي بمعجزة إلا بإذن الله الذي يعلم المناسب منها لحال كل رسول، فانتظر قضاء الله فيهم فإنه إن جاء أمره بنزل العذاب بهم قضى بينهم وبينك ومن مملك بالحق. وهو نجاه المؤمنين وخسران المبطلين. ثم رجع سبحانه إلى ذكر أدلة تفرده وتفضله فقال «إله الذي... إلخ» أي الله وحده هو الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا بعضها، وتاكلوا بعضها ولكم فيها غير ذلك منافع من جلودها وأوبارها ولبنها ونتاجها وتلبثوا عليها حاجاكم التي تهتمون بها كحمل الأثقال من بلد إلى بلد بعينه، وكما حملكم عليها في البر حملكم على السفن في البحر، يركم سبحانه كل يوم دلائل وحدانيته وكمال قدرته، ثم ويخبرهم على إنكار آية منها فقال «فأني آيات الله... إلخ» أي فأني آية من آياته تعالى تتكرونها؟ أي مستحيل عليكم ذلك بدليل ما في الآية (٦١) وما بعدها من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩، ثم ويخبرهم على إهمالهم التامل فقال : «أفلم يسبوا... إلخ» أي هل عجزوا فلم يسبوا في أنحاء الأرض فيتأملوا على أي حال كانت عاقبة الذين كفروا مثلهم من الأمم الماضية.

في الأرض يغير الحق وما كنتم تعرفون ﴿١﴾ ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ليس مني الشكرين ﴿٢﴾ فاصبروا إن وعد الله حق فأنا ربكم بعض الذي يقدم أو تنقص ﴿٣﴾ فأنبأهم يومئذ ﴿٤﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان رسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هناك المبطلون ﴿٥﴾ إله الذي جعل لكم الأنعام ليركبوا منها ويأكلوا ﴿٦﴾ ولكن فيها منافع ولتأملوا عليها بما في مملوكم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴿٧﴾ ويرى عابثهم قائل أليس الله أكبر منكم ﴿٨﴾ أفلم يسبوا في الأرض ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

المفرادات : «في الأرض بغير الحق» : مرتبط بالفرح المتقدم، وهو فرح مذموم؛ والمراد : تفرحون بالإقدام على الباطل والجرائم المنكرة وتظنون أن ذلك من علامات القوة والعظمة، وهذا كما ذكرنا هو الفرح المذموم، انظر الآيات (١٢٠) من سورة آل عمران صفحات ٨٢، ٨٣ و (١٨٨) من نفس السورة صفحة ٩٤، و (٤٤) من سورة الأنعام صفحات ١٦٨، ١٦٩ و (٥٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٩ و (٨١) من نفس السورة صفحة ٢٥٥ و (١٠) من سورة هود صفحة ٢٨٥ و (٥٣) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٠ و (٧٦) من سورة القصص صفحات ٥١٧، ٥١٨ و (٨٢) الآية في هذه السورة صفحة ٦٢٩، وهناك فرح محمود وهو فرح المؤمن بكل ما يرضى ربه، انظر الآيات (١٧٠) من سورة آل عمران صفحات ٩١ و (٥٨) من سورة يونس صفحة ٢٧٥ و (٣٦) من سورة الرعد صفحة ٢٢٧ و (٤) من سورة الروم صفحة ٥٢١. «فصبروا» : أي تخطلون وتضامون على الناس. انظر الآية (٣٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩. «فيس» : أي قبح. «مستوى» : أي مكان إقامة. «فأما نريك» : الأصل فإن ما نريك، والتون الثانية تنيد تؤكد الرؤية. «آية» : المراد بها هنا : المعجزة.

«الأنعام» : اختار العلماء أن المراد بها هنا الإبل فقط؛ لأن المزايا الآتية لا توجد إلا فيها. «الفلك» : السفن. «آياته» : أي براهينه الدالة على كمال قدرته سبحانه وتشرده بالتصرف في الكون كله.

(١) ابواب.	(٢) خالدين.	(٣) بآية.	(٤) الأنعام.
(٥) منافع.	(٦) آياته.	(٧) آيات.	(٨) عاقبة.

المعنى : : كان اللائق بهم وهم يسبرون في الأرض للتجارة وغيرها أن يتأملوا فيما فعل الله في الكفار قبلهم مع أنهم كانوا أكثر عددا وأشد قوة وأقوى وأثبت أثرا .. في الأرض ومع كل هذا لم يَنْعَ عنهم في دفع العذاب ما كانوا يفعلونه.

أى فيجب أن يتبر هؤلاء بهم ويعلموا أنهم لو استمعوا على مصيبة الرسول سيحصل لهم نظير ما حصل لمن قبلهم، وأن عاقبة الكثرة والقوة كانت عكس ما كانوا يرجون منها، ثم فصل بعض ما أجمل فيما سبق فقال: ﴿فلما جاءتهم رسلهم﴾... إلخ : أى فلما جاء هذه الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله لإيقاظهم من الهلاك بالمعجزات والأدلة الظاهرة أعرضوا عنهم لأنهم فرحوا بما عندهم من العلم يتدبر أمور الدنيا وطرق تحصيلها، انظر الآية (٧) من سورة الروم صفحة ٥٢١، ولهذا لمّا جاءهم الرسل يعلم الديانة والأخلاق وهى تحت على المكابر، وتزهد فى الانهماك فى التمتع بملذات الحياة لم يلتفتوا إليها واستهزأوا بها معتقدين أنه لا علم أنفع وأجلب للفرائد من علومهم، عند ذلك نزل بهم العذاب الذى كانوا يستهزئون به إذا قيل لهم أنه سيصيبكم إذا تعاديتهم.

ثم بين أنهم لم يؤمنوا إلا عند اليأس فلم ينفعهم فقال ﴿فلما رأوا بأسنا﴾... إلخ: أى فلما رأوا مقدمات عذابنا الشديد قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بها كما بسببه مشركين مع الله غيره، فلم يك ينفعهم إيمانهم الذى حصل منهم حين مشاهدة العذاب. سن الله ذلك سنة أى أجراهم على عادته فى معاملة الأمم الماضية وهى أن لا ينفعهم الإيمان إلا فى وقت الرخاء، وبهذا خسر هؤلاء الكافرون كل خير فى ذلك الوقت.

﴿سورة فصلت﴾

﴿رحم﴾ تقدم المراد بثلثها فى أول سورة البقرة.

هذا القرآن مُنْزَلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بخلقهِ حيث رسم لهم فيه طريق سعادتهم فى الدارين وهو كتاب فصلت آياته.

كَانُوا أَكْثَرُ سَمًا وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّهُمْ مَّا كَانُوا يَكْبُرُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَرُحَا يَمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ رَوَّاقًا يَرْمِيهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَلَاءًا قَاتِلًا إِذْ يَخْلِفُهُمْ آلُثْمُهُمْ ثُمَّ رَأَوْا بَأْسًا مِنْ آلِهِ أَنَّى قَدِ عَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ مَا لَكَ الْكَافِرُونَ ﴿٣﴾

(١) سَكَنَ لَا فَضْلَ لَكَ كَيْفَا
وَأَرَادُوا أَنْ يَنْفُتُوا

يُنْزِلُ مِنَ الْأَرْضِ الرِّيحَ

حَسَّ ﴿٧﴾ يُنْزِلُ مِنَ الْأَرْضِ الرِّيحَ ﴿٨﴾ كَتَبَ

﴿بأسنا﴾ : المراد : عذابنا الشديد.

﴿وخاص﴾ : أى نزل وأحاط بهم، كما تقدم فى الآية (٤٨) من سورة الزمر صفحة ١١٣.

﴿وفرخوا بما عندهم﴾ : أى من العلم، انظر شرح آيتى (٧٨، ٧٦) من سورة القصص صفحة ٥١٨، ٥١٧ والآية (٧٥) الماضية فى هذه السورة.

سورة فصلت

﴿ولم يك ينفعهم﴾... إلخ : أى عند مشاهدة الهلاك، لأنه اضطراى لا اختيارى. انظر الآيات (١٥٨) من سورة الأنعام صفحات ١٩٠، ١٩١ و (٩١، ٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠ و (٥٥) وما بعدها من سورة الزمر صفحة ٢١٤

﴿رحم﴾ : تنطق هكذا حاء ميم بكسر الميم الأولى وسكون الباء والميم الثانية.

﴿وتنزل﴾ : المراد : هذا القرآن منزل... إلخ.

﴿والرحمن الرحيم﴾ : تقدم بينهما فى سورة النافحة، وانظر الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧.

- (١) آثارا. (٢) بالبيئات. (٣) آمنا. (٤) إيمانهم. (٥) سنة. (٦) الكافرون. (٧) حائثهم بكسر الميم الأولى وسكون الباء والميم الثانية. (٨) كتاب.

المفردات: هودخان: المراد به مادة غازية تشبه الدخان وتسمى في العلم الحديث. (سديماً).

﴿وقال لها ولأرضي﴾: إلخ: لم يحصل منه سبحانه كلام، ولا من السماء والأرض قول أيضاً، وإنما الكلام كناية عن أنه لا بد من أن تنفذ إرادته سبحانه فيما يريد من خلقه سريعاً. ونظير هذا الأسلوب كثير في كلام العرب، ومنه في القرآن الكريم.

﴿يوم تقول لهم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾: وقوله تعالى ﴿وطوعاً أو كرها﴾: أصلهما مصدران أريد بهما هنا اسم الفاعل وهما حالان أي طائعتين أو كارهيتين والمراد لا بد أن تأتي الكلام وتصوير لتأثير قدرته تعالى في تهيتهما للانتفاع بهما.

وقوله تعالى ﴿واتينا طليعين﴾: تصوير لتأثيرهما بسرعة، كما يتأثر العبد ويسرع في إجابة سيده، انظر صفحة ٢٢٢. ﴿وحي... إلخ: الوحي هنا بمعنى الأمر التكويني وهو الإيجاد.

﴿أمرها﴾: أي ما هي مهيتها له، مما اقتضت الحكمة الإلهية الانتفاع به منها كالشمس والقمر والنجوم وغير ذلك، فالمراد خلق في كل سماء ما هو مختص بها لنفع الخلق.

﴿واتينا السماء الدنيا﴾: انظر الحكمة في تغيير الأسلوب من الغيبة إلى التكلّم في شرح الآية (١٠) من سورة النمل صفحة ٥٠١.

﴿بصايرح وحفظا﴾: انظر آيتي (٦، ٧) من سورة المافات صفحة ٥٨٧ والآية (٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٤.

(٤١) صابغة
(٧) بآياتها

(٧) بصايرح
(١) كافرون

(١) قفضم
(٥) ملائكة

إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنَبِّئُكُمَا
أَوْحُوا بَيْنَا أَنْبَاءَ بَيْنِي وَأَمْرًا وَسَبِّحْ
تَحِيَّاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَلْحِنِي فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَرَبَّنَا
السَّامِئَاتِ أَنْبِئُنَا بِصَبِيحٍ وَغَدٍ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْكَرِيمِ
الْبَرِّ ﴿فَإِنْ أَمْرًا فَلْيُذَكِّرْ أَتَذْكُرْ صَبِيحَةَ
مِثْلَ صَبِيحَةِ غَدٍ وَكَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ أَرْسُلُ رَبِّ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَسْمِعُوا أَلَّا اللَّهُ قَوْلُ الْوَحْيِ
رَبَّنَا لَا تَرْزُقُنَا كَيْفَ تَرْزُقُ الْغُلَامَ بِكَ يَوْمَ الْكَيْدِ وَكَثِيرُونَ
فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَخَسَفْنَا
أَرْضَهُمْ نَارًا أَوْ لَازِبًا وَأَنَّا اللَّهُ الْغَالِي الْخَلْقِ ﴿وَمُ
أَنْدَسِيْمُ نَارًا وَكَأَنَّا بَارِقَاتٌ فَمَدَدْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا مَرْمَرًا يَأْتِيهِمْ كَيْفَ يَنْزِلُ الْوَحْيِ فَغَابَ

مقروءاً بلسان عربي واضح ليتفتح به كل من يعلم معانيه حق العلم، وحال كون هذا الكتاب مبشراً من آمن واتقى بالجنة. ومنذراً ومعدناً من كفر وعصى بالعذاب، ومع تفصيل آيات هذا القرآن على هذا الوجه فقد أعرض عنه أكثر الناس، وهم مرضى القلوب، فهم لا يسمعون سماع قبول. وقال زعماء الكفر في عهد ﷺ تنجيحاً وصراراً على العناد: قلوبنا في أغصية لا يعمل إليها معنى ما تريد، كما قال أمثالهم في الآية (٨٨) من سورة البقرة صفحة ١٧، وفي آذاننا صمم لا يصل إليها صوتك، ثم بالغوا في النفور والبعد أكثر فقالوا ومن بيننا وبينك حجاب يكاد يحجب عنا حتى شخصك فاعمل على دينك إنا مستمرين على العمل بديننا. أي لا تطمع في تحويلنا. عند ذلك أمر سبحانه نبيه أن يخبرهم بأنه لا يجبر أحداً على الإيمان، وإنما وطيقته أنه مبلغ عن الله تعالى فقال: ﴿قل إنما... إلخ. أي قل لهم ما أنا إلا بشر مثلكم أوحى الله إلي أن أبلغكم أنه ليس لكم إلا إله واحد فاستقيموا في كل أعمالكم حال كونكم متوجهين إليه وحده. واطلبوا مغفرته مما أنتم عليه. ثم هدد بقوله ﴿ورويل للمشركين﴾ أي هلاك عظيم لهم من شدة جهلهم بحق ربهم. الجهل الذي قسى قلوبهم على النقر فلا يؤتون زكاة، وما جرائهم على ذلك إلا كفر أيضاً بالآخرة انظر الآية أو ما بعدها من سورة الماعون صفحة ٨٢٢.

ثم بين جزاء المؤمنين فقال: إن الذين آمنوا... أي بكل ما يجب الإيمان به وعملاوا الصالحات لهم أجر عملهم في الجنة نعيم غير مقطوع.

وبعدما هدد الكافرين وبين فضل المؤمنين أراد أن ينههم إلى ما يدل على كمال قدرته سبحانه حتى لا يشكروا به غيره. ولا يتكبروا قدرته على اليمت فقال: ﴿قل أنظروا... إلخ. أي قل لهم منكر عليهم عملهم والله إنكم لتكفرون بالإله الحق الذي خلق وحده الأرض في يومين وتجعلون له نظائر في استحقاق العبادة مع أنه وحده هو رب العالمين وليس لأهلهم دخل في شيء منها.

والله وحده هو الذي جعل في الأرض جيالا ثابته ظاهرة أطرافها من فوقها لمنافكم من خزن المياه والمعادن وغير ذلك. وجعلها أي الأرض مباركة كثيرة الخيرات بالشجر والزرع والشمار، وقدر فيها أرزاق أهلها في يومين آخرين فصارت الجملة أربعة أيام كاملات مستساوات، وصار كل شيء فيها معدا للطلابين له بلسان حالهم بالسعي أو بلسان مقالهم بالدعاء. ثم توجهت إرادته سبحانه إلى السماء... إلخ.

المفردات: ﴿فهيديناهم﴾: أي أرشدناهم إلى طريق الخير. وبيناً لهم طريق الشر ليجتنبوه، انظر الآية (٣) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١، والآية (١٠) من سورة البلد صفحة ٨٠٨.

﴿صاعقة﴾: تقدم في الصفحة السابقة.

(العذاب الهون): ﴿الهون﴾: أصله مصدر معناه الهوان والذل، وأريد به اسم الضاعل مبالغة أي المهين المتذل جداً حتى كأنه هو الذل نفسه كما تقول: رجل عدل أي عادل جداً.

﴿أعداء الله﴾: المراد بهم: الكفار من جميع الأمم بما فيهم كفار مكة.

﴿يوزعون﴾: المراد: يمنعون من الهرب.

ويساقون إلى جهنم، انظر الآية (٧١) من سورة الزمر صفحة ٦١٦.

﴿إذا ما جاءوها﴾: ﴿إذا﴾ ظرف زمان يربط بين جملتين تسمى الأولى شرطاً وهي هنا ﴿جاءوا﴾ والثانية جواباً وهي هنا ﴿شهد عليهم﴾ و﴿ما﴾ حرف يدل على تأكيد ربط الشرط بالجواب.

﴿جلودهم﴾: المراد بها الجوارح مطلقاً فهو من عطف العام على الخاص، ولذا أفردوها بالذكر فيما بعد.

- (١) العباد.
- (٢) الآخرة.
- (٣) هيديناهم.
- (٤) صاعقة.
- (٥) أسوأ.
- (٦) أضرهم.
- (٧) أضرهم.
- (٨) أضرهم.

﴿صاعقة﴾: هي صوت شديد مزعج يصدر من جهة العلو، مصحوباً بما فيه عذاب وهلاك، من نار تحرق، أو ريح تدمر، أو غير ذلك.

﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾: المراد: كثر بينهم الرسل، وعملوا معهم كل حيلة، انظر شرح الآية (٢١) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩.

﴿من أشد منا﴾: ﴿من﴾ اسم استفهام إنكاري، يفيد النفي، أي لا أحد أشد منا.

﴿مصرصراً﴾: شديدة الصوت مزعجة. من الصرة وهي الصباح والجلبة. انظر الآية (٢٩) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٤.

﴿نحسات﴾: جمع نحسة بفتح فكسر، أي مشؤمات، وكانت ثمانية، انظر الآية (٧) من سورة الحاقة صفحات ٧٦١، ٧٦٢.

المعنى: ثم توجهت إرادته سبحانه إلى السماء وأحال أنها كالدخان، فحصل ما أَرادَه منها بلا تأخير. فأتَمَّ سبحانه خلق السموات سبعة في يومين. وخلق سبحانه في كل سماء ما هو مخصص بها. وزين سبحانه السماء الدنيا بكواكب ونجوم ترى كالمساييح. وحفظناها بذلك حفظاً من كل شيطان يحاول استراق السمع كما تقدمت الإشارة إليه. كل ذلك المتقدم تقدير العزيز أي الغالب على كل شيء العليم بأسرار خلقه. بلغ إليها النبي ما سبق لقومك فإن أعرضوا عن الإيمان بعد ذلك فقل لهم إني أنذركم بحلول نقمة كما حصل للأمم التي كذبت رسولها كعاد وثمود ومن على شاكلتهم حين جاءتهم الرسل بأدلة من جميع جهاتهم قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله، فليجروا في عنادهم وقالوا لو شاء ربنا إرسل رسلاً لآلينا لأنزل ملائكة برسالاته. لا يشرأ مثلاً. وبما أنكم لستم ملائكة، فإننا بما نزعُمون أنكم أرسلتم به كافرون. ثم بين سبحانه ما حصل منهم غير ذلك وما حل بهم بقوله فاما عاد فبغوا في الأرض بالباطل. وقالوا لما خوفهم رسولهم بالعذاب لا أحد أشد منا قوة فلا نخاف تهديدهم. هل غفل هؤلاء ولم يعلموا أن الذي خلقهم وهو الذي يهديهم على لسان رسوله هو أشد منهم قوة. وكانوا يعرفون أن يأتينا التي جاء بها رسولنا حق، ولكنهم جحدوها عنادا، انظر مثلاً في الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، فغافقهم سبحانه بأن أرسل عليهم ريحا شديدة تهلك كل شيء تمر به. وكان لها صوت قوى يصم الأذان. استمرت بحالها هذا سبع ليالٍ وثمانية أيام كلها تقوم حتى تركتهم جثثاً هامدة مطروحة على الأرض كأنها أعجاز نخل خاوية كما في الآية (٧) من سورة الحاقة صفحات ٧٦١، ٧٦٢.

فعل بهم سبحانه ذلك ليذيقهم العذاب المخزى في الدنيا.

المفردات: ﴿ينزل عليهم الملائكة...﴾
 إلخ: أى عند الصوت؛ انظر الآية (٦٤) من سورة يونس صفحة ٢٧٦، وشرح الآية (٩١) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧، والآية (٣٢) من سورة النحل صفحة ٢٤٩.
 ﴿ما تدعون﴾: أى ما تطلبون؛ انظر الآية (٥٧) من سورة يس صفحة ٥٨٤.
 ﴿نزلاً﴾: أصل النزول يطلق على المكان الذى ينزل فيه الضيف المكرم، كما يطلق على ما يقدم للضيف من الزاد والمراد به هنا طعام الجنة، انظر الآية (١٩٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٦. ﴿ومن أحسن قولاً...﴾ إلخ: ﴿ومن﴾ اسم استفهام مشرب معنى النفي... أى لا أحد أحسن فى القول... إلخ.

﴿ادفع﴾: أى رد واطرد. ﴿بأبى من أحسن﴾: أى بالطريقة الحسنى التى لا غلظة فيها.
 ﴿فإذا الذى...﴾ إلخ: ﴿إذا﴾ كلمة تدل على سرعة حصول ما بعدها مرتباً على ما قبلها.
 ﴿ولى﴾: أى صديق.
 ﴿حميم﴾: أى شديد الصداقة والمحبة.
 ﴿بلاقها﴾: أى يتلقى النهاية الحسنة، كما تقدم فى الآية (٨٠) من سورة القصص صفحة ٥١٨.
 ﴿حظ عظيم﴾: أى نصيب وافر من خصال الخير.

﴿ينزغلك﴾: المراد: يوسوس لك، كما تقدم فى الآية (٢٠٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥.

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) استأمو | (٢) الملائكة |
| (٤) الآخرة | (٥) صالحا |
| (٨، ٧) يلقاها | (٩) الشيطان |
| (١١) الليل | |

قَالُوا رَبَّنَا إِنَّكَ لَمُنتَقِلٌ عَلَيْنَا لَأَجْمَلُ
 نَحْنُ أَرْبَابُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَإِنَّا لَكَاثِمُونَ
 فِيهَا مَا كُنْتُمْ تُنْكِرُونَ فِيهَا مَا كُنْتُمْ تُنْكِرُونَ
 مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ
 إِلَى اللَّهِ وَعَمَلٌ صَالِحًا قَالَ إِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ
 وَلَا تَسْتَوِي أَمْثَلُ وَلَا أَسْفَلُ أَذْفَعُ بَالِي هُوَ
 أَحْسَنُ فَأَمَّا الَّذِي يَبْنِي وَيُنسِفُ غُدْرَةً كَانَتْ
 جِمْمْ وَابْتَلَاهَا إِلَى الْآخِرَةِ صَبْرًا وَمَا يَنْفَعُهَا إِلَّا
 دُخَانٌ عَظِيمٌ
 وَأَمَّا يَنْفَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْجٌ
 كَاتِبٌ يَأْتِيهِ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 وَالْبَلِّ وَالنَّارِ وَالنَّمْسِ وَالْقَمْرِ لَا تُسْجَدُوا لِلشَّمْسِ

الجن فريق. والإنس فريق، فهما فريقان. وتذكر الآية قول الدين كفروا فيمن أضلهم من الفريقين بسبب شدة غضبهم عليهم. انظر شيئاً من ذلك فى الآيات (١٦٦ و ١٦٧) من سورة البقرة صفحة ٢٢ و ٦٧ و ٦٨ من سورة الأحزاب صفحات ٥١٠، ٥١١ و (٣٢ و ٣٣) من سورة سبأ صفحة ٥٦٧.

المعنى: فصرتم من الخاصرين لكل ما فيه سعادة، فإن يحبسوا غيظهم ظانين أن الصبر مفتاح الفرج فلن ينفعهم ذلك شيئاً ما؛ لأن النار هى مقرهم الدائم، وإن يطلبوا الرضا عنهم فلن يجابوا.

وبعدما بين سبحانه ما سيكون يوم القيامة، ولم ينزجر كفار قريش، أراد سبحانه أن يبين لنا كيف عاقبتهم فقال: وقيضنا... إلخ: أى لما ألقوا فى مفادهم هيئنا لهم قرناء السوء من الجن والإنس فزينا لهم شهوات الدنيا والكفر بالآخرة فحق عليهم وعيدنا لهم بعذاب جهنم، يدخلونها فى جملة أمم كافرة قد مضت فى زمن قبلهم.

ثم بين سبحانه أن تلك الأمم الكافرة كانت جمعت الأشرار من الجن والإنس لأنهم استنوا جميعاً فى خسران خيرى الدنيا والآخرة، ثم بين سبحانه بعض جرائم كفار مكة فقال: وقال (الذين كفروا)... إلخ: أى قال الكافرون بالله ورسوله من أهل مكة: لا تنصتوا لهذا القرآن، وعارضوه برفع الصوت بالثغو والتهويش لعلكم تغلبون القرآن فيسكت عن القراءة، فتوعدهم سبحانه بقوله فلندين الذين كفروا عذاباً شديداً.

ووالله لنجزين كفار قريش أشد جزاء لما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصى، ذلك الجزاء وهو النار هو جزاء أعداء الله، لهم فى هذه النار مكان يخلدون فيه لا يخرجون منه أبداً. جازيناهم بذلك جزاء شديداً بسبب أنهم كانوا يجحدون آياتنا أى ينكرونها عناداً، ثم رجع سبحانه إلى بيان ما سيحصل منهم فى جهنم لعلهم يشبهون فقال: (وقال الذين كفروا)... إلخ: أى وقال الكافرون وهم يتقلبون فى النار: يا ربنا أرنا فريقى المضطلين لنا من الجن والإنس الذين أوقعنا فى الضلال لننتقم منهم بوضعهما تحت أقدامنا إهابة لهما ليكونا فى أسفل مكان اجتماعنا فيه.

ويعد أن توعد سبحانه الكفار بما تقشعر منه الجلود أجمع ذلك بالوعد الشريف للمؤمنين فقال: (إن الذين قالوا ربنا)... إلخ.

المفردات: ﴿فالذين عند ربك﴾: المراد عندية منزلة وكرامة. وهم الملائكة وليست عندية مكان، انظر الآية (٥٥) من سورة القمر صفحة ٧٠٨.

﴿لا يسأمون﴾: أي لا يملون. وهذا يسجد القاري إذا كان على طهارة. وهذه السجدة المعروفة بسجدة التلاوة.

﴿خاشعة﴾: المراد: باسنة قحلة.

﴿اهتزت وربت﴾: تقدم في الآية (٥) من سورة الحج صفحات ٤٢٣، ٤٢٤.

﴿أحيائها﴾: تقدم في الآية (٢٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٢.

﴿يلعدون﴾: المراد يحرفون، انظر الآية

وَلَا تَقْرُءُ رَجُلًا ذِي آلَاءٍ خَلَقْتُمْ إِن كُنْتُمْ تَابُونَ
تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ وَهُوَ لَا يُعْمَدُونَ ﴿٣﴾
وَمِنْ عَائِدَةٍ إِلَيْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيمَةً ﴿٤﴾ وَأُولَئِكَ
عَلَيْهَا آثَاءُ الْعَرْثِ وَرَبَّتْ أَنْ تَأْتِي بِنَجْمٍ كَالْخَمِيرِ
الْمُتَوَكِّئِ عَلَيْهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَفِرَّةٍ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْمِدُونَ
فِي عَائِدَةٍ لَا يُحْشِرُونَ عَلَيْهَا أَقْسَى النَّارِ جَهَنَّمَ
مَنْ يَأْتِي بِنَجْمٍ كَالْخَمِيرِ أَهْلًا مَا يَفْتِمُ بِهِمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ بِهِمْ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيكَمْ سَاعَةٌ
وَأَنَّهُمْ لَكَيْفٌ فَخِيرٌ ﴿٧﴾ لَا يَأْتِيهِمُ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، يُزِيلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ ﴿٨﴾ مَا يُعَالِ
أَنَّهُ إِلَّا تَوَدَّتْ قُلُوبُهُمْ لَنْ يَنْصُرُوا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
إِنَّ رَبَّكَ الْذُو فَتْرَةٍ

(١٨٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢.

﴿الذالك﴾: هو القرآن، انظر آيتي (٩) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨ و(٤٤) من سورة النحل صفحة ٣٥١.

﴿فوزين﴾: أي منيع لا يستطيع أحد أن ينال منه مضمناً.

﴿حميد﴾: أي محمود على كل حال.

المسغنى: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر كما كان يفعل أهل بليقيس، انظر الآية (٢٤) من

سورة النمل صفحة ٤٩٧. وأسجدوا لله الذي خلق تلك الآيات الأربع إن كنتم لا تعبدون غيره كما ترعون، فلا تخضعوا لغيره، وكانوا يدعون أنهم موحدون وأن هذه الأشياء تقرهم إلى

(١) بالليل.	(٨) لا يسأمون.	(٣) آياته.
(٤) خاشعة.	(٥) أيتها.	(١) أمنا.
(٧) القيامة.	(٨) لكذب.	(٩) الباطل.

﴿ومن آياته﴾: أي من أدلة قدرته تعالى، وتصرفه وحده في الملك.

المعنى: إن الذين اعترفوا بأن الله ربهم ثم أداموا الاستقامة على الطريق الذي شرعه لهم، فوحدوه وعملوا ما يرضيه تتزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا معنا أنتم مقدمون عليه. ولا تحزنوا على فوات ما تحبون. وأبشروا بالجنة التي وعدكم الله بها في الدنيا. نحن كما كنا موالين لكم في الدنيا بالحفظ نواليكم الآن بما فيه سركم. ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم. ولكم فيها كل ما تطلبون. والمراد كل ما تشتهي أنفسكم موجود فيها. وكل ما تطلبونه تتألفه حال كون ما تطلبونه مطعوماً مقدماً لكم من رب غفور لذنوبكم. رحم بكم، ثم بين سبحانه بعض ما استحق به المؤمنون هذا النعيم فقال: وَمَنْ أَحْسَنُ... إلخ: أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاقته وعمل صالحاً ليصدق عمله دعوته، وقال مبتجهاً بالإسلام وفرحاً به: إني من المسلمين. وعندما بين محاسن الأعمال الجارية بين العبد وربه. أراد أن يبين محاسنها الجارية بين العباد بعضهم مع بعض ليرغب نبيه ﷺ في الصبر وربه. أراد أن يبين محاسنها الجارية بين المؤمنين فقال: (إلخ: أي لا تستوى الفعلة الحسنة مع الفعلة السيئة في نظر العقل ولا في حكم الله. أي فلا تستوى دجوتك أيها النبي لهم إلى سعادتهم مع سفاهتهم وغلظتهم، فادفع سفاهتهم بالفعلة التي هي أحسن الملقوق، أي فادفع الغضب بالصبر. والسفاهة بالعلم، والإساءة بالمغو، ثم بين ذلك بقوله: فإذا الذي بينك وبينه عداوة... إلخ: أي أنك إذا فعلت ذلك انقلب سليم الطبع منهم الذي كان يكرهك إلى صديق حميم لك طول حياته كأنه لم تسبق منه لك عداوة. وما يعطى هذه المزية منه تعالى إلا الصابرون على تحمل المكاره ولا يعطاهم إلا ذو النصيب العظيم من السعادة في الدنيا والآخرة. ثم أرشد سبحانه إلى ما فيه سد الباب على الشيطان فقال: (وأما فيزغفك)... إلخ: أي وإن حاول الشيطان ليفرك بخلاف ما نصحك به ربك، فاستعن بالله من كيدته فسيقتلك من شره؛ لأنه سبحانه سميع لقولك عليم بإخلاصك.

ولما كان بعض قبائل العرب خصوصاً في شرق العراق يعبدون الكواكب، انظر ما تقدم في شرح الآية (٧٧) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، لما كان هذا أراد سبحانه أن يبين أن هذه الكواكب وما ترتب عليها من آثار خلقها الله سبحانه دالة على وحدانيته وقدرته فقال: ومن آياته... إلخ أي ومن أدلة وجوده ووحدانيته وقدرته أنه هو الذي نظم تقاقب الليل والنهار. وسير الشمس والقمر بحساب دقيق فلا تسجدوا لهما فإنهما مخلوقان وإن كبرت منافعهما... إلخ.

المسئني: إن ربك أيها النبي لذو مغفرة للمؤمنين، وذو عقاب شديد للأكافرين. وكان كفار قريش يتقنون في وضع المراقيل في سبيل الدعوة المحمدية.

فتارة يقولون: لو كان محمد صادقاً لجاء بكتابه دفعة واحدة كما جاء موسى وعيسى، انظر الآية (٣٦) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤، والآية (٤٨) من سورة القصص صفحة ٥١٢، والآية (٩٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٧. فجاء الرد بما فضح نياتهم في الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١١٣.

وتارة يقولون: لو كان محمد صادقاً لأعطاه الله كتاباً بلغة الكتب السابقة. ولما كان كل ماعدا العرب يسمون عجمًا، كما تقدم في الآية (١٩٨) وما بعدها من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢، رد سبحانه عليهم بما بين أنهم كاذبون معاندون فقال: (ولو جعلناه قرآناً) ... إلخ: أي ولو جعلناه هذا الكتاب الذي أنزل إليك مقروءاً بلغة المعجم لقال كفار قريش هلا بيت آياته وما فيها من أحكام بلغة العرب حتى نفهمه. وقالوا منكروا بصورة المتعجبين هل يصح أن يكون الكتاب أعجمياً والمزمل عليه عربياً؟

ثم بين سبحانه حال القرآن بالنسبة للمؤمنين والكافرين فقال: قل أيها النبي لهم هذا القرآن هو بالنسبة للذين آمنوا هدى من الضلال وشفاء لما في الصدور من الشك والحقد وغيرهما.

أما الذين لا يؤمنون بالله ولا برسله فإن الشيطان وضع في آذانهم صمماً فلا يسمعون حجج القرآن ومواعظه، ويصير عليهم كالعمى يكرهونه وينفرون من سماعه خوف أن يؤثر فيهم بقوة أسلوبيه، وسطوره جججه، حتى صار حالهم كحال الصم المقبلين على خطر، ويناديهم مرشدهم من مكان بعيد لينقذهم فلا يسمعون نداه، فمثل هؤلاء مصيرهم الهلاك المحتوم؛ انظر في ذلك كله الآية (٨٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥.

ثم بين سبحانه أن هؤلاء الكفار ليسوا وحدهم هم الذين عملوا هذا المنكر فقال: (ولقد آتينا موسى) ... إلخ: أي أرسلناه وآتيناه التوراة فاختلفت أمتة فيها تبعا لاختلاف أهوائهم.

فوصي: مصدر عصى بفتح فكسر تقول العرب عصى فلان عصى وعماء أي صار لا يبصر، والمراد: أن القرآن ثقل عليهم سماعه كمثل العمى فلذا ينفرون من سماعه، انظر الآية (٣٦) السابقة من هذه السورة صفحة ١٣٢، والآية (٤٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٠، والآية (٤٥) من سورة الزمر صفحة ١١٢.

فينادون من مكان بعيد: أي فصاروا كالرجل الذي يناديه آخر من مكان بعيد جداً، فإنه لا يسمع صوته ولا يرى شيعه.

والكتاب: هنا هو التوراة.

فما خلت فيه: أي أوله كل فريق على حسب شهرته، انظر الآية (١١٠) من سورة هود صفحة ٣٠٠.

فكلمة سبقت... إلخ: هي وعده سبحانه بتأخير حسابهم إلى يوم القيامة.

فلقضى بينهم: أي لحكم بينهم وبين المؤمنين في الدنيا بإهلاكهم ونجاة المؤمنين.

فمرريب: أي موقع في الرية وهي الشك الشديد الموجب للغيرة.

فوما ربك بظلام: المراد ليس الله بمصاحب ظلم ولو قليلاً، انظر الآية (٤٠) من سورة النساء صفحة ١٠٧. والباء للنس على عموم النفي.

فأكمامها: جمع كم بكسر أوله وهو النطاء الذي يكون على الثمرة قبل ظهورها.

فأذنأك: أي اعلمناك والمراد أقرنا.

فوما منا من شهيد: شهيد أي: شاهد، وومن للنس على عموم النفي، والمراد: ليس منا من يشهد في هذا اليوم على أن لك شركاً.

فوصل عنهم: أي غاب عنهم.

فمحيص: أي مهرب. تقول العرب حاص فلان يحيص إذا هرب.

فلا يسألك: أي لا يمل.

(الذين)... إلخ: أي وإذا كان هذا حالهم فوعزتي لتخبرن هؤلاء الكافرين يوم يرجعون إلينا بكل أعمالهم من المعاصي والكفر ولتدينهم من عذاب شديد.

ثم بين سبحانه شأنًا من شئون الإنسان مطلقًا غير النوع المتقدم الخاص بالكنار فقال: (وإذا نعمنا)... إلخ: أي من الشأن الغالب في الإنسان أننا إذا أنعمنا عليه بسعة الرزق والصحة والجاه أعرض عما دعونا إليه من الطاعة والشكر، واستكبر عن الخضوع لأمرنا كما في آيتي (٧، ٦) من سورة الملق صفة ٨١٤، وإذا أصابه شر كان على المكس من ذلك فهو يطيل الدعاء إلى الله ليكشف عنه ما حل به، انظر الآية (١٢) من سورة يونس صفة ٢٦٧.

ثم لفت سبحانه نظر الطامعين في القرآن وفي كونه من عند الله فقال: قل أرأيتم... إلخ: أي قل أيها الرسول لکنار قلوبكم أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ومع ذلك كفرتم به فهل هناك أحد أشد ضلالًا منكم لأنكم في خصام مع الحق شديد لا يمكن أن تجتمعا؟

ولما كان ما سبق يفيد البحث على التأمل والتيقظ أراد سبحانه أن يبين أنه سيريد أدلة الحق زعمًا فزعمنا، ويجلي بعض ما استتر من أسرار كونه شيئًا فشيئًا، حتى يتبين من فيه بقية خير وتأخذ البراهين بتلايب الجاحد المعاند حتى لا يبقى له منفذ شبهة، وبهذا يزداد عناده إذا استكبر وجمد على عناده، فقال سننريهم... إلخ: أي سنرى هؤلاء المشركين أدلة قدرتنا، وصدق كتابنا فيما أخبر به عن الماضي والمستقبل، في نواحي العالم وفي أنفسهم مما سبقت الإشارة إليه، انظر الآيات (٤١، ٢، ٣) من سورة الروم صفتي ٥٣، ٥٢١، و(٣) من سورة الفتح صفة ٦٧٨، و(٣٧) من نفس السورة صفة ٦٨٣، و(٤٥) من سورة القمر صفة ٧٠٧.

وذلك حتى يتجلى لهم أن هذا القرآن وما فيه حق.

ثم ويخبرهم على تقرطهم في إهمال النظر وعنادهم المعوج إلى نتائج الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره سبحانه في كتابه وجهلهم بما يليق به سبحانه فقال:

(أولم يكف)... إلخ: أي هل غفلوا ولم يكنهم زاجرا أن ربك مطلع على كل شيء من أعمالهم وسيجاسبهم عليها؟ ثم بين الباعث لهم على العناد والاستتار فقال:

(إلا أنهم)... إلخ: أي تبه أيها السامع إلى أن هؤلاء الناس في شك من البعث يوم القيامة.

﴿عريض﴾: المراد كثير مستمر. ﴿أرأيتم﴾: المراد أخبروني.

﴿ومن أضل﴾: ﴿ومن﴾ اسم استفهام إنكاري، يفيد النفي أي لا أحد أشد ضلالًا... إلخ.

﴿وشقاق بعيد﴾: أي خلاف لا يمكن تلافيه، انظر الآية (١٧٦) من سورة البقرة صفة ٢٣ والآية (٥٢) من سورة الحج صفة ٤٤١. ﴿آياتنا﴾: أي دلائل قدرتنا وصدق كتابنا.

﴿الآفاق﴾: جمع أفق وهو الناحية والمراد نواحي السموات والأرض وما فيها من شمس وقمر ونجوم ونظام سيرها، وما يصيب به الاثر من الصواعق والرياح والزلازل المهلكة، ومن نبات وأشجار، انظر الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفة ٣١.

﴿ورفي أنفسهم﴾: من عجيب الصنع ونديع الحكمة؛ وما حل بهم من قتل وأسر يوم بدر وما بعده، انظر آيتي (٢١، ٢٠) من سورة النازيات صفة ٦٩٢، والآيات (٧، ٦، ٥) من سورة الطارق صفة ٨٠٢.

﴿أولم يكف بربك﴾: الهمزة للاستفهام المفيد للتوبيخ، والواو عاطفة على مقدر مفهوم من السياق؛ والباء داخلة على فاعل ﴿يكف﴾ لتأكيد ثبوت الفعل للفاعل.

﴿أنه على كل شيء﴾: بدل من الفاعل، الذي هو ﴿ربك﴾. ﴿وشهيد﴾: أي مطلع، والأصل هل غفلوا ولم يكنهم رادعًا لهم عن الكفر والمعاصي، إن ربك مطلع على كل شيء ومنه أعمالهم وسيجازيهم عليها.

﴿إلا أنهم في مرية﴾: ﴿إلا﴾ حرف يراد به تنبيه السامع لأهمية ما يذكر بعده، ﴿مرية﴾: أي شك.

﴿ومن لقاء ربهم﴾: أي بالبعث بعد الموت. ﴿ومحيط﴾: أي عالم علمًا شاملاً.

المعنى: لا يمل الإنسان الذي لا هم له إلا الدنيا من سؤال ربه كثرة المال والصحة والجاه وغير ذلك، وإن مسه فقر أو شدة فهو شديد اليأس والفتور من رحمة ربه؛ انظر الآية (٨٧) من سورة يوسف صفة ٢١٦. ووالله لئن أعطيتاه غنى وصحة من فضلتنا بعد شدة وبلاء، حلا به ليعرضن عن شكرنا ويقول هذا الخير جاني بعملتي واستحقاقي، وينهك في لذاته، لأيراض فضيلة ولا رحمة، فلما منه أن القيامة لا تكون أبدًا.

ثم يقول: وعلى فرض أنها ستكون فإن لب عند ربي كل كرامة؛ لأنه أكرمني في الدنيا عن استحقاق فكذا يكون الحال في الآخرة. ثم بين سبحانه أنه مخطئ في زعمه فقال: فلتبين

﴿لَتَنْذَرُنَّ﴾: أى لتحذرن من غضب الله.

﴿أَمْ الْقُرَى﴾: هى مكة. انظر الآية (٩٢) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧ والآية (٥٩) من سورة القصص صفحة ٥١٥.

المعنى: ﴿حَم. عسق﴾ تقدم المراد منها أول سورة البقرة. مثل ما فى هذه السورة من المقاصد العامة عند كل رسول. وهى التوحيد. والرسالة واليوم الآخر. ومكارم الأخلاق. يوحى بها اليك ويغيرها من القرآن كما أوحى بذلك أيضاً إلى الأنبياء قبلك الله العزيز فى ملكه. الحكيم فى صنعه. انظر هذه المبادئ وأنها فى الكتب السابقة فى سورة الأعلى صفحة ٨٠٣ و ٨٠٤ أما فروع الشرائع فكل نبى شرع يناسب عصره. انظر ما سبق فى الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦.

ثم بين سبحانه عظمتة تمهيداً لتسفيه الكفار على جرمهم فقال: له ما فى السموات... إلخ، أى أن كل ما فى السموات وما فى الأرض تحت قبضته إيجاداً وتصرفاً واعداً. وهو المتعالى فوق الجميع. العظيم عن أن يماثله أحد. وتكاد السموات يتساقطن وتسقط كل واحدة فوق التى تحتها من هول قول المشركين اتخذ الله ولداً أو أن له شريكاً.

أما الملائكة الذين هم أعرف المخلوقات بربهم فيزهونه سبحانه عما لا يليق به حامدين فضله على العالم. ويستغفرون لمن فى الأرض من المؤمنين، انظر شرح الآية (٧) من سورة غافر صفحة ٦١٨. وفيه حث وترغيب للمستعد من الكفار للإيمان. والله يستجيب دعاء الملائكة لأنه غفور رحيم. والذين اتخذوا غير الله شركاء يوالونهم بالخضوع لهم.

الله سبحانه رقيب على أحوالهم. وسيجازيهم بما يستحقون. أما أنت أيها النبى فلسنت مطالباً إلا بإبلاغهم ما أمرت به. ولست مكافئاً بأن تجبرهم على الهداية. ومثل هذا الإيعاء البديع المشار إليه فيما سبق أوحينا إليك قرآناً بلسان قومك، انظر الآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩ لتخذر أهل مكة ومن حولها من جميع الخلق من عذاب الله إذا خالفوا أمره.

(١٦) سُورَةُ الشُّرَى وَكِتَابُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ قَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يَوْسَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ نَحْلِكَ ۝ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَوْ رَأَيْتُ السَّمَكِينَ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاءِ ۝ تَكَادُ السَّمَكُوتُ
يَتَفَقَّرْنَ مِنْ قَوْفِينَ ۝ وَاللَّيْلِ الْعَظِيمِ ۝ تَكَادُ السَّمَكُوتُ
وَيَسْتَفْزِفُونَ ۝ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْقَهَّورُ
الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۝ جَحِيمًا
عَلِيمًا ۝ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَهِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۝ لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

سميت بذلك لما فى الآية (٢٨) الآتية

صفحة ٦٤٤.

المفردات: ﴿حَم. عسق﴾: تنطق هكذا.

حَا - ميم - عين - سين - قاف. يسكون الآخر

فى الجميع؛ وتقدم المراد من مثل هذه

الحروف فى أول سورة البقرة.

﴿العزیز﴾: الغالب القهار.

﴿العلی﴾: الرقيب المنزلة فوق كل خافه.

﴿تكاد﴾: أى تقرب.

﴿يتفطرن﴾: أى يتشققن من شدة جرم من

يدعى أن الله شريكاً أو ولداً، انظر ما

سيأتى فى الآية (٦) من هذه السورة، والآيات

من (٨٨ إلى ٩٢) من سورة مريم صفحة ٤٠٥.

﴿والملائكة﴾: جملة حالية جاءت لبيان الفرق الشاسع بين عباد الله المخلصين والفاجرين.

﴿ألا﴾: حرف يراد به تنبيه السامع لما بعده.

﴿أولياء﴾: المراد: معبودات يوالونها بالخضوع لها، أو التقرب إليها.

﴿حفيظ عليهم﴾: أى رقيب على أعمالهم.

﴿يوكيل﴾: الباء للنص على عموم نفي ما بعدها عما قبلها، أى ليس موكلاً إليك جبرهم

على الهداية، إنما أنت منذر.

(١) حاميم يسكون الآخر.

(٢) عين سين قاف يسكون الآخر فى كل كلمة.

(٣، ٤) السموات.

(٥) الملائكة.

(٦) قرآناً.

المفسرات: «الكتاب»: المراد جنس الكتاب الشامل لكل الكتب المنزلة.

«المميزان»: المراد به هنا: القواعد والنضوابط التي جاءت في الكتب السماوية الموضحة للحد الفاصل بين الحق والباطل. والمراد بـ «الميزان الأمربه»، والإرشاد للعمل به، انظر مثلها في الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٣. «يستعمل بها»: انظر شرح الآية (٥١) من سورة الإسراء صفحة ٢٧١ والآية (٤٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٠ والآية (١٢) وما بعدها من سورة الذاريات صفحة ٦٩٣. «يستعملونها»: أي خائفون من أفعالها فيعملون ما يحفظهم منها، انظر الآية (١٠) من سورة المؤمنون

عَبْدُ رَبِّهِمْ وَكَانَ عَبْدًا شَدِيدًا ۝
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ وَآتَاكَ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَسْتَعْمِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا سَتُغْنِيهِمْ فِي الْعَمَلِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اللَّهُ لَظِيمٌ ۝ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ يَزِدْ لَهُ فِي
حَرْثِهِ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ فَرَّغَتْ يَدَا
فِي الْآخِرَةِ مَنْ يَشِيبُ ۝ ثُمَّ كُنَّا تَرْغُوا
مَنْ الَّذِينَ نَالُوا بِأَنَّهُ إِلَهُ دُونَ اللَّهِ لَتُفْلِنَ
بِهِمْ ۝ وَإِنَّا لَنَظُنُّهُمْ كُفَّارًا لِبَاطِلٍ ۝ رَأَى الْفَالِغِينَ
مُتَّبِعِينَ بِمَأْتَمِرَتِهِمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا

صفحة ٤٥١: «والا»: حرف يدل على تنبيه السامع لما يأتي بعده. «يمازرون في الساعة»: أي يجادلون ويكررون البعث يوم القيامة. «لطيف بعباده»: أي رفيق بهم حيث لم يجعل بعبادهم من سورة البقرة صفحة ٣٩، ٤٠ و (١٤٥) من سورة آل عمران صفحة ٨٦. «فُحِرَتْ الدنيا»: لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم. «فُحِرَتْ الآخرة»: المراد ثوابها، انظر الآيات من (٢٠٠) إلى (٢٠٢) من سورة البقرة صفحة ٣٩، ٤٠. «تقدم شرح مثلها تفصيلاً في الآية (٩) من المراد لذاتها وشهواتها. «فأم لهم شركاء»: الخ: تقدم شرح مثلها تفصيلاً في الآية (٩) من هذه السورة صفحة ١٣٩. «فلكلمة الفصل»: هي المشار إليها في الآية (١٤) المتقدمة.

المعنى: والذين يجادلون في دين الله بالباطل من اليهود ما يدعون أنه حجة لهم هو خيال باطل لا يقبل عند ربهم، وعليهم غضب من الله في الدنيا، ولهم عذاب شديد في الآخرة. ثم بين سبحانه بعض ما تضمنته هذه الكتب تحذيراً من مخالفتها. فقال: «اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ... الخ، أي أن الله هو الذي أنزل كتبه على أنبيائه مقتزرة بالحق وأنزل فيها الآيات المشتملة على ما

(١) الكتاب.	(٢) أموا.	(٣) ضلال.	(٤) الآخرة.
(٥) شركاء.	(٦) الظالمين.	(٧) أموا.	(٨) أموا.

بين سبحانه أن دين الأنبياء جميعاً هو التوحيد أراد أن يسفه المشركين على إنكاره فقال: كبير... الخ، أي شق على المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد وترك الشرك لأنهم توارثوا ذلك عن الآباء والأجداد فجمدت قلوبهم عليه. ثم أراد سبحانه أن يبين لرسوله أن من هؤلاء المشركين من يستيقظ ضميره فيؤمن فقال: «اللَّهُ يَجْتَبِي... الخ، أي أنه سبحانه يختار ضامناً إلى أوليائه من يشاء اختياره لسلامة فطرته. ولذا قال: ويهدي إليه... الخ، أي ويهدي إلى سبيل مرضاته من يرجع إليه سبحانه بالتوبة ويترك ما كان عليه أباًؤه. وبعدما بين أحوال أهل الشرك أراد أن يبين حال أهل الأديان السابقة الذين نهاهم أنبياءهم عن التفرق كما سبق فقال: وما تفرق... الخ أي وما تفرق أهل الأديان السابقة في الدين بأن جعلوه تبعاً لأهوائهم وشهواتهم، انظر ذلك في الآية (١١) من سورة هود صفحة ٣٠٠، وفرقوا بين الرسل إلا من بعد ما جاءهم العلم على لسان أنبيائهم بأن التفرق ضلال. وقد فعلوا ذلك بغيا وحسداً وظلماً للرياسة، فلجأت كل طائفة في طريقها مع أن دين الله واحد عند كل الرسل. ولولا الكلمة السابقة من ربك بتأخير جزائهم إلى يوم القيامة لعجل لهم العقوبة في الدنيا، ثم ذكر تفرق أهل الكتاب سابقاً أثر في أولادهم من اليهود والنصارى الذين هم في عصره ﷺ فقال: «وإن الذين أوتوا... الخ، أي وإن خلفهم الذين ورثوا التوراة والإنجيل والله نفس شك من كتابهم شديد، حيث لم يؤمنوا به على وجهه الصحيح. ولو آمنوا حقاً لعلوا أن محمداً رسول الله صادق فيما يدعي إليه. فلاجل ما أحدثه هؤلاء من التفرق في دين الله اجتهد في الدعوة أنت أيها النبي إلى الاتفاق في الحق. وقل لهم إنني صدقت كل الكتب المنزلة لا أكذب شيئاً منها، انظر أهواء الذين شكوا في الحق. وقل لهم إنني صدقت كل الكتب المنزلة لا أكذب شيئاً منها، انظر الآية (٧٨٥) من سورة البقرة صفحة ٦١، ٦٢. وقل لهم أمرني ربى بالعمل بينكم في الحكم إذا تخاضعتم إلى... ولا أجور عليكم بما يخالف شريع الله. وأعلم أنا ومن معي من المؤمنين أن ربنا وربكم هو الإله الحق. ونشر بأن جزاء أعمالنا قاصر علينا. وجزاء أعمالكم قاصر عليكم. لا يفتتح أحداً بعصاة صاحبه ولا تضره سيئاته. وإذا صمتم على المناد. فلا حاجة بيننا وبينكم لأن الحق أصبح واضحاً وسجماً الله يوم القيامة. واليه المرجع في النهاية فيقضي بيننا وبينكم بعدله. والذين يجادلون في دين الله من بعد ما استجاب له المخاضمون لظهور براهينه وأمنوا به. هؤلاء المخادلون ما يزعونه حجة لهم هو وهم.

تبليغ رسالته للناس كافة، ويكفى فضلاً من الله سبحانه وتشفيراً لأهل بيت نبيه ﷺ أن يأمر كل مؤمن ومؤمنة أن يصلّي ويسلم عليهم كل يوم عدة مرات في الصلاة وغيرها كما في الآية (٥٦) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٩، وما هنا أرق من قول موسى عليه السلام لفرعون وقومه في الآية (٢١) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧ المشار إليها سابقاً. ثم وبعد هذا الأسلوب الرقيق المؤثر أراد سبحانه أن يرغبهم في الإيمان بأن العمل الصالح يجازي، بأكثر منه فقال (ومن يقترف) . إلخ. أي ومن يعمل صالحاً نزل له فيه أجراً وثواباً، فتجمل الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، انظر الآية (٤٠) من سورة النساء صفحة ١٠٧. إن الله كثير المغفرة للذنوب من رجع إليه كثير الشكر للقليل من حسنات عبده فيضاً عنها، ثم انتقل سبحانه إلى توبيخ من يستمر على كفره فقال: أم يقولون:.. إلخ. أي هل يصح أن يقولوا افتري محمد على الله كذباً بادعائه أنه سبحانه أنزل عليه قرآناً؟ أي كيف يصدر هذا منهم وأنت تحت مراقبة الله القادر على أن يحوكل ما في قلبك فلا تستطيع النطق بشيء منه، أي ولو كان باطلاً لمعاد؛ لأنه سبحانه يدعو الباطل ويثبت الحق بقضائه النافذ، انظر الآية (١٧) من سورة الرعد صفحات ٣٢٢، ٣٢٤ فهو سبحانه عليم بما تكفه الضمائر لا يخفى عليه شيء منها. فيذهب بأمالها ويحفظ حقها. ثم رغب سبحانه في التوبة فقال سبحانه: وهو الذي يقبل التوبة من عباده، أي إذا تابوا توبة صحيحة ويعفو عما وقع منهم من السيئات. ويعلم ما تعملون فلا يجازي إلا عن خبرة وحكمة. ثم بين سبحانه أن من يسمع هذه الحقائق ويجيب الداعي إليها هو المؤمن المحافظ على عمل الصالحات. وتبليغ ذلك يجازيهم سبحانه الحسنه بعشر أمثالها. ويريدهم من فضله أضعافاً كثيرة كما في الآية (٢١١) من سورة البقرة صفحة ٥٥. أما الكافرون فيجازيهم بعذاب شديد. ولما كان المسلمون في مكة قليلين وأغلبهم قريش، وكانت النفوس ربما تتوق إلى أن يوسع الله عليهم من رزق الدنيا كثيرهم من صنابير قريش، أراد سبحانه أن يبين أن الحكمة هي في النظام الذي اختاره لخلقهم، وأنه لو أفقرهم جميعاً لهلكوا. ولو أغناهم جميعاً لما خضع واحد لآخر فيخرب العالم.

عبادة. فمن معنى فمن لأن مادة القبول تعتمد **فمن** كما في الآية (١٢٧) من سورة البقرة صفحة ٣٥. و (٢٧) من سورة المائدة صفحة ١٤١. **فويستجيب**: استجاب بمبالغة في اجاب. أي يعيرون دعاءه تعالى إلى عمل الخير بسرعة وإخلاص: انظر ما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة صفحات ٦٤٠، ٦٤١. والآية (٢٨) الآتية من هذه السورة أيضاً صفحة ٦٤٤. والآية (٢٤) من سورة الأنفال صفحة ٣٢٠. والآية (١٠) من سورة غافر صفحات ١١٨، ١١٩. والآية (٢٢) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١.

المعنى: والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم ربهم أطيّب بقاغ الجنة لهم فيها ما يشاءون عند ربهم. ذلك النعيم العظيم هو الفضل الكبير من الله. هذا الفضل هو الذي بشر الله تعالى به عباده المؤمنين الصالحين في الدنيا: وقد صدق وعده. وبعد كل هذه العبر والمواعظ استمر كفار قريش على عنادهم وشدة إيمانهم له ﷺ. فقال له سبحانه **هل قل لا أسألكم**... إلخ. روى البخاري ومسلم أن ابن عباس فسر هذه الآية بأن رسول الله ﷺ كان له قرابة في جميع بطون قريش، ولما أرسله ربه كذباً وآذوه، فأمره سبحانه أنه يقول لهم: يا قوم إن رفضتم الإيمان برسالتى فلا أطلب منكم إلا أن تكفروا إيمانكم عني، وتتركوني وشأني مع غيركم. مراعين بذلك حق القرابة، وصلة الرحم، التي بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا يصح أن يكون غيركم من العرب أحفظ لكم أمي منكم؛ ولما كان نبي الله موسى لا قرابة له بفرعون وقومه قال غير ما هنا. انظر الآية (٢١) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧. وحاصل المعنى هنا: لا أطلب منكم أجراً على تبليغ رسالة ربي إلا أن تدفعوا عني إيمانكم مراعاة لحقوق القرابة. قال الألوسي رداً على من قال: المعنى لا أسألكم على تبليغ رسالتى إلا أن تودوا قرابتي، قال الألوسي: هذا معنى لا يناسب مقام النبوة لما فيه من التهمة؛ لأن أكثر من يطلبون الدنيا يفعلون الشيء ويطلبون عليه من الأجر ما يكون فيه نفع لأولادهم وأقربائهم. (انتهى) ومقام الرسول الأعظم لا يسأل أجراً دنيوياً على أعظم عمل وأشرفه يكلفه الله عز وجل به وهو

﴿مَنْ دَابَّةٌ﴾: ﴿مَنْ﴾ حرف يدل على أن ما بعده بيان لـ ﴿مَا﴾ المذكورة قبله. ﴿دَابَّةٌ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن فى السماء عوالم لا يعلمها إلا الله تعالى، وقال الألوسى: لا يجوز نفى ذلك لأنه نفى بلا دليل، بل الدليل يخالفه؛ والذى يؤخذ من كتب اللغة أن الدبيب هو الانتقال الخفيف حقيقة أو مجازاً، فمن الأول قولهم: دب الطفل والشيوخ المسن إذا مشى خفيفاً، ومنه أيضاً قول العرب: ناقة ديوب. أى لا تكاد تمشى من كثرة اللحم. وكذا دب الجيش إلى العدو إذا مشى بدون إسراع. ومن الثانى: دب السقم فى الجسم والبلى فى الثوب والصبح فى الفئش والنوم فى البدن، كله بمعنى سرى على مهل. وبهذا يظهر أن غلبة لفظ ﴿دَابَّةٌ﴾ على ما يركب من الخيل والبغال والحمير، إنما هو عرف طارئ. لا أنه هو المعنى اللغوى فى الأصل، وكذا تقييدها بأنها ﴿فى الأرض﴾ كما فى الآية (٦) من سورة هود صفحة ٢٨٤ إنما يراد به الغالب المشاهد لهم لا أنها كلها فى الأرض. ولذا قال الألوسى فى تفسير الآية (٤٩) من سورة النحل صفحة ٣٥١: إن الدبيب هو الحركة الجسمانية. سواء أكانت فى الأرض أم فى السماء، والملائكة أجسام لطيفة تتحرك... وقد أطلق القرآن الدابة على كل متحرك ولو لم يكن له دبيب، انظر ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ الآية (٤٥) من سورة النور صفحة ٤٦٥، فإنهم أدخلوا فيها الزواحف والطيور قطعاً، وقال الأستاذ عباس محمود العقاد - عضو المجمع اللغوى - : لا مانع من أن يراد بالدابة كل حى: لأن الدبيب والحركة الدائبة لا يكونان إلا عن حياة. ولذلك تشمل الملائكة وغيرها من المخلوقات الحية المستورة عنا. ويساعد على ذلك أن المتبادر عرفاً من الدبيب هو الضرب على الأرض. ليس مراداً بدليل ﴿ومنهم من يمشى على بطنه﴾ ولا ضرب له على الأرض. بل هو مجرد زحف، والله تعالى أعلم بحقيقة ملكوته الواسع الذى تحار فيه العقول.

﴿مَنْ مَصِيبةٌ﴾: ﴿مَنْ﴾ تدل على أن ما بعدها بيان لـ ﴿مَا﴾ المذكورة قبلها.

﴿بِمَعْجَزين﴾: أى بجاعلين الله سبحانه عاجزاً عن جزائكم، والباء لتأكيد نفى ما بعدها. ﴿مَنْ وَلَّى وَلَا نَصِيرَ﴾: الولى هو الصديق، والنصير هو المعين، كما تقدم فى الآية (١٠٧) من سورة البقرة صفحة ٢١.

المفردات : ﴿ليغوا فى الأرض﴾: اليفى مجاوزة الحد المشروع، انظر آيتى (٧، ٦) من سورة الملق صفحة ٨١٤.

﴿يقدر﴾: المراد بمقدار معين اقتضته

الحكمة الإلهية.

﴿الغيث﴾: هو المطر الذى ينزل وقت

الحاجة إليه، انظر الآية (٣٤) من سورة

لقمان صفحة ٥٤٤:

﴿قططوا﴾: أى يشؤا.

﴿رحمته﴾: المراد بها كل الخيرات التى

تحصل بالمطر كسقى العشاى والزرع

والشجر.

﴿الولى﴾: أى المتولى عباده بالإحسان. ﴿الحميد﴾: المجمعود على كل حال.

﴿آياته﴾: أى دلائل قدرته، انظر آيتى (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١ و(٣١) من سورة

لقمان صفحة ٥٤٢.

﴿وما يث فيهما﴾: ﴿وما﴾ معطوفة على ﴿السموات والأرض﴾، ﴿ويث﴾: أى كثر ونشر.

(١) آياته.

(٢) السموات.

(٣) أصابكم.

(٤) يثو.

(٥) آياته.

(٦) كالأعلام.

(٧) لايات.

(٨) يجادلون.

(٩) آياتاً.

لَبَقُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَزِيلُ يَقْدِرُ مَا يُشَاءُ اللَّهُ
بِعَاجِلِهِمْ خَيْرٌ يُصِرُّ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَزِيلُ الْقُلُوبَ مِنْ
بَعْدَ مَا قُتِلُوا وَيَنْزِلُ رَحْمَةً ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَلْهَمَ
وَيْسَ عَاجِلَهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ يُحْسِنُ
مِنْ دَابَّةٍ ﴿٣﴾ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ وَمَا
أَصْبَحُكُمْ مِنْ صَبِيَةٍ قَبْلَ مَا كُنْتُمْ أَيْدِيكُمْ رِيحًا عَنْ
كَيْدِهِ ﴿٥﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦﴾ وَبَيْنَ أَيْدِيهِ
الْجُحُورُ فِي الْيَمِّ كَالْأَعْلَامِ ﴿٧﴾ إِنْ تَنْتَهِبْكَ الرِّيحُ
فَتَنفَلَنْ وَكَأَنَّكَ عَلَى ظَهْرِهِ إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٨﴾ أَوْ يُرِيضُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
كَيْدِهِ ﴿٩﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخْلِدُونَ فِي مَا يَنْبَغُ مَا لَهُمْ

فاطر صفحة ٥٧٨. فمصائب الأفراد سببها علمهم؛ ومصائب الأمم والجماعات سببها عمل أغلبها. انظر الآية (١٥٢) وما بعدها من سورة آل عمران صفحة ٨٧، والآية (٢٥) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٠. وفي هذا قال سبحانه: (وما أصابكم من مصيبة (١٠) إلخ. أي ما يصيبكم من مصائب الدنيا كبيرها وصغيرها فيسبب أعمالكم ومع ذلك فأنه سبحانه ينفو عن كثير من ذنوبكم لا يؤخذكم بها في الدنيا ولا لاهلككم جميعاً كما في سورة فاطر صفحة ٥٧٨ السابق الإشارة إليها. ويجب أن نعلم أن هذا هو المبدأ العام.

ولكن قد يتلى سبحانه بعض عبادته بالمصائب لحكم عليا كرفع درجات في الجنة كما حصل لنبيينا ﷺ في موت ولاده المذكور مثلاً. وكحسن القدوة في الصبر كما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام كما في الآيات من (٤١ إلى ٤٤) من سورة ص صفحة ٦٠١، ٦٠٢، وانظر نظير ذلك في الآيات (١٥٥، ١٥٦، ١٥٧) من سورة البقرة صفحة ٢٠، والآية (٢١٤) من سورة البقرة أيضاً صفحة ٤٢، وآيتي (٢، ٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢. ثم رجع سبحانه إلى تهديد المشركين فقال سبحانه: (وما أنتم بمعجزين) .. إلخ. أي وما أنتم أيها المشركين بمفلقين من عذاب الله مبرأ في الأرض انظر الآية (٣٢) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠. وليس لكم غير الله من يفتدكم أو يرحمكم ولا نصير يدفع العذاب عنكم، ومن دلائل قدرته تعالى تلك السفن التي تجري في البحار مرتفعة حمولتها، وشرائعها كالجيال؛ إن يشأ سبحانه إسكان الريح التي تحركها يسكنها فتقف ساكنة لا تتحرك.

إن في القدرة على إحرائها وإسكانها لأدلة واضحة على قدرة مدبر الكون، يتدبرها ويستفيد منها كل عبد خيس نفسه عما لا ينبغي. وحصر همه في تذكار آيات ربه. كثير الشكر لشمله سبحانه. وفيه إشارة إلى أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر. وإن يشأ سبحانه يهلك هذه السفن بما فيها بتبسيط ريح عاصف، أو كسرها؛ أو غير ذلك بسبب ذنوب أهلها. وإن يشأ يعفو عن كثير منهم، يفعل سبحانه كل هذا ليتجلى قدرته وليعلم الذين يعانون ولا يعترفون بآيات الله أنهم لا مفر لهم من عذاب الله تعالى.

﴿الجوار﴾: جمع جارية والمراد بها السفن.
﴿الأعلام﴾: مفرد علم يفتحين، وهو الجبل. ﴿يطللن﴾: أي يقيم.
﴿رواكه﴾: جمع راكدة أي ثابتة ساكنة.

﴿يريهن﴾: أي يهلكن.

﴿ويعلم الذين يجادلون﴾: كون اهتمام التحذير الكافرين يدل على أن أصل الكلام يهلكهم ليظهر عظمتهم وقدرته، وليعلم أمثالهم أنهم هالكون قطعاً. ومثل هذا التقدير كثير في القرآن، ومنه ما في آيتي (٢١) من سورة مريم صفحة ٢٩٨ و(٢٢) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢.

المعنى: لو وسع سبحانه رزق جميع العباد وجعلهم متساوين فيه لاحتل نظام العالم؛ لأن كل واحد يراحم غيره على ما فيه الرئاسة، ويرفض ما دونها. فلا يقبل واحد منهم أن يكون جندياً وغيره قائداً. ولا تجاراً أو خبازاً وغيره مديراً أو وزيراً مثلاً.

وبهذا تتعمل المصالح ويحل الخراب، فمن الحكمة أن يكون البعض غنياً والبعض فقيراً ليعمل كل فيما يصلح له، انظر الآية (٣٧) من سورة الزخرف صفحة ١٥٠، ولذا قال: (ولكن ينزل بقدر) .. إلخ. أي ولكن ينزل بنظام ما يشاء من الأرزاق. فببسط للبعض ويضيق على البعض، كما في الآية (١٧) السابقة صفحة ٦٢٩. إنه سبحانه محيط بخفيات أمور عباده بغير جعلها، فيعلم من يلق به أي من الحاليين وهو سبحانه الذي يغيث العباد بإنزال المطر من بعد بأسهم منه، وينشر بركات الغيث ومنافعه. وهو الذي يتولاهم بإحسانه. وهو المستحق للحمد على كل حال.

ومن أدلة قدرته وتفرده بالملك أنه هو الذي خلق السموات والأرض وما بث فيها من كل دابة تتحرك كالملأكة والإنس والجن وسائر الحيوانات، وهو سبحانه القدير على جمع من يشاء جمعه منهم يوم القيامة، وإن شئت فانظر أول شرح صفحة ٧٥١.

ثم أراد سبحانه أن يبين أنه مزمع عن الظلم وأن ما يصيب الناس من المصائب سببه منهم ليتبعوا عنه. ومع ذلك فلو لا عفوه وسعة رحمته لهلكوا جميعاً كما في الآية (٤٥) من سورة

المعمرات: فمن يعطل الله: انظر شرح

الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

فمن ولي: (من سبيل)، (من أولياء)،

(من ملجأ)، (من تكسر): (من) في كل ذلك

حرف يفيد النص على عموم ما بعدها.

فهل: حرف استفهام مراد به بمعنى

حصول ما بعده كحرف (ليت) في الآية (٣٧)

من سورة الأنعام صفحة ١٦٦. همد: أي

زد إلى الدنيا ورجوع إليها حتى

تنوب عليها: أي على جهنم المفهومة من

المقام في الآية (٤٥) من سورة فاطر

صفحة ٥٧٨.

فمن طرف: أصل معنى طرف العين هو

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۚ فَإِذَا فُتِنَ بِهِ ۖ رَأَىٰ
الضَّلِيلِينَ ۚ لَمَّا رَأَىٰ الضَّلِيلَ يَقُولُ ۖ قُلْ إِنَّ مَرَدَّيْ
سَبِيلٍ ۚ وَرَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ خَبِيرِينَ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِهِ
اَلْقَابُ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ
أَلَا بِالنَّارِ ۚ الَّذِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ ۚ وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ۚ فَإِذَا فُتِنَ بِهِ ۖ رَأَىٰ
الضَّلِيلِينَ ۚ لَمَّا رَأَىٰ الضَّلِيلَ يَقُولُ ۖ قُلْ إِنَّ مَرَدَّيْ
سَبِيلٍ ۚ وَرَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ خَبِيرِينَ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِهِ
اَلْقَابُ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ
أَلَا بِالنَّارِ ۚ الَّذِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ ۚ وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ۚ فَإِذَا فُتِنَ بِهِ ۖ رَأَىٰ
الضَّلِيلِينَ ۚ لَمَّا رَأَىٰ الضَّلِيلَ يَقُولُ ۖ قُلْ إِنَّ مَرَدَّيْ
سَبِيلٍ ۚ وَرَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ خَبِيرِينَ

تحريك جفتها. ويطلق على الجفن نفسه. وعلى جانب العين. ومنه قول الشاعر: إن العيون

التي في طرفها حور... إلخ، أي في جانبيها. والمراد: يسترقون النظر إلى جهنم بطرف عين

خفي معظمها تحت الجفن من شدة الخوف: أما في الموقف قبل ذلك فعيونهم لا تطرف من

شدة الهول كما سبق في الآية (٤٣) من سورة إبراهيم صفحة ١٣٦؛ وقبل موقف الحساب

تضطرب أبصارهم ولا تستقر على حال لغيرتها وعدم معرفتها المصير المجهول، انظر الآية

(٣٧) من سورة النور صفحات ٤٦٣، ٤٦٤.

فخسروا أنفسهم وأهليهم: تقدم في الآية (١٥) من سورة الزمر صفحة ١٠٨.

فوالله: حرف يراد به تنبيه السامع للمناية بتأمل ما بعده. فوالظالمين: المراد بهم

المشركون، انظر الآية (١٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠. فمقيم: أي دائم.

(١) الظالمين.	(٢) قراهم.	(٣) خاشعين.
(٤) أموا.	(٥) الغاصرين.	(٦) القيامة.
(٧) الظالمين.	(٨) طاجا.	(٩) أربلائك.
(١٠) البلاء.	(١١) الإنسان.	

فإذا سرق منهم فرس أخذوا فرسين. وإذا قتل رجل منهم قتلوا رجلين، وهكذا. ثم بين

سبحانه ما أباحه لمن أراد أن يتنصر فقال: وجزاء سيئة... إلخ، أي وجزاء من يسيء إلى غيره

يعمل منه ما يسيئه بشرط أن يكون مائلًا لإسماعته ولا يريد عليها. ثم رجع إلى الترغيب في

العفو فقال: (فمن عفا) أي فمَن عفا عن المسمى إليه وأصلح ما بينه وبينه بالعفو

والإغضاء عما صدر منه فأجره على الله الذي لا يجازي إلا بأعظم الأجر، انظر الآية (١٢٦)

من سورة النحل صفحة ٣٦٣، والآية (٢٤) من سورة فصلت صفحة ٦٢٤. ثم أكد سبحانه

المساواة في العقاب فقال: إنه لا يحب الظالمين أي المتجاوزين الحد في الانتقام.

ولما كان كل ما تقدم يشعر بالرغبة الشديدة في العفو. وذلك ربما يوهم ذم من يقتصر

لنفسه في حدود الجائر؛ فقد دفع ذلك سبحانه بقوله: (ولمن انتصر)... إلخ، أي والله أن

الفريق من الناس الذي ينتصر ممن ظلمه بالعدل فهو لاء ليس لأحد طريق إلى لومهم فضلاً

عن أبنائهم، إنما اللوم والإثم على الذين يؤذون الناس بالظلم أو يزيديهم في الانتقام على ما

أجيز لهم. ويتكبرون في الأرض تجبراً وفساداً. هؤلاء الذين يفعلون ذلك لهم عند الله عذاب

أليم.

ثم ختم الموضوع بالترغيب في الأفضل فقال: (لمن صبر)... إلخ.

أي والله إن من صبر وكف نفسه عن الانتقام وأغضى عن السيئة وسرها، إن ذلك منه لمن

الأمور التي يجب الثبات عليها. ويجب أن تعلم في هذا المقام أن من الإساءة ما يجوز أن

يتولى المرء بنفسه المجازاة عليها، كاللعنة أو الشتمة، ومنها ما لا يجوز، بل لا بد أن يتولاها

إمام المسلمين بواسطة أعيانه، منعاً للفروضى وانتشار الشر، كالتدفع بالزنا والقتل وغير ذلك

مما تقدم بعبه في الآية (٤٥) من سورة المائدة صفحة ١٤٥، ١٤٦. والحقمة في كثرة العث

على الصنيع والعفو في هذه السورة المكية أن ما ذكر حكم جواز مقابلة السيئة بمثلها، وإن كان

هو حكم الإسلام الدائم لكنه لم يأت زمانه ما داموا في مكة وهم قلة ضعيفة ليس لهم قوة

تففيذ الأحكام. وإنما ذكرت هذه الأحكام ليسمع أهل مكة عدالة الإسلام وسماحته وإن كان

تففيذ البعض يتوقف على تمام نظام الدولة. فها هنا نظير ما قيل في الآية (١٠٩) من سورة

البقرة صفحة ٢١.

إلخ، أى وأنا إذا أعطينا أولاد آدم من فضلتنا
سعة رزق وصحة وأولاداً.. صرفوا همهم
للفرح بها، ونسوا شكر معطيها، وإن تصيبهم
سيئة كفرت أو مرض أو فقد ولد بسبب
ما قدمت أيديهم... إلخ.

المفردات: ﴿كفور﴾: أى شديد كفران نعم

ربه.

﴿إنانا﴾: جمع أنثى، وقدمهن فى مقام

التفضل لتسفيه بعض العرب فى كراهة
البيت، كما فى الآية (٥٨) من سورة النحل

صفحة ٣٥٢.

﴿الكور﴾: جمع ذكر.

﴿يزوجهم﴾: الضمير المنسوب وهو (هم) مراد به الأولاد الموهوبين، والتزويج جعل
الشيء زوجاً، ذكراً وأنثى أى صنفين.

﴿ذكرانا وإنانا﴾: ذكرانا جمع ذكر، وهما حالان من الأولاد المشار إليهم فيما سبق أى
يجعل الأولاد أزواجاً أى صنفين حال كونهم ذكورا وإنانا.

- (١) الإنسان.
- (٢) السموات.
- (٣، ٤) إنانا.
- (٥) وراء.
- (٦) الكتاب.
- (٧) الإيمان.
- (٨) جعلناه.
- (٩، ١٠) صراط.
- (١١) السموات.

﴿أوليا﴾: أى أعوانا. ﴿استجيبوا لربكم﴾: أى أجيبوا دعوته تعالى بسرعة وعزم وإخلاص،
كما تقدم فى الآية (٢٦) من هذه السورة. ﴿لا مرد له﴾: المرد هو الرد أى لا يردده الله تعالى
بعد ما حكم باتيانته. ﴿ملجأ﴾: أى مكان تلجأون إليه. ﴿كبير﴾: التكبر أى الإنكار، والمراد:
لا تستطيعون ذلك بعد شهادة جوارحكم وكتبكم والملائكة عليكم، انظر الآية (٢٠) من سورة
فصلت صفحة ٦٢٢. ﴿حفيظا﴾: أى مراقبا مهميناً عليهم. ترغمهم على الإيمان. ﴿إن عليك﴾:
﴿إن﴾: حرف تنفى بمعنى (ما). ﴿الإنسان﴾: المراد به الجنس فمعناه الناس ونظيره الطفل
فى الآية (٢١) من سورة النور صفحتى ٤٦١، ٤٦٢؛ ولذا جاء ضمير الجمع بعدها.

المعنى: بعد ما ذكر سبحانه جزاء من يفتون بغير الحق أتبع ذلك ببيان أنهم لما اختاروا
طريق الشر جازأهم الله بأن زاد ضلالتهم، ومن يضله سبحانه فما له ناصر يتولى أمره من
بعد إضلاله تعالى، ثم بين عاقبتهم يوم القيامة فقال: وترى الظالمين... إلخ، أى وترى يا من
يصح أن ترى فى ذلك اليوم هؤلاء الباغين الظالمين حين يشاهدون عذاب جهنم يمتنون
الرجوع إلى الدنيا حتى يعلموا غير الذى كانوا يعملونه، وتراهم أيضاً فى ذلك اليوم وهم
يمرضون على النار حال كونهم خاشعين خشوع ذل، ينظرون إلى النار من طرف خفى جزءاً
كما ينظر من قدم للقتل إلى السيف فلا يقدر على فتح عينيه فيه.. وإنما ينظر إليه بجزء منها
وعند ذلك يقول المؤمنون: إن هؤلاء الخاسرين هم الذين خسروا أنفسهم فأدخلوها النار،
وخسروا أهلهم فلم يتمتعوا بهم فى الجنة، ثم صدق سبحانه كلام المؤمنين فقال: ألا إن
الظالمين فى عذاب مقيم. أى خالد.. ولا يجدون لهم أعواناً ينقذونهم غير الله كما كانوا
يزعمون أن معبوداتهم تشفع لهم، ومن يضله الله فليس له طريق إلى الهداية كما فى الآية
(١٨٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٣، والآية (١٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٢. وبعد ما
ذكر سبحانه ما سيلاقونه من الأهوال حذرهم من يوم القيامة فقال: استجيبوا.. إلخ. أى
أجيبوا داعى الله للإيمان والطاعات قبل أن يأتى يوم لا رة له منه تعالى بعدما حكم بآيته لا بد
منه. فإذا جاء هذا اليوم فليس لكم حصن تلجأون إليه يحميكم من عذابه، ولا تستطيعون إنكار
ما حصل منكم. ثم خفف سبحانه الأمر على نبيه على نبيه إذا أعرضوا فقال: فإن أعرضوا.. إلخ. أى
فإن أعرض مشركو قومك عن الحق فدعهم وشأنهم، لأننا لم نرسلك مسيطراً عليهم تجبرهم
على الهداية فما عليك إلا إبلاغهم ما أمرك به ربك كما فى الآية (٢٧٢) من سورة البقرة
صفحة ٥٨، ثم بين سبحانه أنهم من أغلب الناس الذين فسدت طبائعهم فقال: وإننا إذا أذقنا..

ويعزرم البعض منهما فيجعله بلا ولد. إنه سبحانه عليم قدير. فإذا علم أن الحكمة في عمل شيء فلا يعجزه شيء عن عمله. ولما كان كفار يجهدون أنفسهم في محاربة دعوته ﷺ. وكانوا يطلبون طلبات تعنتية كما في الآية (٩١) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٣٧٦. وكان من تعنتهم أنهم يضلون بأهل الكتاب لعلمهم يسمعون منهم ما يساعدهم كما في شرح الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩، والآية (١٩) وما بعدها من سورة الأنعام صفحات ١٦٤، ١٦٥.

لما كان كل هذا معروفا عنهم، قال أبو حيان: إن كفار مكة اتصلوا بأهل الكتاب وسألوهم كيف كان موسى يكلم ربه؟ فاضلوههم وقالوا: إنه كان يكلم ربه وهو ينظر إليه. فقالوا له ﷺ: إن كنت صادقاً فكلم ربك وأنت تنظر إليه كما فعل موسى.

فأنزل سبحانه وما كان ليشر... إلخ. أي ما صبح لفرد من بني آدم أن يكلمه الله إلا بإحدى طرق ثلاث: الأولى أن يوحى إليه وحياً بالهام أو في المنام، والثانية أن يكلمه من وراء حجاب فيسمع صوتاً ولا يرى مكانها.

والثالثة أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيلقى إليه يأذنه تعالى ما يشاء تبليغه إليه. ولما كان ظاهر ما سبق ربما يوههم مماثلته تعالى للحوادث.. دفع سبحانه ذلك بقوله: إنه على حكيم. على أي بعيد عن صفات الخلق، حكيم فيما يصنع. فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغيرها وبعدما بين سبحانه أقسام الوحي ذكر سبحانه أنه أوحى إلى رسوله كما أوحى إلى الأنبياء قبله فقال: (وكذلك).. إلخ. أي كما أوحينا إلى جميع رسلنا من قبل أوحينا إليك هذا القرآن الذي هو سر من أسرارنا تحيياً به القلوب وما كنت قبلة تدري ما هذا القرآن. وما شرائع الإيمان. ولكن جعلنا هذا القرآن نورا عظيماً. نهدى به من نشاء هدايته من عبادنا ونوصله للصواب. وإنك أيها النبي ترشد الخلق بواسطة هذا النور إلى صراط مستقيم هو دين الإسلام. ثم فسر هذا الصراط بأنه صراط الله.. إلخ. أي هذا الطريق هو الطريق الذي شرعه مالك سبحانه لا والأرض وما فيهما ويعلم مصالح أهلها. وفي النهاية ترجع جميع أمور الخلق إليه سبحانه لا إلى غيره. فلا يصح أن يتوجه المشركون لغيره بالعبادة. تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً. والله تعالى أعلم.

﴿عقياً﴾: لا ولد له.

﴿وحياً﴾: المراد بالوحي هنا إلقاء شيء في القلب يجعل صاحبه لا يشك في أنه من عند الله. كما حصل لام موسى في الآية (٧) من سورة القصص صفحات ٥٠٦، ٥٠٧.

وقد يكون ذلك عن طريق رؤيا منامية، يشعر صاحبها أنها من عند الله قطعاً، كما في الآية (١٠٢) من سورة الصافات صفحات ٥٩٢، ٥٩٣. ﴿من وراء﴾: جواب ﴿كما حصل لموسى عليه السلام في الآيات (٢٠) وما بعدها من سورة القصص صفحة ٥١١.

﴿يرسل رسلاً﴾: كما حصل لنبيينا ﷺ ولبقية الأنبياء فقد كان جبريل يأتيهم بالوحي. ﴿فيوحى﴾: أي يلقى ويبغ.

﴿روحاً من أمرنا﴾: هو القرآن، وقد تقدم المراد من ذلك في الآية (٨٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٦.

﴿الكتاب﴾: هو القرآن.

﴿الآية﴾: حرف يدل على تنبيه السامع لما بعده.

المعنى: إن الناس إذا أصابهم مصيبة فإنهم يدل أن يرجعوا إلى الله بطلب كشفها والعزم على عدم العودة لأسبابها يهملون ذلك، انظر الآية (٤١) من سورة الروم صفحة ٥٣٦. أوبسبون النعم الماضية حتى كأنها لم تكن. وسبب ذلك أن الإنسان شغيد كفران النعم. فلا يشكر المنعم بها.

ولما ذكر سبحانه أنه هو وحده وأهب النعم. وأن الإنسان قد يصاب بالشر فيضجر بدل أن يصبر. أتبع ذلك سبحانه بأنه هو صاحب التصرف في ملكه. وأنه يقسم النعم وغيرها كما يشاء حسب حكمته لا كما يشتهي الإنسان. وبذلك لا يجوز إلا شكره والتسليم له. فقال: (لله ملك السموات والأرض).. إلخ ثم فصل سبحانه بعض هذه الأعمال فقال: (تعب لمن يشاء).. إلخ. أي يجعل أحوال عباده في الأولاد مختلفة، فتهب لبعض صنفاً واحداً إناثاً أو ذكوراً. وتهب للآخر الصنفين فبزرهم ذكوراً وإناثاً.

﴿مقتلون﴾: أى راجعون.

﴿حزباء﴾: المراد بهن: للملائكة حيث قالوا إنها نبات الله. والولد جزء من والده، انظر الآية (١٩) الآية، والآية (١٥٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩٦.

﴿لكنفور﴾: أى شديد الكفر. ﴿مبين﴾: أى ظاهر الكفر.

﴿أم اتخذ﴾: (أم) قيد معنى بل التى للانتقال من موضوع لاخر مع معنى همزة الاستفهام للتوبيخ، انظر الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢، والمراد هنا: ليس الأمر كما يظنون.

﴿أصفاكم﴾: أى اختار لكم.

﴿بما ضرب للرحمن مثلاً﴾: المراد بالنبات التى جعلها الله مثلاً: لأن الولد مماثل لأبيه.

﴿طل﴾: أى صار. ﴿وكلهم﴾: مملوء القلب هما وكثيراً، انظر الآية (٥٨) وما بعدها من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿أومن﴾: الهمزة للاستفهام المفيد للإكثار والتسفيه. والواو عاطفة على مقدر. والأصل هل تجرموا وجعلوا من يشاء... إلخ ولما لله تعالى.

﴿ينشأ﴾: أى يبنى. ﴿وقل الخصام﴾: أى فى المعاجة والمجادلة.

﴿غير مبين﴾: غير موضح لحجته، للعجز عن مجازاة الرجال فى مشاكل المجادلة.

المعنى: الله الذى جعل لكم فى الأرض طرقاً تهتدوا إلى مقاصدكم، وهو الذى نزل من السماء ماء بمقدار حاجتكم ولم يجعله طوفاناً فيغرق، انظر شرح الآية (١٢٢) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢. ولا قليلاً جداً فتجف الأرض ويظمأ الحيوان فيها، فاحيا بهذا الماء المقدر أرض بلد لا نبات به فصارت محضرة. وكما أخرج النبات من الأرض يعجزكم سبحانه من القيوم يوم القيامة للحساب والجزاء. وهو سبحانه الذى خلق أصناف الحيوان والنبات والأشجار، وجعل لكم من السفن والإبل ما تركبونه فى أسفاركم الطويلة، لئى تستقروا بكل سهولة على ظهور ما تركبون ثم تتذكروا بقلوبكم نعمة ربكم عليكم بمجرد استقراركم عليه. وتثروا بأستنتكم تنزهه سبحانه مما لا يليق به قائلين: سبحانه الذى هيا لنا هذا. ولولا

لَكَ فِيهَا مِثْلُ لَأَمْثَلٍ يُثْبِتُونَ ۖ وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَا بِهِ بَلَدَةً مِثْلَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۖ وَالَّذِى عَلَّقَ الْأَرْضَ فَكَيْفَ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الثَّوْلِى الْأَنْجُمِ نَارُ كُيُونَ ۖ لِيَسْتَوِىَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأَنَّ الْاَرْضَ تُحْمَلُ عَلَى ظُهُورِهِ ۚ الَّذِى يُحْمَلُ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ حِمْلٍ ۚ وَإِنَّا لَنَكْبِتُونَ ۖ وَجَعَلْنَا الْاَرْضَ مِنْ غَيْرِهِ جُزْءًا لِّآلِ الْأَيْمَنِ لَكُنُوزٌ مِّبِينَ ۖ أَمْ نَجْعَلُهَا لِمَنَّا بَحْلًا بَحْلًا وَاصْفَاكُم بِالَّذِينَ ۖ وَإِنَّا لَنَرِي أَعْمَالَكُمْ بِمَا تُرَبِّ الرِّجْسَ مِثْلًا عَلَى رُءُوسِهِمْ سِوَا ذُو كُنُفٍ ۖ أَوْ مِمَّنْ يَنْشُرُونَ فِي الْحُلِيِّ دُخَانًا يُخْصِمُ غَيْرَ مِثْلٍ ۖ وَجَعَلْنَا الْاَلْكَكَ الْأَرْضِ مِمَّ يَحْدُ الْأَرْضِ إِنَّا نَحْنُ قَائِدُهَا

الأنواع: لأن

﴿تستقروا على ظهوره﴾: المراد: تستقروا على ظهور ما ذكر.

﴿مقرنين﴾: تقول فلان الشيء إذا أطاقه، وقوى عليه، والمعنى وما كنا محليين ولا محضين لها لو لا تسخير الله سبحانه وتعالى.

الكلام بعدها يدل على ذلك.

يس صفحة ٥٨٢.

﴿أنفلك﴾: السفن. ﴿الأنعام﴾: المراد بها هنا: الإبل فقط دون بقية أنواع الأنعام، لأن

﴿الأزواج﴾: تقدم فى الآية (٣٦) من سورة

المفردات: ﴿وتقدر﴾: أى بمقدار معين اقتضته.

﴿فأنشأنا﴾: أى أحيينا. كما فى الآية

(٢١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، وتغير

الأسلوب من الغيبة إلى التكلم تقدمت حكمته

فى شرح الآية (٩٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩، والآية (٥٢) من سورة طه صفحة ٤١٠.

﴿ميتاً﴾: المراد: لا نبات بها، انظر الآية

(٥٧) من سورة الأعراف صفحتى ٢٠١، ٢٠٢.

﴿الأزواج﴾: تقدم فى الآية (٣٦) من سورة

- (١) الأزواج.
- (٢) الأنعام.
- (٣) استقروا.
- (٤) سبحان.
- (٥) الإنسان.
- (٦) أصفاكم.
- (٧) ينشأ.
- (٨) الملائكة.
- (٩) عباد.
- (١٠) ابتاع.

رضاه. وهو لا ينهى عما يرضى عنه. فرد سبحانه بقوله: (ما لهم بذلك).. إلخ. أي ليس عندهم أقل علم بما يرضون وما هم إلا كذبتون؛ لأن المشيئة شيء، والرضا شيء آخر. كما في الآية (٧) من سورة الرمر صفحتي ٦٠٧، ٦٠٦. وهم يعلمون ذلك ولكنهم يخالمون كقولهم وأمثالهم في الآية (٤٧) من سورة يس صفحة ٥٨٢، والآية (١) من سورة المنافقين صفحتي ٧٤٢، ٧٤٣. وعندما بين سبحانه بطلان قولهم بالفعل أتبعه بدليل بطلانه من النقل فقال: (أم أتيناكم كتاباً).. إلخ. أي هل أعطيناكم كتاباً من قبل هذا القرآن يطلق بصحة ما يدعون فهم به شديدو التمسك؟ وعندما بين أنه لا حجة عندهم من عقل ولا نقل بين أن الحامل الحقيقي لهم هو مجرد التقليد والجمود على ما كان عليه الآباء، فقال: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة).. أي على ملة ونحن سائرهم على طريقهم في هداية ولنا ضالين. ثم أراد سبحانه أن يخفف عن رسوله بأن هذا هو عمل كل الأمم السابقة مع أنبيائها فقال: (وكذلك).. إلخ. أي مثل هذا القول الشنيع قالت الأمم الماضية لإخوانك الأنبياء.

فلم ترسل قبلك في قرية رسولا إلا قال كبارؤها الذين يخافون على نفوذهم إنا وجدنا آباءنا على طريقة وإنا مقتدون بهم في السير على آثارهم، قال لهم رسولهم: هل تتبعونهم ولو جثكم بدین أقوى في الهداية مما وجدتم عليه آباءكم. وإنما قال (أهدى) مع أن ما عليه الآباء ليس فيه هداية أصلا. مجازاة لهم ولينا في خطابهم لملهم يرجعون. لكنهم لم يفتح فيهم ذلك. وقالت كل أمة لرسولها إنا كافرين بما تزعم أنك أرسلت به من قبل الله.

قال سبحانه: فانتقمنا منهم بما بين سبحانه في الآية (٤٠) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢١. فانظر أيها العاقل على أي حال كانت عاقبة المكذبين.

ثم أراد سبحانه أن يبين العرب إلى أن أباهم إبراهيم عليه السلام كان على ما يدعوهم إليه محمد ﷺ فقال: (وإذ قال إبراهيم).. إلخ. أي وأذكر أيها النبي لقومك تبرؤ إبراهيم مما يعبدونه أبوه وقومه واعتراه بأنه ليس له إلا إله واحد هو الذي خلقه ويهديه إلى الصواب وجعل كلمة التوحيد خالدة في ذريته وستبقى بآذني بها بعضهم إلى يوم القيامة.

ومن نذير: (من) تنقيد عموم ما بعدها.

مترفوها: الترف التمتع، فالمترفون هم المخارقون في التعميم، إنظر الآية (١١٦) من سورة هود صفحة ٣٠١، والآية (١٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦.

مقتدون: قال هنا مقتدون، وفيما سبق (مهتدون): لأن الأول كان في سياق الحاجة معه فأنسب أن يدعوا أنهم على هدى لا في ضلال. أما الثاني فكان في بيان مجرد الاتباع للآباء بدون دعوى الاهتداء.

ولأبيه: هو آزر المذكور في الآية (٧٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٤.

براء: بمعنى بريء، ولكونه في الأصل مصدرا تطلقه العرب على الواحد والأكثر، والمذكر والمؤنث فيقولون: رجال براء، وامرأة براء، بخلاف (بريء) فإنها توافق موصوفها فتقول: هما بريئان، وهم برءوا كما في الآية (٤) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٥.

والذي فطرني: فطرني أي خلقتني، ولما كان قومه يخلطون عبادتهم لله بالشرك كما في آيتي (٨٢، ٨١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٥. استثنى إبراهيم عليه السلام الله سبحانه وتعالى من البراءة من معبوداتهم فقال: إلا الذي فطرني.. إلخ. وإطلاق (ما) في قوله (مما) على الله سبحانه ورد في آيتي (٥، ٣) من سورة الكافرون صفحة ٨٢٤.

كلمة: أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله: وإني براء.. إلخ.

وعقبه: أي ذريته وصاهم بها في الآية (١٣٢) من سورة البقرة صفحة ٢٥.

المعنى: بعدما أكد المشركون أن الملائكة نبات الله رد عليهم سبحانه متكهما بهم فقال: (أشهدوا).. إلخ. أي هل كانوا جاضرين عندما خلق الله الملائكة وعلموا بالمشاهدة أنهم نبات، ثم هددهم بقوله: سيبكى شهادتهم.. إلخ. أي سيبكى الملائكة قولهم: (إن الملائكة نبات الله) وسيسألون عنه يوم القيامة. ثم ذكر سبحانه عن المشركين نوعا آخر من الكفر فقال: وقالوا لو شاء الرحمن.. إلخ. أي لو شاء الله منيعا لمننا، وحيث لم يمننا كان ذلك دليلا على

﴿أمة واحدة﴾: أى متفقة على الكفر. ﴿لبيوتهم﴾: بدل من (لمن يكفر) وهو بدل اشتغال، أى لبيوت من يكفر. ﴿معارج﴾: أى سلام والمراد: من فضة أيضاً.

﴿يظهرون﴾: أى يصعدون. ﴿أنبأنا﴾: أى من فضة.

﴿سرا﴾: جمع سرير وهو عند العرب ما يجلس عليه. وقد ينام عليه أيضاً. ويكون مرفوعاً عن الأرض، فإن كان عليه ستائر يسمى أريكة، انظر الآية (١٣) من سورة العاشية صفحة ٨٠٥.

﴿زخرفاً﴾: أى زينة لبيوتهم ونقوشاً من ذهب وفضة.

﴿إن كل﴾: (إن) حرف بمعنى (ما) النافية.

﴿لما﴾: حرف بمعنى (إلا).

﴿يعيش﴾: أى يتعام ويعرض.

المعنى: وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد باقية فيمن صلح من ذريته رجاء أن يرجع إليها من يقع من ذريته في الشرك.

ولما لم يرجع كفار قومك أنها النبي متعتهم هم وآباءهم بزخارف الدنيا فشنهم ذلك عن الله. ونسوا كلمة التوحيد، انظر الآية (٤٤) من سورة الأنبياء ٤٢٥ و (١٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢١. ولم أعجلهم بالعقوبة حتى جاءهم القرآن بما فيه إنقاذهم ورسول منهم وأضح الرسالة بما أبدى به ربه من المعجزات. ولما جاء هذا القرآن المعجز فبدل أن يرجعوا إلى نطق وتركوا العناد قالوا هذا سحر وأنا به كافرون. ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من كفرهم وتعتهم فقال: وقالوا لولا... إلخ، أى قال كفار مكة إن منصب الرسالة عن الله.. لو صح أن يرسل بشراً.. منصب شريف لا يليق إلا برجل عظيم الجاه كثير المال. ومحمد ليس كذلك.

فمن الواجب أن يسند إلى الوليد بن المغيرة في مكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، وكان أغنى طليعتهما، وأوسعهما جاهاً، وهم في قولهم هذا جاروا فيه بنى إسرائيل في تدخلهم فيما لا يعلمون حيث قالوا: «أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه».. الآية (٢٤٧)

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ بَلْ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافٍ وَعَبَّاهُمْ بِمَا عَمُوا ﴿٢﴾ وَرَسُولٌ مِّنْهُمُ يَقُولُ: إِنَّمَا أَنتُم بَشَرٌ لِّمِثْلِكُمْ قَدْ أَتَى النَّامُوسَ وَكَانَ آيَةً لَّهُمْ فَكَذَّبُوا وَقَاتَلُوا ثَمُودَ ﴿٣﴾ فَأَنَّا هَمَدْنَا نَارَهُمْ وَآتَيْنَاهُمْ عَلَيْهَا مِنْ لَّدُنَّا حَزَنًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَانِ سَوَاءٌ مَّنْ عَصَىٰ أَمْرًا مِّنْهُمُ يَعْتَدُونَ ﴿٥﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ فَهُمْ بِالْغِيَاثِ يَبْعُدُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَتَقْوَىٰ فَعَلُوا مَا كُنُوا لَفَعَلُوا فَيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَتَىٰكَ الْكَلْبُ الْأَبْيَضُ فَصَدَّقَهُ خَلْقُ الْأَرْضِ لَكُنَّا الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ وَكَانَ الْإِنشَاءُ لِلْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَتَنَزَّلُوا فِي الْأَرْضِ لِيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ أَتَوَاتُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَتَىٰكَ الْكَلْبُ الْأَبْيَضُ فَصَدَّقَهُ خَلْقُ الْأَرْضِ لَكُنَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَتَىٰكَ الْكَلْبُ الْأَبْيَضُ فَصَدَّقَهُ خَلْقُ الْأَرْضِ لَكُنَّا الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَتَىٰكَ الْكَلْبُ الْأَبْيَضُ فَصَدَّقَهُ خَلْقُ الْأَرْضِ لَكُنَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾

﴿القرنين﴾: يريدون مكة والطائف.

﴿عظيم﴾: يريدون ذا مال وجاه عريض، كالوليد بن المغيرة بمكة، انظر الآيات (١١) وما بعدها من سورة المدثر صفحة ٧٧٦، وعروة بن مسعود بالطائف.

﴿رحمة ربك﴾: المراد بها هنا النبوة. ﴿معتبتهم﴾: أى ما يعيشون به كالطعام والشراب، انظر الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٣٢٩.

﴿سخرى﴾: مادة السخير تدل على إخضاع الشيء لما يراد منه قهراً، كما في قوله تعالى ﴿وسخر لكم الفلك﴾، وقوله ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ انظر آيتي (٣٢، ٣٣) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٤، وأصل معنى (السخرى) هو الذى يقهره غيره فيستخر له. ولكن المراد هنا: من ترغمه ظروف الحياة على عمل يأخذ عليه أجراً.

- | | |
|--------------|--------------|
| (١) باهم. | (٢) كافرون. |
| (٣) القرآن. | (٤) رحمة. |
| (٥) الحياة. | (٦) درجات. |
| (٧) رحمة. | (٨) واحدة. |
| (٩) أنبأنا. | (١٠) مناع. |
| (١١) الحياة. | (١٢) الآخرة. |

المفردات: ﴿بل متعت﴾: الأصل ولما يرجعوا لم أعجلهم بالعقوبة، بل متعتهم كما متعت آباءهم من قبل ليزدادوا أثماً، انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢.

﴿الحق ورسول مبین﴾: (الحق) هو القرآن. و(الرسول) هو محمد خاتم الرسل.

﴿مبين﴾: واضح ظاهر ثابت الرسالة بماله من المعجزات الخالدة.

﴿لولا﴾: حرف يدل على طلب حصول ما بعده، انظر شرح الآية (٣٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦.

من سورة البقرة صفحة ٥١، وكفار مصر في شأن نبي الله موسى كما سيأتى في الآيات (٥١) وما بعدها من هذه السورة صفحة ٦٥٢.

فخطأهم سبحانه منكرا عليهم بقوله تعالى: أقم يقيمون رحمة ربك... إلخ. أى عجيب أمر هؤلاء الناس، هل وضعوا أنفسهم موضع من يقسم أمر النبوة بين الناس فيختارون لها من يشاؤون ولو لم يكن أملا لها، لأن حقيقة الناس لا يعلمها إلا الله الذي يعلم من يصلح لها ومن لا يصلح، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. ثم بين سبحانه وجه خذلهم فقال: (نحن قسمنا)... إلخ، أى أننا في هذه الحياة فضلنا بعضهم على بعض في القنى والفقر، والقوة والضعف، إلى غير ذلك، لا لكمال في الفنى، ولا لنقص في الفقر مثلا، ولكن ليم نظام الحياة بالتعاون، انظر شرح الآية (٢٧) من سورة الشورى صفحتى ٦٤٢، ٦٤٣. وإذا كانوا قد عجزوا عن توزيع أحوال الناس في الدنيا فكيف يريدون التدخل في منصب الرسالة وهو أسنى من كل المناصب، وإذا كانوا لا يحرمون إلا على زخارف الدنيا فهم في غاية الجهالة. لأن رحمة ربك، وفضله بالنبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانى، ثم بين سبحانه حقارة الدنيا بالنسبة للأخرة فقال: (ولو لا أن يكون الناس)... إلخ. أى ولو لا كراهة أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر إذا رأونا لا نعطي المال إلا للكافرين فيربعون في الكفر، ولو لا كراهة ذلك لجعلنا لبيوت من كفر بالرحمن سقوفا من فضة ومساعد من فضة يصعدون عليها، وجعلنا لبيوتهم أيضا أبوابا من فضة، وجعلنا لهم سورا عليها يتكئون كما هو شأن الملوك لا يهمهم شئ، وجعلنا لبيوتهم أيضا زخارف من ذهب وفضة. ثم بين سبحانه أن كل ذلك سربيع الزوال فقال: (وإن كل ذلك)... إلخ. أى ما كل ما ذكر إلا متاع قصير الأمد زائل فاعلم، والأخرة وما فيها خير في حكم ربك للمتقين، وأيضا لو لا كراهة أن يكون إيمان الناس خاضعا لتأثير المال لا حيا للحق وطليا لرضى ربهم، لأننى الله تعالى كل من يؤمن، وبهذا تفقد حكمة امتحان العباد بالتكاليف التى يستحقون جزاء الأخرة. على قدر قيامهم بها. أو إهمالها. وعندما بين سبحانه هذه العبر الساطعة، أراد أن يبين أنه لا يحرم من الانتفاع بها إلا كل أبعى القلب معرض عنها. فقال: (ومن يعش)... إلخ.

ذِكْرُ الْآخِرِينَ يُغْنِي عَنْكَ الْآخِرِينَ ۚ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ
يُجْزَوْنَ حَسْرَةً مِّنَ الْبَيْتِ ۚ وَيُخْسِرُونَ ۚ أَنَّهُمْ
حَقٌّ إِذَا جَاءَ نَارُ الْبَيْتِ بِبَنِيهِ يَدْعُوهُ بَعْثُ الْآخِرِينَ
فَيُقْسِمُ بِالْآخِرِينَ ۚ وَلَنْ يَخْلُقَهُمُ اللَّهُ إِذَا تَلَّسَمَ
الْأُكُوفُ فِي الْعَذَابِ مُتَضَرِّكُونَ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
أَوَلَيْدُنَا الْعَمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي حَقْلٍ يُبْرَىٰ ۚ وَأَوَّلُ
بَنِيكَ يَوْمَئِذٍ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ ۖ أَذْهَبَ الْبَنِي
وَعَنْهُمْ وَأَنَا عَالِمٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ فَكَانَتْ
أَوَّلُ آيَةٍ أَنَّا عَلَىٰ صُرُطٍ مُّنتَقِبِينَ ۚ وَأَوَّلُ
لَاكٍ وَلَوِيكٍ ۚ وَبَرِّفْ تَسْلُونَ ۚ وَتَقُلُّ مِّنْ أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُلِنَا أَجَعَلْنَا بِرَأْسِهِمُ الْمُجْرِمِينَ ۚ
يَعْبُدُونَ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنِ
وَعِبُدْ

﴿فقرين﴾: أى صاحب من شياطين الإنس والجن. انظر الآية (٢٥) من سورة فصلت صفحة ٦٣٢. وانظر سبب ذلك في الآية (٣٧) من سورة الأعراف صفحتى ١٩٥، ١٩٦. ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾: أى يتوهمون خطأ أنهم على حق، انظر الآية (٣٠) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦ والآيات (١٠٢) وما بعدها من سورة الكهف صفحتى ٣٩٤، ٣٩٥.

﴿المشرقين﴾: المراد بهما المشرق

والمغرب، والعرب تنسب الاسمين المختلفين بنفسا أحدهما. فيقولون مثلاً فى أبى بكر وعمر (العمران)، وفى الشمس والقمر (القمران). وفى الأب والأم (الأبوان)، انظر الآية (٨٠) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢.

﴿وإن ظلمتم﴾: (إن) ظرف بمعنى حين بدل من (اليوم) قبله وفى داخله. على مقدر؛ والمراد حين وضع وثبت لكم ولأهل المحشر ظلمكم لأنفسكم فى الدنيا، وقال ابن هشام فى المعنى: أن (إن) هنا تفيد التعليل، كما تقدم فى الآية (١٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٢، والمعنى على ذلك: لن ينفذكم اليوم أشد إككم فى العذاب لأجل ظلمكم فى الدنيا، وهل هى فى هذا الحال حرف بمنزلة (لام) التعليل أو ظرف والتعليل مستغاد من قوة الكلام، لا من اللفظ لأنك إذا قلت: ضربت عليا إذ أساء، تريد وقت الإساءة، وأفاد كلامك أن الإساءة هى سبب الضرب.

- | | |
|--------------|-------------|
| (١) شيطان. | (٢) ياليت. |
| (٢) ضلال. | (٣) ياليت. |
| (٤) وعدناهم. | (٤) صراط. |
| (٥) أسال. | (٥) أسال. |
| | (٦) ياليتا. |
| | (٧) آية. |
| | (٨) آية. |

﴿أَنْتُمْ﴾: فاعل ينفع.

﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ﴾: إلخ. الهمزة للاستفهام التعجيب. والأصل هل تسمع؟ أيها النبي نفسك فتريد أن تهدى المعرضين عنك الذين وصل حد إعراضهم كأنهم صم وعمى؟ انظر آيتي (٤٢)، (٤٣) من سورة يونس صفحة ٢٧٢.

﴿فَإِذَا نَذِهْنِي بِكَ﴾: المراد: فإن تقنناك من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾: أي تمسك بقوة.

﴿ذَكَرْ لَكَ﴾: إلخ. أي شرف لك وفخر. انظر الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١.

﴿مَنْ دُونَ الرَّحْمَنِ﴾: المراد غيره.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: أي بالحجج والبراهين والمعجزات، انظر الآية (٧٥) من سورة يونس صفحة ٢٧٨، والآية (١٠١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨.

المعنى: وكل من يعرض عن القرآن تسلط عليه شيطاناً عقاباً له يقارنه ولا يفارقه، ليزداد إثمًا فيزداد عقابه. وإن الشياطين ليمنعون عن سبيل الخير.

ويظن هؤلاء المعرضون أنهم مهتدون، ولا عذر لهم في هذا الظن؛ لأن منشأ الإعراض عن التأمل فيما جاءت به الرسل من البراهين والجري وراء ما زينته لهم الشياطين مما يتفق وشهواتهم، فأورثهم ذلك تضريباً أوقعهم في هذا الخطر. وهم لا يشعرون أنهم وقعوا في خطر عظيم. وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ رسالة الرسول إليه وعجزه عن الوصول إليها، فهذا له حكم آخر، انظر شرح الآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، ثم ذكر سبحانه ما سيكون بين المعرض وشيطانه يوم القيامة فقال: (حتى إذا جاءنا).. إلخ. أي إذا جاء هذا المعرض عن القرآن قال لقرينه متحسراً: يا ليت بيني وبينك مسافة ما بين المشرق والمغرب.

فبيّن القرين أنت، فيقول سبحانه لهم توبيخاً: (ولن ينفعكم) .. إلخ. أي ولن ينفعكم اليوم حين تبين ظلمكم لأنفسكم اشتراككم مع قرنائكم في العذاب كما ينفع الواقعين في مصيبة

واحدة تعاونهم في عملها وتسليه بعضهم لتخفيف مشقتها فليس شيء من هذا هنا. بل كل واحد غارق في همه. لا يشعر بما فيه غيره. ولما كان ﷺ متعباً نفسه في سبيل هداية قومه وهم لا يزيدون إلا عنادا واستكبارا. أراد سبحانه أن يطلعه على حقيقة ضمائرهم في أسلوب تعجبي من تعب مع من لا يؤمن ولو جاءه بكل آية فقال: (أفأنت).. إلخ. أي هل تحمل نفسك أيها النبي هذا العناء فتريد أن تسمع صوتك لمعرض عنك عنادا فهو كالأصم لا يسمع شيئاً، أو تهدى إلى طريق النجاة من وضع على بصره غشاوة، فلم ير أدلة الحق. وهي محيطة به حتى صار كالأعمى فهو دائماً غارق في ضلال واضح. ثم طمأن سبحانه نبيه بأنه سيعاقبهم حتماً على عنادهم، فقال: (فإذا نذهني).. إلخ. أي فإن قبضناك أيها النبي إلينا قبل أن نريك عذابهم فإنهم لن يظنوا منه إلنا منتقمون قطعاً من كل من يكذب رسلنا. أو نريك العذاب الذي وعدناهم به. فهو سهل علينا لتمام قدرتنا على ذلك. وقد حصل هذا فلم يفلت واحد من صناديد قريش في يوم بدر وغيرها إلا من تحصن بالإسلام، وإذا كان الأمر كذلك. فتمسك بالقرآن الذي أوحياه إليك إنك على دين مستقيم لا عوج فيه. ثم وبخ سبحانه قريشاً على محاربة القرآن مع أن فيه شرفهم ببقاء لغتهم.

وفي بقائها ذكرهم وشرفهم، فقال: (وإنه أي القرآن، لشرف لك ولقومك. وسوف تسألون يوم القيامة عن قيامكم بحقوقه. ثم أراد تسفيه قريش بأنهم خالفوا كل الديانات فقال: وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أي أسأل أمم وعلماء من أرسلنا قبلك ممن لم ينحرفوا عن الصواب المشار إليهم في الآية (١١٣) من سورة آل عمران صفحة (٨١) والآية (٩٤) من سورة يونس صفحة ٢٨١، هل أبعنا لهم في دينائهم أن يعبدوا آلهة غير الله؟ فإذا لم تجد أن هذا حصل فبلغ كفر قومك أنهم خالفوا جميع الأنبياء ولم يخالفوك أنت وحدك، وروى عن ابن عباس أن سؤال الرسل كناية عن النظر في شريعته، فيظهر أنها بوحى لا شك فيه، كما يقول العبري: أسأل ديارهم وأطالها تبتك عن أخبارهم، وقولهم: سل الأرض من شق أنهارها وغرس أشجارها.. إلخ. ولما كان أتباع موسى وعيسى هما الباقيان المشهوران عندهم من أتباع الرسل ذكر سبحانه عيسى عليه السلام في الآيات (٥٧) وما بعدها من هذه السورة صفحة ٦٥٣، وذكر موسى عليه السلام هنا فقال: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون).. إلخ.

﴿وَالْقَىٰ عَلَيْهِ﴾: أَي الْبَسَهُ مِنْ أَرْسَلَهُ. ﴿وَأَسْرُورَةٌ﴾: جَمْعُ سَوَارٍ وَكَانُوا إِذَا جَعَلُوا رِجْلًا رَئِيسًا عَلَيْهِمُ الْبَسُورَةُ سَوَارًا مِنْ ذَهَبٍ. ﴿وَمَقْتَرِنِينَ﴾: أَي مَقْتَرِنِينَ بِهِ، وَمَصَاحِبِينَ لَهُ، وَيَكُونُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ يَسَاعِدُونَهُ عَلَى تَأْدِيبِ مَنْ يَخَالِفُهُ. ﴿وَأَسْفُونًا﴾: أَي أَغْضِبُونَا.

المعنى: ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بالمعجزات إلى فرعون وقومه خصيوصاً كيأرهم لأنهم القادة. فقال موسى: يا فرعون إني رسول رب العالمين إليك وإلى قومك لتؤمنوا وترسلوا معي بنى إسرائيل، انظر الآية (٤٧) من سورة طه صفحة ٤٠٩، والآية (١٢٤) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢. عند ذلك طلب منه فرعون بيان تلك المعجزات كما في الآيات (١٠٥) إلى (١٠٨) من سورة الأعراف صفحتي ٢٠٩، ٢١٠. فلما جاء بالمعجزات فاجأوه بالضحك منها سخيرة من غير تأمل زاعمين أنها سحر، وأنهم أقوى منه وأبرع فيه، انظر الآية (٣١) من سورة القصص صفحة ٥١٢. وما أرياهم من آيات إلا كانت غاية في القوة، وأصابتهم بأنواع من العذاب ليرجعوا عن الكفر إلى الإيمان. وكانوا كلما نزل بهم عذاب من الطوفان والجراد وغيرهما لجئوا إلى موسى قائلين أيها العالم العظيم ادع لنا ربك متوسلاً بما أكرمك به من عهدك بك يجعلك رسولاً. وفماهدك إن كشفت عنا العذاب إن نكون من المهتدين المؤمنين بك. فلما كشفنا عنهم العذاب أسرعوا إلى نقض العهد في كل مرة. وبعد الكشف آخر مرة، خاف فرعون أن يؤثر ذلك في القبط فيؤمنوا. فعمد إلى التهويش وجمع كثيراً منهم كما في الآية (٢٢) وما بعدها من سورة النازعات صفحة ٧٩٠، ونادى فيهم قائلاً: يا قوم أليس لي ملك مصر وهذا الأنهار المتفرعة من النيل تجري من تحت قصوري؟ هل عميت عيونكم فلا تبصرون ذلك؟ فاستبدلوا به على عظيم منزلي وضعف موسى، وبعدما افتخر بالملك والسلطان انتقل يفتخر بالهرايا الشخصية فقال: ﴿ألم أنا خير؟﴾.. إلخ. أي بل أنا خير بما في من العظمة وقوة البيان من موسى الحقير الذي لا يقدر على الإفصاح عما يريد، ثم بالغ في التخلييل فقال: ﴿قولا القى﴾.. إلخ. أي إذا كان رسول إله قادر غيري كما يقول فهلا البسه أسورة من ذهب وأرسل معه ملائكة تتارنه وتعينه على أعدائه؟ وهذا استخف فرعون عقول قومه فاطاعوه وغفلوا عن قوة البراهين؛ لأنهم قوم دأبوا على الفسق والخروج عما تقتضيه العقول السليمة. ثم بين سبحانه جزاءهم الأخير فقال: ﴿فلما أسفرونا﴾.. إلخ. أي فلما أغضبونا بعد طول الحلم أنقمنا منهم بالثواب العاجل. فأعرقاهم أجمعين.

وَمَا لَهُمْ قَتْلُوا إِلَى رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ وَابِلًا أَفْءَادًا مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا يُرِيدُ
مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَجْمَأُ كِبْرَهُمْ أَخْبَارًا وَاعْتَدْتُمْ بِالْعَذَابِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَأَنَّهُمْ يَتَنَبَّأُونَ الْبُحْرَ الْأَخْضَرَ لَمَّا رَأَوْهُ
يَمَّا عُبِدَ عَيْدًا أَتَيْنَا لَهُمْ دُرَّةً ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا كَفَّتْنَا
عَنْهُمْ الْبَدَاءُ إِذَا هُمْ يَنْكَبُونَ ﴿٢٤﴾ وَوَدَّاهُ قَوْمُونَ
فِي قَوْمِهِ كَأَن يُقَرِّبُوا الْبَيْتَ أَلَيْسَ لِمَنْ مَكَرٌ مَضْرُوبُهُ الْأَمْرُ
يُخْرِجُ مِنْ حَتَّى أَفْلَا يَهْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا
الَّذِي هُوَ يُوْهِنُ وَلَا يَشْكُرُ بَيِّنَاتٍ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلَا أَلَيْ عَلَيْهِ
أَمْرُؤَيْنِ فَصِيحٌ أَوْ جَاءَهُمُ الْمُنْكَرُ مَقْتَرَيْنِ ﴿٢٧﴾
وَأَصْبَحَ قَوْمُهُ فَاغْلَبَهُ أَمْسٌ كَأَن لَوْ تَوَارَوْا بِالْعِيقِ ﴿٢٨﴾
فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَفَقْنَا فِيهِمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْفَعًا ﴿٢٩﴾

المفرديات: **فصلته**: هم كبار قومه.

وإذا همم: (إذا) هنا وفي الآية (٥٠)

الآتية تفيد سرعة حصول ما بعدها عقب
حصول ما قبلها، وتسمى فجائية، انظر الآية

(١٠٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩.

﴿من آية﴾: (من) تفيد النص على عموم

ما بعدها و(آية) أى معجزة.

واكبر من اختها: المراد قوة جدا حتى

يعجّل للناظر أنها أكبر مما سبقها ، كما تقول

فِي رِجَالِهِمْ فَرَسَانِ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمِيرٌ

من غيره. تريد أنهم جميعاً مهرة.

وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعُنَابِ ۚ : المراد قهْرناهم

وإذ لناهم بالمصائب المذكورة في الآية (١٣٣) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢.

والساحر: يريدون موسى عليه السلام وكان الساحر فيهم عظيمًا يوقرونه. ولم يكن

السحر عندهم صفة ذم. فمراهم يا أيها العالم الماهر، ولذلك نادوه بوصف الرسول عند

الاستعانة به، انظر الآية (١٣٤) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢.

فَإِذَا عَدِمْكَ عِنْدَكَ: المراد بإكرامه لك بجمعك رسولا، كما تقدم في (١٣٤) المشار إليها

سابقاً. ﴿يَكُونُونَ﴾: اى يقتصرون العهد. ﴿وَمُهِنِينَ﴾: اى ضعيف حقير ليس معه جند ولا خدم.

٢٠٨ (٣٤) من سورة طه صفحة ٤٠٨ (٢٨، ٣٧) من سورة طه صفحة ٤٠٨ (٣٤) من

سورة القصص صفحة ٥١١. (الاولا): حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده.

(۲) بقاء

(၁) ပုံစံ။

(٩) الملائكة.

(١٢) فاغرقناهم.

(١) ملئه .

(٥) اخذناهم.

(٧) يَا قَوْمِ.

(١٠) فاسقین.

انظر شرح الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحة ٢٢ والآية (١) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨، ٥٦٩ إلى غير ذلك مما تقدم في شرح الآية (٩٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١. ثم بين سبحانه منشأ تمسكهم بالجدل بأنهم قوم عرفوا بشدة الخصامة وجلبوا على اللجاج في الباطل فقال سبحانه: ﴿ول هم قوم خصمون﴾. ثم وضع سبحانه مكانة عيسى ووزلته عليه السلام فقال: ﴿إن هو﴾. إلخ. أي ما عيسى إلا عبد من عبادنا الصالحين أعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه دليلاً لبني إسرائيل على كمال قدرتنا على إيجاد ما نشاء، ثم هدد سبحانه كفار مكة بقوله: ﴿ولو نشاء﴾. إلخ أي لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاًكم في الأرض خلقاً آخر يشبه الملائكة في الإيمان والطاعة يعبدونها ويعبدوننا حق العباد، أي ففعلن في غنى عنكم، انظر نظير ذلك في الآية (٣٨) من سورة محمد ص ١٧٧، ١٧٨. ثم نبههم على خطر غفائهم عن قيام الساعة بأن عيسى الذي خلقته من غير أب دليل قاطع أمامكم على قدرتي على إيجادكم بعد الموت بل ذلك أعمون كما جاء في الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، فلا يصح أن تشكوا في قدرتي ومن ثم فلا تشكون في قيام الساعة؛ واتبعوا شرعي فهو طريق مستقيم موصل للنجاح، ولا يصرفكم عنه الشيطان إنه لكم عدو ظاهر العداء، والعاق لا يأمن عدوه. ثم شرع سبحانه في قصة عيسى وقومه ليعلم منها أن العقابية للمؤمنين، والهلاك للكافرين فقال: ﴿ولما جاء﴾. إلخ. أي ولما جاء عيسى لبني إسرائيل مزوراً بالآيات الواضحات، انظر الآية (١) من سورة الصف صفحة ٧٢٨، ٧٢٩، وقال لهم: قد جئتكم بالعلوم التي توصلكم إلى معرفة الحقيقة، وجئتكم لأبين لكم بعض ما اختلفتم فيه، وهو ما يتعلق بأمور الدين؛ لأن بعضهم كان حُرّف التوراة تبعاً لشهوته، أما اختلافهم في أمور الدنيا الصرفة كعلوم الزراعة مثلاً فليس من وظيفة الأنبياء؛ وقال لهم: اتقوا عذاب الله وأطيعوني، إن الله المستحق للعبادة وحده هو ربّي وربكم، فكأنما عيّد له فقراء إليه. هذا الذي جئتكم به طريق للخير مستقيم، وكان الواجب بعد هذا الإرشاد أن يكونوا سواء على حق، ولكن الشهوات فرقهم وجعلت كل فريق يتعرب لرايه كما سبق في صفحة ٢٩٩. فتوعددهم سبحانه بقوله: ﴿فويل﴾. إلخ. أي فهلاك شديد لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، انظر الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠.

من القبور، انظر الآية (٥٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٧، والآيات من (٧) إلى (١١) من سورة ق صفحات ١٦٨، ١٦٩ والآية (١١) من هذه السورة صفحة ٦٤٨. ﴿فلا تمترن بها﴾: أي فلا تشكوا فيها. ﴿بالبينات﴾: أي بآيات الإنجيل الواضحات في الدلالة على الخير - قبل تبدله وتعريفه. ﴿الحكمة﴾: هي كل ما يوصل للعق وانظر الآية (٤٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٠. ﴿الأحزاب﴾: هم طوائف بني إسرائيل الذين اختلفوا شيئاً بين مصدق بعيسى وبين مكذب وبين جاهل يقول له ابن الله، انظر الآية (٣٧) من سورة مريم صفحة ٣٩٩.

﴿فويل﴾: أي هلاك.

المعنى: لما استمر قوم فرعون على العناد والكفر أهلكناهم وجعلناهم سائقين إلى مشاهدة مقاعدهم من النار وعبرة لغيرهم، وكان من تعنت كفار قريش أن بعضهم لما سمع قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ الآية (٩٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ سارع إلى تحليل العامة وقال يا محمد: أليس النصارى يعبدون المسيح؟ وأنت تقول كان نبياً وعبدًا صالحاً؟ فإن دخل المسيح النار رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا على كل حال كما تقول. ففرح بذلك سفهاء قريش وارتفعت أصواتهم بالضحك ظانين أنهم غلبوه وَالْغَلْبُ فقولهم: آلهتنا خير أم هو؟ يريدون به: هل آلهتنا خير أم عيسى؟ فإن كان عيسى خيراً كما تقول رضينا أن نكون آلهتنا معه. ولما كان هذا منهم مجرد تضليل لأنهم يعلمون أنه ليس من الممقول في كلام ألق الناس مدح شخص وجعله في أعلا درجات الكمال ثم حطه في أسفل درجات الشقاء، فضلاً عن كلام من تعدهم بأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً، لا اختلافًا واحداً. وفي هذا قال: ما ضربوه لك إِذْ فجعل لك كفار قريش عيسى مثلاً لآلهتهم إلا لأجل حب الجدل والمغالبة، لا لإظهار الحق، لأنهم سمعوا أيضاً بعد الآية التي غلطوا بها ﴿إن الذين سبقتم لهم منا العسنى أولئك عنها مبعدون﴾ وهذا قاطع في أن القرآن لم يقصت بمن سيكون في جهنم إلا من عبد من دون الله من آلهتهم عن رضى منه، إن كان حياً عاقلاً، أو مطلقاً إن كان جماداً أو حيواناً، كالأصنام مثلاً عند العرب وغيرهم، والعجل عند قدماء المصريين وغيرهم، ومن العرب من عبد الملائكة، والملائكة تتبأر منهم،

﴿ليقبض علينا ربك﴾: المراد: نرجو من الله أن يمسيتنا حتى نستريح، انظر الآية (٤٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٨.

المعنى: هلاك وشقاء لهؤلاء المشركين سيحل بهم من عذاب أليم يوم القيامة. لا ينتظر المختلفون في تعاليمهم ولا إتيان القيامة بغتة وهم غافلون عنها. وهذا تهكم بهم وتهديد شديد لأنه جعل قيام الساعة كالمنتظر لحظة بعد أخرى. أي فلا بد من وقوعه. ثم بين أحوال الناس في ذلك اليوم فقال: الأخلاء.. إلخ. أي الذين تصاحبوا في الدنيا على المعصية يلعن بعضهم بعضاً في الآخرة. انظر الآية (٢٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤ والآية (٦٧) من سورة الأحزاب صفحة ٥٦٠، ٥٦١. إلا المتقين فإنهم يكونون إخواناً على سرر متقابلين كما في الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤١. ويقول لهم سبحانه تكريماً لهم: يا عباد لا خوف عليكم اليوم أي من العذاب، ولا أنتم تحزنون على ضياع مرغوب. ثم بين سبحانه صفة هؤلاء العباد الذين سيتألمون هذه المنزلة فقال: الذين آمنوا بآياتنا المنزلة في الكتب السماوية وكانوا متقادين لأوامر ربهم، ويقول لهم سبحانه: ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم اللاتي آمن معكم تسرون بما فيها سروراً عظيماً. ثم بين سبحانه بعض ما فيها من النعيم فقال: (يطاف بها أكواب فيها أصناف الشراب. ويقال لهم: إن في هذه الجنة كل ما تشتهي أنفسكم. وتسمر بالنظر إليه أعينكم. وأنتم في هذا النعيم خالدون لا تخرجون ولا ينقطع. ثم إن هذا الفضل العظيم استحقوه بأعمالهم فقال: (ولك الجنة) .. إلخ. أي وهذه هي الجنة التي جعلها الله تعالى لكم سهولة الحصول كالمراث جزاء أعمالكم الصالحة. وبعد أن ذكر الطعام والشراب ذكر الشاهكة فقال: لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون كما تشاءون. وبعد ما بين سبحانه نعيم أهل الجنة أتبعه بشقاء أهل النار كما هي عادة القرآن ليرغب ويثقل فقال: (إن المجرمين) .. إلخ. إن المجرمين بالكثرة كما في الآية (٢٩) من سورة المطففين صفحة ٧٩٨ في عذاب جهنم خالدون لا يخفف عنهم وهم فيه يأسون متحيزون. وما ظلمهم الله لأنه بين لهم طريق الخير فتركوه فكانوا هم الذين ظلموا أنفسهم. ثم بين ما سيحصل منهم في جهنم فقال: ونادوا.. إلخ. أي وسينادون نداءً مخففاً لاشك في حصوله حتى كأنه حصل فعلاً، يقولون يا مالك بلغ طلبنا من الله أن يرزقنا بالموت. فيقول لهم: كلا إنكم ماكثون في العذاب أبداً لا تموتون ولا

المفردات: ﴿اليم﴾: صفة لليوم باعتبار ما فيه فهي صفة للزمان باعتبار الحاصل فيه كما وصف المكان باعتبار الكائن فيه، تقول العرب: نهر جار، أي جار ما فيه وهو الماء. ﴿هل﴾: حرف استفهام إنكارى يفيد النفي، أي لا ينتظرون إلا قيام الساعة.

﴿ينظرون﴾: أي ينتظرون.

﴿الساعة﴾: القيامة.

﴿إن تأتيهم﴾: أي إتيانها لهم وهو بدل من

الساعة. ﴿الأخلاء يومئذ﴾.. إلخ. المراد أن

الصداقة في الحياة الدنيا نوعان: صداقة

رباطها متاع الدنيا فقط، ليس الباعث عليها

شيئاً مما يرضى الله، وأصحابها يوم القيامة يعادى بعضهم بعضاً. انظر الآية (٢٨) من سورة

الفرقان صفحة ٤٧٣. والثاني صداقة المتحابين في الله وهؤلاء هم المتقون.

﴿يا عباد﴾: انظر صفاتهم في الآية (٦٢) وما بعدها من سورة الفرقان صفحة ٤٧٧.

وما بعدها. ﴿مسلمين﴾: أي متقادين لربهم.

﴿تحيزون﴾: أي تسرون سروراً عظيماً.

﴿صحاف﴾: جمع صحيفة وهي إناء كبير يوضع فيه ما ياكل.

﴿أكواب﴾: جمع كوب وهو كوز لا مقبض له.

﴿لا يفتقر عنهم﴾: أي لا يخفف الله عنهم العذاب. يقال ففتر عنه الحمى: إذا خفت قليلاً.

﴿مبلسون﴾: أي يأسون من النجاة متحسرون. انظر الآية (٤٤) من سورة الأنعام صفحتي

١٦٩، ١٧٠. ﴿مالك﴾: هو رئيس خزنة جهنم من الملائكة.

- | | | | | | |
|--------------|--------------|---------------|---------------|--------------|------------|
| (١) يا عباد. | (٢) آمنوا. | (٣) يأتيان. | (٤) أزواجكم. | (٥) خالدون. | (٦) فاكهة. |
| (٧) خالدون. | (٨) ظلمناهم. | (٩) الظالمين. | (١٠) يا مالك. | (١١) ماكثون. | |

عَذَابٌ يَوْمَ الِْيَمِ ﴿١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِيَصْحَابِ عَذَابٍ آخٍ ﴿٣﴾ الْيَوْمَ لَا تُنْفَعُ صَوْلَاتُهُمْ وَلَا
الْبُيُوتُ وَلَا أَنْ تَحْزَنُوا ﴿٤﴾ الَّذِينَ عَادُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦﴾
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَافٍ وَفِيهَا
مَائِيسَةٌ زَخْخَمَةٌ الْأَخْيَارُ وَالتَّمْرُ فِيهَا خَلِيدُونَ ﴿٧﴾
وَنَزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْهَارٌ شَرِبُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ
فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْسُونَ ﴿١١﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا فِي ظُلُمٍ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾
وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ رَبُّكَ قَوْلَ نَحْمُ بِكَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾

﴿لَيْسَ﴾: حرف يدل على إبطال النفي قبله

وإثبات ما بعده.

﴿وَسَلَّمَ﴾: فم الحفظة من الملائكة المشار إليهم في الآية (١٨) من سورة ق صفحة ٦٨٩.

والآية (١٠) من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٥.

﴿فَإِنَّا أَوَّلَ الْعَابِدِينَ﴾: أي أسبق الناس إلى الخضوع له.

﴿وَالْعَرْشِ﴾: تقدم الكلام عليه في الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١.

﴿يُصْنَفُونَ﴾: أي يكذبون، المنظر الآية (١٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿وَرُزِّهِمْ﴾: أي أتركهم وأعرض عنهم.

﴿يُخَوِّضُونَ﴾: أصل معنى الخوض الدخول في الماء الكثير، ثم استعمل قليلا في الدخول

في الحديث للتسليية كما في الآية (٦٥) من سورة التوبة صفحات ٢٥١، ٢٥٢، والدخول في

الحديث عن أمر خطير كقول العلماء: لا تخوضوا في الكلام عن الأرواح، وغلب استعماله في

الدخول في الباطل كما هنا وفي الآية (٩١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧ والآية (٤٥) من

سورة المدثر صفحة ٧٧٨.

﴿وَيُطِيعُونَ﴾: أي يفعلون في الدنيا فعل اللاعب الغافل عن العاقبة.

﴿وَإِلَهُ﴾: أي معبود بحق.

﴿وَالسَّاعَةِ﴾: أي القيامة. ﴿وَإِنِّي﴾: كيف.

﴿يُؤَيِّدُكَ﴾: أي تصرفهم الشياطين عن الحق كما تقدم في الآية (٧٥) من سورة المائدة

صفحة ١٥٢.

المنفى: بعدما رد مالك خزائن النار على الإنكار بما أوقعهم في اليأس من الخروج. خاطبهم

الله تعالى خطاب تبريع وتوبيخ مبنيًا سبب ما هم فيه فقال: (لقد جئناكم).. إلخ، أي لقد بينا

لكم الحق على لسان رسولنا ولكن أكثركم للحق كارهون. ولم يقبله إلا قليل فتجروا من هول ما

أنتم فيه. ثم انتقل سبحانه إلى إظهار مكرهم مبنيًا أنه سيتقلب عليهم فقال: (أم أبرموا)..

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَئِيْلٌ ﴿١﴾
أَمْ أَمْرًا أَمْ لَا يَوْمُونَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبُوا أَنَّ الْأَتَمَّعَ
يَرْمُونَ وَيَكُونُ بَلٌّ وَرَبَّنَا لَتَبَسَ بَكْتُونَ ﴿٣﴾ قُلْ
إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ رَحْمَةً قَالَتْ أُولَ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ سُبْحَنَ
رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَظِيمُونَ ﴿٥﴾
قَدْ رَمَوْا حُرُوفًا وَيَلْبِسُونَ حَقًّا بَلَاءً لِيَوْمِ الْآزَمِ
يَوْمَئِذٍ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٦﴾ وَهُمْ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ
إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٧﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ بَيْنَهُمَا وَعَدُوهُمُ الْمَسَاءُ
وَالنَّجْمُونَ ﴿٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
الْقُدْرَةَ إِلَّا مِنْ عِندِ رَبِّكَ يَقْنَطُ لَهُمْ قَدْرُكُمْ وَلَكِنْ
سَاءَ لَكُمْ مِنْ حَقْلِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْتِكُمُونَّ ﴿٩﴾

تعيون كما في الآية (٣١) من سورة فاطر

صفحة ٥٧٦ والآية (١٢) من سورة الأعلى

صفحة ٨٠٤ نسأل الله السلامة.

المفردات: ﴿أَمْ أَمْرًا﴾: أم أبرموا.. إلخ: (أ) حرف

يفيد الانتقال من الكلام السابق إلى الإنكار

عليهم في أحكامهم تدبير الكيد، كما تقدم

في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢

والآية (٩) من سورة الشورى صفحة ١٣٩.

﴿أَمْ أَمْرًا﴾: أي أحكموا التدبير.

﴿أَمْ أَمْرًا﴾: هو الكيد له ﴿يَقْنَطُ﴾: والتحايل على

إبطال دعوته.

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ﴾: (أ) هنا مشوية معنى

الاستقحام التوبيخ المفسد للنفس، والمراد:

الإنكار عليهم ظنهم (أن الله لا يسمع سرهم).. إلخ.

﴿وَسَرَّهْمُ﴾ ونحوهم: المراد بالسر هنا حديث النفس وما يخطر فيها من النيات السيئة.

انظر الآية (٥٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٧.

﴿وَنَجَّاهُمْ﴾: ما لبثوا مأسون به بصوت منخفض حتى لا يسمعه غيرهم، انظر الآية (٧٨) من

سورة التوبة صفحة ٢٥٤.

﴿جَنَّاكُمُ﴾: جناتكم.

﴿كَارِهُونَ﴾: كارهون.

﴿نَجَّاهُمْ﴾: نجواهم.

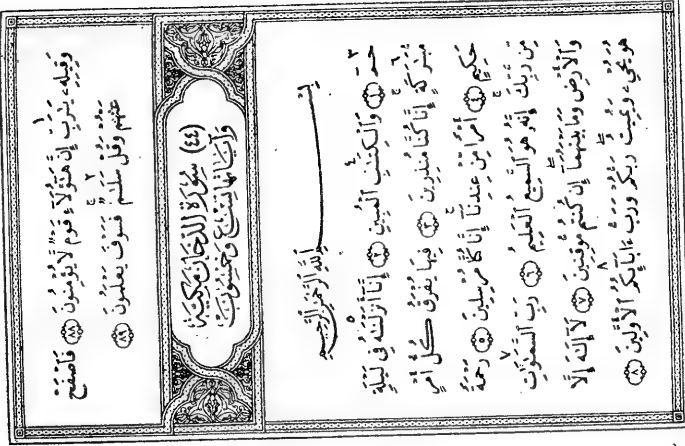
﴿سَبَّحَانُ﴾: سبحان.

﴿يَلَاوُقُ﴾: يلاقوا.

﴿السَّمَوَاتِ﴾: السموات.

﴿الْشَّمَاعَةِ﴾: الشماعة.

﴿لَتَنَ﴾: (١٠) لتن.



المفردات: ﴿وقيله﴾: القيل والقال كلها والقول شيء واحد، والواو للتقسم أي: وحق قول رسول محمد وشكواه من أنهم لا يؤمنون لا يثبتهم ما يستحقون في الدنيا والآخرة، وحذف المقسم عليه معهود عند العرب.

﴿فاصفح عنهم﴾: المراد: أعرض عنهم إعراض العاقل عن الجاهل واستمر في دعوتك ولا تبالي بهم، انظر الآية (٩٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤٤.

﴿سلام﴾: المراد: سلام ترك وإهمال، لا سلام تحسية، انظر الآية (٥٥) من سورة القصص صفحة ٥١٤، ٥١٥.

﴿حم﴾: تطلق حاء ميم بكسر الميم الأولى وسكون الآخر. ﴿واكتبنا﴾: أي وحق هذا القرآن.

﴿المبين﴾: الموضح للحق والباطل والجلال والحرام. ﴿انزلناه﴾: أي ابتدأنا إنزاله. ﴿في ليلة مباركة﴾: هي ليلة القدر المذكورة في سورة القدر صفحة ٨١٥. ﴿مقدرين﴾: أي محذرين ومخوفين من المعاصي. ومع أنه بشر أيضاً كفار مكة لكن اقتصر هنا على ذلك لأن مقام الكلام يقتضيه. ﴿يفرق﴾: أي يفصل ويبين. والمراد (فصل وبين). أي بدى في تفصيل كل أمر.. إلخ.

والتعبير بالفعل المستقبل والمراد الفعل الماضي لاستحضار الصورة العجيبة، وذلك في القرآن كثير. انظر الآية (٣١:٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ والآية (٤٠) من سورة طه صفحة ٤٠٨.

٤٠٩ والآية (٣١) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٣ والآية (١٢) من سورة النجم صفحة ٧٠١ والآية (١) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٤.

- | | | | |
|--------------|-------------|--------------|-------------|
| (١) يارب. | (٢) سلام. | (٣) حاميهم. | (٤) الكتاب. |
| (٥) انزلناه. | (٦) مباركة. | (٧) السموات. | (٨) آياتكم. |

إلخ. أي بل الذي جراً كشار مكة على كفرهم ظنهم أنهم الحكماء الحيلة في المكر في رد الحق، ولكننا أحكمتنا الكيد في إهلاكهم، انظر الآية (٥٠) من سورة النمل صفحة ٥٠٠، والآية (٤٢) من سورة الطور صفحة ٦٩٩. بل هل يظنون أننا لا نسمع حديثهم في داخل أنفسهم ولا ما يكلمون به سرا بينهم. كلا بل نسمعه. والملائكة الحفظة يسجلون كل ما يصدر عنهم ليلقى إليهم يوم القيامة فتقطع أعدائهم. انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧، ٣٨٨. ثم أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم الحجة في إبطال زعمهم أن لله عز وجل ولدا فقال: قل إن كان.. إلخ. أي قل أيها النبي لكفار قومك إن أمكنكم أن تثبتوا بدليل قاطع أن للرحمن ولدا كنت أنا أول من يخضع له تعظيماً لأبيه. وبما أن الولد لله مستحيل، فمستحيل أن أعبد غير الله؛ وهذا أسلوب معهود عند العرب في نفى الشيء بطريق قاطع - يقول أحدهم لمن يناظره: إن ثبت ما تقول بالدليل الصحيح فإننا أول من ينادي به. ثم علمنا سبحانه كيف ننزهه، فقال: (سبحان رب السموات والأرض).. إلخ. أي تنزه مالك السموات والأرض وما فيهما ورب العرش العظيم عما يفتره عليه المشركون من الولد والشريك. وبعد ذلك أمر سبحانه نبيه أن يعرض عنهم لأنهم ميؤوس منهم، فقال: (فذرهم يخوضوا).. إلخ. أي فاتركهم يتوغلون في الباطل. وليعلمون في دنياهم بالأطفال حتى يلاقوا اليوم الذي وعدناهم به. وهو يوم القيامة. وعند ذلك لا ينفعهم الندم ثم أكد التنزيه السابق فقال: (وهو الذي).. إلخ. أي وهو الله الذي.. إلخ. أي وهو الله الذي يستحق العبادة وخده لا شريك له من أهل السماء وأهل الأرض. وهو الحكيم في تدبير خلقه. العليم بأحوالهم وما يصلح لكل منهم. تبالي قبر الله الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وعنده وحده علم قيام الساعة. وإليه مرجع جميع الخلائق. ولا يقدر شيء من الأصنام وما يعبدون غيره تعالى على الشفاعة لهم كما زعموا في الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨. ولكن من نطق بكلمة التوحيد وكان على بربه كالملائكة والأنبياء وعلى رأسهم محمد ﷺ فإن لهم الشفاعة بشرط إيدته تعالى. وكون المشفوع فيه يستحقها كما تقدم في الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦. ثم بين سبحانه أن هؤلاء المشركين متنافضون فقال: (ولئن سألتهم).. إلخ. أي ولئن سألت أيها النبي مشركي قومك من الذي خلقهم بل وخلق الشيطان عن توحيدته تعالى في العبادة.

﴿حَكِيمٌ﴾: أى محكم لا يستطيع مخلوق نقضه. ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾: المراد: مأمور به منا، وهو حال من إتران المنزل. ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: مفعول لأجله. أى لأجل رحمة المرسل إليهم. المعنى: بعدما علم ﷺ شدة عناد قومه وشعر بعدم إيمانهم ناجى ربه متحسراً حزناً: (يا رب إن هؤلاء)... إلخ بعد ذلك أقسم سبحانه بقوله ﷺ تشريفاً له وتقديراً لشكواه إليه فقال: وقيله... إلخ. أى وحق قول رسولى وشكواه لى لأفعلن بهم ما يستحقون من العزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

فأعرض عنهم أيها النبى وقل سلام منى عليكم، سلام هجر وفراق. فسوف يلمون عندما نأذلك بقتالهم أنهم هم الخاسرون، وأن جندنا هم الغالبون الفائزون. والله تعالى أعلم.

(سورة الدخان)

حم. تقدم المراد بمثل ذلك أول سورة البقرة. أقسم بحق هذا القرآن الموضح لطريق الخير والشر حتى يسلك الأول ويجتنب الثانى. إنا بدأنا إنزاله فى ليلة كثيرة الخير بنزوله فيها فكانت بذلك خيراً من ألف شهر. ثم بين سبحانه حكمة إنزاله بقوله: إنا كنا منذرين أى معلمين الناس ومحدزينهم مما يضرهم. فى هذه الليلة بدئ فى تفصيل كل أمر محكم مما يتعلق بصلاح الخلق حال كون هذا الدال على هذا الأمر الحكيم مأموراً بإنزاله من عند الحكيم العليم.

ثم بين سبحانه ما يحقق حكمة إنزاله فقال: (إنا كنا مرسلين)... إلخ. أى من شأننا أن نرسل رسولنا لأجل رحمة عبادنا ونقاذهم من الضلال. إن الله هو السميع لكل أقوال خلقه. العليم بكل أحوالهم فلا يشترع لهم إلا ما ينفعهم. ثم أكد سبحانه إحاطة سمعه وعلمه بقوله: رب السموات والأرض... إلخ. أى السميع العليم لأنه منشئ السموات والأرض وما بينهما وما لكهما. إن كنتم يا أهل مكة موقنين بذلك كما تقولون فيجب أن تعترفوا بوحدانيته وصدق رسوله. انظر الآية (١١) وما بعدها من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩ والآية (١٤) من سورة الملك صفحة ٧٥٥. ثم أكد سبحانه ما سبق فقال: لا إله إلا هو يحيى من يشاء ويميت من يشاء. ربكم ورب آبائكم الأولين لا رب سواه.

بَلْ مُمْ فِي سَيْقِ الْمُمِرِّينَ ۝ كَذَّبَتْ بَوْمَ ثَأْنِي
الْأَسْمَاءِ بِذُنُوبٍ يُنَبِّئُ أَتَّاسٌ هَذَا ثَأْنِي ۝
أَلَيْمٌ ۝ رَبَّنَا كَيْفَ عَذَابُ الْمَذَابِ ۝ يَا مَرْيَمُ ۝
إِنَّ لَكُمْ الْكَرِيمِ وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا كُنْتُمْ
عَنْ رَبِّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَا كَاهِنُ الْعَذَابِ قِيلَا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ بَوْمَ يَبْطِشُ الْبَيْتُ الْكِبَرَىٰ يَا
مُتَمِّمُونَ ۝ * وَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ زُرْعَةٍ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنَا أَنَا إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ إِنِّي لَكُنَّ رَسُولٌ
أِيمٌ ۝ وَإِنْ لَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ اللَّهِ إِنِّي عَائِدٌ كَيْفَ يَسْأَلُنِي
يُمِرُّ ۝ وَإِنِّي عَذْبٌ بَرِيٌّ وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُونَ ۝
وَأَنْ تَوَسَّلُوا لِي فَتُؤْمَرُوا ۝ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا كَيْفَ تَشَاءُونَ ۝
قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا كَيْفَ تَشَاءُونَ ۝

﴿دخان﴾: المراد: ظلمة فى الجو يراها الواقع فى كرب كانها دخان.
﴿مبين﴾: أى واضح.
﴿يفشى الناس﴾: أى يحيط بهم.
﴿مؤمنون﴾: يريدون خازمون على الإيمان، لأنهم فى الواقع لم يؤمنوا لحظلة واحدة.
﴿أنى﴾: أى كيف ومن أين.
﴿التكرى﴾: أى التذكر والاعتبار.

﴿رسول مبين﴾: أى واضح الرسالة من ربه. وهو خاتم الرسل ﷺ.
﴿تولوا عنه﴾: أى أعرضوا.

﴿معلم﴾: أى يعلمه غيره من البشر. وليس رسولا: انظر الآية (١٠٢) من سورة النحل صفحة ٣٦٠.

﴿إنكم عائدون﴾: أى هذه طبيعتكم، انظر الآية (٧٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦.
﴿نطش﴾: أى تأخذ شدة، انظر الآية (٣٦) من سورة القمر صفحة ٧٠٧ والآية (٢) من سورة البروج صفحة ٨٠١.

﴿ففتنا قبلهم قوم فرعون﴾: أى عاملائهم معاملة المختبر ليظهر ما فى نفوسهم للناس فيؤمنوا بعدل الله.

(١) عائدون. (٢) أفيكم. (٣) بسلطان.

الذين لا يتقنون ما يقولون. ولما اشتد حزنه ﷺ على عدم إيمان قومه كما تقدم في الآية (٨٨) في الصفحة السابقة، طلب من ربه أن يضيق عليهم لعل الشدة ترجعهم إلى الصواب، فقال له سبحانه: فارتقب يوم تأتي السماء... إلخ. أي من جهتها أو بسببها حيث منع سبحانه عنهم المطر مدة طويلة حتى يبست الأرض. وهلك الزرع. وأكلوا الجوع. وأكلوا الجيف من شدة الجوع. وضعت أبنصارهم حتى صار الرجل إذا نظر إلى السماء يرى كهية دخان واضح محيط بهم من كل جانب حتى قالوا هذا عذاب شديد الألم. يا ربنا اكشف عنا هذا العذاب إنا سنؤمن لو كشفتنا عنا. فرد سبحانه عليهم بقوله: (أنتي لهم).. إلخ. أي من أين لهم التذكر والاعتبار والحال أنهم جاءهم رسول ظاهر صفة الرسالة بما معه من المعجزات. ومع ذلك أعرضوا عنه. وقال بعضهم بعلمه بشر وليس رسولا. وبعضهم قال: إنه مجنون يقول كلاما لم نسمعه من أنبائنا الأولين. ومع هذا فقد رق قلبه ﷺ وطمع في إيمانهم، وطلب من ربه أن يكشف العذاب عنهم. فأجابه سبحانه بقوله: إنا كاشفوا العذاب.. إلخ. أي سنكشفه زمنا قليلا هو المدة الباقية لهم في الحياة. ثم إنكم بعد كشفه عائدون إلى العزم على الاستمرار على الكفر. فانظر أنها النبي يوم ينطش بهم البطشة الكبرى فتنتقم منهم. وقد حصل في غزوة بدر وما بعدها، فلم ينج منهم إلا من تحصن بالإيمان. ثم أراد سبحانه أن يذكرهم بما حصل لفرعون وقومه ليعتبروا فقال: (ولقد فتنا).. إلخ. أي امتحنا قوم فرعون فأرسلنا لهم رسولا كريما، وقال لهم آمنوا بالله وأرسلوا معي بنى إسرائيل، انظر الآية (١٣٤) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢. إني لكم رسول من الله أمين على أداء رسالته. ولا تتكبروا على أوامر الله؛ لأنني أتيتكم ببرهان واضح على صدق رسالتي، وإني تحصنت ببربي وربيكم من أن تقتلونني رجما بالحجارة فلا أخافكم من هذه الجهة. انظر سبب يقينه في هذا في آيتي (٤٥، ٤٦) من سورة طه صفحة ٤٠٩ والآية (١٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠ وآيتي (٦١، ٦٢) من نفس السورة صفحات ٤٨٢، ٤٨٤ والآية (٣٥) من سورة القصص صفحات ٥١١، ٥١٢. وإن لم تصدقوني فابتعدوا عني ولا تكونوا علي ولا لي. ولكنهم لم يتركوا إيداه ولا إيداء بنى إسرائيل فدعا ربه قائلا: يا ربني هؤلاء القوم. أي فرعون وقومه. مجرمون. فقال له سبحانه فأسر عبادي ليلا. وقد دبرت أن فرعون وجنوده سيقتلونكم فاعرفهم إلى آخر ما سيأتي.

﴿رسول كريم﴾: هو موسى عليه السلام كريم على ربه.
 ﴿إن أدوا إلى عباد الله﴾: أي أعطوني واتركوا لي بنى إسرائيل. انظر الآية (٤٧) من سورة طه صفحة ٤٠٩.
 ﴿لا تعلموا على الله﴾: تدور معاني كلمة (علا) حول الإرتفاع والترف وما يتبع ذلك من التكبر والجبروت والقهر والغلبة، فتفسر في كل موضع بما يناسبه، قال صاحب لسان العرب: تقول العرب علا فلان فلانا إذا قهره. يقال: علا الله على الخلق أي قهرهم بقدرته. (انتهى كلام صاحب اللسان).
 والمناسب هنا هو التكبر كما تقدم في الآية (٣١) من سورة النمل صفحة ٤٩٧. ومن المعلوم أن التكبر قد يضر الغير معنويا فقط، كالمتعاطف على الناس من غير أن يبالغ منه ضرر مادي، وقد يضر ماديا كالمتكبر الذي ينفذ في الناس آثار تكبره كضرب، أو سلب مال، أو غير ذلك. كل هذا إذا كان التكبر على مخلوق. أما التكبر على الله عز وجل فمعناه التعالي على تنفيذ أوامره سبحانه وتعالى وعصيانه.
 ﴿سلطان مبين﴾: أي برهان واضح على صدق رسالتك انظر الآية (٣٢) من سورة القصص صفحة ٥١١.
 ﴿عذبت بربي﴾: أي تحصنت بربي.
 ﴿أن ترجموني﴾: أي من أن ترجموني بالحجارة فتقتلونني، انظر الآية (٩١) من سورة هود صفحة ٢٩٨.
 ﴿تؤمنوا لي﴾: أي تصدقوني، انظر الآية (١٧) من سورة يوسف صفحات ٣٠٤، ٣٠٥.
 ﴿فاعتزلوني﴾: أي التركوني وشأنني.
 المعنى: ولما كان ما سبق يشعر بأنهم مصدقون ما يقرون به أراد سبحانه أن يبطل ذلك فقال: بل هم في شك.. إلخ. أي هم في الحقيقة غير موقنين بما يقولون بل هم في شك واضطراب في داخل أنفسهم حال كونهم في إقرارهم بأن خالقهم هو الله يقولون قول الأطفال

فبكى عليهم السماء ﴿٤﴾ العرب تقول: بكى على فلان السماء كناية عن أنه ذو مقام خطير

يهتم الناس بقمده.

﴿منظرين﴾: أي مؤخرين عن الوقت المحدد لإهلاكهم.

﴿وعاليا﴾: أي مستغليا على الناس، انظر الآية (٨٢) من سورة يونس صفحة ٢٧٩.

﴿المسرطين﴾: أي المفرطين في الشر والفساد.

﴿على علم﴾: أي عالين باستحقاقهم.

﴿الآيات﴾: أي المعجزات على يد موسى كفلق البحر وتطليل الغمام وإزالة المن والسلوى.

انظر آيتي (١٠٥٧) من سورة البقرة صفحتي ١٢، ١١.

﴿بلا مبين﴾: أي اختيار ظاهر ليذكروا، أو يكفروا.

﴿هو لا﴾: أي كفار مكة.

﴿إلا موتنا الأولى وما نحن بمبشرين﴾: (إن) حرف نفى بمعنى (ما) و(هي) أي الموتة التي

ستلحقها. (الأولى) إذا تأملت بيان أساليب العرب عند شرح الآية (٥٦) من هذه السورة

صفحة ١٦٠، تعلم أن مراد الكفار هنا هو أنه ليس لنا إلا ونة لا حياة بعدها، وليس مرادهم

أنهم يذكرون موتة ثانية يقول بها الرسول ﷺ: لأن الرسول وما جاء معه من القرآن يقرر أن

لا موت بعدما حصل في الدنيا. وإن كلا من المؤمنين والكافر خالد فيما هو فيه. أما المؤمن

ففي آيات كثيرة منها الآية (٥٦) من هذه السورة صفحة ١٦٠. وأما الكافر ففي الآية (٣١) من

سورة فاطر صفحة ٥٧٦ والآيات (٧٤ - ٧٧) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٤ والآيات (١١ -

١٢) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤.

﴿بمبشرين﴾: الباء لتأكيد نفى ما بعدها عما قبلها، و(مبشرين) أي مبعوثين من القبور

أحياء كما يقول محمد ﷺ.

﴿وتبع﴾: هو تبع العميرى، أحد ملوك اليمن وكان رجلا صالحا، ولما ذم سبحانه قومه دونه،

وكان معروفاً عند أهل مكة وكذا ما حصل لقومه.

المفسر دات: ﴿هرو﴾: أصله رها يرهو.

يوزن عدا يعدو. أي سكن. وأريد به هنا اسم

الفاعل. أي ساكنا. لا اضطراب فيه كحالته

عند عبوركم مفتحة فيه الطرق.

﴿كم﴾: أي كثير.

﴿ومن جنات﴾: (من) حرف يدل على بيان

المراد من (كم) قبله.

﴿مستقام كريم﴾: المستقام الحسنة

والمجالس البهيبة، انظر الآية (٥٨) من

سورة الشعراء صفحة ٤٨٣.

﴿نعمه﴾: أي نعمه.

﴿فأكفين﴾: تقدم في الآية (٥٥) من سورة

يس صفحة ٥٨٤. هكذا لك: أي الأمر كذلك.

﴿وقوما آخرين﴾: قيل هم كل من استولى على مصر بعد فرعون.

(١) جنات.

(٢) فاكين.

(٣) أورشاهما.

(٤) آخرين.

(٥) إسرائيل.

(٦) آخرناهم.

(٧) المملوكين.

(٨) أقبانهم.

(٩) الآيات.

(١٠) بلا.

(١١) بيابنا.

(١٢) صادقين.

(١٣) أملاكهم.

(١٤) السموات.

المعنى: وقال سبحانه لموسى إذا خرجت من البحر أنت وأصحابك فلا تضربه ثانياً ليعود كما كان بل أتركه على حاله مفتحة فيه الطرق ليدخله فروعون وقومه فيفروا. ثم ذكر ما خلفه فقال: كم تركوا... إلخ. أى كثيراً ما تركوا من بساطين وعيون تبيض ماء وزرع ناضرة وقصور شامخة وأسباب تنعم كانوا فيه مثلثين... الأمر كذلك، لا تغير فيه، وأورثنا هذه النعم قوماً آخرين من أمم مختلفة كالبابليين والعبرانيين والفرس والرومان والعرب... إلخ، وانظر مع هذا ما تقدم فى آيتي (٥٧ - ٥٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٣. ومع أن فروعون وقومه كانوا يستعظمون أنفسهم فما اهتم بهلاكهم أحد. وما أمهلهم الله لحظة عن الوقت المحدد لإهلاكهم. ثم بين سبحانه إحسانه لموسى وقومه فقال: ولقد نجينا.. إلخ. أى لقد خلصناهم من عذاب فرعون وملئه لهم بالاستعباد والقتل بإهلاك عددهم. إن فروعون كان متعاليًا متكبرًا مجاوزًا فى الفساد. ولقد اخترنا بنى إسرائيل على علم منا بحالهم، وقدمناهم على عالم زمانهم لأنهم كانوا مؤمنين وما عداهم أغلبهم وثيون مشركون، ولكهم لما اختلفوا وعصوا كما فى الآية (١٧) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢ غضب الله عليهم غضبة خالدة، كما تقدم فى الآية (١٦٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠. وأعطيناهم من الأمور العظيمة ما فيه امتحان لهم هل يشكرون أم يكفرون نعمتنا؟ ثم رجع سبحانه إلى الكلام عن أهل مكة فقال: إن هؤلاء.. إلخ. أى إن قومك أنها النبی ينكرون البعث ويقولون: ما العاقبة والنهاية إلا الموتة التى تصادفنا أول شيء بعد نهاية الحياة. ولا حياة بعدها وما نحن بمبعوثين أحياء من القبور. انظر الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦. فإن كان البعث حقاً كما تقول يا محمد أنت ومن معك فأسرعوا بإحياء آبائنا إن كنتم صادقين. بعد ذلك توعدهم سبحانه وهدهم بأنه سيحصل لهم ما حصل لقوم تبع الذين كانوا أكثر منهم وأغنى فقال: أهم.. إلخ. المراد هل هم أقوى أم قوم تبع والذين سبقوهم تقوم نوح وعاد وثمود.. إلخ هؤلاء جميعاً أهلكناهم لما عصوا رسلهم واستمروا على الإجماع. ولهذا سنعاملكم مثلهم إذا بقيتم على الكفر. لأننا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما للعب، بل لحكمة.

المفردات: ﴿لأعبين﴾: أى ما خلقناهما باطلاً، ولا عبثاً. انظر الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ والآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، والآية (٣٧) من سورة ص صفحة ٦٠٠.

﴿يوم الفصل﴾: أى اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق، وهو يوم القيامة. انظر الآية (٣) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٥.

﴿ميقاتهم﴾: أى وقت جمعهم للحساب.

﴿يغنى﴾: أى ينفع، انظر الآية (١٢٣) من سورة البقرة صفحة ٢٤.

﴿مولى﴾: أى شخص موال بالقرابة أو الصداقة أو التحالف.

﴿عن مولى﴾: أى عن صديق صديق أو قريب مخطئ.. إلخ.

﴿شجرة الزقوم﴾: شجرة منتنة الرائحة، مرة الطعم، كما تقدم فى الآية (٦٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠. ﴿الأنيم﴾: هو كثير

لأنام أى الذنوب. ﴿كالملهل﴾: سائل الذهب أو الفضة أو النحاس أو نحوها. كما تقدم فى الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٥، ٣٨٤.

﴿الحميم﴾: هو الماء الشديد الحرارة. ﴿خذوه﴾: أى الأنيم. ﴿فأعتلوه﴾: أى جرّوه بغلظة وقسوة. ﴿سواء الجحيم﴾: أى وسطها. ﴿العزير الكريم﴾: يقال هذا للأنيم سخرية وهكماً به؛ لأنه كان يزعم أنه منبع الجحيم مكرم. ﴿تتمترون﴾: أى تشكون. ﴿مقام أمين﴾: فى محل إقامة أمنوا فيه من كل هم وحزن. ﴿فى جنات وعيون﴾: المراد: يقيمون فى مكان تحيط به اليساتين والعيون تجرى منها الأنهار. انظر الآية (٥٤) من سورة القمر صفحة ٧٠٨.

﴿سندس﴾: هو ما رق من الحرير. ﴿استبرق﴾: يطاقله، العرب على ما غلط من الحرير، وعلى ماله ليمان.

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) لاعبين. | (٢) خلقناهما. |
| (٤) شجرة. | (٥) جنات. |
| (٧) زوجناهم. | (٨) فاكهة. |

- | |
|---------------|
| (٢) ميقاتهم. |
| (١) متقاليين. |
| (٩) أمينين. |

المفردات: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾: ﴿إِلَّا﴾ حرف بمعنى لإعتراف أي لا يعانون في الجنة. ألم الموت بعدما عانوه في الدنيا عند خروج الروح، ولما كان هو المراد لم يتعرض للموت الذي سبق الحياة الدنيا المشار إليه في الآية (٧٨) من سورة البقرة صفحة ٧ والآية (١١) من سورة غافر صفحة ١١٩: لأنه ليس فيه ذوق ألم.

﴿يَسْرَاهُ بِلسانك﴾: أي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه.

﴿فَارْتَقِبْ﴾: تقدم معناه في الآية (٣٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨.

سورة الجاثية

﴿الجاثية﴾: انظر معنى هذا الاسم في الآية (٧٨) الآتية صفحة ٦١٤.

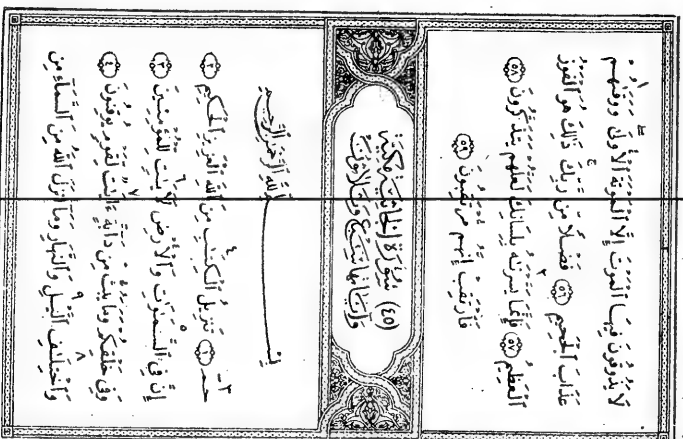
﴿حم﴾: تنطق حاميم يسكنون الآخر.

﴿لَا يَاتِ﴾: أدلة على حكمته تعالى وقدرته.

﴿يَبِثْ﴾: أي ينشر وينثر في الأرض والسماء كما في الآية (٢٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤٣.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ تدل على أن ما بعدها بيان لـ (ما) قبلها.

- (١) وقاهم.
- (٢) يسرناه.
- (٣) حاميم.
- (٤) الكتاب.
- (٥) السموات.
- (٦) الآيات.
- (٧) آيات.
- (٨) اختلاف.
- (٩) الليل.



﴿حُورٌ﴾: الحور يفتح الحاء والواو هو أن يغلب سواد العين على بياضها مع قوة كل منهما. ويقال للمرأة التي بهذه الصفة حورا، يفتح فسكون وجهها حور كما هنا بضم أوله.

﴿عِينٌ﴾: جمع عينا، وهي واسعة العين. ﴿يَدْعُونَ﴾: أي يطلبون.

المعنى: ما خلقتنا الخلق عينا بل خلقناه لحكم عالية منها امتحان العقلاء بإرسال الرسل وإنزال الشرائع. فيتميز من يستحق الخلود في نعيم الحياة الآخرة ومن يستحق العذاب، انظر شرح آيتي (٥، ٤) من سورة سبأ صفحات ٥٦٢، ٥٦٣. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لغفلتهم وانهمالهم في لذات الدنيا فانكروا الآخرة. أو أهملوا العمل لها. ثم هدّد سبحانه الكفار بقوله: إن يوم الفصل... إلخ، أي إن اليوم الذي يفصل الله فيه بين الخلق هو الوقت المحدد لهم جميعا. وهو يوم لا يفتح فيه قريب ولا صديق قريبه ولا صديقه أفل شيء من النفع. ولا أحد من هؤلاء الموالى العاصين، ينصّره غيره بدفع العذاب عنه. لكن من رحمته الله من عباده المؤمنين فإنه لا يحتاج إلى غيره. وهو من غلبت حسناته سيئاته، إنه سبحانه هو العزيز أي الغالب في انتقامه من أعدائه الرحيم بالمؤمنين، ثم بين سبحانه ما سيلاقيه الكافر في جهنم لعل كخار مكة ينزحرون فقال:.. (إن شجرة الزقوم)... إلخ. أي إن طعام الأثيم في جهنم سيكون من مثل هذه الشجرة الخبيثة الطعم والرائحة. فإذا ما دخل في البطون كان كالمدمن المذاب على كغلى الماء البالغ النهاية في الحرارة. ويقال للزبانية خذوا هذا الأثيم فادفعوه بشدة في وسط جهنم. ثم صبوا فوق رأسه من الماء الذي يغلي ليؤرد عذابه، انظر آيتي (٢٠، ١٩) من سورة الحج صفحة ٤٣٦. وقولوا سخرية به، ذق النبل اليوم لأنك كنت تدعى أنك عزيز كريم وإذا بك ذليل مهين. ثم يقال لمنكرى البعث: إن هذا العذاب هو ما كنتم تشكلون فيه في الدنيا مع قيام ألف دليل عليه، انظر الآية (١٤) من سورة الطور صفحة ٦٩٧. وعندما ذكر ما سيلاقيه الكافر من الأحوال شرع في بيان ما يلاقيه المؤمن من النعيم فقال: (إن المتقين).. إلخ. أي إن الذين اتقوا الله في الدنيا سيكونون في محل فائون من الموت ومن كل ما يعجزن. ثم بين بعض هذا النعيم فقال: في جنات وعيون يلبسون ما رق وبهج من الحرير على سرور متقابلين كما في الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤١. الأمر كما ذكرنا لا شك فيه. وزوجناهم بنساء بالغات النهاية في جمال العيون. يطلبون كل ما يشتهون من أنواع المأكلة. آمنين من انقطاعها: لأن الله وعدهم بذلك كما في الآية (٣٢) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤.

المضردات: ﴿رُزِقَ﴾: المراد: سبب الرزق وهو المطر والرزق هنا غير ما ورد في الآية (٢٢) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢.

﴿فأحيا به الأرض﴾: جعلها تبت.

﴿بعد موتها﴾: أي بعد يبسها وخلوها من النبات. ﴿تصريف الرياح﴾: أي تنوع اتجاهها من جهة إلى جهة أخرى. ومن حارة إلى باردة. لحكم يدرکہا المنكرون.

﴿بعد الله وآياته﴾: المراد بعد حديث الله وما فيه من أدلة واضحة. دل على هذا ذكر ﴿حديث﴾ قبله، والحديث هو القرآن، انظر الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠ والآية (٢٣) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩، وعطف الآية على ما قبلها من عطف الجزء على الكل. ﴿ويل﴾: أي هلاك. و﴿أفأفك﴾: كثير

الإفك أي الكذب. ﴿أثم﴾: كثير الآثام أي الذنوب.

﴿فبشره بعداب أليم﴾: هذا تهكم به وإلا فالمراد أنذره وخوفه. ﴿اتخذها﴾: أي جعلها. ﴿هزوا﴾: أي مهزوا بها. ﴿ورأيتهم جهنم﴾: أي أمتهم، كما تقدم في الآية (٧٩) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢. ﴿لا يفتنى عنهم﴾: أي لا ينفخ في دفع شيء من العذاب عنهم.

﴿أولياء﴾: المراد بهم معبوداتهم الباطلة، ورؤسائهم الذين أطاعوهم في معصية الله سبحانه. انظر الآيات (٨٦) وما بعدها من سورة النحل صفحة ٢٥٧ و(١٧) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠ و٥٦١ و(٢٥) من سورة فصلت صفحة ٦٣٣.

﴿رُزِقَ﴾: المراد: أشد أنواع العذاب. ﴿نسخ لكم﴾: انظر شرح الآية (٣١) من سورة لقمان صفحة ٥٤٣.

- | | |
|-------------|--------------|
| (١) الرياح. | (٢) نيات. |
| (٥) آياتنا. | (٦) ورأيتهم. |
| (٣) نياته. | (٤) نيات |
| (٧) بيات. | |

﴿يُوقنون﴾: تقدم في الآية (٤) من سورة البقرة صفحة ٢. المعنى: بعدما بين سبحانه نعم المؤمنين أراد أن يصرح بما يزيد في اطمئنانهم فقال: (لا يذوقون)... إلخ. أي لا يتجرع أهل الجنة مرارة الموت بعد المودة الأولى التي قطعت حياتهم الدنيا. ووقاهم عذاب الجحيم، وحصل ذلك لتفضل ربك أيها النبي عليهم. وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

ثم بين سبحانه حكمة كون القرآن عربياً فقال: (فإنما)... إلخ. أي وإنما سهلنا قراءة القرآن وجعلناه بلغتك التي هي لغة قومك ليتذكروا ويتدبروا ما فيه.

فإنما أن يؤمنوا وإما أن تقوم عليهم الحجة. انظر الآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩، وآيتي (١٩٩، ١٩٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢؛ فإنما لم يهتدوا فانظروا ما سيحصل لهم عندما يأنذرك الله بقتالهم، وأعلم أنهم هم أيضاً ينتظرون لك الموت ليستريحوا. انظر آيتي (٣٠، ٣١) من سورة الطور صفحة ٦٩٨.

سورة الجاثية

﴿حم﴾: تقدم المراد من مثلها أول سورة البقرة. تنزل هذا القرآن هو من الله العزيز القاهر فوق عباده. الحكيم في صنعه. فلم يخلق شيئاً عبثاً.

ثم أرشد سبحانه إلى أدلة حكمته وقدرته فقال: (إن في السموات)... إلخ. أي إن في السموات وما فيها من بدیع المنع ودقيق النظام. والأرض وما فيها من زرع وأشجار وحيوان لأدلة قاطعة على وجود مدبر حكيم، ينتفع بهذه الأدلة المؤمنون، انظر الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة (٣١) والآية (١٩٠) من سورة آل عمران صفحة ٩٥.

وفي خلقكم أيها الناس على أحوال مختلفة من أول تكوينكم في الأرحام إلى مماتكم كما في الآية (١٢) وما بعدها من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦ والآية (٥) من سورة الحج صفحات ٤٣٣، ٤٣٤ والآية (٥٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٨.

وإن في خلق ما بينه سبحانه من الدواب في الأرض والسماء، في كل ذلك أدلة ينتفع بها الذين يدخل اليقين قلوبهم بصحة كل ما في هذا القرآن. وكذا في جعل الليل والنهار يخلف أحدهما الآخر للحكمة المذكورة في آيتي (٧٢، ٧١) من سورة القصص صفحة ٥١٧. وكذا فيما أنزل سبحانه من جهة السماء من ماء... إلخ.

المفردات: «بصائر»: أي سبب نور القلوب كما تقدم في الآية (١٠٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٠ والآية (٤٣) من سورة القصص صفحة ٥١٢.

«ثم حسب»: المراد: ليس الأمر كما يظن الذين كفروا، انظر ما تقدم في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ والآية (٩) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩.

«اجترحوها»: قال الراغب: الاجتراح اكتساب الإثم. وأصل مادته الجرّح: لأن المذنب كأنه جرح نفسه وألمها.

«السيئات»: المراد بها هنا سيئات الكفر بدليل ما يقابلها فيما يأتي.

«سواء»: أي مستويا.

«ولتجزى»: أي فعل سبحانه ذلك لتتمام العدل ولتجزى كل نفس بما كسبت.

«أفرايس»: المراد: أخبرني عن جواب الاستفهام الآتي. انظر الآية (٤٠) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

«على علم»: المراد: وهو عالم بالحق والباطل كما تقدم في الآية (١٧) هنا في هذه السورة ونظيره في الآية (١٤٠) من سورة البقرة صفحة ٢٧.

«فمن يهديه»: «من»: اسم استفهام إنكاري يفيد النفي. أي لا أحد يهديه.

(١) بصائر.	(٢) الصالحات.
(٤٤) السموات.	(٥) أفرايس.
(٧) عشاوة.	(٨) ابتلاء.
(١٠) بادئات.	(١١) صادقين.

المعنى: بعدما ذكر سبحانه بعض ما أنعم به على الإنسان أراد أن يبين أن فضله أعم مما ذكر فقال: (وسخر لكم ما في السموات) ... إلخ وسخر لمصلحتكم جميع ما في السموات من شمس وقمر ونجوم تهتدون بها ورياح ومطر وجميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وحيوان وزروع؛ جميع ما ذكر وغيره منه سبحانه وحده، انظر الآيات (٣٢، ٣٣، ٣٤) من سورة إبراهيم صفحتي ٣٢٤، ٣٢٥. إن في ذلك لأدلة على استحقاقه العبادة وحده، يدرها من يتفكر ويتأمل.

وبعدما أُرشد سبحانه العباد إلى أدلة التوحيد أراد أن يريدهم إلى فضائل الأخلاق، فقال: قل للذين آمنوا... إلخ. أي قل أيها النبي للذين آمنوا بالله ورسوله اسفحوا وأعرضوا عن هؤلاء المشركين إذا نالكم منهم مكروه؛ لأنهم في غفلة الآن عن عقابه سبحانه الذي ينزل به كل من فغل فعلهم، وعمّا قريب سيحل بهم ويجزيكم أيها المؤمنون على ما كسبتم من الصالحات التي منها الصبر على أذية الكفار والإغضاء عنهم بكظم الغيظ، يجزيكم بما لا يحيط به البيان من الثواب العظيم. ثم رغب سبحانه في الإصلاحات وحذر من غيرها فقال: (من عمل صالحاً) ... إلخ. أي من عمل عملاً صالحاً فتنفعه خاص به ومن عمل سيئاً بأن عصي ربه فوبال سيئته على نفسه لا يضر غيره، ثم في النهاية ترعون أيها العباد إلى ربكم يوم القيامة للحساب والعزاء، ثم أراد سبحانه أن يخفف عن نبيه ﷺ ما حصل من قومه ببيان أن هذا من شأن الأمم مع أنبيائهم فقال: (ولقد آتينا بني إسرائيل) ... إلخ. أي ولقد قضاينا على بني إسرائيل بالتوراة والإنجيل وعلمناهم معرفة الحقائق وأسرار الأشياء وجعلنا فيهم أنبياء كثيرين ورزقناهم من طيبات الأرزاق فكانوا كالمملوك، انظر الآية (٢٠) من سورة المائدة صفحة ١٤٠، وفضلناهم على عالمي زمانهم نظر ما تقدم في الآية (٣٢) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨، وآتينا بني إسرائيل في التوراة والإنجيل أدلة واضحة على صدق خاتم الرسل، ولكنهم لما جاء اليقين عند إرساله ﷺ ومعهم العلامات الموجودة عندهم اختلفوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر لمجرد البغي والحسد لأن الرسول كان من غيرهم كما تقدم في الآية (٨٩) من سورة البقرة صفحة ١٧. ثم هددهم سبحانه فقال: (إن ربك) ... إلخ. أي أن ربك أيها النبي سيقضي بين المحق والمبطل منهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب المحق ويعاقب المبطل، وبعد ذلك وأمر سبحانه نبيه والمؤمنين معه أن لا يفعلوا فعلهم فقال: (ثم جعلناك) ... إلخ أي ثم جعلناك الكفر في قريش، فإن آراءهم تابعة لشهواتهم لا مع الحق فلا تتبعهم فإنهم لن ينفكوا في دفع شره مما يريد الله لك إن أطعتهم ولا توالى غير الله؛ لأن الظالم لا يوالى في الدنيا إلا ظالماً أما في الآخرة فلا ولي ولا شفيع.

مقيم. انظر شرح الآية (٩٧) من سورة النحل صفحة ٢٥٩. ولهذا قال سبحانه: سبأ، ما يحكمون. أى قبح حكمهم بالتساوى بين الفريقين. ثم بين سبحانه سبب ذمهم على التسوية بقوله: وخلق الله... إلخ. أى أنه سبحانه خلق السموات والأرض وما فيها لحكمة لا لغيا وعينا. وذلك يقتضى العدل والإنصاف.

وهذا لا يكون إلا بعد مساواة المحسن بالمسيء. انظر تفصيل ذلك فى شرح آيتى (٥، ٤) من سورة سبأ صفحة ٥٦٢، ٥٦٣. ولهذا قال: فوَلْتَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ... إلخ. أى هل وقعت أيها السامع على حال هؤلاء الضالين فتخبرنى عن الإنسان الذى يطيع شهوات نفسه ولا يخالفها أبداً كأنها إلهه الذى يعبد، وعاقبه الله بخلق باب الهداية فى وجهه حال كونه هذا الضال عالما بما هو حق وما هو باطل. وختم على سمعه فلا تؤثر فيه موعظة. وعلى قلبه فلا يفكر فى دليل الحق. وجعل بصره لا يرى آيات الله فى الكون كأن عليه غطاء؛ إنسان كهذا هل فى الكون من يستطيع أن يهديه بعدما عاقبه الله تعالى بهذا الإضلال؟ انظر آيتى (٦، ٧) من سورة البقرة صفحة ٤. هل عدمتم أيها الكفار ملاحظة ذلك فلا تتذكرون فاعتبرون؟

ثم بين سبحانه بعض أسباب إضلالهم فقال: (وقالوا)... إلخ. أى وقال من يذكر البعث من كفار مكة وغيرهم ليس هناك إلا هذه الدار التى يسميها محمد الدنيا يموت منا قوم ويخلفهم آخرون، وليس بعد ذلك بعث ولا قيامة. وما يهلكنا إلا طول الزمن، أى لا ملك يقبض الأرواح كما يقول محمد، وأن الله تعالى لا دخل له فى ذلك، هذا ما يقوله مشركو العرب والديرية الذين لا يؤمنون بوجود الله تعالى، فهم يزيدون عن كفر قريش إنكار الإله بعد اتقاقهم معهم فى إنكار البعث.

وليس لكل هؤلاء قيم. ذكروا من إنكار الحياة الأخرى ونسبة الهلاك إلى الدهر علم يستند إلى عقل أو نقل صحيح. وما هم إلا يغمنون تخميناً باطلاً لا يقين من الحق شيئاً. ومن عبوتهم أنهم إذا تلقى عليهم آياتنا واضحات فى إثبات البعث لا يكون عندهم حجة يرفعونها إلا قولهم: إن كنت صادقاً يا محمد أنت ومن معك فأحبوا آياتنا الأولى حتى تؤمن بك.

فلموت ونحيا؟ أى يموت بعثنا ويحيا بالولادة آخرون. كما تقدم فى الآية (٣٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٩.

والمراد: ليس هناك بعث بعد الموت ولا جنة ولا نار. كما يقول بعض الذين يدعون أنهم رسل الله.

والدهر: هنا هو الزمن الطويل وكان العرب فى الجاهلية يسيبون كل حادث إليه. فمن ذلك قول الشاعر:

أشباب الصغير وأقنى الكبير * كُرُ الفداء ومسرُ المشى

فمن علم؟ فومن للنص على عموم نفي ما بعدها.

فإن هم؟ فإن حرف نفي بمعنى هوما.

فحجتهم؟ سماها حجة فهكما بهم ولا فنى ليست فى شيء من الأدلة.

فانتوا يا بائنا؟ خطاب من كل أمة كافرة لنبيهها. انظر الآية (٣٦) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨.

المعنى: إن الظالمين أنفسهم بالشرك كما فى الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠ بعضهم أولياء بعض.

أما المؤمن الذين يتقون الله، قاله ولهم وانصروهم يخرجهم من الظلمات إلى النور كما فى الآية (٢٥٧) من سورة البقرة صفحة ٥٤.

ثم بين سبحانه فضله بإزالة القرآن فقال: (هذا بسمائ) ... إلخ. أى هذا القرآن بما فيه من تعاليم تثير طريق الصواب بمنزلة البصائر للقلوب التى ترشد إلى طريق النجاة وهو قوى الهداية وسبب رحمة لمن يوقن بصحته فينتفع بما فيه.

ثم أراد سبحانه أن يبين الفرق الواضح بين حال المحسنين والمسيئين فقال: (أم حسب) ... إلخ. أى بل هل يظن الذين اكتسبوا السيئات بفقرهم بالله وتكذيب رسله أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فتسوى بينهم فى الدنيا والآخرة؟

كلا. فإن المؤمن فى الدنيا مطمئن القلب فى سعادة روحية وفى الآخرة فى نعيم دائم. والكافر فى الدنيا فى قلق وخوف من زواله من الدنيا أو زوالها عنه وهو فى الآخرة فى عذاب.

المعنى: قل أيها النبي لمنكري البعث: الله وحده هو الذي يحييكم ابتداءً، ثم يميتكم عند القضاء أجالكم، أي لا البهر كما ترغمون ثم يجمعكم مسوقين إلى جزاء يوم القيامة، انظر ابتي (٧٣، ٧١) من سورة الزمر صفحة ٦١٦. لا شك في هذا الجمع.

والمراد: إن من قدر على خلقكم أولاً قادر على إعادتكم ثانياً، بل هذا عليه أهون كما في الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٣٤. ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك لإهمالهم التفكير الصحيح وانهمالهم في شهوات الدنيا، وإنما لم يجههم سبحانه لمأطلوا لأنه يعلم أنهم إذا فعل لا يؤمنون كما في الآية (١١١) من سورة الأنعام صفحة ١٨١ وعند ذلك يحل بهم عذاب الإقناء، وهو سبحانه لا يريد ذلك لأمة خاتم المرسلين، انظر الآية (٥٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢.

ثم ذكر سبحانه دليلاً آخر على قدرته على البعث، وأنبه بتخويفهم مما سيكون بعده فقال: ولله ملك السموات... إلخ. أي أنه سبحانه مالك العالم كله علويه وسطويه لا يجري فيه حكم غير حكمه، وليس لأصنام ولا لدهر فيه تصرف، ويوم تقوم القيامة في هذا اليوم يخسر الغارقون في الباطل كل خير، وتقرى - يا من يصح أن ترى - في ذلك اليوم كل أمة جاثية أفرادها على ركبهم من شدة الهول والرعب انتظروا لما يقضى به عليهم أو لهم وذلك عقب ندائها باسم إمامها كما في الآية (٧١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٤.

ثم يدعى أفراد كل أمة إلى تسلم كتب أعمالهم ويقول الله سبحانه لهم: اليوم تجزون بأعمالكم خيراً أو شراً، فلا ظلم، لأن هذا الكتاب الذي أمرنا به يشهد عليكم ما فيه، شهادة حق لا زيادة فيه ولا نقص، لأننا كنا أمرنا الملائكة أن تكتب فيه ما كنتم تعملون فقط، وهم لا يعصون الله فيما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون به، ثم بعد انتهاء الحساب يوزعون.

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم رحمهم في رحمته، والمراد بها هنا الجنة. ذلك هو النور الواضح الذي لا فوز بعده، وأما الذين كفروا فيقول سبحانه لهم توبيخاً وإقامة للعجة: هل أملمتكم فلم يكن رسلي يتلون عليكم آياتي المنزلة وفيها إرشادكم إلى الصواب، فاستكبرتم عن الإيمان بها وتباعدت الرسل وذلك لأنكم تمرنتم على الإجماع ومن أفضله الكفر بالله؟ وإذا قال لكم رسل الله: أن وعد الله والحساب والجزاء حق، وقالوا لكم: الساعة آتية لا شك فيها، قلتم مستهزئين لا علم لنا بهذه الساعة، وما نظن في أمرها إلا ظناً، وليس عندنا فيها يقين، أي ونحن لا نعلم حساباً لما لا نستيقنقه، وبعد هذا التوبيخ ظهر لهم جليا قبيح أعمالهم وأحاط بهم المذاب من كل جانب.

قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ وَيُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْكُمُ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
لَآ رَبَّ إِلَهٍ إِلَّا أَنَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَلَا تَنسَوْنَ اللَّهَ
مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوسِّدُ
بَحْرُ الْمَوْتِ ۖ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ قَائِمُونَ ۝ هَذَا كِتَابُنَا
أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ وَأَنَّا مُنذِرُونَ ۝ يَعْلَنُ
عَلَيْكُمْ يَٰحَقُّ أَنَّا نَعْتَمِدُ مَكَرَكُمْ مُنذِرُونَ ۝
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِي رَحْمَةٍ ۖ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْبَاقِي ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَعَلِمَ تَكْوِيلُ ءَايَاتِي أَنَّهُمْ عَلَىٰ كَيْدٍ مُّبِينٍ ۖ وَكُنَّا
نَجْزِيهِمْ ۖ وَإِنَّا قَائِلُونَ إِنَّكَ وَأَنْتَ أَهْلُ الْآثَانِ
فِيهَا فَلَمْ تَأْتِرْ مَا نَعْنَعُ إِنَّا نَظُنُّ آلَ ظُلَمٍ مَّكِيدِينَ
يَسْتَعْجِلُونَ ۖ وَبَدَأْهُمْ سِيفًا مَّاءِثًا وَعَمِلُوا زَمَانًا
يَسْتَعْجِلُونَ ۖ وَبَدَأْهُمْ سِيفًا مَّاءِثًا وَعَمِلُوا زَمَانًا

المفردات: ﴿لَا رَبَّ إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: أي لا شك فيه.
﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: هذا توكيد لـ ﴿يَوْمَ﴾ السابق.
﴿بَحْرُ الْمَوْتِ﴾: المراد: المستمرون على الباطل.
﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾: أي بركة على الركب كهيئة الخائف المتذلل.
﴿فَدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾: المراد: يدعى كل واحد منهم لأخذ كتاب أعماله، إما بيمينه، وإما بشماله. انظر الآية (١٩) وما بعدها من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢، ٧٦٣.
﴿يُنْظَرُ﴾: المراد يسجل ويشهد ما فيه بالحق، فهو نطق بلسان الحال لا بلسان المقال. انظر الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١ والآية (٤٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧، ٣٨٨.

﴿نَسْتَنْسِخُ﴾: أي نطلب من الملائكة الحفظة نسخ وكتابة أعمالكم التي تصدر عن جوارحكم وقلوبكم، انظر الآية (٢١) من سورة يونس صفحة ٢٦٩ والآية (٨٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥.
﴿الْمَبِينِ﴾: أي الواضح، انظر الآية (٦٨) من سورة البقرة صفحة ٣٢ والآية (٧) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.

﴿مُسْتَعِجِينَ﴾: أي متعجلين.
﴿بَدَأَ لَهُمْ﴾: أي ظهر لهم. ﴿حَاقَ﴾: نزل وأحاط.

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) القيامة. | (٢) السموات. |
| (٤) كتابنا. | (٥) أمثوا. |
| (٧) آياتي. | (٦) كتابها. |
| | (١) الصالحات. |

الغنى: قل أيها النبي كفار قومك لست غير مستبوق برسول جاءوا به من التوحيد ومكارم الأخلاق. بل سبقتي كثير منهم بذلك ولست أدري على التفصيل ما فعله الله بي ولا بهم إلا من جهة ما يرحبه سبحانه إلى هل أخرج من بلدي أم تؤمنون وأبقى معكم، وهل سيعجل لكم العذاب أم يؤخره للأخرة، ولا أتبع في عملي إلا ما يوحيه سبحانه. وما أنا في الحقيقة إلا بشر اختاره الله ليكون للمالين نذيراً واضح الإندار انظر شرح الآية (١) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٠. قل هم أخبروني ماذا يكون حالهم إن توارى الدليل بعد الدليل. وثبت أن هذا القرآن من عند الله، لا يستح ولا كذب كما تزعمون، والحال أنكم مع ذلك كفرتم به، وسيأتي من بني إسرائيل عاهاء بالبوراة يشهدون على صحة كتب الله السابقة التي تعاقب القرآن في الدعوة إلى التوحيد، وأصول العقائد... إلخ مايل على أن هذا القرآن من عند الله، انظر الآيات ١٦٢ إلى ١٩٧ من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢، ٤٩٣ وأتيت (١٩، ١٨) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤. إن ثبت كل ذلك فاقم هذا الشاهد واستكبرتم أستمث تكونون ظالمين؟ قلن يهديكم الله أنبأ: لأنه سبحانه لا يهدي الظالمين: ثم شرع سبحانه في حكاية نوع آخر من معاملتهم فقال: وقال البرون... إلخ. أي وقال كفار مكة عن الذين آمنوا من الفقراء والضعفاء كعمار بن ياسر وبلال مثلاً: لو كان مجاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء، قالوا ذلك لزعمهم أن الخير لا يصل إلّا أن كان غنياً واسع الجاه، انظر الآية (٢١) من سورة الزخرف صفحة ١٥٠. ولما رواه في العقاد حين لم يهتدوا بهذا القرآن فقالوا فيه ما قالوا وسيعولون أيضاً أنه كذب من نوع أساطير الأولين المتقدم في الآية (٢١) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١. ولما كان كذبهم ذكراً يردون إلى أهل الكتاب لعلمهم بغيرهم ما يساعدهم على تكذيبه كما تقدم في شرح الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩ والآية (٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١. أراد سبحانه أن يبين أنهم هذا أن في كتب أهل الكتاب الصحيحة مايل على أن ما في القرآن حق، وأن رسوله صادق فقال: (ومن قبله) ... إلخ. أي كيف يصح أنه كذب والحال أن كتاب الله تعالى، مصدق لما في كتاب موسى من أصول الشريعة حال كونه بلسان وهذا القرآن كتاب من الله تعالى، ومصدق لما في كتاب موسى من أصول الشريعة حال كونه بلسان عيسى ليبيّن أن يعز به الرسول المرسل الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، وهو مع ذلك بشري للمؤمنين المحسنين لعلهم وأعمالهم. وبعد ما ذكر سبحانه طريق أهل الباطل أرشد إلى طريق أهل الحق، وعزّاهم قوة ل: (إن الذين قالوا) ... إلخ. أي إن الذين اعترفوا بلسانهم بما يتفق مع ما في القرآن من أنه لا إله إلا الله ثم استقاموا على شريعة الله سبحانه فلا خوف عليهم من مكروهه ولا يضرّون لفوات موعده، هؤلاء هم أصحاب الجنة جالدين فيها. أعطاهم الله ذلك جزاء بما كانوا يعملون.

الرَّحِمِ ۖ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ أَنْ أَتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا أَنْذِرُ مُبِينٌ ۖ قُلْ أَزِيدُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَكَفَرُوا بِهِ وَيُذِيقُهُمْ مِنْ نِعْمَتِ اللَّهِ وَأَسْرَارَ ۚ قُلْ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَكُنْ وَلَا تَسْكُرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْ كُنَّا غَيْرًا مُبِينًا ۚ وَإِذْ لَوْ تَسَاءَلُوهُ فَسَقُّوهُمْ هَذَا أَفَّاكٌ قَدِمَ ۖ وَمِنْ قَبْلِهِ كَذَبَ مُوسَىٰ بِمَا وَدَّعَىٰ وَوَدَّ أَنْ يُكَلِّمَ مُعَذِّقٌ لِّسَانًا مَعْرِيبًا يُبَيِّنُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَلِمَ وَيُنَزِّلُ الْغُثَّيْنِ ۚ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَرْنَمِ ۚ اللَّهُ أَفَّاكٌ أَتَمُّ ۖ فَلَا تُخَوِّفُهُمْ وَلَا تُمْحَرُّونَ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْخَيْبَةِ عَمَلُوا فِيهَا بِرَأْيِهِمْ يَنْسِفُونَ ۚ

المائدة صفحة ١٥٢، ١٥٤. انظر شرح الآية (٢١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٧. فوحي مثله: المراد: على صحة كتب الله السابقة الماثلة للقرآن في الدعوة إلى التوحيد، وأصول التفصيل. وهذه الآية رقم (١٠) مدنية: لأنه لم يسلم أحد من اليهود أو النصارى إلا بعد الهجرة. وللذين آمنوا: اللام بمعنى فمن: أي تحدثوا عن الذين آمنوا، فهي كاللام المتقدمة في قوله في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٦٦٦. فوفا لم يفتدوا به: فوفا هنا بمعنى لام التعليل. كما تقدم في الآية (١٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٧ والآية (٢٩) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١. والغنى: ولا جل عدم هدايتهم بالقرآن فسيقتلون عليه كذباً. فوفاك قديم: الفاك هو أقيح أنواع الكذب والرداء: كذب من جنس أساطير الأولين. فوفاك بقله: أي قبل القرآن الكريم. فوفاك كتاب مصدق: أي القرآن. فوفاك ما: أي قدوة يؤتم به في دين الله كما يؤتم بالإمام. فوفاك كتاب مصدق: أي وهذا القرآن مصدق لما قبله حال كونه بلسان العرب. انظر شرح الآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩.

المفردات: - فوفاك: البديع والبديع هو الذي لم يسبق له مثيل، أي ما أنا بأول رسول جاء بالتوحيد، ومكارم الأخلاق. فوفاك ما

يفعل بي: ... إلخ. أي في هذه الدنيا، هل أموت قبل أن تؤمنوا جميعاً، أم يؤمن أكثركم.. إلخ. وما أشبه ذلك مما لا يحيطه إلا الله. فإن أتبع: فإن: حرف نفى بمعنى ما. أي ما أتبع. فوفاك: أي معذرة من غضب الله

سبحانه لن يغضبه. فوفاك: تقدم شرحها في الآية (٤) من هذه السورة صفحة ٦٦٦. فإن كان: أي القرآن الكريم. فوفاك: كعبد الله بن سلام من اليهود. ومن النصارى كالذكورين

في قوله تعالى. فوفاك بأن منهم قسيسين ورفسانا في الآيات (٨٢) إلى (٨٤) من سورة

المائدة صفحة ١٥٢، ١٥٤. انظر شرح الآية (٢١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٧. فوحي مثله: المراد: على صحة كتب الله السابقة الماثلة للقرآن في الدعوة إلى التوحيد، وأصول التفصيل. وهذه الآية رقم (١٠) مدنية: لأنه لم يسلم أحد من اليهود أو النصارى إلا بعد الهجرة. وللذين آمنوا: اللام بمعنى فمن: أي تحدثوا عن الذين آمنوا، فهي كاللام المتقدمة في قوله في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٦٦٦. فوفا لم يفتدوا به: فوفا هنا بمعنى لام التعليل. كما تقدم في الآية (١٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٧ والآية (٢٩) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١. والغنى: ولا جل عدم هدايتهم بالقرآن فسيقتلون عليه كذباً. فوفاك قديم: الفاك هو أقيح أنواع الكذب والرداء: كذب من جنس أساطير الأولين. فوفاك بقله: أي قبل القرآن الكريم. فوفاك كتاب مصدق: أي القرآن. فوفاك ما: أي قدوة يؤتم به في دين الله كما يؤتم بالإمام. فوفاك كتاب مصدق: أي وهذا القرآن مصدق لما قبله حال كونه بلسان العرب. انظر شرح الآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩.

- (١) أنبأ: (٢) إسرائيل (٣) فافق (٤) الظالمين (٥) آمنوا (٦) كاذب (٧) استقاموا (٨) أمسح (٩) خالدين (١٠) خالدين

المفردات: : ﴿وَأَوَّلَ دَرَجَاتٍ﴾: أى سُرَاتِبَ
حسبَ عمل كل واحد. ﴿وَأَوَّلِيهِمْ﴾: الأصل
وجازاهم سبحانه بذلك. ﴿عَذَابُ الْهُونِ﴾: أى
الهُونَ والنل كما تقدم فى الآية (١٧) من
سورة فمات صفحة ١٣٢. ﴿وَأَخَا عَادَ﴾: هو
بنى الله هود عليه السلام، و ﴿عَادَ﴾ هى عاد
الأولى الآتى ذكرها فى الآية (٥٠) من سورة
النجم صفحة ٧٠٢. ﴿وَأَنْزَلَ﴾: أى حذر وخوف
﴿وَالْأَحْقَافَ﴾: جمع حَقِيف يكسر فسكون، وهو
الرمل المستطيل مع ارتفاع وانحناء، والمراد:
الأودية التى حوله باليمن عند (حضر موت)،
انظر الآية (٢٤) الآية فى هذه السورة.

﴿خَلَّتْ﴾: أَصْلُ مَعْنَاهَا مَضَتْ، وَالرَّادُ هُنَا كَثُرَتْ قَبْلَهُ.

وحواله في أمم غير أمته لا يعلمهم إلا الله، انظر الآية (٧٨) من سورة غافر صفحة ١٢٨.

﴿النور﴾: جمع نؤير. والمراد: الرسل الذين يحذرون أممهم من عذاب الله سبحانه إذا

• gust

هَـيْـنَ يَدِيْهِ) : اَيْ قَبْلَ اِرْسَالِهِ ؛ وَقَدْ جَاءَ فِى اسْتِعْمَالِ هَـيْـنَ يَدِيْهِ) فِى الزَّمَنِ السَّابِقِ كَمَا

في الآية (٩٧) من سورة البقرة صنفعة ١٩، والآية (٥٠) من سورة آل عمران صنفعة ٧١، وآية

(٤٨، ٤٦) من سورة المائدة صفحة ١٤٦، وقد جاء كناية عن جميع الجهات في الآية (٣٥٥) من

سورة البقرة صفحة ٥٣.

(٤) حلیاتکم.

$\cdot \text{pe}^i \text{lac}^i(r)$

$$\dot{\gamma}_i(\gamma)$$

(٦) الصباذقيين.

(۵) آلتا.

سورة الأحقاف

ثم فيه سبحانه إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن إذا بلغ رشد، فقال: حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

وفي المدة التي يكتمل فيها العقل. ولهذا قال ابن عباس (مَنْ أُنِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ عَامًا وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرُّهُ فَلْيَتَجَبَّزْ إِلَى النَّارِ) فإذا بلغ الإنسان كمال العقل قال يارب وقفتي شكر نعمتك على وعني والدي لأن الإنعام على الوالد: إنعام على ولده، وأن أعمل مصالحا ترضاه وأجعل الصلاح ساريا في ذريتي لأنتفع بدعائهم في الدنيا وأتمتع بالاجتماع بهم في الجنة. انظر الآية (٢٢) من سورة الرعد صفحته ٢٢٥. إني تبت إليك مما يكون قد حصل مني مما لا يرضيك.

وإني من الخاضعين لأوامرك. ثم قال تعالى: .. الخ. أي هؤلاء المؤمنون الذين هذه صفاتهم هم الذين نقبل منهم.

أى تعطيلهم ثواب أعمالهم كلها على قدر أحسنها وتجاوز أى نصيح عما وقع منهم فى الدنيا من ذنوب لم يصبروا عليها. انظر الآية (١٢٥) من سورة آل عمران صفحتى ٨٤، ٨٥ بخازنهم هذا الجراء حال كونهم معدودين فى أصحاب الجنة. فحقق لهم بذلك وعدنا الصاق الذى كانوا يوعدون به على ألسنة رسلنا.

وبعدما فرغ سبحانه مما ينبغي أن يكون عليه المؤمن ذكر حال الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث فجمع أفضح الجرائم فقال: والذي قال لوالديه... إلخ. أي الطريق من الناس الفجار الذي يقول لوالديه عندما يحلضان منه أن يؤمن بالبعث: إنني أتضجر من جهلكما فكذبنا عن هذا التوراة.. هل يصح أن تعداني بالخروج من القبر والحال أن الأمم التي مضت قبلي لم تخرج من قبورها؟

يقول لهما ذلك والحمدان أنهما يطلبان من الله أن يعيشتهما برجوعه عن الكفر، ويقولان له هلكنا إن لم تؤمن. فأسرع إلى الإيمان بالله وبالعيش لأن وعد الله بالقيامة حق. فيقول ما هذا الذي تقومون له إلا أكاذيب من أكاذيب الأولين. هؤلاء الذين يفعلون هذه الجرائم وجب عليهم العذاب حال كونهم، فسي عدد أفعي سبقتهم ففعلت ففعلهم. والمراد أن سنة الله في معاملته الكفار واحدة وإن عدله لا يختلف.

﴿من خلفه﴾: أى بعد إرساله. ولكنهم كانوا فى أزمانهم يحذرون أمهم بمثل تحذيره، انظر الآية (١٤) من سورة فصلت صفحة ٦٣١.

﴿لئلا فتنكم﴾: أى لتصرفن، انظر شرح الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢.

﴿تجهلون﴾: المراد: تجهلون وظيفة الرسل وأنهم إنما جاءوا مبغين لامعدين. ﴿أرو﴾: أى العذاب الذى هددهم به عندما جاء فى صورة سحاب.

﴿عازضاً﴾: هو السحاب الذى يخرج عريضا فى الأفق. ﴿مستقبل أوديتهم﴾: أى مقبلا عليها.

المعنى: هؤلاء الذين حل بهم العذاب كانوا ضمن أمم من الجن والإنس، وعذبناهم لأنهم استمروا على الخسران فى كل حياتهم فأفسدوا فطرتهم التى هى رأس مال النجاة، فلم يفعلوا مما ينفعهم فى الآخرة شيئا.

وفى الآية دليل على أن الجن يموتون قرنا بعد قرن كالإنس. ثم بين سبحانه أن لكل من فريقى المؤمنين والكافرين مراتب متفاوتة فى التعيم والعذاب فقال: (ولكل درجات) ... إلخ. أى لكل فرد من أفراد المؤمنين والكافرين منزلة فى الجنة أو النار تناسب عمله، فمن المؤمنين من هو فى أعلى درجات الجنة. ومن الكافرين من هو فى الدرك الأسفل من النار.

وجازاهم سبحانه بذلك ليوفيهم جزاء أعمالهم. وهم لا يظلمون. فلا ينقص من المؤمن شئ مما قدر له. ولا يزداد الكافر فوق ما قدر له.

واذكر أنها النبى لكفار قومك ماسيلاقبونه من الهول يوم يعرضون على النار، والمراد يدخلونها.

- ويقال لهم توبيخاً: استفتدتم ملائكتكم فى الدنيا ثم بين ذلك بقوله: واستمتعتم بها أى جعلتم كل همكم فى الدنيا هو إشباع شهواتكم حتى تعطلت عقولكم عن التفكير فيما فيه نجاتكم من العذاب الخالد، فصرتم كالنبهائم التى لاتعرف ماسيكون فى مستقبلها بل كنتم أضل للاتعرفون رحمة بقيق، ولاشفقة على ضعيف.

انظر الآية (١٢) من سورة محمد صفحتى ٦٧٢، ٦٧٣ والآيات (١، ٢، ٣) من سورة الماعون صفحة ٨٢٣. ولهذه الآية خاف كثير من السلف التوسع فى إرضاء شهوات أنفسهم، والذى يتبع سنته ﷺ يعلم أنه ينبغى للإنسان أن يأكل ما وجد، ولا يجهده نفسه فى البحث عما لايجد من أسباب الشهوات، ولا يتكلف الطيب من اللذات ويتخذة عادة.

وقد كان ﷺ يشبع إذا وجد. ويصبر إذا فقد. ويأكل الحلو إذا قدر، ويأكل اللحم إذا تيسر. ولا يتعمده أبدا. ولم يجعله له عادة هداانا الله لسنته. ثم يقال لهؤلاء المجرمين فالיום تجزون العذاب المهين بسبب أنكم كنتم فى الدنيا تستكبرون فى الأرض بالباطل، وكنتم تقسقون. أى تخرجون عن أوامر ربكم. انظر الآية (٢١) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٣، ولما كان كفار مكة غارقين فى شهواتهم معرضين عن الإيمان ناسب تذكيرهم بما حصل للعرب الأول ممن كانوا أقوى منهم.

فقال: (واذكر أبا عاد) .. إلخ. أى واذكر أنها النبى لكفار قومك قصة هود حين حذر قومه بالأحقاف لما كذبوه، وخوفهم من عذاب الله. وقد سبقته تحذيرات رسل لأهمهم كما جاء تحذيرات لم تخل منها أمة. انظر الآية (٢٤) من سورة فاطر صفحتى ٥٧٤، حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم. وقال لهم لاتعبدوا إلا الله.

إنى أخاف عذاب يوم عظيم الهول إذا بقيتم على كفركم. فقالوا رداً عليه: هل جئنا تنصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فإن كنت صادقاً فى أنه سينزل بنا عذاب فأت به. فقال لهم: لا يعلم وقت نزول العذاب غيره تعالى وليس على إلا أن أتلكم ما أرسلنى به ربى، وكنت أظن أن فيه الكفاية لإرجاعكم عما فيه هلاككم. ولكن تبين لى أنكم قوم لاترجعون من الجهل أبداً. وكان من آثار ذلك أنكم تقترحون للرسل ما ليس من وظيفته. وهو إنزال العذاب بمن يخالفه، ولكنى أظنكم قوماً تجهلون وظيفة الرسول. وهى أنه مبلغ فقط. بعد ذلك أمر سبحانه بتنفيذ ما تدعوهم به.

فأرسل عليهم الريح. ظهرت لهم أول أمرها فى صورة تسحاب ممتد فى عرض الأفق مقبلا على أوديتهم التى يشيرون فيها.

فاستبشروا وقالوا: (هذا سحاب معطرنا) .. إلخ.

حرف يفيد إبطال ما قبله، وإثبات ما بعده. ﴿فصلوا﴾: أى غلبوا ووقدوا، انظر الآية (١٩٧) من سورة الأعراف صفحتى ١٩٧، ١٩٨ والآية (٧٤) من سورة غافر صفحة ٦٢٧.

﴿وافكهم﴾: قال القرطبي ﴿الإفك﴾ بكسر فسكون مثل ﴿الأفك﴾ يفتحتين معناهما: الصرف عن الصواب، كما قالوا فى ﴿الحذر﴾ بكسر فسكون، مثل ﴿الحذر﴾ يفتحتين معناهما الاحتراس، انظر الآية (٧١) من سورة النساء صفحة ١١٢ لتعرف معنى الحذر، وانظر معنى مادة الإفك فى الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢. والمراد: أن عدم نفع ألهمهم ناتج عن صرف أنفسهم عن الحق والباطل، ولو صرفوا إلى عبادة الإله الحق لنفعهم، وناتج أيضا عن افتراءهم بأن لله شركاء كما سيأتى.

﴿يفترون﴾: أى يكذبون، قاصدين الكذب بأن لله شركاء.

﴿صرفنا إليك﴾: المراد: يسرنا لهم التوجه إليك.

﴿فنفرا من الجن﴾: النظر عدد قد يصل إلى أربعين، وأقله ٣، وجمعه أنفار، انظر معنى المادة فى شرح الآية (٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥.

المعنى: لما رأت عاد ما فى الأفق قالوا هذا سحاب يأتينا بالطر، وكانوا فى شدة الحاجة إليه، فقال لهم هود كلا بل هو ما استعجلتم به من الهلاك، هو ريح فيها عذاب أليم، تدمر وتهلك كل شئ مرت عليه من الأنفس والأموال ياذن ربها، انظر الآية (٤١) وما بعدها من سورة الذاريات صفحة ٦٩٥.

ثم وصلتهم تلك الريح فاهلكتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وبمثل هذا الجزء الشديد يجزئ الله كل قوم أجرتمو وعملوا مثل عمل عاد، انظر الآيات (٨، ٧، ٦) من سورة الحاقة صفحتى ٧٦١، ٧٦٢، ثم تبه سبحانه كذا مكة إلى أن هلكهم أيسر فقال: ولقد أى ولقد أقرنا عاداً فى نعيم وعز لم نعطه لكم، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيها خلقت له. ويعرفوا عن طريقها كل ما ينفعهم النفع الصحيح، فلم ينفعهم سمعهم شيئاً لأنهم لم يحسنوا استماع الوحي، ولا أبصارهم لأنهم لم يذكروا بها آيات الله فى الكون، ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها فى البحث عن الحق وفيما يجب لله وما يستحيل عليه تعالى، لم ينفعهم واحد منها أقل نفع، لأنهم مرذوا على إنكار آيات الله والتعاضى عنها، ونزل بهم العذاب الذى

هَذَا عَرِشٌ مُّغِيرٌ ۚ بَلْ هُوَ آسَنَ عُرْشِكُمْ بِهٖٓ رِجٌّ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَذَكَّرْ كُلَّ نَفْسٍ يَأْمُرُ رَبِّهَا فَمَا تَصْعَدُ إِلَّا رِجًّا ۚ لَا يَرْجَى إِلَّا سَكُنَ ۚ كَذَلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْجَحِيمُ ۝ وَلَقَدْ نَكَّيْنَاهُمْ فِيمَا إِنْ نَكَّيْنَكَ فِيهِ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ وَابْصَرًا وَوَهْدَةً قَلْبًا غَفَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا اقْبَاسَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِذْ كَانُوا يَجْعَلُونَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ وَحَاقَ رَبِّمَا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا وَرَثَكُمْ مِنَ الْفَرِيِّ وَصَرَّفْنَا الْآيَةَ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ ۝ قُلْ لَا تَهْرَمُ إِلَٰهٌ لَّنِ احْمَدُ مَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْآنًا عَاقِبَةً ۚ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِنَّا كُنْهُمْ وَمَا كُنَّا بِمُعْزِزِينَ ۝ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ ذِكْرًا مِّنْ آيَةٍ ۚ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرَهُ فَأَلَمُوا أَلَيْسَ لَّنَا لِقَآءُ قَوْمٍ ۚ وَلَٰكِنَّا نَقْرُنُهُمْ

المفسرات: ﴿ههمطربنا﴾: أى منزل المطر علينا فيكثر الخير. ﴿وفيما إن مكلاكم فيه﴾: ﴿إن﴾ حرف نفى، أى فى الذى لم نمكلكم فيه ياكفار مكة. انظر الآية (١) من سورة الانعام صفحتى ١٦٢، ١٦٣. والمراد: كانوا أقوى منكم ومع ذلك أهلكناهم ﴿أفئدة﴾: أى قلوبا ليعقلوا بها.

﴿فما أغنى عنهم﴾: أى لم ينفعهم، انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢.

﴿من شئ﴾: ﴿من﴾ حرف يفيد النص على عموم نفى ما بعده. ﴿إذ كانوا﴾: ﴿إذ﴾ حرف تعليل، أى لأنهم كانوا. ﴿يرجعحدون

سورة النمل صفحة ٤٩٥.

﴿حق بهم﴾: أى نزل وأحاط بهم انظر الآية (٤٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٢. ﴿أهملنا

ما حولكم﴾: أى ياهل مكة من الأمم المكذبة بالرسول، انظر الآية (٤١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨ والآية (٤٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥. ﴿فوصرفنا الآيات﴾: أى نوعنا البراهين وانظر معنى التصريف فى آيتى (٨٩، ٤١) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٩، ٣٧٠. ﴿وقلوا...﴾

﴿إخ﴾: أصل معناه طلب حصول ما بعده، وتقدم معناها فى الآية (٣٩) من سورة الكهف صفحة

٣٨٦ والآية (٤٦) من سورة النمل صفحة ٥٠٠. والمراد بها هنا التهكم، ﴿فقرئنا﴾: مفعول لأجله، أى للتقرب بهم إلى الله، انظر الآية (٣) من سورة الزمر صفحتى ١٠٥، ١٠٦. ﴿قيل﴾:

- (١) مساكنهم. (٢) مكائهم. (٣) أنصارهم. (٤) أنصارهم. (٥) أبصارهم.
(٦) آيات. (٧) الآيات. (٨) آية. (٩) القرآن.

المفردات: . «من بعد موسى»: أى من بعد إنزال كتاب موسى، وهو التوراة؛ واقتصروا عليه لأنه متفق عليه بين الجميع، ولأنها هي أصل الشريعة، والإنجيل تابع ومستمع بما يناسب وقته.

«داعى الله»: يريدون به الرسول ﷺ.

«بمعجز»: أى لا يعجز الله تعالى بالهروب من عقابه، انظر الآية (١٢) من سورة الجن صفحة ٧٧١.

«لم يعى بخلقهن»: أى لم يتبهم خلقها.

«بقادر»: الباء لتأكيد ربط القدرة بالله

سبحانه وتعالى، وكذا الباء فى «بالحق» الآية، فإنها لتأكيد ربط مايعدها باسم الإشارة قبلها. وهو «هذا» «أليس هذا.. إلخ»: الاستيفهام المفيد للنفى هنا للتوبيخ والباء فى «بالحق» تفيد تأكيد ثبوت الحق لما قبله. «بلى»: جرف يفيد إبطال النفى قبله وإثبات المنفى، انظر تفصيل ذلك فى الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

«أولو العزم»: أى أصحاب الثبات والصبر وهم كل الرسل سوى يونس عليه السلام لما فى قوله تعالى: «ولا تكن كصاحب الحوت» فى الآية (٤٨) من سورة القلم صفحة ٧٦٠.

المعنى: . لما سمع الجن القرآن أسرعوا إلى قومهم يحذرونهم من العذاب إن لم يؤمنوا به وبالرسول الذى جاء به؛ لأنهم علموا أنه رسول لكل مكلف، وهم كذلك كما سيأتى فى سورة الجن، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد كتاب موسى مصداً لما سبقه من التوراة

- | | | | |
|---------------|--------------|---------------|------------|
| (١) يا قومنا. | (٢) كتاباً. | (٣) يا قومنا. | (٤) آمنوا. |
| (٥) ضلال. | (٦) السموات. | (٧) بقادر. | (٨) يخشى. |

كانوا يستهزئون به إذا حذرهم منه رسولهم. ولقد أهلكناهم كما أهلكنا من كانوا حولكم بأهل مكة من قرى ثمود ومدين وقوم لوط، بعد أن نوعنا تصوير الأدلة والعبر بأساليب شتى حتى يتضح الحق بكل طريق، ليرجع كل من ضل إلى الحق، ومن كفر إلى الإيمان.

ثم نبه قريشاً إلى أن غير الله لا ينفذ فقال: فلو لا نصرهم.. إلخ. أى فهلا نصرهم بدفع العذاب عنهم، هؤلاء الذين اتخذوهم من دون الله آلهة ليتقربوا بهم إليه سبحانه؟ كلا لم يحصل ذلك، بل غابت عنهم تلك الآلهة فى وقت شدة الحاجة إليهم، وعدم نفع آلهتهم لهم هو أثر صرفهم أنفسهم عن الحق إلى الباطل، ونتيجة افتراءهم على الله الكذب بأن له شركاء وبعدما هدد سبحانه كفار مكة بحصول ما حصل لمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم من الإنس؛ أراد أن يهديهم مع شيء من التوبيخ بأنهم ليسوا أقوى من الجن الذين يعرفون قوتهم، وأشار إليها القرآن فى الآية (٣٩) من سورة النمل صفحة ٤٩٨.

وملخص الحادث كما يؤخذ مما سيأتى فى سورة الجن صفحة ٧٧٠ وما بعدها ومما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس أنه لما بدأ نزول القرآن حالت الشهب بين الشياطين وبين استراق السمع من السماء كما تقدم فى الآية (٧) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٨٧، عند ذلك أبلغت الشياطين قومهم من الجن بما حصل. فأخذ كثير من الجن يبحث عن السبب وتفرقوا فى الأرض. وفى ليلة كان ﷺ مع جماعة من أصحابه فى مكان قريب من مكة وكان يصلى بهم الصبح فمر به جماعة من هؤلاء الجن. فلما سمعوا القرآن قالوا هذا والله هو الذى حال بينكم وبين الصعود إلى جهة السماء.

ورجعوا إلى قومهم وأخبروهم ما حكاه الله. فأخبر سبحانه نبيه بما حصل منهم هنا وفى سورة الجن. فقال: (وإذ صرفنا).. إلخ. أى وأذكر لقومك ما حصل حين صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن لمل قومك يتبهن لجهلهم وقبح صنيعهم من الكفر بالقرآن والإعراض عنه مع أنه بلسانهم، ويتلوهم عليهم رجل من جنسهم فى الوقت الذى لما استمع إليه نفر من الجن آمنوا به ويعلن جاء به مع أنه ليس من جنسهم. فلما حضر هذا النفر إلى مكان قراءة القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا. أى انتصتوا الاستماع. فلما فرغ من القراءة انصرفوا أسرع إلى قومهم.

المفردات: ﴿لَمْ يَلْبِثُوا﴾: أي لم يتكثروا.
انظر الآية (٤٥) من سورة يونس صفحة ٣٧٢.
﴿بِرَاحٍ﴾: أي كفاية في الموعظة، والتمنى هذا القرآن الذي وعظتهم به كافيهم لو كانوا مستعدين لسماعه.

﴿فَهَلْ يَهْلِكُ... إلخ﴾: هل يهلك إلا استهتام إنكارى، يفيد النفي. أي لا يهلك إلا الظالمون.

التمنى: يتوهم هؤلاء الكفار حين مشاهدة العذاب المعد لهم في جهنم أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا لحظة صغيرة من نهار لما دهاهم من الهول. هذا القرآن الذي تلوته عليهم كافيهم عبرة وعظة لو كانوا مستعدين لقبول الحق، ثم توعدهم بتفويض عدله فيهم.

إذا استمعوا فقال: ﴿إلخ...﴾: أي لا يهلك الله إلا الفاسقين الخارجين على شريعته.

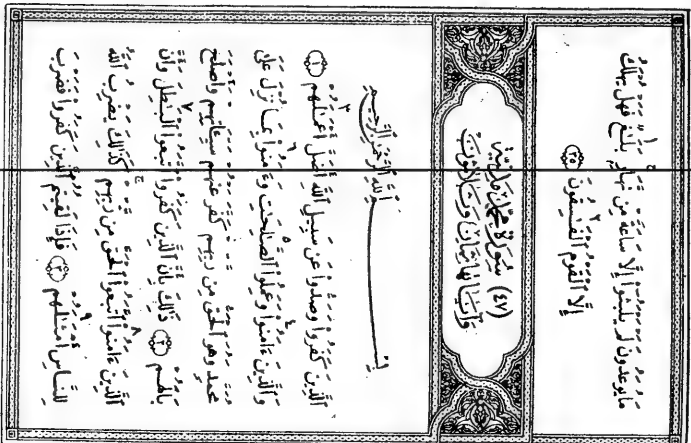
سورة محمد

المفردات: ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي منعوا الناس عنه.

﴿وَأَمَلْ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي أطلها وأذهب فائدتها فلا تقدرهم من الخلود في النار ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الآية (٣٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي آمنوا بكل ما أنزل علي الرسل السابقين، كما في الآية (٨٤) من آل عمران صفحتي ٧٦، ٧٧. ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾: من عطف الخاص على العام، أي خصوصًا ما نزل على محمد.

(٩) الصالحات.	(٢) الصالحات.	(٤) آمينوا.	(٩) الصالحات.
(٩) الصالحات.	(٢) الصالحات.	(٤) آمينوا.	(٩) الصالحات.



وغيرها. وهذا سبب قطعهم بأنه حق يهدي إلى الحق فيما يجب لله وإلى شرع مستقيم. يا قومنا أجبوا هذا الرسول الذي يدعو الثقلين النصارى إليهما في الآية (٣١) وما بعدها من سورة الرحمن صفحة ٧١٠ إلى الإيمان. وآمنوا به يفتر الله لكم بعض ذنوبكم على الأقل.

وإن أحسنتم الإيمان يغفر لكم كل هذه الذنوب ليبقى منها ذنب، ويحفظكم من عذاب مؤلم.

وَمَنْ لَا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَا بَدَ مِنْ إِهْلَاكِهِ وَتَعَذِّيبِهِ: لأنه لا يمكن أن يعجز الله تعالى عن عقابه مهما اختفى في أنحاء الأرض، انظر الآية (٣٢) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠. وليس له غير الله نصراء يحفظونه.

هؤلاء الذين لا يؤمنون في ضلال ظاهر. وبعد ما بين سبحانه فيما سبق أدلة وحدانيته وإثبات الرسل. شرع في إثبات البعث فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ هَلْ أَعْمَى كَفَارَ مَكَّةَ الْجَهْلِ حَتَّى أَكْفَرُوا الْبُعْثَ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَلْحَقْهُ قَبْ مِنْ ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعْصِيَ الْمَوْتَى؟ بلى. أي نعم هو قادر على ذلك، لأنه قادر على كل شيء. ثم ذكر بعض ما سيحصل بعد البعث من الهول. فقال: ﴿يَوْمَ... إلخ. أي ويقال للذين كفروا يوم يعذبون بأنار آيس هذا الذي أنتم فيه من العذاب هو الحق الذي أخبركم به رسولكم، فيقولون قولاً لا شك في تحقته حتى كأنه وقع فعلاً: نعم وحق ربنا إنه هو الذي أخبرنا به رسالنا. قال لهم ربهم حينئذ قد فرقوا العذاب بسبب كفركم بالله ورسوله.

وبعد ما فرغ سبحانه من تقرير الأصول الثلاثة: التوحيد والرسالة والبعث. شرع في تشييته ﴿فَلْيَعْبُدْهُ﴾: ونصيحته فقال: (فاصبر كما)... إلخ.

أي إذا كانت عاقبة الكفار ما ذكر فاصبر على أذاهم كما صبر أصحاب العزم من إخوانك الرسل قبلك على إيذاء أمهم.

ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم قطعاً وسيكون له من الهول عندما يرويه ما جعلهم يظنون أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا لحظة.

ولن يضل أعمالهم ﴿٤٣٦﴾: لا يميل أعمالهم بل يثبتهم عليها.

﴿سيديهم﴾... إلخ: أى إلى ما فيه الاعتراف بفضلته، انظر آيتي (٢٣، ٢٤) من سورة الحج صفحة ٤٣٦.

﴿ويصلح بالهم﴾: أى يصلح أحوالهم فى الآخرة بما أشار إليه فى الآية (١٢) من سورة الحج صفحة ٤٣٦.

﴿وعرقها لهم﴾: المراد: عرقهم منازلهم فيها بإلهام منه تعالى، فلا يصادفون مشقة فى الوصول إليها.

﴿وتعسا لهم﴾: أصل التعس هو السقوط على الوجه، يقال تس الرجل بفتح العين على وزن قطع. إذا الكعب على وجهه.

والمراد هنا: هلاكاً لهم.

﴿أجبت﴾: أبطل، انظر ما قيل فى الآية الأولى من هذه السورة صفحة ٦٧٢.

﴿ودمر الله عليهم﴾: تقول العرب: دمره الله أى أهلكه، ودمر عليه، أى أهلكه وأضاع عليه كل ما يخصه من النفس والأهل والمال.

﴿والله مولى الذين آمنوا﴾: أى مواليهم بالنصر.

المعنى: فإذا حاربكم الكفار فاشتدوا عليهم بالقتل حتى إذا أضعفتموهم وتمكنتم من أخذ باقتيهم أحياء فأسروهم. وبعد ذلك فيما أن تمنوا عليهم بإطلاق سراحهم بلا مقابل - إن كانت المصلحة فى ذلك.

أما إن كانت المصلحة فى استرقاقهم فلإسلام أن يجعلهم أرقاء مملوكين للمسلمين، ويدل على ذلك عشرات الآيات من القرآن التى تتحدى بملك اليمين: وإما أن تشادوهم بمال أو بأسرى من المسلمين إن كان هناك أسرى منهم. واستمروا على ضربهم وأسروهم حتى تنتهى الحرب. الأمر فى معاملة الكافر المعتدى هو ذلك الذى ذكرته لكم.

ثم أراد سبحانه أن يبين أن تكليفهم بمقاومة العدو ولو بالحرب هى السنة الطبيعية فى نظام عالم الدنيا. وإلا فهو سبحانه قادر على أن ينتقم ممن يحارب رسوله بغير حرب، بل بشئ مما فى الآية (٤٠) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦. ولكن أمر الله سبحانه بالقتال ليعتصم بعضكم ببعض فيتميز المجاهد الصابر من غيره.

ثم بين سبحانه جزاء المجاهدين فى سبيله فقال: والذين قتلوا... إلخ. أى والمؤمنون الذين قتلوا فى الدفاع عن دين الله فليضيق عليهم ثمرة أعمالهم، سيديهم زهم إلى طيب القول مما فيه حمد الله والاعتراف بفضلته. ويصلح أحوالهم فى الآخرة على ما تقدمت الإشارة إليه فى آيتي (١٢، ٢٣) من سورة الحج صفحة ٤٣٦ وآيتي (٢٤، ٢٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦. والحال أنه سبحانه يدخلهم الجنة ويعرفهم منازلهم فيها.

وفى الحديث: (والله لا حدكم بمنزله فى الجنة أعرف منه بمنزله فى الدنيا).

ثم وعدهم سبحانه بالنصر إذا نصرُوا دينه فقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) بنصر رسوله والدفاع عن دينه ينصركم، وثبتت أقدامكم فى المعارك. والذين كفروا يهلكهم الله هلاكاً شديداً ويضيق عليهم أعمالهم. يفعل بهم ذلك الذى ذكر من الإهلاك والضاعة الأعمال بسبب أنهم كرهوا القرآن الذى فيه سعادة البشر: لأنه يسفه عقولهم التى تسوغ لهم عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع، ويقول: إن الفضل بالتقوى لا بالفتى والجاه إلى غير ذلك مما يخالف ما كان عليه آبائهم. ويكرههم القرآن استحقوا أن يبطل الله أعمالهم حتى لو لم يعملوا غير ذلك.

ثم نعت نطر كفار مكة إلى التأمل فيما حصل لغيرهم فقال: (أفلم يسيروا)... إلخ. أى هل قعدوا ولم يسيروا فى الأرض سير مفكر فينظروا على أى حال كانت عاقبة المكذبين قبلهم، ثم بينها بقوله: ﴿ودمر الله عليهم﴾ أى أهلكهم جميعاً.

ولهؤلاء الكافرين أمثال ما حصل لمن قبلهم. ذلك المتقدم من نصر المؤمنين وهلاك الكافرين سببه أن الله ناصر المؤمنين. وأن الكافرين لا ناصر لهم.

ثم بين حال المؤمنين فى الآخرة لزيادة تشجيعهم على الثبات فقال: إن الله يدخل... إلخ.

﴿كَمْ مِنْ خَالِدٍ فِي النَّارِ﴾: ﴿مَنْ﴾ هنا بمعنى فريق أى جمع من الكفار بدليل جمع الضمير العائد عليها فى قوله ﴿وَسُقُوا﴾ و﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أى هل صفة أهل الجنة كصفة الفريق من أهل النار؟ ﴿سُقُوا﴾: أى أكرهوا على شربه، انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحتى ٣٨٤، ٣٨٥.

﴿حَمِيمًا﴾: هو الماء شديد الحرارة.

﴿أَمْعَاءَهُمْ﴾: هى المصارين التى يصل إليها الطعام بعد هضمه فى المعدة ومفردها (معى) بكسر الميم، وفتح العين منونة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: أى ومن الكافرين منافقون، وهم المذكورون فى الآية (٢٠) الآتية يستمعون إليك، أى يلقون سمعهم إليك عندما تقرأ وتغظ مظهرين أنهم كالمؤمنين الصادقين.

﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: المراد بهم علماء الصحابة، كابن عباس وابن مسعود.

﴿وَمَازَا قَالَ﴾: هذا هو غمز الخيث يريدون به السخرية كأنه قال كلاماً لا يؤبه له، انظر آيتى (٣٠، ٢٩) الآتيتين فى هذه السورة صفحة ٦٧٦.

﴿أَنفًا﴾: المراد فى الزمن الماضى القريب.

المعنى: بعدما أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين أى نصيرهم، وأن الكافرين لا مولى لهم. أراد أن يذكر أثر ولايته للمؤمنين. وأثر حرمان الكافرين منها فقال: (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا) ... إلخ. أى أن الكافرين يشتمعون فى الدنيا بزخارفها الثانية وليس همهم فيها إلا ملء بطونهم كالأنعام التى لا تفكر فى مستقبلها، انظر ما تقدم فى الآية (٢٠) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩. وفى الآخرة تكون النار هى محل إقامتهم الدائمة. وعندما حثهم على السير فى الأرض للاعتبار بما حصل لأمثالهم ولم يعتبروا أراد سبحانه أن يخفف عن رسوله ﷺ فقال: (وكم من قرية) .. إلخ.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْجُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَوْجُوهُمْ ﴿٢٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ أَهْلَكْتُمْ فَلَا تَأْمُرُكُمْ ﴿٢١﴾ أَقْبَلْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَرِهَ رَبُّكُمْ لَهُمْ سُورٌ عَلَيْهِمْ وَأَتَّبِعُوا أَوْامِرَهُمْ ﴿٢٢﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَلٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَقُورٌ مِنْ رِيَّاسٍ كُنْ هُوَ خِلَافُ النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٢٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا جُرِئُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَازَا قَالَ أَنفًا أَوَّلَايَا

المفردات: - ﴿مَوْجُو لَهُمْ﴾: أى محل إقامة.

﴿كَأَيِّنْ﴾: أى كثير.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: بيان لهذا الكثير.

﴿قَرْيَتِكَ﴾: هى مكة.

﴿أَفْضَلُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكارى

المفيد لنفى التسوية الآتية المذكورة فى قوله.

﴿كَمْ زَيْنٍ﴾.

﴿عَلَى بَيْنَةٍ﴾: أى على حجة ونور بصيرة.

﴿زَيْنٍ لَهُ سُوءٌ عَمَلُهُ﴾: تقدم فى الآية (٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٢.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: أى صفتها العجيبة. قال الزمخشري الأصل: هل مثل أهل الجنة ... إلخ. حتى يتفق مع مثالبه الآتى فى ﴿كَمْ هُوَ خَالِدٌ﴾. ونظيره ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَالِيَةَ الْحَاجِ﴾ ... إلخ الآية (١٩) من سورة التوبة صفحتى ٢٤٣، ٢٤٢. والمراد: لا يستويان. انظر الآية (٢٨) من سورة ص صفحة ٢٠٠ والآيتين (٣٦، ٣٥) من سورة القلم صفحة ٧٥٩. وحذف حرف الاستفهام اعتماداً على إدراكه من المقام كثير فى كلام العرب وفى القرآن؛ وساعد على فهمه هنا وجوده فى الآية السابقة مباشرة والاعتماد على إنكار التسوية كما هنا تماماً. ﴿أَسْنًا﴾: هو الماء المتغير الطعم والرائحة. وفعله أسن. كضرب، ودخل. ﴿لَذَّةٍ﴾: المراد: لذيدة جداً حتى كأنها اللذة نفسها.

(٢١) أنهار.	(٢) المناجات.	(٤) الأنهار.
(٤) الأنعام.	(٦) أهلكتهم.	(٨) أسن.
(١٠، ٩) وأنهار.	(١١) تشابه بين.	(١٣) الثمرات.
(١٥) خالداً.	(١٥) تشابه	

﴿مرض﴾ : المراد به هنا: النفاق، انظر الآية (١٠) من سورة البقرة صفحة ٤.

﴿المغشى عليه من الموت﴾ : أى المغشى عليه، انظر الآية (١٩) من سورة الأحزاب صفحتى ٥٥١، ٥٥٢.

﴿أولى لهم﴾ : يقول العربى عند تهديد شخص : (أولى لك) أى هلاك قريب الحصول لك، والمراد هلاك قريب الحصول لهم، انظر الآية (٣٤) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠.

﴿طاعة﴾ : مبتدأ خبره مقدر يُشعر به آخر الآية هو ﴿خير لهم﴾.

﴿عزم الأمر﴾ : أصلها عزم وصمم الرجال على الأمر. فإسناد العزم للأمر مبالغة كقولهم (أسرع الطريق) أى أسرع السائر فيه. فبالألفاء وجعلوا الطريق كأنه هو المسرع.

﴿عسيتم﴾ : عسى كلمة تدل على توقع حصول ما بعدها، فالمراد: يتوقع وينتظر منكم... إلخ.

المعنى :.. هؤلاء المنافقون هم الذين ختم الله على قلوبهم عقاباً لهم وتابعوا فى النفاق إشباع شهواتهم فلذلك استهانوا بكلامه سبحانه. أما الذين اعتدوا إلى الإيمان وحسن استماع القرآن وكلام الرسول زادهم الله تعالى نور بصيرة وأعانهم على التقوى.

ثم بين خطر غفلة الكفار عليهم فقال: (فهل ينظرون) .. إلخ. أى إذا كان كل ما سبق من العبر لم يذهبهم فماذا ينتظرون؟ لا ينتظرون إلا إتيان الساعة بغتة فيجب أن يستعدوا لها. فقد ظهرت علاماتها، وأولها بعثة خاتم الرسل، وآخرها طلوع الشمس من المغرب، وإذا كانوا لا يعتبرون إلا إذا جاءتهم الساعة فكيف ينفعهم تذكرهم حينئذ؟ انظر الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحتى ١٩٠، ١٩١ وآيتى (٨٤، ٨٥) من سورة غافر صفحة ٦٢٩.

ثم أراد سبحانه أن يرشد رسوله والمؤمنين إلى خيرهم فقال: (فاعلم) .. إلخ.

أى إذا علمت أنها النبى أن الأمر كله بيدنا فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحداية الله واهضم نفسك بالاستغفار لذنبك. وأقل هفوة من الأنبياء شديدة عند الله انظر ما سبق فى

آيتى (٦٧، ٦٨) من سورة الأنفال صفحة ٣٢٧، والآية (٣٧) من سورة الأحزاب صفحتى ٥٥٥، ٥٥٦ واستغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنهم أخرج إلى استنفار، وحجهم أيضاً على الصالحات التى تسبب غفران ذنوبهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات. والله سبحانه يعلم كل أحوالكم فى الدنيا والآخرة وسيجازى كلا بما هو أهله.

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن سرجس بفتح السين وسكون الراء وكسر الجيم قال: أكلت مع رسول الله من طعامه ثم قلت غفر الله لك يا رسول الله.

فقال ﷺ: ولك، فقلت هل استغفر لك؟ فقال: نعم ولكم. وقرأ ﷺ: ﴿واستغفر لذنبيك وللمؤمنين﴾... الآية وفى الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان يقول فى آخر تشهده (اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى. أنت المقدم، وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت).

ثم أراد سبحانه أن يبين حالة أخرى كان يتفاوت فيها المؤمنون والمنافقون فقال: (ويقول الذين آمنوا)... إلخ. أى أن المؤمنين المخلصين كانوا يشترقون إلى نزول آيات تأمر بالجهاد حرصاً على ثوابه.

فإذا أنزل الله تعالى سورة ذكر فيها الأمر بالجهاد بدلالة واضحة لا تقبل تأويلًا فرح المخلصون وشق ذلك على المنافقين وصاروا ينظرون إليك النبى أنظر المحاضر الخائف من الموت.

فهلاك لهم، طاعة منهم لك وقول حسن يدل على صدق الامتثال لما تقول خير لهم.

فإذا جد الجدد وصمم المؤمنون على القتال، فلو صدق هؤلاء الله فى الإيمان به وطاعته لكان ذلك خيراً لهم. ثم وبخ المنافقين فقال: (فهل عسيتم) .. إلخ.

أى أنكم يتوقع منكم لنفساد طيائعكم أنكم إن توليتم أمور إبناس تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم فتعودوا إلى تباعض الجاهلية.

فيضربون وجوههم ﴿: انظر ما تقدم في الآية (٥٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٤، ٢٣٥.

﴿فاجط﴾ : أي أبطل كما في الآية (٩) من هذه السورة صفحة ١٧٢.

﴿أم حسب﴾ : تقدم معناها في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢.

﴿معرض﴾ : أي نفاق كما تقدم في الآية (٢٠) من هذه السورة صفحة ١٧٥.

﴿واضعافهم﴾ : مفرد ما ضُفِّف بفسكون وهو الحقد الشديد، انظر شرح الآية (١٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥١.

﴿وريناكهم﴾ : أي عرفناك يا هم بعلامات لا تكون إلا فيهم.

﴿وسيماهم﴾ : (الستيماء) : العلامة و ﴿سيماهم﴾ أي علاماتهم.

﴿وفي لحن القول﴾ : ﴿وفي﴾ سببية والعراد : بسبب لحن... إلخ و ﴿لحن القول﴾ إمالة الكلام عن معناه الظاهر إلى معنى آخر متفق عليه بينهم يجعل عباراته ملطوية، لا يفهمها غيرهم.

انظر مثلاً من ذلك في الآيات (١٠٤) من سورة البقرة صفحة ٢٠ و (٤٦) من سورة النساء صفحة ١٠٨ و (٦٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥١ والآية (١٦) من هذه السورة صفحة ١٧٤ و ١٧٥ و (٨) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٦.

صفحة ٩٤.

المعنى : - هؤلاء المنافقون هم الذين لعنهم الله أي أبعدهم عن رحمته عقاباً لهم، فسدت آذانهم عن سماع الحق وعميت أبصارهم عن طريق الهداية. هل بعد كل هذه العبر ما زالوا مصممين على الكفر فلا يتدبرون القرآن ليعرفوا الحق.

ثم انتقل من توجيههم على عدم الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم إلى توجيههم بعدم الانتفاع

اللَّهُ فَاصِلُهُمْ وَأَخِيَّ الْعِزَّةِ ﴿١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُكَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَعْيُنٍ
مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَأَتْ لَمْ يَكُنِ الْفُتْيَانُ سَوَاءً لِّكُلِّ مَسْأَلَةٍ
لَّهُمْ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا الَّذِينَ كَرُمَا نَزَّلْنَا
سُلَيْمَانُ فِي بَعْضِ الْأُمِّيِّ وَالَّذِي يَعْلَمُ إِبْرَاهِيمَ
تَكْفِيَةً إِذَا تَوَلَّيْتُمْ الْكَلْبَ يَكْفِيهِمْ وَيُجِيرُونَ وَجْهَهُمْ
وَأَدْبِرُكُمْ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آتَيْنَا مَا تَشَاءُ اللَّهُ وَكُرُمَا
يُضْرَبُونَ فَاجْعَلْ أَهْلَهُمْ ﴿٥﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرْءٌ أَنْ يَخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَهُمْ ﴿٦﴾ وَكَسَاءُ
لَارِيَتِهِمْ لَمَنْزِلَتِهِمْ يَبْسُطُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِ
الْقَوْلِ وَالَّذِي يَعْلَمُ أَهْلَكَكُمْ ﴿٧﴾ وَلَيْسَ كُنْزُكُمْ
لِلْمُجْرِمِينَ يَكُنْ وَالصَّيْرِينَ وَيَبْلُغُوا أُنْجَارَكُمْ ﴿٨﴾ إِنَّ

إظهاره. وهم المنافقون المشار إليهم في الآية (٦١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢.

﴿وسئل لهم﴾ : أي سهل لهم وزين.

﴿وأمل لهم﴾ : أي مد لهم في الأمان حتى يستغرقوا في الشهوات.

والذين كرهوا ما نزل الله ﴿: هم يهود بني قريظة والنضير الذين كانوا حول المدينة.

انظر آيتي (٢٧، ٢٦) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٢.

صفحة ١٧٢، ١٧٣.

﴿إسراهم﴾ : أي إختافهم لخبائثهم وكيدهم للمسلمين.

(١) أنصافهم	(٢) القرآن	(٣) أنصافهم	(٤) المشيطان	(٥) الملائكة
(٦) أنصافهم	(٧) رؤسائهم	(٨) أنصافهم	(٩) أنصافهم	(١٠) الأريافهم
(١١) يستأفهم	(١٢) أنصافهم	(١٣) العجافهم	(١٤) أنصافهم	(١٥) شيوخهم

أى ذلك الموت على أقبح الوجوه وأقظهما بسبب أنهم اتبعوا كل ما يسخط الله سبحانه من الكفر والمعاصى. وكروها ما يرضيه تعالى من الإيمان والطاعات، فأبطل سبحانه جميع أعمالهم فى الدنيا والآخرة، فلا ينتفعون بشيء ولا يصلون إلى مرغوب.

ثم انتقل سبحانه إلى تهديدهم فقال: أم حسب.. إلخ. أى بل هل ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يظهر أحقادهم فيفضضهم، وقد فعل سبحانه فى سورة التوبة حتى سماها بعض الصحابة (الفاضضة) انظر شيئاً من ذلك فى صفحات ٢٤٧ وما بعدها خصوصاً الآيات (٥٨، ٦١، ٧٥، ٨١، ٨٤، ٩٤).

ثم أكد سبحانه تهديدهم بالنصيحة فقال: ولو نشاء... إلخ. أى ولو نشاء تعريتك أيها النبى أشخاصهم لعرفناك فتعرفهم بعلامات غالبية عليهم، ولكنه سبحانه لم يفعل فى ذلك الوقت لحكم منها: عدم إيذاء أقربائهم المسلمين وحرصاً على مظهر المسلمين فى أول الأمر.

ولما استقر الأمر واطمأنت القلوب فضح الله بعضهم كما تقدمت الإشارة إليه، ووالله إنك لتستطيع أيها النبى أن تعرفهم بسبب عباداتهم الملتوية.

ثم وجه التهديد إليهم ثانياً فقال تعالى: والله يعلم أعمالكم أيها المنافقون وسيعاقبكم عليها بالعذاب فى الدرك الأسفل من جهنم كما فى الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٢٨، ثم وجه الخطاب للمؤمنين فقال: ولنبلونكم... إلخ. أى والله لنعاملكم أيها المؤمنون معاملة الممتحن حتى يتبين للناس أمر المجاهدين بإخلاص والصابرين على الشدائد وغيرها.

ونمتحن أخباركم التى تقولونها من أنكم مؤمنون صادقون وموالون للمؤمنين. هل أنتم صادقون فيها أم لا؟

بقلوبهم أيضاً فقال: (أم على قلوب).... إلخ. أى بل أغلقت قلوبهم بأفئال مناسبة لها. والكلام تمثيل لعدم وصول التدبر إلى قلوبهم. وكان المنافقون فى أول الأمر يتقنون إخفاء كفرهم. فخفيت حائهم حتى عليه ﷺ، انظر الآية (١٠١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٩.

ولكن لما أصيب المسلمون فى بعض الوقائع وظن هؤلاء المنافقون أن هزائم المسلمين ستوالى، فاستهانوا بهم، وطمانهم وجراهم على ذلك ما علموه من أنه ﷺ لا يقتل أحداً ما دام ينطق بالشهادتين. من كل ذلك علموا أنه لا خوف عليهم إذا أظهروا بعض ما فى أنفسهم بالندس للمسلمين والكيد لهم، وفعلوا ما فى الآية (٣٦) والآية (١٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠. والآية (١٨) وما بعدها من نفس السورة صفحة ٥٥١ وما بعدها، والآية (٦٠) من نفس السورة صفحة ٥٦٠. والآية (١١) من سورة الحشر صفحتى ٧٣١، ٧٣٢. وأتى (٨.٧) من سورة المنافقون صفحتى ٧٤٣، ٧٤٤.

لما حصل كل هذا عبر عنهم سبحانه بأنهم ارتدوا أى رجعوا إلى إظهار الكفر بتلك الطريق الملتوية بعدما كانوا يخفونه فقال: إن الذين ارتدوا... إلخ. أى إن الذين ترجعوا عما كانوا يظهرهم من بعد ما تبين لهم الهدى إلى الطريق الواضح، هؤلاء ما فعلوا ذلك إلا لأن الشيطان زين لهم الضلال فمد لهم فى الآمال حتى غفلوا عن أهوال الآخرة.

ثم بين بعض ما ارتدوا به فيقال: (ذلك بأنهم).... إلخ. أى ذلك الارتداد الذى وقع من المنافقين حصل بسبب قلوبهم لليهود الذين كرهوا ما نزل الله من القرآن على خاتم الرسل حسداً قالوا هؤلاء اليهود سنطيعكم فى بعض الأمور التى نطالبونها منا لتعطيل دعوة محمد وهو ما فى الآية (١١) من سورة الحشر صفحتى ٧٣١، ٧٣٢. قالوا ذلك والحال أنه سبحانه يعلم إخفائهم لما يتقنون وغيره.

ثم سنه عقولهم ببيان أنهم إن سلموا من نتيجة كيدهم هذا فى الدنيا فماذا يصنعون فيما بعد. فقال: فكيف... إلخ. أى فكيف يصنعون إذا قبضت ملائكة الموت أرواحهم حال كونهم يخسريون وخوهم وأديارهم.

ثم بين سبب ما تقدم فقال: (ذلك بأنهم اتبعوا).... إلخ.

المفردات: ﴿تقولوا﴾: أى تعرضوا عن

الإيمان.

﴿لا يكونوا أمثالكم﴾: أى فى الإعراض،

بل يؤمنون ويطيعون الرسول. انظر آيتى

٤٠، ٤١ من سورة المعارج صفحتى ٧٦٦،

٧٦٧.

المعنى: والله غنى عن خلقه، وأنتم

الفقراء إلى إحسانه. وإن تعرضوا عن طاعته

يجعل بلكم قوماً آخرين يستعدون عن

مسلككم الخاطئ فلا يكونوا مثلكم فى

العصيان: بل مطيعين له سبحانه. والله فعال

لما يريد. ولكن الكافرين لا يعلمون والله

تعالى أعلم.

(سورة الفتح)

المفردات: ﴿فتحننا لك﴾: أى مكانك من فتح ما كان مغلقاً فى وجه دعوتك فانسابت فى البلاد لا يصددها شئ.

﴿ميننا﴾: أى واضحاً، انظر الآية (١٦٨) من سورة البقرة صفحة ٣٢.

﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾: أى بعد أن تستغفره عما كان يضيق به صدرك فى بعض الأحيان، من شدة أذى قومك وأعراضهم عن الإيمان، يغفر لك ذلك وجميع ما حصل

- (١) أمثالكم.
- (٢) صراطاً.
- (٣) إيماناً.
- (٤) إيمانهم.
- (٥) السموات.
- (٦) المؤمنين.
- (٧) جنات.

وإذا علمتم أيها المؤمنون أن الله يبطل أعمال الكافرين ومعاقبهم فى الدنيا والآخرة فلا

تبالوا بهم. ولا تظهروا ضعفاً بالدعوة إلى المهادنة.

والحال أنكم المتفوقون. والله معكم بالنصر.

ولن ينقصكم من أجر أعمالكم شيئاً. وبعدهما أمر سبحانه المؤمنين بالثبات وعدم إظهار

الخوف من الأعداء حرصاً على الحياة أراد أن يبين لهم أن الحياة لا قيمة لها إذا قيسست بنعيم الآخرة.

فقال: إنما عمل الإنسان فى الدنيا كاللعب والله الذى لا يقاء له. إلا ما كان منه فى سبيل

الله وطلب رضاه: وإن تؤمنوا وتبتعدوا عما يغضب ربكم فلا تعصوه، يؤتكم ثواب

أعمالكم. ولا يطلب منكم كل أموالكم فى الزكاة وسائر وجوه الخير.

بل يطلب منكم القليل منها مواساة لإخوانكم الفقراء، وحفظاً لمصلحة الدولة.

ثم بين سبحانه أن الإنسان فى طبعه الححرص على المال. ولذلك لم يكلفه ما يرهقه.

فقال: إن ييسر لكموها: أى إن يطلبها كلها فيثقل عليكم ويغلب عليكم الطبع تمتعوا عن الإنفاق. وبذلك يظهر الله سبحانه احتيادكم على تعاليم الإسلام لشدة حرص الإنسان على

المال.

ثم بين سبحانه أن المسلمين الموجودين فى ذلك الحين منهم الشحيح ومنهم السخي.

فقال: ها أنتم... إلخ. أى ها أنتم يا هؤلاء الذين أظهرتم أنكم مسلمون تدعون لتنفقوا فى كل

ما يرضى الله من أبواب الخير. فمنكم أناس يبخلون ومن يبخل فإنما يبخل ما نما الخير عن نفسه. ومنكم من ينفق لمرضاه ربه.

ثم بين أن الإنفاق إنما هو لمصلحتهم لا لحاجته سبحانه. فقال: والله وحده هو الغنى عن

كل ما سواه وأنتم الفقراء.

إلى مكة ليخبر أهلها بما جاء به ﷺ لأجله. فلم تقبل قريش ذلك. ومنعوا عثمان من الرجوع إليه ﷺ. وحجزوه عندهم، فشق بين المسلمين أن عثمان قد قتل، عند ذلك صمم ﷺ على الحرب ثقة منه بما وعد سبحانه في الرؤيا. وكان جالسا تحت الشجرة التي ذكرها في الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ١٨١، فدعا أصحابه للمبايعة على الحرب. وألا يفر واحد منهم مهما كانت الأحوال. ثم تبين بعد ذلك كذب إشاعة قتل عثمان، ولما علمت قريش تصميمه ﷺ على الدخول أرسلت إليه رجالاتهم ليصالحوه على أن يرجع هذا العام ويتركوا له مكة في العام القادم مدة ثلاثة أيام، فقبل ﷺ الصلح على ذلك بشروط منها أن تكون بينه وبينهم هدنة مدة عشرة أعوام، ومن أسباب رضاه ﷺ عن ذلك أن هذا يمكنه من التفرغ لتطهير المدينة ممن حولها من اليهود والخوذة الذين كانوا يلقونه بمساعدة المشركين.

فلما شرع في الرجوع قال عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، كيف رضى ﷺ ذلك. وقد وعدنا أننا سندخل المسجد الحرام آمين؟ فقال أبو بكر: هل قال سيحصل ذلك في هذا العام؟ قال عمر: لا.. قال أبو بكر: فانتظر فستدخل أمنا. وفي أثناء الطريق نزل عليه ﷺ الوحي بسورة الفتح كلها. فأمر ﷺ مناديا بنادي عمر بن الخطاب، وكان في مقدمة الركب، فلما جاء قال له: يا عمر لقد نزلت على الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ ﷺ ﴿إنا فتحنا لك﴾ إلى آخر السورة.

وفي هذا قال البراء بن عازب (تعدون أنتم الفتح فتح مكة، لكننا نحن نعد الفتح هو صلح الحديبية) أي لأن بها أمن المسلمون شر قريش وتفرغوا لنشر الدعوة في أنحاء الجزيرة. وتمكن كثير ممن كانوا يخافون من قريش من الدخول في الإسلام. وتم فتح خيبر كما سيأتي في شرح الآية (١٥) من هذه السورة صفحة ٦٨٠.

قال ابن إسحاق (لم يكن في الإسلام فتح قبل صلح الحديبية، وإنما كان الكفر والقتال) وبعد الحديبية أمن الناس واتصل بعضهم ببعض، وبدأ الناس إلى الدخول في الإسلام. فدخل فيه في سنتين أكثر ممن دخل فيه طول مدة السبع عشرة سنة الماضية من مبدا الرسالة. وإن أردت المزيد من شروط صلح الحديبية وقائق ما حصل في هذه الحادثة فارجع إلى أحاديث ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧ من كتابنا صفوة صحيح البخاري. فتقوله تعالى إنا فتحنا

ملك مما يصح أن تعاتب عليه، انظر ما سبق في الآية (٩٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤ والآية (٥٥) من سورة غافر صفحة ٦٢٥ والآية (١٩) من سورة محمد صفحة ٦٧٥ والآية (٣) من سورة النصر صفحة ٨٢٥.

﴿عزيز﴾: يطلق العزيز على الشيء النادر الصعب المنال، فالمراد: نصرا يصعب حصول مثله لغيرك.

﴿السكنية﴾: أي الطمأنينة والثبات، انظر الآية (٣٦) من سورة التوبة صفحة ٢٤٤.

﴿جنود السموات والأرض﴾: جنود الله هم كل ما بهم تنفيذ أوامره تعالى من الملائكة، أو الإنس، أو العجالة. أو الرلائل إلى غير ذلك، انظر الآية (٩) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠ والآية (٣١) من سورة المدثر صفحات ٧٦٦، ٧٧٧. والمراد هنا جنوده تعالى التي ثبت بها المؤمنون وطمأنهم كما في الآية (٤٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٧.

المنى: تدور آيات هذه السورة حول غزوة الحديبية وما قاربها من الوعد بفتح مكة وخيبر وغيرهما. والحديبية بضم الحاء وفتح الدال وسكون الياء وكسر الباء وتخفيف الياء الثانية مفتوحة. هي قرية قريبة من مكة على مسافة يوم بسير الإبل. ومأخض قصتها أنه ﷺ رأى في منامه في أو آخر سنة ستة هجرية أنه دخل هو وأصحابه مكة معتمرين. وبعد فراغهم من العمرة تحللوا بحلق رؤوسهم أو تقصير شعورهم وهم مطمئنون. فأخبر ﷺ بذلك، ودعا الجميع للخروج معه حتى الأعراب المقيمين حول المدينة الذين كانوا يظهرون الحرام فاستعد ذلك حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يمنعوه من الوصول إلى البيت الحرام فاستعد للخروج معه من المؤمنین نحو ١٢٠٠ رجل. وتختلف المتأفقون من الأعراب متعللين بأعداد كاذبة كما سيأتي في الآية (١١) الآتية ضففتي ٦٧٩، ٦٨٠. وقالوا فيما بينهم كيف يذهب إلى قدم في عمر دارهم بعدما قتلوا أصحابه في غزوة أحد. انظر الآيات (١٢١) وما بعدها من سورة آل عمران صفحة ٨٢. وظنوا أنه لن يرجع أبدا. ولما تم تنظيم جيشه ﷺ خرج في ذي القعدة من تلك السنة. وساق معه الهدى ليعلم أهل مكة أنه ما جاء للحرب ولكن لأداء عيادة. ووصل خيبر خروجه ﷺ أهل مكة، فقسموا على منعه من الدخول، واستعدوا لقتاله. ولما وصل ﷺ الحديبية بلغه ما فعل المشركون فتوقف عن السير. وأرسل عثمان بن عفان بـ

بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا. أى إلا فهما

قليلا. وهو المتعلق بأمور الدنيا وطرق تجسيدها انظر آيتى (٧، ٦) من سورة الروم صفحة ٥٣١.

المفردات: ﴿للمخلفين﴾: كثر سبحانه

هذه الكلمة مبالغة فى الذم وإشعارا بشناعة التخلف.

﴿إلى قوم﴾: قال بعض السلف: هم الذين

ارتدوا والذين منعوا الزكاة فى عهد أبى بكر

الصديق عليه السلام وهم الذين اتبعوا مسيلمة

وكانوا فى اليمامة.

﴿أولى بأس﴾: أى أصحاب شدة فى

الحروب. ﴿حرج﴾: أى إثم ومؤاخذة.

﴿الشجرة﴾: هى شجرة كبيرة فى وادى الحديبية كما تقدم، وكانوا يستظلون تحتها وهذه

البيعة تسمى بيعة الرضوان. ﴿السكنة﴾: أى الطمأنينة والثبات، انظر الآية (٤) من هذه

السورة صفحة ٦٧٨ والآية (٢٦) من سورة التوبة صفحة ٢٤٤. ﴿أثابهم﴾: أى جازاهم.

﴿فتحاً قريباً﴾: هو صلح الحديبية كما تقدم أول السورة والذى ترتب عليه انطلاق الدعوة

الإسلامية حيث لا عائق. ﴿مغانم كثيرة﴾: هى جميع مغانم المسلمين إلى يوم القيامة.

﴿هذه﴾: هى مغانم خيبر عندما فتحها عليه السلام سنة ٧هـ بعد رجوعه من الحديبية، وصالح

أهلها على أن يدفعوا نصف ما يخرج من أرضها، وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم

- (١) قتالونهم.
- (٢) جنات.
- (٣) الأنهار.
- (٤) أثابهم.
- (٥) أية.
- (٦) صراطا.

١٧٤، ٨٦، ٩٣ إلى ٩٨، ١٠١) من سورة التوبة صفحات ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩. فقال هنا عن فريق منهم وهم الأعراب المشار إليهم فى الآية (١٠١) السابقة من سورة التوبة صفحة ٢٥٩ سيقول لك... إلخ. أى سيقول لك أنها النبى الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج معك شغلنا أموالنا وأهم منها أهلنا فلم نستطع الخروج خوفاً عليها من الضياع؛ لأن ليس لنا من يحافظ عليها بعدنا. فاستغفر لنا الله ليغفر لنا تخلفنا عنك. فرد سبحانه مكدبا لهم بقوله: (يقولون بالسنتمهم)..عليه السلام أى أن قولهم هذا صادر عن طرف اللسان لا يوافق ما فى قلوبهم. والحقيقة أن سبب تخلفهم هو طلبهم أن الرسول عليه السلام ومن معه لن يرجعوا أبداً كما سيأتى فى الآية (١٢) هنا. ثم أمر سبحانه نبيه أن يرد عليهم بأجوبة ثلاثة. الأول فى صورة وعظ فيقول لهم: لا أحد يستطيع دفع ضرر الله تعالى بكم. ولا جلب نفع لم يردعه سبحانه لكم. ثم انتقل إلى الجواب الثانى الذى فيه تهديد بدون تصريح فقال: (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فيطلع على ما تخفون، وسيجازيكم عليه. ثم انتقل إلى الجواب الثالث المصرح بفضيحتهم، والكشف عن السبب الحقيقى لتخلفهم، فقال: (بل ظننتم)..عليه السلام أى ظننتم عدم رجوع الرسول والمؤمنين إلى أهلهم بالمدينة. يبدأ: لأن قريشاً ستقتلهم، وحسن الشيطان هذا الظن الفاسد فى قلوبكم حتى تمكن منها. ثم أكد النصيحة بقوله وظننتم ظن السوء فى كل ما يتعلق بالله ورسوله فظننتم أن الله تعالى لا ينصبر رسوله، وأن دينه ليس حقاً. إلى غير ذلك. وكنتم بهذا قوماً فاسدين هالكين. ثم بين كيفية هلاكهم فقال: ومن لم يؤمن بالله. أى فظن أنه يخلف وعده، وبرسوله فظن أنه غير صادق، فهو كافر. وقد هيأنا للكافرين نارا ملتهية. ثم قطع سبحانه أطماع من يصبر على الكفر فى المغفرة، وفتح بابها لمن يتوب فقال: (ولله ملك السموات والأرض)..عليه السلام أى وما فيها فلا أحد يشاركه فى التصرف فيها. يغفر لمن يشاء وهو من يتوب. ويعذب من يشاء وهو المصر على الكفر. ثم بين سبحانه أن رحمته أوسع من غضبه فقال: وكان الله غفورا رحيماً. فالويل لمن أغلق بابها الواسع بالكفر. ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا يهمهم إلا الدنيا فقال سبحانه: (سيقول لك)..عليه السلام أى إذا رجعت أيها النبى للمدينة وأردت غزو خيبر والاستيلاء على أموال اليهود فيها. وهى سهلة ليس فيها صعوبة. فسيقول لك هؤلاء المخلفون اتركونا تتبعكم فى غزو خيبر. يريدون بمحاولتهم هذه تبديل كلام الله الذى وعدك فيه بأنها خاصة بأهل البيعة. قل لهم أيها النبى لن تتبعونا أبداً. فهذا الحكم الذى أقوله لكم الآن حكم الله من قبل رجوعنا إلى المدينة. فسيقول المنافقون للمؤمنين عند سماع هذا المنع: لم يكن إلمع عن حكم الله بل ذلك منكم حسداً لنا أن نشارككم فى المغنام. ثم انتقل سبحانه إلى بيان جهلهم المستولى عليهم فقال:

الجليلة أمارة يعلم منها المؤمنون أن الله تعالى حاميتهم وأنصرهم في غيبتهم وحضورهم، وبهداكم بتلك الآية طريقاً مستقيماً هو الثقة بفضل الله سبحانه والتوكل عليه في كل الأعمال.

المفردات: **فَأُخْرِى** لم تقدروا عليها؛
 هي المغنم الكثيرة التي أخذت من ثقيف وهو وزن في غزوة حنين بعد فتح مكة. المذكورة في الآية (٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢٤٤.

فَأَخَاطَ الله بها؛ المراد: جعلها تحت قبضته سبحانه ليعطيها للمؤمنين فيما بعد.

فَلَوْلُوا الأديار؛ أي لا تهرضوا. **فَوَلَّيَا**؛ الولى هو الذي يتبع بلبابة وتلطف، انظر الآية (١٠٧) من سورة البقرة صفحة ٣١.

فَنَصِيرَا؛ النصير هو المعين الذي يساعد بقوة.

فَمُسْتَا الله؛ أي عادته سبحانه وتعالى في خلقه.

فَوَلَّيَا؛ أي مضى. **فَوَلَّيَا** مكة؛ المراد: وأدى العديبة القريب من مكة.

فَوَقَّرَكُمْ عليهم؛ أي جعلكم فاقرين بهم متفرقين عنهم. **بَنَصْرِهِ** المعنوى عندما التي في قلوب المشركين الرعب من قتالكم.

فَوَالْهَدْيِ؛ السم جمع مفرد هدية. **وَالْهَدْيِ** هو ما يهديه الحاج لفقراء البيت الحرام من الأنعام. انظر الآية (٢) من سورة المائدة صنفحتي ١٢٤، وأيتي (٩٧، ٩٥) من سورة المائدة أيضاً صنفحتي ١٥٦، ١٥٧.

(١) قاتلكم. (٢) الأديار. (٣) مؤمنات.

مُسْتَيْمًا ۖ وَلَرَىٰ لَا تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَأْمُرُ اللَّهُ بِمَا
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ وَلَرَأَيْتُكَ الْيَوْمَ
 كَثُرُوا ۖ لَوْلَا الْأَذْيَرُ لَا يَجِدُونَ دِيَارًا لَّأَنفُسِهِمْ ۖ
 سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي قَدْ عَلَّمَ بَيْنَ قَبْلِ وَلَمْ يَجِدْ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ۖ وَمَوْلَىٰ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكَ وَلَا يَذْكُرُ
 عَنْهُمْ بِشَيْءٍ سَكَنَ بَيْنَ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ عَنِمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ مِمَّنْ الْيَوْمَ كَثُرُوا وَصَدُوكُمْ
 عَنِ النَّسِيبِ الْحَرَامِ وَالَّذِينَ سَكَنُوا أَنْ يَبْلُغَ عَمَلُهُمْ
 وَلَوْلَا رِيَالُ يُؤْمِرُونَ وَنِسَاءُ يُؤْمِرُونَ لَتَنَالَهُمْ أُنْ
 تَقُولُ قَوْلَهُمْ قَوْلَهُمْ مَرَّةً يَوْمَ يَوْمٍ لَّيْلُ اللَّهِ
 فِي رَحْمَةٍ مِّنْ يَّسَاءَ لَوْ تَزَلُّوا أَلْمِيتَا الَّذِينَ كَفَرُوا
 يَنْتَمِ عَدَايَا يَسَاءَ ۖ إِنْ جَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ

للشام، ربما أن السورة كلها نزلت أثناء رجوعه ﷺ من مكة، تكون هذه الآية نزلت بعد فتحه ﷺ خيبر. **فَكَفَّ** أيدي الناس عنكم؛ المراد بهم: اليهود الذين كانوا حول المدينة. حيث ألقى سبحانه في قلوبهم الرعب، فلم يجرؤوا على أن يمسوا من في المدينة من النساء والأطفال بأذى سوء أثناء غياب المؤمنين في سفرهم لعمرة العديبة.

فَوَلْتَكُونَ آية؛ الواو عاطفة على مقدر مفهوم من المقام، أي عجل سبحانه وتعالى لكم المغنم وكف أيدي اليهود عنكم لتشكروه جل شأنه، وليكون ذلك آية: أي دليلاً على صدق وعده سبحانه.

المعنى: قل أيها النبي لهؤلاء الذين ارتكبوا جرم التخلف عن القتال انتظروا قليلاً فستعدون إلى ملاقاتهم قوم أصعب قوة وشدة في الحروب على أن لا يكون إلا أحد أمرين إما قتالهم أو إسلامهم ولا ثالث لهما. وهذا هو حكم مشركي العرب والمشردين فإن تطيعوا من يدعوكم لذلك يؤتكم الله أجراً حسناً. العز في الدنيا والنعيم في الآخرة، وإن تعرضوا عن طاعة ربكم كما أعرضتم من قبل في السفر مع الرسول إلى مكة. يعذبكم عذاباً أليماً بالذل في الدنيا والنار في الآخرة، ولما شدد سبحانه في عقاب من يتخلف ذكر الأعذار التي تبيح التخلف فقال: (ليس على الأعمى)..**إِنِ** لا مؤاخذه على التخلف عن القتال لمن عنده عذر كالعمى والعرج والمريض، ثم رغب سبحانه في الطاعة ونفر من العصيان فقال: ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن يتول، أي يعرض ويعصى الله يعذبه عذاباً أليماً، ثم رجع سبحانه إلى بيان فضل من بايعوا على الموت كما تقدم، وما جازاهم به فقال: لقد رضى الله عن المؤمنين حين مبايعتهم لك تحت الشجرة فعمل ما في قلوبهم من صدق الإيمان وحسن الطاعة، فبرزهم الممانيية ورباطة الجأش، وجازاهم بما حصل من الصلاح الذي يعتبر فاتحة كل خير. وقدر لهم مغنم كثيرة سيأخذونها من البلاد التي يفتحونها، وكان الله تعالى غالباً على أمره لا يجرئه شيء، **حَكِيمًا** يعامل كل امرئ على حسب عمله، ثم التفت سبحانه إلى خطاب أهل بيعة الرضوان تشريعاً لهم، فقال سبحانه وتعالى: وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها، أي من الفتوحات الكثيرة التي ستتم على أيديكم، فمعجل لكم غنيمة خيبر، وكف أيدي اليهود المحيطين بالمدينة فلم يؤذوا نساءكم وذرايكم وأنتم مشغولون بعمرة العديبة كفف سبحانه الأيدي عنكم وعجل لكم مغنم خيبر لتشكروه، وتكون تلك النعمة

﴿مُعْكَوفاً﴾: أى محبوباً ومقصوراً على فقراء بيت الله الحرام.

﴿محله﴾: أى المكان الذى يجوز فيه نحر الهدى وهو (منى). ﴿لولا رجال مؤمنون﴾: إلخ:

جواب (لولا) مفهوم، أى لأذاكم بقتالهم.

﴿لم تعلموهم﴾: أى لم تعلموا دواتهم ولا مكانهم. ﴿أن تثلثوهم﴾: أصل الوطء الضرب بالرجل على الأرض، والمراد هنا تهكؤهم، والجملة فى قوة مصدر بدل من (رجال ونساء) والمعنى لولا كراهة أن تهكؤوا رجالاً ونساءً أرباءاً لأذاكم. ﴿معرفة﴾: أى مكروهه يوجب الأسف والألم. ﴿بغير علم﴾: أى بإيصالهم. ﴿تزيلاً﴾: أى تمييز المؤمنين عن الكافرين، انظر الآية (٢٨) من سورة يونس صفحات ٢٧٠، ٢٧١.

المعنى: وعجل لكم مغانم أخرى لم تقدروا عليها الآن. وهى ما أخذ يوم خيبر إذ لم يأخذ المسلمون مغانم قبلها أكثر وجعلها معجلة مع أنها كانت بعد خيبر بالنسبة لما يأتى بعدها من مغانم لا حصر لها، وقد حفظها سبحانه لكم لوقتها. وكان الله على كل شئ قديراً لا يعجزه أن يحفظ لكم ما يريده لكم. ثم بين سبحانه أن من آثار قدرته على نصر المؤمنين أنه لو قاتلهم كفار مكة وهم بالحديبية لانهمزوا ثم لا يجدون صديقاً يدفع عنهم بالحسن، ولا ناصراً ينصرهم بالقوة. جعل سبحانه ذلك عادة مضت من قبل فى الأمم ورسلم فينصر الرسل ويهزم الكافرين بهم. ولن تجد لهذه العادة الإلهية تبديلاً. ثم ذكر منة أخرى على المؤمنين فقال: وهو الذى كف.. إلخ. وذلك أنه بينما كان ﷺ تحت الشجرة مع بعض أصحابه ينتظرون قدوم عثمان بن عفان تقدم إذ جاء خبر أن ثمانين رجلاً من قريش مسلحين يريدون أخذه ﷺ على غرة. فأرسل ﷺ إليهم جماعة من أصحابه فأسروهم. وأحضروهم إليه. ففعل ﷺ عنهم. لتعلم قريش أنه لا يريد إلا السلام، والمعنى: أنه هو سبحانه الذى كف أيديهم عنكم فلم ينالوكم بسوء. وكف أيديكم عنهم وأنتم ببطن مكة من بعد أن جملاكم ظافرين غاليين عليهم. وكان الله بصيراً بأعمالكم وأعمالهم. فافتضت حكمته منع القتال لتعظيم البيت المحرم من سفك الدماء فيه بدون ضرورة.. ولما سيأتى فى الآية بعدها حيث قال: هم الذين كفروا.. إلخ. أى لولا ما سيأتى لكانوا يستحقون القتل لأنهم كفروا ومنعوكم عن دخول المسجد الحرام. ومنعوا الهدى عن أن يبلغ محله مع أنه مخصص لفقراء البيت الحرام، ولولا رجال ونساء مؤمنون ومؤمنات مبعثرون بين كفار مكة لا يمكنكم معرفتهم، لولا أنكم تقتلونهم خطأ مع الكفار فتصيبكم من قتلهم معرفة بغير علم منكم بآيائهم لأذاكم فى قتلهم. أى الكفار الذين لم يؤمنوا؛ لأنهم ظلموا وصدوا عن البيت. ولكن من الفضل الإلهى أنه رحمة بهؤلاء المستضعفين المشار إليهم فى الآية (٧٥) من سورة النساء صفحة ١١٣ والآية (٩٨) من

الْحَمْدُ حَيْثُ الْخَبْرَةُ قَاتِلَ اللَّهِ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّاهِقِينَ كَلِمَةُ الْقُوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلًا وَكَانَ اللَّهُ يَكْفِي شَيْءَ عِلْمِيَّا ۖ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ
رَسُولَهُ أَوْ بَالِغِي يَأْتِي لَقَدْ خَلَّ السَّيِّدُ الْحَرَامُ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ آمِينَ مَخْلِقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمَقْبَرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعِلْمُ مَالٍ تَعْلَمُوا بِجَعْلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَعْلَمُوا قَرِيبًا ۖ
هَذَا الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْعَدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانَ بِاللَّهِ قَرِيبًا ۖ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ نَعْمُوا أُتُوا عَلَى الْكُفْرِ رَحْمَةً مِنْهُمْ رَبُّهُمْ
رَحْمَةً جَدِيدًا يَنْفَعُونَ نَفْسًا مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً بِسَامِعِهِمْ
فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَوَّلِ السَّجْدَةِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي التَّوْبَةِ
وَسَلَامٍ فِي الْإِيمَانِ كَكَرَرِجِ أَرْحَ سَلَامُهُ قَارَرِهِ

دخول المسجد الحرام عام الحديبية.

﴿سكينة﴾: تقدم معناها فى الآية (٤) من هذه السورة صفحة ٦٧٨.

﴿الزهم كلمة التقوى﴾: أى أمرهم بها ووقفهم لها (وكلمة التقوى) هى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) التى تقى صاحبها من الشرك والخلود فى جهنم ولذلك أضيفت للتقوى.

﴿أحق بها﴾: أى أولى الناس بها. ﴿وأهلها﴾: أى مستأهلون لها؛ لأن فيها أسباب استحقاقها. ﴿الرؤيا﴾: هى رؤياه ﷺ فى المنام أنه دخل المسجد الحرام.

﴿أن شاء الله﴾: المراد بهذا التعليق التبرك. ﴿مخلقين﴾: إلخ: لأن الحاج، أو المغمتر إذا فرغ من مناسكه تخلل بخلق رأسه أو تقصير شعره بأن يقصه. ﴿فتنحاً قريباً﴾: هو ما حصل من الصلح كما تقدم أول هذه السورة. ﴿ليظهره على الدين كله﴾: أى بقوة الدليل وكمال

- | | | | |
|---------------|--------------|-----------|------------|
| (١) الجاهلية. | (٢) الرؤيا. | (٣) آمين. | (٤) تراهم. |
| (٥) رضوانا. | (٦) التوراة. | (٧) شطاء. | (٨) فازره. |

نفس السورة صفحة ١١٩. فلم يأذن فى القتال ليدخل فى رحمته من يشاء من المؤمنين فينتقدهم، ويوقفهم لزيادة الخير ولو تميز المؤمنون فى مكان بعيد عن الكافرين لعذبنا الكافرين عذاباً أليماً بالقتل والسبى وكل أسباب الشقاء، ففضل بهم ذلك حين جعلوا فى قلوبهم.. إلخ.

المفردات: ﴿الحمية﴾: هى الأنفة.

﴿حمية الجاهلية﴾: هى الأنفة الناتجة عن طيش وغرور بالعظمة الكاذبة، فتحمل صاحبها على أن يتحكم فى غيره، ويمنعه مما يريده لمجرد إغاظته، كما فعلوا فى منع المسلمين من

المؤمنين معه ﷺ فقال: محمد رسول الله. أي رغم أنف كل مكابر والمؤمنون معه من صفاتهم أنهم أشداء على كل كافر بربه الذي خلقه، لا يمكنونه من عرقلة الإسلام، متحاطون فيما بينهم برحمة بعضهم بعضاً، تراهم في أغلب أحوالهم راكعين ساجدين لله يطلبون فضلاً من ربهم ورضاً واسعاً، انظر الآية (٣) من سورة المائدة صفحتي ١٢٤، ١٢٥ لهم علامة في وجوههم من أثر كثرة صلاتهم، وسئل مجاهد عن هذه العلامة هل هي هذا الأثر الذي يرى في وجوه بعض الناس مما يشبه أثر الكلى فقال: كلا، لأن هذا الأثر ربما كان بين عيني من هو أنفى قلباً من فرعون، ولكنه الخشوع والتواضع. وقال عبد العزيز المكي: هو نور يتجلى على وجوه العابدين يظهر من باطنهم على ظاهرهم براه أصحاب البصيرة ولو كان صاحبه زنجياً أو حبشياً. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما أسر أحد سيرة إلا أظهرها الله تعالى على صفحات وجهه: ذلك المذكور من صفاتهم هي صفاتهم المذكورة في التوراة الصحيحة، ومثهم في الإنجيل الصحيح أيضاً كزرع من القمح مثلاً يخرج الحبة الواحدة منه سبع سنابل أو أكثر كما في الآية (٢١١) من سورة البقرة صفحة ٥٥، ولجودة هذا الزرع فإنه يقوى سنابله ويغذيها بما يجعلها في منتهى الجودة. ولا يقال إن التوراة والإنجيل اللذين بأيديهما اليوم ليس فيهما من أصحاب خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام هذه الصفات: لأنه قد أثبت القرآن الكريم أن مواضع كثيرة أن اليهود والنصارى قد حرقوا كتابيهما وبدلوا فيها بل وشطبوا كثيراً مما كان فيهما. انظر الآية (٤٦) من سورة النساء صفحة ١٠٨ والآيات (١٢، ١٤، ١٥) من سورة المائدة فيها. انظر الآية (١٢٦). وقد شهد بذلك شاهد من أهلهم. انظر تفسير المنار جزء ٦ صفحة صفحتي ١٢٨، ١٢٩. وقد شهد بذلك شاهد من أهلهم. انظر تفسير المنار جزء ٦ صفحة صفحتي ٢٨٩ تجد ما نمسه (إن الكتب التي يسمونها الإنجيل الأربعة هي تاريخ مختصر للسيد المسيح عليه السلام، لم يذكر فيها إلا شيء قليل من أقواله وأفعاله. بدليل قول يوحنا في آخر إنجيله: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا. وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق. وأن أشياء أخرى كثيرة صنعتها يسوع إن كتبت واحدة فليست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة.. أمين). قال صاحب المنار: هذه العبارة يتركها الفحالة في بيان أن الذي كتب عن المسيح لا يبلغ عشر معشار تاريخه.

وقال صاحب ذخيرة الألباب الماروني: (إن الإنجيل لا يستغرق كل أعمال المسيح ولا يتضمن كل أقواله. كما شهد به القديس يوحنا).

التي عليهم، كما تقدم في الآية (١١٣) من سورة البقرة صفحتي ٢٨، ٢٩ والآية (٣٩) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٢ والآية (٣٢) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥. فوكفي بالله شهيداً. تقدم في الآية (٣٦) من سورة الزمر صفحة ٦١١ والآية (٥٢) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧. فريضانا: هو الرضا الكامل من الله وأهمه ما كان في الآخرة، انظر الآية (٧٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢. فريسماهم: أي علامتهم المميزة لهم عن غيرهم. فشقاهم: قال الكمساري: يعني طرفه الأعلى، وفسره بأنه السنبل ويؤيد ذلك قوله الآتي (فاستوى على سوقه). ففازره: أي قواه.

المعنى: إن كفار مكة كانوا يستحقون العذاب السريع حين ملأوا قلوبهم بالآفة الثالثة حيث منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام، ومنعوا كاتب شروط الصلح من أن يكتب (هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله) وقالوا اكتب فقط (محمد بن عبد الله) إلى غير ذلك مما هو موضح في مكانة المشار إليه أول هذه السورة. فبينما أخذت الكفار حمية الجاهلية أنزل سبحانه طمأنينة في القلوب على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين فقبلوا الصلح ولم يأنفوه. سببناهم من الصفات التي توجبها كلمة التوحيد التي تقيهم من عذاب النار. وكانوا أولى الناس بها لما فيهم من الصفات التي توجبها لها. وكان الله بكل شيء من خلقه عليماً. فعلم من يصلح للخير وغيره. ثم بين سبحانه أن ما وعد به نبيه ﷺ حق لا بد منه فقال: لقد صدق الله... إلخ. أي جعل رؤيا رسوله ﷺ أنه دخل المسجد الحرام صادقة مقترنة بالحق ليس فيها شيء من أضعاف الأحلام المشار إليها في الآية (٤٤) من سورة يوسف صفحتي ٣٠٩، ٣١٠. ثم أكد ذلك بالحلف عليه، فقال سبحانه: (لندخلن).. إلخ. أي وعزتي لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين من العدو وقت الدخول، متمين عبادتكم حالكم بعينكم رأسه ومقصراً شعره البعض الآخر: لا تخافون بعد تمام عبادتكم من شيء. وهذا فقد علم سبحانه من الصلح ما لم قلموا، فجعل من قبل دخولكم هذا فتحاً قريباً. وهو ما تقدم بيانه أول السورة. ثم أكد سبحانه صدقه ﷺ في الرؤيا فقال: (هو الذي أرسل رسوله).. إلخ. أي كيف يخطئ أو يكذب. وهو الذي أرسله الله تعالى بالقرآن شديد الهداية. وبين الحق الذي اختاره لسعادة البشرية ليعليه بالبراهين واضحة التعاليم على كل الأديان. وكفاك أيها النبي ربك شهيداً على صديق رسالتك فلا تبال بانكارهم ذلك. ومنهم إثبات ذلك في شروط الصلح. ثم أكد ذلك مع بيان فضل

هذه السورة هي أول السور القصار. وقد خاطب سبحانه فيها المؤمنين خمس مرات وخاطب الناس عامة مؤمنهم وكافرهم مرة واحدة، والذي يعلم ما كان عليه أجلاف العرب من الفوضى والخشونة والعيوب الاجتماعية والثقافية، وكيف عالج القرآن بعضها في آيتي (٣٠، ٣١) من سورة النور صفتحتي ٤٦١، ٤٦٢ والآيات (٥٨ إلى ٦٣) من نفس السورة صفتحات ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩ والآيات (٥٢ إلى ٥٩) من سورة الأحزاب صفتحات ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠ والآية (٢) وما بعدها من سورة المجادلة صفتحتي ٧٢٤، ٧٢٥، والآية (٩) وما بعدها من نفس السورة صفتحة ٧٢٦ والآية (١١) من سورة الجمعة صفتحة ٧٤٢، وعالج هنا نحو ثلاثة عشر عيباً حتى نقل هؤلاء الأجلاف المفككين من حضيض الفوضى إلى مصاف أرقى الأمم أدباً وترابطاً ونظاماً. نقول: الذي يعلم ذلك كله يدرك فضل الله تعالى على الناس بهذا القرآن العظيم والنبى الكريم ﷺ. فمن عيوبهم التي عالجها في هذه السورة أنهم كانوا إذا ساروا معه ﷺ لا يتحاشون أن يتقدموا عليه بدون حاجة ولا مبالاة وأنهم كانوا إذا جد أمر وسئل فيه ﷺ وهم حاضرون في مجلسه ربما تسابقوا في بيان الحكم فيه قبله ﷺ. فقال سبحانه

وَتعالى علاجاً لذلك: يا أيها الذين آمنوا.. إلخ. أي لا تقدموا أنفسكم في السير أمام الرسول بدون إذن منه، ولا أراكم في أمر ديني قبل حكم الله تعالى ورسوله، أي لا تقولوا ولا تقولوا ما يخالف القرآن وسنة الرسول، واتقوا الله بالابتعاد عما يفضيه. إن الله سمع لأقوالكم. علم بأفعالكم وسيجازيكم عليها. وكانوا إذا تكلم ﷺ في أمر وتكلموا معه فيه يرفعون أصواتهم فوق صوته ﷺ بما يشعر بعدم توقير كبير المجلس. فقال سبحانه لا ترفعوا أصواتهم فوق صوتي ﷺ. ثم ترقى سبحانه في توقيير رسوله ﷺ فقال: ولا تجهروا... إلخ. أي إذا تكلم أحدكم والرسول ﷺ يسمع فلا تفعلوا معه من رفع الصوت ما تعودتموه في مخاطبة الأقران والنظر من رفع الصوت بدون مبالاة. أي لاحظوا في مخاطبته ﷺ خفض الصوت القريب من الهمس كما هي العادة في مخاطبة المعظم، فحافظوا على مراعاة مقام النبوة وجلال قدر الرسالة، ولا تخالفوا هذه الآداب خوف أن تذهب فائدة أعمالكم: لأن من ارتكب هذه المخططات كان مسيئاً له ﷺ. وقد لا يشعر بذلك فيعاقبه سبحانه بحرماته من ثواب بعض أعماله وهو لا يشعر أنه حرم من ذلك أيضاً. ويجوز أن يراد بالأعمال هنا ما يقع كل عمل فيشمل ما يتقصده المتكلم معه ﷺ. ويكون المعنى أن رفع الصوت بدون أدب أمام الكبير الذي يجب توقيره شأنه أن يغير من نفسه

المفردات: ﴿استغلف﴾: أي صار هذا السنبل غليظاً، بعد أن كان ضعيفاً.

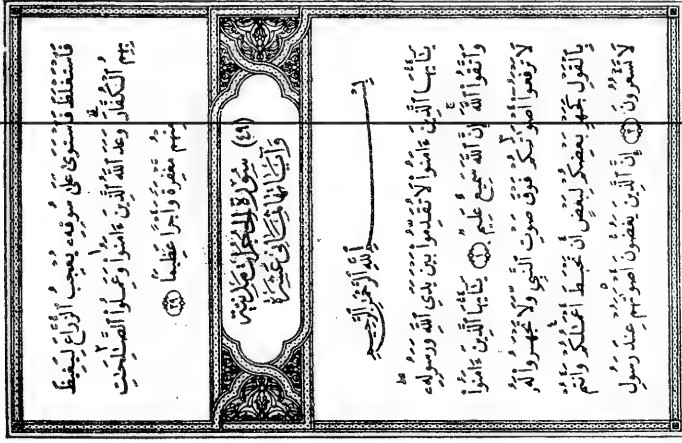
﴿فاستوى﴾: أي استقر ولم تذهبه الآفات. ﴿شوقه﴾: أي سيقانه. وهي عيادته. ﴿منهم﴾: (من) لبيان الجنس. أي الذين آمنوا من جنس هؤلاء فهي كمن في الآية (١٧٢) من سورة آل عمران صفتحة ٩١.

المعنى: بعد ما أشار سبحانه إلى جودة هذا السنبل قال إنه لما قوى صار غليظاً ممثلاً واستقر على عيادته ولم تهلكه الآفات وإذا رآه المعارفون بفنون الزراعة امتثلوا به إعجاباً، وإنما جعلهم سبحانه بهذه الصفة ليعيظ بهم الكفار، وهذا مثل للمحابة كان في بدايتهم في قلة وضعف، ثم كثروا وتقووا على أحسن وجه، قال قتادة: مكتوب في الإنجيل (يخرج نبي آخر الزمان بين قوم يثبتون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر)، وعده الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة لذنوبهم، وأجرًا عظيمًا هو نعم الجنة خالد، نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم إنه سميع مجيب.

(سورة الحجرات)

المفردات: ﴿لا تقدموا﴾: أصل التقدم بين يدي الشخص هو سبقه في السير، وأريد به هنا الكناية عن سبق الله تعالى ورسوله في حكم من الأحكام الشرعية. ولكنه سبحانه أبرز المراد في صورة مستبشرة وهي سبق الخادم سيده بدون إذن منه للتفسير من هذا العمل. ولما كانت الكناية عند العرب يصح أن يراد بها المعنى الأصلي مع المعنى اللازم صرح أن يكون المراد هنا النهي عن التقدم الحسي عليه ﷺ بدون إذن. وعن القطع بحكم قبل أن يحكم الله تعالى فيه ورسوله.

- (١) أمثوا. (٢) الصالحات. (٣) أصواتكم. (٤) أعمالكم. (٥) أصواتهم.



الخطاب رضى الله تعالى عنهما كانا لا يخاطبانه بعدها إلا بما يشبه الهمس، حتى إن أحدهم كان يرتجف إذا سمع ﷺ صوته من أول مرة. خوفاً من أن يكون رفع صوته. وكان هناك عادة أخرى تدل على همجية من أسلم من الأعراب وبمدهم عن الذوق والنظام، وذلك أنه ﷺ قد يكون في حجرة من حجرات نساؤه نائماً أو مستريحاً من غناء السفر أو جهد العبادة التي كانه الله عز وجل بها كما في الآيات (١ إلى ٥) من سورة المزمل صفحة ٧٧٣: فيأتى هؤلاء الأجلاف يريدون منه ﷺ شيئاً، فيبدل أن ينتظروه حتى يخرج إليهم يطوفون حول حجرات نساؤه ينادون بأصوات مزعجة وعبارات جافة، يا محمد. يا محمد. اخرج إلينا. قال سبحانه: في تأديب هؤلاء: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. وإنما قال سبحانه: ﴿أكثرهم﴾ تطفلاً في إصلاحهم: لأن كل واحد واحد منهم يظن نفسه من القليل لا من الكثير المستحق للذم: فيحسن حاله. ولا يلج به العناد فيرتفع منه الجفاء فيهاك.

ثم علمهم سبحانه ما ينبغي فقال: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم. أى من تلقاء نفسك لكان صبرهم خيراً لهم لما فيه من وفرة الأدب والمحافظة على توقير رسول الله ﷺ. ثم رغبهم في التوبة فقال سبحانه وتعالى: والله غفور أى لمن رجع إلى الصواب، رحيم بهم حيث اكتفى بنصيحتهم ولم يعذبهم.

قال الألوسي عند قوله تعالى هنا ﴿والله غفور رحيم﴾ أى بليغ المغفرة والرحمة. فلذلك اقتصر سبحانه على التمعن تارة، والتفريع أخرى لهؤلاء المسيئين للأدب المعترضين عن توقير الرسول ﷺ. وقد كان مقتضى ذلك أن يعذبهم أو يهلكهم، لكن رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه. ومن هذا الذى أدب سبحانه به المؤمنين، ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أنه لما سمع رسول الله ﷺ يمدح أبى بن كعب بن قيس الأنصارى بحسن قراءته للقرآن، وكان الصحابة يلقبونه بسيد القراء للقرآن. لذلك كان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أبى في بيته ليتعلم قراءة القرآن عنه فكان ينفذ نياحه دون أن يدقه وينتظر حتى يخرج كعادته فاستعظم ذلك أبى منه فقال له يوماً: يا ابن عم رسول هلا دقتك الباب حتى يفتح لك ولا تنتظر؟ فقال ابن عباس: العالم

سورة هود صفحة ٢٩١ والآية (١٢٠) من نفس السورة صفحات ٣٠٢، ٣٠٣ والآية (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٣١٨ والآية (١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠ والآية (٦٦) من سورة القصص صفحة ٥١٦، والآية (٤) من سورة الثمر صفحة ٧٠٥.

﴿فتبينوا﴾: أى فتبينوا من صحته قبل أن ترتبوا عليه آثاراً.

﴿أن تصيبوا﴾: أى خشية أن تصيبوا.

﴿بجهالة﴾: أى مع جهلكم بالحقيقة.

﴿لعلتم﴾: أى لوقعتم في مشقة ومكروه، انظر الآية (١٢٨) من سورة التوبة صفحة ٣٦٤.

﴿وزينة فى قلوبكم﴾: قال الراغب: الزينة الحقيقية مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة وهى ثلاث زينات: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة والتقوى. وزينة بدنية كالقوة وطول القامة. وزينة خارجية كالجمال والجاه:

فالزينة هنا من الأولى. وقوله تعالى في قارون: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ الآية (٧٩) من سورة القصص صفحة ٥١٨ من الثالثة: ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ .. إلخ الآية (١٤) من سورة آل عمران صفحات ٦٤، ٦٥.

﴿الفسوق﴾: قال ابن عباس: المراد به هنا الكذب. ﴿العصيان﴾: هو كل ذنب فهو من عطف العام على الخاص. ﴿الراشدون﴾: هم المستقيمون على طريق الحق الثابتون عليه.

﴿فبنت﴾: أى تجاوزت الحد في الطغيان.

المعنى: إن الذين يخفضون أصواتهم في حضرة رسول الله ﷺ تادباً. أولئك هم الذين جعل الله قلوبهم خالصة لتقواه حتى لم يبق لغيرها فيه مجال. هؤلاء لهم في الآخرة مغفرة لذنوبهم. وأجر عظيم من نعيم الجنة. ومع أنه ﷺ كان جم البواضع كثير الحياء. فإن أثر نزول هذه الآية تجلى في كثير من أصحابه رضي الله عنهم، فقد ثبت في الصحيح أنا أبا بكر الصديق وعمر بن

الأخرى فامنعوه بالقوة وذلك يكون على يد إمام المسلمين إذا وجد، ولا تتولاها جماعة منهم.

المفردات: **هتئى** أي ترجع (هات): أي رجعت إلى الصواب باختيارها وما زال فيها قوة للتعتال. **هوالعدل**: أي بالإحصاف والمراد لا تميلوا إلى جانب منهما.

هواقسما: أي أعدلوا في آثار الحكم وطرق تنفيذه، وفي كل أحوالكم وأعمالكم، لا في الحكم فقط. **هولا يسخر قوم**.. الخ: يسخر بوزن فرغ. يسخر أي يهزأ بغيره على وجه مضحك بعرضته، كأن يحاكي كلامه.

المستخرج منه: أو فعله مثلاً. **هولتمزوا أنفسكم**: الممز الطعن في الغير خفية بالإشارة بالعين أو اللسان مثلاً، وقد يطلق على كل إصاف عيب بالغير، ولو بالباطل. انظر آيتي (٧٩، ٥٨) من سورة التوبة صفحات ٢٥٠، ٢٥٥.

هوتابزوا بالانقلاب: يقال تبزه بوزن ضربه. إذا قلبه بقلب قبيح مكروه و(تتابزوا): أي لقب كل واحد صاحبه بما يكره. وذكر الانقلاب بعده لمجرد التأكيد تقول العرب: (رايتته بعينيه) وسمعته بأذنيه) ومنه في القرآن **يطير بجنحتيه** في الآية (٣٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ و(القلوب التي في الصدور) في الآية (٤٦) من سورة الحج صفحة ٤٤٠.

١) قتلتوا	٢) امزوا	٣) بالانقلاب
٤) الإيمان	٥) الظالمون	٦) آمنوا

الْأُخْرَى فَمَنْعُوهُ بِالْقُوَّةِ ذَلِكَ يَكُونُ عَلَى يَدِ
إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا وَجِدَ، وَلَا تَتَوَلَّاهُمْ جَمَاعَةٌ
مِنْهُمْ.
الْمُفْرَدَاتُ: **هَتَيْتُ** أَيْ تَرَجَعْتُ (هَاتُ): أَيْ
رَجَعْتُ إِلَى الصَّوَابِ بِاخْتِيَارِهَا وَمَا زَالَ فِيهَا
قُوَّةٌ لِلتَّعْتَالِ. **هَوَالِ الْعَدْلِ**: أَيْ بِالْإِخْصَافِ
وَالْمُرَادُ لَا تَمِيلُوا إِلَى جَانِبٍ مِنْهُمَا.
هَوَاقِسُ: أَيْ أَعْدَلُوا فِي أَعْيَانِ الْحُكْمِ
وَطُرُقِ تَنْفِذِهِ، وَفِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ،
لَا فِي الْحُكْمِ فَقَطْ. **هَوَالَا يَسْخَرُ قَوْمٌ**.. الْخ:
يَسْخَرُ بِوِزْنِ فَرَّغَ. يَسْخَرُ أَيْ يَهْزَأُ بِغَيْرِهِ عَلَى
وَجْهِ مَضْحَكٍ بِعَرْضَتِهِ، كَأَنَّهُ يَحَاكِي كَلَامَهُ.
الْمُسْتَخْرَجُ مِنْهُ: أَوْ فَعَلَهُ مِثْلًا. **هَوَلْتُمْزُوا أَنْفُسَكُمْ**: الْمَزُّ الطَّعْنُ فِي الْغَيْرِ خَفِيَّةً بِالإِشَارَةِ بِالْعَيْنِ
أَوْ بِاللِّسَانِ مِثْلًا، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ إِصْفَافٍ عَيْبٍ بِالْغَيْرِ، وَلَوْ بِالْبَاطِلِ. انْظُرْ آيَتِي (٧٩، ٥٨) مِنْ
سُورَةِ التَّوْبَةِ صَفَحَاتِ ٢٥٥، ٢٥٠.
هَوَتَابَزُوا بِالْإِنْقِلَابِ: يُقَالُ تَبَزَّاهُ بِوِزْنِ ضَرْبِهِ. إِذَا قَلَّبَهُ بِقَلْبٍ قَبِيحٍ مَكْرُوهٍ وَ(تَتَابَزَوْا): أَيْ لَقِبَ
كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ. وَذَكَرَ الْإِنْقِلَابَ بَعْدَهُ لِمَجْرَدِ التَّأَكُّدِ تَقُولُ الْعَرَبُ: (رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيْهِ)
وَسَمِعْتُهُ بِأُذُنَيْهِ) وَمِنْهُ فِي الْقُرْآنِ **يَطِيرُ بِجَنَحَتَيْهِ** فِي الْآيَةِ (٣٨) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ
صَفْحَةِ ١٦٨ وَ(الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) فِي الْآيَةِ (٤٦) مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ صَفْحَةِ ٤٤٠.

في قومه كالنبي في أمته، وقد قال سبحانه في حق نبيه: **هولولو أنهم صبوا** حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم. ثم عرض سبحانه وتعالى إلى جانب آخر من جوانب الفساد الشائع بين العرب الذي كان التساهل فيه يجر إلى أعظم الأخطار، ذلك هو التسرع بإدانة ما قد يجر إلى خطر شديد قبل التثبت منه، وعالجه سبحانه في قوله: **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق... الخ** أي إن جاءكم رجل لا تتقون بصدق خبره وأخبركم بخبر له أهمية، فلا تتسرعوا في بناء آثار عليه، بل تثبتوا من صبرته أولاً خوفاً أن يكون مكذوباً على قوم مظلومين. فتصيبوهم - مع جهلكم بعالمهم - بما يكرهون. ثم يبين لكم بعد ذلك كذب الخبر فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، ولا ينفعكم الندم، وبعد ما حذر سبحانه المؤمنين من أخبار الفاسق نبههم إلى أن الرسول المرشد الأعظم الذي يجب اتباعه موجود بينهم، فيجب أن يكونوا بعيدين عن الكذب الذي يجر إلى المضائبات التي تولمه. ولا يلبق بالمؤمن المحب لرسوله أن يوقعه فيما يتألم منه، وبهذا يجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم هو فيما يقولون بدون تثبت، لأن ذلك يوقعهم في إثم ومشقة لكن سبحانه وقاكم يا جماعة المؤمنين من شر ذلك، فعيب إليكم الإيمان بتحسينه في قلوبكم فصرتم لا تتحولون عنه وذكره إليكم الكفر به وبرسوله. والكذب الجالب للمعاسد ولكل معصية، هؤلاء المؤمنون الذين هذه صفاتهم هم المستقيمون على طريق الصواب، فعل سبحانه بهم ذلك تفضيلاً منه وإنعاماً؛ لأنه علم بأحوالهم حكيم فيما يعاملهم به، ولأن هذه السورة جمعت من الآداب مع الرسول ﷺ ما لم يأت في غيرها فإنها كذلك جمعت من الآداب بين المسلم وأخيه المسلم مالم يأت في غيرها أيضاً، ففضلاً عن أنها عاجت عيوباً جمعة كانت بين العرب في الجاهلية ولهذا تعتبر هذه السورة سجل شمين لمكارم الأخلاق.

ثم أرشد سبحانه المؤمنين إلى ما يفعلونه إذا وقع تنازع بين فريقين من إخوانهم أو فردين منهم فقال سبحانه: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بعلمهم إلى الرضوخ لحكم الله. فإذا رفضتم إحداهما الرضا بحكم الله وتجاوزت الحد بعلمانيها على

السمعة الذائعة بين الناس للمؤمن الفسوق بعد أن يدخل في الإيمان، وبس الوصف للمؤمن وصف الفسق بعد الإيمان، والمراد ببيان أن من فعل شيئاً مما تقدم فهو فاسق والجمع بين الفسق والإيمان قبيح، ثم نبه سبحانه إلى طريق الخلاص من الذنب وهو التوبة منه فقال تعالى: ﴿ومن لم يَتُبْ...﴾ إلخ، أي ومن استمر على فسقه بعد ذلك فقد ظلم نفسه بحرمانها من عفو الله، ثم حذر سبحانه من عيوب أخرى فقال: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا... إلخ، أي اجترسوا من كثير من الظن فإن بعضه ذنب يعاقب عليه، فلا تسارعوا في ترتيب آثار على مطلق ظن مخافة أن يكون من هذا القليل الممنوع، وهو ظن السوء بالمؤمن المعروف بالأمانة والتستر. أما من يجاهر بالمعاصي فلا حيلة في دفع ظن السوء به، وكذا لا يجوز لكم أن تتبعوا عورات الناس، وفي الحديث الصحيح: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عوراتهم فضجحه الله في عمر بيته) وكذا لا يفتب بعضكم بعضاً بذكره بما يكره سواء أكان ذلك في دينه أو في دنياه، متصلاً به أو بمن له به رابطة، كولد أو زوجة أو والد أو والده، وبهذا تحرم غيبة مستور الحال.

ولا تحرم غيبة المجاهر بالمعصية، وقالوا ليس من الغيبة أن تذكر عيوب شخص لمن استشارك في مصاهرته أو مشاركته في عمل مثلاً، بشرط أن يكون ذلك منك سرا وأن لا تكون كاذباً.. إلى آخر ما ذكروا من شروط تدور كلها حول المحافظة على كرامات الناس إلا للضرورة، ثم بشع سبحانه أمر الغيبة فقال: أيعب أحدكم... إلخ، والمراد أن صاحب العرض يغار على عرضه، ويتألم له كما يتألم من تمزيق لحمه، فالمغتتاب يمزق لحم من اغتابه وهو غير حاضر معه ولا شاعر بتمزيق عرضه وقت الغيبة فكأنه ميت، وكأن المغتتاب يأكل لحم أخيه الميت، وهذه أبشع صورة عند العقلاء.. ولذا قال فكهتموه أي إذا كانت هذه هي صورة عمل المغتتاب فقد كرهها واحد، وإذا كنتم تكهرون ذلك، فاتقوا الله وتوبوا عما يغضبه، فإنه سبحانه كثير القبول للتوبة. راجع بالتائبين المخلصين، وقد صرح في الحديث أنه ﷺ قال: (أندرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال هي ذكرك أخاك بما يكره، فقال أحد أصحابه أفرأيت إن كان في أخى ما أقول؟ فقال ﷺ: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد افتريت عليه)، وقال العلماء: من كفارات الغيبة بعد التوبة منها الاستغفار لمن اغتابه والدعاء له بالخير.

﴿بئس﴾: أي قبيح (الاسم): ليس المراد به هنا ما قابل العمل والحرف بل المراد به الذكر الذائع؛ يقولون طار اسمه في الناس بالكرم أو البخل مثلاً، وقال ابن كثير (الاسم) هنا بمعنى الصفة كما في الآية (٦) من سورة الصف صفحتي ٧٣٨، ٧٣٩. ﴿كثيراً من الظن﴾: قال تعالى (كثيراً) لينبه للاحتياط لكل ظن، ويتأمل حتى يعلم أنه مما لا ضرر فيه، ﴿بعض الظن﴾: هو كل ظن السوء بالغير بدون دليل، ﴿ولا تجسسوا﴾: التجسس هو تتبع عورات الناس بالبحث عنها، ﴿يفتب بعضكم بعضاً﴾: الغيبة ذكر الشخص بما يكره، ﴿أيعب﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي أي لا يجب أبداً، ﴿يأكل لحم أخيه ميتاً﴾: هذا تمثيل لما يفعله المغتتاب في حق أخيه الإنسان بأفطع صورة، وأشنعها في الطبع والعقل.

المعنى: فإن بغت طائفة من المؤمنين على طائفة منهم فامنموا فيها بمقتالتها حتى ترجع إلى حكم الله وترضى به، فإن رجعت وقبلت تحكيم شرع الله، فأصلحو بينهما بالعدل والإنصاف ولا تكتفوا بمجرد فض التنازع بل لابد من مجازاة المعتدى وتوقيض المغتدى عليه حتى تأمنوا عدم رجوع العداوة وأعدوا دائماً في كل أعمالكم وأقوالكم، إن الله يحب العادلين في كل أعمالهم، ثم بين سبحانه الباعث على ما تقدم فقال: إنما المؤمنون أخوة، أي إن المسلمين بينهم أخوة في الدين كالإخوة في النسب إن لم تكن أحق منها بالرعاية، وإذا كان الأمر كذلك فبادروا للإصلاح بين أخويكم وبالأولى بين إخوانكم الأكثر من اثنين، واتقوا الله في احترام أو أمره زجاء أن تستحقوا رحمته، ثم نهى سبحانه عن عيوب أخرى كانت شائعة بينهم في الجاهلية فقال: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر.. إلخ، أي لا يحل لرجل أن يسخر من رجل أو امرأة أو جمع من الناس، ولا لامرأة أن تسخر من امرأة أو رجل أو جمع من الناس، وإنما جاء النهي في الآية عن سخيرية رجال من رجال ونساء من نساء ملاحظة لأن أغلب السخيرية تكون في المجامع، ثم بين سبحانه علة النهي بأن المسخور منه قد يكون خيراً من الساخر في الواقع وعند الله، ثم نهى سبحانه المؤمنين عن ظن بعضهم بعضاً خفية بما يؤذي وفي قوله: (اتفكسكم) إشعار بأن الطاعن في أخيه كأنه يظعن نفسه، ولا يلقب بعضهم بعضاً بما يكره سواء أكان اللقب له أو لأبيه أو لمن يجمعه به قرابة، فلا يجوز أن يقول له يا فاجر مثلاً، قال ابن عباس: ومنه أن يكون للرجل سيئات وتاب منها فلا يجوز أن يقول له يا ساوق، ولا لمن أسلم من أهل الكتاب يا يهودي ولا يا نصراني ولا يا ابن النصراني مثلاً، بئس

المعنى: يقول سبحانه وأنبأنا فى الأرض من كل صنف من أصناف الزرع ما يسر الناظر إليه. فعلنا ذلك تبصيرا منا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة والتوبة عما يحصل منه ويقول سبحانه ونزلنا من جهة السماء ماء كثير البركات والخيرات فأنبتنا به نباتين وزرعا نعصد فينتفع بهيه.

وأنبأنا بهذا الماء أيضا النخل حال كونها طويلا دالة على قدرتنا. لا يمكنها على طولها إلا الله. وحال كونها تعمل عراجين مترابعا عليها ثمرها لأجل رزق عبادنا.

وجعلنا بهذا الماء الأرض القاحلة خضراء بكل نبت غير ما تقدم. مثل إخراجنا هذه الأشياء من الأرض نخرج الموتى من القبور يوم القيامة. والمراد أن القادر على ذلك قادر على إعادة الخلق للجزاء فكيف تتكرونها؟

ثم بين سبحانه أن عمل كفار مكة من تكذيب الرسول وإنكار البعث كعمل من قبلهم مع رسلهم. وكانت عاقبتهم الهلاك لينزجر كفار مكة. فقال: كذبت قلوبهم أى قبل كفار قومك أيها النبى قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وقومه وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع. كل أمة من هؤلاء كذبت رسولها. فنزل بهم ما أوعدتهم به. وهو العذاب والهلاك.

ثم أكد سبحانه صحة البعث فقال: (أفعمينا) .. الخ. أى هل قصدنا الخلق الأول فمعجزنا عنه حتى يتوهم معجزنا عن الإعادة؟ أعلم أيها النبى أنهم غير منكربين قدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وحيرة من خلق جديد لما فيه من مخافة العادة وعدم إيمانهم بوعدهم.

ثم هددهم سبحانه فقال: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به أى ما تحدته به نفسه ويخطر بباله. والمراد فى قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

الكلابة عن تمام علمه سبحانه بأحوال العبد. لا يخفى عليه شئ منها. نعلم ذلك حيث يتلقى الملاك أنفاله. عن يمينه واحد وعن شماله واحد. والكلام يشعر بعدم حاجته سبحانه لذلك. ولكن أمر بذلك ليكون حجة للعبد أو عليه. فلما يلفظ العبد من قول فضلا عن أن يفعل فعلا إلا عنده رقيب حاضرا مهيا لإثبات كل شئ له أو عليه. حتى الحسد وظن السوء.

سَجَّ الْوَرْدَ بِالْمَحْيِ ذَاكَ مَا كُنْتَ بِهِ مُجِيدٌ ۝
وَنَبِّحْ فِي الصُّورِ ذَاكَ يَوْمَ الرَّعِيدِ ۝ وَبَيَّاتٌ كُلُّ
نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٍ وَشَيْدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَٰذَا فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝
وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كِفَّارٍ عَيْنِي ۝ تَتَجَافَىٰ لَعُنْتَ مَعْتَدٌ مُّرِيبٌ ۝ الَّذِي
جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا وَأَنَّىٰ لِلْيَاقِ فِي الْعَذَابِ النَّبِيدِ ۝
* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتُ وَلَكِن كَانُ فِي سَكَلٍ
بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ ۝ مَا يُبْدِلُ أَقْوَامُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِمُكَلَّمٍ
لِّلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ كُلُّ
مِنْ مَّرِيدٍ ۝ وَأَلْقَيْتُ الْحَصَىٰ لِلْعَيْنِ فَغَرَّ بَعِيدٍ ۝

﴿يوم الوعيد﴾: المراد: يوم تحقق الوعيد الذى توعد الله سبحانه به فى الدنيا الكافرين بالعذاب الخالد.

﴿سائق﴾: المراد هنا: سائق يسوقها إلى المحشر.

﴿شهيدي﴾: أى لها أو عليها. وهو كثير فى ذلك اليوم فمنه الأنبياء والملائكة والكتب والجوارح وغير ذلك. انظر الآيات (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧ والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢ والآية (٢٩) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤.

﴿حديدي﴾: أى حاد قوى.

﴿قربينه﴾: المراد به هنا: الملك المراقب له، المتقدم فى الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٦٨٩.

- (١) آخر.
(٢) ضلال.
(٣) بطلان.

المفردات: ﴿سكرة الموت﴾: هى شدته التى تذهل العقول.

﴿بالحق﴾: المراد به هنا: كل ما كان ينكره الكافر من أمور الآخرة: لأن المرء عند الموت يعلم ما كان خافيا عليه.

﴿تحديد﴾: أى تبتعد وتنفرد.

﴿ونبِّح فى الصور﴾: المراد هنا: النسخة

الثانية انظر الآية (٦٨) من سورة الزمر

صفحة ٦١٥ (والصور): هو فى لغة العرب

اسم للبق الذى ينبِّح فيه فيحدث صوتا

قويا، انظر الآية (٧٢) من سورة الأنعام

صفحة ١٧٤.

﴿عقيد﴾: هنا: معد ومهيباً لما يقضى به الله فيه.
 ﴿القياء﴾: الخطاب للسائق والشهيد من الملائكة.
 ﴿مريب﴾: المراد: شاك في الدين.
 ﴿قرينه﴾: المراد به هنا: صاحبه الذي قارنه في الدنيا، وزين له الكفر والفسوق، انظر الآية (٢٥) من سورة فصلت صفحة ١٣٢.
 ﴿تقول لجهنم﴾: قال مجاهد: ليس هناك قول. وإنما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلات حتى لم يبق فيها مكان خال، ونظيره تقدم في الآية (١١) من سورة فصلت صفحات ١٣٠، ١٣١.

﴿هل امتلات﴾: ﴿هل﴾ حرف استفهام تقريرى. أى اقرى بأنك امتلات وحققت لك ما وعدت به، انظر الآية (٨٥) من سورة ص صفحة ٦٠٥، ونظير هذا الاستفهام في الآية (١) من سورة الشرح صفحة ٨١٢.

﴿هل من مزيد﴾: ﴿هل﴾ هنا للاستفهام الإنكارى، المعيد للنفي، أى لا مزيد.

﴿أزلقت﴾: أى قرئت، وأصل تزلف لكاه جاء به بصيغة النعل الماضى لإفادة أنه سيحصل قطعاً، كما في الآية (١) من سورة النحل صفحة ٢٤٥.

﴿غير بعيد﴾: هذا تأكيد لما قبله، كما تقول فلان كريم غير بعيد.

المنفى: بعدما أبطل سبحانه استبعادهم للبعث، وبين أن أعمالهم معزومة له سبحانه، أراد أن يحذرهم بأنهم سيلاقون يوم البعث قطعاً ويعرفون أنه حق بهجر موتهم فقال: وجاءت سكرة الموت بالحق... إلخ. أى جاءت شدة الموت مقارنة لمعرفة الحقيقة: لأن الإنسان يعلم بهجر دخوله في سكرات الموت كل شيء مما كان وما يكون وتقول الملائكة ذلك الحق هو ما كنت تقرر منه خوفاً. وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا). ونفخ إسرافيل في الصور لقيام الأموات من القبور. ذلك الوقت الذى تفتح فيه هو يوم تحقق الوعيد

الذى توعد الله به الكفار في الدنيا. وإنما خص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعيد بالنعيم للمؤمنين أيضاً لأن المقام لتخويف كفار مكة. وجاءت كل نفس مكلفة معها سائق وشهيد. وتقول الملائكة للمعاصي لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذى رأيته الآن فكشفنا اليوم عنك غطاء الغفلة والالتهامك في الدنيا. فبصرك اليوم حاد قوى يكشف ما خفى، وقال الملك المقارن له المتقدم في الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٦٨٩ هذا ما هو تحت مراقبتى معد وحاضر الآن للحساب والجزاء. فيقول سبحانه للسائق والشهيد من الملائكة: اطرحا في جهنم كل مبالغ في الكفر مبالغ في العناد بترك الانتقاد للحق... مبالغ في منع الخير عن الناس. ظالم منك للحق: شاك في دين الله وفى البعث.

ثم بين سبحانه بعض صفات هذا الكافر العنيد فقال: الذى جعل مع الله إلهاً آخر. ثم أكد الأمر بإدخاله النار بقوله: ﴿فألقياه﴾... إلخ. أى وإذا كان هذا حاله فألقياه في العذاب الشديد. ونظير هذا التأكيد في الآية (١٨٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ عند ذلك يعتر العاجز بأن قرينه الشرير هو الذى أطفأه، انظر الآية (٣١) وما بعدها من سورة سبأ صفحة ٥١٧. فيرد شيطانه الذى أغواه في الدنيا، ويقول: يا ربنا، أنا ما أوقعته في الطغيان، ولكنه كان في ضلال بعيد جداً عن الصواب، فسار وراء شهواته وتأثر بهجر دعائى له ولم أكرهه انظر الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٣.

فيقول سبحانه لكل المتخاضمين لا تختصموا عندى الآن والحال إنى قدمت إليكم في الدنيا وعيدى بالعذاب، إذا كفرتم وعصيتم، فلا تبدل لما قلته في الدنيا في كتبى وعلى لسان رسلى، لأنى لست بصاحب ظلم لعبادى، ومن الظلم أن أسوى بين الطائع والمعاصى، انظر الآية (٢٨) من سورة ص صفحة ٦٠٠ وآيتى (٢٦، ٢٥) من سورة القلم صفحة ٧٥٩.

لا أظلم أحداً يوم تقول لجهنم حققت لك ما وعدت به في الآية (٨٥) من سورة ص صفحة ٦٠٥. فتقول: نعم يا ربى لا مكان عندى للمزيد. هذا حال الشجار، أما المؤمنون فيترب لهم الجنة قطعاً في مكان غير بعيد لتعجيل إدخال السرور عليهم وإسعادهم بنعيمها المقيم.

﴿هل...﴾: إلخ. هنا حرف استفهام إنكارى يفيد النفي. أى لا محيص، والمحيص المفر. ﴿من﴾: لتأكيد النص على عموم نفى ما بعدها.

﴿لذكرى﴾: أى تذكير وعظة.

﴿لمن كان له قلب﴾: أى يدرك به الحق بنفسه.

﴿ألقى السمع﴾: المراد: أصفى لما يقول غيره انظر ما تقدم فى الآية (٢٢٣) من سورة

الشعراء صفحة ٤٩٣.

﴿شهيد﴾: المراد حاضر القلب تام البيضة.

﴿فى ستة أيام﴾: تقدم الكلام عليها فى الآية (٩) وما بعدها من سورة فصلت صفحة ٦٣٠،

٦٣١.

﴿غوب﴾: الفتور الذى يعقب التعب كما تقدم فى الآية (٣٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦.

﴿قبل طلوع الشمس...﴾: إلخ. تقدم فى الآية (١٣٠) من سورة طه صفحة ٤١٩.

﴿أديار السجود﴾: أديار. جمع دبر بضمين، وهو آخر الشئ، والمراد: عقب الصلوات.

﴿المنادى﴾: أصلها المنادى، وقيل: هو إسرافيل.

﴿الصيحة﴾: هى النفخة الثانية، المشار إليها فى الآية (٣٠) المتقدمة من هذه السورة

صفحة ٦٩٠.

﴿بالحق﴾: هو المتقدم فى الآية (١٩) من هذه السورة صفحتى ٦٨٩، ٦٩٠ والمراد به

البعث الذى كان الكفار ينكرونه.

﴿الخروج﴾: أى من القبور.

المعنى: وتقول الملائكة للمتقين هذا هو النعيم الذى وعدهم به ربكم فى كتبه وعلى لسان رسله وهو معد لكل عبث رجاع إلى مولاه بالطاعة. حفيظ لأشرائعه وهو من خاف ربه مخلصاً

هَذَا مَا نُوعِدُكُمْ لِكُلِّ آدَاءٍ حَفِيطٍ ﴿٣٥﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ يَاقِيبَ وَجَّهَ قَلْبُهُ مُبِيبٌ ﴿٣٦﴾ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٧﴾ كُنتُمْ بِآيَاتِنَا وَنَحْنُ بِآيَاتِكُمْ مُّرِيدٌ ﴿٣٨﴾ وَكَرَّمْنَا قَبْلَهُم مِّن قُرْآنٍ هُمْ أَشَدُّ نَهْمًا يَتْلَوْنَهُ قَبْلَكَ مَبْنُوعًا مِّن بَيْنِ يَدَيْهِمْ ﴿٣٩﴾ إِنَّا فِي ذَٰلِكَ لَكَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ لَمَّا كَانَ قَلْبُكَ أَرَأَيْتَ السَّعْيَ وَهُوَ شَدِيدٌ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْبَشَرِ الْأَوَّلَ قَبْلَ مَا يَنْتَهَى فِي سَبِيلِ الْآيَةِ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٤٢﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٤٣﴾ وَبِالنَّجْمِ إِذَا هَلَكَ ﴿٤٤﴾ وَادْبُرْ لُصُوفُ النَّجْمِ إِذَا هَلَكَ ﴿٤٥﴾ وَبِالنَّجْمِ إِذَا هَلَكَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

المفردات: ﴿آداب﴾: كثير الرجوع إلى الله بالطاعة والتوبة.

﴿حفيظ﴾: أى شديد المحافظة على شرائع ربه.

﴿خشى الرحمن بالقيب﴾: أى خاف ربه وهو يعصم عن الناس انظر الآية (٤٩) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥.

﴿قلب منيب﴾: قال فى المختار آداب إلى الله تعالى. أى أقبل وتاب. ونسب الإجابة للقلب لأن العبرة بالقلوب.

﴿ادخلوها بسلام﴾: أى مصاحبين سلاماً من ملائكة الله عليكم. انظر الآية (٧٣) من سورة الزمر صفحة ٦١٦.

﴿يوم الخلود﴾: أى اليوم الذى يبشركم الله فيه بالخلود فى النعيم.

﴿كم﴾: كلمة معناها كثير.

﴿من قرن﴾: ﴿من﴾ تدل على أن ما بعدها بيان لهذا الكثير المفهوم من ﴿كم﴾. والقرن هم الجماعة المقترنون فى زمن واحد. انظر الآية (٦) من سورة الأنعام صفحتى ١٦٢، ١٦٣.

﴿بطشاً﴾: البطش: أخذ الشئ بقوة وشدة. انظر الآية (١٢٠) من سورة الشعراء صفحتى ٤٨٨، ٤٨٧.

﴿يتبوا فى البلاد﴾: أى ساروا فى البلاد باحثين عن مكان يحفظهم من الموت.

(١) سلام.
(٢) فى البلاد.
(٣) السموات.
(٤) الليل.
(٥) أديار.

﴿يسير﴾: أى سهل هين.

﴿يجبار﴾: الباء تأكيد تسمى ما بعدها عما قبلها، أى يقاهر لهم على الإيمان كما فى الآية (٢٢) من سورة الفاتحة صفحة ٨٠٥.

﴿وعيد﴾: الوعيد التهديد بالعذاب والأصل وعيدى.

المعنى: والينا وحدنا المرجع فى الآخرة للحساب والجزاء لا ينازعنا فيه مناخ إلينا مرجعهم يوم تشقق الأرض فيخرجون مسرعين فى الخروج منها إلى المحشر كأنهم جراد منتشر، انظر الآية (٧) من سورة القمر صفحة ٧٠٥. ذلك العشر حشر يسير علينا مستحيل على غيرنا. ثم خفف سبحانه على نبيه ألم تكذيبهم له فقال: نحن أعلم بما يقولون من تكذيبك وإكثار البعث. فلا تقتل نفسك حرنا عليهم، انظر الآية (١) من سورة الكهف صفحة ٣٨٠. لا تكلف نفسك فوق طاقتها لأنك لست قادراً على جبرهم على الإيمان. وأشغل نفسك، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدى الذى توعدت به المخالفين. فإن من يخاف ذلك هو الذى يتقن بالتذكير. انظر الآية (٥٥) من سورة النازيات صفحة ٦٩٦.

سورة النازيات

المفردات: ﴿النازيات﴾: جمع نازية، والمراد بها الريح لأنها تثير الأبخرة فى الجو حتى تتعقد سحاباً. انظر الآية (٤٨) من سورة الروم صفحة ٥٢٧. تقول العرب: ذروت الشيء أذروه أى طيرته.

﴿وقر﴾: أصل الوقر حمل البعير، والمراد به هنا: السحاب الثقيل وجمعه أوقار، انظر الآية (٥٧) من سورة الاعتراف صفحتى ٣٠١، ٣٠٢.

(١) فالجاريات

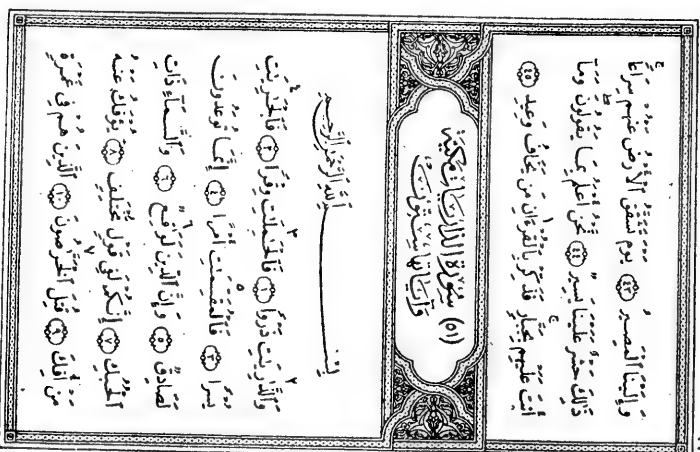
(٢) فالجاريات

(٣) فالجاريات

(١) بالقرآن

(٢) بالقرآن

(٣) بالقرآن



بعيداً عن الرباء. وجاء ربه بقلب منيب راجع إلى الله دائماً لا يعرف غيره، ويقال لهم أيضاً ادخلوا الجنة مسلماً عليكم من الملائكة تحية لكم. ذلك اليوم الذى دخلتم فيه الجنة هو اليوم الذى يتعدون فيه الحياة الدائمة فلا موت بعده. ولهم فى الجنة كل ما يريدون، ثم يزيد فى سرورهم سبحانه وتعالى فقال: ولدينا مزيد. أى نزيدهم فوق ما يشاءون من النعيم ما لا يخطر لهم على بال. وبعد ما حذرهم سبحانه من عذاب الآخرة شرع يحذرهم من عذاب الدنيا فقال: وكم أهلكنا... إلخ. أى وكثيراً من الأمم قبلهم شرعنا فى إهلاكهم لما عملوا مثل عملهم، فهربوا فى البلاد خوفاً من الهلاك. والمراد قبلهم شعركا. فقبل لهم لا مفر لكم من الهلاك. أى هلكوا ولم ينج منهم أحد. انظر آتى (١٢، ١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١.

إن فيما ذكر مما حصل للأمم قبلهم لتذكرو وعظة لمن كان له قلب سليم يدرك الحقائق بنفسه أو يصفى إذنه لما يلقى عليه غيره، من المواقف، والحال أنه حاضر الشكر متيقظ.

ثم ذكر سبحانه دليلاً آخر على البعث فقال: ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ولم نعتريها تعب.

ولا شك أن من قدر على خلق ذلك وهو أكبر من خلقهم كما فى الآية (٥٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٥. قادر على أن يعمشهم يوم القيامة.

وإذا كان الأمر كما ذكر فاصبر أيها النبى على ما يقولوه المشركون فى شأن البعث، ونزهه تعالى عن العجز وعن خلف الوعد، حامداً لربك على ما أنعم عليك به. واحصه دائماً وسبحه على الاختص بعضاً من الليل والناس نيام، وعقب كل صلاة، واستمع لما أخبرك به من أحوال يوم القيامة، يوم ينادى المنادى أهل القبور من مكان يسمعه كل واحد منهم كأنه بجانبه.

فى هذا اليوم يسمعون نفخة إسرافيل الثانية مقتربة بالحق الذى كان يكره كثير منهم وهو البعث والحساب والجزاء. ذلك اليوم هو يوم خروجهم من القبور، من كل ذلك يعلم أننا وحدنا نحى ونميت من غير أن يشاركنا أحد.

المفردات: ﴿المصير﴾: المرجع ﴿تشقق الأرض﴾: أصلها تشقق تشقق وذلك يوم القيامة. ﴿سراعاً﴾: جمع سريع مثل كرام جمع كريم، وهو حال من فاعل يخرجون المفهوم من الخروج المتقدم فى الآية (٤٢) السابقة صفحة ٦٩١، والمراد يخرجون من القبور سراعاً.

﴿يسرا﴾: أى جريا هيناً سهلاً، انظر الآية (٣٦) من سورة ص صفحة ٦٠١ .
 ﴿المقسمات أمراً﴾: المراد بالأمر هنا المطر، والمقسمات هى الرياح التى توزع الأمطار بتصرفها للسحاب فى الأقطار حسب ما يريد سبحانه وتعالى، انظر الآية (٤٣) من سورة النور صفحة ٤٦٥ .

﴿الدين﴾: المراد به هنا: الحساب والجزاء، ﴿لواقع﴾: أى حاصل بلا أدنى شك .
 ﴿الحبك﴾: كالطرق وزناً ومعنى مضطرب، والمراد: طرق سير الكواكب .
 ﴿قول مختلف﴾: أى متناقض مضطرب، والمراد ليس عندكم علم ثابت .
 ﴿يؤفك عنه﴾: أى يصرف عن الإيمان بالحساب والجزاء يوم القيامة، ﴿مَن أفلك﴾: أى مَن صرفه الشيطان عنه، وفيه مبالغة حيث جعل المصروف كأنه مصروف قبل نسبة الصرف إليه . تقول العرب: حصلت المعركة فقتل مَن قتل ونجا مَن نجا .

﴿قتل﴾: المراد لمن وهلك انظر الآية (١٧) من سورة عبس صفحة ٧٨٢ .

﴿الخراصون﴾: الكذابون .

﴿فى غمرة﴾: أى فى جهل يغمى بهم، كما يغمى الماء الغريق فيه .

المعنى: يقسم سبحانه بالرياح التى تثير السحاب فتعمله وهو ثقيل بماء المطر، فتجرى به جريا سهلاً فتقسمه الأقطار كما ينشأ سبحانه، إن وعده للكفار بالبعث لصادق، وإن الحساب والجزاء لحاصل قطعاً، انظر حكمة قسمه سبحانه ببعض خلقه فى شرح الآية (١) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٨٧ .

ثم أقسم سبحانه قسمًا آخر على قسم عليه آخر فقال: (والسما) ... إلخ. أى أقسم بالسما ذات الطرق التى تثير فيها كواكبها بانتان كما تقدم فى شرح الآية (٤٠) من سورة يس صفحة ٥٨٢ . إنكم يا كفار مكة لمضطربون فى أقوالكم فى شأن الرسول والقرآن والبعث، فتارة تقولون فى الرسول ساحر وأخرى مغبون؛ وتقولون فى القرآن سحر، وتارة تقولون أساطير الأولين . وفى البعث تارة تشكون وتارة تتكبرون، فأنتم تسيرون فى عمالية ليس عندكم علم بشئ، يصرفكم الشيطان عن الإيمان بما ذكر . لعن الله الكذابين أمثالكم الذين غمى بهم الجهل فهم غافلون عن أهوال الآخرة .

المفردات: ﴿سأهون﴾: المراد غافلون .

﴿يسألون﴾: أى يسألون الرسول سؤال استهزاء .

﴿أيان﴾ ... إلخ: اسم استهزاء عن زمان،

أى متى مجيء يوم الدين أى يوم الحساب والجزاء الذى تقول به .

﴿على النار يفتنون﴾: أصل معنى الفتنة إذابة المعادن كالذهب مثلاً على النار . ليظهر

غشاه، ثم استعمل فى التعذيب، وضمن يفتنون معنى يعترضون ولذا جاء بخرف ﴿على﴾ ولم يأت بخرف الباء، والمراد يعذبون يعرضهم على جهنم .

﴿فى جنات وعيون﴾: المراد فى مكان محاط بجنات وعيون تجرى منها الأنهار،

انظر الآية (٥٤) من سورة القمر صفحة ٧٠٨ .

(أخذين ما آتاهم ربهن) : الأخذ هنا معناه التلقى والقبول والرضا؛ انظر الآية (١٠٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥٩ .

﴿كلوا قبل ذلك﴾: أى فى الدنيا، انظر الآية (٢٤) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٣ .

﴿قليلًا من الليل ما بهجوعون﴾: الهجوع النوم القليل؛ وما تجعل ما بعدها مصدراً والمعنى كانوا قليلًا من الليل هجوعهم .

﴿الأسحار﴾: جمع سحر يفتحين، وهو آخر الليل قبيل الفجر .

﴿حق﴾: انظر ذلك فى شرح الآية (٤) من سورة لقمان صفحة ٥٣٩ .

(١) يسألون .	(٢) جنات .	(٣) أخذين .
(٤) آتاهم .	(٥) الليل .	(٦) أموالهم .
(٧) يات .	(٨) آتاك .	(٩) إبراهيم .
(١٠) سلاما .	(١١) سلام .	

وهؤلاء هم ارقى طبقات المؤمنين وهم السابقون المذكورون في الآية (١٠) وما بعدها من سورة الواقعة صفحة ٧١٢، ٧١٤. وكانوا ينتفحون من أموالهم للفقير الذي يسأل والذي يتمتف عن السؤال؛ والمراد أن ذلك كان هو حالهم في ليالي الخير، كالمنشئ الأوآخر من رمضان، والمناشر من ذي الحجة، ولبلة القدر، ولبلى العيدين.... إلخ. أما بقية الليالي فشانهم أن يكونوا قريباً من النبي ﷺ، وأنه كان يصل في قيامه إلى ثلث الليل، انظر الآية (٢٠) من سورة المزمل صفحة ٧٧٤، ٧٧٥.

ثم شرح سبحانه في بيان بعض الأدلة على قدرته سبحانه ووحدانيته التي غفلوا عنها فقال: (وفي الأرض).... إلخ. أي وفي الأرض من الجبال والبحار والأشجار والنبات وغيرها دلائل ينتفع بها المستمدون لليقين للسلامة فطرتهم. وكذلك في داخل أنفسكم من الأجزاء الدقيقة والنظام الباسع والقول المفكرة المستبطة للصنائع الباحثة عن أسرار الكون. في كل ذلك براهين. أيضاً على تمام القدرة والإله الواحد. ثم عطف الكفار على إهمال التفكير في ذلك فقال: أفلا تبصرون. أي هل طمس على قلوبكم فصرتم لا تدركون هذه الأدلة؟

ثم بين سبحانه أنه عالم بكل شيء مع تهديدهم بأنهم سيلاقون ما أنكروه يوم القيامة فقال: (وفي السماء).... إلخ. أي في جهة السماء تقدير أرواقكم وأسبابه مدون في اللوح المحفوظ، انظر الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠، وكذا مدون فيه كل ما وعدكم به ربكم من خير وشر وبئس وحساب وجزاء يوم القيامة.

ثم أكد سبحانه ذلك بالقسمة فقال تعالى: (فوزب السماء).... إلخ. أي ما توعدون به لحق حال كونه في أحقيقته وثبوته كحافكم تماماً. فكما أنكم لا تشكون في أنكم تنطقون كذلك لا يصح أن تشكوا في تحقق ما توعدون.

وهذا أسلوب عريض مبهود يقول الرجل: (إن هذا الأمر حق كما أنك ترى وتسمع)، وروى الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (قاتل الله قوما أقسم بهم أنهم ربهم ثم لم يصدقوه).

ثم أراد سبحانه أن يطمئن نبيه بأنه سينجي ويقر عينه. وبذلك أعماه فقال: (هل أتاك).... إلخ. أي هل بلغك أنها الزبي حديق ضيوف إبراهيم خليل الله تعالى حين دخلوا عليه فقاتلوا فسلم عليك سلاماً قال وعليك سلام. ثم قال لبعض علمائه سرا هؤلاء قوم غير معروفين لي قبل ذلك، ثم ذهب إلى أهله سرا ونبع عجل بقر سمين وشواه.... إلخ.

والسائل: هو الذي يطلب الصدقة.

المحروم: المراد به الفقير المتعفف، المشار إليه في الآية (٢٧٢) من سورة البقرة صفحة ٥٨. وآيات: أي دلائل على قدرة الله ووحدانيته، للموقنين: المراد المستبعدون للإيمان المذكور في الآية ٤ من سورة البقرة صفحة (٣) (تيسرون): المراد تتظنون بعين البصيرة.

وفي السماء رزقكم:.... إلخ: المراد: في جهة السماء ما هو مدون في اللوح المحفوظ من كل ما يحصل لكم، انظر الآية (٣١) من سورة هود صفحة ٢٨٤. هو مثل ما أنكم: (ما) حرف يدل على تأكيد التماثل بين سابقه ولحقه كما يدل على تأكيد الربط بين سابقه ولحقه في الآية (٤٠) من سورة الرعد صفحة ٢٢٨ والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحة ١٢٢ فالمراد مماثل مماثلة شديدة لنتطقم.

هل أتاك: انظر حكمة بدء الكلام بـ هل في شرح الآية (٩) من سورة طه صفحة ٤٠٦. فضيف: كلمة تطلق على الواحد والأكثر من الضيفان.

والمكرمين: تدل على تعددهم، وكانوا ملائكة في صورة شبان كما تقدم في الآية (٧٧) من سورة هود صفحة ٢٩٥.

ومنكرون: المراد غير معروفين. ففراخ: أي فذهب في خفية عن الضيوف.

فجعل: من البقر؛ لأنه كان لا يملك إلا البقر. وقد مر بعد شئبه على النار كما جاء في الآية (١٩) من سورة هود صفحة ٢٩٤.

المنع: هؤلاء الكفار غارقون في الجهل غارقون عن الآخرة فبلا يعملون لها. يسألون الرسول سؤال استهزاء متى مجيء يوم الدين؟ فقل لهم أيها النبي معرضاً عن خطاهم في الرد عليهم سيجيء يوم هم يعذبون بالنار ويقول لهم الزبانية ذوقوا آلام تعذيبكم هذا التعذيب في جهنم الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء، وعندما بين سبحانه جزاء الكافرين، شرع في بيان جزاء المؤمنين فقال: (إن المتقين في جنات).... إلخ. أي تعيد لهم البساتين والعيون التي تجري منها الأنهار متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب بالرضا والسرور؛ لأنهم كانوا قبل دخولهم الجنة في الدنيا محسنيين لأعمالهم.

ثم بين بعض هذا الإحسان بقوله: (كانوا قليلاً).... إلخ. أي إنهم كانوا يكادون العبادة في أوقات الراحة، مشغولة قلوبهم بردهم، فلا يباهون إلا قليلاً من الليل. وكانوا يشتغلون قبيل الفجر بالاستغفار خوفاً من أن يكونوا فرطوا في مملوئ بشرعاً.

﴿عجوز عقيم﴾: الأصل هل ألد وأنا عجوز عقيم كما في الآية (٧٢) من سورة هود
صفحة ٢٩٥ .

﴿فما خطبكم﴾: الخطب هو الأمر الخطير، أي فما شأنكم؟

﴿قوم مجرمين﴾: هم قوم لوط عليه السلام.

﴿حجارة﴾: انظر الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦ .

﴿مسومة﴾: تقدم في الآية (٨٢) من سورة هود أيضاً صفحة ٢٩٦ .

﴿للمسرفين﴾: المتجاوزين الحد في الفجور.

﴿من كان فيها﴾: أي في قري قوم لوط وهي مفهومة من سياق الكلام، مثل ﴿الأرض﴾
في قوله تعالى: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ الآية (٤٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨.

﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾: المراد غير بيت جمع مع الإيمان الإسلام،
وهو بيت لوط نفسه. فالإيمان هو العقائد، والإسلام هو الأعمال كالصلاة والصيام...
الخ.

﴿آية﴾: أي عبرة وعظة.

﴿بسلطان مبين﴾: أي بحجة واضحة وهي معجزاته من العصا واليد.

﴿فتولى بركته﴾: ﴿الركن﴾ هو الجانب، والمراد أعرض متكبراً، انظر الآية (٩) من سورة
الحج صفحة ٤٢٤ والآية (٣٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦ .

﴿فأخذناه وجنوده﴾: المراد هبنا لهم أسباب الخروج وراء موسى حتى أهلكناهم غرقاً،
انظر الآية (١٣٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٣ والآية (٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠.
﴿اليم﴾: البحر.

المعنى: جاء إبراهيم عليه السلام بعجل سمين مشوي، فقدمه لضيفه، ورجا منهم أن
ياكلوا، فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام، كما في الآية (٧٠) من سورة هود صفحتي ٢٩٤،
٢٩٥، دب في نفسه الخوف من أن يكونوا يريدون به شراً:

سَمِينٌ ﴿١﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾ فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيَفَةً فَأَوَّلًا تَحَنَّفَ وَبَنَوهُ يُعَلِّمُ عَلَيْهِمْ ﴿٣﴾
فَأَقْبَلَ بَعْهَ امْرَأَتُهُ فِي صَرَ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٤﴾ فَأَوَّلًا كَذَّابٌ قَالَ رَبِّكَ مُؤَمَّرٌ لَكُمْ
الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ * قَالَ فَاصْبِرْ إِنَّا نَظَرْنَا فِيهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٦﴾
فَأَوَّلًا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ يُجْرِمُونَ ﴿٧﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
جَحَازَةً مِنْ طِينٍ ﴿٨﴾ مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
فَأَخْرَجْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ فَأَخَذْنَا فِيهَا
غُرَّتَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَرَحَّمْنَا فِيهَا دَايَةَ لَدُنْكَ
يُحَاوِلُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٢﴾ وَفِي مَوْصِي إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى
قَوْمٍ يُسُلِّطُونَ مِيقِينَ ﴿١٣﴾ فَنُفِّلُوا بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ
أَوْ عَجُونٌ ﴿١٤﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ

المفردات: ﴿سمين﴾: انظر الآية (٦٩)
من هود صفحة ٢٩٤ .

﴿ألا تأكلون﴾: ﴿ألا﴾ حريف يدل على
الرغبة في حصول ما بعده في أدب
وتلطف، كما يقال في عصرنا هذا، (تفضلوا
وكلوا).

﴿فأوجس﴾... إلخ: أصل مسفنى
أوجس: أخفى الخوف، ولكن المراد منه
هنا: أنه أخفاه أولاً ثم صرح به، كما في
الآية (٥٢) من سورة الحجر صفحة ٢٤١ .
وانظر الآية (٧) من سورة هود صفحتي
٢٩٥، ٢٩٤ .

﴿علاءم﴾: هو إسحاق عليه السلام.

﴿عليم﴾: أي عزيز العلم إذا بلغ رشفه ففهم بشارته بأنه سيعيش حتى يبلغ ذلك.

﴿أمرأته﴾: هي (سارة).

﴿صسرة﴾: صوت مرتفع تقول ﴿يا ويلتنا﴾... إلخ تعجباً، انظر الآية (٧٢) من سورة هود
صفحة ٢٩٥ .

﴿فصكت وجهها﴾: أي فضربت وجهها بأطراف أصابعها.

- (١) بعلام.
- (٢) آية.
- (٣) أرسلناه.
- (٤) بسلطان.
- (٥) ساحر.
- (٦) فأخذناه.
- (٧) فنبدناهم.

المفرقات: ﴿ولم يلم﴾: أى مرتكب ما يلام عليه. قيل فى المصباح: الأرم الرجل أى فعل ما يستحق عليه اللوم.

﴿الريح المعقيم﴾: هى التى لا تحمل سحاباً ممطراً ولا لتأحدا لشجر. فلا خير فيها. انظر الآية (٢٤) وما بعدها من سورة الأحقاف صفحات ١٦٩، ١٧٠.

﴿وما تترك﴾: أى ما تترك.

﴿ومن شئى﴾: ﴿ومن﴾ حـرف يدل على عموم ما بعده.

﴿الرميم﴾: هو المفسدت من العظم أو النباتات الجفاف، انظر الآية (٧٨) من سورة

بين صفحة ٥٨٦.

﴿فقتلوا﴾: أى فتجاوزوا السد فى الطغيان، انظر الآية (٢١) من سورة الفرقان صفحة

٤٧٣.

﴿المساقة﴾: تطلق المساقة على كل داهية تأتى من جهة السماء مصحوبة بصوت مزعج أو نار تحرق ويطلق عليها (صبيحة) كما فى الآية (١٧) من سورة هود صفحة ٢٩٤، كما لها أسماء عدة منها ﴿رجفة﴾ كما فى الآية (٧٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥، ومنها ﴿طافية﴾ فى الآية (٥) من سورة الحاقة صفحة ٧١.

﴿ومن قيام﴾: ﴿ومن﴾ كما قبلتها.

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) استطاعوا. | (١) المساقة. |
| (٢) أثبتوها. | (٢) فليقين. |
| (٣) أثبتوها. | (٣) فليقين. |
| (٤) أثبتوها. | (٤) فليقين. |
| (٥) أثبتوها. | (٥) فليقين. |
| (٦) أثبتوها. | (٦) فليقين. |
| (٧) أثبتوها. | (٧) فليقين. |

ثم صارحهم بغفوة منهم. عند ذلك قالوا لا تخف إنا نرسل ربك. ويشروه بأنه سيولد له ولد يكون كثير العلم عند بلوغه الرجال، وكانت امرأته فى ركن من البيت تسمع حديثهم فأقبلت نحوهم وهى رافعة صوتها ببعارات التعجب وضربت يديها على وجهها كما هى عادة النساء وقالت: أنا امرأة عجوز عاقر فكيف ألد؟

قالوا مثل قولنا هذا: قال لنا ربك ونحن مبلغون عنه فقط، إنه سبحانه هو الحكيم الذى يفعل الشئ فى وقته المقدر له. العلم بأسرار خلقه فلا يعجزه شئ بريد.

ولما اطمان إبراهيم عليه السلام وعلم أنهم ملائكة وأن البشارة كان يكفى فيها ملك واحد فقط. وأدرك أنه لا بد أن يكون لهم أمر أهم من ذلك، قال ما شأنكم الخطير، أيها المرسلون؟

قالوا: إنا أرسلنا الله تعالى إلى قوم لوط المحرمين، لنجعل مدنهم عاليها سافلها، ونرسل عليهم حجارة من طين متعجراً لا يخطئ الحجر صاحبه من هؤلاء المتجاوزين الحد فى

النفجور.

ثم جاءت ملائكتنا إلى لوط وكان بينهم وبينه ما فى الآية (٧٧) وما بعدها من سورة هود صفحة ٣٩٥. فأخرج ملائكتنا من كان فى تلك القرى من المؤمنين قبل نسفها، فما وجدوا فيها غير بيت واحد جمع أهله مع الإيمان الإسلام بكل أعماله وهو بيت لوط نفسه، وتركوا فى تلك القرى عبدة للذين من شأنهم أن يخافوا عذاب الله لسلامة قلوبهم ورقة قلوبهم، فلا يفعلون أسبابه.

أما القاسية قلوبهم فأنهم محرومون من ذلك، وتركنا فى حادث موسى وفرعون أيضاً عبرة حين أرسلناه إلى فرعون بيهان وأصبح فأعرض مستكبراً وقال هذا الرجل إما ساحر يعتمد على سحره أو مجنون يجازف بحياته بدون شعور.

وهذا من فرعون تضليل لقومه لأنه يعلم أنه رسول صادق، انظر الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥ ولما لم يتفجع معه شئ، أعرقناه فى البحر.

﴿وقوم نوح﴾: المراد: وأهلكنا قوم نوح، كما أهلكنا هؤلاء المتقدمين.
 ﴿بأيدي﴾: المراد بأيدي لافئة به سبحانه، ليس كمثله شيء والذي نفهمه أن السماء بنيت بقوة لا يتصورها البشر، انظر الآية (٤٥) من سورة ص صفحة ٦٠٢ .
 ﴿الموسعون﴾: من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة. تتول في وسعي أن أفعل كذا، أي في قدرتي، والمعنى هنا: وإنا لقادرون.
 ﴿فرضناها﴾: أي جعلناها مهدة كالفرش ليسهل الاستقرار عليها؛ انظر الآية (١٩) من سورة نوح صفحة ٧٦٩ والآية (٦) من سورة النبا صفحة ٧٨٧ .
 ﴿الماهدون﴾: جمع ماهد. وأصله الذي يعد ويهئ المهذ الذي يستريح عليه الطفل. انظر الآية (٤٦) من سورة آل عمران صفحة ٧٠، والآية (٦) من سورة النبا صفحة ٧٨٧. والمراد: جعلنا الأرض مريحة تسهل المعيشة عليها.
 ﴿زوجين﴾: أي صنفين . ذكرا وأنثى.
 ﴿ففتروا إلى الله﴾: هذا تعثيل للاعتصام سبحانه وتعالى. والمراد: فروا من مصايد الشيطان إلى رحاب الرحمن بالطاعة.
 ﴿كذلك﴾: الأصل الأمر كذلك. أي أمر أمتك أيها النبي كأمر تلك الأمم.
 ﴿قالوا ساحر أو مجنون﴾: انظر الآية (٤٣) من سورة فصلت صفحات ٦٣٦، ٦٣٥ .
 ﴿أتواصوا به﴾: الهمزة للاستفهام التعجبي، أي تعجبوا أيها الناس من هؤلاء الذين كأنهم وصى بعضهم بتكذيب الأنبياء.
 ﴿بل﴾: حرف يدل على الانتقال مما قبله إلى ما بعده.
 ﴿طاعون﴾: أي متجاوزون حدود الحق والعمل.
 المعنى: يقول سبحانه وأغرقنا فرعون والحال أنه فاعل ما يؤخذ عليه من الكفر والطغيان فلم نظامه. وتركنا عبدة أيضاً في عاد حين أرسلنا عليهم الريح الخالية من الخير فما تركت هذه الريح شيئاً مرت عليه إلا جعلته مغطاً مفتتاً.

وفي ثمود وما حصل لهم أيضاً عبرة حين قال لهم ربه: آمنوا بالله وتمتعوا بخيرات الدنيا إلى حين انتهاء آجالكم كما قال نوح لقومه في الآية (٤) من سورة نوح صفحات ٧٦٧، ٧٦٨ وتجاوزوا الحد في الطغيان، وخرجوا عن أمر ربهم بترك الناقة وعدم إيدائها ففتنوها. عند ذلك أئذرهم نبيهم صالح عليه السلام بأن العذاب سينزل بهم بعد ثلاثة أيام، انظر الآيات (٦٤) إلى (٦٧) من سورة هود صفحة ٢٩٤ .
 وبعد مضي ثلاثة أيام نزل بهم العذاب فأهلكهم وهم ينظرونه قادما عليهم زيادة في التكاية بهم. فلم يستطع واحد منهم أن يقوم من مصرعه بنفسه وما نصرهم غيرهم على الخلاص من الهلاك.
 وأهلكنا قوم نوح من قبل إهلاكنا هذه الأمم لأنهم كانوا قوما خارجين على أوامر ربهم بالكفر والاستهزاء برسولهم، انظر الآية (٣٨) من سورة هود صفحة ٢٨٩ .
 ثم أراد سبحانه أن يبرهن على أنه وحده القادر على كل شيء فلا يصح أن يعبد سواه ولا أن تتكر قدرته على البعث فقال: والسما... إلخ. أي بنيينا السماء بقوة وإنا لقادرون على خلق أكبر منها. وفرشنا الأرض وجعلناها كالسهاد. فتعم الماهدون نحن. ومن كل شيء من الحيوان والنبات خلقتنا ذكرا وأنثى ليبقى النوع ولتذكروا بكل ذلك فتتنبهوا إلى أن صانع ذلك واحد قادر. وإذا كان الأمر كذلك فقتل لهم أيها النبي فروا من معاصي ربكم إلى طاعته، إني محذر لكم من العذاب. ووضح التحذير لمن لم يلجأ إلى طاعة ربه.
 ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ولا تجعلوا مع الله آخرا تلجأون إليه. ثم أكد أنه محذر واضح التحذير وكان التحذير الأول في مقام الأمر بما يجب، والثاني في مقام النهي عما لا يجوز. والمقصود المبالغة في النصيحة.
 ثم خفف سبحانه الأمر على نبيه ﷺ. فقال: (كذلك ما أتى)... إلخ. أي حال أمتك أيها النبي كحال تلك الأمم السابقة، ثم بين ذلك بقوله: ما أتى الذين من قبلهم. أي قبل كفار مكة رسول إلا قال بعضهم عنه أنه ساحر، وقال بعضهم إنه مجنون. هل وصى هؤلاء بعضهم بعضا فبينما يقال للرسول لا، بل الذي جمعهم على هذا الجرم هو للطغيان، فكانت النتيجة عند الجميع واحدة.

المعنى- وما أنك أنها النبي قتت بالواجب عليك ولم يسمعو فأعرض عن مجازلتهم لأنهم مكابرون لا يفتح فيهم جدل. ولن يلومك أحد على ذلك. واستمر في موعظة المستعد للإيمان. ثم بين سبحانه سبب أمره لنبيه بدوام التذكير، وأنه لتحقيق حكمة خلق الجن والأنس قتال. وما خلقتهم إلا لأمرهم بعبادتي وحدي ولا يطعموا إلا أمرى إذا بلغوا سن التكليف. ثم بين سبحانه أنه غنى عن العالين فليس كالمملوك الذين يحتاجون إلى من يحصل لهم الرزق. ومن يعد لهم الطعام، فقال: (ما أريد منهم)... إلخ. أى لا أريد من أحد من خلقي رزقا، ولا أن يهتئ لى طعاما. وفق أنها النبي لأملك إن الله هو الرزاق لكل ما عداه. أى فليس محتاجا لرزق. وهو سبحانه صاحب القدرة شديدة القوة فلا يحتاج إلى غيره. ثم هدد كفار مكة بقوله: (فإن الذين ظلموا)... إلخ. أى وإذا علمت أنها السامع ما حصل للكفار من الأمم السابقة من عدا ونمود وغيرهم فاعلم أن الظالمين من كفار قريش الذين عملوا عملهم نصيبا من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الأمم السابقة.

وإذا كان الأمر كذلك فقل لهم أيها النبي لا تستعجلوا هذا العذاب استهزاء بمثل ما في الآية (١) من سورة النحل صفحة ٣٤٥ والآية (١٨) من سورة الشورى صفحة ٦٤١ .

فَهَإِنَّ عَظِيمَ الْكَفْرَةِ مِنَ مَجَىٰ يَوْمِهِمُ الَّذِي تَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ بِالْعَذَابِ فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُهُمْ مِنْهُ أَحَدٌ .

سورة الطور

المفرقات: . هو "الخطوط": هو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى عليه موسى عليه السلام، انظر آيات (٣٩) وما بعدها من سورة القميص صنفحتي ٥١١، ٥١٠. ولا تتسى ما تقدم في القسم في شرح الآية (١) من سورة الصافات صنفحتي ٥٨٧ .

وَرُكَّابٍ مُّسَوِّرِينَ: قَالَ أَبُو السَّعْدِ: الْأَنْسَبُ بِالطُّورِ أَنْ يَرَادَ بِالْكَتَابِ هُنَا أَلْوَاخُ مُوسَى الَّتِي سَطَرَتْ فِيهَا. أَيْ كُتِبَتِ التَّوْرَةُ. انْظُرِ الْآيَةَ (١٤٥) مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ صَفْحَتِي ٢١٥، ٢١٤.

في ورقه: أصل الرق الجلود الرقيق الذي يكتب عليه، وقد أريد به هنا كل ما يكتب عليه من الصحف وتكرر للاشعار بأنه ليس مما يتعارفه الناس، فهو عجيب في صنعه.

المعنى: يقول سبحانه وتعالى: أقسم بالطور لما حصل عليه من العبر، وبكتاب مدون ما فيه في جلد رقيق مبسوط غير مطوى. انظر الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحـة ٣١٦. والمراد أنه يستهل على كل مكلف معرفة ما فيه من الأحكام.

المفردات:- **وَقَتُلُوهُمْ** : أي فأعرض
عن مجادلهم لأنهم مكابرون.

﴿لَا لِعِبَادُونَ﴾: أي لِعِبَادُونِي وَحْدِي، وَلَا يَطِيعُوا غَيْرِي إِذَا بَلَّغُوا سَنَ التَّكْلِيفِ؛ انظر الآية (٥) مِنْ سُورَةِ الْبَيِّنَةِ صَفْحَةَ ٨١٦، وَالْعَرَادُ مِنَ الْعِبَادَةِ طَاعَتُهُ سَبْعَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ نَبِيُهُ الْأَمْتِثَالُ مِنَ الْعَبْدِ الْخَاضِعِ لِمَوْلَاهُ، وَهَذَا يَدْخُلُ كُلُّ عَمَلٍ قَامُوا بِهِ تَقَرُّبًا إِلَى رَبِّهِمْ حَتَّى السَّعْيِ عَلَى عِيَالِهِمْ.

﴿المتين﴾: أى شديد القوة فهو تأكيد لما

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: المراد بهم كفار مكة.

وَنُوبًا: أصل النُوب الدلو العظيم
الممتلئ ماء والمراد به هنا: النصيب من

العذاب: لأن السقائين يقسمون به الماء فيأخذ كل واحد نصيبه، وفيه إشارة إلى أن العذاب سيصيب عليهم كما يجب الماء. انظر الآية (١٩) من سورة الحج صفحة ٤٣٦.

﴿أَصْحَابُهُمْ﴾: المراد بهم كفار الأمم السابقة.

فَإِذَا يَسْتَعْمِلُونَ^١: أى فلا يطالبون منه سبحانه أن يجعل لهم المغاب، وكانوا يستعجلونه استهزاء عادتهم، انظر الآية (٥٣) من سورة النكبات صفحة ٥٢٨ والآية (١٦) من سورة ص صفحة ٥٩٩ والآية (١٤) من سورة الطور صفحة ١٩٧ .

﴿ويل﴾: كلمة يراد بها الدعاء عليهم بالهلاك.

﴿يَوْمَهُمْ﴾: أى يوم نزول العذاب بهم فى الدنيا أو الآخرة.

﴿يُوعِدُونَ﴾: أى يعدهم الله بالعذاب فيه.

(۲) کتاب.

(1) interior.

قَوْلُهُمْ قَاتِلُوا بَنِي إِدْرِيسَ ۖ وَذَكَرُوا أَنِ الْإِنْسَ إِلَى
 لِيُعْبَدُونَ ۖ مَا يَدْرِيهِمْ مِنْ زَنْجٍ وَمَا يَدْرِي
 أِنَّا اللَّهُ مَا أَتَاكَمْ بَشِيرٌ أَوْ نَذِيرٌ ۖ فَذُكِرُوا
 قَوْلًا لِّدِينٍ طَلَسُوا ذُرِّيًّا يَقُولُ أَهْلِيهِمْ فَلَا
 يَسْمَعُونَ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
 يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾

(٥٢) سُبْحًا لِلَّهِ الظُّلُمُكِيَّةِ
وَأَشْيَا مَا يَشْفَعُ دَارِجُونَ

أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلهُ الْمَعْلُومُ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: ﴿أَمْ﴾ تقدم معناها في الآية (٩) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩ .

﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ﴾: أى ننتظر به .

﴿قُرِيبَ الْمَنُونِ﴾: أصل (الريب) الشك، انظر الآية (٢٣) من سورة البقرة صفحة ٦ والمراد به هنا: المشكوك فيه، فإضافته للمنون من إضافة الصفة للموصوف، كما فى قوله: (حسن ثواب) فى الآية (١٤٨) من سورة آل عمران صفحات ٨٧، ٨٨ . وقد يطلقون ﴿قُرِيبَ الْمَنُونِ﴾ على حوادث الدهر .

﴿وَالْمَنُونِ﴾: هو الموت لأنه يقطع الحياة، انظر أصل المادة فى الآية (٨) من سورة فصلت صفحة ٦٣٠ فالمراد الموت المشكوك فى وقته لا فى حصوله لأنه مقطوع به . وإنما المجهول للإنسان هو الوقت .

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾: ﴿أَمْ﴾ كسابقتها والاستفهام فيها للإنكار والتوبيخ، وتأمرهم كناية عن توصيلهم إليه كأن لها سلطان عليهم يطاع .

﴿أَحْلَاهُمْ﴾: أى عقولهم جمع حلم بكسر فسكون، وهو يطلق على العقل وعلى التأتى وعدم الغضب .

﴿أَمْ هُمْ﴾: ﴿أَمْ﴾: هنا بمعنى بل التى تنقيد إبطال سابقها وإثبات لاحقها . ﴿طَاغُونَ﴾: أى متجاوزون الحد فى الطغيان عناداً .

المعنى: من يرجع إلى شرح الآية (٢٣) من سورة الرعد صفحة ٣٢٥ والآية (٨) من سورة غافر صفحة ٦١٨ يعلم أن المراد هنا أن الذين آمنوا وانفتحت معهم ذريتهم فى الإيمان، جمعناهم مع ذريتهم فى الجنة ليتم للجميع السرور . ويكمل التميم بمؤانسة الأحياء ومصاحبة المتجانسين فى الصفات . ولا يلزم من ذلك أن يكونوا فى درجة واحدة، انظر شرح الآية (٦٩) من سورة النساء صفحة ١١٢ . وإنما اخترنا ذلك مع كثرة القائلين بخلافه لأدلة كثيرة منها ما يفيد أنه ليس للإنسان فى الآخرة إلا أجزاء عمله، انظر الآية (٢٨٦) من سورة البقرة صفحة ٦٢ ، والآية (٤٤) من سورة الروم صفحة ٥٣٦، والآية (٣٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤، والآية (٥٤) من سورة يس صفحة ٥٨٤ والآية (١٧) من سورة غافر صفحة ٦١٩ والآية (٤٦)

من سورة فصلت صفحة ٦٣٦، والآية (٢٧) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٣، وأيضاً فلا يستطيع أحد أن يحمل شيئاً من ذنوب غيره، انظر الآية (١٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤، وأيضاً قوله ﷺ: يا فاطمة بنت محمد اعملى لنفسك لا أغنى عنك من الله شيئاً . ومن الأدلة ما يفيد أن أهل الجنة تتفاوت درجاتهم فيها بتفاوت أعمالهم . حتى الأنبياء عليهم السلام، انظر الآية (٢٥٢) من سورة البقرة صفحة ٥٢، والآيتين (٩٦، ٩٥) من سورة النساء صفحة ١١٨ والآية (٧) وما بعدها من سورة الواقعة صفحة ٧١٢، والآية (١٠) من سورة الحديد صفحات ٧١٩، ٧٢٠، وأيضاً قوله ﷺ: (تدخلون الجنة بفضل الله وتقتسمونها بأعمالكم)، وقوله: (الله فى أصعبابى لو أنفق رجل فى وجوه الخير مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ جزأوه مثل جزاء أحدهم) . وأيضاً لو تساوى الأبناء بدرجات الآباء فى الجنة لكان جميع من آمن بالأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام من اليهود والنصارى والمسلمين كلهم فى درجة الخليل إبراهيم عليه السلام، وكذا يقال فى غيره حتى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام فتكون جميع ذريته من فاطمة رضى الله عنها فى درجته هو ﷺ، ولا أظن أحداً يجزؤ على القول بذلك، ومقامه ﷺ فى الجنة فوق كل مقام، بل يلزم أن يكون كل أهل الجنة فى درجة واحدة من عهد آدم حتى تقوم الساعة؛ لأن كل شخص له والد وولد وزوجة، فالوالد يريد أن يكون مع ولده، وأبو الوالد يريد أن يكون مع ابنه الذى هو والد هذا الولد، والزوج يريد أن تكون معه زوجته وأبوها يريدوها معه، وهكذا يتشابه العالم بجر كل فرد من فوفه من آيائه ومن تجته من ذريته... إلخ . فتشأمل بمقتلك! أما كيف يتم سرور الآباء بمشاهدة الأبناء فى جنة عرضها السموات والأرض كما تقدم فى الآية (١٣٣) من سورة آل عمران صفحة ٨٤ فهذا شئ يسير على قدرة الله تعالى . خصوصاً، وقد توصل الإنسان الضعيف فى هذا العصر إلى اكتشاف ما يجعل الإنسان يكلم ويرى غيره وكل منهما فى طرف من أطراف الأرض بواسطة مايسمى (التليفزيون) . وإنما أطلنا فى هذا المقام لأنك لا تكاد تجد مفسراً إلا قال بمساواة الذرية بالآباء فى درجات الجنة . وهذا ما رأيت بطلانه . والله تعالى أعلم . ولهذا البحث بقية ستأتى فى شرح الآية (٣٩) من سورة النجم صفحة ٧٠٢، ومعنى قوله تعالى: (وما آتاهم).... إلخ .

أنا لا ننقص الآباء شيئاً من أجورهم نظير تمتعهم بوجود أبنائهم معهم فى الجنة .

المفردات: هـتقوله ه: أى اخلق القرآن من عند نفسه ونسبته لله تعالى، إنهم لشدة كفرهم وعنادهم، يرمونه ههذه الأباطيل، وكيف لا يكون هذا منهم اقتراء مقصوداً وهم جميعاً يعلمون أنه ههذه من العرب مثلهم، وكانوا أكثر منه خطابة وشعراً. ولو كان محمد قال هذا من عند نفسه لكتبت أيها المفتررون أقدر منه عليه، والدليل على بطلان ما تقولون أنكم عجزتم عن أقصر سورة منه، وهذا هو المراد من قوله تعالى:

هولا يؤمنون ه: أى إنهم يعلمون أنهم غير قادرين.

تَقُولُ: بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَلَمَّا آتَوْا بِحَدِيثٍ مِّنْهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ عَلِيمُونَ غَيْرُ نَبِيِّهِ أَمْ هُمْ أَكْبَرُونَ ﴿٣﴾ أَمْ عَلَّمُوا السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ أَمْ عَنْهُمْ عَزَازٌ رَّبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُونَ ﴿٥﴾ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ يَسْمَعُونَ فِي ذَلِكَ مَدِينِهِمْ يُسَلِّطِينَ بَيْنَ أَمْ آلهَ الْآلَتِثَ وَكَرَّكَ الْبَيْتِ ﴿٦﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ يَنْفَرُونَ ﴿٧﴾ أَمْ عِنْدَ الْغَيْبِ لَهُمْ يَكْبُونَ ﴿٨﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٩﴾ أَمْ لَمْ يَلَهُ غَيْرُ اللَّهِ سُجُنَ اللَّهِ عَزَّ يُزَكِّرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿١١﴾ فَذَرْنَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

ه(بل ه): حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

ه(بحديث ه... إلخ: المراد بقرآن كهذا: من سورة يونس صفحة ٢٧٢.

والآية (١٣) من سورة هود صفحة ٢٨٥ والآية (١١١) من سورة يوسف صفحات ٣١٩، ٣٢٠.

والآية (٢٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

ه(من غير شيء ه: أى من غير خالق قديم، انظر الآية (٩) من سورة الأنعام صفحات ١٦٤، ١٦٥ والآية (٨٨) من سورة القصص صفحة ٥٢٠ تجد أن الله سبحانه يطلق عليه ههذه.

الآية الأخيرة في سورة العنكبوت هو الموجود.

ه(هم هم الخالقون ه: أى لأنفسهم، وهذا باطل باعتبار إفهام، انظر الآية (٨٧) من سورة

الزخرف صفحة ٦٥٥.

- (١) الخالقون.
- (٢) السماوات.
- (٣) النبات.
- (٤) يلاقوا.
- (٥) يسبحان.
- (٦) تسالهم.
- (٧) يسبحان.
- (٨) يسبحان.
- (٩) يسبحان.

- (١) صافقين.
- (٢) المسبحون.
- (٣) تسالهم.
- (٤) يسبحان.
- (٥) يسبحان.
- (٦) يسبحان.
- (٧) يسبحان.
- (٨) يسبحان.
- (٩) يسبحان.

وبعدما بين سبحانه حال المتقين أتبع ذلك ببيان أن المتقين ظلموا أنفسهم من العذاب، وغيرهم بقى مجوساً بذنبه في عذاب جهنم فقال: كل امرئ بما كسب رهين. قال ابن عباس: ارتعن أهل جهنم في النار بأعمالهم. وصار أهل الجنة إلى نعيمهم، ثم بين سبحانه فضلاً آخر على المتقين، فقال: وأمددناهم... إلخ. أى زدنا أهل الجنة على ما عندهم من نعيم وسرور فأكهة ولعما مما يشتهون حال كونهم يتجاذبون في الجنة وأجابهم تجاذب سرور - كآسا لا يلغوا شاربها بساقط القول، ولا يفعل ما يعاب عليه مثل ما كان يفعل شارب خمر الدنيا. ويعطوف عليهم بالطعام والفاكهة والشراب خدم مخصصون لهم في غاية الجمال. ولما استقروا في الجنة وأنسوا سال بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا، وما صاروا إليه في الآخرة سؤال تلذذ واعتراف بفضل الله، قال فريق منهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلنا نخاف الله ونخشى عقابه فمضى الله علينا بالرحمة والتوفيق، وحفظنا من أكل أنواع العذاب، لأننا كنا في الدنيا عبدة وحده، ففضل علينا لأنه واسع الإحسان كثير الرحمة، ثم خاطب سبحانه نبيه ههذه بما ينبغي فقال: (فذكر)... إلخ. أى وإذا كان هذا هو الذي سيحصل فداوم أيها النبي على ما أنت عليه من تذكير المستعدين للخير بما أنزله عليك ربك من الذكر الحكيم، ولا يقال بما يقول المشركون فيك من الباطل، فما أنت بكاهن ولا مجنون، بسبب ما أنعم الله به عليك من العقل الراجح والنيرة الحقة، ثم وخب سبحانه كفار مكة وتوكلم بباطلهم في نحو ثلاثة عشر موضعاً فقال: (أم يقولون شاعر)... إلخ. أى بل هل يقول المجرمون عن هذا النبي الكريم إنه شاعر يؤثر في الناس برزخ القول فلينتظر به الموت الذي يريتنا منه كما أراحنا من كثير من الشعراء غيره الذين جمعوا الناس حولهم، قل لهم أيها النبي انتظروا ما ترعمون أنه يريحكم، فإننى أنا أيضاً منتظر ما سيحصل لكم مما يسوءكم ويسرنى.

ثم انتقل سبحانه إلى تسفيه لهم آخر فقال: (أم تأمرهم)... إلخ. أى بل هل عقولهم هي التي تقودهم إلى هذا القول المتناقض فإن الكاهن والشاعر يكونان أصحاب عقل وقلعة وبقطة. والمجنون مختل العقل والتفكير. فهم في قولهم هذا في حيرة واضطراب عقل حيث كذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، وهذا هو شأن المجنون دائماً. وليس كل هذا منهم حق بل هم قوم تجاوزوا الحد في المكابرة والعناد. ثم انتقل سبحانه إلى تسفيه آخر فقال: (أم يقولون تقوله)... إلخ.

رسولنا؟ كلا باعتبارهم هم أنفسهم، انظر الآية (٣٨) من سورة الزمر صفحة ٦١١. ولذا قال سبحانه: بل لا يوقنون. أى هم لا يعتقدون ذلك من صميم قلوبهم. وإذا كانوا يعتقدون ذلك فلماذا لم يفرّدوه سبحانه بالعبادة. بل هل عند كفار قومك أيها النبي خزائن رحمة ربك حتى يعطوا النبوة لمن يشاءون. ويمنعونها عنّ يشاءون؟ أم هم المسلمون على هذا العالم القاهرةون له حتى يدبروا أموره على ما يريدون ولا محاسب لهم على تصرفاتهم؟ بل هل لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون وهم صاعدون فيه كلاما من الله يأمرهم بما يفعلون؟ إذا كان ذلك واقعا فليأت مستمعهم بحجة واضحة تدل على صدق سماعه. وهذا تسفيه وتفريع. ثم بالغ في تسفيههم يجعلهم كالمجانين عندما قالوا نعيد الملائكة لأنها بنات الله. فقال سبحانه: (أم له البنات) ... إلخ. أى بل هل خص الله سبحانه نفسه بالبنات اللاتي تعترفونها وخصكم أنتم بالبنين الذين تشخرون بهم؟ ثم أعرض عن خطابهم احتقارا لهم. ووجه الخطاب له ﷺ فقال: (أم تسألهم) ... إلخ. أى بل هل سألتهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم من التزام الغرامة في مشقة تجعل اتباعك صعبا عليهم. ثم ويخهم توبيخا آخر فقال: (أم عندهم الغيب) ... إلخ. أى بل هل علم الغيب عندهم فهم يكتبون منه للناس ما يزعمونه مطلقا منهم من عبادة غيره تعالى. وغير ذلك من الجرائم، بل هل يريدون بك أيها النبي كيدا من قتل وغيره؟ إذا فكروا في ذلك فليعلموا أنهم وهم الكافرون بربهم هم المكيدون أى المغلوبون. وقد حصل وقتلوا وأسروا في بدر كما تقدم في سورة الأنفال. ثم ختم توبيخهم بما هو كالنتيجة لكل ما تقدم فقال: (أم لهم إله) ... إلخ. أى بل هل هؤلاء الكافرين إله غير الله يعينهم ويمنع عنهم عذابه. قل أيها النبي أنت والمؤمنون معك تتره الله ربنا عما يزعمونه شريكا له في تصرف الكون. وبعد ما سفه سبحانه عقولهم بصور شتى ونههم لمكان الخطأ الواضح أراد أن يبين أنهم قوم معاندون مكابرون حتى في المحسوسات فضلا عن المعنويات. فقال سبحانه: (وإن يروا) ... إلخ. أى فلو رأى هؤلاء بعض ما طلبوه من العذاب استهزاء. كما في الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحات ٣٧٦، ٣٧٧. لكنيوك وقالوا ما نراه ما هو إلا سحب ملآن بالمطر. ولا يؤمنون أبدا كما في آيتي (١٥١٤) من سورة الحجر صفحات ٣٢٩، ٣٢٨. وهذا شأن الكفار قبلهم كما في الآية (٢٤) من سورة الأحقاف صفحات ٦٦٩، ٦٧٠. وإذا كان هذا حالهم فأعرض عنهم أيها النبي ولا تبال بهم. وأرح نفسك منهم حتى يلاقوا يومهم الذي يضعفهم الله تعالى فيه بالقتل وقد حصل في بدر وغيرها وفي هذا اليوم لا ينفعهم كيدهم شيئا.

يستمعون فيه؟ في هنا بمعنى (على) كما في الآية (٧١) من سورة طه صفحة ٤١٢. «سلطان»: أى حجة، وبرهان ظاهر. «له البنات»: الضمير في «له» راجع إليه تعالى. انظر اقتراءهم هذا في الآية (١٧) وما بعدها من سورة الزخرف صفحات ٦٤٩، ٦٤٨. «مفرم»: هذا اللفظ يسميه علماء العربية (مصدرا ميميا) معناه الغرامة. «مقتلون»: أى محملون ما يتحل كواهلهم فيصعب عليهم أدائه. «فهم يكتبون»: أى منه للناس ما يزعمونه مطلقا منهم من عبادة غيره تعالى. «يريدون كيدا»: إشارة إلى ما دبروه في الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٣٢١. وفي هذا إخبار بما سيكون منهم لأن هذا الكيد حصل قبل الهجرة مباشرة وسورة الطور هذه نزلت قبل ذلك. «كسفا»: جمع كسفة وهى القطعة وزنا، ومعنى، انظر الآية (٩٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٧. «مركوم»: المراد: ملء بالمطر، انظر الآية (٤٣) من سورة النور صفحة ٤٦٥. «يرصعون»: الصعق هو الموت قتلا أو الإغماء. والمراد هنا القتل بالحرب، كما حصل يوم بدر وغيره. وقد يكون بغير الحرب، والمعنى يقتلون، انظر الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

المعنى: هل يقول هؤلاء المشركون أن محمداً افترى القرآن على الله كلا. هم لا يعتقدون ذلك من صميم قلوبهم؛ لأنهم يعرفون أن محمداً واحد منهم، وترى نبينهم، ولم يشتهر بالخطابة والشعر كما اشتهر كثير منهم، ومع ذلك عجز عن الإتيان بمثل القرآن فحولهم. فالحامل لهم على قولهم هذا إنما هو كفرهم الناتج عن العناد، انظر الآية (٣٢) من سورة البقرة صفحة ٦. ولذا قال تعالى: (فليأتوا) ... إلخ. أى إذا كان البشر يستطيع الإتيان بكلام مثل القرآن فليأتوا هم بمثله إن كانوا صادقين في قولهم: إن محمداً جاء به من نفسه، انظر الآية (٩٣) من سورة الأنعام صفحات ١٧٧، ١٧٨.

ثم انتقل سبحانه إلى توبيخ آخر فقال: (أم خلصوا) ... إلخ. أى هل وجدوا على هذا الخلق البديع من غير خالق. حكيم فلماذا لم يوحده ولم يلتفتوا إلى رسوله. أم هم الذين خلصوا أنفسهم فلا يحتاجون لأحد؟ كل هذا مستحيل بدليل اعترافهم هم أنفسهم، انظر الآية (٨٧) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥. بل هل خلصوا السموات والأرض فذلك يتكبرون على

وقد صح في الحديث أنه ﷺ كان يقول عند قيامه من المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك). وقال: إن ذلك كفارة لما يحصل في المجلس من اللغو؛ وكان يقول عند القيام للصلاة: (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان عند قيامه من النوم يكرر عشرا ويحمد عشرا ويهل عشرا ويستغفر عشرا، وإذا فرغ من الصلاة كان يسبح ويحمد ويكرر ثلاثا وثلاثين. كل ذلك منه ﷺ امتثالاً لأمر ربه فيها سبق.

وفي قوله تعالى: (ومن الليل) الخ. أي وسبح ربك في جزء من الليل، انظر الآية (١) وما بعدها من سورة المزمل صفحة ٧٧٣. وسبحه كذلك عند الذهاب نور النجوم بدخول الصبح. اللهم وقتنا بفضلك وكرمك للعمل بسنة رسلك في طاعة أمرك، إنك سبحانك نعم المجيب.

سورة النجم

المفردات: . (والنجم) انظر ما تقدم في شرح الآية الأولى من سورة الصافات صفحة ٥٨٧، والمراد هنا جنس النجم فيشمل كل النجوم.

وهوى: أي سقط، وذهب ضوؤه يوم القيامة، انظر الآية (٢) من سورة التكاثر صفحة ٧٩٣ والآية (٢) من سورة الانقطار صفحة ٧٩٥. (وما ضل) أي ما أخطا الطريق المستقيم. (وما حككم) يريد به النبي ﷺ، وفي هذا التعبير توبيخ لهم حيث أنكروا صدقه مع علمهم بصدقه؛ لأنه عاش بينهم مدة طويلة ولم يجرؤوا عليه كذبة واحدة، انظر الآية (١٦) من سورة يونس صفحة ٢٦٨. (وهو غوى) المراد: وما اعتقد باطلا، انظر الآية (١٢١) من سورة طه صفحة ٤١٧، ٤١٨.

وهو ما ينطق: أي بالقرآن. (وهو الهوى) أي بشهوة في نفسه.
(إن هو) (إن) حرف نفى بمعنى (وما) (وهو) أي القرآن.

وعلمه: المراد هنا علمه ما سيأتي من أول سورة المدثر كما سيأتي في سورة المدثر صفحة ٧٧٥، وأما أول شيء علمه له فهو الآيات الأولى من سورة العلق صفحة ٨١٤.

كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُعْمَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَصْبَحَ يَوْمَ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٥٩﴾

(٥٦) سُبُّكَ الْخِطْبَةُ كَمَا كُنْتَ وَاجِبًا لَهَا أَنْ تَنْتَهِىَ وَتَنْتَهِىَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿٥٦﴾ مَا تَلَوْا مِنْهُ لِيُرِيَكُمْ ؕ وَمَا يُبَيِّنُ عَنْ الْكُفْرِ ؕ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٥٧﴾ عَلَّمَ قَبْلُ الْكُفْرِ ؕ دُورُهُ قَلْبُكُمْ ؕ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٥٩﴾ فَكَانَ قَابَ

المفردات: (هرون ذلك) أي قبل العذاب المشار إليه فيما سبق وهو (الصعق).

(أكثرهم) انظر الممراد من ذلك في الآية (٤٢) من سورة الروم صفحة ٥٢٦.

(ربا عيننا) يقال هنا ما قيل في (زيد) في الآية (٤٧) من سورة الناريات صفحة ٦٩٥. والذي نفهمه هنا أنه ﷺ تحت رعاية ربه دائما. انظر الآية (٣٧) من سورة هود صفحة ٢٨٩.

(وسبح بحمد ربك) الخ. المسمى: نزه ربك عما لا يليق به حامداً له على نعمته عليك. تفعل ذلك حين تستيقظ من النوم وكذا تفعل في الليل.

(وإذا بدار النجوم) إيدار أي ذهاب، والمراد: حين ذهاب ضوؤها يظهر ضوء الصبح.

المعنى: يوم يمسق الله هؤلاء الكفار لا يتفهمهم كيدهم شيئاً من النفع ولو قليلاً؛ ولا يجدون من ينصرهم بفتح العذاب عنهم، وإن هؤلاء الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذاباً قبل عذاب بدر وما بعدها وهو عذاب القحط المتقدم في الآية (١٠) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧. ولكن أكثرهم لا يعلمون ما أعد لهم من العذاب.

وأصبح أيها النبي على أذاهم ولا تبال بهم وامض لأمر ربك، وبلغ ما أرسلت به فانك تحت رعاية ربنا، وكن دائماً مرتبطاً بربك فسبحه عند قيامك من النوم أو من المجلس لأي عمل من صلاة أو غيرها.

المفردات: ﴿قوسين﴾: المراد: على بعد مسافة قوسين. وكانت العرب تقدر المسافات القصيرة بالقوس والرمح والذراع والشبر.

﴿أو أدنى﴾: أدنى أى أقرب و﴿أو﴾ فى مثل هذا المقام تقدم الكلام عليها فى الآية (١٤٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥.

﴿فأوحى إلى عبده﴾: الضمير فى ﴿عبده﴾ يعود على مفهوم من سياق الكلام، وهو الله سبحانه لأن محمداً ﷺ ليس عبداً لجبريل بدهاء، فكانه قال: فأوحى جبريل إلى عبد الله إلخ. ونظيره الضمير فى ﴿عليها﴾ فى الآية (٦١) من سورة النحل.

صفحة ٣٥٣. وقال بعضهم: فأوحى الله سبحانه إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل. ﴿وما أوحى﴾: المراد: أوحى إليه شيئاً فنجماً لا تحيط بكله العقول كما فى الآية (٧٨) من سورة طه صفحة ٤١٣.

﴿ما كذب﴾: ﴿كذب﴾ بتخفيف الدال... بمعنى ﴿كذب﴾ بتشديد هاء.

﴿الفؤاد... إلخ: أى فؤاده ﷺ. أى قلبه. أى ما كذب قلبه بصره فيما رآه.

﴿افتخارونه﴾: أى افتخاروا به.

﴿على ما يرى﴾: كان الأصل فيما رأى. لكن لما كان جداهم يقصدون به غلبه ﷺ قال

ذلك.

(١) افتخارونه	(٢) رآه	(٣) آيات
(٤) افتخارهم	(٥) اللات	(٦) منة ..
(٧) آياتكم	(٨) سلطان	(٩) للإنسان
(١٠) الآخرة	(١١) السموات	

﴿شديد القوى﴾: هو جبريل عليه السلام.

﴿ودو مرة﴾: أى دقة، وحصافة، فلا يخطئ أبداً.

﴿فأستوى﴾: أى ظهر جبريل مستويا على صورته الحقيقية التى خلقه الله سبحانه عليها بأجنحته التى تملأ الأفق، انظر الآية الأولى من سورة فاطر صفحة ٥٧١.

﴿الأفق﴾: أصل معنى الأفق الجهة، والمراد هنا: الجهة العليا للنظر إلى جهة السماء.

إما إطلاق علماء الهيئة الأفق على جانب السماء القريب (فى نظر الرائي) من الأرض فهو اصطلاح خاص بهم.

﴿دنا﴾: أى قرب منه ﷺ. ﴿فندلى﴾: أى بالغ فى قربه منه ﷺ.

﴿قاب﴾: أى مقدار.

المعنى: أقسم سبحانه بالنجوم إذا تساقطت، والندرت يوم القيامة لتخوفهم بأنه حاصل ولا بد. فيجب أن يحذروه ولا ينكروه ولا يكذبوا الرسول الذى جاء به.

ولهذا المعنى كرر سبحانه القسم بيوم القيامة. انظر الآية (٧٥) من سورة الواقعة والآية الأولى من سورة القيامة صفحة ٧٧٨ والآية (٣) من سورة البروج صفحة ٨٠٠. أقسم سبحانه بذلك على أن محمداً الذى صاحبتموه مدة طويلة وعرفتم فصدقه ما ضل عن طريق الصواب وما اعتقد باطلاً أبداً... انظر الآية (١٦) من سورة يونس صفحة ٢٦٨ والآية (٤٨) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٧. وما ينطق فيما أتاكم به من القرآن عن هوى نفسه وشهوته. فما الذى ينطق به من القرآن إلا وحى من الله يوحيه سبحانه إليه، علمه إياه جبريل، شديد القوى وصاحب فطنة قوية بعدما علمه أول ما علمه قبل ذلك قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ما لم يعلم﴾ صفحة ٨١٤. ثم انقطع عنه الوحى مدة ثلاث سنين حتى اشتد حزنه ﷺ، وتطلعت نفسه إلى رؤية جبريل، فظهر له يوماً فى جهة السماء ساداً كل الأفق بأجنحته، ثم دنا من النبي ﷺ وقرب حتى كاد يمسه، فكان منه على مسافة قدر قوسين تحديقاً كما سياتى، وسياتى أيضاً أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى بصورة الحقيقية، ولم يره عليها غير هاتين المرتين وكانت كل منهما قبل نزول هذه السورة.

﴿ضيزى﴾: أى جائزة يقال: ضاز فيه. وضاز: حقه بوزن باعه إذا نقصه وبخسه.

﴿إلا أسماء﴾: أى لا حقيقة لها. انظر اعتراضهم بذلك يوم القيامة فى الآية (٧٤) من سورة غافر صفحة ١٢٧.

﴿من سلطان﴾: ﴿من﴾ لإفادة عموم نفي ما بعدها و﴿سلطان﴾: أى دليل وبرهان.

﴿إن يتيمون﴾: ﴿إن﴾ كسابقتها.

﴿وأم للإنسان﴾: انظر المراد من ﴿وأم﴾ هنا فى الآية (٩) من سورة الشورى صفحة ١٣٩.

﴿كم من ملك﴾: ﴿كم﴾ أى كثير.

﴿من﴾: تنيد أن ما بعدها تفسير وبيان لـ ﴿كم﴾ قبلها.

﴿ولا تنفى﴾: لا تنفخ.

المعنى: فكان جبريل قريباً منه ﷺ بصورته الهائلة. فستقل ﷺ على الأرض مغشياً عليه. ولما افراق أسرع إلى بيت خديجة وقال (دثرونى دثرونى): فنزل عليه جبريل فى تلك اللحظة لكنه بغير تلك الصورة. فأوحى إليه أى بلغه ما أمره ربه بتبليغه له ﷺ فى ذلك اليوم وهو قوله تعالى: (يا أيها المدثر قم فأنذر) ... إلى آخر الآية (٥) من سورة المدثر صفحات ٧٧٥، ٧٧٦.

ثم بين سبحانه أن رؤيته ﷺ لجبريل على صورته الحقيقية كانت حقيقة لا شك فيها. فقال: (ما كذب الضؤاد) ... إلخ. أى ما كذب قلبه ما رآته عينه. أى لم يشك فى أن ما رآه هو جبريل قطعاً. فهل بعد ذلك تكذيبون أيها المشركون فتجادلونه مغالينين له على ما رأى معانية من تلك الصورة المعجبة التى بلغ من غرابتها أنها حاضرة فى ذهنه إلى الآن. ولذلك جاء القرآن بـ ﴿يرى﴾: التى تدل على الرؤية فى الحال بدلاً من (رأى) التى تدل على الماضى.

ثم أكد ذلك بقوله: (ولقد رآه) ... إلخ. أى وعرضنى لقد رأى محمدٌ عبدنا جبريل على تلك الصورة مرة أخرى، وكان جبريل فى هذه المرة فى مكان أعلى من الأول، فقد كان عند سدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى. رآه حين أحاط بهذه السدرة ما أحاط بها من عوالم الغيب.

﴿نزلة أخرى﴾: مرة أخرى، وعبر بذلك للإشارة إلى أنها كانت نزولاً أيضاً كالسابقه وإن لم تكن مثلاً من كل وجه، والكلام صالح لأن يكون ﷺ فى هذه المرة كان على الأرض أيضاً ورأى جبريل عند سدرة المنتهى كما تقول: رأيت النجمة فى السماء.

﴿سدرة﴾: شجرة من السدر المتقدم فى الآية (١٦) من سورة سبأ صفحة ٥٦٥، ولا يعلم حالها إلا الله عز وجل علام الغيوب.

﴿المنتهى﴾: مكان الانتهاء، قيل: والله أعلم لأن من تحتها من الملائكة ينتهى صعودهم عندها. ومن فوقها لا يزلون إلا إليها. ﴿جنة المأوى﴾: قال ابن عباس: هى التى تآوى إليها وتعم بها أرواح الشهداء، انظر الآية (١٥٤) من سورة البقرة صفحة ٣٠، والآية (١٦٩) من سورة آل عمران صفحة ٩١، والآية (٥٨) من سورة الحج صفحة ٤٤٢. ﴿إذ ينفث السدرة ما ينفث﴾: أى حين يغطيها ما يغطيها من خلائق لا يعلمها غيره سبحانه.

﴿ومارغ البصر﴾: أى ما تحول بيننا ولا شمالاً عما توجه إليه.

﴿وما طغى﴾: أى وما تجاوز ما شغل نفسه برؤيته.

﴿من آيات ربه الكبرى﴾: أى بعض الدلائل الكبرى الدالة على كمال قدرته تعالى وسعته ملكه. ﴿أفرأيت﴾: أى أخبرونى.

﴿المالات. والعزى. ومناة﴾: هذه الثلاثة أسماء لأصنام كانوا يزرعونونها أنها تمثل بعض الملائكة، وكانوا يقرّبون بها إلى الله سبحانه وتعالى. وقد كانوا يزرعونونها أن الملائكة بنات الله. انظر الآية (٢٧) الآتية فى هذه السورة صفحة ٧٠٢ والآية (١٤٩) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٦٥ والآية (١٥) وما بعدها من سورة الزخرف صفحة ٦٤٨.

﴿والثالثة الأخرى﴾: المراد من هذين الوصفين إلحاق مائة بساقيقتها فى الاحتقار كما تقول: بلغت به الجراءة هو الآخر أن يقول كذا.

﴿والكم الذكى﴾ ... إلخ: انظر مثل هذا التوبيخ فى الآية (٥٧) وما بعدها من سورة النحل صفحات ٣٥٢، ٣٥٣ والآية (٤٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩.

المفردات: ﴿يَا ذُنَّ لَه لَمَن يَشَاءُ﴾: أى إلا بعد إذنه سبحانه للشافع، ورضاه عن المشفوع له، انظر الآية (٢٥٥) من سورة البقرة صفحة ٥٢ والآية (٣) من سورة يونس صفحة ٣٦٥. والآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٣ والآية (٢٣) من سورة سبأ صفحة ٥٦٦.

﴿يسمونها الملائكة﴾..... إلخ: المعنى: يسمون كل واحد من الملائكة تسمية الأئشي، أى يسمونه بناتاً. يقول العرب: كساننا الأمير حلة يريد كسا كل واحد منا حلة، والمراد يصفونها بأنهن بنات الله، انظر الآية (٥٧) من سورة النحل صفحة ٢٥٢ والآية (١٩) من سورة

الحجرات صفحة ٦٤٨، ٦٤٩، وانظر الاسم بمعنى الصفة فى الآية (١١) من سورة

الحجرات صفحة ٦٨٦.

﴿من علم﴾: ﴿من﴾ لإفادة عموم نفى ما بعدها.

﴿إن يتبعون﴾: ﴿إن﴾ هنا نافية بمعنى (ما) أى ما يتبعون إلا... إلخ.

- (١) شافعهم.
- (٢) بالآخرة.
- (٣) الملائكة.
- (٤) الحياة.
- (٥) السموات.
- (٦) أسماوا.
- (٧) كباثر.
- (٨) التواحيث.
- (٩) واسع.
- (١٠) أمهاتهم.

التي لا يحيط بوصفها غيره تعالى. ثم أكد ذلك بقوله: ما زاغ البصر وما طغى. أى كان متحققاً مما رأى. ثم زاد التوكيد بقوله: (لقد رأى)... إلخ. أى وعزنى لقد رأى نبينا ﷺ بعضاً من دلائل ربه الكبرى الشاهدة على سعة ملكه وتعام قدرته. وإذا كان هذا هو الحق فأخبرونى أيها المشركون عن آهتكم هذه التي تسمونها - اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى - هل لها من شيء من هذه القدرة والعظمة، حتى تجعلونها تمثل بنات الله وتتقربون إليها؟

ثم وبخهم توبيخاً آخر فقال: (أنكم الذكر)... إلخ. أى هل يصح أن تختاروا لأنفسكم الذكر الذي تمتازون به، وتجعلون لله الأئشي التي إذا بشر بها أحدكم امتلاً غيظاً. تلك القسمة إذا رضيتموها قسمة ظالمة لأنكم جعلتم لله ما تكرهون.

ثم أبطل زعمهم بقوله: (إن هي)... إلخ. أى ما هذه الأصنام التي تعبدونها إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها. اخترعتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بعبادتها من برهان تستندون إليه. ثم أعرض سبحانه عن مخاطبتهم احتقاراً لهم فقال: (إن يتبعون)... إلخ. أى ما يتبعون فى عملهم إلا توههم أن ما هم عليه حق. جاءهم ذلك من تقليد الآباء، ويجرون وراء ما تشتهيهم أنفسهم من أنها شفعاء لهم عند الله تدفع عنهم الشقاء والعذاب. ومن عجيب أمر هؤلاء المشركين أنهم يفعلون ذلك فى الوقت الذي جاءهم من ربهم الكتاب الذي فيه هداه لهم.

ثم انتقل سبحانه إلى توبيخهم وقطع أطماعهم فى خير الآخرة فقال: (أم للإنسان)... إلخ. أى بل هل يكون للإنسان كل ما يتمناه لمجرد أنه يعبه. ومن ذلك ما فى الآية (٣٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦ والآية (٥٠) من سورة فصلت صفحة ١٣٧. كلا - لن يكون له ذلك لأن الأمر كله لله فى الدنيا والآخرة. وهو سبحانه لا يعطى إلا ما يشاء لمن يريد. وليس لأحد أن يتعكم عليه فى شيء.

ثم أكد ذلك بقوله: (وكم من ملك)... إلخ. أى وكثير من الملائكة المقربين لا تنفع شفاعتهم... إلخ.

وإذا كان أمر هؤلاء كما ذكر فأرج نفسك أيها النبي من ضاء إرشاد من أعرض عن القرآن وحصر همه في تحصيل الدنيا والتمتع بزخارفها، لأن طلب الدنيا هو نهاية قصده من العلم، فهم لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وفي غفلة عما سيلاقيهم في الآخرة. ومن كان هذا شأنه فلا تزيد الدعوة إلى الحق إلا عناداً واصراراً على الباطل.

ثم بين سبحانه سبب أمره له ﷺ بالإعراض عنهم فقال: (إن ربك هو أعلم)... إلخ. أى إن الذى يعلم من تفيد فيه الدعوة ومن لا تفيد هو الله وحده. فلا تثق نفسك في دعوتهم بعد ذلك؛ لأنه ليس عليك إلا البلاغ لتقوم الحجة عليهم. وقد بلغت.

ثم بين سبحانه سبب أنه هو أعلم بأحوالهم فقال: (ولله ما فى السموات)... إلخ. أى إن كل المخلوقات فى ملكه وتحت تصرفه فهو يعلمها تمام العلم. فأرج نفسك أنت أيها النبي.. وأترك الأمر لنا. فنحن العالمون بهم. تجزى يوم القيامة المسوء بعقاب عمله. وتجزى الذين أحسنوا أعمالهم بالمشيئة الحسنى وهى الجنة.

ثم بين سبحانه المحسنين فقال: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش. وإذا فعلوها لم يصروا عليها بل يسارعون إلى التوبة، كما فى الآية (١٢٥) من سورة آل عمران صفحتي ٨٥، ٨٤.

لكن إذا وقع منهم صغيرة كالنظرة المحرمة مثلاً فإن الله تعالى يغفرها لأن ربك أيها النبي واسع المغفرة. فيغفر الصغائر باجتناب الكبائر كما فى الآية (٢١) من سورة النساء صفحة ١٠٥. ويغفر الكبائر بالتوبة النصوح. انظر ما تقدم فى الآية (٥٢) من سورة الزمر صفحتي ١١٤، ١١٣.

وهو سبحانه أعلم بأحوالكم من مبدأ خلقكم من الأرض. وحين كنتم فى الأرحام، انظر تفسير الآية (٣٤) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤.

والتيسير بقوله تعالى: (وفى بطون أمهاتكم) مع أن العندين لا يكون إلا فى البطن للحكمة المبيته فى شرح الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

والظن: المراد: التوهم الباطل. فلا يبنى: أى لا يبنى. ومن الحق: ومن: بمعنى (عن). والحق هنا هو العلم القطعى لأنه لا يفتخ فى الاعتقادات غيره.

وميلتهم: أى منتهى ما بلغوه من العلم، انظر الآية (٧) من سورة الروم صفحة ٥٢١. وكبائر الإثم والفواحش: تقدم شرحها فى الآية (٣٧) من سورة الشورى صفحة ٦٤٤.

ولا للهم: اللهم هى الصفات من الذنوب، ولا: بمعنى (لكن) أى لكن الهم يغفروها الله، لأنه سبحانه واسع المغفرة، انظر الآية (٢١) من سورة النساء صفحة ١٠٥.

ومن الأرض: أى خلقكم من تراب الأرض، انظر الآية (٣٧) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦، والآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠، والآية (١١) من سورة فاطر صفحة ٥٧٢، والآية (١٧) من سورة نوح صفحة ٧٦٩.

وأجنة: جمع جنين وهو الطفل ما دام فى بطن أمه.

المعنى: وكثير من الملائكة المقربين فضلاً عن غيرهم لا تتفح شفاعتهم أقل تنفع إلا من بعد أن يأن الله تعالى لهم فيها ويرضى عن المشفوع له.

وإذا كان هذا حال أقرب الخلق إلى الله تعالى، فكيف يطمع المشركون فى شفاعته معبوداتهم الباطلة. وهى أبعد الخلق منه تعالى، انظر زعمهم هذا فى الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٨٨، ولا تنس ما قيل فى شرح الآية (٢٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦ والآية (٥٠) من سورة فصلت صفحة ١٢٧.

ثم بين سبحانه شفاععة أخرى هؤلاء المشركين وهى وصفهم الملائكة بأنها بنات الله، والذي جراًهم على ذلك كفرهم باليوم الذى يجازى فيه الخلائق على أعمالهم. وليس عندهم علم يستندون إليه فيما يقولون. لكن عندهم مجرد وهم أوقعهم فيه تقليد الآباء بدون بحث وتحقيق. وإن مثل هذا الظن لا يفتخ أقل تنفع فى مقام العلم القطعى المطالب فى المتأكد التى لا يكفى فيها الظن.

وشرقها عمان، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أحد، ولم يصفها القرآن بلفظ الأولى إلا في هذه الآية، ويرى بعض المفسرين أنها عاد واحدة وأن المراد بالأولى أنها المتوغلّة في القدم جداً. وقال ابن كثير: إن عاداً الثانية كانوا بطناً من عاد الأولى. وكانوا مقيمين بمكة فلم يصيبهم ما أصاب قومهم، والله تعالى أعلم.

هو ثمود: تقدم في الآية (٧٣) وما بعدها من سورة الأعراف صفحتي ٢٠٥، ٢٠٤. هو ظالم وأفنى: أي أشد ظلمًا وظلمًا: فقد عاش يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما كما في الآية (١٤) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢، ومع ذلك فقد كانوا يضربونه ويسخرون منه. وكان الرجل منهم إذا قارب الموت، يأخذ ابنه بيده ويقف به عند نوح ويعذره من اتباعه ويقول له: أبنی وصالی بذلك، وأنا أوصيك به اليوم، فلا تصدقه؛ ولهذا دعا عليهم نوح بدعائه المذكور في الآية (٥) وما بعدها من سورة نوح صفحتي ٧٦٨، ٧٦٩.

المعنى: وإذا كان ربكم هو وحده المليم بأحوالكم فلا تمدحوا أنفسكم لتظهرها أمام الناس في مقام أعلى. بل اتركوا الحقيقة له سبحانه فهو أعلم بالمتقى وغيره. وعندما بين سبحانه جهل كدار مكة بعبادة غيره تعالى ذكر واحد منهم ضم إلى ذلك شناعه أخرى.

فقال: (أفأريت الذي تولي)... إلخ. وقد ذكر المفسرون في تعيين هذا المتولى أقوالاً عدة منها أنه هو الوليد بن المغيرة الآتي الحديث عنه في الآية (١١) إلى (٣٦) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦. وحيث لم يبينه سبحانه فلا نتكفه، بل الذي يهمنا في مكان العبارة أنه رطل من المشركين سمع القرآن وهم بالإيمان. ولما سمع بذلك المشركون غيروه على ترك دين أبيّاه. فقال: إني خشيت عذاب الله يوم القيامة الذي سمعته في قرآن محمد، فقال له أحدهم (لا تخف. لن صدق محمد في قوله إن هناك يوم قيامه فستحمل عنك كل ذنوبك، على شرط أن تعطيني الآن شيئاً من مالك). وكان المشركون يضللون بذلك البسطة، انظر الآية (١٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢. فوافقهم، وأعطى بعض المال، ثم امتنع لشدة حرصه عليه.

فترل فيه قوله تعالى: أفأريت الذي تولي... إلخ. أي إذا كان ما سبق هو الحق فأخبرني أيها السامع العاقل عن هذا الذي انصرف عن الإيمان بعد همه به. وأعطى قليلاً مما أنفق

العالم أجمع. والعرب تعرف ضخامته وتسبب إليه شدة العز. وذلك كثير في أشعارهم، ولهذا عبده كثير منهم لاعتقادهم تأثيره في العالم. وفي تخصيصه بالذكر تجهيل لهؤلاء الذين عبده حيث جعلوا المربوب ربا بعد.

هو عاد الأولى: هي المذكورة في أربعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم في الآيات (٧٤، ٦٥) من سورة الأعراف صفحتي ٣٠٣، ٣٠٤، والآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٥٢٣، والآيات (١٠، ٥٩، ٥٠) من سورة هود صفحتي ٢٩١، ٢٩٢، والآية (٩) من سورة إبراهيم صفحتي ٣٣٠، ٣٣١، والآية (٤٢) من سورة الحج صفحة ٤٢٩، والآية (٣٨) من سورة الفرقان صفحتي ٤٧٥، والآية (١٣٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٧، والآية (٣٨) من سورة العنكبوت صفحتي ٥٣٥، ٥٣٦، والآية (١٢) من سورة ض صفحتي ٥٩٨، والآية (٣١) من سورة غافر صفحتي ٦٣٢، والآيتين (١٥، ١٣) من سورة فصلت صفحة ٦٣١، والآية (٢١) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩، والآية (١٣) من سورة ق صفحة ٦٨٩، والآية (٤١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٥، والآية (٥٠) من سورة النجم هنا والآية (١٨) من سورة القمر صفحة ٧٠٦، والآيتين (٤، ٦) من سورة الحاقة صفحة ٧٦١، والآية (٦) من سورة الفجر صفحة ٨٠٦، وذكرت عاد بغير هذا الاسم مرة واحدة في الآية (٨٩) من سورة هود صفحة ٩٧٧، ولم تذكر عاد إلا وذكر معها ثمود مقرونين في آية واحدة أو في آيات متتاليات: قال ابن كثير: إن هاتين الأمتين ليس لهما ذكر في التوراة التي بين أيدينا. ولكن في القرآن ما يدل على أن نبي الله موسى أخبر عنهما. هو قال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لعني حميد. ألم يأتكم نيا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود... إلخ آيتي (٩، ٨) من سورة إبراهيم صفحتي ٣٢٠، ٣٢١. وكانت عاد وثمود من العرب البائدة وهما من أقدم الأمم وجوداً وتأثراً في الأرض وكانوا بعد قوم نوح مباشرة. انظر الآية (٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٣٠٣. وكانوا أشداء جبارين أنبلرتهم قوتهم وما هم فيه من جنات ونعيم. انظر الآية (١٥) وما بعدها من سورة الأعراف صفحتي ٣٠٣، ٣٠٤، والآية (١٢٢) وما بعدها من سورة الشعراء صفحتي ٤٨٧، ٤٨٨، والآية (١٣) وما بعدها من سورة فصلت صفحتي ٦٣١، ٦٣٢. وكانت عاد تسكن الأحقاف كما تقدم في الآية (٢١) من سورة الأحقاف صفحة ٦١٩ في شمال حضرموت جنوب الربع الخالي

عليه ثم منعه حرصه الشديد. فضمن إلى التصميم على الكفر البخل بما التزم به. فآخلف الوعد، والبخل وخلف الوعد من أقبح صفات الرجال خصوصاً عند العرب. ثم زاده تسفيها فقال: (أعندم).... إلخ، أى هل عند هذا الرجل علم الغيب فهو يعلم أن غيره يصح أن يتحمل عنه عذاب الآخرة. بل هل لم يخبره أهل الكتاب بما جاء في صحف موسى وإبراهيم الذي يزعمون أنهم على ملته مع أنه قام بما أمره الله به خير قيام. ثم شرع سبحانه في بيان اثني عشر شيئاً مما في هذه الصحف فقال: ﴿ألا تزر وازرة﴾.... إلخ، أى أن حقيقة الحال أنه لا تحمل نفس وزر غيرها يوم القيامة. وأن الإنسان ليس له في ذلك اليوم إلا جزء عمله خيراً أو شراً فلا يأخذ من عمل غيره شيئاً. أما ما ثبت من انتفاع الإنسان بدعاء غيره له، وصدقته. فستتكم عليه في آخر تفسير هذه الصفحة إن شاء الله تعالى؛ وفيها أيضاً أن سعيه سوف يراه هو نفسه ليطمئن إلى عدل ربه. ويراها الله تعالى والرسول ﷺ والمؤمنون. تشريراً للمؤمن وفضيحة لغيره على رموس الأشهاد. ثم يجرى صاحب العمل على عمله الجزاء الأوفى. لا يظلم أحد مثقال ذرة. وفيها أن مرجع الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة. وأنه سبحانه هو وحده الذي خلق ما يضحك وما يبكي، أى أنه سبحانه وحده هو الذي خلق كل ما يسرّ وكل ما يحزن. فالمؤمن يرضى بقضاء الله سبحانه فيهما فيسرّ فيما يسرّ ويصبر على ما يحزن. وأنه وحده هو الذي أمات من قضى عليه الموت. وأحيا من يريد حياته. وأنه هو الذي خلق من الحيوان الذكر والأنثى لبشاء النوع. خلقهما من نطفة حين تدفق في الرحم من ماء مهين. فكيف يشمخ بأنفه، ويتكبر على أوامر خالقه. وينكر البعث؛ انظر الآيات (٣٧ إلى ٤٠) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ والآية (٢٠) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٥. وأن عليه سبحانه وفاء بوعده إحياء خلقه بعد الموت للحساب والجزاء. وأنه هو الذي أغنى ويغنى من يشاء. وأفقر ويفقر من يشاء. وأنه هو رب الشعري المتصرف فيها. فلا يعجزه أن يفعل بكم ما يشاء ولا يصح أن تعبدوها لأنها مخلوقة مثلكم. وأنه أهلك عاداً الأولى. وكانوا أكثر منكم أموالاً وأولاداً فأهلككم عليه أهون. وأهلك ثموداً فلم يبق منها أحد، وأهلك قبل ذلك قوم نوح بالفرق جميعاً لشدة ظلمهم وطفيتهم. قال المفسر السلفي ابن كثير في معنى ﴿وليس للإنسان إلا ما سعى﴾ لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو بنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استبسط الشافعي

وأتباعه وكذا الإمام مالك أن القرآن لا يصل إهداء ثوابه إلى الموتى لأنه ليس من عملهم. ولهذا لم يرغب فيه ﷺ أمته. ولا أرشدهم إليه بنص ولا إشارة. ولم ينقل ذلك عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم. ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

وباب القربات يقتصر فيها على النصوص ولا يتصرف فيها بأنواع الأقيسة والآراء. فأما الدعاء والصدقة فجميع على وصولهما ومنصوص عن الشارع عليهما وقوله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). رواه مسلم؛ لأن كل ذلك في الحقيقة من سعيه. متفق مع قوله تعالى: ﴿وكتب ما قدموا وآثارهم﴾: الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠ انتهى كلام ابن كثير. ويؤيد ما قاله ابن كثير ما أرشدنا إليه في شرح الآية (٢١) من سورة الطور صفحتي ٦٩٨، ٦٩٧.

ومما اغتر به كثير من الناس حتى صار كأنه من صميم الدين ما يروونه على أنه حديث ونظمه (اقرأ يس على موتاكم). فهذا طعن فيه الحفاظ. قال ابن القطان: إنه مضطرب وموقوف أى لم ينسب للنبي ﷺ. وبعض رواته مجهولون وقد يكونون ممن أندسوا على الإسلام لتشويهه. وقال فيه الحفاظ الدارقطني: إنه ضعيف الإسناد مجهول المتن والسند. فحديث هذا حاله كيف يعمل عليه. خصوصاً بعد معارضته لنصوص القرآن المتقدمة. وأحاديث الرسول ﷺ على أنه ليس للإنسان إلا عمله. وما يتشدد به بعضهم من قولهم: (الأحاديث الضعيفة تعمل بها في فضائل الأعمال). وتطبيقهم هذا على قراءة سورة يس على الموتى باطل؛ لأن هذه القاعدة لو صحت فإن المراد بها أن العمل الذي ورد عن الشارع نص صريح في فضله كالصدقة على الفقراء مثلاً. فإنه يجوز العمل بالحديث الضعيف الذي بحث عليها. على أنه حينئذ يمكن الاستغناء عنه بالنص الأصلي. أما العمل الذي تدل النصوص القطعية على عدم مشروعيته كما هنا. فإنه لا يجوز الإقدام عليه إلا بنص عن الشارع مقطوع بصحته. لا تحديد مطعون فيه. وإلا تكون قد ابتدعنا في دين الله تعالى ما لم ياذن به. على أن هذا الحديث مع ضعفه قال فيه مالك رضي الله تعالى عنه: (المراد منه قراءة يس عند المحتضر) ولذا ذكره ابن ماجه في باب (ما جاء فيها يقال عند المحتضر) (فالمتراد من موتاكم أى من حضرهم الموت). ولهذا قيل: إنها ما قرئت على محتضر إلا سهل عليه. لما فيها من التوحيد

من سورة المفكيات صفحة ٥٧٢، وقوله سبحانه. «ومن تركى فإنيما يتركى لنفسه» الآية (١٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤، وقوله تعالى لنبيه «وما عليك من حسابهم من شيء» الآية (٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٧٠. ومما يدل على أن أمور ما بعد الموت لا يستطيع أحد نقل لآخر فيها أو رفع وزر عن أحد. الآيات (٣٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤ و(٤٦) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦ و(١٩) من سورة الانتظار صفحة ٧٩٦. وغير ذلك كثير.

ومن هذا ما صح من أنه ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى: «وأندر عشيرتك الأقربين» الآية (٢١٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢. جمع قومه وخطب فيهم فقال: (يا عم، يا عباس، سلنى من مالى ما شئت، فإنى لا أغنى عنك يوم القيامة من الله شيئاً. يا فاطمة بنت محمد سلنى من مالى ما شئت، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً).

وأما إذا نظرنا إلى حكمة تشريع العبادات، فإننا نعلم أن المقصود منها الخضوع له تعالى ومراقبته والخوف منه، فلا نعمل ما يفضيه. والنيابة فى العبادة لا تحقق هذه الحكمة؛ لأنها لو صحت لكان الفاعل هو الخاضع لله لا المنوب عنه.

والخضوع والمراقبة لا يتصف بهما إلا فاعلهما أيضاً لو صحت النيابة فى العبادات البدنية لصحت فى القلبية كالإيمان، والصبر، والشكر، والرضا، والتوكل، وما أشبه ذلك. وبهذا لا تكون التكاليف محتمة، على كل شخص، بل يكفى أن يعملها بعض المؤمنين نيابة عن الجميع فينجو كل مفروط. ولا يقول بهذا عاقل.

انتهت عبارة الشاطبى. ومما يؤيد كلام الشاطبى أن العقل لا يقبل أن يتمرغ الرجل فى الوساخة ويطلب من غيره أن يغتسل بالماء نيابة عنه؛ لأن الماء لا يطفئ إلا من اغتسل به فقط دون غيره، فكيف يعقل أن يعيش الرجل طوال حياته ملوثاً بآذورات المعاصي حتى يموت على ذلك قذراً ثم يأتى بعد ذلك رجل آخر ويتطهر نيابة عنه، اللهم احفظنا من هذه الجهالات التى شوهت وجه دينك المستقيم.

والبشرى بالجنة، وقال ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) جزء ٤ صفحة ٢٢٢ الطبعة المنيرية (المفروط من غير عذر لا ينفعه أداء غيره، عنه لفرائن الله تعالى التى كان هو المأمور بها ابتلاء وامتحاناً له دون غيره. فلا تنفع توبة أحد عن أحد، ولا إسلامه عنه. ولا صلاته. لا غير ذلك). وقال الشاطبى فى كتابه الموافقات جزء ٢ صفحة ٢٢٧ طبعة مصطفى محمد: المطلوب الشرعى ضربان: أحدهما ما كان من قبيل العادات الجارية بين الخلق كالنصرات المالية.

والثانى: ما كان من قبيل العبادات اللازمة للمكلف لتوجيهه إلى ربه.

فأما القسم الأول فالنيابة فيه صحيحة يقوم بها الإنسان مقام غيره؛ لأن الحكمة فيها تتحقق بذلك. كدفع الدين مثلاً. ما لم يكن ذلك الأمر العادى مشروعاً لحكمة لا تعدى الشخص المطلوب منه هذا الفعل كالزواج وتوابعه من وجوه الاستمتاع التى لا تصح النيابة فيها شرعاً. ومثل ذلك العدود فى مثل السرقة والزنا وكل العقوبات البدنية، فلا يقتل غير القتال. ولا تقطع يد غير السارق ولا يجلد غير الزانى؛ لأن المقصود للشارع منها الزجر، والزجر لا يتعدى الجاني. ما لم يكن الجزاء فيه مال كالدية فى القتل الجماع، فإن النيابة فيه تصح.

وأما النوع الثانى وهو ما كان من قبيل العبادات، فالمقرر فيه أن التعميدات الشرعية لا يقوم فيها أحد عن أحد. ولا يعمل وزر التقصير فيها غير المقصود. وذلك ثابت بالنصوص، وبالنظر العقلى فى حكمة التشريع. فالنصوص كقوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى. وقد كرها سبحانه فى القرآن فى خمسة مواضع وهى الآية (١٦٤) من سورة الأنعام صفحة ١٩١ والآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦ والآية (١٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤ والآية (٧) من سورة الزمر صفحتى ٦٠٦، ٦٠٧ والآية (٣٨) من سورة النجم صفحة ٧٠٢. وكقوله تعالى: «فولنا أعمالنا ولكم أعمالكم» الآية (١٣٩) من سورة البقرة صفحة ٢٧. وقوله سبحانه: «فوما هم بحامين من خطاياهم من شيء» الآية (١٢)

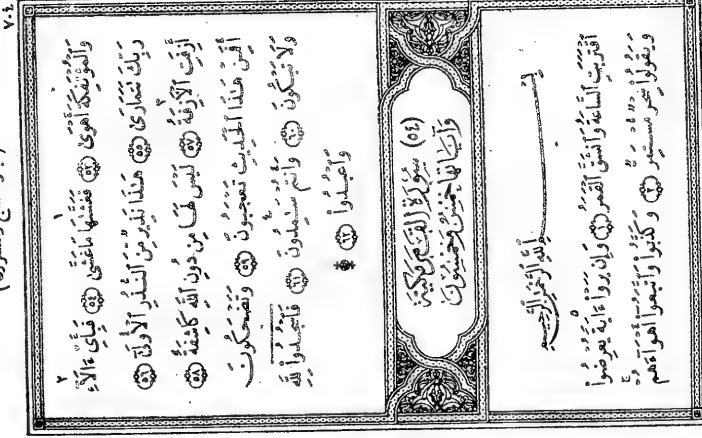
بقي قسم آخر يدور الأمر فيه بين العبادة والأمور المالية كالحج والتضحية في العيد وهذا أجاز الشارع فيه النيابة نظراً لما فيه من جهة المال إذا فانت الجهة الأخرى على المكافئ. والمال في الحج مطلوب لفقراء الحرم تحقيقاً لدعاء خليل إبراهيم عليه السلام، انظر الآية (٢٦٦) من سورة البقرة صفحتي ٢٤، ٢٥. والضحية فيها مصلحة الفقراء.

أما دعاء الإنسان لفيره، وتصدقه عنه، فقال المفسر أبو السعود: (إن مرجع انتفاع المدعو له، والمتصدق عنه هو عمله نفسه؛ لأنه لو لا عمله الصالح، وإخلاصه فيه، لما سخر له سبحانه من يدعو له).

وبيان ذلك أن دعاء الداعي، وتصدقه، طاعة مقدمة منه له تعالى يرجع ثوابها له نفسه. سواء استجاب الله دعاءه أم لا. كما حصل لنبينا ﷺ عندما استغفر لعمه ولعبد الله بن أبي بن سلول، ونهاه سبحانه وتعالى عنه، ومع ذلك أثابه على توجهه إليه تعالى لأنه عبادة في ذاته. انظر الآية (١١٢) من سورة التوبة صفحة ٢٦١. وإنما ينتفع المدعو له بهذا الدعاء إذا كان فيه أهلية لذلك من صالح الأعمال وحسن الإخلاص؛ لأن الدعاء لا يخرج عن كونه شفاعاً من الداعي للمدعو له.

وشرط قبول الشفاعة إذن الله تعالى فيها. ورضاه عن المشفوع له. انظر شرح الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦. هذا هو الحق الذي كان عليه سلف الأمة، قال الشاطبي في الموافقات جزء ٢ صفحة ١٦٣ طبعة منير: (إن دعاء المؤمن لأخيه. من باب الشفاعة للغير). والعبادات لا يجوز فيها الابتداء، لأننا لو زدنا بقولنا لشرعنا في دين الله ما لم يأن به. وصرنا كأهل الديانات الأخرى الذين ابتدعوا فيها ما ذهب بأصولها.

وقد قال ﷺ: (شئ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار). وخوفنا من هذا الحديث هو الذي دعانا إلى الإطالة في هذا الموضوع لأننا في زمن طلعت فيه البدعة على السنة حتى جهل أكثر الناس ما كان عليه سلفهم فصارت البدعة هي السنة، والسنة هي البدعة. نسأل الله تعالى إيسالمة، ومن أراد المزيد في هذا المقام فليرجع إلى حديثي ٨٦، ٢٧٢ من كتابنا (صنوة صحيح البخاري). والله ولي التوفيق



المفردات: ﴿المؤتكة﴾: مأخوذة من الإنشاك وهو الانقلاب الذي حدث بالخسف. أي القرية المنقلبة على من فيها. انظر الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢ والآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤٢ والآية (٧٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٧٨.

﴿أهوى﴾: أي أسقطها من أعلى إلى أسفل.

﴿غشاها﴾: أي غطاها ما غطاها من

الحجارة والأهوال.

﴿ما غشى﴾: أي الذي غشاها. وهي عبارة يقصد بها التهويل.

﴿الاء﴾: أي نعم، مفردتها ﴿إلى﴾، يكسر فسكون، بوزن جَمَلٌ وأحمال. انظر الآية (٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٣. وجعل سبحانه كل ما تقدم نعماً مع أن منه نقماً؛ لأن ذكر النعمة الواقعة بالخير فيه تحذير وهو رحمة لكل متيقظ.

﴿تتمارى﴾: أي تشاك أيها الإنسان؟ من المربة وهي الشك. انظر الآية (٥٤) من سورة فصلت صفحة ٦٣٧.

﴿هذا نذير﴾: أي هذا رسول محذر من عقاب الله تعالى، انظر الآية (٢) من سورة هود صفحتي ٧٨٢، ٧٨٤ والآية (٣٤) من سورة سبأ صفحتي ٥٦٧، ٥٦٨.

- (١) فشاها.
- (٢) الآء.
- (٣) الأرفة.
- (٤) سامدون.
- (٥) آية.

المعنى: وأسقط الله سبحانه وتعالى أكبر قري قوم لوط وأكثرها سكانا على من فيها وجعل عاليها سافلها. وبهذا الخسف غطاهما بما غطاهما به من الأثرية والحجارة كما في الآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢.

وإذا كان الأمر كذلك ففي أية نعمة من نعم ربك أيها الإنسان تتشكك؟ ثم نبه سبحانه الكفار بأن محمداً رسول من الرسل السابقين فلم يكن شيئاً غريباً. انظر الآية (٩) من سورة الأحقاف صفحة ١٦٧. ثم هددهم بقرب القيامة ليحذروا هولها فقال سبحانه وتعالى: (أزفت)... إلخ. أي قرئت الساعة التي هي قربية جداً. وهذا مبالغته في قربها. وإذا جاءت فليس لها غير الله قوة تقدر على كشفها ومنعها. فهل يعد هذا الخطر المحقق تعجبون من القرآن إنكاراً له، وتضعفون استهواً، ولا تكونون حزيناً على ما حصل منكم، وخوفاً من عذاب الله سبحانه. والحال أنكم خائفون لاهون: وإذا كان لا بد من الساعة فيجب ألا تسجدوا إلا لله ولا تعبدوا غيره.

المعنى: بدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة لتخويف كفار مكة بقرب قيام الساعة فقال عز وجل: (اقتربت الساعة وأنشأ القمر)... إلخ. ذكر هنا بعض المفسرين حديثاً عن ابن عباس قال فيه: (قال المشركون للنبي ﷺ إن كنت صادقاً فشق لنا القمر شقتين كل نصف على جبل من الجبلين المحيطين بمكة. فقال ﷺ: إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة البدر. فسال ﷺ ربه فانشق القمر). ورأى بعض العلماء أن هذا مخالف لما تكرر في القرآن كثيراً من عدم إجابته سبحانه لما يطلبه المشركون من معجزات.

وبين سبب ذلك تارة بأنهم معاندون لن يؤمنوا حتى لو أجيبوا إلى ما يطلبون. انظر آيتي (٨، ٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٢ والآية (١١١) من سورة الأنعام أيضاً صفحة ١٨١، وتارة بأن في القرآن كناية لهم بعد عجزهم عن الإتيان بعثله. انظر آيتي (٥١، ٥٠) من سورة

التكوير صفحة ٥٢٨.

وتارة بأن عادة الله مع الأمم المعاصرة أنه سبحانه إذا أجابهم لما يقترحون ولم يؤمنوا يهلكهم جميعاً: ولا يُبقي منهم أحداً. انظر شرح الآيات من (٣٥ إلى ٣٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧ والآية (٥٩) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٢ والآيات (٢٢، ٢٣، ٢١) من سورة

ومن النذر الأولى: أي من الرسل المتقدمين، انظر الآية (٤٧) من سورة يونس صفحة ٢٧٤، والآية (٢٤) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤، ٥٧٥.

وأزفت: أي قرئت.

والأزفة: أي القيامة، انظر الآية (١٨) من سورة غافر صفحة ٦١٩، ٦٢٠.

وكاشفة: المراد: نفس تكشفها أو تزيلها وتمنع وقوعها.

وهذا الحديث: المراد: القرآن. انظر الآية (٢٣) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

لأسامدون: أي خائفون لاهون.

فأسجدوا لله واعبدوا: عطف عبيدوا على ما قبله من عطف العام على الخاص... وهذا يستجد المتوحيين من القارئ والسامع.

سورة القمر

المفردات: واقرئت الساعة وأنشأ القمر: جاء في لسان العرب: يقال شق القمر بفتح وانشق أي طلع، كانه شق موضع طلوعه وخرج منه. فعلى هذا يقال انشق القمر بمعنى طلع، وانتشر نوره ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح، كالقمر حين ينشق الظلام بنوره كما يقول الناس عند وضوح الأمر طلعت الشمس أي لم يعد في الأمر خفاء، انظر الآية (٧٧) من سورة النحل صفحة ٢٥٦ والآية (٥٧) المتقدمة من سورة النجم في هذه الصفحة. فوإن يروا آية: المراد بالآية هنا كل دلائل توحيده سبحانه وتعالى وقدرته. وصدق رسوله، انظر الآية (١٤٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٥ ومنها القرآن المعجز، ويروا على هذا معناه يعلموا ويسمعوا. فويلقوا سحراً: عبر بالفعل المضارع للدلالة على أن هذا هو شأنهم دائماً، وسيكون هذا مادام العناد مستولياً عليهم.

وقد قالوا: عن القرآن إنه سحر مراراً، انظر الآية (٤٢) من سورة سبأ صفحة ٥٦٩ والآية (٣٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠ والآية (٢٤) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦ ونظير ما هنا آيات (٢، ٢، ١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠.

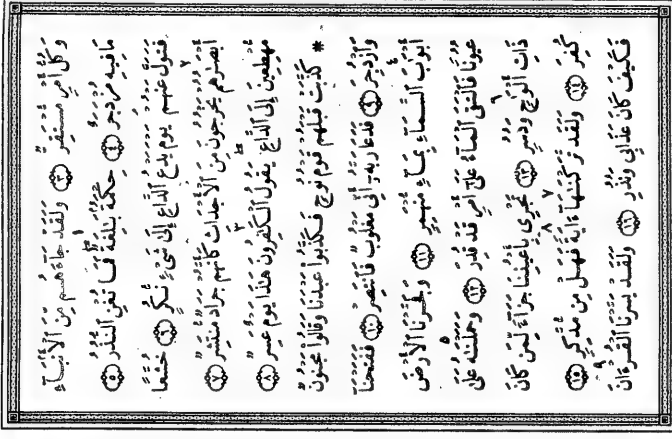
فمستمر: أي مطرد متتابع بعضه إثر بعض.

الفرقان صفحة ٤٧٢. وبما أنه سبحانه لم يرد إهلاك كفار مكة جميعاً لعلمه أنه سيظهر منهم من يؤمن ويقوم بنشر الإسلام. لم يحقق سبب إفنائهم. هذا فضلاً عن أن انشقاق القمر من الأحداث الكونية المهمة، ولوحصل لشاهده عالم لا يحصى من العرب وغيرهم، خصوصاً وأنه كان في ليلة البدر كما تقدم وبلغ حداً لا يمكن لأحد أن ينكره. لكل هذا قال بعض العلماء إن (وانشق القمر) كناية عن وضوح الأمر حتى لم يعد صالحاً للجدل.

وقال آخرون: ومنهم الحسن والتفسيرى وعثمان بن عطاء: إن المعنى أنه سينشق قطعاً. وقريباً جداً عند قيام الساعة. فالمراد: اقتربت الساعة وقرب انشقاق القمر يوم تنشق السماء وتنتشر الكواكب، كما في الآية (١) وما بعدها من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥، والآية (١) وما بعدها من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٩، فالتعبير بالماضى للتحقق كما في قوله تعالى: «أتى أمر الله... إلخ انظر الآية (١) من سورة النحل صفحة ٢٤٥».

قال الماوردي: هذا هو رأي جمهور العلماء انظر تفسير القرطبي في هذا المقام. وأعجب ما وقع فيه بعض العلماء هنا من الخطأ قولهم: إن قراءة حذيفة بن اليمان (قد انشق القمر) ومن له إلمام بعلوم القراءات لا يعلم قراءة كهذه أبداً. فلا هي من القراءات المعول عليها ولا هي من المتواترة، بل ولا حتى من الأربع المذكورة بعد العشرة على أنها شواذ بل هي مجرد أوهام نقلها بعض العلماء في كتبهم على أنها قراءة، فتتابع الناس عليها بدون روية ونقلها عنهم. بعض المستشرقين اغتراراً وجهلاً. نسأل الله تعالى الهداية للصواب. ثم ويخ سبحانه كفار قريش على أنهم مع قرب هذا الخطر الداهم مهملون فقال عز وجل: (وإن يروا... إلخ. أى وإن يرى كفار مكة كل يوم دليلاً جديداً على وحدة الله تعالى وصدق رسوله مما حواه القرآن من صدق أخباره في الماضى والمستقبل ومن عجزهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

إن يروا كل ذلك يتوارد عليهم يوماً بعد يوم يعرضوا عن التأمل فيه، ويقولوا هذا القرآن سحر مطرد يتبع بعضه بعضاً يأتي به محمد ﷺ على مِر الزمان، انظر شرح الآية (٧) من سورة هود صفحة ٢٨٤ والآية (٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠ والآية (٤٣) من سورة سبأ صفحة ٥٦٩ والآية (٣٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠ والآية (٧) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٦ والآية (٢٤) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦، قالوا ذلك وكذبوا النبي ﷺ واتبعوا شهواتهم التي زينتها لهم الشياطين من حب الرياسة وعدم الخوف من يوم القيامة.



المفردات: «كل أمر مستقر»: أى كل أمر من أمور هذا العالم مستقر على الحالة التي قدرها سبحانه له. ومن ذلك نصر الحق وخذلان الباطل.

«الأنبياء»: أى أخبار الأمم الماضية مما نزل بهم لما كذبوا رسلهم.

«مزدجر»: أى فيه ازدجار. وهو الابتعاد عن الشر.

«حكمة بالغة»: خبر لمبتدأ مقدر مفهوم من سياق الكلام، والأصل: هذه الأخبار التي جاء بها القرآن كلها حكم وعظات بالغة نهايتها في الإنتان تكفى كل عاقل.

«ما تنفع»: لا تنفع.

﴿النذر﴾: جمع نذير بمعنى الإنذار. أى التحذير كما سيأتى في الآية (١٦) الآتية، وانظر الآية (١٠١) من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

﴿فتول عنهم﴾: أى أعرض عنهم ولا تجادلهم بعد الآن.

﴿يوم يدع الداع﴾: (يدع) أصلها يدعو وحذفت الواو. فى الكتابة فقط كحذف الياء فى (الداع). انظر الآية (١١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥. (ويوم) منصوب بـ (يخرجون) الآتية.

و(الداع) هو إسرائفيل، عند النفخة الثانية، انظر الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

﴿نكر﴾: هو الأمر الشديد الذى لا عهد للنفوس بمثله. لشدة هولهِ.

- | | | |
|--------------|--------------|---------------|
| (١) بالغة. | (٢) أبصارهم. | (٣) الكافرون. |
| (٤) أبواب. | (٥) حملناه. | (٦) الواج. |
| (٧) تركناهم. | (٨) أية. | (٩) القرآن. |

الدليل أراد أن يقطع أطماعهم في فشله ﷻ، وأن يطمئن رسوله فقال: وكل أمر. أي من أمره ﷻ ومن أمرهم بل وأمر العالم منته إلى ما قدره سبحانه له. ومن ذلك نصر المؤمنين وهلاك الكافرين، والله لقد جاء كفار مكة من أخبار الأمم التي كفرت برسولها فهلك، ما فيه كفاية لهم في زجرهم عن كفرهم لو تأملوها في القرآن؛ لأن هذه الأنبياء حكمة بالغة في الموعظة والإقناع. ولكن لشدة عنادهم لا تنفع معهم الإنذارات، وإذا كان الأمر كذلك فأعرض أيها النبي عنهم، فسيخرجون من القبر ذليلة أبصارهم، يوم يدعوهم إسراfil إلى موقف شديد وهو موقف الحساب فيكونون في سرعة سيرهم وتشتتهم من الهول كأنهم جراد منتشر من الحيرة والخوف، ولذا قال: (مهلطين)٠٠ إلخ. أي يخرجون حال كونهم مسرعين إلى الداع في خشوع، يقولون: لأنهم كفروا بهذا اليوم؛ هذا يوم شديد الهول. ثم فصل سبحانه بعض ما أجمله من أنباء ما مضى فقال: (كذبت قبلهم)٠٠ إلخ. أي كذب قبل كفار مكة قوم نوح. ثم فصل هذا التكذيب بقوله: فكذبوا عبدنا. أي نوحًا ونسبوه إلى الجنون وزجره وهددوه بالتعذيب والقتل إن لم يرجع عن دعوتهم إلى خلاف ما كان عليه أبائهم. فلما نفذ صبر نوح عندما قالوا له إن كنت صادقًا فأت بما تهددنا به، انظر الآيات من (٣٢ إلى ٤٩) من سورة هود صفحات ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١. اتجه إلى ربه لينقذه منهم، وقال: يا رب إنهم غلبوني وتمردوا على صفحات ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١. انظر تفصيل دعوته في سورة نوح صفحات ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠. فأجاب الله سبحانه وتعالى دعوته وقال سبحانه في ذلك: ففتحنا أبواب السماء.. إلخ، والمراد أنزلنا من السحاب ماء كثيرًا جدًا. وفجرنا عيون الأرض للإسراع بإغراقهم، فالتقى ماء السماء بماء عيون الأرض لأجل تحقيق أمر قدرناه في الأزل وهو إهلاكهم غرقًا. وفي هذا الوقت حملنا نوحًا ومن معه كما في الآية (٤٠) من سورة هود صفحة ٢٩٠ على سفينة مصنوعة من ألواح خشب ممسوك بمثل المسامير أو الخيال. وأخذت هذه السفينة تجري على الماء برعايتنا وحفظنا. فعلمنا ذلك جزاء لنوح وانتصار له لأنه نعمة من الله عليهم كفروا بها.

ولقد أيقينا هذه الحادثة عبرة يتأقفاها الناس خلقًا عن سلف، فهل هناك عاقل يتذكر عاقبة الكفر بالله فيبتعد عنه؟ فتأمل أيها السامع وانظر كيف كان عذابى وتعذيرى لهم قبل نزوله. ثم أقسم سبحانه على أنه لا عذر لعاقل فقال: (ولقد يسرنا)٠٠ إلخ. أي والله لقد سهلنا فهم القرآن خصوصًا لقومك أيها النبي لأنه بلغتهم.. إلخ.

فخشمًا: جمع خاشع بمعنى ذليلة منكسرة.

والأجدات: جمع جدت بنتحتين وهو القبر. انظر الآية (٥١) من سورة يس صفحة ٥٨٢

مهلطين: أي مسرعين، انظر الآية (٤٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٦ والآية (٤٢) من سورة المعارج صفحة ٧٦٧.

عسر: أي عسير، شديد الهول، صعب عليهم، انظر آيتى (٩، ١٠) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦.

وارزج: أي زجره ونهره الكفار بشدة، انظر ما تقدم في الآية (٥٢) من سورة النجم صفحة ٧٠٣. فمنهم: أي ينصب بكثرة وقوة.

على أمر قد قدر: (على) حرف يفيد أن ما بعده علة لما قبله، أي لأجل نفاذ أمر قدره الله سبحانه وتعالى... وهو إغراقهم.

ذوات ألواح: أي سفينة مصنوعة من ألواح أى أخشاب عريضة.

لرس: مفردها دسار بكسر أوله ككتاب وكتب، وهو ما تمسك به الألواح بعضها ببعض، كالسمال.

ربنا عينا: تقدم المراد بمثل هذا في الآية (٤٨) من سورة الطور صفحة ٧٠٠. فمن كان كفر: أي لنوح الذى كفروا نعمة الله تعالى بإرساله لهم.

تركناها آية: أى تركنا حادثة السفينة وما فيها من نجاة المؤمنين وهلاك غيرهم عبرة وعلة.

وقل: استهتام يدل على الرغبة في وجود ما بعده.

ومذكر: أى متذكر ومتعطف.

فكيف كان عذابى: استهتام أريد به حمل السامع على التأمل في هول ما حصل ليعتد عنه.

يسرنا: أى سهلنا.

المسقى: بعدما شغ سبحانه على كفار مكة بأنهم اتبعوا شهوراتهم وأهملوا النظر في

جميعهم: أي جمع متقن الكلمة، انظر الآية (٥٦) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٣.

يقولون الدين: المراد: يفرزون منهزمين.

المعنى: يقول سبحانه أملاكنا ثمود حتى صاروا كفتات العطل الجاف المختلط بالتراب. ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر، كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم ريحا تحمل حجارة ترميهم بها بعد خسف القري بهم حتى هلكوا إلا آل لوط فإننا أنجيناهم باخراجنا لهم من القرية في السحر. انظر الآية (٨١) وما بعدها من سورة هود صفحة ٣٩٦. نجينا المؤمنين مع لوط إنعاما منا عليهم لإيمانهم. وبمثل هذا الجزء نجزى كل شاكر لنعمنا غير كافر بها، ثم فصل سبحانه ما حصل فقال تعالى: ولقد أنذرهم: إلخ. أي والله لقد حذرهم لوط بأهلاكتنا لهم بشدة إذا استمروا على كفرهم، فشكوا في كلامه ولم يصدقوه، ثم بين سبحانه جرمهم المنطبع الذي استحقوا به تعجيل العذاب فقال: ولقد راودوه: إلخ. أي ولقد طلبوا منه الابتعاد عن الدفاع عن ضيقه ولما لم يستطع دفعهم قل سبحانه ما أفضى الضيوق عنهم فرجعوا. وقتنا لهم على لسان الملائكة ذوقوا بهذا الطمس مقدمات عذابي ونذري، ثم بين سبحانه ما حصل بعد ذلك مبيها وقت نزول العذاب فقال: ولقد صبحهم: إلخ. أي ولقد نزل بهم العذاب أول وقت الصبح، وما زال مستمر النزول عليهم حتى أقناهم، فقلنا لهم ذوقوا عذابي ونذري التي كنتم تكذبونها، ثم كرر سبحانه الجملة القسمية للمرة الرابعة تقريرا لما سبق من قوله: ولقد جاءهم من الأنباء: إلخ. أي سبق فقال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن): إلخ. ولقد جاء آل فرعون النذر، فماذا حصل منهم؟ كذبوا بآياتنا التي جاء بها موسى كلها، انظر الآية (١٠١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨ فاخذناهم بالعذاب أخذ عزيز لا يغلب، مقتدر لا يعجزه شيء، وبعد ما ذكر سبحانه ما حصل للأمم السابقة بسبب كفرهم أراد أن يبينه كفار العرب إلى أنهم إن لم يرجعوا فسيحل بهم ما حل بغيرهم: لأنهم ليسوا خيرا منهم، فقال: (أنفاركم): إلخ. أي ليس كفاركم أيها العرب خيرا من كفار الأمم السابقة، فلم تكونوا أخف منهم كفرا، ولا أحسن منهم حالا في الدنيا، بل كانوا أقوى منكم وأكثر أموالا وأولادا، ثم انتقل سبحانه إلى توبيخ آخر فقال: أم لكم: إلخ. أي بل هل لكم صك بترككم من كفركم جاء في كتب الأنبياء المراد لا شيء من هذا، ثم انتقل إلى توبيخ آخر مع الإعراض عن خطابهم لحقارتهم: فقال تعالى: أم يقولون: إلخ. أي بل هل يقولون نحن جمع متمسك لا يهزم، متمصر على كل من عاداه لا يغلب، ثم هدهم فقال تعالى: سيهزم هذا الجمع الذي يفخرون به حتى يفروا، وقد حصل في بدر وما بعدها من الغزوات، ثم بين سبحانه أن هذا هو عذاب الدنيا وسيأتيهم يوم القيامة عذاب أشد... فقال سبحانه: (بل الساعة موعدهم): إلخ.

المفردات: الماحتطل: هو الذي يعمل حظيرة للنعم ونحوها. من عيدان الشجر ونحوه. فإذا ليست ودستها الحيوانات فتنت، وصارت كالتراب.

وكذبت قوم لوط: انظر ما حصل منهم ولهم في الآيات (١٦٠ - ١٧٥) من سورة الشعراء صفحتي ٤٨٩، ٤٩٠.

النذر: تقدم في الصفحة السابقة.

وحاصبا: أصل معنى الحاصب هو الذي يرمى غيره بالحصباء، وهي الحجارة الصغيرة. والمراد به هنا الريح التي رمتهم بالحجارة. انظر الآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤٣.

بسحر: الباء بمعنى (في) وفي هنا للطريقة الزمانية والسحر هو آخر الليل.

أنذرهم: أي حذرهم، وبطشتا: البطشة هي الأخذ بشدة، انظر الآية (١٦) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧. ففتاروا: أي تشككوا، وكذبوا بتشديد النال المفتوحة.

راودوه عن ضيقه: انظر آيتي (٧٨، ٧٩) من سورة هود صفحتي ٣٩٥، ٣٩٦ والآية (٦٨) وما بعدها من سورة الحجر صفحتي ٣٤٢، ٣٤٣ والمراد: فاودوه في البعد عن ضيقه ليفعلوا بهم ما يريدون، فطمسنا أعينهم: قال ابن عباس: حجب سبحانه إدراكهم فلما دخلوا المنزل لم يروا أحدا، والله سبحانه هيا الملائكة لأن يكونوا معنا ولا نراهم.

صبحهم: أي أتاهم وقت الصباح، وهو من أول الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس بقليل.

بكرة: المراد هنا: أول الصبح، مستقر: أي دائم النزول عليهم حتى أملاكهم.

أنفاركم: إلخ: الاستفهام للإنكار، أي هل كفاركم أيها العرب خير من كفار الأمم الماضية، فلا يمدنون، والزبور: جمع زبور، والزبور هو الكتاب المزبور أي المكروب، والمراد هنا: الكتب المنزلة على الأنبياء، وهي التي من شأنها أن تكتب لتحتفظ.

- | | | |
|-------------|--------------|---------------|
| (١) القرآن: | (٢) نبياتهم، | (٤) راودوه. |
| (٥) القرآن: | (٦) آت. | (٨) فاخذناهم. |
| | (٧) بآياتنا. | |

﴿أشبهاكم﴾: أى أشباهكم المتفكرين معكم فى الكفر: انظر الآية (٥٤) من سورة سبأ

صفحة ٥٧٠:

﴿الزبر﴾: جمع زبور بوزن رسل ورسول والزبور هو الكتاب المزبور أى المكتوب والمراد

هنا: كتبة الحنفلة، انظر ابتي (١١، ١٠) من سورة الانشقاق صفحتى ٧٩٥، ٧٩٦.

﴿وكل صغير وكبير﴾: أى كل ما دق وعظم، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتى

٢٨٨، ٢٨٧.

﴿مسطر﴾: أى مسطور، تقول العرب: سطرت الكتاب واستطرت به بمعنى واحد.

﴿نهر﴾: المراد جنس النهر فيكون بمعنى أنهار.

﴿مستعد صدق﴾: المراد: مكان شريف كريم، انظر الآية (٢) من سورة يونس صفحة ٣٦٥

والآية (٨٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥.

﴿عند ملك﴾: المراد عندية مكانة وشرف، انظر الآية (١٦٩) من سورة آل عمران صفحة

٩١ والآية (٢٠٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٦٦، والملوك: صيغة مبالغة من الملك بضم الميم أى: عند ملك عظيم ملكه.

المعنى: ليس ما سبق من الإدلال فى الدنيا هو تمام عقوبتهم، بل الساعة (القيامة) هى موعد عذابهم اللاتق بجرمهم، وعذاب القيامة هذا أقطع من هذا الذى فى الدنيا وأشد مرارة على نفوسهم، انظر الآية (٢١) وما بعدها من سورة الفجر صفحة ٨٠٧.

ثم بين سبحانه سبب استحقاقهم ذلك فقال تعالى: (إن المجرمين) ... إلخ. أى إن هؤلاء الكفار الذين أجزموا فى حق زهم بالكفر والمعاصى كانوا فى بعد عن الصواب، انظر الآيات (٢٩) وما بعدها من سورة المطففين صفحة ٧٩٨. كما كانوا فى جنون منهم من التأمل فى التراهين الدالة على الحق، وسبق لهم يوم يسحبون فى النار بالسلاسل على وجوههم ذوقوا عذاب جهنم.

وَالسَّاعَةُ أَهْلٌ وَأَمْرٌ ۖ إِنَّ الشَّجَرِينَ فِي ضَلَالٍ
وَعَمْرٍ ۚ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرَ ۚ إِنَّا كُلَّ فَعْيَةٍ خَلَقْنَاهُ يَدِيرُ ۚ وَتَمَّ أَمْرُنَا
إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَبِالنَّصْرِ ۚ وَلَقَدْ أَفْكَرْنَا أُفْيَاعَكُمْ
فَعَلَّ مِنْ مَّذْمُورٍ ۚ وَكُلَّ نَفْسٍ قَوْلُهُ فِي الزَّيْرِ ۚ
وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۚ إِنَّ الشَّيْءَ فِي جَنَّتٍ
وَنَهْرٍ ۚ فِي مَقْدَرٍ مِنِّي عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۚ

(٥٥) سُبْحَانَ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ

المفردات: ﴿أدهى﴾: الداهية هى الأمر
القطيع الذى لا يمكن الخلاص منه، والمراد:
إن عذاب يوم القيامة أشد إبلاهما
لأجسامهم.

﴿أمر﴾: أى أشد مرارة وصعوبة على
النفوس.

﴿ضللال وسعر﴾: تقدم فى الآية (٢٤) من
سورة القمر صفحة ٧٠٦.

﴿مس سقر﴾: المراد: عذاب جهنم الذى
مجرد مسه يهلك.

﴿يقدر﴾: أى بتقدير ونظام محكم على
مقتضى الحكمة، انظر الآية ٨ من سورة

الرعد صفحة ٣٢٢ والآيتين (١٩، ٢١) من سورة الحجر صفحة ٣٢٩ والآية (٢) من سورة
الفرقان صفحة ٤٧٠.

﴿أمرنا﴾: المراد: أمرنا لنشئ نريد وجوده.

﴿إلا واحدة﴾: أى مرة واحدة بكلمة واحدة، انظر الآية (٨٧) من سورة يس صفحة ٥٨٦.

﴿كلمح﴾: اللمح النظر بعجلة وخفة والمراد سريعا.

- (١) ضلال.
- (٢) خلقاه.
- (٣) واحدة.
- (٤) جنات.
- (٥) القرآن.
- (٦) الإنسان.

المفرزات: ﴿البيان﴾: أى أن يبين ما فى ضميره بطق واضح، أو كتابية توصل مراده لغيره مهما تباعدت المسافات بينهما. انظر الآية (٤) من سورة العلق صفحة ٨١٤. ﴿حسيبان﴾: مصدر كالغفران، ومعناه الحساس الدقيق. ﴿النجم والشجر يسجدان﴾: يطلق العرب النجم على ما نراه فى السماء، وهو المذكور فى الآية (١٦) من سورة النحل صفحة ٣٤٧. كما يطلقونه أيضا على النبات الصغير الذى ينجم أى يظهر من الأرض ولا نساق له، وهذا هو المراد هنا. ويطلقون الشجر على النبات الذى له ساق وأغصان. وسجودهما: التبيادهما لله تعالى فيما أراد منهما كالتبياد الساجد لخالقه

تفصيلاً له. انظر الآية (٧٩) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨ والآية (١٨) من سورة الحج

صفحتى ٤٢٥، ٤٣١-

﴿ورضع الميزان﴾: وضع: أى أنزل على لسان كل نبي كما سيأتى فى الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٣، والميزان تقدم فى الآية (١٧) من سورة الشورى صفحة ١٤١.

﴿ولا تعطوا﴾: العطيان هنا أخذ الزيادة عن الحق. ﴿القسط﴾: العدل. ﴿ولا تخسروا﴾: أى لا تفقدوا العدل عن أصوله من تمام القسط. ﴿الأنام﴾: المراد به هنا الأنس والجن ليتناسب مع تشبيه الضمير فى قوله تعالى (تكذبان) ومع الآيات (١٤، ١٥، ٣١، ٣٢) الآتية، قال ابن عباس (الأنام): هو الحيوان كله أى كل ما فيه روح على وجه الأرض. ﴿الأكمام﴾: أى الأغطية التى تكون على الثمار قبل ظهورها، كما تقدم فى الآية (٤٧) من سورة فصلت صفحة ١٣١. ﴿المصفا﴾: هو التبن الذى يتكون من عيدان القمح والشعير إذا تكسرت مثلاً، ومن قشر الحب والذى تأكله الدواب والرياح تصفئه بسهولة. ﴿الريحان﴾: نبت له رائحة طيبة.

(١) فاكهة. (٢) الإبل. (٣) الإنسان. (٤) صلبان. (٥) (٧٠، ١٠٢).

ما يشاؤون تعالى. ثم رجع إلى تهديد كفار قريش فقال سبحانه: ولقد أملاكنا أمثالكم من الخمار لأنهم عملوا عمالكم، فهل فيكم عاقل يتدبر فيرجع عن أسباب الهلاك؟ ثم بين سبحانه أن كل أعمالهم مسجلة فلم يظلمهم فقال تعالى: وكل شيء فعلوه فى الدنيا مسجل فى كتب الحفظ.

ثم زاد إيضاحاً وتفصيلاً فقال: وما من صغيرة ولا كبيرة مما فعلوه إلا وهى مسطرة فى صحائفهم، فليحذروا ما هم قادمون عليه. وعندما بين جزاء الكافرين ختم السورة ببيان جزاء المؤمنين، ليظهر التباين بين الغافل. فقال: إن المتقين.. إلخ. أى إن المتقين فى مكان محاط بجنات وأنهار فى مكان شريف عال عن ملك عظيم لا يعجزه شيء أراد، وهذا المكان المشرف هو الجنة، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأسبابها.

سورة الرحمن

الرحمن سبحانه هو الذى علم نبيه ﷺ القرآن. لا رجل من البشر كما يزعم المشركون، انظر الآية (١٠٣) من سورة الإسراء صفحة ٣١٠، والآية (٨١) من سورة القصص صفحتى ٥١٩، ٥٢٠ والآية (٤٨) من سورة المعنكوت صفحة ٥٢٧.

ولقد قدم سبحانه (علم القرآن) للإشعار بأن من آثار رحمته تعالى تعليم القرآن، لأنه مصدر الخير للإنسان فى دينه ودنياه، وبه يعرف الإنسان كيف يعبد ربه، والعبادة هى حكمة خلقه، انظر الآية (٥١) من سورة الداريات صفحة ١٩٦، وفى كل من تعظيم شأن القرآن ما لا يحصى.

وقال العلماء: وبما أن الغاية من إيجاد النبی هو المقصود الأسمى وهى أول ما يخطر على البال فمن سبحانه ذكرها أولاً وإن كان الأمر بالعكس فى الوجود الخارجى: لأن خلق الإنسان فى الوجود مقدم على تحقيق الغاية والحكمة فى إيجاده، وهو سبحانه من فضل رحمته خلق الإنسان وأنعم عليه بما سيذكر هنا من النعم.. ولما كانت السورة كلها فى تعداد نعمه سبحانه اللتيوية والأخروية مع التعذير مما يستدعى غضبه - صدرها سبحانه باسمه تعالى (الرحمن).

[illegible]

المؤمنين، فوالله ما كنا من أولئك الذين يكذبون. وله سبحانه وحده تقدير كبير. البقرة: ١٧٧. والآية ٢٧٤ من سورة لقمان تصفحة ٥٤٢ والأيتين (٢٢، ٢٣) من سورة الشورى. في الآية ٢٢ ذكر سبحانه بعض نعم الدنيا. اتبع ذلك بأن كلها ذاتة لغيرهم، وفي الآية ٢٣ مقتال: كل من عليها أي على الأرض فلان.

[illegible]

فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝ وَهُوَ الْجُبَّارُ الْمُنْتَفِخُ ۝
 فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝
 كُلٌّ مِنْ عِندِنَا ۝ دَعْنِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝
 يَبْعَثُهُمْ فِي الْأَشْكَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةٍ
 عَشْرًا ۝ فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝ سَنَنْفِخُ
 لَكَ رِيَّاهُ الْعَالَمِينَ ۝ فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝
 يَمْشُرُ الْمَوْتِ الْأَبْرَارَ ۖ إِنَّا نَسْتَعْتِمُ أَنْ تُعْلِمُنَا مِنْ
 أَفْئَاتِهِ الْأَشْكَاتِ وَالْأَرْضِ نَفْثًا لَا يُفْتَنُونَ إِلَّا
 بِأَسْلَافٍ ۝ فَبَيَّنَّا ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝ رُسُلُ
 عَالَمِكَ مُرَافِقِينَ تَارِكِينَ لَا يُفْتَنُونَ ۝ فَبَيَّنَّا
 ۖ ءَالَآءَ رَبِّكَ نَجْدَانِ ۝ وَأَوَّلُ الْيَوْمِ الْآخِرَةُ وَكَذَلِكَ

المفردات: **والحيوار**؛ جمع حيارية. **والمنشآت**؛ أي المرفوعات الشراخ، تقول العرب: **أنشأت الشراخ** أي رفعتة. **والإعلام**؛ جمع علم والمراد به هنا الجبل المرتفع.

وَمَنْ عَلَيْهِمْ: المبراد على الأرض المفهومة من سياق الكلام، كما في الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٣٥٣.

هووجه ربك: المعنى المراد ذات ربك، ولكن حقيقة الوجه لا نعريفه، انظر شرح الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١.

هو الجلال : هو التناهي في عظم القدر ولا يكون إلا الله سبحانه وتعالى .

والإكرام : أى الإحسان إلى المتقين بما

فيه تكريم وتشريف. ﴿كل يوم﴾: المراد باليوم هنا اللحظة من الزمن ولا تتسها قيل في شرح الآية (٥٤) من سورة الأعراف مصفحة ٢٠١. ﴿وفي شأن﴾: أي متصرف في شأن من شئون خلقه كالإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والمطاء والحرمان إلى غير ذلك مما لا يحصى.

﴿سَنُفْرَغُ لَكُمْ﴾: يقول العزبي إذا أردتم تهديد غيره: سأنتفخ لحسابك على ما فعلت، وبما أن الله سبحانه وتعالى لا يشغله شيء عن شيء، فيكون الكلام كناية عن أني سأحاسبكم حساب الممتصر لكم. ﴿الْإِشْلَاقُ﴾: تشيئة يُقْلُ بفتح اللام وهما الإنسان والجن؛ لأنهما أثقل الأرض بالوجود فيها. انظر الآية (٧) من سورة الزلزلة صفحة ٨١٧.

وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَشَى أَنْ تَخْتَرِقُوا جَمِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ. وَالْمُرَادُ: لَا تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ فِيهَا كَوَاكِبَ مَاتِهِيَّةً كَالشَّمْسِ، وَالشَّمْعَى لَا يَذْنُو مِنْهَا مَضْطَوِّقٌ إِلَّا احْتَرَقَ.

بينهما حتى لا يمل المفطر الواحد. فالمراد هنا يكون للمقربين في الجنة أوسع أنواع النعيم أما حقيقة هذا النعيم فلا يعلمها غيره سبحانه، انظر الآية (١٧) من سورة السجدة صفحة ٥٦.

﴿ذواتا﴾: صاحبنا. ﴿فان﴾: انفصال كثيرة، مفردا فنن بفتحتين. ﴿زوجان﴾: أى صنفان، ويقال فيه ما قيل في جننان. ﴿فرش﴾: مفرد فرش. ﴿استبرق﴾: حدير سميك. ﴿جنى﴾: هو الثمر الذي نضج للجنى. ﴿دان﴾: أى قرب التناول لكل راغب فيه.

المعنى: فإذا انشقت السماء عند قيام الساعة. فكانت حمراء سائلة مع لعمان. حل بالخلق الهول، انظر الآية (٢) من سورة الحج صفحة ٤٣٣. فبأي آلاء ربكم تذكبان، فيوم تتصدع السماء ويحشر الخلائق لا يسأل المجرمون من الإنس والجن عن ذنوبهم سؤال استعجاب رحمة، وإنما سيسألون سؤال توبيخ. فبأي آلاء ربكم تذكبان. تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم فتجذبهم من رؤسهم وأقدامهم وتطرحهم في جهنم. فبأي آلاء ربكم تذكبان. وتقول لهم الملائكة تبيكاً: هذه هي جهنم التي كنتم تذكبون بها أيها المجرمون. وإذا استغاثوا من حرها، وطلبوا ماء، ينقلون إلى ماء شديد الحرارة يشرب وجوههم إذا قربوه منها كما تقدم في الآية (٢٩) من سورة الكهف، صفحتي ٢٨٥، ٢٨٤. فبعد هذا التنبيه كيف تذكبون نعمة ربكم عليكم به. وبعد ما بين سبحانه الأهلوال التي سيلاقها المجرمون أتبع ذلك ببيان نعيم المتقين لتجرك النفوس المستعدة للهداية فقال: ولعنّ خاف مقام ربه أى لكل واحد ممنّ خاف مقام ربه من السابقين المذكورين في الآية (١٠) من سورة الواقعة صفحتي ٧١٢، ٧١٤. جنان يتدل بينهما في الوقت الذي يتقل فيه المجرم بين جهنم والحميم. فما أعظم الفرق بينهما. قال الراغب: وليس الخوف هنا معناه الرعب إنما هو الكف عن المعاصى. والقيام بالطاعات. ولهذا قالوا: لا يمد خافاً ممنّ ليس للذوب تاركاً. فبأي آلاء ربكم تذكبان. أشجار هاتين العنبتين لها أشخاص كثيرة، وكل غصن يعمل شراً كثيراً أيضاً. فبأي آلاء ربكم تذكبان. فيها عنبان تجريان فتكونان أنهاراً. فبأي آلاء ربكم تذكبان. فبهما من كل فاكهة صنفان. فبأي آلاء ربكم تذكبان. يتشم هؤلاء المقربون حال كونهم متكئين كما يفعل الملوك. لا يشغلهم عن التمتع عمل. على فرش يطأونها من حرير سميك. أما ظواهرها فلا يحيط بعظمتها غيره تعالى. وفمار العنبتين قريباً لمن يريد، لا مشقة في الحصول عليه، انظر الآية (٣٣) من سورة الحاقة صفحة ٧١٣ والآية (١٤) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٢.

المفردات: ﴿وردت﴾: أى كوردة حمراء،
انظر الآية (٨) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥. ﴿كالدهان﴾: أى صله ما يدهن به كالإدام
لما يؤتد به. والمراد كالزيت الذى يغلى،
فهو تشبيه آخر قصد به الذوبان والحرارة.
﴿لا يسال عن ذنبه﴾: أى الخ: انظر شرح الآية
(٧٨) من سورة القصص صفحة ٥١٨.
﴿المجرمون﴾: المراد بهم الكافرون كما فى
الآية (٤٣) الآتية هنا والآية (٢٩) من سورة
المعاففين صفحة ٧٨٨. ﴿سماهم﴾:
السمي: العلامة، انظر علاماتهم فى الآيات
(١٠٢) من سورة طه صفحة ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧،
(٦٠) من سورة الزمر صفحة ٦١٤، ٦١٥، ٤١٠، ٤١١
من سورة عيس صفحة ٧٩١. ﴿فيؤخذ بالنواصي﴾: أى الخ: جمع ناصية وهى مقدم
الرأس، انظر الآية (١٥) من سورة العلق صفحة ٨١٤، ٨١٥، والمراد: تجذبتهم ملائكة العذاب
من رؤوسهم، وأقدامهم، وترتهم فى جهنم، وذكر (فباى آلاء) أى تكذبان) بعد ذكر هول
العذاب يفيد أن التحذير من الشر قبل الوقوع فيه نعمة عظيمة. ﴿فيؤوفون﴾: أى ينتقلون،
انظر شرح الآية (٦٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩١. ﴿حميم﴾: ماء، حار، يسقون منه، انظر
الآية (١٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٤. ﴿أن﴾: أى شديد الحرارة. ﴿خاف مقام ربه﴾: يصح
أن يراد بالمقام الحضرة العلية كما تقدم فى الآية (١٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٢، ويصح
أن يراد به قيامه سبحانه وتعالى على العبد أى مراقبته له كما فى الآية (٣٢) من سورة الرعد
صفحتى ٣٢٦، ٣٢٧. ﴿جنتان﴾: القرآن عربى اللفظ والأسلوب، فهو يخاطب العرب بما
يعهونه مما يسر وما يخيف، فيذكر الإبل والنخل والرمان. ويكثر من تخويفهم من حر جهنم
لأنهم يشعرون بضيق الحرارة، وكان الرجل منهم يفخر بأن له بساتين بدلاً ليمتع بالانتقل
(١٣٨) يسأل. (٢) يعيهاهم. (٣) بالنواصي. (٤) أن. (٥) فاكهة.

(١) يسأل. (٢) بسم الله. (٣) بالتواضع. (٤) إن. (٥) فأكبر.

﴿نخل ورمان﴾: من عطف الخاص على العام، ولا تنس ما قيل في سرج الآية (٤٦) الماضية صفحة ٧١١. ﴿خيرات﴾: تقول العرب: فلانة خيرة بفتح فسكون. وخيرة بتشديد الميم. ﴿النساء المكسورة، والمعنى واحد. أي حسنة حسناً حسياً، انظر الآية (٧٥) من سورة البقرة﴾. وانظر (عرب) في الآية (٣٧) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥.

﴿حسان﴾: جمعيات الوجهة. ﴿حور﴾: تقدم في الآية (٥٤) من سورة الدخان صفحة ١٥٩.

﴿مقصورات﴾: أصل معنى المقصورة الملازمة ببيتها لا تتعاه. لكن المراد هنا أنها غير متينة في عمل من الأعمال. بل هي كالعقدة المكرمة.

هو في الجوامع: لا تتس ما تقدم في الآية (٤٦) السابقة صفحة ٧١١ وهذا الاستعمال جاز على معهود العرب، والذي يجب أن نفهمه أنها أمكة للتعيم لا يعلمها غيره تعالى. مضافة إلى أمكة أخرى من بناء، كما في آيتي (٥٨) من سورة الفيلكوت صفحة ٥٢٩ و(٢) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٨، ٦٠٩.

المهمعنى: ففى كل ما تقدم من مواطن النسيم زوجات من الإنس والجن لا يظنون لغير أزواجهن أبكار لم يمس الإنسية منهن إنس قبل زوجها فى الجنة. ولا البقية منهن حتى قبله كذلك، فبئى آلاء ربكما تكذبان. كان أجسام هذه الزوجات الباقوت بياضا وصفاء، وكان جفائى آلاء ربكما تكذبان. فبئى آلاء ربكما تكذبان. ثم بين سبب مجازاة المؤمنين بذلك وجافهون المرجان حمرة ورواء. فبئى آلاء ربكما تكذبان. مجازاة المؤمنين بذلك فقال: (هل جزاء الإحسان) .. إلخ. أى وإذا كان العبد خاف مقام ربه فلا تجازى إحسانه لعمله إلا بإحسان ثوابه.

فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ، وَمِنْ دُونَ هَاتَيْنِ النَّجَاتَيْنِ الْمَوْعُودَ بِهِمَا الْغَافِلُونَ بِشَيْئَانِ لَا مَصْحَابَ
الْيَمِينِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي الْآيَةِ (٨) مِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ الْمَصْفُوحَةِ الْآيَةِ - فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ.
هَاتَانِ الْجَهَنَّمَانِ شَدِيدَتَا الْخُضْرَةِ. فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ. فِيهِمَا عَيْنَانِ هَوَارِثَانِ تَجْرِي مِنْهُمَا
- الْأَنْهَارُ - فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ. فِيهِمَا فَاسِكَةٌ وَتَحِلُّ وَرَمَانٍ، انْظُرْ مَا قَبِيلٌ فِي الْآيَةِ (١٦)
الْمَاضِيَةِ صَفْحَةَ ٧١١ (فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ) فِيهِنَّ رُوحَاتُ خَيْرَاتِ الْأَخْلَاقِ حَسْبَانِ الْوَجْهِ.
فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ، وَمِنْ عَيُونِهِنَّ حَسْبَانِ فَنَاقِهِ - وَمِنْ مَخْدَرَاتِ مَكْرَمَاتِ فِي أَمْكِنَةٍ بِهَجَّةٍ لَا
تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ مَخْلُوقٍ. فَبَيَّأَى الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ. لَمْ يَطْمَئِنَّ أَنْسَ يَطْلُبُهُمْ وَلَا جَانٌ يَقْدُمُ عَلَيْهِمَا.

(2000)

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ १ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ २ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ३ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ४ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ५ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ६ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ७ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ८ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ९ ॥
 ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ १० ॥

المفردات: وفيه: أي في الأشياء المفردة: المذكورة فيما تقدم، من الجنتين، وما حوتا من غرف، وفرش، وفواكه.

وقاصرات الطرف: المراد حجابات
أعينهن على أزواجهن. كما تقدم في الآية
(٢٨) من سورة الصافات صنفحة ٥٩٠.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ أي لم ينعش بكارثة، إذ خاف
الآية (٣٦) من سورة الواقعة مدفوعة ٧١٥.

فإنس قبلهم ولا جدانك: أي لم ييسروا
الإنسية أبشى قبل زوجها ولا العنانية حتى
قبل زوجها كذلك.

هذه الاقوت والمرجان : البراقوت :

بياضاً وصفاء، والمرجان: حمرة وجلالاً.

[illegible][illegible]

نصا خان: ای فوارخان بالماہ.

(۱) قاصد ادب:

(۲) الإحصائيات

(۲) فاجعه.

(二) 修改

$$i, j, \text{quad}(\sigma)$$

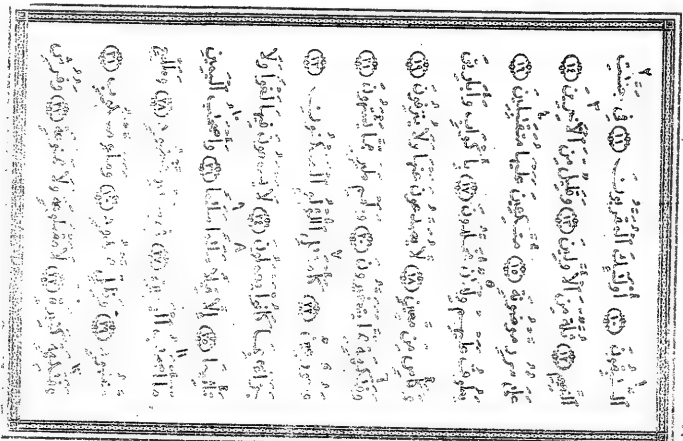
المفردات: ﴿السابقون﴾: هم المسارعون إلى كل ما دعا الله إليه، المارون من كل ما نهى عنه، وداوموا على ذلك طول حياتهم، وهم من كل أمة من زمن آدم إلى قيام الساعة، انظر بعض صفحاتهم في الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحة ١٣، ٢٤ والآيات (١٢) إلى (٧٤) من سورة الفرقان صفحات ٤٧٧، ٤٧٨ والآيات (١٦) وما بعدها من سورة النازيات صفحة ٦٩٢.

﴿ثله﴾: اسم جالب استعماله في الجملة الكثيرة أي كثير، والمراد: كثير من صدر كل أمة أميت فيها في حين قوة الدعوة.

﴿مؤمنون﴾: تهوّل العرب: وضنّ قسلاًن

الشرع يؤزّن وعنده، أي تسمجه باليقان، فأصل

المؤمنون، المؤمنون بتمامهم والمراد هنا: استعمال (مؤمنون) والآية (٣٠) من سورة المائدة صفحة ١٧٧، الآية (١٠) من سورة (٥) من سورة (٤٧) والآية (٣٠) من سورة المائدة صفحة ٢٤١.



- (١) السابعة و٢٠٠
- (٢) جالب
- (٣) الأثرون
- (٤) محالين
- (٥) وضنّ
- (٦) هاتكة
- (٧) كاهل
- (٨) الأما
- (٩) أعمدة
- (١٠) وناكية

﴿وما أصحاب الميمنة﴾: (ما) اسم استفهام يقصد به في مثل هذا المقام تهويل أمر الشيء المتحدث عنه، إما في حسن الحال، كما هنا، أو في قبحه كما سيأتي بعد، والمراد به هنا أصحاب اليمين، انظر الآية (٢١) من سورة العنقا صفحة ٧١١. ﴿المشأمة﴾: هي جهة الشمال لأن شأنها أن يتشام بها. وأصحابها هم الذين يأخذون كتابهم بشمالهم، انظر الآية (٢٥) من سورة العنقا صفحة ٧١٢.

المعنى: فبأي زخم يا معشر الإنس والجن تكذبان يتعم أصحاب اليمين بذلك النعم السابقة حال كونهم متكئين على ستائر خضر متدلية من فوق السرر ويجلسون على فرش فاخرة ويكفيك في حسناتها وصفه سبحانه وتعالى لها بأنها حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن كل ما سبق الترق بين نعيم من خاف مقام ربه ومن كان في المنزلة أقل منهم، وذلك أنه سبحانه جعل الغالب في بساطين الأولين الأشجار ذات الفواكه والغالِب للآخرين النيات الأخضر والرياحين وقال في الأولين: (من كل فاكهة)، وفي الآخرين: (فيهما فاكهة). وكذا فرق في الماء لأن المين العجارية أغزر ماءً من الفوارة، وكذا ما وصف به الحور العين في الفريق الأول دون الثاني ومع ذلك فإن كل ممنون يشعر الأعلى بتفوقه ولا يشعر به الأقل، لأن الله سبحانه رفع من صدره هم المسد والقل، انظر شرح الآية (٧٤) من سورة الزمر صفحة ١١٦، ١١٧.

﴿سورة الواقعة﴾

إذا قامت القيامة التي لا شئ في وقوعها، لا يوجد عند ذلك من يقول: إن الوعد بها كان كذباً بل يقطع بها حتى من كان ينكرها، وهي خافضة لقوم بدخ ولهم النار والمراد مظهرة لذلك ورافعة لقوم بدخولهم الجنة أي في وقت وقوع الواقعة تنزل الأرض زلزلاً شديداً، وتفتت الحال تفيتاً شديداً فتكون غباراً متناثراً في الفضاء، وعند ذلك تكون أياها الخلائق أنواعاً ثلاثة، اثنان في الجنة وواحد في النار، ثم يشرع في بيان هذه الأنواع على وجه الإجمال فقال: (فأصحاب الميمنة) أي أصحاب الميمنة في غاية حنين الحال وفخامة المنزلة وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وشناعة المنزلة. والسابقون آخرهم مع أنهم أعلى ليربط بهم بيان أحوالهم قبل بيان أحوال غيرهم.

- ﴿ولدان﴾: هم الظلمان المتقدم ذكرهم في الآية (٢٤) من سورة الطور ٦٩٨.
- ﴿أكواب﴾: جمع كوب، وهو الإناء الذي لا عروة له ولا خرطوم.
- ﴿أباريق﴾: جمع إبريق وهي أنية لها عرى وخراطيم.
- ﴿كأس من معين﴾: تقدمت في الآية (٤٥) من سورة الصافات صفحة ٥٨٩.
- ﴿لا يصعدون عنها﴾: أي لا يصيبهم صدام ناشئ عن شربها، كخمر الدنيا.
- ﴿ينزفون﴾: انظر أصل معنى المادة في الآية (٤٧) من سورة الصافات صفحات ٥٨٩، ٥٩٠.
- والمراد هنا: لا يخربون ما في بطونهم بالقيء بسبب شربها، كما تفعل خمر الدنيا من إخراج الماعاء والنزى: (سور عين): تتقدم في الآية (٥٤) من سورة الدخان صفحة ٦٥٩.
- ﴿الؤلؤ المكنون﴾: تقدم في الآية (٢٤) من سورة الطور صفحة ٦٩٨.
- ﴿لؤلؤ ولا تأثيماً﴾: تقدم في الآية (٢٢) من سورة الطور صفحة ٦٩٨.
- ﴿قيل لا﴾: التثيل هو القول، انظر الآية (١٢٢) من سورة النساء صفحة ١٢٣.
- ﴿سلاًماً سلاًماً﴾: بيان لـ (قيل لا) قتله.
- ﴿سدر﴾: شجر النبق وليس كنبق الدنيا ولكنها فاكهة تليق بالجنة؛ قال ابن عباس: ليس في الدنيا من نديم الجنة إلا الأسماء.

﴿صنف ود﴾: قول العرب: خضد فلان الشجر بوزن ضرب إذا قطع ما فيه من الشوك ولم

يبق إلا الثمر

﴿طلح﴾: جاء في لسان العرب: ليس هو المسوز، ولكنه شجر عظيم وارف، الظل، طويل الفروع يستظل تحته الأبل والخاب، وأطلقه القرآن على نوع من أشجار الجنة المنضرة بما ليس لها في الدنيا مثل، ﴿منضود﴾: مترابك بعضه فوق بعض وليس في ساقه مكان خال من الثمر، انظر المادة في الآية (١٠) من سورة (ق) صفحة ٦٨٩.

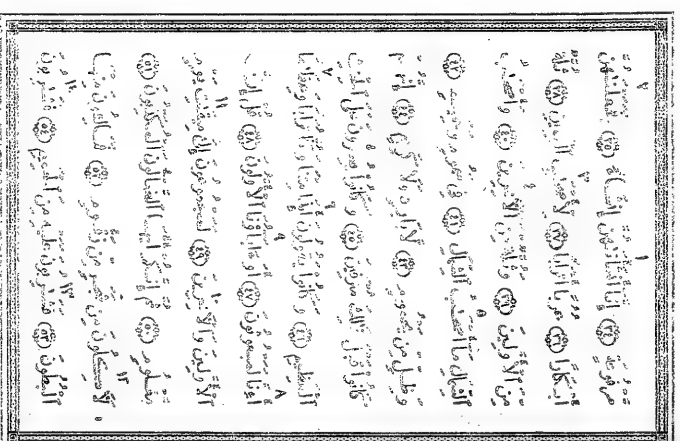
المصنفين: السابقون هم السابقون، وهذا تركيب تقوله العرب عند إرادة لفت النظر إلى التحويل في شأن شيء. تعظيماً أو تحقيراً. فالمراد: السابقون هم هؤلاء المشهورة أحوالهم،

المعروفة فضائلهم، ثم بين نتيجة عملهم إجمالاً فقال: أولئك هم المقربون أي أصحاب الخطوة والمنزلة الرفيعة عند ربهم في جنات النعيم، هؤلاء كثير من صدر كل أمه من أمم الأنبياء، في حين قوة الدعوة وقليل من متأخريهم، ثم بين نعيمهم فقال: على سرر.. إلخ. أي جالسون على سرر مصفوفة بنظام يدبج حال كونهم متكئين عليها كالمالوك، لا يشغلهم شيء، متقابلين، يسر بعضهم بمشاهدة بعض. يطوف عليهم غلمان لا يكبرون ولا يتغيرون بأكواب وأباريق فيها خمر من نهر ظاهر للعيون لتسره لا يصيبهم صدام من شربها ولا يتقيأون، ولا يتبولون كما تفعل خمر الدنيا بشاربها، قال ابن عباس: خمر الدنيا تصيب بالسكر والصداع والقىء والبول. وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عنها، ويطوف الخدم أيضاً بأصناف من الفاكهة مما يتخيرونه، ويلحم طير مما يشتهون، وبعدما بين سبحانه نعيمهم المعلوم والمشروب أتبعه بذكر نسايتهم فقال: (وحوور عين).. إلخ. أي ولهم في الجنة نساء حسان العيون بيض كانهن في صفاء بشرتهن اللؤلؤ المحفوظ في صدفه. جزاهم ربهم بهذا كله مكافأة لهم بما كانوا يعملونه في الدنيا، انظر بعضه في الآية (١٦) وما بعدها من سورة الذاريات صفحة ٦٩٣. لا يسمعون في الجنة من القول ما هو لنفوسهم، وهو ما لا فائدة فيه، ولا يسمعون القول الموقع في الإثم، ولكن يسمعون تحية مكررة بتكرار قائليها، بيئها بقوله: سلاًماً. أي سلاًماً من الله تارة كما في الآية (٥٨) من سورة يس صفحة ٥٨٤، ومن الملائكة تارة كما في الآيتين (٢٢، ٢٤) من سورة الرعد صفحة ٣٢٥، والآية (٧٣) من سورة الزمر صفحة ٦١٦. ومن أصحاب الأعراف كما في الآية (٤٦) من سورة الأعراف صفحة ١٩٩.

ثم شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال: (وأصحاب اليمين).. إلخ. انظر المراد من هذا التركيب في الآية (٨) السابقة أي في أحسن حال، ثم بين حالهم بعد دخول الجنة فقال: (في سدر).. إلخ. أي في جنات ذات شجر من نبق يليق بنعيم الآخرة منزوع الشوك، وفي مكانه ثمر حتى لا يكون فيه ما يؤدي متناوله، وشجر عظيم وارف الظل لآخر معه. وماء يسكب لهم متى شاءوا. وفاكهة كثيرة لا تنقطع لعدمها، ولا تمنع عنهم مع وجودها. وفرش يجلسون عليها، انظر الآية (٥٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١.

الكبير؛ وهو كل كبير، وأظلمها الشرك به سبحانه وتعالى، وإنما متناه؛ استتھام أرادوا به إنكار البعث وإنما لمبعوثون؛ أعادوا الاستتھام لتأكيد الإنكار. لميقات يوم؛.. إلخ. هو يوم القيامة، انظر بيان هذا التركيب في شرح الآية (٢٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢، وانظر الآية (٩) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦. فزقوم؛.. شجر يشع الهيئة واللون، كربة الرائحة والطعم نبتت في أصل الجحيم، انظر آتي (١٤. ١٢) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠، والآية (٤٢) من سورة الدخان صفحة ١٥٩. فحشا ربون؛.. إلخ. المراد: أنهم يسمون هذا الجحيم رغم أنوهم. كما في الآية (١٥) من سورة محمد صفحة ١٧٤.

المعنى: إن أصحاب اليمين يجلسون على فرش مرفوعة على سرور. وأنشأنا لهم زوجات في الجنة إنشاء جديداً حتى من كانت منهن في الدنيا عجوزاً فإنها تطلق في الجنة شابة بكرًا دائماً. مهما مسها زوجها. متحبات لأزواجهن، كهن في سن واحدة، ليس فيهن عجوز لا طفلة. أنشأناهن على هذه الحال لأجل أصحاب اليمين. وهم كثير من الأولين وكثير من الآخرين؛ بعدما بين سبحانه مال الفريقين المؤمنين قال تعالى في الفريق الثالث: وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال. يقال في هذا التركيب ما سبق في الآية (٨) من هذه السورة صفحة ٧١٢ والمراد: إن أصحاب الشمال في أسوأ حال. ثم بين ذلك سبحانه فقال: (في سموم)..
إلخ. أي في لهب يحرق جلودهم. وظل مكون من دخان أسود حار. لا بارد كغيره من الظلال. ولا حسن المنظر. جازيناهم بذلك لأنهم كانوا في الدنيا منغمسين في النعم حتى شغلوا عن هذا الهول. وكانوا يداومون على كل كبيرة وأولها الشرك به تعالى وأشرارك غيره معه. وكانوا مع ذلك يتكبرون البعث فيقولون: هل يسمح لنا إذا متنا ومصرنا تراباً وعظاماً هل إذا كنا على هذه الحال نبعث أحياء ثانياً هذا غير معقول. هل نبعث نحن وأولادنا الأولون أي الذين مضوا من زمن بعيد. وهذا تأكيد للإنكار. قل لهم أيها النبي: في الرد عليهم: إن الأولين من آبائكم وغيرهم الذين تستعبدون بعبثهم. والآخرين كذلك إلى يوم القيامة - والله - لمجموعون أي مساقون إلى موقف في زمن محدد في علم الله من يوم معلوم هو يوم القيامة الذي يبدأ بالنبضة الأولى وينتهي بآخرها. أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ثم بين سبحانه ما سيأكلونه وما سيشرّبونه فقال تعالى: ثم إنكم أيها الغافلون أي عن طريق الصواب. المكذبون لله ولرسوله وألله لأكون طعاماً مأخوذاً من شجر من رقوم يشع الهيئة واللون، كربة الرائحة والطعم، نبتت في أصل الجحيم، مؤلم يقصف، في الحلق، ومع هذا فستزعمون على مله بطلونكم منه. وعقب الأكل مباشرة تستيقظون من المعطش فتعطيكم زبانية جهنم بالجحيم، انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف في صفحة ٣٨٤. ٣٨٥. (فحشا ربون)..
إلخ. فسأل الله تعالى السلامة.



المفردات: وإنما أنشأناهم؛ أي أوحدناهم من جديد. والضمير يعود على الزوجات اللاتي أنشأ إليهن سبحانه إشارة لطيفة بقوله (فرش) فمن مفهومات من المقام، كما فهمت الأرض في الآية (١١) من سورة النحل صفحة ٢٥٢، وانظر نظير هذا الاستعمال في الآية (٢٥) من سورة الداريات صفحة ١٩٤ والآية (٣١) من سورة البرجن صفحة ٧١٠ والآية (٨٣) الآية صفحة ٧١٧.

فإنكاراً؛.. عذاري دائماً كلما مسهن أزواجهن رجعن إنكاراً ثانية؛.. عرياً؛.. جمع عروب، يوزن صبور - ينشع أوله.. وهي المرأة شديدة الحب لأزواجها. فأناراً؛.. جمع ترب بكسر فسكون وهي المساواة لغيرها في السن؛ والمراد أن نساء الجنة جميعاً يكن في سن الشباب، كما تقدم في الآية (٥٢) من سورة السن؛.. ولا أصحاب اليمين؛.. متعلق بالفعل في (أنشأناهم) في الآية (٢٥) أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين. فثلة؛.. تقدم في الآية (١٢) من هذه السورة صفحة ٧١٤.

فما أصحاب الشمال؛.. يقال فيه ما قيل في الآية (٨) من هذه السورة صفحة ٧١٢. فسموم؛.. لهب النار. كما تقدم في الآية (٣٧) من سورة الطور صفحة ١٧٨.

فحميم؛.. ماء شديد الحرارة، انظر الآية (١٩) من سورة البرجن صفحة ٤٣١. والآية (٨٥) من سورة محمد صفحة ١٧٤. فحجموم؛.. المراد به الدخان شديد الحرارة والسواد، مأخوذ من الحميم بضم محمد ففتح، وهو الفحم عقم، احترق راقته مباشرة، انظر الآية (١١) من سورة النور صفحة ١٠٨. فكريه؛.. المراد من كريم هنا: حسن المنظر. فحشا ربون؛.. أي منه مزين به شغلهم عن خطر هذا اليوم. فحشرون؛.. فحشرون؛.. أي يداومون ولا يتوبون. فحشرون؛.. أي المأكل.

(١) أنشأناهم	(٣) لأصحاب	(٥) سموم
(٢) أناراً	(٧) عظاماً	(٦) لا ربون
(٣) فحشرون	(٩) فحشرون	(٤) أنشأناهم
(٤) فحشرون	(١١) فحشرون	(١٢) فحشرون
(٥) فحشرون	(١٣) فحشرون	(١٤) فحشرون
(٦) فحشرون	(١٥) فحشرون	(١٦) فحشرون
(٧) فحشرون	(١٧) فحشرون	(١٨) فحشرون
(٨) فحشرون	(١٩) فحشرون	(٢٠) فحشرون
(٩) فحشرون	(٢١) فحشرون	(٢٢) فحشرون
(١٠) فحشرون	(٢٣) فحشرون	(٢٤) فحشرون
(١١) فحشرون	(٢٥) فحشرون	(٢٦) فحشرون
(١٢) فحشرون	(٢٧) فحشرون	(٢٨) فحشرون
(١٣) فحشرون	(٢٩) فحشرون	(٣٠) فحشرون
(١٤) فحشرون	(٣١) فحشرون	(٣٢) فحشرون
(١٥) فحشرون	(٣٣) فحشرون	(٣٤) فحشرون
(١٦) فحشرون	(٣٥) فحشرون	(٣٦) فحشرون
(١٧) فحشرون	(٣٧) فحشرون	(٣٨) فحشرون
(١٨) فحشرون	(٣٩) فحشرون	(٤٠) فحشرون
(١٩) فحشرون	(٤١) فحشرون	(٤٢) فحشرون
(٢٠) فحشرون	(٤٣) فحشرون	(٤٤) فحشرون
(٢١) فحشرون	(٤٥) فحشرون	(٤٦) فحشرون
(٢٢) فحشرون	(٤٧) فحشرون	(٤٨) فحشرون
(٢٣) فحشرون	(٤٩) فحشرون	(٥٠) فحشرون
(٢٤) فحشرون	(٥١) فحشرون	(٥٢) فحشرون
(٢٥) فحشرون	(٥٣) فحشرون	(٥٤) فحشرون
(٢٦) فحشرون	(٥٥) فحشرون	(٥٦) فحشرون
(٢٧) فحشرون	(٥٧) فحشرون	(٥٨) فحشرون
(٢٨) فحشرون	(٥٩) فحشرون	(٦٠) فحشرون
(٢٩) فحشرون	(٦١) فحشرون	(٦٢) فحشرون
(٣٠) فحشرون	(٦٣) فحشرون	(٦٤) فحشرون
(٣١) فحشرون	(٦٥) فحشرون	(٦٦) فحشرون
(٣٢) فحشرون	(٦٧) فحشرون	(٦٨) فحشرون
(٣٣) فحشرون	(٦٩) فحشرون	(٧٠) فحشرون
(٣٤) فحشرون	(٧١) فحشرون	(٧٢) فحشرون
(٣٥) فحشرون	(٧٣) فحشرون	(٧٤) فحشرون
(٣٦) فحشرون	(٧٥) فحشرون	(٧٦) فحشرون
(٣٧) فحشرون	(٧٧) فحشرون	(٧٨) فحشرون
(٣٨) فحشرون	(٧٩) فحشرون	(٨٠) فحشرون
(٣٩) فحشرون	(٨١) فحشرون	(٨٢) فحشرون
(٤٠) فحشرون	(٨٣) فحشرون	(٨٤) فحشرون
(٤١) فحشرون	(٨٥) فحشرون	(٨٦) فحشرون
(٤٢) فحشرون	(٨٧) فحشرون	(٨٨) فحشرون
(٤٣) فحشرون	(٨٩) فحشرون	(٩٠) فحشرون
(٤٤) فحشرون	(٩١) فحشرون	(٩٢) فحشرون
(٤٥) فحشرون	(٩٣) فحشرون	(٩٤) فحشرون
(٤٦) فحشرون	(٩٥) فحشرون	(٩٦) فحشرون
(٤٧) فحشرون	(٩٧) فحشرون	(٩٨) فحشرون
(٤٨) فحشرون	(٩٩) فحشرون	(١٠٠) فحشرون

﴿بئس أمثالكم﴾: أي نطق بديكم خلقا يشبهكم في أنه إنسان لكن يكون خيرا منكم.

﴿وتستشكم فيما لا تعلمون﴾: أي بعد أن نبديكم بخير منكم، نجعلكم في صورة قبيلة لا تصورون شناعتها، قال الحسن: يجعلكم قررة وخنازير أي في صورة بشعة يستقارها الناس.

﴿النشأة الأولى﴾: هي خلقكم أول مرة في الدنيا، والنشأة الأخرى هي البيع يوم القيامة، انظر الآية (٧٠) من سورة المنكوت صفحة ٥٢٣. والآية (٤٧) من سورة النجم صفحة ٧٠٣.

﴿قلولا﴾: بمعنى (هلا) التي تقيد طلب حصول ما بعده.

﴿تذكرون﴾: أي تتذكرون أن من قدر على النشأة الأولى قادر على الأخرى.

﴿حطاما﴾: هو الشيء المعطم، أي المفتت، انظر الآية (٢١) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

﴿ظلمات﴾: أي صرتم، انظر الآية (١٤) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

﴿تفككون﴾: أصل التفكه التقل بين صنوف الفاكهة، ثم استعمل في التقل بالحديث من موضوع إلى آخر، والمراد: تنتقلون من تعجب إلى تعجب، إلى تقدم، إلى تخلف، كما ينتقل المتفكه من فاكهة لأخرى، انظر الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦؛ واستعماله هنا من قبيل ﴿فبشرهم بعباد الهم﴾.

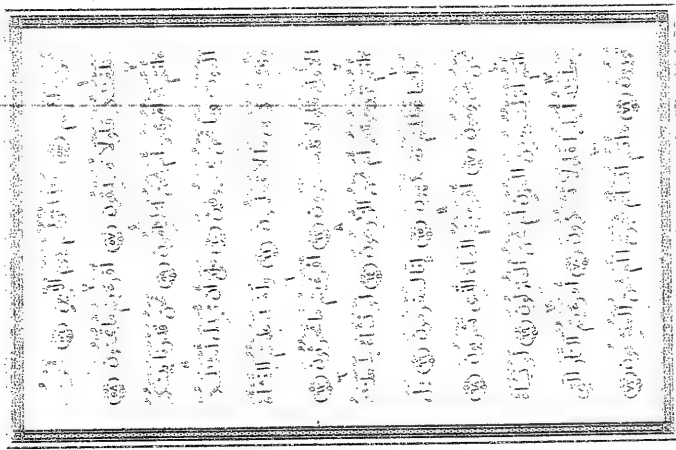
﴿مغمرمون﴾: يقال غرم في تجارته بفتح الغين وكسر الراء بوزن تعب، إذا خسر، وأغمرمه غيره إذا أوقعه في الغرم، والمراد هنا: يقول بعضكم لبعض ما هذه المصيبة؟ إن الشيطان أوقعنا في الخسارة فصرنا خاسرين.

﴿بل نحن مغمرمون﴾: (بل) للانتقال من كلام إلى آخر، أي بل نحن محكوم علينا بالحرمان من ذرعنا.

﴿أباجا﴾: أي شديد السلوحة، انظر الآية (٥٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٦.

﴿تورون﴾: أي تخرجونها، حتى ترى بالعين.

﴿شجرتها﴾: قالوا إن المراد بها: ذلك الشجر المعروف عند العرب وهو نوعان، أحدهما يسمى (العفار) بكسر العين، وآخر يسمى (المرخ) بفتح فسكون. وكانوا إذا احتاجوا النار يضربون عودا من أحدهما يعود من الآخر مع احتكاك شديدي فيخرج شرر النار كما يفعل الآن بالعنيد المسمى بالزناد وقطعة من الحجر.



الصمة روات: ﴿الهم﴾: هي الإبل شديدة العطش. يقال نافذة هيماء بفتح هاء، يكون وحمل أهيم بفتح الهاء. زرة وسكون الهاء ويجمعان على هيم.

﴿زراهم﴾: المراد بالزرا الدمام الذي يندم للضيف، انظر الآية (١٧) من سورة المدثرات صفحة ٥٩٠ وتذكره هنا المصنف كما في الآية (١٠٧) من سورة الكهف صفحة ١٢١.

﴿يوم الدين﴾: هو يوم الحساب والجزاء وهو يوم القيامة، وإذا علمت ما تقدم في شرح الآية (٩) من سورة الحجج صفحة ٤١٤ يعلم أن المراد هنا أن الله عز وجل يوزن أفعال أعد الكافرين في جهنم ما ذكر وأنه قد أدر سبحانه به يوم القيامة علما يتبين لا يعتدل

الشك، ثم تسوقهم الملائكة موقفا إلى ربهم، انظر الآية (١٧) من سورة النجم صفحة ٦١٥، ﴿قلولا﴾: كلمة تدل على الرغبة في حصول ما بعدهما، ويورون عن معانها ب (هلا) بتشديد اللام، ﴿أفرايتهم﴾: المراد: أفرايتهم في يوم الاستعظام الآخر.

﴿وما تذكرون﴾: أي ما تذكرونه في الأيام من المنزلة.

﴿نخلة زينة﴾: أي تمرورونه وتذكرون فيه الدروع.

﴿فقدروا ليحكم المروت﴾: أي قسمناه وماذا نكروا، ولما نكروا من الدروع، انظر الآية (١٤٥) من سورة آل عمران صفحة ٨١٤.

﴿فيمسحون﴾: أي مسحون، انظر الآية (٩) من سورة النجم صفحة ٥٩١ والآية (١٢١) من سورة النجم صفحة ١٢١.

﴿نقى ما بعدها عما قبلها﴾.

(١) عطشكم.	(٢) النجم.	(٣) النجم.	(٤) النجم.
(٦) أفرايتهم.	(٧) النجم.	(٨) النجم.	(٩) النجم.
(١١) أفرايتهم.	(١٢) النجم.	(١٣) النجم.	(١٤) النجم.

المفردات: ﴿تذكرك﴾: أي تذكيراً للخالق، يعلم منه قدرة ربه تعالى على البعث وعلى كل ما يريد؛ كما أن فيها أيضاً تخفيف لمن يعصى ربه بعذابها.

﴿متاعاً﴾: أي شيئاً يتمتع ويتنعم به.

﴿للمقومين﴾: أصل المقوم هو الذي ينزل في القواء يكسر القاف وهو المكان القفر الخالي من السكان، والمراد هنا المسافرين والموجودون في الصحاري والوديان الذي يغطيها الثلج عدة شهور في العام، وهم الذين يصعب عليهم الحصول على النار فتكون المنة عليهم أظهر.

مَنْ جَعَلْنَا مَنَادَكَ وَتَسْمِعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ فَنَبِّحُ بِهِ رَسُولَ الْعَالَمِينَ ۖ * فَلَا أَسْمِعُ مَوْلًى سَمْعًا ۚ وَبِهِ الْقَسَمُ لُرَّصَدُوكُمْ ۖ إِنِّي كُنَّا فِي كَيْفٍ مَّكِينِينَ ۖ لَا يَجِدُ إِلَّا الظُّلُمَاتِ ۚ فَنَنْبِئُكَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَفَبِمَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْغَنَىٰ جَاءَكَ الْمَسْكِينُ ۚ وَلَمْ يَجِدْ يَنْبَرُونَ ۚ قُلْ لَا آتَاكُمُ الْمَالُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنِي ۚ بَلْ أَنْتُمْ رَكُوعُونَ ۚ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَصْطَلُونَ ۚ فَالْمَالُ كَانَ مِنَ الْمَقْتَرِينَ ۚ فَرُوحٌ رُوِيَ عَنْ رَبِّكَ يَنْفَسُ ۚ وَأَنَا إِنِّي مِنَ الْعَنِينِ ۚ فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَنِينِ ۚ وَأَنَا إِنِّي مِنَ الْيَمِينِ ۚ

﴿فلا أقسم﴾: هذه عبارة من عبارات العرب في القسم يريدون بها تأكيد المقسم عليه، كأنه في شوقه وظهوره لا يحتاج إلى يمين، ويقصدون أيضاً لفت نظر السامع إلى خطر الشيء المقسم به. وهو هنا الإشارة إلى يوم القيامة، انظر شرح الآية (١) من سورة الصافات صفحة ٥٨٧.

﴿مواقع النجوم﴾: جمع موقع بفتح القاف، مصدر بمعنى وقع النجوم وسقوطها يوم القيامة، انظر الآية (١) من سورة النجم صفحة ٧٠٠ والآية (٣) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥.

- (١) جهالها.
- (٢) متاعاً.
- (٣) يوافق.
- (٤) اقتران.
- (٥) كتاب.
- (٦) العالمين.
- (٧) صادقين.
- (٨) أسمعاً.
- (٩) قسلاً.
- (١٠) أصدوب.

المعنى: إن الضالين بعدما يملأون بطونهم من شجر الزقوم يسرع إليهم العطش فيشربون من الماء الحار، ومع كونه شديد الحرارة فإن رداء الزقوم يجبرهم على الشرب منه كثيراً كشراب الإبل العطاش. وهذا الطعام المر البشع والشراب الجار هو طعام ضيافتهم يوم القيامة. ثم وجه سبحانه الخطاب للكمرة توبيخاً فقال: نحن... إلخ... أي نحن وحدنا الذين خلقناكم فهلا تصدقون بالبعث الذي أخبرناكم به؛ لأن الذي يخلقكم من العدم قادر على أن يعيدكم، انظر الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٣٤، والآية (٧٩) من سورة يس صفحة ٥٨٦. وبعد هذا فأخبروني عن المني الذي تقدفونه في الأرحام. هل أنتم الذين تتولون تصويره في الأرحام وتتفخون فيه الروح أم نحن الخالقون. نحن وحدنا الذين جعلنا لكل واحد منكم عمراً محدداً لا يتجاوز. وما نحن بعاجزين بل قادرين على أن نميتكم دفعة واحدة. ونخلق بدلكم خلقاً آخر يشبهكم في أنه إنسان لكن يكون خيراً منكم، انظر الآية (١٩) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٢، والآية (٣٨) من سورة محمد صفحة ١٦٧، ١٧٨. وقادرون أيضاً أن نخلقكم أنتم ولكن خلقاً جديداً لا تعلمونه كأن نجعلكم قردة وخنازير. وفي هذا تهديد لهم. ولقد علمتم كيف أنشأناكم أولاً من طين ثم من نطفة.. إلخ، حتى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين، انظر الآيات من (١٢) إلى (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦، فهلا تتذكرون أن من قدر على ذلك قادر على إحياائكم من القبور، وأخبروني أيضاً عما تحثرون الأرض لأجله. وتذرون جبه؛ هل أنتم الذين تتولون إنباته وجعله أخضر نامياً حتى يثمر؛ أم نحن المنيون له لا أنتم؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف تستبعدون علينا إخراج الموتى من القبور؟ انظر الآية (١٩) من سورة الروم صفحة ٥٣٢، والآية (١١) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٨، لو نشأ لجعلنا هذا الزرع هشيماً مفتتاً قبل أن يثمر، فصرتم بسبب ذلك تتقالبون بين الندم والحسرة والعجب من سوء حظكم حال كونكم قائلين من شدة الألم: إنا لمصابون بالخسران، بل إن السبب الحقيقي فيما حصل لنا أننا كتب علينا العرمان ونحسن الطالع؛ ثم انتقل سبحانه إلى عبرة أخرى بعضهم تقدم فقال: أفرايتم... إلخ. أي فأخبروني أيضاً عن الماء العذب الذي تشربونه أنتم وأعمالكم. هل أنتم الذين أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزّلون؟ لو نشأ جعلناه ملكاً مراً فهلا تشكرون الله على ذلك. وأخبروني أيضاً عن النار التي تستخرجونها بقدح عود من الشجر على عود آخر منه. هل أنتم الذين خلقتم شجرتها وأودعتم فيها هذا السر أم نحن الخالقون لها.

﴿عظيم﴾: لأنه ينبيه ليوم فيه من الأحوال ما يوجب على العاقل البعد عن أسباب أخطاره.

﴿كتاب﴾: هو اللوح المحفوظ، انظر الآية (٢٢) من سورة البروج صفحة ٨٠٢.

﴿مكتون﴾: المراد: مصون من التلاعب فيه.

﴿المطهرون﴾: أى الملائكة لأنهم جميعاً مطهرون من المعاصي، انظر الآية (١٣) وما بعدها من سورة عبس صفحة ٧٩٢.

﴿تنزيل﴾: أصل تنزيل بمعنى الإنزال لكن أريد هنا به المنزل. وغلب على القرآن حتى صار اسماً من أسمائه يقال جاء به التنزيل ونطق به التنزيل وهكذا.

﴿الصديق﴾: المراد به القرآن، انظر الآية (٢٣) من سورة الزمر صفحة ١٠٩.

﴿مدهنون﴾: مأخوذ من المدهانة وهى الملاينة فى الظاهر للوصول إلى غرض خفى والمراد هنا: متهاونون متساهلون، لا تتطرون إليه بعين الجسد، وتظهرون بمظهر من لا يهمه الأمر، انظر شرح الآية (٩) من سورة القلم صفحة ٧٥٨.

﴿ورزقكم﴾: أى حظكم من هذا القرآن.

﴿قلولا إذا بلغت﴾... إلخ: (لولا) هذه أصل معناها طلب حصول ما بعدها ولكنه أريد بها هنا التمجيز والتبكيك، والفعل المطلوب هنا المبكى به هو (ترجعونها) الآتى. (وإذا) ظرف زمان بمعنى حين منصوب بترجعونها الآتى لكنه فصل بينها وبينه بهذه الجمل لتصوير بشاعة حال الموت لمن يشاهده من أقارب المحتضر.

﴿بلغت﴾: أى الروح المفهومة من سياق الكلام كما فى الآية (٢١) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠.

٧١٠.

﴿الحاقوم﴾: مجرى الطعام والشراب أول تناوله.

﴿وانتم حينئذ﴾: أى حين بلغت.. إلخ. والجملة حال من الروح. والمخاطب هنا هم الحاضرون بجوار المحتضر الذى يبالغ سكرات الموت.

﴿تظنرون﴾: أى إلى حالة وما يعانیه. لا تقدرن على دفع شئ عنه.

﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾: المراد: ورسنا المكلفون بقبض روحه أقرب إليه منكم، انظر

الآية (٦١) من سورة الأنعام صفحتى ١٧١، ١٧٢ والآية (٣٧) من سورة الأعراف صفحتى ١٩٧، ١٩٨.

وهذا أسلوب معهود عند العرب يقولون: بنى الأمير المدينة ويريدون بناها عماله، ونسبة

الفعل إلى الله سبحانه وتعالى تارة وإلى رسله من الملائكة تارة أخرى كثير فى القرآن، من

ذلك ما فى الآية (١١٧) من سورة المائدة صفحة ١٦١، والآية (٤٢) من سورة الزمر صفحة

٦١٢ مع الآية (٦١) من سورة الأنعام صفحتى ١٧١، ١٧٢ والآية (٣٧) من سورة الأعراف

صفحتى ١٩٧، ١٩٨ والآية (١١) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، ومنه أيضاً قوله تعالى

﴿ونكتب ما قدموا﴾: الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠ مع الآية (٢١) من سورة يونس

صفحة ٢٦٩، والجملة حال من فاعل تنظرون.

﴿قلولا﴾: الثانية تأكيد لـ (لولا) الأولى السابقة فى الآية (٨٣).

﴿إن كنتم غير مدنيين﴾: جملة شرطية جاءت متوسطة بين (لولا) والذى أصله أن يكون

منكروا بعدها، وجواب شرط الجملة الاعتراضية مقدر دل عليه (ترجعونها) المنكور، والأصل

إن كنتم غير مدنيين ترجعونها، وإنما قلنا ذلك لأن (ترجعونها) المنكورة بعد (إن كنتم) هى

جواب (لولا) الأولى كما سبق أن أوضحنا، والمراد: أى غير خاضعين لسلطان الله القاهر فى

كل ما يتعلق بكم، من حياة، وموت، ورزق، وبعث بعد موت، تقول العرب: دانت لفلان الأمة أى

خضعت، انظر الآية (٦١) من سورة الأنعام صفحتى ١٧١، ١٧٢.

﴿ترجعونها﴾: يقال رجع فلان الشئ وأرجعه بمعنى واحد، انظر الآية (٤٠) من سورة طه

صفحتى ٤٠٨، ٤٠٩، والمراد ترجعون الروح الجسد، كما كانت.

﴿إن كنتم صادقين﴾: شرط آخر مؤكد لمضمون الشرط الأول فجوابه هو جوابه. والمراد

صادقين فى حلفكم على أن الله لا يبعث من يموت؛ لأن العقل لا يصق أن التراب يعود جسما

حياء، انظر الآية (٢٨) من سورة النحل صفحة ٣٥٠ والآية (٣) من سورة ق صفحة ٦٨٨.

والمعنى المراد من هذا التركيب كله أن الذى يحكم على الله بأنه لا يمكن أن يحيى الموتى

إنما هو الذى يقدر على منح الموت بإرجاع الروح، أى وأنتم أعجز من أن تستطيعوا هذا كما

بما في الآيات (٢١٠ إلى ٢١٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢ والآية (٢٢١) من سورة الشعراء أيضًا صفحة ٤٩٢ والآيات من (٢٨ إلى ٥٢) من سورة الحاقة صفحات ٧١٢، ٧١٤، ورد عليهم هنا بقوله: ﴿فلا أقسم﴾.. إلخ، أي ما سأخبركم به ثابت قطعًا ولا يحتاج إلى هذا القسم العظيم الذي يذكركم بيوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، إن هذا القرآن العاظم بأداته في الأذهان. الطاهر بإعجازه للبيان، وهو قرآن كريم، أي جم المحاسن غزير المنافع، مسجل في كتاب مكتوب، لا يدنو منه إلا الملائكة المطهرون من أدران المعاصي، وهو منزل من رب العالمين، لا من الشياطين كما تفترون.

هل بعد هذه الصفات الجلية لهذا القرآن الجليل تعرضون عنه ففتهواون به؟ ثم تحكم بهم فقال تعالى: ﴿وتجعلون﴾.. إلخ، أي هل يسمح أن يكون كل نصيبكم وحطكم من هذا الكتاب العظيم هو الكذب به بدل الاهتمام به والشكر عليه، ثم أراد سبحانه أن يبينه الكفار لعجزهم عما يقع بين أيديهم وأبصارهم مما أراد سبحانه نفاذه ليطمئئنا أن من يقدر على ذلك قادر على إعادتهم أحياء يوم القيامة، فقال: ﴿فلولا إذا بلغت﴾.. إلخ، أي إن كنتم خاضعين لسلطان الله الظاهر ولقدرتنا طائنين أننا لن نقدر على بعثكم بعد الموت وكنتم صادقين في حافضكم أننا لن نبعثكم فها لا ترجعون روح المحتضر حين تبلغ حقوقه.

والحال أنكم في هذا الوقت، تنظرون إلى حاله، وملائكتنا في هذا الحال أيضًا أقرب إليه منكم، ولكن لا تنظروهم، وإذا كنتم لا تستطيعون ذلك فكيف لا تنظرون بأن الله لا يعجزه شيء يريد. ومن ذلك بعثكم بعد الموت. وعندما بين سبحانه حال المحتضر عند النزح أراد أن يبين حاله بعد الموت فقال: ﴿فأما إن كان﴾.. إلخ، أي فأما إن كان المتوفى من المقربين السابقين في الآيتين (١٠، ١١) من صفحة ٧١٢، ٧١٤، فتقول لهم ملائكة الرحمة تيسيرًا لهم: لكم عند الله رحمة منه تملأ نفوسكم رضا بما لاقيتم، ولكم أيضًا رزق من كل ما يدخل السرور عليهم ومن كل ما تشتهي أنفسكم، انظر الآية (١٤) من سورة يونس صفحة ٧٢٦ والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحة ١١٣، ١٣٤، وأما إن كان المتوفى من أصحاب اليمين، فتقول له ملائكة تيسيرًا أيضًا: سلام لك، يا صاحب اليمين من إخوانك، أصحاب اليمين الذين سبقوك إلى رحمة الله، إنهم فرحون بما أعد لك من السمادة، انظر الآية (١٧٠) من سورة آل عمران صفحة ٩١.

في الآية (١٦٨) من سورة آل عمران صفحة ٩١ وحينئذ لم لا تقولون أن القادر على أحدهما قادر على الآخر.

﴿إن كان﴾: أي المتوفى المفهوم من السياق.

﴿ومن المقربين﴾: هم السابقون من الأصناف الثلاثة المتقدم ذكرهم في الآية (١٠) من هذه السورة صفحة ٧١٢، ٧١٤.

﴿وروح﴾: جاء في القاموس المحيط: الروح. الرحمة والراحة، فالمراد: رحمة من الله تملأ نفوسهم رضا بما لا قوا: قال نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه (ولا تياسوا من روح الله).... الآية (٨٧) من سورة يوسف صفحة ٢١٦. أي لا تياسوا من رحمة الله تعالى، ويؤيد ذلك قول خليل الرحمن عليه السلام قال ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الآية (٥٦) من سورة الحجر صفحة ٣٤٢.

﴿ريحان﴾: قال الراغب: تطلق العرب الريحان على الزرق، قيل لأعرابي: ألي أين تذهب فقال: أطلب من ريحان الله، أي من رزقه، فالمراد هنا للمؤمنين في الجنة رزق من كل ما يدخل السرور عليهم، قال تعالى فيما أعد للمؤمنين في الجنة ﴿لهم مفررة وزرق كريم﴾ الآية (٥٠) من سورة الحج صفحة ٤٤٠.

﴿فسلام لك﴾: المراد تقول له ملائكة الرحمة عند الموت فسلام لك، من إخوانك أصحاب اليمين الذين سبقوك إلى الجنة، إلى رضوان الله تعالى، ويشعر بهذا ما في الآية (١٧٠) من سورة آل عمران صفحة ٩١.

المعنى: يقول سبحانه وتعالى موبخًا الكفار هل أنتم الذين خلقتم هذه الشجرة التي تخرج منها النار أم نحن الذين أنشأناها، وجعلناها تذكرةً للعالم بأمر البعث، وتذكيرًا له من عذاب جهنم: لأن الذي يخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة من تفرقت أجزاؤه. وجعلنا النار متاعا ينتفع به البعيد عن المدن خصوصًا أماكن التلج، فإنه لو لا النار لهلك الإنسان والعوان؛ وبعدما أعد سبحانه يدافع صنعه وجلائل نعمته أمر عبده أن يذره عن كل تقص فقال: فسبح... إلخ، أي وإذا كان الأمر كما سمعت فزده الله تزيينًا مزيينًا واسمه الدال على أنه مريبك وصاحب الفضل عليك، وقل (سبحان ربى العظيم)، ولما بلغ من تبيح المشركين أنهم يقولون عن القرآن أنه يتلقاه محمد من الكهنة والشياطين، رد سبحانه عليهم

الآية (٧٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨. يقال: سبغت الله وسبغت له بلام لتقوية وصل الفعل بالمفعول كما يقال: نصحته ونصحت له؛ والمراد هنا: نُرَّهه عما لا يليق به.

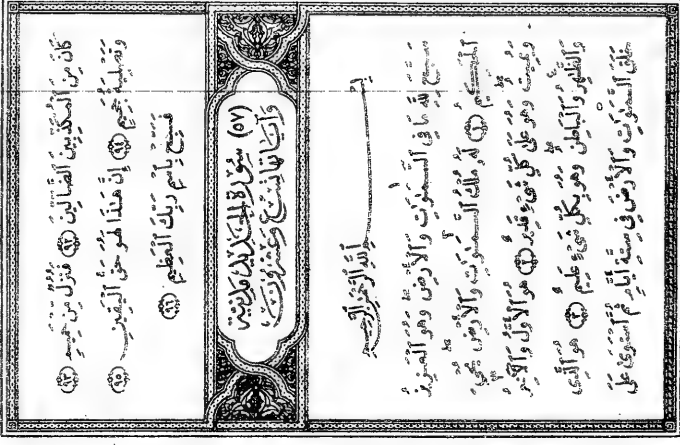
﴿العزير﴾: الغالب الذي لا يقلبه أحد. وهذا يدل على أن تسبيح المخلوقات بهذا المعنى المشاير إليه في الصفحات المذكورة قهري. ﴿الحكيم﴾: الذي يضع كل شيء في محله.

﴿الأول﴾: أي السابق في الوجود على كل موجود. ﴿الأخسر﴾: الذي يبقى بعد فناء الموجودات كما في آيتي (٢٧، ٢٦) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠. ﴿الظاهر﴾: بآثاره الدالة على وجوده. ﴿الباطن﴾: الذي لا تحيط به الحواس. ولا تدرك حقيقته العقول.

﴿في ستة أيام﴾: إلخ. تقدم الكلام عليها في شرح الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١. المعنى: وأما إن كان المتوفى من أصحاب الشمال المكذبين المبيدين عن الصواب فتقول له ملائكة العذاب إزعاجا له: لك اليوم شراب من سائل شديد الحرارة يشوي الوجوه. ولك أن تشدق في جهنم. إن هذا النعيم الذي يلاقيه المؤمنون والعذاب الذي يلاقيه المكذبون، لهو الحقيقة التي تبتئها المؤمنون في الدنيا. وكان يجب أن تكون كذلك عند غيرهم ممن فتتهم الدنيا عنها حتى فوجئوا بها. وبعدم بين سبحانه جزاء الكل نبيه إلى العناية بتزيه مقامه عن كل نقص فكرر قوله: فسبح باسم ربك العظيم. والله الموفق.

﴿سورة الحديد﴾

نادى يوحنا الله سبحانه وتزيهه عن كل نقص كل مخلوق في العالم العلوي والسفلي بلسان حاله أو محاله. وهو سبحانه الخالق على أمره التعظيم في صنعه. له وحده ملك السموات والأرض وما فيها. ومن آثار تفرده بالملك أنه وحده الذي يفيض الحياة على كل شيء. ويسليها عن يشاء في القوت المقدر حسب علمه تعالى. وهذا يسير عليه لأنه سبحانه على كل شيء قدير. هو وحده الموجود قبل كل شيء. والباقي بعد فناء كل شيء. وهو الظاهر بوجوده لكثرة الأدلة عليه. الباطن، حقيقته لا تدركها الحواس، ولا تحيط بها العقول. وهو بكل شيء عليم. يستوى عنده الظاهر والباطن. فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. وهو اللطيف الخبير. الآية (١٠٢) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٩، ١٨٠. وهو سبحانه وحده الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام لا يعلم مقدارها إلا هو سبحانه. ثم استوى على العرش. إلخ.



المفردات: ﴿قُذِّلَ﴾: تقدم في الآية (٥٦) من هذه السورة صفحة ٧١٦.

﴿جهميم﴾: تقدم في الآية (٤٢) من هذه السورة صفحة ٧١٥.

﴿تصليصة﴾: يقال صلى فسلان النار بتخفيف اللام. أي دخلها. كما في الآية (١٧) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤. وصلاة غيره بتشديد اللام تصلية أي ألقاه فيها. فالمراد: وإدخال في جحيم جهنم لأصحاب الشمال.

﴿جحيم﴾: هي جهنم. ﴿إن هذا﴾: أي ما ذكر من نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين.

﴿حق اليقين﴾: ورد في مثل هذا المقام عبارات ثلاث هي: (علم اليقين)، و(عين اليقين)، و(علم اليقين) بما يعلمه الإنسان بالسماع من الخبر الصادق أو بالبحث الدقيق أو بالتقاسم الصحيح أو ما يشبه ذلك. و(عين اليقين) بما يشاهده الإنسان عياناً. و(حق اليقين) بما يدركه وما يتدققه بحواسه أو وجدانه. ومثلوا للأول: بما إذا أخبرك شخص بأن في الإناء المعلق عسلاً فصدقه؛ أو رأيت آثار العسل على حافة الإناء، فاستدلت بها على وجود العسل مثلاً. وللثاني: بما إذا كشف لك عن العسل قرأيته بعينيك، وللثالث: بما إذا ذقت العسل بنفسك ووجدت خلواته على لسانك؛ والمكافون فيما أخبروا به من أمور الآخرة على هذه الدرجات. أولها علمهم بذلك تأمياً عن رسل الله سبحانه وكتبه. وهذه الدرجة

حرم منها الغافلون حتى فاجأهم الموت. وثانيها إذا رأوا ما وعدوا به من الثواب والمعاد، من بعيد. وثالثها إذا باشروا ذلك فعلاً دخل الجنة أهل الجنة. والثار أهل النار، وأحسوا بما فيهما (سبح لله) .. إلخ. تقدم بيان ذلك في الآية (٤٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٠. وشرح

(٢٠١) السموات. (٣) الآخر. (٤) الظاهر. (٥) السموات.

المفردات: ﴿من أنفق﴾: المراد الفريق

الذي أنفق. ﴿الفتح﴾: الرجوع أن المراد به

هنا: ما حصل بعد صلح الحديبية الذي

نزلت فيه سورة الفتح، كما سبق في شرح

الآية (١) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨.

﴿وقال﴾: ذكر القتال هنا إشارة إلى أنه

من أهم سوارد الإنفاق مع كونه في نفسه من

أفضل المبادات ولا يخلو من يجاهد من

الإنفاق في الغالب.

﴿الحسنى﴾: أى المثوبة الحسنى وهى

الجنة.

﴿من ذا الذى﴾ (من) اسم استهتام مبتدأ

مراد به الحث على ما بعده، وإذا اسم

مبنى للإشارة. ﴿يقرض الله﴾: أصل معنى

القرض ما يدفع من المال على شرط رده، فالتعبير به هنا ترغيب فى الإنفاق فى الخير.

﴿قرضاً حسناً﴾: هو ما كان من حلال، عن طيب نفس يرجى به وجه الله عز وجل، انظر

الآية (٢٦١) وما بعدها من سورة البقرة صفحة ٥٥، والآية (٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨.

﴿يضاعفه له﴾: المراد: يزيد مقادير ثوابه، بمحض الفضل فيجعل الحسنه بعشر كما فى

الآية (١٦٠) من سورة الأنعام صفحة ١٩١، أو أكثر كما فى الآية (٣٦١) من سورة البقرة

صفحة ٥٥.

- | | |
|----------------|----------------|
| (١) قاتل. | (٢) قاتلوا. |
| (٣) فيضاعفه. | (٤) المؤمنات. |
| (٥) بأيمانهم. | (٦) بشاركم. |
| (٧) جنات. | (٨) الأنهار. |
| (٩) خالدين. | (١٠) المناقون. |
| (١١) المناققات | (١٢) آمنوا. |
| (١٣) ظاهره. | |

ذلك؟ والحال أن الرسول يدعوكم ليل نهار بالوحي الذى ينزل عليه لتؤمنوا بربكم الذى أخذ عليكم العهد بالإيمان به بما ركه فيكم من العقول. وما ينصبه أمامكم من أدلة فى الكون وفى أنفسكم إذا كنتم مستقيدين للإيمان حقيقة بدليل متطوع بصحته أو بدليل عقلى فهذا وقته، لتوفر وجودهما معاً. فبادروا قبل فوات الأوان. ثم بين سبحانه أنه هو الذى رحمهم بإزالة القران المرشد للحق، ومنه الإيمان به وحده، فقال: هو الذى ينزل على عبده محمد ﷺ آيات بينات ليخرجكم من الظلمات أى ظلمات الكفر إلى النور أى نور الإيمان. ولأنه سبحانه زعوف بكم رحيم لأنه نهيكم بالقرآن، ولم يكتف بالدليل العقلى، وبعدما وبخهم أن مصير الأشياء جميعها إليه سبحانه، انظر الآية (١٨٠) من سورة آل عمران صفحة ٩٣.

المعنى: المراد أنه سبحانه بعد خلق السموات والأرض وما فيها شرع فى تدبير ملكه وهو وحده الذى يعلم كل ما يدخل فى الأرض من بذور وأجزاء إنسان وغير ذلك. ويعلم ما يضرخ منها من نبات وغيره وما ينزل من جهة السماء من مطر وغيره، ويعلم ما يصعد إليها من المسالك ذكة وغيرهم. ثم صور سبحانه إحاطة علمه بالمخلوقات وعدم خفاء شيء من أعمال العباد عنه سبحانه فقال: (وهو معكم).. إلخ، أى حيثما وجدتم فى أى مكان فعلمه محيط بكم: لأنه سبحانه يصير بجمع أعمالكم وسيجازيكم عليها. لا تفلتون من قبضته لأن كل العالم العاوى والسفلى فى سلطانه وتحت تصرفه، ومرجع الأمور كلها فى الآخرة إليه. فيقتضى بين عباده بالحق. ثم بين سبحانه بعض دلائل انفراده بتصرفه هذا الملك العظيم بما يشاهدونه كل يوم مما يدل على كمال قدرته ونعمته فقال: يولج الليل فى النهار. إلخ. والمراد أنه هو وحده الذى وضع النظام الذى به يطول النهار ويقتصر الليل وبالعكس، لتكون فصول العام التمر يعرف فوائدها العلماء المختصون: انظر بعض ذلك فى الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٥، ٣٦٦. ثم حذر من كل ما لا يرضيه فقال: وهو عليم.. إلخ، أى هو وحده العليم بالنيات

الخافية فى الصدور فأياكم والتفكير فى الشر والتصميم عليه، وبعدما بين على ترك الإيمان مع وجود أسبابه، ويخ من لم ينفق منهم على ترك الإنفاق فقال تعالى: (ومالكم ألا تنفقوا).. إلخ. والمعنى أى غرض لكم فى عدم الإنفاق على وجوده الخير والله سبحانه سيرث الأرض ومن عليها. ولا تبقى لكم منها شيء، إلا ما أنفقتموه فيما يرضيه فسيجازيكم به نعيماً مقيماً.

يستوى مكرم)..^{١٠٠} إلخ. والمراد: أن الإنفاق والقتال قبل فتح باب النصر للمسلمين وهم في ضمتف وفاة؛ والأحوال غامضة على أكثر الناس، وعدوهم في قوة وعزة، لاشك أنهما أفضل من الإنفاق والقتال بعد ظهور أمارات النصر ودخول أكثر الناس في الدين، ومع هذا فكل من أنفق في كلا الجانبين له عند الله المثوبة الحسنی بدخول الجنة، وإن تفاوتت درجاتهم فيها. وهو سبحانه خير بما تعملون، فيجازي على قدر العمل. ثم أكد سبحانه الأمر بالإنفاق في وجوه الخير مع التوبيخ على تركه بآبلغ أسلوب، في صورة أروع تمثيل. كأنه سبحانه يقول: هذه يد إسماعيل لم يعطى قرصاً، سارده له بصورة كريهة شريفة، وأكافئه بعد ذلك بأمثاله عدة مرات.. فقال في ذلك: (مَنْ ذَا الَّذِي)..^{١٠١} إلخ. أي من هذا الذي يقدم نفقة إرضاء الله فيعطيه سبحانه أجراً مضاعفاً والحال إنه له مع ذلك الأجر المضاعف أجر حسنة مثلها وهذا المثل أجر كريم في ذاته حتى لو لم يضم إليه الأضعاف، فكيف إذا ضم إلى الأضعاف الكثيرة؟ لاشك أنه يكون أكرم. فإذا سمع ذلك المعاق وهو يعلم أن ما بيده من المال هو من فضله سبحانه، ثم إذا صرفه فيما يرضيه كافاه عليه بأكثر منه، كيف لا يسارع إلى هذه التجارة الربحية؟ انظر الآيتين (٣٩، ٢٠) من سورة فاطر صفحتي ٥٧٦، والآية (١٠) من سورة الصافات صفحتي ٧٢٩. يعنى سبحانه هذا الأجر المتقدم في اليوم الذي ترى فيه - يا مَنْ تكون هناك - المؤمنين والمؤمنات بعد الحساب وهم متجهون إلى الجنة حال كون نوره يحيط بهم من كل جهاتهم. وتقول لهم ملائكة الرحمة: ما نبشركم به اليوم هو جنات تجري من تحت قصورها الأنهار خالدين فيها لا يتغير عنها تحولا كما في الآيتين (١٠٧، ١٠٨) من سورة الكهف صفحتي ٣٩٥. وذلك النعيم هو الإيجاج العظيم بإثاله المؤمنون في اليوم الذي يقول فيه المنافقون والمنافقات عندما تعيط بهم الظلمات بعد الحساب للمؤمنين والمؤمنات: انظروا نقتس شيئاً من نوركم تهتدي به في السير، فتقول لهم ملائكة العذاب استهزاء بهم: ارجعوا حيث كنتم في الموقف فالتمسوا هناك نورا، فترجعون فتصل الملائكة بينهم وبين المؤمنين بسور له باب موصل للجنة. باطن هذا السور فيه مظاهر الرحمة، وظاهره العقاب للمنافقين من جهة عذاب جهنم. ولما يحاول بينهما يصيح المنافقون على المؤمنين قائلين: ألم تكن معكم في الدنيا نعمل عملكم؟ فيقول لهم المؤمنون: نعم كنتم معنا ظاهراً فقط، فأهلككم انتمسك بالإنفاق، وانتظرتم أن تحل بالمؤمنين المصائب. وشككنم في صدق الرسول وصحة الدين وغركنم الأمانى الباطلة.

قوله أجر كريم: هو ما كان يستحقه بمجرد العدل وهو الحسنه بمثلها. ويسمى نورههم..^{١٠٢} إلخ. المراد يحيط بهم نور من كل جهة بسبب أعمالهم الصالحة، وإنما خص الأمام والأيمان بالذكر إشارة إلى أنهم مقيمون يأخذون كتابهم من تلك الجهات، انظر الآيتين (١٠٧، ١٠٨) من سورة الإنشقاق صفحتي ٧٩٩.

فيشرككم: أي ما تبشرون به. (الفوز): الظفر والنجاح.

انظرونا: أي انتظرونا ولا تعجلوا في السير إلى الجنة.

هنتيس..^{١٠٣} إلخ: أصل معنى الاقتباس أخذ بعض من شعلة النار، انظر الآية (١٠) من سورة طه صفحتي ٤٠٦، ٤٠٧، والمراد هنا تهتدي إلى الطريق ببعض نوركهم.

فقالتمسوا: أي فاطلبوا.

ففضرب بينهم بسور: إلخ. المراد: جعلت الملائكة بين المنافقين والمؤمنين حاجزا.

وله باب: أي موصل للجنة.

باطنه: أي باطن السور وهو الجهة التي في داخلها المؤمنون. (الرحمة): المراد رائحة الجنة ومنظرها. (الغياض): أي مكان العذاب وهو جهنم.

ومن قبله: أي من جهته. (العذاب): أي مكان العذاب وهو جهنم.

وليلي: بمعنى نعم لأن ما قبلها استفهام تقريري يجعل مآل الكلام الإيجاب، انظر تفصيل ذلك في شرح الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحتي ٢٢٦ فالمراد: نعم كنتم معنا في الظاهر.

فقتلت أنفسكم: أي أوقعتموها في الفتنة وهي البلاء.

فترصمت: أي انتظرتم للرسول والمؤمنين الهلاك، انظر الآية (١٢) من سورة الفتح صفحتي ٦٨٠، والآية (٣) من سورة الطور صفحتي ٦٩٨.

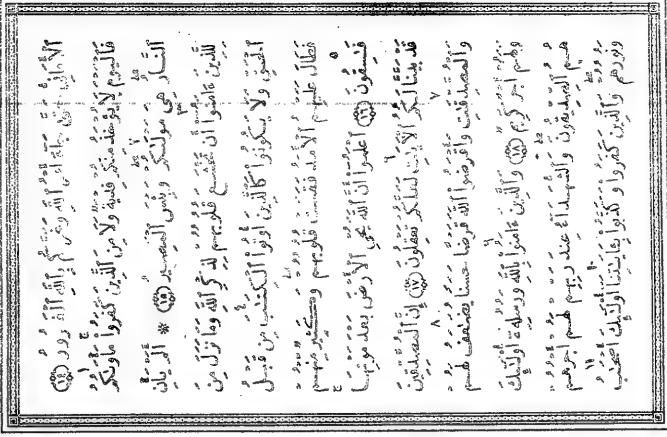
وارتبتم: أي شككنم في الدين. وفي صدق الرسول ﷺ.

المعنى: بعدما أمر سبحانه بالإنفاق في سبيل الخير أراد أن يبين أن درجات المنفقين تفاوتت الظروف والأحوال حتى مع استواء المقادير، لينبه على تحرى الأفضل، فقال تعالى: (لا

﴿المصدقون والشهداء﴾: تتقدم في الآية (٦٩) من سورة النساء صفحة ١١٢.

﴿نورهم﴾: تتقدم في الآية (١٢) من هذه السورة صفحة ٧٢٠.

المعنى: يقول المؤمنون للمنافقين: إنكم غرركم الأمانى الباطلة التى مناكم بها الشياطين من عفو الله عنكم، وإحسانه إليكم، وصرتم فى غفلة حتى جاءكم الموت، وغرركم شيطان الجن والإنس بـ زينة الدنيا، فى اليوم لا سبيل لنجاتكم بضدية. ولا للكافرين ظاهراً وباطناً. وماؤاكم النار. لا مغيب لكم غيرها، ونس نهاية مطافكم النار. وكان المؤمنون وهم فى مكة فى خوف شديد وفتر. ولما انتقلوا للمدينة وأطمأنوا وكثر رزقهم، ففترت همم بعضهم عما كانوا عليه فى مكة، وورد أنه ﷺ رأى بعض أسعابه وهم بضحكون فقال: هل تضحكون ولم يأتكم إيمان من ربكم بأنه قد غفر لكم؟ فى هذا ومثله قال سبحانه: (الم يأن) .. إلخ. أى هل لم يأت الوقت الذى تخشع فيه قلوب المؤمنين عند ذكر حساب الله وجزائه، وعند سماع القرآن الذى نزل بالحق، فيكثروا من تدبر أسرارهم، ولا يغفلوا عن تعاليمه الحق فيقنوا فيها وقع فيه غيرهم من اليهود والنصارى عندما طال الزمن بينهم وبين رسلمهم. فقتست قلوبهم، فجروا على البدع وتجزيت كلام الله. فلم يبق على الدين الصحيح إلا قليل منهم، وكثير منهم خرج عن تعاليم دينه، وفى هذا تنبيه لقادة المسلمين، أن لا يهملوا تذكير المسلمين بأداب دينهم حتى لا تاكله البدع بطول الزمن. وقال بعض السلف: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسى بعيد عن الله. ثم أُرشد سبحانه إلى ما به تحيا القلوب فقال: (اعلموا) .. إلخ. أى اعلموا أن الله يحيا الأرض بالنبات بعد جديها، إذا تمهدا العامل بالخدمة والسقى، فكذلك يحيا القلوب الميتة الغافلة إذا تمهدا العبد بتذكر ربه وتدبر آياته وطرد عنها وساوس الشيطان، فترق بعد قسوة، وتتقاد بعد جفوة، قد نبأ لكم أيها الناس العبر والعظات، لتعتلوا فتستبدوا فتتوزوا بالسعادتين، ولما كانت العناية بالإتقان فى وجوه الخير من أهم المقاصد، أكد سبحانه الترغيب فيه بقوله: (إن المصدقين) .. إلخ. أى إن الذين يصدقون فى سبيل الخير من رجال ونساء - ويعلمهم هذا يكونون قد أقرضوا الله قرضاً حسناً، إجابة لطلبه سبحانه المتقدم فى الآية (١١) من هذه السورة صفحة ٧٢٠ - يضاعف لهم سبحانه الأجر. ولهم مع ذلك الأجر المضاعف أجر كريم كما تقدم. ولما كان الإيمان الصحيح، مما يعمث على القرض الحسن، قال سبحانه: والذين آمنوا بالله ورسله، أى على الوجه المبين فى الآية (٢٨٥) من سورة البقرة صفحتى ٦١، ٦٢. هؤلاء هم الصديقون والشهداء فى حكم ربهم. لهم أجر حسن فى الدنيا والآخرة، ولهم نور يسعى بين أيديهم إلى الجنة، أما الذين كفروا بالله ورسله وكذبوا كتبه، هؤلاء هم أصحاب النار..



المصدقون: ﴿الأماني﴾: جمع أمنية. وهى ما كانوا يمنون أنفسهم به من زوال الإسلام، انظر آيتى (٨، ٧) من سورة المنافقين صفحتى ٧٤٣، ٧٤٤. ﴿أمر الله﴾: أى بصوتهم. ﴿الغور﴾: هو كل ما يشغل عن الله تعالى كما تقدم فى الآية (٢٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤. ﴿فدية﴾: هى ما يبذله الإنسان لحفظه مما يؤذيه، انظر الآية (١١) من سورة الماعز صفحة ٧٦٥.

﴿الذين كفروا﴾: المراد بهم من أعادوا الكفر ولم يخفوه كالمنافقين السابق ذكرهم. ﴿مساؤم النار﴾: أى مكانكم الذى تاوون إليه. ﴿مولاكم﴾: أصل المولى هو الناصر، والمعنى فذكره هنا على سبيل التهكم، حيث لم يجعل لهم ناصرًا إلا النار. كما تقول إذا وقع فى ورطة واستغاث بك: اغناك عندي هى زميك فى النار. ﴿الم﴾: المراد من هذا التركيب هنا هو النصف. على ما بعده. ﴿يان﴾: تقول العرب: أتى الأمر يأنى. أى جاء وقته. يوزن رضى. رضى. والمراد: ألم يتهيا للذين آمنوا وقت خشوع.. إلخ. ﴿الذكر الله﴾: المراد عند تذكر حساب الله وجزائه.. فاللأم بمعنى (عند) كما فى الآية (٧٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥. وانظر حكمة هذا فى شرح الآية (١٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٨. ﴿وما نزل من الحق﴾: (من) بانية والمراد: وما نزل من القرآن المبين بأنه هو الحق. انظر الآية (٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٧.

﴿كالذين أوتوا الكتاب﴾: هم اليهود والنصارى. ﴿الأمم﴾: أى الزمن بينهم وبين أنبيائهم. ﴿يرضون الأرض بعد موتها﴾: هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب، بأثر المطر فى الأرض، فتنبت، ما ينفع الناس. ﴿آيات﴾: المراد بها هنا الأدلة والعبر. ﴿المصدقين﴾: أى المتصدقين. ﴿أقرضوا الله﴾ .. إلخ: تقدم شرح هذه الآية فى الآية (١١) من هذه السورة صفحة ٧٢٠.

- | | | | | | |
|---------------|-------------|-----------|-------------|-------------|-------------|
| (١) مولاكم. | (٢) مولاكم. | (٣) أموا. | (٤) الكتاب. | (٥) فاسقون. | (٦) الآيات. |
| (٧) المصدقات. | (٨) يضاعف. | (٩) أموا. | (١٠) بايات. | (١١) أصحاب. | |

(مسورة الحبيد)

[illegible]

جیاس: ای قوہ.

وَعَلَّمَ اللَّهُ الْكَلِمَاتِ الْمُبِينِ

﴿بِالْغَيْبِ﴾: أى بلا دماء ولا سمعة.

هناك في الأ وهو من ذرية.

(١) بالبينات.	(٧) الكتاب.
(٢) منافع.	(٤) ابراهيم.
(٥) الكتاب.	(٦) فاستقون.
(٧) آثارهم.	(٨) آتياهم.
(٩) كتيابه.	(١٠) رضوان.
(١١) قاتنيا.	(١٧) آمنوا.
(١٢) فاستقوا.	

الجزء السابع والعشرون ٥٠١

﴿الحمد﴾: أي المستنقعة، لكثرة الحمد

على كل حال وذلك لكثرة نعمه، وإن لم

يحمده الغافلون.

﴿البينات﴾: أى الحجج الواضحة الدالة

على الحق.

﴿الكتاب﴾: المراد حشر الكتاب فنشأ.

كل الكتب السماوية.

الميزان: أي الضوابط التي تعدف بها

الحق والباطل، كما تقدم في الآية (١٧) من

سورة الشورى صفحة ٦٤١.

﴿القسط﴾: العدل. ﴿أنزلنا الحديد﴾: أي،

ويحققوه. فقال: (لقد أرسلنا).. إلخ. أي ولقد أرسلنا كل مؤيدٍ بالمعجزات والأدلة الفاطمة بصدقهم، وأرسلنا معهم الكتب المبينة للتواعد التي يزن بها الناس معاملاتهم مع الله، ومع بعضهم، بل ومع ما تحت أيديهم من الحيوانات، ليقوم الناس بالعدل في كل ذلك، فيعطوا كل ذي حق حقه. ولما كانت التوازنين وحدما لا تكفي لحفظ النظام والقيام بالعدل، إلا إذا كان الخلق كلهم خياراً - أما إذا كان فيهم أشرار كما هو الواقع فلا تردعهم إلا القوة - قال سبحانه: إنا أوجدنا الحديد لئستعان به على دفع الظلم، وتنفيذ حدود الله. وفيه أيضاً منافع للناس في معاشهم، فما من شيء منها إلا والحديد دخل فيه.

خلق سبحانه الحديد لئلتفع الناس به في مصالحهم والمحافظة على دينهم. وعند ذلك يعلم سبحانه من ينصره بنصرة دينه، ومن ينصر رسله بإخلاص. فيجازيهم أحسن الجزاء. ثم أشار سبحانه إلى أنه غير محتاج إلى نصير، وإنما كلف عباده لمصلحتهم قتال: إن الله قوي عزيز. أي غالب لا يغال به أحد. ولو شاء لانتقم من الأشرار وحده. انظر الآية (٤) من سورة محمد صفحتي ٦٧٢، ٦٧٣.

ثم فصل سبحانه بعض ما أجمله فيما سبق، يذكر أشهر الرسل فقال: (ولقد أرسلنا نوحاً آدم الصغير) وإبراهيم (أب الأنبياء بعده)، وجمالنا في ذريتهما النبوة والكتب، الأربعة: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن. فكان من ذريتهم من اهتدى بهذه الكتب، وكثير منهم فاسقون خارجون عن تعاليمها. انظر الآية (١١٣) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢.

ثم أرسلنا بعد نوح وإبراهيم رسولا بعد رسول، حتى انتهى الأمر إلى عيسى بن مريم، وأعلمناه الإنجيل، وجمالنا في قلوب الذين آمنوا به وتبعوه رافة ورحمة على المباد، اكتسبوا ذلك من رقة قلبه عليه السلام، وتسامحه الذي جاء به ليخفف من قسوة اليهود وغلظتهم حتى على الأتقياء منهم، فقتلوا أنبيائهم. وكان من مبعثاتهم في الرافة، أنهم أيدوا رهباينة ما طلبناها منهم، ولكنهم فعلوها طلباً لرضى الله عنهم، وألزموا أنفسهم بها، فكانت كالنار. وبما أن من ألزم نفسه نذراً ولم يوف به كان عاصياً قال سبحانه: (فما رعوها).. إلخ.

والمراد: أنه خلف من بعد من ألزم الرهينة ذرية تظاهروا بها، ولكنهم عملوا على تقيضها باطلاً، ففسق كثير منهم. وكانوا أبعد عن تعاليم المسيح تقصوها. لكن من آمن إيماناً صحيحاً

فوقينا: من التقية، وهي جعل الشيء في أثر الشيء، انظر الآية (٤٦) من سورة المائدة صفحة ١٤٦.

فإنارهم: جمع أثر بكسر فسكون وهو العقب، والمراد: على أعتابهم وهي الطرق التي سلكوها.

فراقة ورحمة: تندم الفرق بينهما في الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتي ٧٨، ٧٩.

فرهانية: نسبة إلى (الرهان) بفتح الراء وسكون الهاء وهو العبد شديد الخوف من الله تعالى (كالخشيان) أي شديد الخشية. والرهانية هي المبالغة في المباداة، والانتطاع عن الناس، والمعيشة الخشية والبعد عن النساء.

فابتدعوها: أي اخترعوها من عند أنفسهم. لم يطلبها الله تعالى منهم. انظر الكتاب المسمى (قيسو مصر) الذي ترجمه المرحوم عمر طوسون في كتابه (وادي النطرون وrehبانه) طبعة سنة ١٩٣٥ ميلادية، ففيه أن هذه الفكرة أول ما تحققت، كانت في وادي النطرون بمصر سنة ١٥٠ بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

فإلا ابتغاء: إلخ. (إلا) بمعنى لكن. و(ابتغاء): أي طلب، والمراد: لكنهم فعلوها طلباً لرضى الله سبحانه وتعالى.

فوفما رعوها: المراد ما حافظ كثير منهم على ما تقتضيه الرهينة بل أهملوها. وأعلم أن الإسلام حرم هذه الرهينة بقوله ﷻ: لا رهانية في الإسلام.

المعنى: والمبتلون بالغيلاء والافتخار بالأموال، هم الذين يخشون بها لشدة حرصهم عليها ولا يكفون بذلك، بل يبدعون غيرهم للدخل خضوعاً لوسوسة الشيطان، انظر الآية (٣٦٨) من سورة البقرة صفحة ٥٧.

ثم بين سبحانه أن ضرر عليهم هذا عائد عليهم وحدهم فقال: (ومن يقول).. إلخ. أي ومن يعرض عن الإنفاق في وجوه الخير لا يضر إلا نفسه، وإن يضر الله شيئاً: لأنه سبحانه غني عن جميع خلقه، محمود في ذاته. وعندما طلب سبحانه من عباده الإيهان به وبرسوله، أراد أن يبين حكمة إرسال الرسل وأنزال الكتب، المشتملة على ضوابط العدل، لتقوم به الناس

عَاشِرًا أَتَى اللَّهَ بِحَرْفٍ رَاسٍ ۖ يَوْمَ تَكُونُ الْفُلُجُ مِنْ رَجَبٍ ۖ وَتَعْمَلُ لَكَرُورًا تَمُوتُونَ بِهِ ۖ وَيُفْرَزُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۖ لَا يُغَيِّرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَقْدِيرِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فَاعِلًا ۖ فَتَقَدَّرُ لَهُ مَا يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝

(٥٨) سُبْحَانَ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي فَاعِلًا ۖ فَتَقَدَّرُ لَهُ مَا يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْغَالِي ۖ فِي رُوحِهَا وَتَشْتَكِي ۖ إِلَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَفَاةً ۖ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ سِرًّا ۖ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ يُصْطَلَمُونَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ذُرِّيَّتُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمْ ۖ وَمِنْ أَمْهَاتِكُم

المفردات: ﴿كفيلين﴾: مشى كفل. والكفل النصيب، والمفراد نصيب على إيمانكم بالرسول السابقين، وآخر على إيمانكم بخاتمهم وهو رسولكم.

﴿نورا﴾: هو المتقدم في الآية (١٢) السابقة من هذه السورة صفحة ٧٢٠.

﴿لئلا يعلم﴾: ﴿لئلا﴾ لفظ مركب من ثلاث كلمات: لام التعليل وأن الناصبة للفعول بعدها ولا النافية؛ والعرب تجيء به (لا) هذه في مثل هذا المقام لتأكيد نفى سابق.

أو للتهميد لنفى لاحق مع تأكيده في المعنى كما هنا.

والمراد: أخبركم الصادق في جميع أخباره وهو الله سبحانه بما سبق، ليعلم أهل نفى قدرتهم على تصريف فضل الله نفياً مؤكداً، فلا يطمعوا في حجز فضله عن نبيه محمد ﷺ.

سورة المجادلة

﴿سمع الله﴾: أي أجاب وقبل. كما في (سمع الله لمن حمده) أي قبل حمده وأثابه عليه. وليس الصواب مجرد السماع.

﴿قول التي﴾: أي دعائها بأن يفرج الله كربتها، كما سيأتي بيانه.

- (٢١) آمنوا.
- (٢) الكتاب.
- (٤) تعادلك.
- (٥) يظهرون.
- (١) أمهاتهم.

من أسلافهم وحافظ على نذره الذي أزم به نفسه، آتياه أجره اللائق بإخلاصه، وقد نهى الإسلام عن هذا النوع من العبادة، فقال ﷺ: لا رهبانية في الإسلام، وقال: إن لبدنك عليك حقاً، وقال: من لم يتزوج فليس مني، بل نهى عن كل بدعة في الدين يقصد بها التقرب إلى الله، بعبادة لم يشروعها، فقال ﷺ: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وضابط البدعة المحرمة هو كل عبادة جاءت على خلاف ما رسم صاحب الشرع، وذلك أن العبادات من الأمور التي وضعها سبحانه لعباده ليعظموها بها، وهو وحده الذي يعلم ما يصح أن يعظم به وما لا يصح، ولا يجوز أن يزداد فيها شيء، نعم، لكن فيه، فلا يجوز لنا أن نحدث عبادة جديدة، كدق الطبول بقصد العبادة مثلاً، ولا أن نغير ما شرعه لنا بزيادة ولا بنقص، فلا نصلي الصبح أربعاً، ولا الظهر ركعتين، ولا أن نغير في كيفية العبادة، فإذا قرأ ﷺ في صلاة النهار سراً، وفي صلاة الليل جهراً، فلا يجوز لنا العكس.

وإذا قال لنا سبحانه: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾، إلخ، الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٦، فلا يجوز لنا أن نرفع أصواتنا بالذكر إلا فيما ورد فيه الرفع، كالأذان وتلبية الحج وتكبير العيدين، وإذا لم يحدد الشارع للعبادة وقتاً معيناً، فلا يجوز لنا أن نحدد نحن، فإذا طلب منا صلاة التطوع في الليل من بعد العشاء إلى الفجر، ولم يحدد وقتاً معيناً من هذا الزمن فلا يجوز لنا أن نلتزم وقتاً معيناً ككشف الليل مثلاً، ولا نفعل فيه إلا على قصد أن هذا هو العبادة المقررة إلى الله.

وكما تكون البدعة في إحداث جديد، من عمل أو عدد أو كيفية أو وقت، تكون كذلك في ترك شيء، مباح على قصد التعبد، كترك نوع من الأطعمة أو اللباس المباح على نية التعبد، كما فعل رهبان النصارى؛ لأن من يفعل ذلك يضع نفسه موضع صاحب الشرع في اعتبار الترك عبادة.

أما إذا ترك شيئاً، لا على أنه قربة إلى الله، فليس ذلك من البدعة، ومن هذا نعلم أن البدعة لا تكون في الأمور العبادية، كطبع الكتب وبناء المدارس وآلات الزراعة والركوب مثلاً، وكذا ليس من قبيل البدع الشرعية، الأمور المحرمة التي فُحِشَتْ في الأسواق والمجمعات من كل ما هو مخالف لقواعد الشرع، والله الموفق للصواب.

أى يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله حق تقاته، واثبتوا على الإيمان برسوله محمد ﷺ، يؤتكم الله تعالى نصيبين من الأجر من فيض رحمته؛ نصيب على إيمانكم بالرسول السابقين، ونصيب على إيمانكم بختامهم ﷺ، وأيضاً نصيب فى الدنيا ونصيب فى الآخرة كما فى الآية (٢٠١) من سورة البقرة صفحة ٤٠.

ويرىكم يوم القيامة نوراً تهتدون به فى المشى إلى الجنة. ويغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه ربيكم، ربيكم المشرقة لمن أحسن التوبة، واجتنب الكبائر. واسع الرحمة، لا يضيع أجر من أحسن عملاً. أعلن الله - صادق الوعد - ذلك لأجل أن يعلم أهل الكتاب القائلون: من آمن برسوله فله أجر.

أما المؤمنون به محمد ﷺ فلا أجر لهم، أنهم لا يتقدمون على تخصيص فضل الله بالأجر والرسالة بهم وحدهم مهما كان هذا الأجر قليلاً. ويعلموا أيضاً أن الفضل بالأجر والرسالة ليس خاضعاً للمصرف فيه، فهو موقوف لمن يشاءون، وموقوفه ممن يشاءون - بل هو بيد الله وحده يوقته من يشاء حسب حكمته. وهو سبحانه صاحب الفضل العظيم.

سورة المجادلة

تضمنت هذه السورة مسأرة بهضرة، أحداث الحرب المشاقة، التى حاربت سورة الحجرات كثيراً منها. وكذلك نهيت هذه السورة إلى عيوب المناهقين واليهود. وأول الأحداث المرتولة هو الظهار. وأول ظهار وقع فى الإسلام، هو ظهار أوس بن الصامت الخزرجى الأنصارى، أخت عباد بن الصامت المهاجرين المشهورين من زوجته خولة بنت خضاء وسكون، الواو، بنت ثعلبة الأنصارية.

وحاصل ما وقع أن أوساً غصب من خولة يوماً، فقال لها أنت عاتى كظهر أوس، وكان هذا يعتبر تعريضاً مؤبداً فى الجاهلية، فعذرت، فحزناً شديداً وأسربت إلى النبي ﷺ، وكان فى بيت عائشة رضى الله تعالى عنها.

فوجدك فى زوجها؛ المراد: تراجعك الكلام فى شأن زوجها وما حصل منه لما ظهرها. والزوج المظاهر اسمه (أوس بن الصامت الأنصارى الخزرجى) وزوجه اسمها (خولة بنت ثعلبة الأنصارية).

فحتاجوكم؛ أى تراجعكما فى الكلام ورد كل منكما على الآخر.

فيظاهروا؛ فعل مأخوذ من الظهر. وذلك أن العربى كان فى الجاهلية إذا قال لامرأته:

(انت على كظهر أوس) تحرم عليه حرمة مؤبدة، فكان أشد طلاق عندهم؛ والظهار فى

عرف الإسلام هو تشبيه الرجل زوجته أو عضواً منها بأمرأة محرمة بقصد التحريم، لا بقصد الاحترام ولم يجعله طلاقاً مؤبداً كما سياتى.

فمنكم؛ المراد: بعضكم أيها العرب وفيه توبيخهم على هذه العادة السخيفة التى انحدروا بها دون العالم.

فمن نسائهم؛ جاء بعد الفعل بعرف فمن نسائهم. فيظاهروا؛ أشرب منى النفور، كأنه قال: يظاهرون نافرين من نسائهم.

المضى - أذا أنزل سبحانه فيمن آمن من أهل الكتاب قوله: «وأنك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا» الآية (٥٤) من سورة القصص صفحة ٥١٤. أى أجرا على إيمانهم المسحيع بأنبيائهم قبل البعثة المحمدية، وأجراً على إيمانهم بخاتم الرسل بعد بعثته. تقول: لما نزل هذا، قال بعض أهل الكتاب - ممن لم يؤمنوا بنبينا ﷺ - لبعض الصحابة: إن كتابكم اعترف بأن من آمن برسول من رسل بنى إسرائيل فله أجر. وبما أنا نعتقد أن الرسالة لا تكون إلا فى بنى إسرائيل، فحقن لا تؤمن بنى من العرب، ولنا مع ذلك أجر باعتراف كتابكم.

أما انتم فليس لكم ذلك؛ لأنكم اتبعتم رجلاً ليس من بنى إسرائيل الذين انعصرت فيهم الرسالة. فأنصبت قولهم هذا بعض المؤمنين. فانزل سبحانه فى ذلك مخاطباً المؤمنين بخاتم الرسالة قوله: «إيا أيها الذين آمنوا» الخ.

وقالت: (يا رسول الله إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فيها، فلما كبرت وكثر عيالي، جعلني عليه، كأمة في ثورة غضبه، ثم رجع وندم فإن كنت يا رسول الله تجد لي مخرجاً فحدثني به) فقال ﷺ: (ما أراك إلا قد حرمت عليه) فقالت: يا رسول الله لم يذكر طلاقاً. فقال ﷺ: (ما أمرت في أمرك بشيء) فقالت: (انظر إلى رخصة يا رسول الله، فوالله إن لي منه صببة صفاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلى جاعوا. وصارت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك وحدتي وشدة فاقتي) وكررت ذلك مراراً. فبينما هي على هذه الحال، وإذا بالوحي ينزل عليه ﷺ.

فكانت لها السيدة عائشة: (انتظري يا خولة، فلا أعلن إلا أن الله قد أنزل في أمرك قرآناً) فلما فرغ الوحي، قال ﷺ: ابغثي زوجك يا خولة. فلما حضر تلا عليه ﷺ من أول السورة إلى الآية (٤). فكفر أوس وعاش معها، وأدركت خولة هذه عمر بن الخطاب في خلافته.

وورد أنها لقيته يوماً يسير مع جماعة من أصحابه فاستوقفته وأطالت معه الحديث، وهو منصت لا يتحرك، ولم ينصرف حتى انصرفت هي، فقال بعض أصحابه: ما هذه العجز التي أوقفكت هذا الموقف يا أمير المؤمنين؟ فقال: والله لو أوقفنتي طول اليوم لوقفنت، ويحكم ما إذا تريدون من عمر؟ أتريدون منه ألا يستمع إلى امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة؟

ومعنى الآيات:

قد أجاب الله ضراعة المؤمنين التي جادلتك أيها النبي في شأن زوجها، وشكت حالها إلى ربه، وكان الله يسمع تحاوركما؛ لأنه سبحانه وتعالى سميع لكل ما يسمع، بصير بحال عباده، فنيث المستغيث.

ثم بين سبحانه بغضه لتلك العادة في نفسها، وسفاهة من يقدم عليها فقال تعالى: الذين يظاهرون منكم نافرين من نسائهم فيجعلونهم كأمهاتهم، ليحرموا معاشرتهم إلى الأبد. ألا فليعلم هؤلاء أن نساءهم ليسوا أمهاتهم في حكم الله تعالى. فالذين يجطلون نساءهم كأمهاتهم مخطئون.

إِنَّ أَمَهُمْ لَا تَقِي وَلَا تَقِي وَلَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مَكَرًا
مِّنَ الْقَوْلِ وَذُرًّا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَمْرُوهُ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِّرْ رُوحَهُ
زَنَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَا دَلِكُمْ نَوَظْرُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ قُلْ لَّيْسَ بِيضَامٍ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ
مِن قَبْلِ أَنْ يَمْسَا قُلْ لَّيْسَ بِيضَامٍ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ
مِثْلًا ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ فَإِنْ يُخَادِعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ يُكَايِدْكُمْ كَيْفَ أَخَذْتُم مِّن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَرْسَلْنَا
عَالِيًا بَيْنَتٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٣﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَذَرُهمْ عَلَىٰ عِلَاقٍ أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنُورَهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

المفردات: «إن أمهاتهم»: «إن» حرف نفى بمعنى (ما).

«اللاتي»: جمع نسوة بمعنى اللاتي.

«منكراً من القول»: أي ينكره العقل السليم والطبع والشرع؛ لأن علاقة الزوجية مبنية على إباحة أمور تنتافي كل المنافاة مع علاقة الأمومة.

«زور»: أي كذباً وباطلاً منحرفاً عن الحق؛ لأنه تضمن جعل الزوجة كالأم وقد علمت فساده.

«لعقوا»: أي لكثير العقو، وهو عدم المؤاخاة على الذنب.

«غفور»: أي كثير المغفرة، وهي ستر ذنب العبد المؤمن فلا يفضحه.
«يعدون لما قالوا»: أي لنقض ما قالوا بالعزم على تحليل ما حرموه على أنفسهم. واللام بمعنى (في) كما في قولهم مضى فلان لسبيله أي في طريقه، وما في الآية (٤٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥.

«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»: أي في يوم القيامة.

«تحرير»: أي عتق.

«ورقية»: المراد عبداً مملوكاً أو أمة.

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) أمهاتهم. | (٢) اللاتي. |
| (٣) يظاهرون. | (٤) للكافرين. |
| (٥) آيات. | (٦) يثبت. |
| (٧) للكافرين. | (٨) أحصاه. |

حرف

الظهار، فمن لم يستطع الصوم فعليه إعلم ستمسكيناً، كل مسكين قوت يوم خداء وعشاء
من أوسط ما تعلمون أمليكم الذين تحت رعايتكم، فلا يجوز لمستاد أكل اللحم والخصر
والثاكة أن يطمع الخبز والخبز مثلاً، ويجوز أن يعطى المسكين ما يكفيه طعام يوم من مال
أو قوت. ولما لم يقيد هنا بقوله: فمن قبل أن يتماسك اختلف نظر العلماء، فقال بعضهم:
يجوز له المسيس من نوى الإعلم، وقال آخرون: إنه مشروط أيضاً، ولكنه اكتفى عند ذكره
بما علم من سابقه. بين سبحانه لكم تلك الأحكام وفرضها عليكم، ملاحظات فيها التخصيف
من درجة إلى درجة ليزداد تصديقكم بالله ورسوله، وتقبلوا على شرعه، وتعلموا عما كنتم
عليه في جاهليكم، وللكافرين بهذه الحدود عذاب شديد الألم، وكفره بها إن كان برفضها،
فجزاؤه العزوف في النار، وإن كان بمجرد إعلمها فهو كبير، وهناك عبارات تشبه الظاهر
يستعملها أهل مضر بقصد الطلاق فقط مثل (أنت حرام على كعومة أمي أو كعومة كل شيء
حرمه الشرع) فهذا وأمثاله ليس ظهراً، ولكنه طلاق بائن، لا تحل المرأة بعده إلا بعقد جديد.
ومما تقدم يعلم أن حكم الشريعة في الظهار، هو مجرد تفريق بين أبدان الزوجين مع بقاء
العصمة بيد الرجل. فلو لم يرجع إلى زوجته بالكفارة، فلها حق رفع أمرها للقاضي يحكم بما
فيه مصلحتها.

ونعدما بين سبحانه أحكام كفارة الظهار، أتبع ذلك ببيان أن من لا يقبل شرع الله من
العرب الذين كانوا يظهرون، سيختل فقال تعالى: إن الذين لا يعضمون لشرع الله ورسوله
سيخذلهم الله ويذلهم، كما أدل الذين من قبلهم من كفار الأمم الماضية، وكيف لا يقبلون
شرعنا والعمال أنا قد أنزلنا آيات واضحات تبين حدود الله وصدق رسوله.

فمن كفر بعد ذلك فله عذاب مهين. فهذا اليوم الذي سيبسطهم الله فيه من القيور جميعاً،
هم والذين والآخرين فيبترهم بما كسبت أيديهم جزاً لهم على ردوس الأشهاد. وقد أحصى
سبحانه كل كبيرة وصغيرة بعملها، ومن شدة غفلتهم في الدنيا عن هذا اليوم أنهم تهاونوا
في مراقبة أفعالهم حتى نسوا. ثم استشهد سبحانه على شمول علمه فقال تعالى: (الم تر
أن الله يعلم)..
الخ.

فيمسك: أي يتصلاً اتصالاً لا يحل إلا للزوجين.

فيمسك بين يومين منهما إعلم في النهار، فإن فصل أعدد من أولهما ويصل
ما مضى.

فحدود الله: المراد أحكام شرعه التي فصل بها بين الحق والباطل.

فيعادون الله: المراد يعادونه بعصيانه، كما تقدم في الآية (١٣) من سورة التوبة صفحة

٢٥١

فكتبوا: أي أذنهم الله، كما تقدم في الآية (١٢٧) من سورة آل عمران صفحتي ٨٤، ٨٥.

فأحصاه الله: المراد: أمر الملائكة بإحصائه في الكتاب، انظر الآيات (٤٩) من سورة
الكهف صفحتي ١٢٨، ١٢٩ و (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠، و (٨٠) من سورة الزخرف
صفحة ١٥٥.

فالم تر: الاستفهام تثيري، وفن: بمعنى تعلم أي يجب أن تعلم بأن الله يعلم... الخ.
وكيف لا يعلم شيئاً وهو خالقه. انظر الآية (١٤) من سورة المائدة صفحة ٧٥٥.

المعنى: الذين يحلون نسائهم كأمهاتهم محطون: لأنهم ليس لهم أسهات إلا اللاتي
وللنهم، وبما أن الزوجة ليست والدة، فهم بذلك لا يقولون إلا قولاً منكراً لا يغيره شرع ولا
يرفضه عقل، ولا يقرهم عليه ذو عقل سليم. ثم فتح لهم باب التوبة منه فقال: وإن الله لعمو
غفور لمن أحسن التوبة. وبعدما بين سبحانه بشاعة الظهار، شرع في بيان حكمه لو وقع، فقال
تعالى: (والذين يظهرون من نسائهم)..
الخ. أي ثم يأسفون، ويمزجون على إعلم ما قالوا
باستمرار إمسك زواجهم في عصمتهم، فعلى كل منهم عتق رقيق، قيل أن يتأشروا مباشرة

الأزواج. هذا الحكم شرع لكم لتعطوا وتباعدوا عن ارتكاب المنكر، والله خبير بكل أعمالكم،
فيعلم المطيع وغيره، ويجازي كل بما يستحق، فحافظوا على ما شرع، فمن لم يجد شئ رقيقه
يعتقها، فعليه صيام شهرين قمرين متتابعين، وهو صوم أيام الإثنين والأربعاء من أولها،
ولا يجوز له أن يمسن زوجته قبل تمام الشهرين، وإن خالف ارتكب بذلك ذنباً آخر غير أصل

﴿مقصية الرسول﴾: هذا ذنب أظفح، والمراد التواصل فيما بينهم بمقصية الرسول.

﴿بما لم يحبك به الله﴾: فيقولون السلام عليك يا أبا القاسم، يوهمون أنهم يقولون السلام عليك يا أبا القاسم، والسلام هو الموت.

﴿ولا يعذبنا الله﴾: ﴿ولا﴾: حرف، أصل معناه: طلب حصول ما بعده. واستعملوه هنا على سبيل الاستهزاء يريدون: لو كان محمد نبياً لفعل الله لنا العذاب في الدنيا بسبب قولنا هذا.

﴿حسداهم جهنم﴾: أى كافئهم جهنم تقضى عن كل عذاب، انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢.

﴿يساعوناه﴾: أى يدسناؤنا ايجترقوا فيها.

﴿ربس المصين﴾: قبح المرجع والنهاية.

﴿البر﴾: كل ما فيه خير.

﴿التقوى﴾: كل ما فيه ترك المعصية.

﴿الحزن﴾: حزنه يحزنه يوزن قتله يقتله، أى أدخل عليه الحزن.

المعنى: وبعدهما أكد سبحانه علمه بكل شيء من العالم العلوى والسفلى، ومنه أعمال هؤلاء الذين يعادون الله ورسوله، انظر الآية (٨٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥، قال مرة ردا لما سبق ﴿ما يكون من نجوى﴾... إلخ. أى لا يوجد تناجى ثلاثة إلا وهو سبحانه رابعهم يعلمه، ولا تناجى خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من الثلاثة ولا أكثر من الخمسة إلا وهو سبحانه سابعهم، أى عالم بكل أسرارهم فى أى مكان وجدوا ولو فى جوف الأرض. هو مطلع عليهم، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تضييحا لهم، وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء؛ لأن الله تعالى بكل شيء عليم. لا يخفى عليه بعيد ولا مستور. وكان جماعة من اليهود والمنافقين إذا رأوا مؤمنا قادما عليهم يتهايمسون سرا ويشيرون إليه ليؤهموه أن أقاربه من المؤمنين المجاهدين والمسافرين حصل لهم سوء فيحزن، فشكا المؤمنون ذلك لرسول الله ﷺ فتهاهم عن ذلك فلم ينهوا، فأنزل سبحانه قوله: ﴿ألم تر﴾... إلخ، أى هل لم تنظر وتعجب أيها الذين من حال هؤلاء الذين نهيتهم عن التناجى المريب، ثم يعودوا لما نهوا عنه؟

مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ سَمِعَهُمْ يَوْمَ كَلَامِهِمْ يَوْمَ عَلَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذْ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عِلْمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَرْنَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بَيْنَهُمْ وَالْعَدُوِّ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءَكَ خِيَرَةٌ مِمَّا لَمْ يَحْكُمِ اللَّهُ بِهِ وَيُفَرِّقُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَا تَزَالُ بِضَمَّةٍ اللَّهُ يَمُودُ نَفْسَ حَسْبِهِمْ يَوْمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُفِثَ الْمَصِيرُ ۝ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَسُوا إِذَا تَتَخَفَتُمْ فَلَا تَتَخَفَتُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَدْلِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجَرُوا بِأَيْمَانِ النَّجْوَى ۝ وَأَتُوا اللَّهَ الْيَوْمَ إِلَهَ الْبَرِّ تَخَرُّونَ ۝ وَالْبَرُّ وَالتَّقْوَى ۝ وَالْإِيمَانُ وَالْعَدْلُ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجَرُوا بِأَيْمَانِ النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا

المفردات: ﴿من نجوى﴾: ﴿من﴾ لتأكيد عموم ما بعدها. والنجوى هى التناجى أى المحادثة سرا.

﴿ثلاثة. خمسة﴾: هذا العدد على سبيل التمثيل فقط، لأن غالب التناجى أن يكون بمثله.

﴿إلا هو معهم﴾: قال ابن كثير: معهم يعلمه.

﴿ألم تر﴾: الهمزة للاستفهام التعجيبى، أى ألم تنظر وتعجب أيها النبى؟

﴿الذين نهوا﴾: هم جماعة من اليهود والمنافقين.

﴿الائم﴾: هو كل ذنب.

﴿العدوان﴾: ذنب مخصوص، وهو ظلم المؤمنين والتعدى عليهم بما يؤذهم.

- (١) السموات.
- (٢) ثلاثة.
- (٣) القيامة.
- (٤) يتاجون.
- (٥) العدوان.
- (٦) معصية.
- (٧) آمنوا.
- (٨) قاجهم.
- (٩) تتاجوا.
- (١٠) العدوان.
- (١١) معصية.
- (١٢) قاجوا.
- (١٣) الشيطان.
- (١٤) آمنوا.

﴿ها هم منكم ولا منهم﴾: أى أن المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من اليهود. بل هم مذنبون بينهما، انظر الآية (١٤٣) من سورة النساء صفحة ١٢٧.

﴿يحلفون على الكذب﴾: أى يحلفون على الكذب بأنه حق. وأنهم يعلمون أنه رسول الله وأنهم يوقرونه ﷺ وهم فى ذلك كاذبون، انظر الآيات (١) وما بعدها من سورة المنافقون صفحات ٧٤٢، ٧٤٣.

المعنى: يريد الشيطان ليحزن الذين آمنوا بالإغراء على النجوى، وليس هذا التجاوى بضار المؤمنين شيئاً، إلا ياذنه تعالى، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، ولا يبالوا بهذا الكيد ولما نهى المؤمنين عن مثل أعمال المنافقين مما يكون سبباً للتنافر بينهم، أتبع ذلك بأمرهم بما يكون سبباً لزيادة الألفة، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم... إلخ وكان المؤمنون يتنافسون على القرب منه ﷺ حرصاً على الاستماع منه، وقد يتأخر عن المبادرة إلى مجلسه ﷺ أصحاب الأعداء، وقد يكون بعضهم ضعيف السمع، أو أحوج من غيره لقرب عهده بالإسلام. وكان الواحد من هؤلاء يقف بعيداً عنه ﷺ.

وكان صلوات الله عليه يتألم لذلك، ولكنه كان شديد الحياء واسع الحلم، فانزل سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس... أى المعدة للخير. قال القرطبي: هذا يشمل كل مجلس اجتمع فيه المسلمون لسماع ما ينفعهم، فيوسع كل لأخيه بما لا يؤذيه، فافسحوا لإخوانكم يفسح الله لكم فى كل ما تحبون الفسح فيه: من الأمكنة، والأزواق، وصدور الناس، وأخيراً فى القبور. وإذا قيل لكم انهضوا للتوسعة لقدم غريب أحوج منكم إلى استماع شئ من الدين، أو لترك مجلسه ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحياناً ليتفرغ لتدبير شئونه، أو لأداء فرائضه الخاصة، فانهضوا طوعاً ولأمر، فإذا قطعتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم - خصوصاً العلماء الذين يفقهون أسرار هذا التشريع - درجات فى الدنيا بالنصر وحسن الذكر وفى الآخرة بالمنازل العالية فى الجنة.

- ثم هدد سبحانه وبشر فقال: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى فيجازى من امثال وغيره كما يستحق.

ثم أراد سبحانه أن يعالج بعض الفوضى، التى كانت سائدة بين العرب، وخصوصاً الأعراب. قال ابن عباس: إن بعض من أسلموا أكثر من مناجاته ﷺ من غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم، وكان الأغنياء يحكم مراكزهم يكثر من ذلك، ويغلبون الفقراء على القرب منه ﷺ حتى شغلوا أوقاته التى يجب أن تكون موزعة على ما تقتضيه المصلحة، وكان يؤذيه ذلك ولكن يغلبه الحياء كما تقدم، فانزل سبحانه تاديباً لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول... إلخ. أى يا أيها الذين اتصفتم بالإيمان، إذا أردتم مناجاة الرسول ﷺ ومحادثته سراً، فقدموا قبل مناجاتكم صدقة للفقراء، ذلك التصديق خير لكم لما فيه من الثواب وأظهر لنفوسكم من دنس الشح والتكالب على الدنيا.

فمن لم يجد منكم ما يتصدق به، فقد جوز له ربه المناجاة فى الأمور المهمة بدون تقديم صدقة؛ لأنه سبحانه وتعالى غفور رحيم بمباداة الضعفاء، ولهذا التكليف حكم كثيرة، منها تخفيف التزامهم عليه ﷺ من غير حاجة، ومنها تربية مهابة ﷺ فى نفوسهم حتى يسارعوا إلى امتثال أمره، ومنها نفع الفقراء، ومنها التمييز بين المخلص والمنافق، وبين محب الآخرة ومحب الدنيا إلى غير ذلك.

ولما استقر فى نفوسهم كمال الأدب، وتودوه معه ﷺ، وشعروا بمظلمة منزلته عند ربه، وتحقق الغرض المطلوب، خفف سبحانه عنهم فقال تعالى: ﴿أءأشفتكم﴾... إلخ أى هل خفتم كثرة التفقات من تقديم صدقة قبل كل مناجاة؟ فحين لم تسلموا ما طلب منكم لمشتة عليكم كثرة تكرره، وتاب الله عليكم بإذنه لكم فى المناجاة المهمة بدون صدقة، فاستغفروا عن ذلك، بالمواظبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن الصلاة تعين على مشاق التكليف، والزكاة تحارب الشح، وأطيعوا الله ورسوله فى جميع الأوامر. والله خبير بما تعملون، فيجازيكم حسب أعمالكم.

ثم عجب سبحانه نبيه من حال المنافقين فقال تعالى: (آلم تر)... إلخ. أى انظر وتعجب أيها النبى إلى هؤلاء المنافقين الذين يوالون اليهود المغضوب عليهم. هؤلاء المنافقون ليسوا معكم. ولا مع اليهود. ولكنهم يظهرون ذلك ظناً منهم أن فيه نجاتهم. وتعجب كيف يحلفون لك كذباً، أنهم مؤمنون بك.

المنى: بلغ من جرأة المنافقين على الكذب، حال كونهم عالمين أنهم كانوا يذنبون، أعد الله لهم على ذلك عذاباً شديداً، في السرك الأسفل؛ لأن أعمالهم بلغت حاشون، القبيح درجة غير مهيولة.

ثم بين بعضها بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَذَّلُوا...﴾ إلخ. أي يعزّون على الكذب ومتخذين من أيمانهم المأجرة وقاية يستترون بها جرمهم. وبهذه الوسيلة منموا كثيرا من الناس عن طريق الحق بتشويه الإِسْلَام؛ لأن البسملاء يظنونهم صادقين. فلهـم عذاب مثل على الصد، فوق عذاب يشويه الإِسْلَام! لأن البسملاء يظنونهم صادقين. فلهـم عذاب مثل على الصد، فوق عذاب الكفر! انظر الآية (٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٧. ولما كان سبب مصيبتهم هو خوفهم على أموالهم أن تنفق في سبيل الله وعلى أولادهم من القتل في الجهاد، قال سبحانه: ﴿لَنْ نَقْنِي...﴾ إلخ. أي لا تمنعهم هذه الأموال والأولاد، ولا تدفع عنهم شيئا من عذاب الله. وهم بصحاب النار، هم فيها خالدين. لن يمنعهم شيء من ذلك يوم يعمتهم الله جميعا ويحشرهم لموقف الحساب، فيدهشهم الموقف، فيعلمون أن الكذب هنا يقضهم، فيحطون لله سبحانه

من حصن التدبير، فينبجون من الهلاك كما نجوا في الدنيا. فرد سبحانه عليهم كل ما سبق بقوله فيها السامع إلى أهمية ما سيقله، فقال: ألا أنهم هم الباطون القايـة في الكذب حيث يعملون الكذب على عالم الشهادة، ثم بين سببه وفوقهم في هذا الشراء، قوله: ﴿وَأَسْتَعِذُّكَ أَيَّ غَلْبٍ عَلَى حَقِّهِمْ الشَّيْطَانُ بَوَيْسَتِهِ وَتَزِينِهِ لِلدُّنْيَا﴾، قام يمكنهم من تذكر وعد الله تعالى للعالم، ولا دن وعيد له أن حصص، هؤلاء هم أعوان الشيطان. ألا إن جنود الشيطان هم الخاسرون لتفويرو الدنيا والآخرة. ثم بين سبحانه سبب شقاوتهم بهورة أخرى فقال: ﴿لأن الذين يعاصونك...﴾ إلخ. أي إن الذين يخالفون أوامر الله ورسله، أولئك سمورون في أشد الناس ذلا، ثم برهن سبحانه أنه ضاع ذلك فقال: ﴿وكذب الله...﴾ إلخ. أي شقوى بذلك قتالا وعزى لأجلنا أنا ورسلي بالصحة والبرق؛ لأن الله قوى لا يجزمه شيء، عزى لا يقلبه أحد.

انظر الآية (١٧٦) وما بعدها من سورة المسافات صفـة ٥١٢. ثم بين سبحانه أن حال المنافقين يخالف حال المؤمنين المحاضرين فقال: ﴿ولا تجد قومًا...﴾ إلخ. أي لا يمكن أن تجد قوما يجاهدون بالله والإيمان بالله واليوم الآخر، وبين مودة ومهادنة أعداء الله وبرؤساء، وهذه

كان هؤلاء الأعداء والمقصود بالأعداء ليس الكفار فقط بل يشمل أيضا الفاسق ولو كان غير كافر، وتصرح الأحاديث بالشك عن هؤلاء.

(الجزء الثامن والعشرون)

[illegible]

المفردات: ﴿عذاباً شديداً﴾: انظر شرح ذلك في الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحـة ١٢٨.

رسالة: أي قبيح.

فجئة: أي وقائية يستتريون بها ليعدهم مفاجأة
أموالهم من الإيقاق (قر) الجهاد وأنفسهم من
القتل، انظر الآية (٧) من سورة المنافقين

صفحة ٧٤٣ -

ففيهم صنفون له: أي على أنهم ما كانوا منافقين، كما فعل أمثالهم في الآية (٢٣) من سورة الأنعام صدقة ١٦٥، والآية (٢٨) من سورة النحل صدقة ٢٤٨.

استخوان علیہ: آی استخوانی علیہم

جوسوسته واغزائه. ﴿١١﴾: حرف یراد به قبیله الی پهلای که در تبارهای

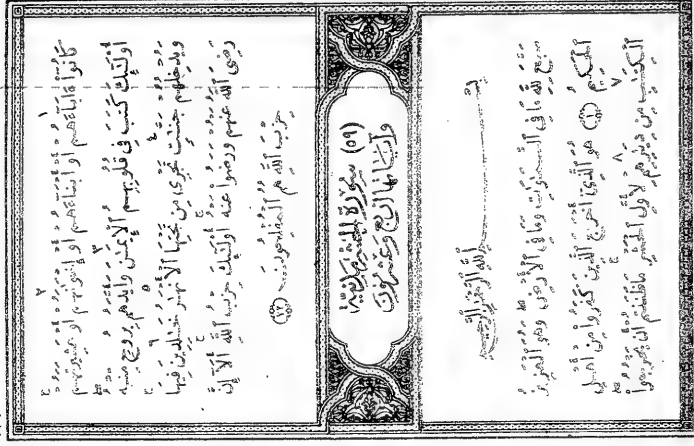
٧٢٠ من هذه الآية (٥) في الآيات: ٧٢٠

وَأَوْفِكَ فِي الْآذِينَ: أَي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا فِي زَمَرَةِ الْآذِينَ.

وكتب الشيخ: أي خشي أم الكتابي أنظر الآية (٣٩) في سورة المائدة، ومعه ٧٧٨. والله را
 عفي وحكم.

وَيُؤَدُّونَ إِلَىٰ آيَاتِهِ مَعْلُومَاتٍ

(١) إصباحه. (٢) أوصابه. (٣) خالده. (٤) أوصابه. (٥) إصباحه. (٦) إصباحه. (٧) إصباحه. (٨) إصباحه. (٩) إصباحه. (١٠) إصباحه. (١١) إصباحه. (١٢) إصباحه.



المعنى: جعلت لطلوع الشمس. أى عنده كما فى الآية (٧٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥. والعشر هو إخراج جمع من مكان إلى آخر، وإضافة أول العشر من إضافة الصفة للموصوف كقولهم: لك جميل الصبر، أى الصبر الجميل، فالمراد: العشر الأول. وهو إخراجهم من ديارهم حول المدينة إلى خيبر. والعشر الثانى إخراجهم فى زمن عمر بن الخطاب من خيبر إلى الشام.

المعنى: تدور آيات هذه السورة حول خيانة قوم من اليهود وتفضهم العهد. معهم. وإخراج الله لهم من ديارهم أدلاء، وذلك أن بنى النضير من اليهود المقيمين فى ضواحي المدينة كان بينهم وبينه عهد ألا يكونوا عليه ولا له ما هزم المسلمون فى واقعة أحد، كما تقدم فى شرح صفحة ٨٣ جامع هؤلاء اليهود فى المسامرين وتفضوا العهد. فذهب زعيمهم كعب بن الأشرف ومعه أربعون رجلاً يهودياً إلى مكة، فهاجروا مع قريش، فبذلوا الأمانة على أن يقتلوا محمداً ﷺ. وبلغ ذلك للنبي، فأسر رجلاً من المسلمين يقتل كعب بن الأشرف لغدره وخيائته. وبعد اغتياله بعدة سائر اليهم التنبى صلوات الله عليه فى جمع من أصعاليه يأمرهم بالخروج من ساحة المدينة. فأظهروا الملاينة. وديروا حياة للفك به صلوات الله عليه، وفى هذا الوقت جاء رسول من منافقى المدينة إلى هؤلاء اليهود، يطلب منهم ألا يخرجوا وأن يقتلوا محمداً ﷺ. ووعدهم نياحة عن المناقطين بأنهم سيتأثلون منهم. وأن اضطروا للخروج فسيخرجون معهم ليستعدوا لمصر أقوى... ووصل ما يدورهم للنبي ﷺ. فطلب منهم سرعة الخروج فأبوا إلا الحروب، استماداً على قوة حصونهم، وعلى مساعدة المناقطين، وتعضتوا داخل ديارهم، فحاصروهم ﷺ إحدى وعشرون آية. فادأ يأسوا من مساعدة المناقطين، وشعروا بالضعف بسبب قتل زعيمهم، ومسير شئونهم كعب بن الأشرف، داخلهم الرعب، وطلبوا منه صلوات الله عليه الصالح، فصار لهم ما أرادوا، فخرجوا من المنافع دون السلاح، فخرج بهم منهم إلى خيبر. وبهضهم إلى أن يأخذوا على هذا الشرط ما شاعوا من المنافع دون السلاح، فخرج بهم منهم إلى خيبر. وبهضهم إلى الشام. وكان ذلك فى ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، فأنزل سبحانه فى ذلك قوله: سبح لله ما فى السموات... إلخ. أى أن جميع ما فى الكون يقاس به سبحانه وقوته وهو العزيز الغالب الذى لا يقابى الحكيم فى تدبيره وصنعه. ثم بين بعض آثار عزته وحكمته فقال: هو الذى أخرج... إلخ. أى هو وحده الذى أجاز بنى النضير بقتلهم وتكليم تدبيره عند العشر الأول بلا صعوبة، وما كنتم أنهما المؤمنون تطنون أنهم يخرجون، لشدة بأسهم، وقوة حصونهم، وكثرة عددهم، وعظيم استعدادهم. والآثار ظاهرة فى شمولهم من حاد الله ﷻ للفاسق ولو غير كافر. والأحاديث مصرحة بالنهي عن مالاتهم. ولذا قال بعض السلف، من صح إيمانه لا يأنس إلى مبتدع ولا يصاحبه. ومن داهن مبتدعاً، سلبه الله حلاوة السنة. ومن تعصب إلى مبتدع يطلب عز الدنيا أدله الله.

المفردات: ﴿عشيرتهم﴾: تقدم فى الآية (٢٤) من سورة التوبة صفحتى ٢٤٣، ٢٤٤. ﴿وأولئك﴾: أى المؤمنون حقاً. ﴿كتب فى قلوبهم الإيمان﴾: المراد بثبته وقوامه. ﴿بروح منه﴾: المراد بسير من أسرار الله تعالى كطمانينة القلب، ونور البصيرة، انظر الآية (٤) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨. المعنى: لا يصح أن يوجد بين المؤمنين من يصادقون أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ. ولو كان هؤلاء الأعداء آباء المؤمنين، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو أهلهم الأقربين غير ما تقدم. هؤلاء المؤمنون حقاً الذين لا يصادقون أعداء الله تعالى، ثبت الله فى قلوبهم الإيمان. فلا يؤثر فيها غير ما يرضى ربه. وأيدهم براحة الضمير. وجب الله ورسوله ﷺ. تحتها الأنهار خالدين فيها. رضى الله عنهم لإحسان أعمالهم وقوت إخلاصهم. ورضوا عنه بجزيل ثوابه. هؤلاء هم أنصار دين الله. ألا إن تدنصار الله هم المنازيون بغيرى الدنيا والآخرة. وقد صبح أن جماعة من المؤمنين قتلوا أقاربهم المشركين، دهاعاً عن المسلمين وعن رسوله الأمين. سورة الأحزاب

المفردات: ﴿سبح لله﴾: تقدم فى الآية الأولى من سورة الحديد صفحة ٧٨. ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾: هم طائفة من طوائف اليهود المقيمين حول المدينة، وكان دمرال لهم (بنو النضير) بفتح النون وكسر الضاد.

﴿ديارهم﴾: كانت على بعد ميلين من المدينة. ﴿أول العشر﴾: اللام به مرفى عند يقول

(١) يابهم.	(٢) إخوانهم.	(٣) الإيمان.	(٤) حجات.
(٥) الأتهار.	(٦) خالدين.	(٧) الكتاب.	(٨) ديارهم.

﴿فَمَا أَوْجِثَهُ﴾: هذه الجملة خبر المبتدأ السابق ﴿وَمَا﴾ هنا نافية و ﴿أَوْجِثَهُ﴾ من قولهم وجف الفرس، أو العير، إذا أسرع. وأوجفه صاحبه. أي جعله يسرع.

﴿مَنْ خِيَلْ﴾: ﴿مَنْ﴾ للنص على عموم نفس ما بعدها.

﴿وَرَكَابٍ﴾: أصل الركاب اسم جمع لكل ما يركب، ولكنه غلب عند العرب على الإبل. ولا مفرد له من لفظه. وإنما يقال للفرد منه (راحلة).

﴿وَاللَّهُ وَلِلرَّسُولِ﴾: إلخ: تقدم كل ذلك، في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٢، ٢٢٣ والمراد بنبي القرى، هذا: هم قريته ﷺ من بنى هاشم وبنى عبد المطلب الذين لا تحل لهم المصلحة، فمعرفة النبي كالهو و معرفته بالخصم في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٢، ٢٢٣.

المشور: وطأن بنو النضير، أن سمعوا أنهم المدينة المنيرة فمنهم من أن ينالهم عذاب الله على أيدي المؤمنين فاطمأناوا لذلك وأمنوا بها دار المدينة عند الفيليين. فوجاههم حذار، الله من جهة لم تخطر لهم على بال. من ذلك قتل رئيسهم كعب بن الأشرف كها تقدم. فإنه أضعف قوتهم وشمت كلمتهم. وبه استجانه من قوتهم الطمأنينة والأرها رحاً. فصاروا من شدة الخوف وقوة المنيعة لا يقرضونهم من المداخل، ليس يدوا بأخيرة لها وحياراتها أقواه الألفة، وقام بدمهم بطل ذلك، حتى لا تقرضهم المصلحة لمسكن المؤمنين، أو فرفض وخابوا. وتستحبوا في أن يقرضهم المؤمنين من الخارج ليدخلوها عليهم. ولزيادة التكاليف بهم.

وإذا كان هذا هو ما حصل فطهار فيجب أن يتقوا، بجأهم كل من له دمار، فيكر فلا يفدر ولا يتقدم على غير الله سبحانه. ثم بين سبحانه أن الجلاء الذي كتبه عليهم كان أخف من القتل والأسر، لعلهم يقامون من غيرهم في المستقبل فقال:

﴿وَلَوْلَا﴾... إلخ: أي وإلا فضاؤه سبحانه عليهم بالجلاء لمدتهم في الدنيا بالقتل والأسر. ولهم مع ذلك عذاب النار. ذلك الذي حل بهم من الجلاء والذي بسبب أنهم حاربوا الله ورسوله. ومن يمد الله ورسوله لا يد من هلاكه. لأن الله شديد.

المغدرات: ﴿وَمَا نَأَمُ اللَّهُ﴾: أي جاءهم عذابه بالرعب والجلاء.

﴿مَنْ خِيَلْ﴾: حيث لم يحتسبوا: أي من جهة لم تخطر لهم على بال.

﴿وَقَدْ فُتِنَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أصل الفتنة الرعي بقوة، والمراد أثبتة وركزه.

﴿الرَّعِيبِ﴾: هو الخوف الذي يملأ القلب.

﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي جعل التثريب كله صلاً منهم سواء أكان بأيديهم أو بأيدي المؤمنين. وذلك لأن غدرهم هو السبب في إطلاق أيدي المؤمنين في التثريب.

﴿الْأَصْدَارِ﴾: جمع بصيرة وهي نور القلب.

﴿وَكَيْفَ اللَّهُ﴾: أي قضى وحكم. انظر الآية (٢١) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٨. ﴿وَشَاءَ اللَّهُ﴾: تقدم في الآية (١٣) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٨. ﴿فَلْيَبْذُلْ﴾: هي الذخلة مطلقاً، قال بذلك المحسن ومجاهد والراغب، ويجمعها أهل المدينة على (لوز).

﴿وَلِيُجِزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾: الأصل: ليسر المؤمنين ويهزمهم، ويجزي الفاسقين ويذلهم.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾: ﴿وَمَا﴾ بمعنى وأمل من خرافة. رذ وإرجح، والمراد هنا أعطى وملك. ومنه الفى وهو فاشع ما أخذ من أموال الكفار بدون قتال بخلاف الغنيمة فإنها ما أخذت بحرب وقتال. وقد تقدم حكم الغنيمة في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٢، ٢٢٣.

- (١) قاتلهم. (٢) الإصرار. (٣) الأخوة. (٤) الفاسقين. (٥) التياح. (٦) المسكين.

المفردات: «دولة»: هو الشيء الذي يتداوله الناس، لهذا مرة ولذاك أخرى، والمراد: لا يكون خاصاً بالأغنياء كما كان في الجاهلية لا يأخذ الفقير منه شيئاً.

«الفقر»: بيان لدى القريب وما بعده في الآية السابقة و«أموالهم»: معطوف على ديارهم بعد تضمين.

«أخرجوا»: معنى «الترك»، وسينأتى تضمين مثله في الآية التالية.

«والذين تبوءوا الدار»: أي اتخذوها مسبأة أي منزلاً والمراد بهم الأنصار، و«الذين» مبتدأ خبره «يحبون» الآية و«الدار» هي المدينة المنورة.

«الإيمان»: مفعول لفعل مقدر يناسبه معطوف على تبوءوا نحو والتزموا الإيمان ورضوه من قبل قدوم المهاجرين. يقول العربي في فخرسه: علفتها تبناً وماءً بارداً يريد وسقيتها ماء..... الخ، انظر نظير ذلك في الآية (١١) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠.

«حاجة»: هي هنا بمعنى الشيء المحتاج إليه يقال: أعطاه من ماله حاجته، أي ما يحتاج إليه، والمراد لا يشعرون في أنفسهم رغبة في شيء مما أخذته المهاجرون.

- | | |
|----------------|----------------|
| (١) اتاكم. | (٢) نهاكم. |
| (٣) المهاجرين. | (٤) ديارهم. |
| (٥) أموالهم. | (٦) رضوانا. |
| (٧) الصادقون. | (٨) تبوءوا. |
| (٩) الإيمان. | (١٠) جاءوا. |
| (١١) لإخواننا. | (١٢) بالإيمان. |
| (١٣) آمنوا. | |

العقاب. وكان مما حصل أن المسلمين، لما وصلوا مساكين بنى النصير، وجدوهم حصونا أنفسهم بقوة. فأمر ﷺ بحصارهم، لضيائيقهم حتى يسلموا وحتى لا يتلف شيء من أموالهم، ولما عاندوا أذن الرسول ﷺ بالهام من الله تعالى في قطع بعض نخيلهم ليعملهم على التسليم فأشاع المنافقون وأثناهم اليهود، أن محمداً الذي كان ينهى عن إتلاف المال أصبح اليوم يتلفه، فأذلل سبحانه: «لما قطعتم».. الخ، ليخسرهم، أي ما قطعتم يا مسلمين من نخلة مشرة، أو تركتموها بدون قطع إلا بإذن الله لرسوله. أذنه في ذلك لينفسر المؤمنين ويعزهم وليخزي الضامنين. وذلك لأن قطعها فيه حسرتهم على ذهابها يأبى أعدائهم، وتركها سليمة يمكن المسلمين من الاستيلاء عليها والانتفاع بها، ففس كل حسارة عليهم.

وبعدما بين سبحانه ما حل باليهود، شرع في بيان الحكم في أموالهم، وكان بعض المسلمين طالب تخمينتها كالثقائم، فأنزل الله سبحانه: (وما آفأ الله)... الخ. ردا عليهم ببيان، أن هذه الأموال لا تغير شيئاً لا غنيمة. فكانه يقول: هذا المال الذي أعطاه سبحانه لرسوله من أموال بني النصير، لم تقطعوا إليه مسافات، ولا أقيمت في الحصول عليه مشقة حرب. ولكن جاءت هذه الأموال، لأن سنة الله تعالى جارية، على أن يسلط رسله على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً، لا مشقة منه. وحينئذ لا حق لأحد فيها. فأمرها مفوض إلى الله ورسوله. والله على كل شيء قدير. فلا يميزه قهر أعداء رسله.

ثم بين سبحانه حكم القرء مطاعاً فيما فيه هذه الأموال فقال تعالى: «ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى». أي من غير قتال، فهو يصصرف، في سبيل الله... في مصالح المسلمين، والرسول يتفق على أهل بيته، والذي قرأه من بني هاشم وبني المطلب.

واليتامى من أطفال المسلمين، والمساكين ذوي الحاجات من المسلمين. وإن السبيل، المنقطع في سفره عن أهله، كما هو مبين في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحتي ٢٣٢، ٢٣٣ السابق الإشارة إليها وبالجمل فمصرف القرء كله هو مصرف خمس الثنائيم المتقدم الإشارة إليه.

واتقوا الله فلا تخالفوا رسوله لأن الله شديد العقاب لمن يخالفه. ثم بين سبحانه المراد من ذي القربى وما بعده فقال: ﴿إِلَّا لِقَرَابٍ...﴾ إلخ. أى أعطوا القربى للفقراء المتدكرين سابقا، المهاجرين من مكة إلى المدينة، الذين أكرههم المشركون على الخروج من ديارهم بمكة التي يحبونها، تاركين أموالهم، فخرجوا طالبيين رزقاً حسناً من ربهم فى الدنيا. ورضى عنهم منه سبحانه فى الآخرة، وعادته أن على نصرة دين الله ورسوله. هؤلاء هم الكاملون فى صدق الإيمان، ثم مدح سبحانه الاتصال بثلاث صفات، فيها تفريض بمن طلب تقسيم القربى على الجميع، وعدم تخصيصه بالمهاجرين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ...﴾ إلخ. هم الأنصار الذين اتخذوا المدينة منزلاً. وأحبوا الإيمان من قبل قدوم المهاجرين عليهم. ومن آثار هذا الحب، أنهم لا يشعرون فى أنفسهم ميلاً لشئ مما أعطاه الرسول للمهاجرين، بل يفضلونهم على أنفسهم بأموالهم وبنيتهم. لا عن استئناء عنها، بل مع احتياجهم إليها. أى فهم بالسماح بالقربى أولى، وهذا نتيجة طهارتهم من الشح. ومن يقبهم الله شرشح أنفسهم لقوة تقواهم، فأولئك هم الفائزون بمعادة الدارين.

ثم بين سبحانه أن آخر المؤمنين كأولهم فى محبة بعضهم بعضاً، فقال: (وَالَّذِينَ جَاءُوا...﴾ إلخ. أى والمؤمنون الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار، لشدة محبتهم لإخوانهم المؤمنين يقولون: يا ربنا اغفر لنا ولإخواننا فى الدين سيئتنا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا حسداً لأحد من المؤمنين، الذين سبقونا أو عاصرونا. يا ربنا أجب دعائنا، إلك عظيم الراهة واسع الرحمة. قال بعض العلماء: المؤمنون على ثلاثة منازل: المهاجرون... والأنصار. والذين جاءوا من بعدهما فأحرص على أن تكون من أولئك الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار. ولا تظن أن إيثار الفير مع الأخوة راجح، ربما يمارض، ما فى آيات (٢١، ٢٩) من سورة الإسراء صفحة ٣١٨، و(٦٧) من سورة الفرقان صفحة ٢٧٨. لأن ذلك يختلج باختلاف أحوال الناس، فمن ليس عليه دين، وليس له هيال يخاف عليهم مشقة الجوع، ويكون هو قولى المزمع، يعتبر على الفقر، جاز له أن يقدم غيره المحتاج على نفسه، على أن لا يؤذى ذلك إلى هلاكه أو عريته. فإن فقد شرطاً من ذلك، فلا يصح له الإيثار. وعندما ذكر سبحانه ما حل باليهود، أتبع ذلك بما حصل من مناقض المدينة على وجه التعجب من صفتهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ. أى هل لم تعلم يا من يصح منك العام وتعجب من المفاقتين الذين يقولون... إلخ.

﴿وَمَا أوتُوا﴾: أى مما أعطاه النبي ﷺ للمهاجرين من القربى وغيره.

﴿يُؤْثَرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: أى يقدمون ويفضلون إخوانهم المؤمنين على أنفسهم، وإذا رجعت إلى الآية (٢٩) من سورة الإسراء صفحة ٢١٨ والآية (١٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨، مع ما ورد من أن الأنصار كانوا يتنازلون للمهاجرين عن شطر أموالهم ومن يبقى عنده نصف ماله لا يتقال به خصاصة، ومن كل هذا تعلم أن هذه الآية نزلت فى قوم مخلصين كانوا يستعملون مشقة الحاجة وأن هذا ليس تشريعاً عاماً.

﴿وَحَصَانَةٌ﴾: هى شدة الحاجة إلى ما ينفعونه.

﴿يُوقَ﴾: أى يقبىه الله بسبب تقواه.

﴿يُشْرَحُ نَفْسُهُ﴾: الشح صفة للنفس تحمّلها على شدة الحرص على المال وأما البخل فهو الامتناع عن الإنفاق، فهو أثر من آثار الشح.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: هم التابعون والمؤمنون إلى يوم القيامة.

﴿بِالْإِيمَانِ﴾: أى متحابين بالإيمان.

﴿وَحَقْدًا﴾: أى حسداً.

﴿وَرُفُوفٌ رَحِيمٌ﴾: تقدم الفرق بينهما فى الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحتى ٧٧، ٧٨.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَرْضَ مِنْ قَبْلِهمْ﴾: من سورة المجادلة صفحة ٧٢١.

﴿وَالَّذِينَ تَابُوا﴾: هم عبادة الله بين سائر وجعته ذكروا فى شرح أول السورة.

المعنى: حكم سبحانه بتوزيع مال القربى على الوجه المتقدم، لئلا يكون مقصوداً تدارله بين الأغنياء منهم كما كان الحال فى الجاهلية، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ يتقلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بهيئتهم ولا يعطون منها شيئاً للفقراء. وبعد ذلك حث سبحانه على طاعة الرسول فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه، ومنه تفهيم القربى فقال تعالى: ﴿لَوْ مَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرٍ إِلَّا أَوْفَ بِهِ أَوْامِرَهمْ وَنَهَايَهمْ عَنْهُمُ مِنَ الْمَعْرُوفَاتِ فَانْتَهُوا عَنْهُ﴾.

المغفرات: ﴿لَعَنَهُ﴾: المراد به هنا يوم القيامة، انظر الآية (٢١) من سورة القمر

صفحة ٧٠٦ .

﴿فَنَسُوا اللَّهَ﴾: المراد: شغلهم الدنيا عن تذكر حقوق الله عز وجل، فعاقبهم بأن انسأهم حق أنفسهم، فلم يقدموا لها ما ينفعها: انظر الآية (٩) من سورة المنافقون

صفحة ٧٤٤ .

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ...﴾: إلخ: انظر الآية (٢٨) من سورة ص صفحة ١٠٠، والآية (٢١) من سورة الجاثية صفحة ٦١٢ .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾: الكلام تمثيل

لفساوة قلب الإنسان، وعدم خشوعه عند سماع القرآن حتى حرم من تديبه والانتفاع به، ونظير هذا في الآية (٧٤) من سورة البقرة صفحتي ١٥، الآية (٧٢) من سورة الأحراب

صفحة ٥١١ .

﴿وَخَاشِعًا﴾: أي خاضعًا مثلاً.

﴿وَمُعْتَصِمًا﴾: أي متشبثًا.

(٢) خالدين.	(١) عاقبتهم.
(٤) الظالمين.	(٢) جزاء.
(١) فأنساهم.	(٥) أمموا.
(١٠، ٨) أصحاب.	(٧) الغافلون.
(١٢) القرآن.	(١١) الغافلون.
(١٤) الأمثال.	(١٢) خاشعًا.
(١٦) الشهادة.	(١٥) عالم.
(١٨) سيجان.	(١٧) السلام.

معاوانكم أحدا من المسلمين إذا طلب منا ذلك وإن قاتلكم المسلمون لنساعدنكم حتى تنتصروا. قالوا ذلك، والله يشهد أنهم لكاذبون. ثم وضع سبحانه مواضع كذبهم فقال: (لئن أخرجوا)... إلخ. أي: وعزتي لئن أخرج المسلمون اليهود من ديارهم، لا يخرج معهم المنافقون من المدينة لإعانتهم، ولن يقاتل المسلمون اليهود لا يصرهم المنافقون، ولن فرض وصرهم ليتهزمون جميعاً على يد المسلمين، ثم لا يصرهم الله بعد ذلك أبداً. ثم بين سبحانه سبب هذا الجبن فقال تعالى: (لأنهم أشد من خوفهم من الله، هذا الخوف الذي يظهره لكم نقاباً؛ لأنهم في الحقيقة لا يخافون الله أبداً، وإلا لما نافقوا وتظاهروا بالإيمان الذي يستلزم الخوف من عصيانه، ثم بين سبحانه سبب خوفهم من المسلمين على هذا الوجه بقوله: (ذلك).. إلخ. أي ذلك الخوف منكم دون الخوف من الله سبحانه - سببه أنهم لا يفتقون قدر عظيمته، فهم لذلك يتهاونون بأوامره، ولا يخافون عقابه مثل ما يخافونكم ويرهبونكم. ثم بين سبحانه جبن كل من اليهود والمنافقين بقوله: (لا يقاتلونكم)... إلخ. أي لا يجرؤ أن يقاتلكم اليهود والمنافقون حتى في حال اجتماعهم معاً إلا وهم في داخل قرى محصنة بالخنادق والمنازل مثلًا، أو من وراء جدران.

﴿فَأَسْوَارٌ﴾: يحاطونها حصوناً يستترون بها: لأن الله قدف في قلوبهم الرعب منكم، ثم وضع بعض أسباب جبنهم بقوله: (بأسهم).. إلخ. أي العداوة بينهم شديدة، فظنهم في الظاهر متفقين، والحال أنهم في الواقع مشتتة قلوبهم - متنافرة - لتنافر عقائدهم، هؤلاء اليهود يقولون بآله واحد، والمنافقون مشركون يعبدون الأصنام، ذلك الحال الذي هم عليه من التنافر في الباطن، ثم الاتفاق على حرب المسلمين في الظاهر - سببه أنهم قوم لا يعتقدون أسباب النصر والخذلان، وإن تفرق القلوب يضعف القوى، ويمكن الخصوم، ومثل هؤلاء الكفار من اليهود والمنافقين - في نزول المصائب عليهم - كمثل أهل بدر من المشركين الذين ذاقوا سوء العاقبة في الدنيا... ولهم في الآخرة عذاب أليم.

ومثل هؤلاء المنافقين في إغرائهم اليهود، ثم جبنهم عن مساعدتهم كمثل الشيطان حين يوسوس للإنسان بالكفر، فلما أطاعه وكفر، وتعرض لعذاب الله تبرا الشيطان منه وقال: إني أخاف الله رب العالمين من أن يلقي عليّ نعمة عمك هذا -

﴿من خشية الله﴾: من خوف جبروته وعذابه.

﴿ولتك الأمثال﴾ ... إلخ: أى هذه الأمثال المذكورة فى القرآن. ومنها ما هنا وما فى الآية (٢٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥ والآيتين (٢٦٥، ٢٦٤) من نفس السورة صفحة ٥٦، والآية (١٧) من سورة الرعد صفحتى ٢٢٣، ٢٢٤، والآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾: المراد يستوى فى علمه ما غاب وما حضر. انظر الآية (٧٣) من سورة الأنعام صفحة ١٧٤.

﴿الملك﴾: أى المتصرف فى كل شىء.

﴿القدوس﴾: أى شديد التنزه عما يقوله المبطلون من الولد والشريك وغيرهما مما لا يليق.

﴿السلام﴾: أصله بمعنى التسليم، وأريد به هنا اسم الضاعل، أى المسلم، يفتح السين وتشديد اللام المكسورة - أى هو وحده المسلم من جميع المخاطر التى لا ينفذ منها غيره سبحانه.

﴿المؤمن﴾: مأخوذ من ﴿أمن﴾ بمعنى: أعطى الأمان لعباده، فلا يظلم منهم أحداً. انظر الآية (٤) من سورة قريش صفحة ٨٢٣.

والمراد هنا: أنه سبحانه لا يظلم أحداً من عباده منتقال ذرة.

﴿المهيمن﴾: أى صاحب السلطان الرقيب على ما عداه. انظر الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦.

﴿العزیز﴾: أى الغالب الذى لا يغلب.

﴿الجبار﴾: أى الذى يخضع لعظمته قدرته كل شىء.

﴿المتكبر﴾: المراد: المترفع عن كل نقص، المستعلى على كل ما عداه بحق.

المعنى: بعدما ضرب سبحانه - لتفجير المنافقين باليهود - مثل الشيطان الذى يغرى الإنسان بالكفر، ثم يتبرأ منه - ذكر نتيجة ذلك بقوله تعالى: (فكان عاقبتهم) ... إلخ. أى فكان عاقبة المضلل والضال الخلود فى نار جهنم.

وهذا جزء كل من يظلم نفسه بالكفر: كاليهود والمنافقين.

ثم نصح سبحانه المؤمنين بما ينفعهم فى الدارين حتى لا يكونوا مثل هؤلاء الخاسرين فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا ... إلخ.

أى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما أمركم به، فلا تهملوه، ويجب أن يتساءل كل منكم: ما الذى قدمه لنفسه من الخيرات لتتفعه يوم القيامة؟ واتقوا الله فيما نهاكم عنه، فلا تفعلوا منه شيئاً؛ لأنه سبحانه خبير بكل ما تعملون من كبيرة وصغيرة، وسيحاسبكم عليه.

ولا تكونوا كالذين شغلهم الدنيا فانسوا حق الله فتركوا أوامره، ولم ينتهوا عن معاصيه، فعاقبهم الله بأن أنساهم حق أنفسهم، فلم يقدموا لها شيئاً ينفعها - هؤلاء هم الخارجون عن طاعة الله فهلكوا.

ثم قارن سبحانه بين المحسنين والمسيئين حثاً على الإحسان فقال تعالى: (لا يستوى أصحاب النار).. إلخ. أى لا يستوى فى حكم الله وعدله من يعمل بعمل أهل النار ومن يعمل بعمل أهل الجنة.

ثم بين نتيجة عدم الاستواء فقال سبحانه: أصحاب الجنة هم الفائزون بكل ما يحبون.

ثم وبخ سبحانه الكفار على عدم تيقظهم لما فى القرآن من العبر التى تهز القلوب هذا فقال تعالى: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله.

وهذه الأمثال المذكورة فى القرآن نضربها ونوضحها للناس ليتفكروا فيما حوته، فيعرفوا مواطن الخطر ومواطن الأمان.

وبعدما بين سبحانه عظم القرآن وما حواه، أكد ذلك ببيان أنه من كلام الإله الحق صاحب الصفات الجليلة فقال عز وجل: هو الله الذى لا إله إلا هو الملك... إلخ. أى هو وحده المتصرف فى كل شىء، شديد التنزه عما يقوله المبطلون... إلخ.

﴿لَا تَتَخَذُوا﴾: الخ. انظر الآية (٢٨) من سورة آل عمران صفحة ١٧ والآية (١١٨) من سورة آل عمران أيضًا صفحة ٨٢، والآية (٥٧) من سورة المائدة صفحة ١٤٨.

﴿عدوى﴾: يطلق العدو على الواحد والكثير.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرُوحِكَ﴾: الآية (١١٧) من سورة طه صفحة ٤١٧. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٣٨٨.

﴿تلقون إليهم﴾: يتلقون بالمودة؛: الباء تدل على أن ما بعدها سبب لما قبلها والمعنى: تلقون إليهم أسرار المسلمين بسبب ما بينكم وبينهم من مودة، انظر الآية (٢٦) من سورة المجادلة صفحة ٧٧٨، ٧٢٩. وقال بعضهم المعنى: لا توصلوا إليهم المودة والباء كالباء في ﴿وَلَا تَقْتُلُوا بَنِيكُمْ﴾ إلى التهلكة الآية (١٩٥) من سورة البقرة صفحة ٢٨.

﴿يخرجون الرسول﴾: انظر شرح الآية (٤٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٧.

﴿إِنْ تَوَمَّنَا﴾: أى لأجل كراهتهم إيمانكم، انظر الآية (٤٠) من سورة الحج صفحة ٤٢٩.

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾: هذا شرط، جوابه. ﴿لَا تَتَخَذُوا عَدُوًّا﴾ المتقدمة، ونظير ما هنا ما

في الآية (٣٥) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧ مع الآية (١١١) من نفس السورة صفحة ١٨١.

﴿إِنْتِغَاء﴾: أى طلب.

﴿مَرْضَاتِي﴾: أى رضائي.

﴿رساء السبيل﴾: أى الطريق المستوى وهو الطريق الحق البعيد عن العقبات، انظر الآية

(١٠٨) من سورة البقرة صفحة (٢١).

﴿وَيْشْفِقُكُمْ﴾: المراد: يشفقوا بكم، انظر الآية (١٩١) من سورة البقرة صفحة ٣٧.

والآية (٥٧) من سورة الأنفال صفحة ٣٥.

المعنى: نزلت هذه السورة في ما حصل من حاطب بن أبى بلتمه (بفتح الباء وسكون اللام، وفتح التاء) وهو من المهاجرين، عندما نجاة سارة، وهى امرأة فقيرة من مكة تشد نفقة.

أَتَكْفُرُ بِالْبَرَاءَةِ الْمَصْرُورَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَكْنِيَّةِ بِسَبْحِ
لَهُ رَبِّهِ الشُّكُوبِ وَالْأَرْضِ وَمَوْلَاهُ الْعَمَلُ

(١٩) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ
وَأَسْأَلُكَ بِكَرَامَتِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَدُوًّا وَعَدُوًّا لِرَبِّكُمْ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَذَكَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ
مُخْرِجُونَ الرُّسُلَ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
خَرَجْتُمْ جِهًا فِي سَبِيلِ وَإِنْتِغَاءَ مَرْضَاتِي فَرِيدَ إِلَيْهِمْ
بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَنَسِيتُمْ
بِكُرْهٍ قَدْ خَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَتَّقُوا بِكُرْهٍ

المفردات: ﴿والخائف﴾: يطلق الخائف في لغة العرب على معنيين: الأول بمعنى المنشئ، والثاني بمعنى المقدر للأشياء على مقتضى ما يريد من الحكمة وما هنا من الثاني، انظر الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

﴿البارئ﴾: أى الموجد للأشياء؛ فهو بمعنى الخالق بالمعنى الأول.

﴿المصور﴾: أى المشكل الموجود في آخر مراحلها بالصورة التى قدرها له، انظر الآية (٦) من سورة آل عمران صفحة ١٣ والآية (١١) من سورة الأعراف صفحة ١٩٣.

﴿الحسن﴾: مؤنث الأحسن، لأنها تدل

على معان في مفتهى الحسن: من تعصيد، وتقديس، إلى غير ذلك.

المعنى: هو الله سبحانه وتعالى المقدر للأشياء في الأزل، الموجد لها حسب ما قدر، المشكلها على هيئات مختلفة تتميز بها. له الأسماء العسنى. يسبح له ما فى السموات والأرض وهو سبحانه العزيز الحكيم.

سورة الممتحنة

المفردات: اللاتق أن تكتب (الممتحنة) بثلاث فتحات للناء والياء واللون؛ لأنه هو المناسب لآية (١٠) من هذه السورة صفحتي ٧٣٦، ٧٣٧.

- (١) الخالق.
- (٢) السموات.
- (٣) أموا.
- (٤) جهاد.

فعدنما أرادت الرجوع إلى مكة لقيها حاطب وأعطاه عشرة دنائير، أجر توصيل كتاب لكتاب قريش وكان في هذا الكتاب (من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: إن رسول الله ﷺ يريد غزوكم فخذوا حذرکم) فأخبر جبريل رسول الله بذلك فأرسل ﷺ علياً وعماراً وجماعة من المسلمين ليلحقوا بها فبأخذوا الكتاب قبل أن يصل إلى أبيدي كفار قريش، فلما لحقوا بها واستردوا منها الكتاب، طلب رسول الله ﷺ حاطباً وسأله: ما حملك على ذلك؟ فقال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن كنت رجلاً غريباً في قريش، ولئى أهل بينهم أخشى عليهم منهم، وغيرى لهم قرابات أقوياء يعمون بها أولادهم وأموالهم فأحببت أن أقدم لقريش يداً أحمى بها قرابتي مع علمى بأن الله تعالى سينزل بهم عذابه وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئاً؛ فصدقه الرسول وقبل عذره لأنه ممن شهدوا بدرًا.

ونزل في ذلك: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء. أى إنصاراً موالين، ثم قسر هذه الموالاة بقوله: تلقون إليهم بالمودة. أى تبلغونهم أسرار المسلمين بسبب ما تظهرونه لهم من المودة.

ثم ذكر سبحانه شيئين يمنعان هذه المودة:

– الأول كفرهم بالقرآن.

– والثانى تسبيهم فى إخراج الرسول، وإخراجكم أيها المؤمنون من مكة، لا لشيء إلا لأنكم تؤمنون بالله والرسول.

ثم زاد من تخرييضهم على المقاطعة بقوله: (إن كنتم خرجتم) .. إلخ. أى إن كنتم خرجتم للجهاد فى سبيلى وطلب رضائى، فلا توالوا أعدائى وأعدائكم الذين أخرجوكم من دياركم. ثم خوف من مودتهم فقال: (تسرون) .. إلخ. أى تبلغون المشركين خفية أسرار المؤمنين بسبب المودة التى تريدون عقدها بينكم وبينهم. وأنا يستوى فى علمى ما تخفون وما تكتنون، ثم هدهم فقال: (ومن يفعل) .. إلخ. أى ومن يفعل هذه الموالاة، ويبلغ أخبار الرسول لأعدائه، فقد ضل الطريق المستقيم، ومآله جهنم. ثم ذكر بعض ما يحل على عدم الموالاة فقال: (إن يتفوقكم) .. إلخ. أى إن يتمكن منكم هؤلاء الكفار يكونوا لكم أعداء..

لَكَرَّ أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكَ أَيْدِيهِمْ وَالسَّبَّحُ بِأَسْمَاءِ
وَوَدَّ أَنْ تَكْفُرُوا ۖ كَنْ سَمْعَكَ أَرْحَامَكَ وَلَا
أُولَدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ
يَصِيرُ ۖ قَدْ كَانَتْ لَكَ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَمْسَكُ وَمَا نَعْبُدُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا لَكُمْ وَيَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعُدَّةُ
وَالْقِتَاءُ أَمَّا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ أَلاَ أَقُولُ لَكُمْ
لِأَيِّهِ لَأَسْتَفْزِنَنَّ أَلكَ وَمَا أَتَمَّكَ أَلكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ فَنِي
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلْنَا رَجُلًا مِّنَ
أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ۖ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِيمَ أَسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَنَزَّلَ

المفردات: ﴿يسطوا﴾: أى يمدوا.

﴿إبراهيم﴾: المراد به ما يسوء مما

يحصل باليد: كالقتل والضرب، أو بالسنان:

كالشتم والسب.

﴿ودوا﴾: أى تمنوا.

﴿لو تكفرون﴾: (لو) حرف يجعل ما بعده

مصدراً، أى كفركم.

﴿أرحامكم﴾: أى أقاربكم الذين يجمعكم

ولياهم رحم قريب.

﴿يفصل بينكم﴾: أى يفرق الله بينكم

وبينهم يوم القيامة فيأتى كل فرد أمام الله

منفرداً، فلن ينفع أحد أحداً شيئاً. انظر الآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨، والآية (٩٥)

من سورة مريم صفحة ٤٠٥، والآية (٢٤) وما بعدها من سورة عيسر صفحة ٧٩٣.

﴿أسوة﴾: أى قدوة.

﴿والذين معه﴾: نقل الألبوسى والطبرى وغيره أن المراد من (الذين معه) هم الأنبياء الذين

جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام، وتبرعوا من أقوامهم الذين عبدوا الله ويكون المعنى: لكم أيها النبى وأمتك أسوة فى إبراهيم والأنبياء فى أن تتبرعوا من كل ما عبد من دون الله: لأن

(١) أولادكم.

(٢) القيامة.

(٣) إبراهيم.

(٤) براء.

(٥) العداوة.

(٦) إبراهيم.

(٧) يرجو.

(٨) الآخر.

ثم بين السبب في عدم هذا النفع بقوله: "يفصل بينكم". أي يوم القيامة يفرق بينكم وبين اهليكم وأولادكم المشركين، فلا ينفع أحكم الآخر. ثم هدد بقوله: "والله بما تعملون بصير". أي سيجازيكم عليه خيراً أو شراً.

ثم أكد ما تقدم من عدم مولاة الكافرين بأمرهم بالاعتداء بأنبيهم إبراهيم، فقال: "قد كانت لكم أسوة". إلخ. أي قد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام وفيمن معه من المؤمنين حين قالوا لقومهم الكافرين: "إنا أبراء منكم ومما تعبدون من دون الله".

ثم بين نتيجة هذه البراءة بقوله: "كفرنا بكم، أي جحدنا ما بيننا وبينكم من المودة، وبرزت بيننا وبينكم العداوة، ولو استطعنا قتالكم لقاتلناكم، وكرهناكم، فلا محبة بيننا وبينكم أبداً إلى أن توفوا بالله وحده. فإن آمنتم تصافينا".

ثم استثنى من القدوة المأمور بها وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار فقال: "إلا قول إبراهيم لأبيه... إلخ. انظر الآية (٤٧) من سورة مريم صفحة ٤٠٠، ٤٠١. أي لكن ليس لكم أن تجاملوهم وتظهروا لهم الرأفة كما فعل إبراهيم عليه السلام؛ لأنه لم يكن قد تبين له حال أبيه كما تبين لكم حال أهلكم، ولذلك رجع عنه إبراهيم عليه السلام، وأعرض عن نصحه. انظر الآية (١١٢) من سورة التوبة صفحة ٢٦١. وقال إبراهيم لأبيه بعد الاستغفار: وما أملك... أي ليس في وسعي أن أنفك بأكثر من الاستغفار".

وقال إبراهيم ومن معه: ربنا اعتمدنا عليك، ورجعنا بالتوبة إلى ما تعب، ونقر بأن مرجعنا يوم القيامة إليك. وقالوا أيضاً: يا ربنا لا تجعلنا سبب فتنة للذين كفروا. أي باعد بيننا وبين مصيبتك حتى لا يتبعنا الكفار في العصيان، وانقر لنا ما قد يقع منا من الهفوات. إنك أنت الخالق الذي لا يغال، الحكيم فيما يفعل. ثم رغب سبحانه في الاعتداء بإبراهيم بصورة أخرى فقال: (لقد كان لكم)... إلخ. أي لقد كان لكم يا أمة محمد قدوة حسنة في إبراهيم ومن معه، هذه القدوة نافعة لمن كان يرجو ثواب الله والنجاة في اليوم الآخر. ومن يعرض عن أوامر الله والاعتداء بخيله صلوات الله عليه، فلن يضُر إلا نفسه، والله تعالى أعلم.

إبراهيم عليه السلام خرج من العراق ولم يكن معه أحد مؤمن سوى زوجته، سارة ولوط وبناته، انظر الآية (٢١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤، والآية (٨٢) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، والآية (٢١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٤.

﴿إبراء﴾: جمع برى. بوزن ظريف وظرفاء.

﴿كفرنا بكم﴾: المراد: أنكرنا تصرفكم وقاطعناكم.

﴿بدا﴾: أي ظهر. ﴿العداوة﴾: المراد: المعاداة الفعلية بأن يحارب كل منا الآخر.

﴿اليفضاء﴾: هي الكره القلبي.

﴿إلا قول إبراهيم﴾: (إلا) بمعنى (لكن) وهي تنيد الاستثناء المنقطع من (أسوة حسنة).

﴿لأبيه﴾: أزر. انظر الآية (٧٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٤.

﴿ومن شئ﴾: (من) تنيد النص على عموم نفي ما بعدها.

﴿أنابنا﴾: أي رجعنا بالتوبة، والعمل الصالح.

﴿لا تجعلنا فتنة﴾: إلخ. أصل الفتنة الاختبار، وأريد بها هنا: المغتتن به، أي لا تجعلنا سبب فتنة للكافرين بأن تقع في معصية فيزداد ضلالهم تقليداً لنا.

والمؤمن الصادق يطلب من ربه أن يكون إماماً في الخير فقط، كما في الآية (٨٥) من سورة يونس صفحة ٢٧٩، والآية (٧٤) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨.

﴿يرجو الله واليوم الآخر﴾: أي يرجو رضا الله وثواب الآخرة.

المعنى: أن يظفروا بكم يظهرها لكم العداوة، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والضرب، واستنهم بالنسب والشتم، وفتنوا كفركم. ثم ذكر أن ما جعلوه سبباً لمودة الأهل لا يجوز أن يقدم على مصلحة الدين، فقال: "لن تنفعكم أرجاكم ولا أولادكم الذين تولون المشركين لأجلهم؛ قس دفع شئ من العذاب عنكم يوم القيامة إن عصيتم الله".

﴿بأفواههم﴾: أى يقولهم فيه إنه سحر وشعر.. إلخ.

﴿بألهدى﴾: المراد به: القرآن البالغ النهاية فى الهداية، حتى أصبح كأنه الهدى نفسه، انظر الآية (١٨٥) من سورة البقرة صفحتى ٣٥، ٣٦.

﴿دين الحق﴾: من إضافة الموصوف لمسته، فالمراد: الدين الحق، كقولهم مسجد الجامع، أى المسجد الجامع للناس.

﴿ليظهره﴾: أى ليعليه بقوة الحجة وسلامة التعاليم.

﴿هل أدلكم﴾: استفهام أريد به: هل أريكم على قبول ما يقدمه.

﴿تجارة﴾: المراد مقابلة شئ بشئ كالتجارة، انظر الثمن والمثمن فى الآية (١١١) من سورة التوبة صفحة ٢١١.

﴿تؤمنون﴾: هذا خبر فى معنى الطلب، أى آمنوا وجاهدوا.. إلخ. وجاء بالطلب فى صورة الخبر للترغيب فيه حتى كأنهم سارعوا إلى تحصيل المطلوب فصح الخبر عنه. ﴿أموالكم وأنفسكم﴾: جاء هذا الترتيب على سبيل الترقى من الجهاد بالافاضل إلى الأفضل.

﴿يفتقر لكم﴾.. إلخ: جزم الفعل لأنه واقع فى جواب الطلب المفهوم من ﴿تؤمنون﴾ كما تقدم.

المستنى: وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم، حال كونى مصدقا للتوراة التى جاءكم قبلى على يدى موسى، ومبشرا برسول يأتى من بعدى، أبرز صفة له أنه كثير الحمد لربه، فلم يصدقوه، وأنكروا رسالته. فلما جاءهم بالمعجزات القاطمة بصدقه، لجؤا فى العناد وقالوا: هذا الذى جئت به سحر واضع، ورب قائل يقول: هل فى الإنجيل الذى يأبى النصارى اليوم ما يدل على هذا الوصف؟ تقول: إنه - مع أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا فى القرآن أنهم بدلوا وغيروا فيه، ومن ذلك أنهم أثبتوا فيه أن المسيح عليه السلام صليبه خصومه، والقرآن يقطع بكتب ذلك - مع كل هذا فقد فلت منهم رغم أنوفهم ما يدل على ما هنا. فقد جاء فى إنجيل يوحنا فى الفصل الخامس عشر ما يأتى: ﴿قال يسوع المسيح: إن - النار قليب - روح الحق الذى يرسله ربي، يعلمكم كل شئ﴾. وقال فى الفصل المتقدم أيضا: ﴿قال المسيح: من يحبني يحفظ كلمتي..﴾ (أبى) أى ربي يحبه. كلمتكم بأنى لست عندكم بمقيم، (والنار قليب) روح القدس الذى يرسله ربي هو يعلمكم كل شئ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم). وقال المسيح أيضا: (إن خيرا لكم أن انطلق؛ لأنى إن لم

أذهب لم يأتكم النار قليب، فإذا جاء يبيع العالم على الخطيئة. وإن لى كلاما كثيرا أريد قوله لكم، ولكنكم لا تستطيعون حمله. لكن إذا جاء روح الحق - ذلك الذى يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى، ويعرفكم جميع ما للرب).

و(النار قليب) فى اللغة القديمة لفظ يفيد معنى الجحيم، وقد فسره بعض النصارى (بالجحيم) بتشديد الميم، وهو الذى يصعد كثيرا. وهذا هو معنى (أحمد) المتقدم. وانظر مع هذا الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفحتى ٢١٧، ٢١٨. وبعدها ذكر سبحانه وتعالى ما حصل من قوم موسى وقوم عيسى وإنكارهم الآيات الدالة على صدق رسلهم، كما فعل الكفار فى عصر النبى ﷺ أراد أن يبين شناعة جرمهم فقال: ومن أظلم ممن افترى.. إلخ. أى لا أحد أشد ظلما ممن اختلق على الله كذبا وقال إن له ولدا أو شريكا، أو أنه لم يرسل محمدا رسولا، والحال أن الرسول يدعوهم إلى الاستسلام والخضوع لله الواحد القهار. والله لا يهدى القوم الظالمين.

ثم ذكر بعض جزائهم من الاجتهاد فى معارضة القرآن وتعاليمه فقال متهمكما بهم، وسأخرا من عقوبتهم: (يريدون).. إلخ. والمراد: تمثيل حالهم واجتهادهم فى إبطال ما جاء به القرآن بحال من يفتخ الشمس بشمه ليطلق ضوئها فيعمون ذلك والحال أن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

ثم بين سبحانه ما يؤيد هذا القول فقال: هو الذى أرسل رسوله.. إلخ. أى بالقرآن الهادى إلى الطريق المستقيم، وبالدِّين الذى أبعده بالعبادة على كل الديانات، ولو كره المشركون.

وبعدما نفى سبحانه المؤمنين عن أن يكونوا مثل قوم موسى فى التخاذل وعدم القتال، أو قوم عيسى فى العصيان.. رغبهم سبحانه فى الجهاد بالمال والنفس فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة رابحة، ثم بيّنها بقوله: ﴿تؤمنون﴾.. إلخ. أى تضمنوا إلى إيمانكم القوى الجهاد بأموالكم، بل حتى بأنفسكم التى هى أعز من الأموال.. فى سبيل إعلاء كلمة الله ونصر دينه، ذلك المذكور من ضم الجهاد إلى الإيمان خير لكم مما تبدلوه من الأموال والأنفس؛ لأن ثمرته نعيم دائم، والمبال والأنفس عرض زائل، إن كنتم من أهل العلم الصحيح الذى يفرق البصر به بين النافع والضار. فافعلوا ما طلبته منكم، ثم ذكر جواب الأمر وفيه بيان للموض عن المال والنفس فقال: ﴿يفتقر لكم دنوبكم ويدخلكم جنات﴾.. إلخ.

﴿ظاهرين﴾: أي غائبين.

﴿يسبح الله﴾: يترجمه سبحانه عما لا يليق به. انظر الآية (١) من سورة الحديد صفحة ٧١٨.

﴿الملك القدوس﴾: أي المنزه كثيراً عما يقول الكافرون. انظر شرح الآية (٣٢) من سورة الحشر صفحة ٧٢٢.

المعنى: ويدخلكم ربكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار. ومساكن طيبة في جنات عدن. ذلك النعيم هو الفوز العظيم. ولكم عند ربكم - فوق ما دكر من النعيم - نعمة أخرى تحبونها: لأنها تشفي صدوركم مما عانيتموه من كيد الكفار. تلك النعمة هي نصر من الله تعالى لكم على أعدائكم. وفتح قريب لم يهد له مثيل في التاريخ، إذ لم يستقر ويتشرب مبداً أو دين في مثل هذا الوقت القليل. ويشر أيها النبي المؤمنين بذلك.

وهذه إشارة منه سبحانه وتعالى إلى أنه لا بد من تحقق هذا النعم. وقد حصل. ثم أرشد سبحانه أتباعه رسولاً، بأن يكونوا كأهم أنصار له، ولا يشركوا كما أشركوا أمية عيسى، فيعمل بهم ما حل بضم عمسى منهم. فقال: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، كونوا أنصار دين الله كما كان العواريون أنصار دينه حين قال لهم عيسى: (من يكون جنداً لي متوجهاً معي إلى نصرته دين الله؟) قال العواريون: نحن جميعاً أنصار دين الله معك. وتخاذل آخرون. وبذلك آمنت طائفة من بني إسرائيل بهيمسى، وقالوا إنه عبيد الله ورسوله. وكرة ربنا طائفة به وهى اليهود. فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فصاروا غائبين بالكثرة والقوة.

﴿سورة الحج﴾

يأتى بتزيه الله عن كل ما لا يليق. كل ما فى السموات وما فى الأرض؛ لأنه المتعزى رف.

وحده فى كل شىء. ولأنه شديد التزهر عن كل، تنص.

تجربى من تحبها الأشر وسكن طيبة فى جنات عدن
ذالك الفوز العظيم ﴿١﴾ وأتربى محبها نصر من الله
وفتح قريب وكبر المؤمنين ﴿٢﴾ بكاتب الأبرار أمراً
كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من
أصابعه إلى الله قل الذين آمنوا من أنصار الله فقامت
طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدوا الذين
كافروا لهم عدوهم قائم يوم يأتهم ﴿٣﴾

(٣) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَشَّرَ الْأَنْبِيَاءَ
بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسبح لله فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس

المفردات: ﴿مساكن طيبة﴾: المراد:

قصور ذات بوجه مكونة من غرف فوقها غرف. انظر الآية (٢٠) من سورة الزمر صفحات ٦٠٨، ٦٠٩.

﴿وعدن﴾: أميل المدن الإقامة، والمراد جنات خلود.

﴿وأخرى تحبونها﴾: إلخ. أى ولكم عند ربكم مثوة أخرى. هى نصر من الله.. إلخ. لأنها تشفى صدوركم مما عانته من كيد الكافرين.

﴿ويشرف المؤمنون﴾: مطوقة على قمل مقبر قبل فيها أيها الذين آمنوا المتقدمة

فى الآية (١٠)، والأصل: قل أيها النبي بآيها الذين آمنوا هل أذككم على تعبارة.. إلخ.

ويشرف المؤمنون بهذا النصر المحقق والفتح العظيم: انظر الآية (٥١) من سورة غافر صفحة ٧٢٤. والآية (٣١) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٨.

﴿كونوا أنصار الله﴾: إلخ. أى كونوا أنصار دين الله، كما كان العواريون أنصار دين الله عندما قال لهم نبيهم عيسى: من يكون جنداً لي متوجهاً معي إلى نصرته دين الله؟ قال العواريون: نحن أنصار دين الله معك.

﴿العواريون﴾: جمع حواري بتشديد الياء، وهم صفوة أتباع المسيح. انظر الآية (٥٧) من سورة آل عمران صفحة ٧١.

- | | |
|--------------|--------------|
| (١) الأنهار. | (٢) مساكن. |
| (٤) آمناً. | (٣) فاضت. |
| (٧) إسرائيل. | (٨) ظاهرين. |
| | (٩) السموات. |

﴿الكتاب﴾: يطلق الكتاب عند العرب على معان منها:

١- الكلام الذي يصح أن يكتب ولو قبل كتابته كما في الآية (٣) من سورة آل عمران صفحتي ٦٢، ٦٤، والآية (٢٧) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤.

٢- المكتوب في المصحف كما في الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣، والآية (١٤) من سورة يونس صفحتي ٢٨١، والآية (٣) من سورة الطور صفحة ٦٩٦، والآية (٧) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧.

٣- المصحف وما كتب فيها كما في الآية (١٥٣) من سورة النساء صفحة ١٢٩، والآية (١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٢٦، والآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتي ٢٨٧، ٢٨٨، والآية (٢٩) من سورة النمل صفحة ٤٩٧.

٤- المصحف المقتضب، به قضاء أزياء كما في الآية (٦٨) من سورة الأنفال صفحة ٣٣٧، والآية (٢٨) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨، والآية (٤) من سورة العنكب صفحة ٣٣٨.

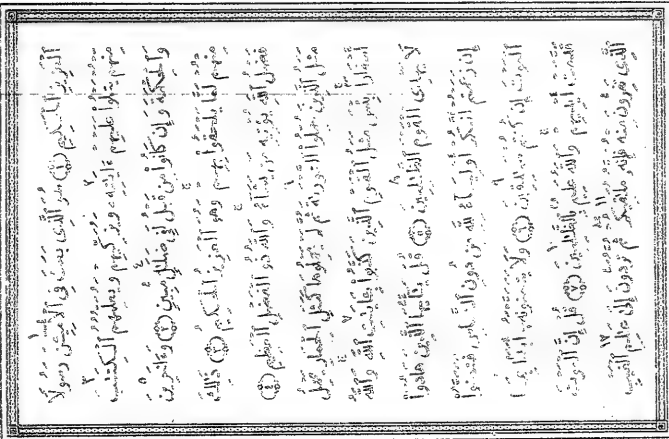
٥- المصحف المفروض شرعاً كما في الآية (٧٣٥) من سورة البقرة صفحة ٤٨ والآية (٢٤) من سورة النساء صفحة ١٠٣.

٦- اللوح المسفوظ كما في الآية (٥٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧١، والآية (٥٢) من سورة طه صفحتي ٤١٠، والآية (٧٠) من سورة النجم صفحتي ٤٤٣، والآية (٧٥) من سورة النمل صفحتي ٥٠٣، والآية (٢) من سورة سبأ صفحتي ٥٦٢.

٧- المصحف، أي الكتاب، وهي ضم السور وفي بعضها إلى بعض بالقلم كما هنا، وكما في الآية (٤٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٠. فالمراد هنا بالكتاب تعليم الخط والكتابة ليخرج العرب من الأمية، وقد نية القرآن إلى ذلك في أول آية نزلت منه إذ لما سارع ﷺ إلى تحقيقه عقب غزوة بدر مباشرة حيث جعل فداء كل أسير يعرف القراءة والكتابة تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة.

﴿المحكم﴾: العلم الصحيح ومعرفته أضرار الأشياء.

﴿وإن كانوا﴾: الأصل وإنهم كانوا.



المفردات: ﴿العزير الحكيم﴾: تقدم في

صفحة ٧١٨.

﴿في الأميين﴾: جمع أمي. وهو الذي

لا يكتب والمراد من بينهم، وقال سبحانه في الأميين ولم يقل للأميين: لأن المراد هنا أنه سبحانه أرسله من بينهم، ولو قال للأميين

لكان رسولا لهم فقط مع أنه مرسل للناس كافة بأدلة أخرى كثيرة، انظر الآيات (١٩)

من سورة الأنعام صفحتي ١٦٤، ١٦٥ و (١٥٨)

من سورة الأعراف صفحة ١٥٨ و (٢٨) من

سورة سبأ صفحة ٥٦١.

﴿منهم﴾: المبراد منهم نفسياً أي من

عصيتهم وليس من بينهم فقط؛ لأنه قد يكون

من بينهم وليس من عصيتهم كلوط عليه السلام، انظر الآية (١٢) من سورة ق صفحة ١٨٩.

والمراد: لنت نظر العرب إلى أنهم يعرفون أمانيته وصديقه فكان يجب أن يكونوا أول الناس إياه أنا به، انظر الآية (١٦) من سورة يونس صفحة ٢٨. ثم كونه منهم نسبي، كان آدمي لهم أن يفسحوا به على اليهود لأن يحاربوه، انظر الآية (١٧٨) من سورة التوبة صفحة ٢١٤، وفي الكلام حدث للعرب على المسارعة إلى الإيمان بهذا الرسول الذي جاءهم بما فيه شرفهم فهو

نظير ما في الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، والآية (٤٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١. ﴿فإنه﴾: أي آيات القرآن، انظر الآية (١) من سورة النمل صفحة ٤٩. ﴿فذكرهم﴾: أي

يظهرهم من خباثت العقائد والأعمال.

(١) الأمين.	(٢) آياته.	(٣) الكتاب.
(٤) ضلال.	(٥) آخرين.	(٦) التوراة.
(٧) بنيات.	(٨) الظالمين.	(٩) صادقين.
(١٠) بالظالمين.	(١١) ملائكم.	(١٢) عالم.

الرسول لشي ضلال ظاهر من الشرك وخيانة الجاهلية. كما بحث رسوله إلى عرب آخرين لم يلقوا الصالحين في الإيمان إلى الآن. وسيلحقونهم فيما بعد إلى يوم القيامة، وإنما خص الكلام هذا العرب لما علمت فيسبق وتويع اليهود على دعواهم أنهم شعب الله المختار. وهو سيحجانه العزير القادر الذي لا يهجز عن تمكين رسوله من هذا الأمر الخارق للعادة. الحكمي في اختيار رسوله، ويطلبه ما لم يكن يعلم. انظر الآية (١١٢) من سورة النساء صفحتي ١١١، ١٢٢. هذا الفصل الرفيع المنزلة الذي ناله الرسول الأكرم هو فضل الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده الذين ينام صلاحتهم له، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحتي ١٨٢، ١٨٣. وأما صاحب الفصل العظيم ولما سمع اليهود ذلك قالوا: إن محمداً لم يبعث إلا أنزل خاصة. أما نحن فلا نأله أبناء الله وأحياءه لا يرسل لنا إلا رسولاً منا. وإن تؤمن إلا بها أنزل على رسولنا، انظر الآية (٩١) من سورة البقرة صفحتي ١٨، ١٩ وقد سبقناهم بأنهم لم يهملوا التوراة التي أنزلت عليهم، وفيها أنه سيأتيهم نبي أمي من المربية انظر الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفحتي ٢١٧، ٢١٨. مثلهم في حمل التوراة ونسب الانتماء بها كمن في الحسنة التي التي يحمل الكتاب الجبار ولا يقتضيه بها. ونحن مثل الخوف الذين كذبوا: أنزل الله الدالة على صدق الرسول.

والله لا يهدي كل طائفة إلا ما يشاء ولا يهدي إلا ما يشاء. ثم روي أنهم (رضي الله عنهم) أنزل الله وأحياءه) بأمره أنه ﷺ أن يقول: يا أيها اليهود إن زعمتم أنكم أبناء الله من دون الناس فتقروا الموت ليبرحكم من دار الدنيا إلى دار الآخرة. إن كنتم من لدوني في شيء من ذلك فليكن ذلك. وأخير سيحجانه بما سيكون منهم في دار الآخرة. وفيه قوله: الخ. أي ويصدقون أن يزعموه في شيء ما قدمت أيديهم من الكفر والله سرورهم في دار الآخرة. والله الذي تصبر في الدنيا، لا يقبلها واحدة منهم إلا قبل ردة. وإذا لم يردوا واحد منهم هذا الذي أتيتهم به من لا يقبله ﷺ، انظر الآية (٤٧) من سورة البقرة صفحتي ١، ٨. والآية (٨٩) من سورة البقرة آية (٩١) صفحتي ١٧، والآية (٤١) من سورة البقرة كذلك صفحتي ١٨، ١٩. فهاذا كالمه بالهالة في الآية (٩١) من سورة آل عمران صفحتي ٧٢. والله تعالى يعلم بالظالمين فيجوزهم بالجهنم. ثم قال: وأوردون حسرة فأمر نبيه أن يقول لهم: إن هذا الموت الذي أتيتهم به هو لا شيء لكم قاتلاً، ثم أوردون إلى عالم الغيب، والشرية الذي يمتد، في عالمه الله الغيب والآخر. الخ.

فواخرين: أي وبغته إلى آخرين ممن آمن بعد ذلك إلى يوم القيامة.

فمنهم: أي من الأميين، وهؤلاء الآخرون هم الذين جاءوا من العرب إلى يوم القيامة وأمنوا به ﷺ بدليل قوله تعالى: ولما يلقوا بهم فإن (لما) تدل على أنهم سيعتقون بهم في الإيمان. ولما يلقوا بهم: (لما) حرف يدل كما ذكرنا على عدم حصول ما بعده إلى زمن التكلم وعلى أنه سيلحق قطعاً. فليعتقوا بهم: أي في الإيمان، والمراد: أنهم لم يلقوا بهم في الإيمان إلى الآن ولكن سيعتقون بهم فيما بعد.

فذلك: أي هذا الشيء الرفيع المنزلة، وهو تفضيل الرسول ﷺ وقومه، وجعلهم أئمة فاتحين بعد أن كان العرب أتباعاً.

فمثل: أي صفة. فوالذين: هم اليهود. فحملوا التوراة: أي علموها وكثروا العمل بها.

فلم يحملوها: أي لم يعملوا بها. فأسفارا: جمع سفر بكسر فسكون، وهو الكتاب الذي يستر أي يكشف عن حقائق ما فيه. والتورين للتخمين ليدل على أنها أسفار كبار.

فوادوا: أي ضاروا يهوداً، انظر الآية (١٢) من سورة البقرة صفحتي ١٢، ١٣.

فأولياء الله: المراد أحياءه، انظر الآية (١٨) من سورة المائدة صفحتي ١٣٩، ١٤٠.

فخففوا... الخ: تقسم كل ذلك في الآية (٩٤) وما بعدها من سورة البقرة صفحتي ١٨، ١٩.

فوما قدمت أيديهم: متعلق بالفتنة، المقصود من (لا) أي انتهى، ثم يهيم الموت بسبب ما قدموا من الأعمال الخبيثة، انظر تعلق البناء بالفتنة في الآية (٢٩) من سورة الطور صفحتي ٦٨، ٦٩.

فوالغيب: هو كل ما غاب عنا.

المعنى هو سيحجانه وحده الذي أرسل إلى العرب الأميين رسولاً من أنفسهم وأمثا مثلهم، ومع ذلك يتلو عليهم آيات كتاب الله. ويظهرهم من أئداس العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، ويطلبهم الكتابة والقراءة ليمعرو صفة الأمية الدالة على الجهل ليسألوا ركب الصحابة ويطلبهم أيضاً السلم النافع ومعرفة أسرار الأشياء فيستفيدوا، ويفيدوا. ثم أشار إلى سبب شدة احتياجهم إلى من يرشدهم إلى ذلك فقال: وإن كانوا... الخ. أي وأنهم كانوا من قبل مجيء هذا

﴿تَجِيكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: قال ابن عباس: كان عبد الله بن سلول جسيماً سليماً، وكان بعض المنافقين مثله.

﴿تَسْمَحُ لَتَوَلَّيْهِمْ﴾: أي تَجِيكَ طائفة أساليبهم لفصاحتهم.

﴿كَانَهُمْ خَشَبٌ مَسْنَدٌ﴾: أي كالخشب المسند على الحائط أشباح ضخام بلا أرواح ولا علم ولا تفكير.

﴿يَحْسِبُونَ﴾: أي يظنون.

﴿كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: المراد: صيحة أي صوت مرتفع. ولو كان للبحث عن مفقود، أو لإدراك دابة انطلقت مثلاً. يخوفهم من ظهور فضائلتهم، انظر الآية (١٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥١.

﴿هُمْ السُّدُودُ﴾: أي هم أشد أعدائك كأنه لا عدو غيرهم.

﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ﴾: قال البيضاوي: ﴿قاتل﴾ هنا مراد بها لعن وطرد، والمراد: لعنهم الله وطردهم من رحمته. (أنى: أي كيف).

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: أي يصرفهم الشيطان عن الحق والصواب.

﴿لَوْ لَوْ رَعَوْهُمْ﴾: المراد: صرفوا وجوههم عن القائل علامة على الإعراض عن كلامه، وهذه عادة الكافر المصمم على الكفر، انظر الآية (٧) من سورة نوح صفحة ٧٨.

﴿يُؤْمِدُونَ﴾: أي يعرضون عن القائل، ويمنفون أنفسهم عن الاستغفار.

﴿لَا تَنْفَعُوا﴾: أي يقول زعماء المنافقين لأهل المدينة: لا تنتفخوا على فقراء المهاجرين.

المنفرون: إذا جاء مجلسك أيها النبي المنافقون مقسمين على أنهم يعتقدون أنك رسول الله. ومع أن الله يعلم أنك لرسوله حقاً فلا تصدقهم؛ لأن الله يعلم أنهم كاذبون في ادعائهم أن باطنهم يوافق ظاهريهم. والذي جراحهم على هذا الكذب أنهم جعلوا إيمانهم وقاية من كل شر قد يصيبهم من جهة المؤمنين كالقتل ومصادرة الأموال. وبواسطة هذا الاستتار وراء الإيمان الكاذبة أمكنهم أن يصتدوا عن دين الله بعض من كان يريد الدخول فيه. إنهم قبح ما استمروا

على ارتكابه من النفاق وتوابعه. هذا الحال الذي هم عليه من الجرائم بسبب أنهم تمرنوا على إظهار الإيمان عند الخوف. ثم إظهار الكفر عند عدمه. انظر صفحات ٤، ٥. فخيّل بين قلوبهم وبين قبول الإيمان. فصاروا لا يدركون حقيقة الإيمان وفوائده.

ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين يجمعون بين جمال المظهر الذي ضلوا به بعض البسطاء، وبين قبح الباطن فقال: وإذا رأيتم تعجب أجسامهم.. أي لجمالها وقوتها. وإن يتحدثوا تصغى إلى حديثهم لفصاحتهم وطاولة أسلوبيهم. ولكنهم في الحقيقة كالخشب المسند على الجدران. أي أشباح ضخام بلا أرواح ولا علم عندها ولا تفكير ينبغ. وهم أيضاً مع هذه الضخامة والفصاحة في منتهى الجبن. يستولى عليهم الذعر إذا سمعوا أي صوت يظنون مظاهر فضيحة فضحتهم الله بها فتتق عليهم المصائب، انظر الآية (١٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥١. هؤلاء هم أشد أعدائك أي النبي فاحذر شرهم؛ لأن أنكى الأعداء ما كان بين جنبيك. حقت عليهم لعنة الله وأقصاهم من مجال رحمته. ثم لفت الأنظار إلى التعجب من حالهم فقال: أنى يؤفكون. أي كيف يصرفهم الشيطان عن الحق مع ظهوره إلى ما هم فيه من الكفر والنفاق.

ومن شدة عنادهم التي جرأتهم على الجرائم أنهم إذا قال لهم ناصح: تعالوا نذهب إلى رسول الله نطلب منه أن يستغفر الله لكم ما حصل منكم بعد أن تنوبوا. أظهروا الإعراض. يصعدون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الذهاب إليه ﷺ. ثم أراد سبحانه أن يقطع الأمل في غفران دنوبهم لأن الفساد أثلث قلوبهم. فقال: سواء... إلخ. أي استغفارك أيها النبي وعدمه مستويان في عدم النفع؛ لأن سنة الله أنه لا يهدي المصيرين على الخروج على أوامره انظر الآية (٢١) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧. والآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٨، ثم ذكر سبحانه جريمة أخرى لهم فقال: هم الذين يقولون لا تنتفخوا... إلى آخر ما تقدم في شرح أول السورة.

المفردات: ﴿الأعر﴾: أي الأقوى عزة وهي القوة والصلوة. يريدون أنفسهم، انظر شرح الآية (١٨٠) من سورة الصافات صفحة ٥٩٧.

﴿الأذل﴾: أي الأشد ذلة. يريدون المهاجرين لأنهم غرباء في زعمهم عن المدينة.

المدينة، قال رأس المنافقين عبد الله بن سلول ومن تبعه لبعض أهل المدينة: لا تتقوا على المهاجرين الماتين حول محمد حتى يفيضوا من حوله، فتتكسر شوكته، فأبطل سبحانه كيدهم ببيان أن خراش الأوراق بيد الله وحده، ولن يستطيع أحد أن يمنع رزقه عن أحد. ولكن المنافقين لا يدركون حقيقة مقامه سبحانه. فلذا توهّموا قاسدا.

ثم ذكر لهم جريمة أخرى أفضح من سابقتها، وهي قتلهم والده لأن رجعتا العزوة إلى المدينة لخرجن هؤلاء الغرأاء الأذلاء وهم محمد وأصحابه. ألينا أصحاب الوطن، ولنا فيه القوة والصولة. فرد سبحانه عليهم بأنه صحيح أن الأعز هو الذي يستقر الأذل، ولكن ليس عندكم شيء من العزة مطلقاً. بل هي لله يظهر بها أعداه. ورسوله فيظهر بها دينه رغم نونوكم، ولما كنتم فليتصبروا وتكون لهم الغلبة. هذا هو الواقع، ولكن المنافقين الانطماس قلوبهم لا يعلمون ذلك، ولما كان من أسباب شقاء المنافقين حرصهم على الأموال، وخوفهم من أن تصرف في سبيل الله حتى توامروا بعدم بذل شيء منها للمهاجرين. لما كان كل هذا نهى سبحانه المؤمنين عن التشبه بهم فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم.. إلخ. أي يا أيها الذين آمنتم بالله تعالى وبأن النصر بيده لا تشغلكم زينة الدنيا وقتتها عن مراقبة الله وتقيد أوامره. واعتمدوا عما يغضبوه، والفريق الذي تشغله الدنيا عن ذكر ربهم هم المخاسرون لخيري الدنيا والآخرة. وبعد هذا التحذير أمرهم سبحانه بما فيه صلاحهم فقال: وأنفقوا.. إلخ. أي وأنفقوا بعض ما رزقناكم من المال فيما أمر الله تعالى بالإنفاق فيه، من قبل أن يأتي أحدكم بمقامات الموت وهو لم ينفق فيقول: يا ربني أرجو أن تؤخر موتي مدة قصيرة بقدر ما أستدرك ما فاتني، فإنك إن سمعت بذلك حتى أبطل المال فيما يرزقك أكن من الصالحين، فلا يعزل بس غضبك. فلا يستجيب الله لهم؛ لأنه لا يؤخر نفساً إذا جاء آخر عمرها. ولا يقبل توبة عبد شاهد مقدمات الموت كما في آيتي (١٧، ١٨) من سورة النساء صفحة ١٠١.

فخافوا الله أيها الناس فني جميع أعمالكم: لأنه خبير بما تعملون وسيعاسبكم ويجزيكم عليه: قال ابن عباس رضي الله عنه: من كان له مال يجب فيه الزكاة ولم يركه، أو له مال يستطيع به العج ولم يعج، ندم عند مشاهدة الموت، وطلب المهلة. ولن يستجيب الله له. نسال الله السلافة. والله تعالى هو الموفق.

عَبْدُ رَّبِّهِ ^١لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ وَهُوَ كَرِيمٌ ^٢
وَالْأَرْضَ كُلَّهَا جَنًّا وَمَعَهُ ^٣السَّمَكُوتُ ^٤
لَيْسَ رَحْمَتَنَا إِلَٰهَ الْغَيْبِ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْهَا ^٥وَالْأَمْرُ
لَهُ يَعْلَمُونَ ^٦يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ^٧وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ^٨وَالَّذِينَ آمَنُوا عَزَّزْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَاكُمْ ^٩وَمَعَكُمْ ^{١٠}الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَّا أَجَلَ قَرِيبٍ فَأَمَدُكَ مَا كُنْتَ مِنَ الصَّالِحِينَ ^{١١}
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِعَمَلِهِ ^{١٢}

هو أوله العزة... الخ: بمعنى هذا الرد: أنه سبحانه يقول: نعم سيخرج الأذل ويبقى الأعر. ولكن الأعر ليس هو أنتم أيها السفهاء بل هم المؤمنون. والأذل هم أنتم أيها المنافقون.

ولا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴿٢٤﴾: أي لا يبتغيك حب جمع المال، وشدة تعلقكم بالأولاد عن تذكركم نعم الله عليكم الموجبة لطاعته، ومنها إيفاق المال فيما يرضيه، انظر الآية (٢٤) من سورة التوبة صفحتي ٢٤٤، ٢٤٢؛ فالمال والأولاد زخرف الدنيا وفتنتها، انظر الآية (٤٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧، والآية (١٠) من سورة القصص صفحة ٥١٥، وآيتي (١٠١، ١٠٥) من

سوره الباعين صفحه ٧٤٧. وعن ذكر الله: انظر شرح الآية (١٢) من سورة الزخرف صفحه ٦٤٨.
ومن قبل أن يأتي أحدكم الموت: المراد: مقدمات الموت.

قولاً لا: حرف يدل على طلب حصول ما بعده، ويعبر العلماء عن معناه بكلمة (هلا) بشديد اللام. وهذا الحرف يجعل العمل بعده مستقبلاً، وإن كان بلفظ الماضي فالمعنى 'أطلب أن تؤخرني'.

• **وَأَكْرَنَ** : المعنى : إن أخرتني حتى أتصدق أكر من الصالحين .

المعنى: بعدما أفاد سبحانه أن المنافقين فاسقون أراد أن يبين دليل ذلك فقال: هم الذين يقولون: الخ. وذلك أن المهاجرين تركوا أموالهم بهكة وكانوا بحاجة إلى مساعدة أهل

- (١) السموات.
(٢) أولادكم.
(٣) أولادكم.
(٤) آمنوا.
(٥) المؤمنون.
(٦) المؤمنون.
(٧) المؤمنون.
(٨) صبا.
(٩) رزقكم.
(١٠) الصالحين.

المعنى: ينادى كل ما فى السموات وما فى الأرض - بلسان الحال ولسان المقال - بتزنيه الله سبحانه عن كل ما لا يليق به. وكيف لا وهو وحده مالك التصرف فى كل ما فى هذا العالم. وله وحده الحمد؛ لأنه المنعم بكل النعم. وهو وحده القادر على كل شيء.

ثم بين سبحانه بعض آثار قدرته فقال: (هو الذى خلقكم).. إلخ. أى هو سبحانه الذى خلقكم هذا الخلق البديع المستوفى لجمع ما يهبط للكمال، ومع ذلك فمنكم من اختار الكفر مع أنه خلاف ما فطره الله عليه، كما فى الآية (٣٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤.

ومنكم من اختار الإيمان لأنه لم يفسد فطرته، انظر ما يوضح ذلك فى شرح الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٤، ٣٨٥.

ثم رغب سبحانه فى الإيمان وحذر من الكفر بقوله: والله بما تعملون بصير. أى فسيجازى كلا بعمله بالعدل.

وهو سبحانه الذى خلق السموات والأرض وما فيها مقترناً كله بالحكمة البانفة. ولم يخلقها عبثاً.

وهو الذى صوركم فأحسن صوركم حيث جعلكم أكمل ما على وجه الأرض حسناً ومعنى، ومرجعكم فى الآخرة إليه وحده ليحاسبكم على الشكر والكفر.

فاحذروا ما بغضبه. وإذا كان وحده الذى خلق العالم كله فلا بد أن يكون عالمًا به.

ويستوى فى علمه ما يسر به بعضكم لبعض وما تعلمونه. بل يعلم ما انطوت عليه صدوركم من المعانى العسنة والسيئة. وسيحاسبكم على ذلك أيضاً، انظر آيتى (١٢، ١٤) من سورة الملك صفحة ٧٥٥.

ثم اتبع هذه التحذيرات بتحذير يعلمونه مع التوبيخ على إهماله فقال: ألم يأتكم... إلخ. أى هل جهلتم أنها الكفار خبر. ما حصل للأمم قبلكم حين كفرتم بأنبيائها كقوم نوح وما بعده.

فعاقبهم الله على كفرهم فى الدنيا بالذل والهلاك. وأعد لهم فى الآخرة عذاباً شديداً.

الأم.

(١٤) سُبْحَانَ الْمَغْشَاةِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَبِالْغَايَةِ عَنَّا

يَسْجُدُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُعْلِنُونَ وَمَا تُكْتُمُونَ ۝ يَعْلَمُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ فِي غَيْبِهِ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاقٍ كَثِيرٌ ۝ مَنْ قَبْلُ قَدْ أَفْرَأَ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

«سورة التغابن»

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: «يسبج لله»: أى ينزهه

بلسان المقال، أو بلسان الحال؛ انظر

الآية (١) من سورة الجمعة صفحات ٧٤٠،

٧٤١

«فمنكم كافر».. إلخ: المراد فمنكم

من كفر ومنكم من آمن، انظر الآية

(٢٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٤،

٣٨٥ والآية (٢) من سورة الإنسان

صفحة ٧٨١.

(بالحق): المراد: خلقاً مقترناً بالحق،

والحكمة، لا لهوًا ولا لعبًا.

انظر الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١.

«أحسن صوركم»: انظر الآية (٤) من سورة التين صفحة ٨١٣.

«بذات الصدور»: أى خفايا الصدور انظر الآية (١٥٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٨.

والآية (٧) من سورة المائدة صفحة ١٣٧.

«ألم يأتكم نبياً الذين».. إلخ: تقدم فى الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة

٢٥٣.

«فذاقوا وبال أمرهم»: تقدم فى الآية (١٥) من سورة الحشر صفحة ٧٣٢.

(٣٠: ١) السموات.

فالتغابن ها هنا يدل على وقوع الغبن بين طرفين، غبن كل منهما صاحبه، وللغبن عند العرب معانٍ: منها (الجور) على حقوق الغير، كأن يلحق به ظلمًا يققسه ما يستحقه، ومنها (ما جاء في كتابي لسان العرب، والداسوس المحيط) من قول العرب: غبن فلان الشيء، (ما جاء في كتابي لسان العرب، والداسوس المحيط) من قول العرب: غبن فلان الشيء، يفتح الغين، وكسر الباء، يغبته، يفتح الباء، يوزن فرح يفرح، غيبًا يفتح الغين والياء، وغيبًا، يسكون الباء أيضًا، ومعناه: نسى الشيء، أو أغفله، أو جهله، ومنه قولهم: غيبنت حقى عند فلان، أى تسيته، ومنها (قول العرب أيضًا): غبن فلان غيره، يغبته، غيبًا، يوزن ضربه يضره ضربًا، ومعناه: مرَّ به وهو واقف أمامه، ولم يطمئن له، ولم يشعر به، وهذا المعنيان الأخيران هما اللذان هنا.

والمعنى: يوم ينسى الناس بعضهم بعضاً، فهو يوم التماسي والذهول الذي يحصل بين الناس، وهو يوم القيامة، وذلك من شدة الهول. انظر آيتى (٢٠١) من سورة الحج صيفحتى ٤٣٢، ٤٣٣، ومثلها الآيات (٨ - ١٤) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥، والآيات (٣٢ - ٣٧) من سورة عبس صفحة ٧٩٥.

فيكفر عنه سيئاته ﴿٣٨﴾ من سورة الأنفال صفحة ٣٣٢، والآية (١١٤) من سورة هود صفحة ٣٠١، والآية (٧٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨ .

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: ﴿مَنْ﴾ حرف يدل على أن ما بعده بيان له ﴿مَا﴾ هي قوله ما أصاب.

﴿لَا يَذُنُ اللَّهُ﴾: أى بجملة ومشيئته. انظر الآية (٢٢) من سورة الحديد صفحته ٣١٢.

﴿يُؤَيِّدُ قِيَمَهُ﴾: أى يؤيده له للثبات والاعتماد. انظر الآية (٢٨) من سورة الرعد صفحتى ٣٢٦، ٣٢٥.

المعنى: ذلك العذاب الذي حل بالأمم الماضية بسبب أنهم كانوا على حالة أنهم إذا جاءت رسالتهم بالتحذير بالرجوع إلى الضلالت على صديقهم أنكر كل فريق منهم رسالة رسوله وقال متعجباً: هل يصح في العقول أن يهتدوا إلى الحق بشر مثلاً. ورسَل الله لا يسمع أن يكونوا إلا ملائكة، انظر آيتي (٩٤، ٩٥) من سورة الإسراء صفحـة ١٧٧، والآيات (٣- ٧) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٢٠، ٤٢١، والآية (١٤) من سورة فصلت صفحـة ١٣١.

(الجزء الثامن والمشرور)

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَائِيهِمْ رُسُلَهُمْ وَالْيَهُودُ فَقَالُوا
أَبْرَاهِيمُ كَفَرًا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَلَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
جَبِيلٌ ﴿٥٠﴾ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ تَحْتَ الْعِزَّةِ الْمَعْبُورِ ﴿٥١﴾
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ أَنِ اعْمَلُوا لِنَفْسِكُمْ يَوْمَ الْعَمَلِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ آلِهِ
سَبِيحٌ ﴿٥٢﴾ فَتَقَابَلُوا أَفِيئَةً رَّوَدَّهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا آتَيْنَاهُمُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا لَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ نَبْعَمَلُكَ لِيَوْمِ الْبَعْثِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْعُنَايَةِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَاتُهُ
يُكْفَرُ عَنْهُ سَبْحًا وَعِشَاءً وَبَدَّخْلَهُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ حَتْمِهَا
الْأُتْرُقَ خَالِدِينَ فِيهَا أَلَا ذَٰلِكَ الْعَذَابُ الْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا آتَيْنَاهُمُ أَصْحَابَ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَقَدْ رَأَى الْبَصِيرُ ﴿٥٥﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْهُ اللَّهُ

المفردات: البينات: أى البراهين والمعجزات.

هـ أبشركم .. إلخ: الهمزة للاستفهام
الإكثارى المشرب معنى التعجب.

رويشش: لفظ يطلق على الواحد الأكثر والمراد بهم هنا النرسل.

﴿رُزِعَ﴾: الرُزْعُ ادعاء العلم، وأكثر ما يكون في الباطل كما هنا.

﴿بلى﴾: حُرف يدل على إبطال المنفى
ببله وإثبات المنفى.

والنور: هو القرآن، كما تقدم في الآية
 (١٧٤) من سورة النساء صفحة ١٢٣.

﴿أَنزَلْنَا﴾ : انظر سبب العدول عن قوله

أُنزله إلى أنزلنا في الآية (٥٣) من سورة طه صفحة ٤١٠ .

فريدم الجمعة : هو يوم القيامة، انظر الآية (١٠٢) من سورة هود صفحة ٣٩٩ . والآية (٥٠) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥ . والآية (٣٨) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٥ .

والنغاب: والنغاب بوزن النغاب، لا يكون إلا بين طرفين؛ لأن هذا الوزن (النغاب):

آخر، ويقال: تشابها، أي شتم كل منهما صاحبه، فإذا كان الضرب من جهة واحدة، فلا يقال: تضارب، وإنما يقال: ضرب فلان فلاناً.

- (١) بالبيات.
(٢) صلحا.
(٣) الانهار.
(٤) بياضا.
(٥) خالدين.
(٦) امصاب.
(٧) فامنا.
(٨) جنات.
(٩) خالدين.

ولا أدل على فساد عقول هؤلاء من إنكارهم الرسالة على البشر، وقبولهم عبادة الحجر. وبسبب خطئهم هذا كمروا برسول الله. وأعرضوا عن التأمل فيما أتوا به من البينات. فظهر سبحانه غناه عن إيمانهم. فأهلكهم. ولولا أنه غنى عنهم لما فعل ذلك، والله غنى عن العالمين فضلاً عن طاعة هؤلاء. مستحق للحمد الكثير على كل حال.

ثم بين سبحانه أهم الأسباب التي جرتهم على الكفر فقال: زعم.. الخ. أى توهم هؤلاء الكافرون أنهم لا يعيئون الله للحساب والعزاء. قل لهم أيها النبي استمعوا.

ثم أكد أنها النبي ذلك، بالحلف عليه. ليرتب عليه ما بعده، فقل لهم: وحق ربي لنبعثن. ثم ليطلب منكم سبحانه على كل أعمالكم ويحاسبكم عليها. وذلك البيث والحساب سهل على قدرة الله. فبأي وجه تتكرونها؟ وإذا كان الأمر كما ذكر بلا شك. فآمنوا أيها الكفار في مكة وخبرها بالله الذي علمت قدرته، ورسوله محمد ﷺ، والقرآن الذي أنزله الله لتتوب القلوب، والله بما تعملون من طاعة ومعصية خبير، وسيحاسبكم عليه.

قل أيها النبي سيبثكم الله بأعمالكم يوم يجمع الخلاق للحساب والجزاء. ذلك اليوم هو التماسى، يوم يغفل فيه كل مكاف عن غيره، ولا يذكر إلا نفسه من شدة الهول. وعندما خوفهم سيحانه رغبهم في التوبة فقال: ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته، أى فلا يعذبه بها، بل يضم إلى ذلك أنه يدخله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار موقنين بالخلود فيها أبداً. ذلك المذكور من النعيم هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده.

وبعدما بين سبحانه نعيم المؤمنين، بين سبحانه شقاء الكافرين ليحث النفوس بالمقارنة على الأنفع فشقَّال تعالى: والذين كفروا... إلخ. أى بالله ورسله، وكذبوا بالمعجزات التى أُنزل بها الرسل، والبراهين التى ملأ بها الكون. هؤلاء هم الملائمون لنار جهنم خالدين فيها، وبُست النهاية النار. وكان المنافقون والمشركون يضلون بسطاء بقولهم: لو كان أصحاب محمد على حق لما شردوا من ديارهم، ولما حلت بهم مصيبة. فأبطل سبحانه زعمهم بقوله: (ما أصاب) ... إلخ.

ذلك وصبر طلباً ثواب الآخرة. هدى الله قلبه لليقين فطمئن واستريح.
أى كل تمصية تصيب العبد فهو يعلم الله تعالى ورايته لحكم يعلمها. فإذا علم المؤمن

شَكَوْهُ حَلِيمٌ ۝ عَلِيمٌ الْغَيْبِ ۝ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ ۝
تُحَرِّصُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُفَضِّلُكُمْ وَلَكِنَّكُمْ رَوَيْدُهُمْ ۝ وَاللَّهُ
يُوقِئُ نَجْمَ نَفْسِهِ ۝ فَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُنْعَمُونَ ۝ إِنْ
وَاصْتَمَرُوا وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ أَخْبَرُوا لَأُنْمِكَنَّكُمْ ۝ وَمَنْ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَرْجُ عَظِيمٌ ۝ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَنصَحُوا لِأَوْلَادِكُمْ وَأَوَلَدُكُمْ فَإِنْ
لَا تَفْعَلُوا وَتَصْغُرُوا وَتَقْرَبُوا عَذَابَ
يُنَائِبِ الْيَوْمِ ۝ وَأَمَّا إِنْ مِنْ أَرْجٍ وَأَوَلَدُكُمْ عَدُوًّا
فَلَا تَوْلَيْتُمْ ۝ فَأَمَّا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْعَبِيدُ ۝
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝
يُكَلِّمُنِي عِلْمٌ ۝ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الْأَرْسُولُ ۝

وَتَوْبِهِ خَيْرٌ لَهُمْ وَالْمَغْفِرَةُ أَسْرَرٌ مَا حَصَلَ مِنْهُمْ وَعَدِمَ فَضِيلَتُهُمْ

﴿فَقِطَّةٌ﴾ : أى امتحان لكم هل يشغلكم حينهما عن الطاعات أو يحملكُم على المعاصى، انظر الآية (٧٥) وما بعدها من سورة التوبة صفحة ٢٥٤ .

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: ﴿مَا﴾ حرف يدل على أن ما بعده في قوة مصدر مسبوق بمعنى مدة فالمنفي مدة استطاعتكم، والمراد ما دمتم مستطيعين.

خيرًا لأنفسكم): المعنى: يكن ذلك خيرًا... إلخ.

يوق. نسخ نفسه. ... الخ. تقدم في الآلة (٩) من سورة الحشر صفحة ٧٣١

غيظهم على أزواجهم وأولادهم وعزموا على الانتقام منهم. ولما كان ما حصل من الأرواح والأولاد بحكم الطبيعة بعيداً عن قصد العصيان، راف سبحانه بهم فقال: وإن تعفوا... أى عن ذنوبهم فلا تعاقبوهم، ونصحتهم عن لومهم واستتروا ما حصل منهم عن الغير. فإن الله تعالى يعاملكم بالمثل تفضيلاً منه لأنه كثير المغفرة لمن تاب، رحيم بمن ندم على ما فرط منه.

ثم بين سبحانه منشأ البلاء بالأموال والأولاد فقال: إنما أموالكم وأولادكم فتنة. أى يشغلكم جبهما عن الطاعات.

قال القرطبي: (وفي الحديث: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسنة. وقال بعض السلف: العيال سوس الطاعات). انظر كيف تطل بهم المنافقون في الآية (١١) من سورة الفتح صفحتي ١٧٩، ١٨٠، والله عنده أجر عظيم خير من الدنيا وما فيها.

ولما كان الإنسان مطبوعاً على حب المال والولد، وربما قل أن المبالغة في التحذير منهما توقعه في مشقة، أراد سبحانه أن يبين أن الدين يسر لا مشقة فيه، فقال: فالتقوا الله... إلخ. أى وإذا كان الأمر كما سمعتم فالتقوا الله أيها الناس. وراقبوه في كل شيء خصوصاً فيما جعله فتنة لكم ما دمتم مستطيعين ذلك. فلا تكلّفوا أنفسكم وأولادكم مشقة يعسر عليهم حملها، انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحة ٦٢، والآية (٧٨) من سورة الحج صفحتي ٤٤٤، ٤٤٥. واسمعوا مواعظ ربكم وأطيعوا أوامره وأنفقوا مما رزقكم فيما يرضيه يكن ذلك خيراً لأنفسكم في الدارين.

ثم رغب سبحانه في الإنفاق فقال: (ومن يوق شح نفسه)... إلخ. أى الفريق الذي بقيه الله شح نفسه. أولئك هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة. وإن تنفقوا المال في الوجوه التي رغب الله فيها مع الإخلاص وطيب النفس يضاعف الله لكم جزاء ذلك، ويفغر لكم ذنوبكم، والله كثير الشكر فيعطى الجزيل على العمل القليل، حلیم لا يعجل بالمعقوبة، ويفتح باب التوبة. وهو سبحانه يستوي في علمته الغائب والحاضر، وهو الخالق الذي لا يقبل الحكيم فيما يفعل ويشرع. والله سبحانه أعلم.

﴿تقرضوا الله﴾... إلخ: المراد تنفقوا في وجوه الخير التي يرضى الله عنها، كما تقدم في الآية (١١) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾: تقدم في الآية (٨) من سورة الجمعة صفحتي ٧٤١، ٧٤٢.

المنفى:- والله بكل شيء عليم حتى القلوب وأحوالها. وأطيعوا الله فيما أمر به في كتابه. والرسول فيما يأمر به مبيناً لشرع ربه. انظر الآية (٤٤) من سورة النحل صفحة ٣٥١، والآية (٧) من سورة العنكبوت صفحة ٧٣٠، ٧٣١. فإن أعرضتم عن طاعة الرسول قلن تضروهن شيئاً: لأنه ليس عليه إلا التبليغ الواضح وقد فعله على خير وجه، وحيثن فلا تضرون إلا أنفسكم، ثم ذكر سبحانه ما يعتبر كالنتيجة لما سبق مع البحث على التوكل فقال: الله لا إله إلا هو وعلى الله (أى وحده) فليتوكل المؤمنون. وفي الكلام إشارة إلى أن من لا يتوكل عليه سبحانه فلا يند من المؤمنين. تسأل الله السلامة. انظر آيتي (٥٨ و ٥٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩.

ولما كان حب متاع الدنيا وزينتها من الأموال والأولاد قد يستولى على بعض النفوس فيضعف فيها الرغبة في العمل الذي يرضى الله حذر سبحانه من ذلك فقال: (يا أيها الذين آمنوا)... إلخ. أى بعض أزواجكم وأولادكم قد يعزولكم إلى ما لا يوقعكم فيه إلا الأعداء، فكونوا على حذر فيما يطلبونه منكم. ورتبوه بعينان الشرع، ولا تطيعوهم فيما يضر.

قال العلماء: إن من عداوتهم أنهم قد يحملون الرجل على ترك الطاعات وما ينفع في الآخرة. وقد يورطونه في اقتراف المحرم. وروى أنه ﷺ قال: يأتي على امتي زمان يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجته وولده، يعيرانه النقر فيركب مراكب السوء فيهلك، ومن الناس من يجعله جبه لهم والشفقة عليهم على أن يكونوا في عيش رغيد في حياته وبعد موته فيقع في المعطورات. ومن ذلك. أن أناساً من أهل مكة أسلموا، ولما أرادوا الهجرة إلى المدينة قال لهم أزواجهم وأولادهم: لمن تتركوتنا ها هنا؟ فرفوا بحالهم، وامتنعوا عن الهجرة. ولما هاجروا فيما بعد وعلموا فضل من سبق إلى الهجرة وأنهم كانوا عرضة للخطر الذي جات الإشارة إليه في الآية (٩٧) من سورة النساء صفحتي ١١٨، ١١٩. اشتد

﴿فاحشة﴾: أى فعلة شديدة القبح، كفعل ما يوجب حداً، أو السفه على الزوج أو أهله، أو الخروج قبل انقضاء العدة بدون إذن المطلق.

﴿مبينة﴾: المراد: واضحة الفخش. انظر شرح مبين في الآية (١٦٨) من سورة البقرة صفحة ٢٢، والآية (٧) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.

﴿حدود الله﴾: أى أحكامه التى فصل بها بين الحلال والحرام.

﴿أمراً﴾: كالندم على الطلاق والميل للرجعة.

﴿بلغن أجلهن﴾: المراد قاربن نهاية العدة.

﴿فأما سكوهن﴾: المراد: راجعهن إذا أردتم.

﴿بمعروف﴾: أى مع حسن عشرة.

﴿أو فارقوهن﴾: إلخ: المراد اتركوهن بلا مراجعة مع إعطائهن كل حقوقهن، انظر الآية (٢٣١) من سورة البقرة صفحة ٤٦، ٤٧.

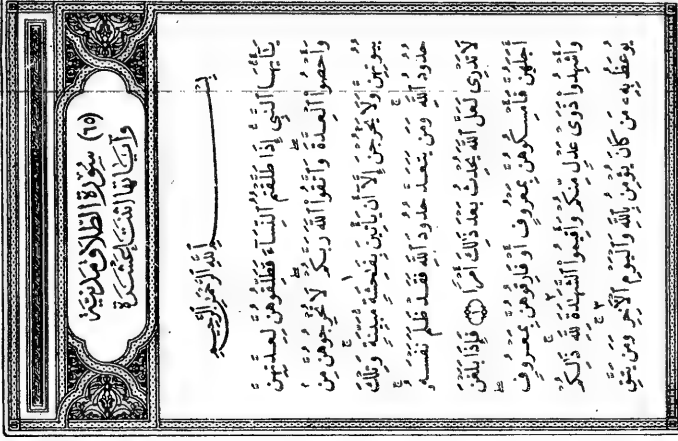
﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾: أى على الرجعة إذا اخترتموها. أو الفرقة كذلك.

﴿وأقيموا الشهادة لله﴾: هذا خطاب للشهود. والمراد أدوها إن طلبت منكم. خالصة لوجه الله، دون تحيز لجانب منهما.

﴿ذلكم﴾: المذكور من الحث على مراقبة الله. وعدم تعدى حدوده فى كل ما تقدم.

﴿يوعظ به﴾: أى يعظ الله به المؤمنين لتلين قلوبهم، فيزداد خشوعهم له سبحانه.

المعنى: يا أيها النبي أنت والمؤمنون معك إذا أردتم طلاق نساءكم لسبب مشروع فأوقعوا الطلاق وهن مستقبلات لعدتهن، وذلك بأن تطلقوهن فى مدة طهرهن من الحيض قبل أن تمسوهن فى هذا الطهر، حتى يحسب هذا الطهر واحداً من ثلاثة. ولا يثنى عليها فى الخروج من العدة سوى طهرين فقط. وذلك رافة بهن بسبب تقصير زمن العدة.



سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿يا أيها النبي﴾.. إلخ: لم يخاطب الله سبحانه فى أول السور رسوله ﷺ بلفظ النبوة إلا فى ثلاثة. هذه السورة والأحزاب والتحريم.

وجه الله الخطاب أولاً له ﷺ. ثم عمم الخطاب بالحكم، جريئاً على أسلوب العرب إذا خاطبوا جماعة لهم رفيع المنزلة بينهم، فإنهم يوجهون الخطاب للجميع فى شخص هذا الرئيس، فيقولون: يا فلان افعلوا كذا وكذا.

﴿إذا طلقتم﴾: المراد: إذا أردتم الطلاق

كما فى قوله تعالى:

﴿إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ الآية (٩٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٩.

﴿لمدتهن﴾: اللام بمعنى «عند» كما فى قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذىك الشمس﴾ الآية (٧٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥، والمراد عند استقبال عدتهن، وذلك بأن يطلقها فى طهر لم يمسه فيها.

﴿واحصوا العدة﴾: أصل الإحصاء عند الرب هو العد بالحصى لأنهم أميون. ثم استعمل فى مطلق العد والخصب.

فالمراد واضبطوا العدة وأكملوها ثلاثة قروء، كما تقدم فى الآية (٢٢٨) من سورة البقرة صفحة ٤٥، ٤٦.

- (١) فاحشة.
- (٢) الشهادة.
- (٣) الآخر.

اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ خُرُوجًا ۖ وَرِزْقًا مِّنْ جَنَّتِ لَا يَحْسِبُ
 مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ وَإِنَّا لَنَنصُرُ الْيُسُوفَ
 فَتَدْعُمُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَدْرَأُ ۖ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ
 الْحَيُّصُ مِنْ نَّسَائِكَ إِنَّا لَنَدْعُمُ الْقَائِلِينَ ۖ تِلْكَ الشُّعْرَى
 وَاللَّهُ لَرَبِّحُهَا ۖ وَأَوَّلَتْ أَلْحَالًا أَجْلَسْنَا لَهُ يَمِينُ
 جَاهِلِينَ ۖ وَمِن بَيْنِي اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَن يُشَاءُ ۖ أَمْرًا
 ذَاكَ أَمْرُ اللَّهِ ۖ إِنَّكُمْ رَأَيْتُمُوهُ يُخْرِجُهُ
 سَبَّاحَهُ ۖ دُعِيتُمْ لَهَا أَمْرًا ۖ أَسْكَبْتُمْ مِنْ جَنَّتِ
 سَكَبْتُمْ مِنْ وَجْهِهَا ۖ وَهُوَ لِيُضْمِلَ عَلَيْكُمْ
 وَلَنَا كُنْ أَوَّلَتْ حَالًا فَانْقَلَبُوا عَلَيْكُمْ ۖ حَتَّى يَضَعُوا حُلُلَهُمْ
 فَإِنَّا رَاغِبِينَ لَكُمْ فَكَادُوا مَنَاجِدُهُمْ ۖ وَكَبَّرُوا بَيْنَكُمْ
 بِعَرْوَتِ ۖ وَإِن تَنَاصَرُوا فَمُضِيعٌ ۖ لَهُ أَمْرًا ۖ يُفِينُ

هَؤُلَاءِ ارْتَبَتْهُ: أَي شَكَّكْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتَيْنِ
أَوْ فِي الدَّمِ النَّازِلِ. مِنْهُنَّ هَلْ هُوَ دَمٌ حَيْضٌ أَوْ
غَيْرُهُ: وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَنْ
الْمُسْتَعْنَى: إِنْ شَكَّكْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتَيْنِ وَلَمْ
تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ. الْبَيْهَقِيُّ رَوَى فِي ذَلِكَ
عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ
سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِي عِدَّةِ النِّسَاءِ قَالُوا قَدْ بَقِيَ
عِدَّةُ الْإِسَاءَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَذَاتِ الْحَمَلِ فَخَازِلُ
اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةُ، انْطَرَأَ ابْنُ (٢٦٨ وَ ٢٦٤) مِنْ
سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفَحَاتٍ ٤٨٠، ٤٦٤، ٤٥٧، وَكَذَا الْآيَةُ
(٤٩) مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ صَفْحَةُ ٥٥٧.

هو اللاتى لم يحضن: أى وكلنا حكم
الصغيرات فعدتهن ثلاثة أشهر فقيرة.

روايات: آی: وصاحبات.

﴿الاحمال﴾: جمع ﴿حامل﴾ بفتح فسكون.

وذلك أمر الله: أي ذلك الذي ذكر من الأحكام هو حكم الله.

﴿من حيث سکنتم﴾: ﴿من﴾ بمعنی بعض ای بعض مکان سکنتم.

من وجدكم: الوجد - الطاقة والوسع. فالمراد: مما تطيقونه.

(١) بالغ.
(٢) اللاتى.
(٣) ثلاثة.
(٤) اللاتى
(٥.٦) اولات.
(٧) فتوهن.

وهذا الأمر من اللّٰه يفيد أن من طلق في مدة الحيض فقد ارتكب منكرا واضبطوا العدة، واعرفوا مبدأها ومنتهاها.

وَاتَعَا اللَّهُ رَبَّهُمْ، فَلَا تَطِيلُوا الْعِدَّةَ لِلْإِضْرَارِ بِهِمْ. وَلَا تَحْزَنْهُمْ مَنْ سَكَنَهُمُ الَّذِي كُنْ فِيهِ. وَلَا يَحْزَنْ لَهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ إِلَّا بِرِضَاءِ الطَّرِيقِينَ.

ومحل منعهم من الخروج ما لم يفعلوا فاعل القبح. فإن حصل مذهب من شيء من ذلك جاز للمطلق إخراجهم...

وذلك الأحكام السابقة هي العبود التي فصل الله بها بين الحلال والحرام. ومن يتعداها فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب.

فلا تعرض نفسك أيها المطلق لمخالفة أحكام الله. فإنك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ليس في حسابك من تطيب نفسها ونفس أقاربها أو الميل إلى إرجاعها، إن طلاقك كان طلاقاً رجعياً.

فاجعل حبيل الود موصولاً فإذا قارب المطلات بلوغ نهاية العدة. فإن أردت
إرجاعهن فأرجعهن به معروف من حسن النية في العشرة، أو فافتركهن يستوفين
عنتهن مع إعطائهن كل حقتهن.

وأشهدوا على الرجعة إن اخترتموها، أو الفرقة إن رأيتموها، شاهدين عدلين منكم، بعدا عن الشك، وقصما للنازع، وأدوا الشهادة على وجهها أنها الشهود إذا طلبت منكم.

ذلك المذكور من الأوامر والنواهي السابقة يوخط به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: لأنه هو الذي ينتسب به، أنظر الآية (٥٥) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٦.

ثم بين سبحانه فائدة طاعة الله في كل شيء، ومنها ما سبق، فقال: (ومن يتق الله) . . . الخ.

المغزرات: أي بالغ أمره؛ أي بالغ كل أمر يريد لا يفوته مراد.

وقدراً: أي تقديرًا لا يعده في مقداره ولا في زمانه.

﴿ولا تضاروهن﴾: أى فى السكنى والنفقة.

﴿لتضيّقوا عليهن﴾: أى لتوقّعهن فى ضيق ومشقة الترفعوهن على الخروج.

﴿وتأمروا﴾: أى تأمروا وتشاوروا، انظر المادة فى الآية (١١٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٠.

﴿بمعروف﴾: أى بما فيه حسن المعاملة، من أجر الرضاع من جهة الأب، والعناية بالطفل

من جهة الأم.

﴿فما سرتن﴾: أى ضيق بعضكم على بعض بأن طلبت الأم أجراً فوق المعتاد، لا يقدر عليه الأب.

﴿فما سرتن له أخرى﴾: المراد: فستوجد امرأة أخرى غير الأم ترضع للأب طفله.

المعنى: لما كان عماد كل خير هو تقوى الله فى السر والعلن كرر سبحانه التنبيه لها فى هذا المقام عدة مرات، هنا وفى الآيتين (٥ و ٤) فقال: ﴿ومن يثق بالله - أى فى كل شيء - خصوصاً ما تقدم يجعل له مخرجاً مما قد يصادفه من الهموم، ويرزقه من جهة لا تخطر له على بال. ومن أخذ فى أسباب الحياة المشروعة وفوض أمره إلى الله كناه سبحانه كل ما يهمله فى الدين والدنيا. ثم بين سبحانه فائدة التوكل فقال: إن الله بالغ أمره. أى إنه منفذ أحكامه فى خلقه بما يشاء. وقد جعل لكل شيء مقداراً وزماناً لا يتجاوزهما. فإذا علم ذلك المؤمن فإنه لا يحزن لما يفوته، ولا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر: لأنه يجد بالتقوى مخرجاً من كل ضيق ويجد من غناية الله به رزقاً غير محتسب، بل يكون مطمئن القلب راضياً بقضائه سبحانه.

ولما ذكر سبحانه الطلاق المشروع، ولم يسبق فى بيان عدة إلا عدة صاحبات الحيض والمتوفى عنهن أزواجهن كما فى آيتى سورة البقرة (٢٢٨، ٢٢٩) صفحات ٤٥، ٤٦، ٤٨. أراد هنا أن يبين عدة غيرهن فقال: (واللاتى يُسنن) ... إلخ. أى والنساء اللاتى يلفن سنّاً يظن فيه اليأس من الحيض - وهو فى الغالب سن الخامسة والخمسين فأكثر - إن شككتكم فى الدم النازل منهن. هل هو دم حيض أم استحاضة. فاحسبوا عدتهن ثلاثة أشهر قمرية. وبالأولى إذا

قطع بأنه ليس حيضاً. والنساء اللاتى لم يحضن لصغرهن فكذلك عدتهن ثلاثة أشهر، وربما يقال: إن الشرع أوجب على المدخول بها العدة لبراءة الرحم، وللخدر من اختلاط الأنساب، واحتياطاً لحكم ولاية الولاء والوراثة، فلماذا أوجبها فى المنكورات هنا من العقيم، والآيسة، والصغيرة؟ والجواب إن باطن الرحم لا يطلع عليه إلا علام الغيوب فهو وحده الذى يعلم ما فى الأرحام كما فى الآية (٣٤) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤ ويعلم استعداده، فلو فتحنأ باباً إلى التفسير فى كل مطلقة على حدة لركبنا متن خطر فى أمر لا نعلم باطنه، فإيجاب العدة مع عدم الحمل، الظاهر لنا أهون من ركوب هذا الخطر؛ وقال صاحب المنار فى الجزء الثالث صفحة ٢١٥ عند الكلام على المتشابهة: ويصح أن يقال أيضاً: إن المطلق قد بأسف على ما حصل منه، فترك له فرصة المراجعة، ولأن سرعة زواج الغير بها قد يؤثر فى نفس المطلق فهمة العدة قد تنسيه أو تخفف عنه ألم فراق من كانت زوجاً له. (انتهى كلام صاحب المنار).

أما النساء الحوامل فعدتهن تنتهى بوضع الحمل، ما لم تكن متوفى عنها زوجها. وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشراً كما سبق فى الآية (٢٢٤) من سورة البقرة صفحة ٤٨. ثم أكد الأمر بالتقوى فقال: ﴿ومن يثق بالله فيبتعد عن مخالفة أمره يسهل له أموره فى الدنيا والآخرة. ذلك المذكور هو حكم الله أنزله إليكم لسهادتهم. ثم أعاد الوصية بالتقوى ليرتب عليها ثواب الآخرة بعدما وعد بثواب الدنيا، فقال: ﴿ومن يثق بالله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً. أى يعطيه أجر العظم على العمل القليل، ثم بين أن من التقوى أن تسكنوا المطلقات بعض مساككنكم فى حدود طاقتكم. وذلك ليعدهن عن الفتنة فى العدة. ولا تضاروهن فى شيء من حقوقهن لتضيّقوا عليهن فى السكن والنفقة ليرغمن على الخروج. وجمهور العلماء على أن السكنى مطلوبة للمعتدات مطلقاً سواء أكان الطلاق رجعياً أو بثنأ غير رجعى. وإن كانت المطلقات حوامل فأنفقوا أيها الأزواج عليهن إلى أن يضعن حملهن. وبعد الوضع فإن قمن برضاع الطفل المنسوب لكم بعد انقضاء رابطة الزواج بانتفاء العدة، فادفعوا لهن أجراً إرضاعهن. وتشاوروا فى مقدار الأجر بالحسن. وإن صادفكم عسر بسبب مبالغة الأم فى الأجر قلن يعدم الأب امرأة أخرى ترضع الطفل بالأجر المعتاد. وفى الكلام إشارة إلى توبيخ الأم على المضايقة فى أمر يتعلق بطفلها: لأنها كانت هى الأولى بأن ترضع طفلها بأقل من الأجنبية. ثم بين سبحانه كيف يقدر الإنفاق فقال: (لينفق) ... إلخ.

﴿أظهره الله عليه﴾: أى أطلعه سبحانه عليه على لسان جبريل.

﴿عرف بعضه﴾: أى عرف حفصة بعض ما أفضته من السر لعائشة وهو قوله: إني شربت إلى قوله ولن أعود.

﴿وأعرض عن بعض﴾: وهو قوله: (وقد حلفت على ذلك، فلا تخبرى بذلك أحداً) تكرماً منه ﷺ لما فيه من زيادة خجلها.

المعنى: بعد العلم بأن العرب يستعملون الأعداد كسبعة وخمسين، وسبعين، وسبعمئة...

إلخ، وذلك لإفادة الكثرة بدون قصد التحديد كما فى الآية (٨٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٥.

وبعد العلم أيضاً بأن ملك الله سبحانه بلغ من العظمة والسعة ما لا تحيط به العقول. وفى

هذا روى ابن مسعود عنه ﷺ أنه قال: ما السموات السبع وما فيهن والأرضون السبع وما

فيهن بجانب الكرسي إلا كحلقة مقلقة فى أرض فلاة. انظر الآية (٢٥٥) من سورة البقرة

صفحة ٥٢. وروى مجاهد عن ابن عباس عندما سئل عن معنى هذه الآية أنه قال: لو حدثتكم

بمعناها لكذبتموني. قالوا: وهذا منه إشارة إلى أن هناك عوالم كثيرة لا تستطيع العقول

العادية إدراكها. نقول بعد علمنا بكل هذا فاللائق بنا ألا نخوض فى تفاصيل هذا المحيط

الأعظم ونقتصر على مكان العبرة من ذلك وهو أن الإله الذى هذا ملكه وسعة سلطانه لا

يمجزه أن يهلك من يكذب. رسله ويعذبهم العذاب الأليم. فالمعنى: أن الله تعالى هو الذى خلق

هذا العالم العلوى والسفلى ويسرى فيه أمره. وينفذ حكمه. أخبركم سبحانه بذلك لتعلموا أن

الله على كل شيء قدير. وأن علمه قد شمل كل ما فى هذا الكون: لأن الذى أوجد شيئاً لابد

أن يعلمه. انظر الآية (١٤) من سورة الملك صفحة ٧٥٥.

سورة التحريم

تعرضت هذه السورة لنوع من أنواع كيد النساء، وشدة غيرتهن، وغلبتهن على برسولة الأكرم. فقد جاء فى البخارى وغيره من الكتب الصحيحة أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: كان ﷺ يحب العلوى. وكان إذا فرغ من صلاة العصر يمر على نساءه يسأل عنهن. فمر على زينب بنت جعش يوماً فمكث عندها أكثر من غيرها. فعلمت أنها كانت تسقيه

يُتَنَزَّلُ بِالنَّارِ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا وَمِنْ أَهْلِ النَّارِ لَنَافِلَةٌ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ أَكْثَرَ نَفْسٍ وَعَلَىٰ

(٣١) سُوْرَةُ الْاَنْزِلِ فِي الْاَنْزِلِ

يُنَافِلُ النَّارِ لَنَافِلَةٌ

يُنَافِلُ النَّارِ لَنَافِلَةٌ

يُنَافِلُ النَّارِ لَنَافِلَةٌ

يُنَافِلُ النَّارِ لَنَافِلَةٌ

يُنَافِلُ النَّارِ لَنَافِلَةٌ

المفردات: ﴿يُنَزِّلُ الأمر بينهن﴾: انظر المراد من ذلك فى شرح الآية (٥) من سورة السجدة صفحة ٥٤٥.

﴿لم تحرم﴾: المراد: لأى سبب تمتع عن

الحلال، مع اعتقادك أنه حلال: لأنه ﷺ

أعلم الناس بأنه لا يجوز تحريم ما أحل الله،

فلا استقحام للعقاب.

﴿ما أحل الله لك﴾: المراد به: عسل

النحل كمما سيأتى. ﴿تبتغى﴾: تطلب

﴿مرضاه﴾: رضا.

﴿أزواجك﴾: المراد: عائشة وحفصة

فقط. بدليل قوله تعالى: ﴿تتوبا﴾

و﴿تظاهرا﴾ فالإضافة فى ﴿أزواجك﴾ لجنس الزوجات الصادق بالواحد والأكثر.

﴿فرض الله﴾: المراد شرع وبين لكم ما أوجبه عليكم إذا أردتم الخروج من تبعات إيمانكم،

انظر الآية (١) من سورة النور صفحتى ٤٥٦، ٤٥٧.

﴿تحلة إيمانكم﴾: أى تحليلًا تخرجون به من مسئوليتها بالكفارة، كما فى الآية (٨٩) من

سورة المائدة صفحتى ١٥٤، ١٥٥. و﴿تحلة﴾ مصدر غير قياسى لفعل ﴿حل﴾ ومصدرها

القياسى التحليل كما فى كرم تكميلاً وتكرمة.

﴿مولاكم﴾: أى متولى أموركم وناصريكم. ﴿بعض أزواجه﴾: هى حفصة.

﴿حديثاً﴾: هو قوله ﷺ لها: إني شربت عسلاً عند زينب بنت جعش، ولن أعود له أبداً.

وقد حلفت على ذلك، فلا تخبرى بذلك أحداً.

(١) أزواجك.

(٢) إيمانكم.

(٣) مولاكم.

(٤) أزواجه.

﴿وصالح المؤمنين﴾: أصلها وصالحو المؤمنين، فحذفت الواو تخفيفاً، انظر ﴿يدع﴾ في الآية (١١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥ و﴿يدع الداع﴾ في الآية (٦) من سورة القمر صفحة ٧٠٥ .

﴿والملائكة﴾: ذكرها بعد جبريل من ذكر العام بعد الخاص.

﴿ظهير﴾: أى معين، انظر الآية (٢٢) من سورة سبأ صفحات ٥٦٦، ٥٦٥ .

﴿عسى ربه﴾: انظر وقع ﴿عسى﴾ هنا على نفوسهن فى شرح الآية (٧٢) من سورة النمل

صفحة ٥٠٣ .

﴿فانئات﴾: خاضعات خضوعاً تاماً، كما تقدم فى الآية (٣١) من سورة الأحزاب صفحة

٥٥٤ .

﴿سائحات﴾: المراد: الصائمات المفكرات فى ملكوت الله، انظر الآية (١١٢) من سورة

التوبة ٢٦١ .

﴿قوا أنفسكم﴾... إلخ: أى اجعلوا لها وقاية من العذاب بالطاعة.

﴿ويضعلون ما يؤمرون﴾: أى لا يعجزهم شيء عن تنفيذ ما يأمرهم به ربهم، انظر الآية

(٥٠) من سورة النحل صفحة ٢٥٢ .

﴿توبة نصوحاً﴾: هى التى تجمع بين الإفلاع عن الذنب والندم عليه، والعزم القاطع على

عدم العودة، ورد الحقوق لأصحابها أو لورثتهم.

﴿عسى ربكم﴾: المراد: متخرجين تكفير الذنوب... إلخ.

المعنى: قال ﷺ: أطلعنى على ما حصل - العليم بأحوال خلقه: الخبير بما يدبر فى الخفاء، ثم التفت سبحانه إلى خطابهما فقال: ان تتوبا إلى الله أى مما أحرمتما فى حق رسوله أتقذمتا أنفسكما من عقابه: لأن قلوبكما طفت علىها الغيرة، فتحولتها عن احترام الرسول إلى إيذائه. وإن أبيتما إلا التعاون على ما يكره، قلن تنالا منه شيئاً: لأن الله هو الذى

تولى نصره وحمايته، ولزيادة توبيخهن قال سبحانه: (وجبريل) ... إلخ، أى وكبير الملائكة وكاملو الصلاح من المؤمنين. والملائكة، كل فريق من هؤلاء معين له ﷺ عليكن بعد نصره الله له، وإنما شدد سبحانه فى محاربة كيدهن لأن كيد النساء عظيم، متلق، مشتت لأفكار الرجال، مهما كان مقامهن من علو المنزلة.

ثم هدهما ومن تحدثها نفسها بمثل ما فعلا، بما يحطم غروهن فقال: عسى ربه إن طلقن أن يبدله، أى يعطيه بدلاً زوجات خيراً منكن إسلاماً وتصديقاً بكل ما يجب التصديق به، مواظبات على الطاعة، تأثبات من كل هفوة، كثيرات التعبيد فى خلواتهن، صائمات ومتفكرات فى ملكوت الله.. يجمع له من فيهن هذه الصفات من نوعى النساء: الشيات والأبكار كما يريد.

وبعدما أمر سبحانه نساء النبي ﷺ بالتوبة، وحذرن من خطر المخالفة، شرع سبحانه فى إرشاد جميع المؤمنين إلى إتقاد أهلهم من مثل هذه المخاطر، فقال: يا أيها الذين آمنوا اعملوا على إبعاد أنفسكم عن خطر المعاصى، وإبعاد أهلكم من الزوجة والولد وغيرهما - بالنصح والتأديب - من نار لا وقود لها إلا الناس والحجارة التى هى أشد أنواع الوقود حرارة، يشرف على تعذيب من فيها ملائكة غلاظ فى الأجسام والمعاملة، أقوياء جمعوا بين صفتى الطاعة والقدرة على كل ما يكفون به، فلا يعترضهم عجز ولا سهو ولا نسيان.

وتقول الملائكة لأهل النار: يا أيها الكفار لا تمتدروا اليوم لأنكم لا تجزون اليوم إلا بما داومت على عمله فى الدنيا.

وبعدما بين سبحانه أن التوبة فى يوم القيامة لا تنفع، نبه عباده المؤمنين إلى المبادرة بها فى الدنيا - فقال: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة خالصة من كل ما يبطلها. راجين من ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها قصورها وأشجارها الأنهار. بدخلكم فيها هى اليوم الذى لا يخزى فيه النبى، والخزى يكون بإدخال النار كما فى الآية (١٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٩٥ .

سورة تبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿تبارك﴾: تعالي قدره،

وتعاطف خيره، كما تقدم فى الآية (١) من

سورة الفرقان صفحة ٤٧٠ .

﴿خلق الموت... إلخ: المراتد: قدير

الموت عليكم أولاً حين كنتم تراباً، ثم الحياة

بعد ذلك، انظر الآية (٢٨) من سورة البقرة

صفحة (٧) والآية (١١) من سورة غافر

صفحة ٦١٩ والآية (٢٦) من سورة الجاثية

صفحة ٦٦٤؛ وانظر الخلق بمعنى التقدير

فى شرح الآية (١٤) من سورة المؤمنون

صفحة ٤٤٦ .

﴿ليلوكم﴾: أى ليختبركم، كما تقدم فى الآية (١٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ .

﴿العزیز﴾: القوى الغالب الذى لا يعجزه عقاب من أساء عملاً .

﴿النفور﴾: كثير المغفرة لمن تاب، ممن أساءوا، انظر الآية (٨٧) من سورة طه صفحة ٤١٣ .

﴿سبع سموات﴾: انظر شرح الآية (١٢) من سورة الطلاق صفحة ٧٥١ .

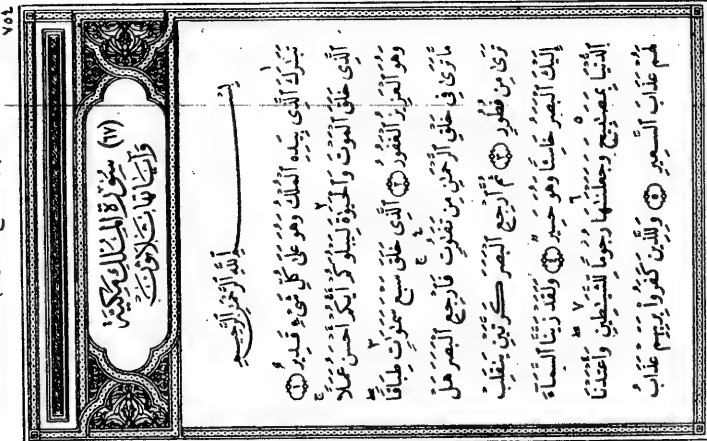
﴿طباقاً﴾: جمع طبقة بفتحات، والمراد: طبقات بعضها فوق بعض .

﴿من تفاوت﴾: ﴿من﴾ حرف يفيد النص على عموم نفى ما بعده، والمراد بالتفاوت:

التباين، وعدم التناسب، والاختلاف .

- | | |
|---------------|-------------|
| (١) تبارك. | (٧) العباد. |
| (٢) سموات. | (٨) تفاوت. |
| (٥) بمصاييح. | (٩) جملتها. |
| (٧) للشياطين. | |

(الجزء التاسع والعشرون)



سورة الملك

﴿ارجع البصر﴾: أى أعده إلى السماء. ﴿هل ترى﴾: ﴿هل﴾ حرف استفهام مراد به الإنكار،

أى النفى والمراد: لا ترى. ﴿من فطرك﴾: ﴿من﴾ كسابقتها، والفتور جمع فطر ففتح فسكون

وهو الشق، والمراد به هنا الخلق. ﴿كترتين﴾: أصل معناه مرتين والمراد: التكرار بدون تحديد.

﴿ينقلب﴾: أى يرجع. ﴿خاسئاً﴾: أى متعباً، كما تقدم فى الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٣:

﴿حسير﴾: بالغ الغاية فى الضعف من كثرة المراجعة، تقول العرب: حسر بصر فلان يخسر

يوزن ضرب ويخسر بوزن يدخل. ﴿زيننا السماء الدنيا﴾: تقدم فى الآية (٦) وما بعدها من

سورة الصافات صفحة ٥٨٧. ﴿مصابيح﴾: المراد بها الكواكب المضيئة كأنها مصابيح.

﴿رجوماً﴾: جمع رجم بفتح فسكون، وأصله مصدر رجم إذا رمى بالحجارة، وأريد به هنا

الشيء المرحوم به. ﴿اعتدنا﴾: أى أعدنا وهيئنا:

سورة تبارك

المعنى: تعالي قدر الله وتزايد تنزيهه عن كل ما لا يليق به هو وحده الذى يقبضة قدرته

التصرف فى الأمور. وهو على كل شيء قدير. ومن مظاهر قدرته أنه قدر عليكم أنها الناس أن

تكونوا تراباً لا حياة فيه. ثم أحياكم ليعاملكم معاملة المختبر. ليظهر فى الوجود من منكم

أحسن عمله ومن أساء، انظر الآية (٧) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، وهو القادر على

مجازاة من أساء عمله. واسع المغفرة لمن تاب. ومن مظاهر قدرته أيضاً أنه خلق سبع سموات

بعضها فوق بعض. لا ترى أنها الناظر لهذا الذى خلقه الرحمن اختلافاً وعدم تناسب. فإن كنت

فى ريب من ذلك فارجع البصر إلى السماء فإنك لا ترى فيها خللاً مطلقاً.

ثم أعد البصر مرة بعد مرة ما شئت، يرجع إليك بصرك. ذليلاً، والحال أنه شديد التعب من

كثرة المراجعة بدون الحصول على جديد... والكلام كناية عن كمال النظام فى هذا العالم

العظيم. وذلك لا يقدر عليه إلا إله قادر حكيم. وبعدمنا بين أن هذا العالم العلوى فى غاية

النظام، لأن بين أن السماء الأولى مزينة أيضاً بما فيه زيادة بهجتها، ويحفظها من استراق

الشياطين للسمع كما تقدم فى الآية (٦) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٨٧، وما

سيأتى فى الآية (٨) وما بعدها من سورة الجن صفحة ٧٧١، فقال: ولقد زيننا السماء الدنيا

بمصابيح أى بكواكب كالمصابيح. وجعلنا من هذه الكواكب شهياً ترجم: الشياطين إذا حاولوا

الصعود إلى السماء. وأعدنا لهم عذاب جهنم فى الآخرة... ولكل من كفر بربه منهم أو من

الإنس عذاب جهنم... إلخ.

فيخشون ربهم بالغيب: أي يخافونه وهم في خلواتهم بعيدون عن الرباء.

فوات الصدور: أي حُفَايا النفوس، كما تقدم في الآية (١٥٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٨.

٨٨.

ولا يعلم: الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي و﴿ولا﴾ للنفي ونفي النفي يقرر الإثبات، فالمراد يعلم قطعاً.

لللطيف: المراد به هنا العالم بدقائق الأشياء، وخفياتها.

فوزلوا: أي مذلة سهلة لا صعوبة في المعيشة عليها.

فماكبها: جمع مكب بوزن مجلس، والمراد جراتها وطرقها.

والنشور: البعث من القبور، انظر آيتي (٣٠٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٠، ٤٧٥.

فأمتهم: الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد كسابقتها. أي يجب ألا تأمنوا.

فومن في السماء: إذا تأملنا ما تقدم في شرح الآية (٧) من سورة آل عمران صفحة ٦٣

والآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١ والآية (٤٦) من سورة الرحمن صفحة ٧١ يسهل

علينا أن نعلم أنه سبحانه يخاطب خلقه بما يجدونه في نفوسهم.

والعبد يتصور خالقه في المقام الأعلى من غير تحديد ولا تمثيل. ولهذا يرفع يديه عند

الدعاء إلى السماء، مع اعتقاده أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء. ويقوض ما خفى عليه إلى

ربه.

فيخسف بكم الأرض: أي كما خسفها بقارون، انظر الآية (٨١) من سورة القصص صفحة ٥١٩، ٥١٨. والله تعالى الموفق للصواب.

المعنى: ولدين كفروا بربهم من الإنس والجن عذاب جهنم، ويُسْتِنت النهاية جهنم.

إذا ألقنهم الملائكة فيها كما في الآية (٤١) من سورة الرحمن صفحة ٧١١ قائلتهم

بصوت مزعج وهي تغلّ تكاد تنقطع غيظاً منهم لكفرهم بخالقهم ورايقهم. كلما طرح

فيها جماعة منهم متجاسية العمل، يسألهم خزنتها سؤال توبيخ: هل لم يأنكم رسول

جَهَنَّمَ وَمَنْ أَلْهَمَهُمْ ۖ وَإِلَّا لِلَّهِ يَرْجِعُ الْكَلَامُ
سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْكُرُونَ ۖ تَكَادُمُ الْمُتَبَايِنُ لِيَبْغِيَ كَلِمًا تَلُو
فِيهَا فَوْجٌ سَاهِمٌ مِّنْهَا أَلَّا يَحْكُمَ تَدِيرُ ۖ قَالُوا بَلَىٰ
قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَأَنَّمَا بُغِلَتْ أَبْغَالُ اللَّهِ مِنْ نَجْوَاهُ إِنْ
أَتَيْنَا إِلَّا بِمَنْطَلٍ مَّكِيدٍ ۖ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۖ فَاعْتَرَفُوا بِآيَاتِهِمْ
فَسُحِبُوا إِلَىٰ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَرُونَ دَرَجَاتٍ
بِالْغَيْبِ لَمْ يَعْرِفُوا ۖ وَأَمَّا كَيْفَ ۖ وَلَسْنَا نَقُولُكَ إِلَّا
مَاجِدًا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَرْضُ كَأَسْفُودٍ ۖ وَالَّذِينَ يَسْمُرُونَ
عَلَىٰ رُءُوسِهِمُ الْأَطْيَافَ يَلْعَبُونَ ۖ مَوْلَاهُمُ يَجْعَلُ لَكَ
الْأَرْجَىٰ قَوْلًا فَاسْمَعْ لِي مَائِيًا وَكَلَامِي رِزْقِي ۖ
وَالَّذِينَ الْأَشْرَارُ ۖ وَأَلَيْتُمْ مِنْ فَسَادِ السَّاءِ أَنْ يَحْكُمَ بِكُمْ

المفردات: ﴿وشهيقاً﴾: أصل الشهيق هو الصوت المزعج كصوت الحمير، والمراد به هنا (الحسيس) المذكور في الآية (١٠٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ يحدثه الله سبحانه فيها لشدة إزعاجهم.

﴿تميز﴾: أصله تميز، أي ينفصل بعضها عن بعض.

﴿من السيطط﴾: أي من غيظها منهم، والكلام كله تمثيل لشدة غيابها انتظاراً لهم.

﴿فوج﴾: الفوج هنا الجماعة من الكفرة.

﴿خزنتها﴾: مفردة خازن وهم الملائكة المذكورون في الآية (١) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢.

﴿الم يأنكم﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي.

﴿ونذير﴾: أي رسول يحذركم من هذا العذاب.

﴿وليل﴾: حرف إيصال، كما تقدم في شرح الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

﴿ومن شيء﴾: ﴿ومن﴾ تقدم مثلها في الآية (٣) من هذه السورة صفحة ٧٥٤.

﴿وإن أنتم﴾: ﴿وإن﴾ حرف نفي بمعنى ﴿وما﴾.

﴿نسمع﴾: أي كلام الرسول سماع تعقل، انظر الآية (٣٧) من سورة ق صفحة ٦٩١.

﴿وننقل﴾: أي نتفكر في آيات الله في الكون.

﴿فسمعنا﴾: أصل السمع البعد، ومنه مكان سحيق أي بعيد. والمراد أبعدهم سبحانه بعداً شديداً عن رحمته.

(١) ضلال.

(٢) أصحاب.

(٣) لأصحاب.

(٤) أمتهم.

ثم هدهم بأن يحصل لهم ما حصل للكفار قبلهم فقال: أمنت... إلخ. أي هل أمنت نعمته

على عدم التأمل فيما سبق مع التهديد، إلى ذلك.

تيسير القرآن - ٣

يسبح في الماء. وما يحفظهن في الجو عند البسط والقبض مع ثقلهن و رقة الهواء إلا تدبير الرحمن الذي من رحمته أنه هبها لها هذا الجو وخلقها على هذا الشكل الذي يسهل لها التحرك لكسب رزقها. إنه سبحانه بكل شيء بصير. فبدر لكل مخلوق ما يهديه لما به حياته. انظر الآية (٥٠) من سورة طه صفحات ٤٠٩، ٤١٠، وانتقل بعد هذا التوبيخ إلى توبيخهم على غرورهم بما لا ينفع، مع توجيه الخطاب إليهم ثانيًا لشدة تفريرهم، وحرمانهم من رحمة الله لهم كما رحم ذلك الحيوان الضعيف؛ فقال: أمن هذا الذي هو جند... إلخ. أي بل من هذا الجمع الحقير الذي تزعمون أنه جند لكم ينصركم مستغنيا عن نصر الرحمن الذي حرمت أنفسكم من رحمته لكمركم به؟ فيمنع عنكم عذابه. الجواب: لا أحد يستطيع ذلك.

ثم بين سبحانه منشأ مصائبهم فقال: (إن الكافرون)... إلخ. أي ليس هؤلاء الكافرون إلا غارقين في غرور بأن أهتهم تدفع عنهم الدواب مثلًا أو تنفعهم. وبعد توبيخهم على كل ما سبق انتقل إلى توبيخهم على إهمالهم شكر المنعم عليهم فقال: أمن هذا الذي يرزقكم... إلخ. أي بل من هذا الذي يرزقكم إن منع الرحمن رزقه عنكم؟ أي لا أحد مطلقًا يستطيع ذلك. هل تظن أيها السامع أنهم تأثروا بكل هذه التحذيرات؟ كلا بل لجوا في التعبير والعناد والنفور من الحق لثقله عليهم. ثم ضرب سبحانه مثلًا للمشرك والمؤمن بوضع حالهما في الدنيا فقال: (أقم يمشي)... إلخ. أي هل بعد كل ما تقدم يصح في العقول أن يسوي بين رجلين في الهداية أحدهما يعثر كل خطوة ويستقط على وجهه لصعوبة الطريق الذي اختاره. والثاني يمشي مستوى القامة سالمًا من العثرات لا يسير إلا على طريق مستقيم.

ثم شرع سبحانه يعرفهم بما لا يصح أن يجهلوه فقال: قل... إلخ. أي قل أيها النبي لكار قومك: إن الله وحده هو الذي خلقكم وجعل لكم السمع لتسمعوا به ما ينفعكم، والأبصار لتبصروا، وما يفيدكم. والعقول لتفكروا بها في دقيق صنع الخالق، وفي معاشكم، ولكمكم لا تشكرون منعها باستعمالها فيما خلقت له إلا قليلًا جدًا فكان كالمدم. وقل لهم أيضًا: الله وحده هو الذي خلقكم لتعيشوا في الأرض، ويوم القيامة لا تحشرون إلا إليه.

ومن عجيب أمر هؤلاء الكفار أنهم بعد هذه التحذيرات لا يتحولون عن عنادهم فيسألون الرسول ﷺ والمؤمنين على سبيل الاستهزاء قائلين: متى يأتي ما تهددونا به من العشر والحساب؟

﴿جند﴾: لفظ مفرد. معناه جمع. أي من هذا الجمع الذي تزعمون أنه ينصركم؟... إلخ.

﴿إن الكافرون﴾: ﴿إن﴾ حرف نفى بمعنى ﴿وما﴾..

﴿في غرور﴾: أي في خداع أو قمعهم فيه الشيطان، انظر الآية (١٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٢. ﴿لجوا﴾: أي تبادوا بالندفاع. ﴿اعتوا﴾: أي تجبر وتكبر. انظر الآية (٧٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥. ﴿مكيا﴾: من أكب بمعنى سقط والمراء: يمشي ووجهه إلى أسفل، فيحتمل سقوطه في هاوية دون أن يشعر.

﴿أهدى﴾: أي أكثر هداية. ﴿سويًا﴾: أي مستقيمًا منتصب القامة.

﴿قليلًا ما تشكرون﴾: المراد تشكرون شكرًا قليلًا جدًا. انظر مثل هذا التركيب في الآية (٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢ والآية (١٠) من نفس السورة صفحة ١٩٢.

﴿ذراكم﴾: أي كثركم كما تقدم في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢.

﴿هذا الوعد﴾: المراد الموعود به وهو يوم القيامة.

المنفى: هل أمتن يا كفار العرب أن يخسف الله بكم الأرض كما خسفها بقرون وقوم لوط.

فإذا هي حين الخسف تهتز وتضطرب حتى تختنقوا تحتها. ثم انتقل سبحانه إلى توبيخ آخر فقال: (أم أمتن من في السماء)... إلخ. أي بل هل أمتن انتقام من في السماء بأن يرسل عليكم ما يرميكم بالحجارة من ریح أو طير كما حصل لأصحاب الفيل انظر سورة الفيل صفحة ٨٢.

فإذا أصررت على العناد فستعلمون ما عاقبة إنذارى؟ وأنها هي الهلاك.

ثم أعرض سبحانه وتعالى عن مخاطبتهم إحتقارًا لهم موضعًا جهلهم لغيرهم مسليًا رسوله فقال: ولقد كذب الذين من قبلهم كقولهم قوم نوح وعاد ما أنذرهم به رسلكم. فمادًا كانت عاقبة إنذارى وغضبى عليهم؟ كانت هولًا شديدًا نزل بهم، ولما هددهم بإرسال الحاصب من جهة السماء ناسب أن يكون تذكيرهم بقدرته سبحانه متضمنًا قدرته على إرسال الحاصب على جناح ریح أو طير، فقال: (أولم يروا)... إلخ. أي هل عميت أبصارهم ولم يظفروا إلى الطير حال كونها فوق رؤوسهم بإسطة أجنحتها، فإذا أرادت التحرك ضمتها إلى جنبها كما يفعل من

﴿أرأيتم﴾: المراد أخبروني.
 ﴿غوروا﴾: أصله مصدر (غار): الماء، أي ذهب في جوف الأرض، وأريد به اسم الفاعل أي غائرًا، كما تقدم في زلقة.
 ﴿معيين﴾: أي ظاهر: تراه العيون، والمراد في متناول أيديكم.

المعنى - ويقول هؤلاء الكفار استهزاء متى يأتينا ما تعدنا به يا محمد أنت ومن معك؟ إن كنتم صادقين فأخبرونا عن وقته، قل لهم أيها النبي لا علم بوقته إلا عند الله.

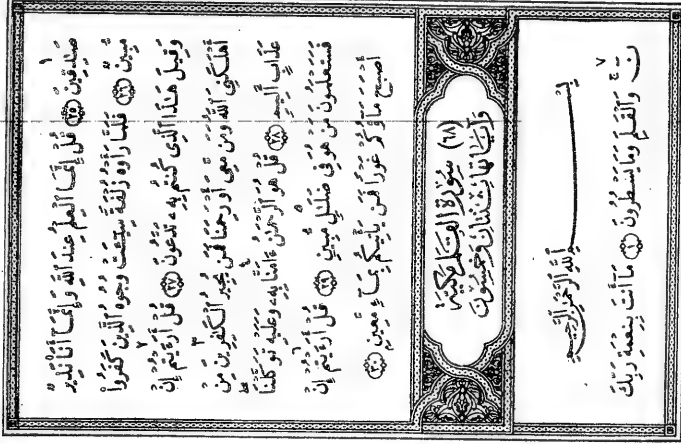
وليس من مقتضى وظيفتي أني أعلم ذلك، إنما وظيفتي أي عملي أن أنذركم وأحذركم من وقوعه.

ثم أراد سبحانه أن يبين حالهم يوم القيامة إذا استمروا على كفرهم فقال: (فلما راوه)... إلخ. أي وسيسرون العذاب الموعود به قريبًا منهم قطعًا فتفتش وجوههم الكتابة. ويقول لهم ملائكة العذاب توبيخًا: هذا هو الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا استهزاء.

ثم شرع في تسفيه عقولهم فقال: قل أرأيتم... إلخ. أي أخبروني عن جواب الاستفهام الآتي، وهو: إن أماتنا الله قبل أن نشاهد النصر عليكم وأدخلنا الجنة بإيماننا أو رحمنا بإيماننا حتى نسمر بهزيمتكم وإعلاء الحق، فهل لكم أنتم على كلا الفرضين من ينقذكم من عذاب النار الأليم؟

الجواب الوحيد أنه لا يفتقد لكم أبدًا. أما نحن فضايمون بإذن الله إحدى الحسيني المشار إليهما في الآية (٥٢) من سورة التوبة صفحة ٢٤٩.

وفي هذا الكلام حث للكفار على الخلاص من الهلاك، وقل لهم أيها النبي بعد ذلك: ربنا الذي ندعوكم للإيمان به هو الترجي من: آمنا به، فيجبرنا برحمته من غذابه، وكفرتهم أنتم به فلن يجيركم. ولا نتوكل في أعمالنا إلا عليه. بخلافكم في اعتمادكم على أصنامكم.



المفردات: ﴿نذير مبين﴾: ﴿نذير﴾ أي محذر من غضبه تعالى.

﴿مبين﴾ أي واضح التحذير، انظر الآية (١٦٨) من سورة البقرة صفحة ٢٢.

﴿راوه﴾: المراد: رأوا العذاب الموعود به في يوم القيامة. عبر بالفعل الماضي مع أنه سيحصل في المستقبل لأن وقوعه لما كان محققًا صار كأنه حصل فعلاً.

﴿زلفه﴾: اسم مصدر من (أزلفه) أي قربه. فهي بمعنى قريباً وأريد بهذا المصدر اسم الفاعل مبالغة. أي قريبًا، كما تقول: هذا رجل عدل أي عادل.

﴿سبيت وجوه﴾: أي غشيها آثار ما يسوها. انظر ذلك في آيتي (٢٦، ٢٧) من سورة يونس صفحة ٢٧٠ وشرح الآية (٤١) من سورة الرحمن صفحة ٧١١ والآية (٢٤) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ والآية (٤٠) من سورة عبس صفحة ٧٩٣.

﴿تدعون﴾: المعنى ما كنتم تتصنعون وتتكلفون طلبه استعجالاً به، والمراد ما كنتم تستعجلون به في الدنيا على وجه الاستهزاء، انظر الآية (١٦) من سورة ص صفحة ٥٩٩ والآية (١٨) من سورة الشورى صفحة ٦٤١.

- (١) صادق.
- (٢) أرأيتم.
- (٣) الكافرين.
- (٤) آمنا.
- (٥) ضلال.
- (٦) أرأيتم.
- (٧) نون.

﴿تدهن﴾: أي تداهن وتلاين وتدارى ولا تكون جاداً، انظر المعنى في الآية (٨١) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧، وانظر أيضاً شيئاً مما حاولوه في الآية (٧٢) من سورة الإسراء صفحة (٣٧٤).

﴿حلاف﴾: كثير الحلف في الحق والباطل، وهو الوليد بن المغيرة، انظر قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿وذري ومن خلقت وحيداً... الآيات﴾.

﴿مهين﴾: المراد حقير الرأي.

﴿هماز﴾: أي كثير الغيب للناس.

﴿مشاء بميم﴾: المراد: نقال للحديث على وجه الإفساد.

﴿مناع للخير﴾: مغم يمنع نفسه عن عمل الخير: وإغراء غيره عان منع الخير كذلك: فهو من قبيل ما في الآية (٣٤) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢.

﴿معتد﴾: أي شديد التعدي والظلم.

﴿أقيم﴾: أي كثير الآثام أي الذنوب.

﴿عتل﴾: جاف غليظ الطبع.

﴿زقيم﴾: في لسان العرب: الزيم هو الذي له في رقبته زئمة تحت ذقنه، والزئمة بفتحات هي الجلد المتدلى من رقبة الماعز، والمراد هنا: أنه مميز بعلامات من الشر لم تجتمع في غيره، ولذا قال ابن عباس: الزيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بالزئمة، وقال ابن كثير: الزيم هو الذي يشتهر بين الناس بالشر، وغالباً يكون هذا الوصف في الأعداء.

﴿إن كان﴾: ﴿إن﴾ تجعل ما بعدها في قوة مصدر، والأصل لكونه ذا مال يكتسب آياتنا... إلخ.

﴿ذا مال﴾: أي صاحب مال... إلخ: وسياق بيانه في الآية (١٧) وما بعدها من سورة

المدثر صفحة ٧٧٦.

﴿أساطير الأولين﴾: أي أكاذيب الأولين، تقدم في الآية (٥) من سورة الفرقان صفحتين

٤٧٠، ٤٧١.

﴿نفسه على الخرطوم﴾: أي نجعل له.

﴿سمة﴾: يكسر ففتح - على أنه، أي علامة تميزه والتعبير عن أنه بالخرطوم للاستهزاء،

فالخرطوم يشتهر بأذنه الفيل، وهو الجزء الطويل في مقدم رأسه يستعمله كما يستعمل الإنسان يده والكلام كناية عن إيذائه بحرية الإذلال، كما تقول العرب أرغم الله أنه، أي أذله؛ وفرو لسان الصرب: الوسم أثر الكي بالنار، وفي الحديث أنه ﷺ كان يسم إبل الصدقة ﴿الزكاة﴾ أي يُعلم عليها بالكس.

﴿بولواهم﴾: أي اخترنا أهل مكة بالجرع والتمشط، كما تقدم في شرح الآية (١٠) وما بعدها من سورة الدخان صفحة ٦٥٧.

﴿اصحاب الجنة﴾: هذه الجنة كانت يستأجر لرجل صالِح من أهل اليمن، وكان يؤدي حق القراء فيها، فلما مات قال أولاده: إن فعلنا مثل فعل أبينا افترنا، ونحن أصحاب عيال، فقصموا على قطع شرها قبل طلوع الميعاد خوف حضور المساكين، فأحرقها الله في أول ليلة عزموا على قطعها فيها.

﴿أيسر منها مصيبتين﴾: أي أيسر من شر شرها وهم داخلون في وقت الصباح المبكر.

﴿ولا يستثنون﴾: أي لا يثبون استثناء حق المساكين أي إخراجهم مما سبأخذونه، كما في نظيره في الآية (١٤١) من سورة الأعداء صفحة ١٨٦.

﴿وطاف عليها﴾: المراد: أحاط بها دواً لهاها.

﴿طائف﴾: المراد: بلا مصيبتها وأماكها.

﴿الصبريم﴾: أصله المنقطع عن غيره، وأماقه العرب على الليل لا تقطاعه عن النهار،

والمراد: فأصبحت محترقة سوداء كالليل.

المعنى: انتمى علك أيها النبي المجنون بفضل ربك عليك بالمقل والثبوة. وإن لك في الآخرة أجراً غير مقطوع. وإنك لسان على خلق عظيم. وعمل قريب تعلم ويعلم كمار مكة بأن فريق منكم المجنون. هل هو أنت أم هم؟ وسيظهر أن الذي يخاف الله فيحفظه هو العاقل. وغيره الذي عرض نفسه لله لاله هو المجنون: وأن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله فكان مجنوناً.

﴿حذر ثكم﴾: العرء به مساقته الأرض
من ثمار الأشجار والزرع. ﴿حسار مين﴾:
العرء مريدن قطع ثمار الجنة.

فولفسکی جیروں: اُنی مہینے، پیدائش کے بعد ۵۰ گرام تک

كما يقال (فلان لا يقدر إلا على الشئ).

الرجوع عما قبله، والاعتراض بما بعده.

[illegible]

Division in 1923 (with Generalissimo Chiang Kai-shek)

فقد ذلك المذابح ^{١٧} وهذا تدبير *dia* يعطيه لكل من تسببته تسببه بصحاح ربه: أي كذا المذابح الذي جعل ^{١٨} وأما ^{١٩} انظر الآية (١٧) الجاهلية من هذه السورة ص ٢٤٨ ص ٢٤٨.

• صباوحین (۱)	• صباوحین (۲)	• صباوحین (۳)	• صباوحین (۴)
• صباوحین (۵)	• صباوحین (۶)	• صباوحین (۷)	• صباوحین (۸)
• صباوحین (۹)	• صباوحین (۱۰)	• صباوحین (۱۱)	• صباوحین (۱۲)

مصحفون ۞ أن أنشدوا على حزنك إن مكتم
صبرين ۞ كما تكلموا وهم يخفون ۞ أن
لا يذنبها اليوم فكم يسكن ۞ وعدوا على حزن
قلوبهم ۞ فلبس زواجا فزوا أن أنشأت ۞ بل
كمن يحرمون ۞ قل أو سمعتم أن أهل مكة لا
تسبحون ۞ قالوا يسبحون ويا أيها مكة فليمن ۞
فأقبل بعضهم على بعض في الجد ۞ قل يا أيها
الذين آمنوا لا تمشوا في المدينة في غير ملابس
أن ربنا رقيب ۞ كذالك الأذى ۞ وقد ألبس الأخرى
أكثر من كائن يمشون ۞ أن الذين جحد ربهم
جحد اليوم ۞ أفتجدوا الذين كذبوا من
ما كنتم تكذبون ۞ أم أنكر كنس فيه

سورة القلم

وهو أعلم بالمهتدين المغفلة. وكان زعماء كفار قريش يطلبوا منه ﷺ أن يساهل في تبجيل الشرك وهم يبتعدون عن الطعن فيه. ولما كان هذا مكراً منهم قصد به غلق باب تسفيه عقول من يشرك فيبقى المشرك على شركه. قال سبحانه: لرسوله ﷺ: (فلا تطع)... إلخ. أي وإذا كان الأمر كما علمت من أنهم فقدوا عقولهم فلا تطع كفار قومك المكذبين برسالتك لأنهم يعينون أن تلين في محاربة الشرك، فهم أيضاً يسألكونك وهم الراضون: لأن قوة البراهين تحطم كل يوم من حصون الشرك ما يرجعهم. وكان زعيمهم في هذه المكيدة هو الوليد بن المغيرة وكان غنياً بالمال والأولاد. فقال سبحانه: ولا تطع... إلخ. أي ولا تطع خصوصاً كل حلاف مهين إلى آخر تلك الصفات التسع التي ما اجتمعت في شخص إلا كان أقيح الخلق، ولنظاً، فوكل يدل على إرادة عمود ما تجتمع فيه تلك الصفات لا شخص بعينه... وإن كان جميعها واضحا في ذلك الوقت في الوليد بن المغيرة وقوله ﴿بعد ذلك﴾: أي بعد كل هذه النقائص فهو أيضاً اجتمعت فيه شروط أخرى لم تجتمع في غيره. ولا نعلم أن الله عز وجل وصم أحداً بجميع هذه النسا من مثل ما فعل بهذا، حتى ألحق به عاراً لا يفارقه، فصار أصبح كالعلامة يعرفه بها كل ناظر إليه، ثم سقاه على غروره فقال: أن كان... إلخ أي لكونه صاحب مال كثير وثمين كثيرون يهيم القرآن حين ينزل عليه بأنه أكاذيب متولة عن الأمم السابقة.

ثم هدد بالعزيز في الآخرة أيضاً فقال: سنسده... إلخ. أي سنخلى على وجهه يوم القيامة من علامات أصحاب الجحيم المستقيمة للمقت والذل ما يجعل الفضيحة، تلاحقه في آخرته كما لاحقته في دنياه، انظر الآية (١٠٦) من سورة آل عمران صفحة ٨٠ والأيتين (٤٠، ٤١) من سورة عبس صفحة ٧٩. كما سيأتي في الآيات (١١) وما بعدها من سورة الم نشرح صفحة ٧٧٢.

ثم انتقل سبحانه لبيان ما حصل لكفار مكة فقال: (إنا بلوناهم)... إلخ. أي ابتلياهم بالتحط والجوع كما ابتلينا أصحاب البستان حين أقسموا ليقطعن ثماره قبل الصبح قبل يقط الفقراء. ولم ينووا إخراج حق المساكين. فهاهنا سبحانه ليلاً فأصبح أسود كسواد الليل. لا نشر فيه ولا زرع. ثم بين سبحانه ما شرعوا فيه وهم لا يشعرون بما حصل. فقال: (فتتادوا)... إلخ.

المفردات: «تدرسون»: تقدم في الآية

(٤٤) من سورة سبأ صفحة ٥٦٩ .

«لما تخيرون»: اللام لتأكيد ثبوت حقيهم

فيما يختارونه؛ و«ما» بمعنى الذي؛

«تخيرون»: أي تختارون .

«إيمان»: المراد عهد. انظر الآية (٨٠)

من سورة البقرة صفحات ١٦، ١٥ والآية

(٧٨) من سورة مريم صفحة ٤٠٤ .

«بالغة»: أي متناهية في التأكيد وبالغة

غايته من قبيل ما في الآية (١٠٩) من سورة

الأنعام صفحة ١٨٠ .

«زعيم»: أي كفيل وضامن. انظر الآية

(٧٢) من سورة يوسف صفحة ٣١٤ .

«يوم يكشف عن ساق»: العرب تقول ذلك كناية عن يوم الشدة، فالمعنى يوم شدة الهول،

«خاشعة أبصارهم»: أي منكسرة ذليلة، كما تقدم في الآية (٤٥) من سورة الشورى صفحة

٦٤٥ والآية (٧) من سورة القمر صفحة ٧٠٥ .

- (١) إيمان.
- (٢) بالغة.
- (٣) القيامة.
- (٤) بشركتهم.
- (٥) صادقين.
- (٦) خاشعة.
- (٧) أبصارهم.
- (٨) سالمون.
- (٩) تسالهم.
- (١٠) تداركه.

«ماكم»: أي خيل حصل لكم. «كيف تحكمون»: «كيف» اسم استفهام مراد به التعجب

من هذا الحكم الأوج. انظر الآية (٢١) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢ .

«أم لكم»: «أم» تقدم مقامها في الآية (٩) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩ .

«كتاب»: أي منزل من الله كما تقدم في الآية (٤٤) من «سورة سبأ» صفحة ٥٦٩ . والآية

(٢١) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩ .

المعنى: نادى بعضهم بعضاً في الصباح الباكر قائلاً ذهبوا في الغدرة مقبلين على ثمار

يستأنكم إن كنتم مريدين قطعها قبل يقظة المساكين. فانطلقوا وهم يتهايمسون سرا بما يعشق

عدم دخول المساكين عليهم وهم يجنون ثمارها. وساروا في الغدرة بحالة لا يقدرسون فيها إلا

على الحرمان. مع قدرتهم على العطاء. فلما رأوا مكان جنتهم خراباً ظنوا أنه ليس هو مكانها

وقالوا إنما ناذهون عنها. ولما تحققت أنه مكانها قالوا: لم نخطئ بل نحن محرومون. أي حرمانا

الله خيرها لظلمتنا المساكين. عند ذلك قال خيرهم عضلاً وديناً: هل لم أعظكم وأطلب منكم

إن تذكروا الله دائماً فلا تنقضوه. قالوا تنزه ربنا تنزهها قوتاً عن ظلم عبد من عباده. بل نحن

الذين كنا ظالمين، فجاءنا بما نستحق. ثم التفت بعضهم لبعض ليوم كل صاحبه، فبعضهم

يتبرأ والآخر يقول: لم يرشدنا أحد... إلخ.

ثم قالوا: يا هلاكنا ومصيبتنا إنما كنا متجاوزين حدود الله. ونرجوا ربنا أن يبدلنا خيراً

منها، إنما راجعون إلى ربنا بالتوبة راغبون في فضله. ثم حذر سبحانه كل من تعدته نفسه

بالعصيان بقوله: كذلك... إلخ. أي كهذا العذاب الذي حل بأهل مكة وأصحاب الجنة يعذب الله

عليه كاره لغيره. وعزتي لعذاب الآخرة أشد من هذا، لو كانوا يعلمون ذلك لما أقدموا على

أعمالهم. وهذا بيان حال من عصى به ذكر سبحانه. حال المتهمتين ليتبين الفرق فقال: إن

للمعتدين عند ربهم جنات النعيم. ثم ونح صناديد كبار مكة الذين كانوا يزعمون أن الخير هو ما

هم عليه انظر الآية (١١) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧ فقال: (أفجعل)... إلخ. أي هل

تترك العدل فتسوى بين من أسلم وجهه لله وبين هؤلاء المجرمين؟

المراد: لا يمكن في حكم الله هذا. ثم لفت النظر إلى التعجب من زعمهم فقال: ما لكم..

إلخ. أي هل حصل لكم حتى تحكموا بما تقولونه. ثم انتقل إلى توجيههم بشيء آخر فقال:

(أم لكم كتاب)... إلخ.

ثم انتقل إلى توبيخ آخر. فقال: (أم لهم)... إلخ. أي بل هل لهم شركاء عقلاء، يوافقونهم فيما يقولون وعندهم من الأداة ما يساعدهم بها؟

فليأتوا بهؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين. الحق أنه ليس عندهم جميعاً إلا تقليد الآباء بدون عقل.

وبعدما أبطل سبحانه جميع ما يمكن أن يفتقروا به في إثبات زعمهم من دليل عقلى مشار إليه في الآية (٣٥) من هذه السورة ونقل مشار إليه في الآية (٣٧) بعدها أو وعد منه سبحانه كما في الآية (٣٩) أو متبعون لهم يمكن الاعتماد عليهم كما في الآية (٤١) هنا. وبعد إبطال كل هذا هدهم سبحانه بقوله: (يوم يكشف)... إلخ. أي اذكر لهم أيها النبي ما سيحصل يوم يشتد الهول ويطلب منهم السجود لله توبيخاً على تركهم ذلك في الدنيا. وتحسيراً لهم على تبرطهم فيه. فإذا أرادوا ذلك لا يستطيعون.

قال عبد الله بن مسعود: تسمير ظهورهم عظيمة واحدة بلا فاصل للذكاة بهم، لا يقدرون حال كونهم خاشعة أبعارهم تقشاهم ذلة وانكسار ندماً على ما فاتهم وقت التمكن. حين كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا وهم سالمون أي متمكنون منه.

وإذا كان هذا حالهم فأتراح نفسك أيها النبي منهم واترك لى هؤلاء المكذبين بهذا القرآن، سنأخذهم شيئاً فشيئاً إلى هلاكهم من حيث لا يعلمون أنهم صابرون إلى الهلاك.

قال سفيان: (نفدق عليهم النعيم ونسيهم الشكر).

وسأطيل لهم مدة النعيم للكيد بهم. إن كيدى قوى شديد. ثم رجع إلى توبيخهم ثانياً فقال: أم تسألهم... إلخ. أي بل هل طلبت منهم أيها النبي أجراً على تدبير الرسالة فهم من شدة الغرامة متالمون من تحمل ما يتألمون؟

أم عندهم علم الغيب فهم يرسلون منه ما يحكمون به من زعم باطل، فيستفتون به عن علمك. ثم أمر سبحانه رسوله بالسير لحكم ربه بأمرهم.

ولا يكون كيوناً عليه السلام في "ربعة الفخية"، والذين جرحوا نأى، وهو مكرور، في بطن العوت، فولا أن تداركته نعمة ربه.

فوترهتهم ذلك... أي تقشاهم، كما تقدم في الآية (١٧) من سورة يونس صفحة ٣٧٠.

فوفرنى ومن يكذب... المراد أرح نفسك أيها النبي واترك لى أمر عقاب المكذبين، فهو تسلياً له... وتهديد لهم.

(الحديث): هو القرآن الكريم كما تقدم في الآية (٢٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩ والآية (٨١) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧.

فوسستدجهم. وأمل لهم... تقدماً في آيتى (١٨٢، ١٨٣) من سورة الأعراف- صفحة ٢٢٢.

فمن حيث لا يعلمون... أي من جهة يخفى عليهم أنها استدرج. انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢ والآية (٤٤) من سورة الأنعام صفحتى ١٦٨، ١٦٩ وآيتى (٥٦، ٥٥) من سورة المؤمنون صفحتى ٤٥٠، ٤٥١.

فأم تسألهم أخيراً... إلخ. تقدم في الآية (٤٠) من سورة الطور صفحة ٢٩٩.

فأم عندهم الغيب... تقدم في الآية (٧٨) من سورة مريم صفحة ٤٠٤.

فيكبتون... المراد: ينقلون من ضعف عندهم هذا الذى يقاونه من الباطل.

فصاحب العوت... هو يونس عليه السلام المتقدمة قصته في الآية (٨٧) وما بعدها صفحة ٤٢٩ وما بعدها والآية (١٣٩) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٥.

فنادى... أي بقوله: فولا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين... انظر الآية (٨٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٩.

فمكظوم... المراد: أحاط به الغضب، والنم، من كل جهة حتى صار كأنه محبوس فيها.

المنفى: هل جاءكم كتاب من الله تقرعون فيه أن لكم ما تختارونه وتشتهونه في الدنيا والآخرة، فلذلك تجراتم على تكذيب رسولنا المراد لا شيء من ذلك، أم لكم عهد أخذتموها علينا مؤكدة بأقوى أنواع التأكيد بأن يكون لكم يوم القيامة كل ما تمكثون به لصانعكم، فلا يبالكم شر أبداً. سلم أيها النبي مكثاً: أي واحد منهم ضامن لهم ذلك.

سورة الحاقة

المفردات: ﴿الحاقة﴾: مأخوذة من حق الشيء إذا ثبت ووجب، وهي اسم من أسماء القيامة، لأنها واجب حصولها ومن أسمائها أيضاً الواقعة صفحة ٧١٢. والطامة في الآية (٢٤) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠.

والصاخة في الآية (٢٣) من سورة عبس صفحة ٧٩٣. والفاشية في الآية الأولى من سورة الفاشية صفحة ٨٠٤. والقارعة في الآية الأولى من سورة القارعة صفحة ٨١٩.

﴿وما العاقبة﴾: المراد: أي شيء، العاقبة، وهذا أسلوب يقتصد به العرب تهويل أمر الشيء المتحدث عنه كأنه بعيد عن متناول العقول. ﴿وما أدراك ما العاقبة﴾: المراد: لا سبيل لك إلى معرفة وقتها.

﴿نمود﴾: هم قوم نبي الله صالح عليه السلام. ﴿عاد﴾: هم قوم نبي الله هود عليه السلام.

﴿انقارعة﴾: اسم للساعة كما سيأتى في سورة القارعة صفحة ٨١٩.

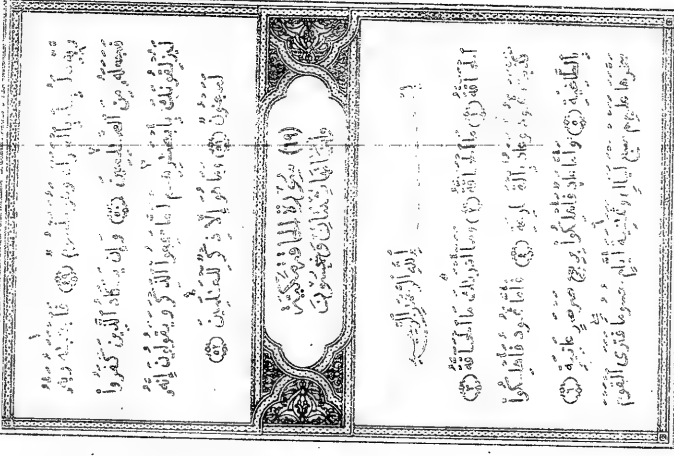
﴿الطامة﴾: المراد: الحادثة التي جاوزت الحد في الشدة، والمراد بها ﴿الصاعقة﴾ المذكورة في الآية (١٢) من سورة فصلت صفحة ٦٣١.

﴿صرصر﴾: أي شديدة الصوت مزعجة. ﴿عانية﴾: بالغة منتهى الشدة في التدمير.

﴿سدم﴾: جمع حاسم أي قاطع، يوزن شهود وشاهد، ومنه حسم الكي للداء أي قطعه، والمراد: قاطعات لدبرهم، وهو صفة لسبع ليال وثمانية أيام.

المعنى: الساعة الواجبة الوقوع، ما هي هذه الساعة؟ إن من حقها أن يسأل عنها لشدة ماؤها، وأن شيء أعظم لها المخاطب بها؟

المراد: لا يمكن أن يكون ذلك، ثم ذكر بعض الأمم التي كذبت بها، وما حصل لهم ليتنبه كفار مكة، فقال: كذبت شعور وعاد بالقارعة أي بالقيامة التي تتقرع القلوب بالفرع والهول، والسما بالشفق، والأرض والجهال بالنسب، ثم فصل ما نزل بكل أمة فقال: ﴿فأما شعور﴾... إلخ. أي فأنما تعود فأهلكم الله بصيحة فاقت الحد في الشدة. وأما عاد فأهلكم الله ببرج مزينة شديدة التدمير، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام قاطعات لدبرهم، حتى كأن صورتهم السجدة خاطرة الآن يراها الناظر.



المفردات: ﴿القيامة﴾: أي طرح، ﴿المراد﴾: الأرض المشالية من الزرع والشجر. ﴿مدموم﴾: أي متصف بصايم عايله. ﴿عاجته ربه﴾: أي استأثره لإتمام رسالته. ﴿وإن يكاد الذين كفروا﴾: أي أنهم يقررون... إلخ.

﴿يزلزل﴾: اللام لتأكيد قوتهم من إيدائهم. ﴿ويزلزلون﴾: أي يزلزلون عن مكانهم من الأرض فتتصارع والمرب تعرجل ذلك كناية عن شدة اليرب فية ولون: يطار فلان إلى فلان حتى كاد يصصره أو كاد يأكله. كان المداوة لشدها قوة صادرة من العين نصروع أو تاكل. ﴿الذكر﴾: هو القرآن. ﴿إلا ذكر﴾: أي تذكير بكل ما يقع.

المعنى: لولا أنه أدرك يونس فضل من ربه لمجرده الصوت من يظنه بالغاية متألمة بذبذبه الذي لامه الله تعالى عليه أي فيهلك، لكنه لما كان من المسيحيين حفظه الله واختاره لإتمام رسالته كما في الآية (١٤٧) وما بعدها من سورة الصفات صفحة ٥٩٦. وبذلك جملته من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الرسل، انظر شرح الآية (٩) من سورة الممتحنة صفحة ٥٢١. ثم بين سبحانه شدة غيظ الكافرين منه ﷺ بأربع بارة فقال: ﴿وإن يكاد الذين كفروا﴾... إلخ. أي إن هؤلاء الكفار لشدة عداوتهم وكراهتهم لله أي الذين يظنون إليك بصدق، وأكد لك أن غيظهم منك ملاً قلوبهم حتى جعلهم لو استنطقوا الضحك بك انعدوا. يقع منهم ذلك حين يسمعون منك القرآن. ويعجزون عن محاربتك. ويقولون مؤمنين ما يقولون تخيل للناس وتنفيرا لهم؛ والله إن محمداً لمجنون لأنه يأتي بكلام يتضمن هدم ما وجدنا عليه آباءنا. والعق أن هذا القرآن ليس إلا تذكيراً ووعظاً للمؤمنين. فكيف يكون من يتلوهم محزوناً؟

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) حاجته. | (٢) الصالحين. |
| (٤) للمؤمنين. | (٥) أدراك. |
| (٣) باصهارهم. | (٦) ثمانية. |

﴿فَبِهَا هِيَ﴾: أي تحفظها باهتمام، ولا تكون مثل ما في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. والعرب تنسب ذلك للأذن وتريد مصاحبها.

﴿وَأَعْيَتْ﴾: المراد: حسنة الاستعداد للحنف. ووراءها عقل يفكر، فلا تسمع خطأ. انظر الآية (١٢٧) من سورة ق صفحة ٦٩١: قال الزجاج: الأصل أن يقال ﴿وَأَعْيَتْ﴾ لما يحفظ في النفس، كما هنا. وكما في وعيت العلم في صدرى. و﴿وَأَعْيَتْ﴾ لما يحفظ في وعاء، فيقال أوعيت المتاع في صندوق، كما في الآية (١٨) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥. وقد يستعمل كل مكان الآخر. انظر الآية (٢٣) من سورة الانشقاق صفحة ٨٠٠.

﴿وَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾: تقدم في الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥، وجواب (إذا) قوله الآتي ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أي رفعت من أماكنها من شدة الزلزلة المذكورة في الآية الأولى من سورة الحج صفحتي ٤٣٢، ٤٣٣.

﴿فَكَذَّبَ...﴾: إلخ: أصل ذلك الهدم والتعطيم لجسم كبير مثل الحائط والجبل.

﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: تقدم في الآية الأولى من سورة الواقعة صفحة ٧١٣.

﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: أي تفرق بعض أجزائها عن بعض، انظر الآية (٢٥) من سورة الفرقان صفحة ٧٨٢؛ والآية الأولى من سورة الانقطار صفحة ٧٩٥.

﴿وَأَهْبَتْ هَبًا﴾: أي ضعيفة هتاء، نسيبة السقوط. ﴿وَالْمَلَأَتْ﴾: المراد: جنس الملك فيشمل جماعة منهم. ﴿وَأَرْجَاهَا﴾: الضمير يعود على السماء بمعنى آخر كما قيل في شرح إرصاصي ﴿الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، والمراد السماء الجديدة بدل الداهية. انظر الآية (٤٨) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٧. ومفرد أرجاء ﴿وَرَجَى﴾ يوزن ﴿وَفَتَى﴾ منزهة ومفناه جانب.

﴿ثُمَّ انبَعَثَرَتْ﴾: أي من الملائكة، ومن الأدب مع علام الغيوب البعد عن التوضيح في أوصافهم وتبني جلدهم.

﴿هَاقًا﴾: هباء، اسم فعل بمعنى هُجِرَ. والسم تدل على أن المخاطب جميع أي هُجِرُوا. ومفعوله محذوف، دل عليه ما بعده وهو الكتاب المذكور بعده، والمخاطبون مراد بهم من يسره اجتماعه بهم في الجنة، وهم المذكورون في الآية (٢٢) من سورة الرعد صفحة ٢٧٥.

فِيهَا مَرُوضٌ كَأَنَّهَا بَغْيٌ جَارِيَةٌ ﴿١﴾ مَوَلَّى تَرَى هُمْ
مِنْ بَابٍ ﴿٢﴾ وَبَابٍ قَوْمُونَ وَمِنْ قَبْلِهِ وَالْمَرْيُوكَاتُ
بِالْعَلْيَانَةِ ﴿٣﴾ فَعَمَّا رَسُولٌ يَرْسُمُ فَاظْمَمُ أَهْلَهُ
رَأْيَهُ ﴿٤﴾ إِنَّا لَمَّا عَلَّمْنَا النَّاسَ مَلَكُوتَهُ فِي الْبَابِ
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكُّرًا وَنَبَيًّا أَذْنًا وَبَيَّةً ﴿٥﴾ فَأَذَا نَفَخَ
فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿٦﴾ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ رَوْنًا
وَأَسْدَدَتْ أَسْمَاءُ نَفْسٍ بَوْمِيَّةً وَهِيَةً ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ عَلَى
أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا فَوَقَّعَهُمْ بَوْمِيَّةً كَيْفِيَّةً ﴿٨﴾
بَوْمِيَّةً تَعْمَلُونَ لَا تَخْلُقُ سِوَكُ حَالِيَّةً ﴿٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ
كَيْفِيَّةً وَيَجِيئُهُ فَعَمَلُهُ هَاقًا أَزْمًا وَكَيْفِيَّةً ﴿١٠﴾ إِلَى
فَلَنُتِلَّ إِلَى تِلْكَ حَيَاةٍ ﴿١١﴾ فَهَوَّى عَيْنًا رَأْيِيَّةً ﴿١٢﴾

من سورة الحجر صفحة ٣٤٢.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: رائدة في الشدة.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: جاوز حده المعتاد.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: حملنا آباءكم الذين أنتم من نسلهم.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: المراد: سفينة نوح عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: أي عبرة.

المفردات: ﴿فَصَرَعِي﴾: جمع صريع أي هالك. فهم هلكي ينتج فسكون.

﴿وَأَعْجَازَ نَجَلٍ﴾: تقدم في الآية (٢٠) من سورة القمر صفحة ٧٠٦.

﴿وَأَعْجَازَ نَجَلٍ﴾: خالية، تثار كل ما في جوفها.

﴿وَقَدْ تَرَى لَهُمْ﴾... إلخ: استفهام إنكاري يفيد النفي: و﴿وَمِنْ بَابٍ قَوْمُونَ﴾: وهم للنفوس على عموم نفوس ما بعدها، أي فلا ترى منهم نفسا باقية، بل هلكوا جميعًا.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾... إلخ: أي من الأمم الماضية التي كذبت رسلها كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وخاصة الموثقات، وهي جميع مؤتلفة أي متقبة، وهي قري قوم لوط التي خسف الله بها وبهم الأرض، انظر الآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤٢.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: أي بالعملة الشديدة الخطأ.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: أي زاد، والمراد: رائدة في الشدة.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: جاوز حده المعتاد.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: حملنا آباءكم الذين أنتم من نسلهم.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: المراد: سفينة نوح عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهِمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا رِيكًا﴾: أي عبرة.

- (١) الموثقات. (٢) حملناكم. (٣) واحدة. (٤) واحدة. (٥) غمانية. (٦) كتابه. (٧) قري. (٨) كتابه. (٩) ملاق.

﴿كتابه﴾: الهاء هنا وفي ﴿حسابيه﴾ و ﴿ماليه﴾ و ﴿سلطانيه﴾. تسمى ﴿هه السكت﴾ وهي حرف يعقده العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت عليها. ثم توسعوا وأثبتوها حتى مع الوصل. ﴿ظننت﴾: المراد: توقعت كما في الآية (٤٦) من سورة البقرة صفحة ١٠.

﴿عيشه﴾: هي حالة الإنسان التي يعيش عليها. انظر تفصيل ذلك في الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٣٢٩. ﴿راضية﴾: المراد: راض بها صاحبها رضا كثيرا حتى كأنها هي الراضية.

المعنى: أرسل سبحانه الريح على عاد فاهلكتهم. فترى القوم - لو كنت حاضرا في تلك الليالي والأيام - مطروحين على الأرض قتلى، كأنهم لضخامة أجسامهم قوائم نخل جوفاء. فلا ترى منهم نفسا باقيا. وجاء بعدهم فرعون ومن تقدمه من الأمم الكافرة. وخصوصا أهل قري قوم لوط التي قلبها الله تعالى عليهم. جاء كل هؤلاء بالنعمة الشنيعة الخطأ. ثم قسر بعضها فقال: فقصوا أي عصيت كل أمة رسول ربها فعاقبهم سبحانه عقابا شديدا. انظر الآية (١٠٢) من سورة هود صفحة ٢٩٩. ثم ذكر سبحانه أنه نجى من به وأعرق من كفر فقال: إنا لما طغى الماء... إلخ. أي إنا لما تجاوز الماء الحد المألوف كما في آيتي (١٢، ١١) من سورة القمر صفحة ٧٠٥. حملنا آباءكم المؤمنين مع نوح في السفينة التي صارت تجري بهم في موج كالجبال. كما في الآية (٤٢) من سورة هود صفحة ٢٩٠ نجينا كل من فيها لنجعل هذه العادة عبرة تدل على كمال قدرتنا. ولتحفظها الأذان ذات القلوب المتيقظة فينتفع بها أصحابها فلا يغضبون ربهم. ويعدما بين سبحانه هول القيامة شرع في بيان كيفية وقوعها فقال: (فإذا نفخ... إلخ. أي إذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة لا نحتاج إلى تكرار. ورفعت الأرض والجبال عن مكانها. وحطمتا تحطيمه واحدة كذلك. فيوم يحصل هذا تقوم القيامة. وتشق السماء وتتداعى للسقوط، وتذهب وتبدل بسما غيرها، ويقف الملائكة على جوانبها ينتظرون أوامر ربهم. ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة ثمانية ملائكة آخرون. يوم يحصل كل هذا الموقف الرهيب تعرضون أيها الخلائق على الله للحساب. لا تخفى عليه من سرلكم خافية.

ثم فصل سبحانه أحوال الخلق عند العرض فقال: فأما من أوتى كتابه بييمه فيقول أي لمن يسره اجتماعه بهم ويسرهم سروره من الآباء والأزواج والأبناء: خذوا كتابي اقروه ليسركم سروري. ثم يذكر سبب هذه السعادة فيقول: إني كنت في الدنيا متيقنا أني سألاقي هذا الحساب. والمراد: كنت مؤمنا باليوم الآخر. وفيه تريض بالكفار الذين ينكرونه. ثم يكون ماله بعد ذلك أن يكون في عيشة اشتد رضاه عنها حتى كأنها هي الراضية.

فِي حَقِّ عَالِيَةٍ ﴿١﴾ هُوَ هَاجِرٌ دَانِيَةٌ ﴿٢﴾ تَكْرَارٌ أَقْرَبُوا
هَيْبَةً يَا أَنْتَقِمُ فِي أَيَّامِ أَنْعَالِيَةٍ ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى
كَتَبْتُمْ رِشَالَهُ فَمَقُولُ يَنْتَقِلِي تَرَاوَتْ كِتَابِيَةٍ ﴿٤﴾
وَلَا أَدْرَأُ مَا حَسْبِيَةٍ ﴿٥﴾ يَلْتَبِتَا كَانَتْ الْقَائِمِيَّةُ ﴿٦﴾
مَنْ أَتَقْنِي عَنِّي مَالِيَةٍ ﴿٧﴾ هَكَذَا عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ ﴿٨﴾
عَنْهُ فَمَقُولُهُ ﴿٩﴾ ثُمَّ بَلَغْتُمْ سَوَاءً ﴿١٠﴾ ثُمَّ فِي سِلَاقِ
دَرَجَاتٍ سَمَوَاتٍ ذَرَاكَ فَانْزِلُوكُوهُ ﴿١١﴾ إِنْ كُنْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِإِلَهِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَا يَخْشَى عَلَى عِلَاقِ السَّكِينِ ﴿١٣﴾
فَلْيَسِّرْ لَهُ الْيَوْمَ مَهْنَةً حَسْبُكُمْ ﴿١٤﴾ وَلَا تَعْلَمُ الْأَمْرُ
عَمَلِيَّةٍ ﴿١٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْغَاطُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا أَسْمُ
يَا نَبِيْرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا لَا يَسْمُرُونَ ﴿١٨﴾ إِنْهُمْ يَقُولُونَ رَسُولٌ
كَذِبٌ ﴿١٩﴾ وَمَا هُوَ بِرَسُولٍ قَلِيلًا مَا تُوَفِّرُونَ ﴿٢٠﴾

المفردات: ﴿عالية﴾: أي مرتفعة منزلتها وقصورها وأشجارها.

﴿قطوعها﴾: جمع قطف بكسر فسكون

بمعنى المقطوف كالذبح بمعنى المذبوح في الآية (١٠٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢. والقطف هو ما يجنى بسرعة وسهولة.

﴿دانية﴾: أي قريبة التناول.

﴿أسلفت﴾: أي قدمت من الصالحات.

﴿في الأيام الخالية﴾: أي الماضية وهي أيام الدنيا دار التكليف.

﴿يا ليتها﴾: أي الموتة التي متها في الدنيا وهي مضمومة من سياق الكلام. كما

في قوله تعالى: ﴿ما ترك على ظهرها﴾ الآية (٤٥) من سورة قاطر صفحة ٥٧٨.

﴿القاضية﴾: أي القاضية لأمرى فلا أزمة. دانية، بل أكون تراثا. انظر الآية (٤٠) من سورة

النبا صفحة ٧٨٨.

﴿إليه﴾: أي ما كان له في الدنيا من مال وغيره.

﴿ملك﴾: أي هقد، وادع.

﴿سلطاناه﴾: السلطان هنا معناه العجعة، كما في الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٧٧٧ والمراد: فله سلطان ما كنت أحتج به في الدنيا من حجاج وأهية، كالتباعد الآباء

مثلا.

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) كتابه. | (٢) يا ليت. |
| (٣) كتابه. | (٤) يا ليتها. |
| (٥) سلطاناه. | (٦) هانا. |
| (٧) الغاطون. | |

﴿فَغُلَّوْهُ﴾: أي ضَعَوْهُ في عَقَبَةِ الْأَغْلَالِ، انْظُرِ الْغُلَّ فِي شَرْحِ آيَةِ (٤) مِنْ سُورَةِ الْإِنْسَانِ صَفْحَةَ ٧٨١.

﴿الْجَحِيمِ﴾: هِيَ النَّارُ شَدِيدَةُ النَّارِخِ.

﴿صُلُوْهُ﴾: أَيِ ادْخُلُوْهُ فِيهَا، انْظُرِ آيَةَ (٣) مِنْ سُورَةِ الْمَسَدِ صَفْحَةَ ٨٢٦.

﴿ذُرْعَاهُ﴾: أَوَّلُ مَعْنَى الذَّرْعِ قِيَاسُ الشَّيْءِ بِالذَّرْعِ، وَارْتِدَ بِهِ هُنَا قِيَاسُهَا. وَمَقْدَارُ طَوْلِهَا.

﴿فَاسْلُكُوْهُ﴾: أَيِ ادْخُلُوْهُ فِيهَا، انْظُرِ آيَةَ (٢١) مِنْ سُورَةِ الزَّمَرِ صَفْحَةَ ٦٠٩.

﴿لَا يَحْضُ﴾: أَيِ لَا يَأْمُرُ غَيْرَهُ.

﴿طُعَامُ﴾: الْمَرَادُ: طُعَامٌ. فَهُوَ مَصْدَرٌ كَالْمَطَاءِ بِمَعْنَى الْإِعْطَاءِ..

﴿حَمِيمٍ﴾: أَيِ مَحَبٍّ قَوِيٍّ الْمَحَبَّةُ يَحْمِيهِ. انْظُرِ شَرْحَ آيَةِ (١٠١) مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ صَفْحَةَ ٤٨٦.

﴿غُسْلَيْنِ﴾: أَصْلُهُ مَا يَسِيلُ مِنَ الْجِرَاحِ إِذَا غُسِلَتْ، وَالْمَرَادُ: الصَّدِيدُ وَالْدَمُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ.

﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾: تَقْدِمُ الْمَرَادُ مِنْ ذَلِكَ فِي آيَةِ (٧٥) مِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ صَفْحَةَ ٧١٧.

﴿يَبْسُ تَبْسُرُونَ﴾... إلخ: الْمَرَادُ: يُجْمِعُ مَا تَشَاهَدُونَهُ، وَمَا غَابَ عَنْكُمْ، وَمِمَّا غَابَ: (الْمَلَاكَةُ، وَأَحْوَالُ الْآخِرَةِ، بَلْ وَبَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَمْ يُمْكِنْ رَوِّيَتُهَا إِلَّا أَنْ). انْظُرِ

الآيَةَ (٣) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٥٨٧. وَلَا تَنْسَ مَا سَبَقَ فِي شَرْحِ سُورَةِ الصَّافَّاتِ صَفْحَةَ ٥٨٧.

﴿إِنِّهٖ﴾: أَيِ الْقُرْآنِ. ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ﴾: الْمَرَادُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْلُغًا عَنْ رَبِّهِ بِدَلِيلِ آيَةِ (٤٣) الْآيَةِ وَيُصِحُّ أَنْ يَرَادَ بِهِ جَبْرِيلُ. انْظُرِ آيَةَ (١٩) مِنْ سُورَةِ التَّكْوِيْنِ صَفْحَةَ ٧٩٤.

﴿يَقُولُ﴾: الْبَاءُ لِنَتَاكِيدِ نَفْسٍ مَا بَعْدَهَا.

﴿شَاعِرٍ﴾: أَيِ كَمَا تَقْتَرُونَ.

﴿فَقِيلَ مَا...﴾ إلخ تَقْدِمُ شَرْحَ هَذَا التَّرْكِيْبِ تَفْصِيْلًا فِي آيَةِ (٨٨) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ١٧. وَانْظُرِ آيَةَ (٥٨) مِنْ سُورَةِ غَافِرٍ صَفْحَةَ ١٢٥.

الْمَعْنَى: إِنَّ فَرِيقَ أَهْلِ الْيَمِينِ يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ تُسَارِفُهَا قَرِيبَةٌ مِنْ كُلِّ رَاغِبٍ. تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَاكَةُ ادْخُلُوا لِلسُّرُورِ عَلَيْهِمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا أَكَلًا وَشَرِبًا هَنِيئًا. جَزَاءُ مَا قَدَّمْتُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ مُتَحَسِّرًا عِنْدَمَا يَرَى قَبِيحَ عَمَلِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَيْتَنِي لَمْ أَعْمَلْ كِتَابِي حَتَّى لَا أَعْرِفَ مَا فِيهِ. وَلَا مَا هُوَ حِسَابِي. لَمْ يَنْفَعْنِي مَا كَانَتْ لِي فِي الدُّنْيَا أَقْلُ شَيْءٍ، غَابَ عَنِّي مَا كُنْتُ أَفْلَهُ حُجْجًا تَفَنَّنِي. عِنْدَ ذَلِكَ يَنَادِي سَبِيحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَلَاكَةُ بِقَوْلِهِ: خُذُوهُ فَضَعُوهَا النَّارَ فِي عَنَقِهِ. ثُمَّ ادْخُلُوهُ الْجَحِيمَ؛ ثُمَّ كَبَلُوهُ فِي سُلْسَلَةٍ طَوِيلَةٍ تَحْوِلُهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ. وَلَا يَأْمُرُ غَيْرَهُ بِطُعَامِ الْمَسَاكِينِ وَذَلِكَ لَشِدَّةِ بَخْلِهِ.

ولما سمع أبو الدرداء رضي الله عنه ذلك علم أن منشأ هذا الشقاء شيئان هما أقطع الجرائم: الكفر بالله، والبخل المشعمر بقسوة القلب على الفقير، فكان يقول لامرأته: أكثرى من المرق لا جل المساكين؛ لأن الله من علينا بخل نصف تلك السلسلة البشعة بالإيمان، فلا يصب علينا خلع النصف الآخر بالطعام المساكين. عليك رضوان الله يا أبا الدرداء؛ نرجو من الله أن يوفقنا لما وفقك له.

فليس للكافر يوم القيامة في جهنم صديق ينقذه. ولا طعام إلا من صعيد، ودماء أهل النار. وما هنا وما في الآية (٥٢) من سورة الواقعة صفة ٧١٥ من أن ملأهمم الزقوم، وما في الآية (١) من سورة الفاشية صفة ٨٠٥ من أنه الخربيع.

كل هذا يشعر بأن أهل النار طبقات. لكل منهم طعام مخصوص كما أن لكل طبقة بابا مخصوصا يدخلون منه إلى جهنم، انظر الآية (٤٤) من سورة الحجر صفة ٣٤١ لا يأكل هذا الطعام إلا من تعدد الجحائيا واستمر عليها عذابا.

ثم انتقل سبحانه إلى تعظيم أمر القرآن والرسول المنزل عليه في الآيات التالية أقسم بهما تشاهدونه ومالا تشاهدونه... إلخ. أي أن ما سنأقوله في غاية الوضوح، وهو أن هذا القرآن قاله لكم رسول كريم علي ربه، مياما عنه. لا من عند نفسه. وليس هو قول شاعر كما تقتضون، انظر الآية (٥) من سورة الأنبياء صفة ٤٧٠؛ لأن الشعر كله خيال لا حقيقة له، وأما ما يبلفه الرسول فحق كله. ولكم لشدة عذابكم قليلا ما تصدقون. فلا يرفع عنكم الخلود في النار.

﴿فَمَا مِنْكُمْ﴾: ﴿فَمَا﴾ بمعنى (ليس). ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ حرف أريد به النص على عموم ما

يحدث.

﴿أَحَدٍ﴾: أريد به هنا الجميع، بدليل ﴿حَاجِزِينَ﴾ الآية فالعنى: فليس جمع منكم يمنع عنه

عذابنا، وانظر ضمني ﴿أَحَدٍ﴾ في الآية (٢٨٥) من سورة البقرة صفحة ٦٦، ٦٧.

﴿وَأَنَّهُ﴾: أي القرآن الذي يقولون عنه إنه شعر.

﴿لَا تَذَكَّرُ﴾: أي تذكرو وعظما.

﴿لَا تَذَكَّرُونَ﴾: لأنهم هم الذين يتفهمون به، انظر الآية (٥٥) من سورة الذاريات صفحة

٦٩١.

﴿الْمُسْمَرَةُ﴾: المراد: أركد أنه سيكون سبب حسرة لهم يوم القيامة إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿لَوْ لَقِيتُمُ الْيَتِيمِينَ﴾: أي أهو المصنف وقد التي يجب أن تتبين، انظر شرح الآية (٩٥) من سورة

الواقعة صفحة ٧١٨.

المعتزلة: وأيس القرآن يقول كاهن فإيلا ما تذكرون أيها الكفار وتساءلون في أحوال الرسول

الذي لم يعرف عنه إلا المصدق، وفي معاني القرآن التي تناقض الكهانة.

والحق أن هذا القرآن منزل من رب العالمين، على أكرم المرسلين، ثم صدور به على خلقه أشرف

رسول الأنبياء، لم يكن عليه علم ولا عقل، ثم يصدرونه وحدهم ويؤيدونه إذا كذب عليهم.

هذا: (ولو تقول علينا) ... إلخ أي أو نسب إلينا من عندنا رسولا من الأكاذيب، ففضلاً

عن هذا القرآن الكريم لاخذنا منه بالخير وأهملناه، فصور الهلاك هنا بأقبح صورة يفصلها

الماولك من فخذون عليه م، فإن المصنف يفتيد المثل بأخف المذهب من يمينه ويضمره

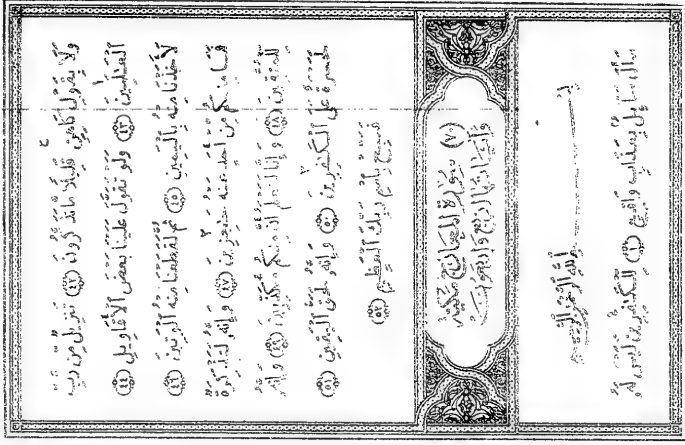
بالسيف، فوقه نصوره وهو ينظر إليه، أو كذب علينا معصداً وقمنا به ذلك فليس جمع منكم

يستطيع منع هذا العقاب عنه.

وإن هذا القرآن لمذكر وواعظ للمؤمنين، وإننا لنظام أن يوضحكم يا أهل مكة مكذبون، وبعضكم -

مؤمنون، وسنحازيكم كلاً بما هو أهله، وإن هذا القرآن هو سبب حسرة على الكافرين، إذا رأوا

في الآخرة ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين.



المفردات: ﴿يقول﴾: الباء كسابتها.

﴿كسأه﴾: هو الذي يدعى علم القريب.

يستغل به البسطاء.

﴿قائلاً ما﴾: تقدم شرح هذا التركيب.

تخصيصاً في الآية (٨٨) من سورة البقرة

صفحة ١٧. وانظر الآية (٥٨) من سورة

خافر صفحة ١٧٥.

﴿قائلاً ما تذكرون﴾: تذكرون أملاً

تذكرون أي تستفكرون وتساءلون؛ والمراد

تذكرون تذكراً قليلاً جداً، لا يقع، كما

تقدم في الآية (٣) من سورة الأعراف

صفحة ١٩٢.

﴿تقول علينا﴾: القول تكلف القول والمرد: يخفى قولاً من عند نفسه ونسبه إلينا.

﴿الافاويل﴾: هي جمع (أفوال) التي هي جمع (قول). ولكنها اشتهرت في الأقوال المأثورة

احتقاراً لها، كما يقولون أصحابك وأعاجيب.

﴿لاخذنا منه باليمين﴾: أي قبضنا على يمينه.

ثم يخفى هذا اليمض بأنه اليمين، والكلام كناية عن عت على عبادة الرب في الأخذ بيمين من

يريدون عقابه، كما يقول الساطان لمن يريد إهانته: خذوا على يديه.

﴿الوتين﴾: هو عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات، ضاحيه.

(١) المالمين.

(٢) حاجزين

(٣) الكافرين

(٤) للكافرين

﴿المعن﴾: هو الصوف، كما سيأتى فى الآية (٥) من سورة القارعة صفحة ٨١٩، ولا تنس شرح الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٢٨٧.

﴿حميم﴾: هو القريب والصديق، شديد المحبة المشفق على من يحب، انظر شرح الآية (١٠١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦. ولمحيته نكرة فى مقام النفى كان المراد به العموم؛ ولذا جمع ضميره بمسند «يصدرونهم»: الجملة حال من كل من «حميم» و «حميما»، لأن قصد المومم فيهما معوج مجيء الحال منهما، والتبصير: التبصير، يقال بصره الشيء أى عرفه به.

والمراد هنا: يصدرون الله تعالى كل حميم حميمه ومع ذلك، فلا يلتفت أحد لأحد من شدة الهول، فيظهر لهم فساد الاعتماد على غير العمل؛ ويخطر صعبة الأشرار. كما فى الآية (٢٨) من سورة الفرقان، صفحة ٤٧٣.

﴿رود﴾: أى يحب ويتعنى. ﴿لو يفندى﴾: ﴿لو﴾ حرف يجعل الفعل بعده فى قوة المصدور، فالرود: افتداء نفسه. ﴿فصاحيته﴾: زوجته. ﴿أسرته التى فضل عنها، أى تقرع مؤنرا.

﴿تؤوى﴾: أى تخضع لها عند الشدائد.

﴿ثم ينجى من﴾: عطف على «يفندى» وضمير الفاعل عائذ على «من فى الأرض» وعطف بـ «ثم» البيان استبعاد الإنشاء والمراد ينجى المجرم لو كان الجميع تحت يده ويشفهم بغيره.

﴿لأنهم انفسهم هم الذين﴾: وذلك مستعمل.

﴿كلا﴾: صوف، يدل على الزجر عما قبله. ﴿فإنها﴾: أى النار المشهومة من المقام الذى يذكر فيه المذاب، وذلك؛ لظهور ما فى الآية (٤٥) من «سورة فاطر» صفحة ٥٧٨.

﴿أطى﴾: اسم من أسماء نار الآخرة تطلق أى تنهب، دافعا، انظر الآية (١٤) من سورة

النار، صفحة ٨١.

﴿نزعاً﴾: أى شديدة نزع الشيء المتصل بشيء آخر. ﴿للشوى﴾: جمع شواة يفتح أوله، وهى جلدة الرأس. ﴿تدعو﴾: أصل معنى تدعو تطلب. والمراد: أن الماصى يجذب إلى جهنم بلا تأخير كأنه مطلوب من ملك جبار لا يخالف أمره، انظر الآية (٢٢) من سورة الحج صفحة ٤٣٦.

﴿أدبر﴾: أى أعطى ظهره للحق. ﴿تولى﴾: انصرف معرضاً عن الطاعة.

﴿جمع فأوعى﴾: أى جمع المال ووضعه فى وعاء لئلا يفسده على الدنيا.

﴿هلوعاً﴾: أصله من الهلع وهو السرعة. تقول العرب (ناقة هلوع) أى سريعة السير، والمراد هنا: سريع الجزع عند حصول مكروه، وشديد المنع عند حصول الخير. فما بعده تفسير له. ﴿جزعوا﴾: أى كثير الجزع وهو عدم الصبر.

المعنى: لما استعجل زعماء الكفر بمكة العذاب استهزاء كما تقدم، أنذرهم سبحانه بأن العذاب الأكبر فى جهنم حاصل قطعاً لكل كافر لا يستطيع أحد دفعه؛ ثم بين سبحانه أنه واقع. أى حاصل من الله تعالى خالق المصاعد التى تصعد عليها الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره سبحانه فى يوم طويل جداً على الكافرين. ثم خفف عن نبيه وقع تكليهم له فقال:

فاصبر... إلخ. أى إذا استعجل هؤلاء العذاب استهزاء بأخبارك أنها النبى فلا تضجر واصبر صبراً جميلاً. والذى غر هؤلاء الكفار أنهم يستبعدون وقوع العذاب الذى أنذرهم به. ولكن ربك يعلم أنه سيحصل لهم قريباً ما هو أفظع منه وهو عذاب القيامة، يوم تكون السماء

كالنحاس المذاب، انظر الآية (٣٧) من سورة الرحمن صفحة ٧١١، ٧١٠. وتكون الجبال كالصوف المنفوش تتطاير فى الهواء، ولا يطلب قريب من قريبه مساعدة. فى حال أن الله عرف كلا منهما صاحبه، لشدة الهول التى شغلت كلا بنفسه. ومن مظاهر هذا الهول أن

المجرم يتعنى افتداء نفسه من عذاب هذا اليوم بكل من كانوا أعزاء عليه فى الدنيا، حتى لو استطاع أن يفندى بجمع من فى الأرض لينجو لفعل، ولما كان هذا اليوم لا ينفذ فيه فداء كما فى الآية (٣٦) من سورة المائدة صفحة ١٤٢ زجرهم سبحانه عن الطمع فى ذلك بقوله: كلا...

إلخ. أى كشفوا عن هذا وانتظروا، إن مكانكم نار تلظى، شديدة نزع الجلود من على الرؤوس فتحرقها ثم تعود كما كانت كما فى الآية (٥٦) من سورة النساء صفحة ١١٠، ١٠٩. هذه النار يطلب إليها من أعرض عن الحق. وانصرف عن الطاعة. واختزن المال فى أوعية ولم يؤد حق

الله فيه. ثم بين سبحانه طبع أكثر الناس فقال: إن الإنسان خلق سريع الجزع عند المكروه. لا يعرف فضل الصبر. شديد المنع للخير إذا وسع الله عليه. ولم يسلم من هذا العيب إلا الذين عالجه بالعداومة على الصلاة. فإنها تساعد على الصبر ومكارم الأخلاق انظر الآية (٤٥) من

سورة البقرة صفحة ١٠ والآية (١٣٢) من سورة طه صفحة ٤١٩.

يسمى مالا. ولو لم يكن فيه زكاة، كالغسل بجميع أنواعه، والعبور، وغير ذلك من كل ما تتعلق به نفس المعزوم، وبذا يكون المسلمون أسرة واحدة رباطها التراحم، لا التمسر والقوة؛ فما رُوع هذا الدين وما أسما تعاليمه. لو وفق أهله للعمل به. **﴿الأسئلة﴾** : هو الفقير الذي يسأل الناس. **﴿المعزوم﴾** : هو الفقير الذي يتعفف عن سؤال الناس فيظنه الجاهل غنياً، فيحرم من العطاء، انظر الآية (٢٧٦) من سورة البقرة صفحة ٥٨. (أي يوم القيامة انظر الآية (٤) من سورة الفاتحة صفحة ٢. **﴿مشفقون﴾** : أي خائفون فلا يفرطون في طاعة: انظر شعورهم بمنزلة هذا في الآخرة في الآية (٢٦) من سورة الطور صفحة ٦٧٨. **﴿إن عذاب رهم غير مأمون﴾** : فيجب على المؤمن البعد عن أسبابه. **﴿والذين هم لفروهم﴾** .. إلى آخر الآية (٢٣) : تقدم في صفحة ٤٤٦. **﴿يشهادتهم﴾** : أي التي تطلب منهم عند الفصل في المنازعات. **﴿قائمون﴾** : المراد يؤدون قائمة على أصولها. ليس فيها ميل. عن الحق. **﴿على صلاتهم يحافظون﴾** : المراد يحافظون على أركانها وشروطها وسنتها وأدائها. على أكل وجه، فهذا غير المداومة عليها المتقدمه في الآية (٢٢). **﴿مكرمون﴾** : أي يكرمهم الله في الجنة. **﴿فعمال الذين كفروا﴾** : هكذا رسم في المصحف الإمام، الذي أقره الصعابة في عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والرسم المعروف الآن **﴿فعمال للذين كفروا﴾** والممنى : أي شيء حصل لهم استخف عقولهم. **﴿قيلك﴾** : أي جهتك وحولك. **﴿مطمعين﴾** : المراد مسرعين ليسموا ما يجعلونه مثار استهزاء، وهي حال من (الذين كفروا) وكذا (عزيرين) وهي عزة بكسر أوله، وفتح ثانيه، وهي الجماعة والمراد : جماعات. جماعات. (أيضاً) : **﴿الهمزة للاستقحام التوبيخية﴾** وكلا حرف يدل على الزجر عما قبله، **﴿وما يعلمون﴾** : المراد من نظمة مهينة قدرة، انظر الآية (٢٠) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٥ فهذا عزز خفيف لغطرتهم: انظر الآيات (١٧) ١٨، ١٩) من سورة عبس صفحة ٧٩٢.

﴿فَإِنْ أَقْسَمُ﴾: المراد: أن الأمر أوضح مما
يفتح فسكون، فكسر، للشمس والقمر والنجوم.

المعنى : فى طبع الإنسان شدة العجز عند الشدائد ، وشدة البخل عند الرخاء ، ولا يعدل هذا الطبع ويدفع ضروره إلا مراقبه الله وإتباع إرشاداته ، ولا يوفق لذلك إلا البين جميعها الصفات الآتية ، وهى أن يكونوا متحافظين على الصلوات فى أوقاتها ، وأن يخصصوا من أموالهم

[illegible]

المفردات: ﴿لَوْ حَقَّ مَعْلُومُ الْمَسَائِلِ﴾... إلخ: لما كانت هذه السورة مكينة، والزكاة المعروفة لم تحدد مقاديرها إلا في المدينة بعد الهجرة؛ وأيضاً لما اقتصر في بذل المال هنا على الفقراء فقط وكان للزكاة المعهودة مصارف، ثمانية، انظر الآية (١٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١: لما كان كل هذا قال العلماء: إن الزكاة لما فرضت أولاً بمكة كانت غير محددة المقادير ^(١)، بل متروك أمرها للمؤمنين ببذل كل واحد منهم ما يريد أن يقترب به إلى الله وكان فيهم من أوجب على نفسه مقداراً معيناً يؤديه للفقراء في أوقات معينة فقال الألوسي: ﴿لَوْ حَقَّ مَعْلُومُ﴾ أي نصيب معين يؤديه الرجل كل

جمعة، أو كل شهر مثلاً. فهذا النوع من الموضوعين هم الذين امتد بهم الله سبحانه وتعالى في هذه السورة كما امتد نوعاً آخر أعلى من هؤلاء في قوله تعالى: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية (٩) من سورة العنكبوت صفحة ٧٢١، ثم ابتكر بعد كل هذا ما تقدم في شرح الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحتي ٢٤، ٢٣ فستجد فيها أن الشارح طلب بذل مال غير الزكاة المغروضة: ولما كان لفظ ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ مفرداً مضارعاً فيفيد عموم كل مال، كما قال العلماء يكون من لطف الله بالمعزومين أن بحيث الأغنياء على إعطائهم بعضاً من كل ما

- (١) أمو الهوم. (٢) للسائل.
(٣) حافظون. (٤) أزواجهم.
(٥) أيماهم. (٦) لاماناهم.
(٧) راعون. (٨) يشهدونهم.
(٩) قاضون. (١٠) جنات.
(١١) خيلناهم. (١٢) الميثاق.

(١) انظر ذكر الركاة في السور المكية الآية (٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٥ وغير ذلك في السور المكية كثير.

نصيبًا. حسب طاعتهم يحاطونه لأمله من الفقراء المستعجدين والمتعجلين، ويؤمنوا بيوم القيامة الذي يحاسب فيه الجميع. ويكونوا دائمًا على حذر من عذاب الله؛ لأن شهوات النفس وهمزات الشياطين تتسرب للإنسان في الخفاء، فلا يكون العذاب مأمونًا إلا بتمام اليقظة. ويصونوا فروجهم مما حرم الله، ولكن المتمسك بالزيجات، أو ما ملكه الدميمين من الإماء لا يلامون عليه. فمن طلب خير ما ذكره الله له فهو مستجاب العسل التي من منطقة الحرام، وأن يراجعوا أي لايقنوا فيما اتفقوا عليه من مال وغيره، ولا يتخبرون ما أهدوا الله عليه، أو أخذوا من خلقه، ويدعوا الشهادة على وجهها، لا يجاملون قريبًا أو قورًا على بعيد أو ضيق، ويحافظون على أركان الصلاة وشروطها وأدائها حتى تتبع على أكمل وجه. هؤلاء المستعفون، وهم المصلحون بدخلهم زهم في جناته، مكرمون، عظماء، وبمعدن وصف من يحمله المؤمنون الذين يستحقون دار الكرامة، أتبع ذلك بيان حال كثر مكة معه **يُخَفِّفُ** وخطتهم في ملههم في أن يكونوا محل فضل الله مع ملهم عليه من الكفر والفساد، فقال: (فما للذين كفروا) ... إلخ. ويترتب ذلك أن مناديد الكفر بكافة كانوا لا يجدون طريقًا للتضليل الضعفاء وسرفهم عن الإيمان به **يُخَفِّفُ** إلا سلوكهم. وقد قص علينا القرآن كثيرًا مما كانوا يفعلونه فعنه ما في الآية (١) من سورة لقمان مصفحة ٥٢٩ والآية (٣١) من سورة فصلت مصفحة ٦٣٢، وما في شرح الآية (١١) من سورة الأحقاف مصفحة ٦٦٧. ومنه ما أشار إليه هنا وهو ما روى أنه **يُخَفِّفُ** كان إذا قرأ القرآن عند الكعبة أسرع كبار المشركين للاجتماع حوله فرقة يستمعون ويبتهجون ويهتفون: إن دخل هؤلاء العبيد والفقراء الذين اتبعوا مذهبًا الجنة على سبيل النور فالتسبب قتلهم إليها: لأنهم لو كانوا أصحاب منزلة عند الله كما يقول لهم محمد لما جعلهم فقراء وجعلنا أكثر منهم أموالاً وأولاداً، فيهدر عليهم سببهم وقتهما تارة بما في الآية (٧٧) من سورة قيسية مصفحة ٦٨٠، وأخرى بقوله هذا: (فما للذين كفروا) ... إلخ. والمعنى أي شربهم يستعمل لفظ هؤلاء الخلفاء حتى يعلمهم يسعون إلى جعلهم من طوعك ويمينا أو ضلوا أو ضلوا، ثم يستعملون ويهتفون بعض الحق بالجنة من هذا وأتباعه إن كان هناك جهة كما يدعي، فسيبهم سببهم عقوقهم بقوله: **أَيُّهَا** أي هل حصل هؤلاء جنون، حتى صار كل منهم يطعم أن يدخل الجنة النعيم؟ فإرتدوا عن هذا التبرج لأن أمثالهم الذي خالفهم منه شربهم، فمقر يستحق من ذكره. فإذا لم يكملوا أنفسهم بالإيمان والطاعات ومكارم الأخلاق فإنهم يكونوا أهلاً لمقام الكرامة ومساواة عبادة الصالحين، بل يكونوا أقدر حظاً من الله منهم، لأنهم لا يمتنعون من كرامة رب العالمين، انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف مصفحة ٢٢٧، ثم يريدون سببهم بلقاءهم إذا لم يرجعوا فقال: (فلا أقسم برب المشارق) ... إلخ.

وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَنَقْدِرُ ۖ ۝ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ ۝ ۞ قَدْ كُنَّا خَلْقًا وَمِنْ أَجْنَابٍ ۖ ۝ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۖ ۝ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْنَابِ سِرًّا كَأَنَّهُمْ لَا نُصِيبُ يَوْفُسُونَ ۖ ۝ خَشِمَةَ أَبْصَرُمْ تَوَهَّمُ نَلَّةَ كَالْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۖ ۝

(٧١) سُوْرَةُ نُوْحٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَاءُ مَا كَانَ كَثِيرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ ۝ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ ۝ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ ۝ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ ۝ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ ۝

انظر ما تقدم في الآية (٤٤) من سورة ق مصفحة ٦٩٢.

﴿نصيب﴾: لفظ مفرد معناه العلامة المنصوبة للدلالة على الطريق.

﴿يوسفون﴾: مأخوذ من (أوفض) أي أسرع؛ والمراد: يسرعون إسراع من ضل الطريق إذا رأى علامة تهديبه.

﴿خاشعة أبصارهم﴾: ... إلخ. تقدم في الآية (٤٣) من سورة القلم مصفحة ٧٦٠

المعنى: لا أقسم بمسير مطالع الكواكب ومغارها على ما يأتي؛ لأنه واضح لا يحتاج إلى تعيين، ثم بين سبحانه القسم عليه فقال: (إنا لنقادرون) ... إلخ. أي إنا لنقادرون على أن نهلك كفار قومك أيها النبي دفعة واحدة كما فعلنا بغيرهم ممن مضى، وتأتي بغيرهم يعرفون حق ربهم وما نحن بمخلوبين إن أردنا ذلك، ولكن حكمتنا اقتضت عدم ذلك لأنك خاتم الرسل،

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) المغارب. | (٢) لنقادرون. |
| (٤) خاشعة. | (٥) أبصارهم. |
| (١) يا قوم. | (٢) يلاقوا. |

المفردات: ﴿نبدل خيرًا منهم﴾: انظر الآية (٣٨) من سورة محمد مصفحة ٦٧٧، ﴿يسبوقين﴾: انظر الآية (١٠) من سورة الواقعة مصفحة ٧١٦، والمراد: بلانجين عن عقابهم.

﴿زهم يخرضوا﴾: أي يدخلوا في الباطل، كما تقدم في الآية (٨٣) من سورة الزخرف مصفحة ٦٥٥، وانظر الآية (٦٨) من سورة الأنعام مصفحة ١٧٢، ١٧٣. وهو القبر.

﴿سرًا﴾: أي مسرعين إلى المحشر،

﴿استغشوا ثيابهم﴾: المراد: بالغوا في جعل ثيابهم أغشية أى أغطية لوجوههم من شدة كراهم لرؤيته عليه السلام؛ انظر ما نقله شدة كراهية الكافرين لأبيائهم فى الآية (٥١) من سورة القلم صفحة ٧٦١ .

﴿وأصروا﴾: أى صمموا على الكفر. ﴿واستكبروا﴾: أى عن اتباعى.

﴿استكباراً﴾: أى شديداً غريباً فى نوعه. ﴿جهاراً﴾: المراد: مجاهراً.

﴿السماء﴾: هى اسم لكل ما ارتفع كما فى الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٣٥ ، وهى

هنا السحاب، والمراد ما فيه من المطر.

﴿مداراً﴾: أى كثيراً متتابعاً. ﴿ما لكم﴾: استنهام توبيخى.

﴿لا ترجون﴾: أى لا تقدرون، بضم أوله وتشديد الدال المكسورة.

﴿وقاراً﴾: أى عظمة.

﴿أطواراً﴾: جمع طور وهو (الحال): أى خلقكم متقلين من حال النطفة إلى العلقه.. إلى آخر ما فى سورة المؤمنين صفحة ٤٤٦ .

﴿الم تروا﴾: تقدم فى الآية (٧) من سورة المجادلة صفحة ٧٦٦، ٧٦٥

﴿طلياقاً﴾: أى طبقات بعضها فوق بعض، كما تنقسم فى الآية (٣) من سورة الملك صفحة

٧٥٤

﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾: بما أن القمر نوراً فى السماء الدنيا فقط قال الفخر الرازى: المراد جعله فى جملة السموات لا فى كلها كما يقال (دخل الأمير العراق) فإنه لا يدل على أنه حل فى جميع أنحاء العراق بل فى بعضه فقط.

﴿نورا﴾: تقدم فى الآية (٥) من سورة يونس صفحة ٢٢٦

المعنى: لما أرسل الله سبحانه نوحاً قال لقومه أعبداؤ الله واتقوه وأطيعونى. إن فعلتم ذلك يغفر لكم بعض ذنوبكم. ويطل أعماركم وتتمتعوا بخيرات الدنيا لحين انتهاء أعماركم العادية. وإلا إذا بقيتم على كفركم فإنه سبحانه يعجل لكم الأجل الذى قدره لمن يفسدون فى

الأرض. وهذا الأجل إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر والمعاصى لا يؤخر لحظة. فبادروا بالإيمان والاستقامة قبل حلوله لولا كنتم من أهل العلم النافع لوجب أن تسارعوا إلى ما فيه الحياة السعيدة المديدة. وبعدما بلغ نوح رسالة ربه ولم يطعموه توجه إلى ربه بالشكوى من عنادهم فقال: (رب انى...) إلخ. أى يا رب انى دعوت قومى إلى التوحيد والطاعة فى كل الأوقات ولم أتوان لحظة. فلم يرههم دعائى إلا نفورا. وإنى كلما دعوتهم للإيمان بك لتنفذ لهم أصموا أذانهم عن دعائى وغطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى لشدة كراهم لى. وصمموا على الكفر. واستكبروا عن اتباعى استكباراً شنيعاً. وبعدما بين أن عمم أوقات الدعوة أراد أن يبين أنه عمم أحوالها فقال: (ثم انى دعوتهم جهاراً) إلخ. و﴿ثم﴾ تشعر بأنه دعاهم أولاً سرّاً لأنه ادعى لقبولهم لما فيه من التلطف معهم. فلما لم يقبلوا بعد محاولته بهذه الطريقة عشرات السنين انتقل إلى الجهر لأنه أشد. فقد ينفع حيث لم ينفع اللين. واستمر كذلك سنين كما سياتى. ولما لم ينفع أيضاً انتقل إلى الجمع بين الإعلان والإسرار.

هذا فى مقام وذاك فى مقام. وهذا فى طرف وذاك فى آخر. وهذا لتفريق وذاك لآخر. ظانا أن فى الجمع بينهما من الفائدة مالميس فى الأفراد. فالمراد من كل هذا أنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين كما فى الآية (١٤) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢ يدعومهم المرة بعد المرة على وجوه مختلفة. وأساليب متعددة. فلم ينفع معهم شئ.

ثم بين بعض ما دعاهم به على وجه الترغيب فقال: قلت استغفروا ربكم. أى بالتوبة من الشرك والمعاصى يغفر لكم لأنه واسع المغفرة. ويرسل المطر كثيراً بعد امتناعه عنكم حتى عم القحط ويزد فى أموالكم وأبنائكم. ويجعل لكم بساتين ويجعل لكم أنهاراً دائمة الجريان فلا تظمئوا أبداً.

ثم انتقل إلى توبيخهم على جهلهم بقدر الله مع أنه صاحب الفضل عليهم، وخالق هذا النظام البدیع، فقال: مالمكم... إلخ. والمعنى: أى شئ حصل لكم حال كونكم غير مقدرين لله عظمتته اللاتئة به المقضية الإيمان به وطاعته مع وضوح ما يوجب ذلك من أنه هو وحده الذى خلقكم على أطوار وأحوال مرتب بعضها على بعض، فمن طين، إلى نطفة إلى علقة، إلى آخر ما تقدمت الإشارة إليه. أليس من الجهل والغفلة أن لا تلموا كيف خلق سبحانه هذه السموات بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا فتعتبروا وتطمئوا بأن من يفعل ذلك يجب أن لا يعبد غيره ولا يخالف أمره؟

﴿كَبِيرًا﴾: أي كبير جدًا، حيث استعملوا كل أنواع العجل في صرف الناس عن نبينهم نوح عليه السلام.

﴿لَا تَذَرُوا﴾: أصله لا تذرُوا، أي لا تتركوا، ولكنهم أكدوا النهي لأن هذه النون التي جاءت في آخر الفعل تؤكد ما فيه من معنى الطلب.

﴿وَأَنذَرْتُمْ﴾: التي وجدتم آباءكم يعبدونها.

﴿وَرَادَ﴾: وسوَّاعًا، ويعوق، ونسراً: روى ابن جرير أن هؤلاء كانوا رجالاً صالحين الأُمم التي كانت بين آدم ونوح. وكان لهم اتباع يقتدون بهم. ولما ماتوا زين إيليس لأتباعهم أن يبنوا عليهم المساجد، ويصنعوا لهم الصور، ليتذكروا بها صلاتهم، فيعملوا مثلهم، فلما طال الزمن ظن أكثر الناس أن آباءهم كانوا يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله ففعلوا مثلهم؛ انظر الآية (٢) من سورة الزمر صفحتي ١٠٥، ١٠٦: وروى البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما رجعت بعض النساء المؤمنات من العيشة بعد الهجرة إليها، قصصن على النبي ﷺ ما رأينه في كنيسة بالعيشة فيها تصاوير فقال ﷺ هؤلاء قوم كانوا إذا مات فتهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا (المراد ما يشبه المسجد عند المسلمين وهو الكنيسة).

ثم صوروا فيه تلك الصور... أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

﴿فَمِمَّا ضَلَّتْ سُبُلُهَا نَرُكَّ﴾: فمن حرف تعليل يفيد أن ما بعده علة وسبب في حصول العرق، وادخال النار. وتقول العرب: ضجرت من خبر جافني يريد بسبب خبر. ويقولون: إذا رأى الناس فلانًا غصوا أبصارهم من مهابته؛ ﴿وهما﴾ حرف يؤكد هذا السبب.

﴿فَوَدَّ خَلَا نَارًا﴾: المراد بالنار العذاب الذي يلاقونه بعد الموت، وهذا العذاب عذاب البرزخ الذي يبلغ من شدته أن ما يلاقيه كأنه النار. وعذاب يوم القيامة ينار الآخرة، انظر الآية (٤٦) من سورة غافر صفحة ١٢٤، كما أن من يموت مؤمنًا يتعم كانه دخل الجنة، انظر آيتي (٢٦، ٢٧) من سورة يس صفحة ٥٨١.

﴿لَا تَذَرُ﴾: أي لا تترك.

﴿وَدَّيَارًا﴾: أي أحداً.

المعنى: كيف غفلتم عن أن الله وحده هو الذي جعل القمطر في مجموع السموات نورا. وجعل الشمس سراجا، يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج.

الشمس سراجًا ۝ وَاللَّهُ أَنبَحُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَارًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِلَيْهَا ۝ وَاللَّهُ
جَبَلٌ لِّكَ الْأَرْضِ سَالِكًا ۝ تَتْلُو سُرُورًا
فِيهَا ۝ قَالَ نوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْتُ وَأَنبَغُ
لَّزِيدَ نَارًا ۝ وَكَانَ الْخَسَارَ ۝ وَكَرَّرْنَا نَارًا
كَبِيرًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُرًّا وَلَا يَفُوتَ وَيُوقَ وَنَسَا ۝ وَقَدْ أَفْلَحَ كَيْفَرًا
وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ وَمَا ضَعُفْتُمْ
أَعْرَافًا فَادْخُلُوا نَارًا لَّكُم بِحُجَّتِ رَأْفَتُ رَبِّ دُونَ آلِهِ
أُنصَارًا ۝ وَقَالَ نوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
الْكَافِرِينَ دِينًا ۝ أَنَا أَنَذَرْتُهُمْ يُعْلِلُوا عَادِلًا
وَلَا يُبْدُوا إِلَّا قُورًا كَثِيرًا ۝ رَبِّ انقِرْ لِي وَلِأَتْلُو

المفردات: ﴿والشمس سراجًا﴾: انظر الفرق بين السراج والنور في شرح الآية (٥) من سورة يونس صفحة ٢٦١.

﴿وَأَنبَحُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: المراد: أوجدكم من خلاصها، كما يوجد النبات؛ انظر الآية (٢٨) من سورة البقرة صفحة ٧ والآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠.

﴿وَنَارًا﴾: اسم مصدر معناه الإنبات، والمراد: نباتا عجيبا.

﴿وَيُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: أي بعد الموت.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾: أي عند البعث يوم القيامة.

﴿وَإِخْرَاجًا﴾: المراد: إخراجًا خاصًا

لغرابته. (تكميلاً) في الآية (١٦٤) من سورة

النساء صفحة ١٢١.

﴿وَبَسَاطًا﴾: المراد: يسهل التقل عليها كالبساط.

﴿وَتَسْلُكًا﴾: تقدم في الآية (٥٢) من سورة طه صفحة ٤١٠.

﴿وَسِيلًا﴾: أي طرقا.

﴿فَوَجَّاجًا﴾: جمع فجج؛ وهو المذكور في الآية (٢٧) من سورة الحج صفحة ٤٢٧.

﴿فَوَاتِعُونَ﴾: أي اتبع عامتهم.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ﴾: هم الرؤساء وأمصار المال والجاه.

﴿فَوَخَسَارًا﴾: أي خسارًا. ﴿وَوَكَّرُوا﴾: أي الرؤساء.

(١) المحكم (٢) الظالمين (٣) ضللا (٤) خفياتهم. (٥) الكافرين (٦) بوالهي.

ما يحتاجون إليه. وأنه سبحانه هو الذي خلقكم من الأرض خلقاً عجيباً، ثم يعيدكم فيها بعد الموت. ثم يخرجكم منها يوم القيامة كما أخرجكم منها أول مرة. وأنه سبحانه وحده هو الذي جعل لكم الأرض مهددة كاليساط لتسلوها متخذين منها طرفاً فسيحة. وبعد تغنثهم في العصيان قال نوح شاكياً إلى ربه عنادهم فقال: يا رب إن قومي عصوني واستمر عامتهم على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرثهم أولادهم. وكان ذلك سبباً لزيادة خسارتهم في الآخرة وصاروا أسوة للأتباع وما شكى منه نوح شكى موسى عليهما السلام، انظر الآية (٨٨) من سورة يونس صفحتي ٢٧٩، ٢٨٠. ومكر هؤلاء الرؤساء مكرًا كبيرًا.

ثم بين بعض هذا المكر بقوله: (وقالوا لاتذرن) ... إلخ. أي لا تركوا عبادة آلهة عبدها أبائكم. ثم أكدوا هذا الله مع ذكر أشهر آلهتهم، فقالوا: (ولاتذرن ودا ولاسواعا) ... إلخ. ثم قال نوح: وقد أضل الرؤساء بهذه الأصنام كثيراً من العوام. ولما أوحى الله سبحانه إلى نوح أنه لن يؤمن منهم إلا من آمن، كما في الآية (٣٦) من سورة هود صفحة ٢٨٩. دعا عليهم بقوله: لاتزد يارب هؤلاء الظالمين إلا بعداً عن الخير. وكان الترتيب الطبيعي أن يذكر ما سيأتي في الآية (٣٦) وما بعدها وبعد ذلك يذكر ما في الآية (٢٥)، ولكنه أراد المسارعة إلى بيان نهايتهم المؤلمة. وأن ما أصابهم من الإغراق والعذاب بعد الموت لم يحصل لهم إلا بسبب خطاياهم التي عددها سابقا.

وهذا هو المصم من العبرة بالقصة. ولم يجدوا لهم غير الله من ينصرهم بدفع العذاب عنهم، ثم رجع إلى بيان دعاء نوح الذي كان سبباً لتعجيل هلاكهم فقال: وقال نوح رب لاتذرن... إلخ. والمراد أن الذي عجل بإغراقهم هو يأس نوح وتضرعه إلى ربه بقوله: يارب لاتترك على وجه الأرض من الكافرين أحداً لأنك إن تركتهم يستمروا على إضلال عبادك الناشئين، ولا يخرج منهم نسل إلا وهو مشتبع بعباد الكفر والفجور.

ثم توجه إلى ربه بطلب المغفرة للمؤمنين الأقربين منه ولغيرهم فقال: (رب اغفر لي ولوالدي) ... إلخ.

وَلَيْسَ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُرَدُّ الْغَافِلِينَ إِلَّا تَبَارَكَ ۝

(٧٦) سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقَهارِ
وَلِلَّهِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ وَالْغَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَدْعِيَ إِلَى اللَّهِ أَسْتَعِينُ فَقُلْ لِي قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
نُوحًا نَجَّاهُ ۝ يَدْعِي إِلَى الرَّقْدِ فَقَالُوا لَهُ كَلْ تُثْبِرْ
يَرِيبُ أَحَدًا ۝ وَأَمَّا نَحْنُ فَقَالْنَا لَهُ كَلْ تُثْبِرْ
وَلَا وَكَلَّا ۝ وَأَمَّا كَانَ يَقُولُ سَمِعْنَا عَلَى اللَّهِ سَمْعًا ۝
وَأَنَا كُنَّا نَآلُ أَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝
وَأَمَّا كَانَ يَجَالُ مِنْ الْإِنْسِ بِعُرُونٍ يَرِيبُ مِنْ الْإِنْسِ

ما كان يعلم باستماعتهم له.

﴿الجن﴾: هو عالم أخبرنا الله سبحانه أنه خلقهم من نار، كما في الآية (٣٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤٠؛ ونولا خبره الصادق لما علمنا عنهم شيئاً يعتد به.

﴿عجيباً﴾: العجب أصله مصدر، والمراد عجيباً، أي لم نسمع له نظيراً من قبل في حسن نظم، ودقة معانيه، وغزاراتها. وكانوا يعرفون شيئاً عن التوراة كما في الآية (٣٠) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١. ﴿يهدى﴾: المراد يرشد ويدل.

﴿الرشد﴾: أي الصواب. ﴿وأنه تعالى﴾: (وأنه) الضمير يفيد معنى الحال الثابت، وما بعده تفسير له. أي أن الأمر الثابت المحقق هو ترفع عظمة ربنا.. إلخ. و(تعالى) أي ترفع وتتردد.

- | | |
|---------------|------------|
| (١) المؤمنات. | (٣) قرأنا. |
| (٤) فامنا. | (٥) تعالى. |
| | (٦) صاحبة. |

المفردات: ﴿تبارك﴾: أي هلاكاً. انظر الآية (٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥. المعنى: قال نوح يا رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات عامة إلى يوم القيامة. وهذا دعائي لمن آمن بك يا رب. وأما من ظلم نفسه وكثر بك فلا تزد إلا هلاكاً.

﴿سورة الجن﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿استمع نقر من الجن﴾: تقدم مع تفصيل الحادثة في الآية (٣٩) وما بعدها من سورة الأحقاف صفحتي ٦٧١، ٦٧٠. والكلام هنا يشعر بأنه مكتوب

المغفرات: ﴿فَوَرَّادَوْهُمْ رَهَقًا﴾: (رهقا) مصدر مأخوذ من قفل (رهق) يوزن فرح، ولهذا الفعل عند العرب استعمالات: منها أن يكون قاصرا، أي لا يتعدى لمفعول، كقولهم رهق فلان، أي سفته، وطلش، وخف عقله، وفعل القيانح، ومنها أن يكون متعديا لمفعول واحد، كرهقه، أي غشبه، وستره، ومنه ﴿وَلَا يَرْهَقْ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ الآية (٣٦) من سورة يونس صفحة ٢٧٠، ويقال أرهقه غيره شيئا (متعديا لمفعولين) ومصدره إرهاقا أي حمله إياه وكله فوق طاقته: ومنه ﴿وَلَا تَرَهَقْتُمْنِي مِنْ أَمْرِ عَسْرٍ﴾ الآية (٧٢) من سورة الكهف صفحة ٢٩١ ﴿وَلْيَرْهَقْهُمَا طِفْلَانَا وَكُفْرَانَا﴾

وَرَّادَوْهُمْ رَهَقًا ۖ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ مَبِيتٌ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ ۖ وَأَنَّا لَنَسْنَأُ السَّمَاءَ فَوَنَدُّهَا لُبَّكَ مَكْرَمًا ۚ نَبْدِئُهَا دُخَانًا ۖ وَأَنَّا لَنَبْعُدُ بِهَا مَقْعِدَ الْبَشَرِ ۚ لَنَاسْتَبِيعَ الْآلَانَ بِحَيْثُ لَئِبًا رَّسَمًا ۚ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَوْ نَافَعٌ ۚ إِنَّا لَآرِيدُ مِنْهُ لَإِزْدَارًا ۚ إِنَّا لَنَرَاهُ فِي الدُّرِّ مُرَّةً ۚ وَأَنَّا إِنَّا الْغَالِبُونَ رَبَّنَا ذُنُوبٌ ذَاكَ مُكُنَّا لَمَّارِينَ ۚ قَدْ كُنَّا أَفْئِدَةً أَن لَّنْ نَعْبُدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنِ مُعَبِّدُونَ ۖ هُمَا ۖ وَأَنَّا لَمَّا كُنَّا فِيهَا قَوْمًا مُّسْخَاةً ۖ فَسَوَّيْنَاهُ بَيْنَهُ ۖ فَلَا يُخَالِفُ بِحَيْثُ لَئِبًا رَّهَقًا ۖ وَأَنَّا إِنَّا الْغَالِبُونَ وَمِنَّا الْقَائِلُونَ ۚ لَنَ أَسْلَمْنَا لَكَ يَا كَرِيمُ ۚ وَرَّسَمًا ۖ وَأَنَّا لَنَبْغِطُكَ ۚ فَكَلَّمْنَا فِيهِمْ حَقًّا ۖ وَأَلَوْ كُنَّا رَبُّكَ ۖ لَآلَمْ نَكُنْ لَكُم مِّنَّا غَافًا ۖ

الآية (٨٠) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢.

﴿وَرَّادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ الآية (١٧) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦.

وما هنا من المتعدى لمفعولين، والمعنى زاد الرجال العائزون من الإنس الجن طغيانا وطيشا وجراة على الضلال بنى آدم، تحقيقا لوعده إبليس رئيسهم، حيث ظنوا أنهم أخضعوا الإنس لسلطانهم: انظر الآية (١١٨) وما بعدها من سورة النساء صفحات ١٢٢، ١٢٣.

- (١) فوجدناها.
- (٢) مقاعد.
- (٣) الآن.
- (٤) الصالحون.
- (٥) أمنا.
- (٦) القاسطون.
- (٧) استقاموا.
- (٨) الاستقيانهم.
- (٩) الاستقيانهم.

فوجد ربنا: أي عظمته وجلاله. فصاحبه: المراد زوجة، انظر الآية (١٠١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩. ﴿وَلَا وَلَدًا﴾: كما يقول المفسرون في العزيز والمسيح والملائكة، انظر الآية (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥ والآية (٥٧) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿وسفهنها﴾: أرادوا من السفينه جنسه، فيشمل كل جنود إبليس، والسفه هو الطيش وخفة العقل.

﴿وشططنا﴾: أصل الشطط البعد الشديد، ويقال شططت به الدار، أي اشتد بعدها. وأريد به هنا القول البعيد عن الصواب.

﴿وإن لن تقول﴾: الأصل أنه لن.. إلخ. فهي مثل ما تقدم في الآية (٣) هنا.

﴿وكان رجال من الإنس﴾: أي في الجاهلية.

﴿يعوزون﴾: أي يتعوذون ويطلبون الحفظ من المكروه.

المعنى: لما اشتد عناد كفار مكة أراد سبحانه أن يسفه عقولهم ويهدمهم بأنهم ليسوا بأقوى من الجن إلى آخر ما سبق في شرح ما في سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠ فقال: قل أوحى.. إلخ. أي قل أيها النبي لأمتك إن الله أوحى إلى أن عدداً من الجن أصغى لسماع القرآن فقالوا لقومهم عندما رجعوا إليهم يا قومنا إنا سمعنا كلاماً مقروءاً عجيباً. أي ليس ككتاب موسى كما في صفحة ٦٧٠. ثم بينوا بعض مزاياه فقالوا: (يهدى).. إلخ. أي يدل ويرشد إلى طريق الصواب، ويحارب الشرك بالله، فأما به، ولن نشرك بعد اليوم بربنا أحداً من خلقه، بعدما سمعناه من أدلة التوحيد. ثم ذكروا بعض آثار تلك الأدلة التي تجلت لهم عند سماع القرآن: فقالوا: (وأنه تعالى).. إلخ. أي ونخبركم يا قومنا أن الحق الثابت هو ترفع عظمة ربنا عن اتخاذ الزوجة والولد لأنه غنى عن ذلك، وأن ما كان يقوله لنا سفهاؤنا من الشياطين على الله من نسبة الزوجة والولد إليه هو قول بعيد عن الحق. ثم بينوا أنهم كانوا مخطين في تقليد هؤلاء السفهاء من غير بحث: فقالوا: (وأنا ظننا).. إلخ. أي وكنا نظن أن لا يجرؤ على الكذب على الله أحد من الأس والجن. وبعدما بينوا بعض جرائم سفهائهم في إشاعة نسبة الولد والصاحبة إليه تعالى أرادوا أن يبينوا جريمة أخرى لهم أوقفت كثيراً من الأنس في حياكل الشرك بوجه آخر. فقالوا: (وأنه كان رجال) إلى آخر ما سيأتي.

﴿المسلمون﴾: المراد المتقادون لأوامر الله، المؤمنون به.

﴿التقاسطون﴾: من قسط الرجل، إذا جار ولم يعدل، والمراد الجائرون على أنفسهم بالكفر والمعاصي. أما العدل فيقال فيه أقطط الرجل أى عدل فهو مقسط، انظر نظير ذلك فى الآية (١٥) من سورة طه صفحة ٤٠٧. ﴿تحروا﴾: أصل التحرى طلب الأحرى أى الأحق والمراد قصدوا بأعمالهم، الرشد والهداية. ﴿رشد﴾: المراد: طريق الرشد. والمراد به هنا: الهدى.

﴿الو﴾: أصلها (أن لو)، وأصل (أن) أنه، ويقال فيها ما قيل فى الآية (٣) السابقة. وهذا من كلامه سبحانه معطوف على (أنه استمع نقر) .. إلخ.

﴿الطريقة﴾: هى ملة الإسلام.

﴿عقدًا﴾: أى كثيرا. والمراد: وسعنا عليهم الرزق، لأن إماء سبب كل خير وعدمه يجب الجذب والخراب.

المعنى: قبل الكلام على معنى هذه الآية يجب أن نعلم شيئا من محاولات إبليس فى تضليل الخلق تنفيذاً لعزمه المذكور فى الآية (١١٧) من سورة النساء وما بعدها صفحات ١٢٢، ١٢٣ حتى نستطيع الحكم على المسلمين اليوم هل هم على بصيرة من دينهم. أم أهملوه حتى حقق عليهم إبليس ظنه؟ كما فى الآية (٢٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٥، ورحم الله عمر بن الخطاب الذى قال: أتدرون متى يصاب الإسلام ويهدم لبنة لبنة؟ قالوا: لا، قال: إذا جهل الناس ما كان عليه الجاهلية. يريد أنهم يقعون فى ما كان عليه الجاهلية من حيث لا يشعرون، فيجب حينئذ أن نبين ما كان فيه أهل الجاهلية من الشرك حتى لا تقع فيه. قال ابن كثير فى تفسيره. روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى عن ابن السائب الأنصارى قال: خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة. وذلك أول ما تحدثت الناس عن ظهور رسول الله ﷺ بمكة. فأدركنا الليل عند راعى غنم فى الصحراء فبقا عنده. فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا (ولد) شاة صغير) فوثب الراعى وهو يقول (يا حامى الوادى احم جارك) فسمعنا صوتا لم نر صاحبه يقول: اترك الحمل يا ذئب. فرجع العمل يجرى. فنزل فى مثل ذلك على رسول الله وهو بمكة قوله تعالى: وأنه كان رجال من الإنس يعوزون برجال من الجن .. إلخ.

﴿وانهم ظنوا﴾: أى أن كفار الأنس ظنوا كما ظنتم يا كفار الجن عدم اليمث.

﴿أن لن بيعت﴾: (أن) أصلها أنه لن بيعت .. إلخ. ويقال فيها ما قيل فى مثلها فى الآية (٣) السابقة. ﴿لمسنا السماء﴾: أصل اللمس المس، وأريد به هنا القصد والتوجه إليها.

﴿حرسا﴾: اسم جمع لحارس، نحو خدم لخدام. والمراد ملائكة يجرسونها فلا يقرب من جهتها شيطان كما كان سابقا. ﴿شديدا﴾: وصف للحرس باعتبار لفظه، ولكن المراد معناه أى أشداء. ﴿شهباء﴾: جمع شهاب. وقد تقدم فى الآية (١٠) من سورة الصافات صفحة ٥٨٧.

﴿نقعد منها مقاعد﴾ .. إلخ: أى نتخذ من بعض نواحي السماء مقاعد، أى أماكن صالحة لتسمع أخبار السماء من الملائكة، لخلوها من الحراسة.

﴿فمن يستمع الآن﴾: أى فمن يرد منا الاستماع الآن بعد بعة خاتم الرسل.

﴿ورصدا﴾: أصله مصدر، وأريد به اسم المفعول. أى مرصودا ومعدا لطرد المستمع.

﴿رشدًا﴾: المراد صوابا وخيرا، بدليل مقابله هنا وهو (شرًا). انظر الآية (٢٤) من سورة الكهف صفحات ٣٨٢، ٣٨٤. ﴿الصالحون﴾: المراد الكاملون فى الصلاح.

﴿دون ذلك﴾: أى الأقل.

﴿طرائق﴾: جمع طريقة، والمراد: كنا أصحاب طرق مختلفة.

﴿قددا﴾: جمع قدة بكسر القاف وهى الفرقة، والمراد: متفرقين إلى مذاهب مختلفة.

﴿أن لن نعجز الله﴾ .. إلخ: (أن) كسابقتهما والمراد: لن نفلت منه تعالى بالدخول فى الأرض أو الهرب فى السماء، انظر الآية (٣٣) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠ ..

﴿الهدى﴾: المراد القرآن الهادى الحق، انظر الآية (٢) من سورة البقرة صفحة (٣).

﴿بخسا﴾: نقصا فى الجزاء.

﴿ولا رهقا﴾: أى لا ترهقه الذلة يوم القيامة، كما تقدم فى الآية (٣٦) من سورة يونس

ما جاء به من مثل ما في الآية (٢٩) من سورة النمل صفحة ٤٧٨ و (١٢) إلى (١٤) من سورة سبأ صفحة ٥٦٤، وإن لم تكونوا كذلك فالجدل معكم موطن آخر، والسلام على من اتبع الهدى. وبعد كل هذا - فالمعنى أن الجن أخبروا قومهم بأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يحيونهم لادخ الآذي عليهم برجال من الجن، فترادهم هؤلاء الرجال من الإنس سبحانه المستعاذ بهم من الجن طغياناً وسمهاً وجزاء على ارتكاب المنكر، والعبرة في أن يقص سبحانه علينا قول هؤلاء الجن طغياناً وسمهاً وجزاء على ارتكاب المنكر، والعبارة في أن يقص سبحانه الإنس في هذا التعمد، وأدركوا أيضاً سفة إخوانهم من الجن حيث فرحوا بتعمد الإنس بهم، وظنوا أنهم بهذا صاروا أسياداً مسيطرين على أولاد آدم الذي فضله الله عز وجل على الجن. وأن بعض الإنس ظنوا كما ظنتم يا كفار الجن أن لن يبعث الله أحداً بعد الموت، أي أنكروا البعث كما أنكروا، وأنا قصدنا جهة السماء لسترق السمع فوجدناها ملئت أصداء berbعت كما أنكروا، مع أننا كنا قبل هذه الحالة نتخذ أمكنة منها تهيبنا وشهياً يرمى بها كل من يبدو منها، مع أننا كنا قبل هذه الحالة نتخذ أمكنة منها تهيبنا وللتسمع. لكن طرأ أن من يحاول منا الاستماع الآن يجد له شهاباً مرصوداً لمطارته، وأنا لا ندرى بعد منع السمع هل هذا شر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رهم خيراً؟ وأنا كان منا الكاملون في الاستقامة غلبة الخير على طبائعهم، ومما آخرون أقل منهم في ذلك، أي والآخرين كافرين كما يشعر به السائق واللاحق، فكما علي طرق مختلفة، وأنا علمنا بعد سماع هذا القرآن أنه لا يمكن أن نفلت من قبضة الله لا بالدخول في جوف الأرض، ولا بالهرب إلى أعلا السماء، وأنا لما سمعنا القرآن الداعي إلى الهدى أمنا به لأنه من عند ربنا. ومن يؤمن بربه وكلامه فلا يخاف نقص ثواب ولا إصا به ذلة وهوان. وأنا الآن بعد وجود هذا الرسول منا من آمن به، ومنا من جار وظلم نفسه بالكفر به. أما من أسلم فهؤلاء قصدوا بأعمالهم الوصول إلى الخير، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً. وهذا آخر كلام الجن. ثم بعد هذا البيان تحدث سبحانه عن كفار مكة فقال: وأن لو استقاموا... إلخ. أي لو استقام الكافرون بعد سماع هذه العبر على الطريقة المستقيمة لعاشوا عيشة رغدا لا ضيق فيها. انظر الآية (٩١) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨. ومن أراد الوقوف على تفصيل استراق الشياطين للسمع من أول الخليقة وقبيل الإسلام وبعد نزول القرآن، فليرجع إلى شرح حديث رقم ٤٢٦ من كتابنا (صفوة صحيح البخاري).

قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب من شياطين الجن أراد أن يخيف الإنس حتى يستجير به ثم يرده عليه ليضله ويخرجه عن دين الله. وورد عن كثير من السلف أن الرجل الضعيف اللثة بربه كان إذا نزل وادياً فقرأ تعبت به مرودة الجن فيوسوس إليه الشيطان أن لكل واد رئيساً من الجن لهؤلاء المرودة، فإذا لجأ إليه العائف وطلب حمايته فإنه يجميه، فكان الرجل في الجاهلية يقول (أعوذ بسيد هذا المكان من سفهاء قومه) فيشعر بالأمن ويتعمدون عنه بعد أن يوقعوه في الكفر. ولما جاء الإسلام عالج هذا الخطر فأمر ﷺ من يشعر بخوف في مكان موحش أن يقول: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر كل ما خلق) فإنه لا يصاب بشر. وبعد فهل نجا المسلمون اليوم مما حذر منه الفاروق رضي الله عنه؟ نقول مع العسرة الشديدة: كلا. فما على من يشك في ذلك إلا أن يجوس خلال الديار، ويسأل البسطاء، بل وبعض من فوق البسطاء، فيسمع منهم أن فلاناً كان ليلة خائفاً فنادى يا سيدي فلان أنقذني فخرج له فارس منم وهو يقول: لا تخف. فإذا علمت أن الإسلام ينهى عن هذا، وأن رسول الله ﷺ قال: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)، وأن الشيطان يتمثل بشكل كل مخلوق إلا به ﷺ ولو كانت الاستغاثة بالأموال جائزة شرعاً لكان أعلم الناس بذلك الحسنيين بن علي رضي الله عنهما ولعليهما من والده ﷺ ولم يعرض نفسه للهلاك يوم قتل ظمناً. إذا علمت كل ذلك تعلم أن محاولة إبليس رفعت رأسها فانيا بعد أن ابتعد المسلمون عن بيع دينهم الصافي. وبعد تراخي العلماء في التنبيه لمواطن الخطر، وكثرة الدخيل على تعاليم الإسلام حتى كاد يخفيها. نقول: إذا علمت كل هذا فهل يطمئن قلبك إلى أن المسلمين اليوم هم المؤمنون الذين تعهد الله تعالى بنصرهم أم هم شرء أخرى نسوا الله فسيهم، فصاروا شرأ ممن كانوا، في الرخاء يلجأون لغيره تعالى وفي الشدة لا يلجأون إلا إليه سبحانه، ومع ذلك حكم عليهم سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم، انظر الآية (١٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢. والآية (٦٥) من سورة المنكوت صفحتي ٥٧٩، ٥٨٠، نسأل الله السلامة.

بقيت كلمة نهضت بها في آذان من ركبوا روعسهم وظنوا أن الرقي إنما هو في إنكار كل مقس مهما كان طريقه مقطوعاً بصحته، نقول لهؤلاء: إن كتم مؤمنين بأن القرآن حق وأنه من لدن خالق الكون، العالم بأسراره التي ما علمتم منها إلا قليلاً، وجب عليكم أن تصدقوا كل

﴿مَا يُوْعَدُونَ﴾: أى من العذاب: ﴿إِنْ أَدْرَى﴾: (إن) حُرِفَ نَقْيَ أى لا أدري. ﴿أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ﴾: أى هل العذاب الذى تُوْعَدُونَ به قريب؟ ﴿أَمَدًا﴾: المراد: زمانًا بعيدًا. ﴿يَسْلُكُ﴾: أصل معنى يسلك: يدخل كما تقدم فى الآية (١٧) هنا، وأريد به هنا: يجعل. ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾: كناية عن كل جوانبه.

المعنى: يقول سبحانه لو استقام الكفار على ملة الإسلام لمتناهم فى الدنيا متاعًا حسنًا لتعاملهم معاملة المختبر ليظهر استعدادهم هل يشكرون من أنعم عليهم أم يتكبرون فضله ويكفرون به: فمن أقبل على الإسلام فاز بالسعادة. ومن يعرض عن القرآن وإرشاده يدخله سبحانه عذابًا شديدًا. وكان المشركون إذا دخلوا المسجد الحرام طافوا حول الكعبة وهم يتوسلون بأصنامهم فأراد سبحانه أن يورخهم على ذلك، فقال: وأن المساجد.. إلخ. أى وكل لهم أنها النبى أنه أوحى إلى أن المساجد لله وحده فلا تدعوا فيها مع الله عز وجل أحدًا غيره، وأوحى إلى أيضا أنه لما قام عبد الله ورسوله يعبد ربه بالصلاة وقراءة القرآن كاد الجن أن يطبقوا عليه كطبقات اللب من شدة تعجبهم من القرآن، وكل لكفار مكة مويخًا: أنا لا أعبد إلا ربي ولا يصح أن أشرك به أحدًا من خلقه. وكل لهم: إنى لا أملك شيئًا من الضرر والنفع. وكل لهم إنى لا أملك لكم لأنى لا أملك لنفسي شيئًا منه: لأنه لن يعجزنى من الله أحد أن أرادنى بسوء، ولن أجد غيره ملجأ أنحصن به. كل لهم لا أملك لكم شيئًا من أسباب الرشد إلا تبليغكم ما أنزل إلى بأمر منه سبحانه، ولا تبليغكم أيضًا رسالاته التى حملها إلى جبريل غير القرآن لبيان بقية العبادات وغير ذلك. وكل لهم إن الله يقول لكم إن الطريق منكم الذى يعصى الله فيما جاء فى كتابه، أو يعصى رسوله فيما أمر به فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا.

ولما كان كفار مكة يعترفون بكثرة الأنصار والأولاد قال سبحانه: حتى إذا راؤا.. إلخ. أى أعرض عنهم أيها النبى ودعهم فى غفلة عن الهول الذى ينتظرهم حتى إذا راؤا ما وعدهم الله به من العذاب الأكبر فسيعلمون حينئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا، هل هم أم جند الله؟ ولما قالوا على سبيل الاستهزاء: متى هذا العذاب الذى تعدنا به يا محمد قال سبحانه: قل لهم لا أدري هل ما وعدكم الله به من العذاب قريب أم يجعل له ربي زمانًا طويلًا لا علم لى به، ثم بين أن وقت هذا العذاب من الغيب الذى اختص الله به فقال: (عالم الغيب).. إلخ. أى هو ربي وحده الذى يعلم الغيب فلا يطلع على غيبه أحدًا من خلقه إلا الرسول الذى يرتضيه لحمل رسالته لخلق. ولتقصر علم الغيب على هذا الرسول فإنه سبحانه يجعل حوله حرسًا ساعة إطلاعه على الغيب الذى يتعلق برسالاته.

لَنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمِنْ يَعْزُبُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٦﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ اللَّهَ يَدْعُوهُ كَادُوا يُكْفَرُونَ عَلَيْهِ لَيْدًا ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَنِيتُكُمْ لَكُرْهًُا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي أَدْرَأُكُمْ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٢﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيُنْزِلُ الْأَمْرَ إِلَيْكُمْ مِنْ رُوسٍ وَإِلَهُ الْمَسَاجِدِ مُخْتَصِمٌ بِعِبَادَتِهِ وحده لا شريك له،

المفردات: ﴿لَنُفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أصل الفتنة الاختبار. والمراد هنا: لتعاملهم معاملة المختبر. ليظهر للعيان هل يشكرون النعمة أم يكفرونها.

﴿ذَكَرَ رَبِّهِ﴾: الذكر هنا هو القرآن، انظر الآية (٤١) من سورة فصلت صفحة ٦٢٥.

﴿يَسْلُكُهُ﴾: أى يدخله، والأصل يسلكه فى عذاب، انظر الآية (٢٠) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢، والآية (٢١) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩. ﴿صَعَدًا﴾: أصل الصعد: الهيبة التى يعصّب تخطيتها، ويستعيره العرب لكل ما هو شاق، فالمراد هنا: عذابًا شاقًا، صعبًا تحمله.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾.. إلخ: أى وأن المساجد مختصة بعبادته تعالى وحده لا شريك له، فلا تدعوا غيره تعالى فيها. ﴿عبد الله﴾: هو النبى ﷺ. ﴿يُعْبَدُونَ﴾: أى يعبد ربه بالصلاة وقراءة القرآن. ﴿كادوا﴾: أى قرب الجن عند سماع القرآن منه ﷺ كما تقدم فى الآية (٢٩) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠. ﴿ليدًا﴾: جمع ليدة بكسر فسكون، يوزن نعمة. واللينة هى الصوف أو الشعر المتصق ببعضه ببعض التصاقًا شديدًا، والمراد: جماعات متزاحمة، متلاصقة، تُعْجِبًا مما سمعوا. ﴿ضُرًا ولا رشدا﴾: أى ضلالًا ولا هداية.

﴿مَنْ دُونَهُ﴾: أى من غيره تعالى. ﴿ملتحدًا﴾: أى ملجأ. انظر الآية (٢٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٤. ﴿إلا بلاغا﴾: مستثنى من (رشدا) وما بينهما ذكر لتأكيد عجزه ﷺ عن شئون غيره ببيان عجزه عن شئون نفسه. والبلاغ هو التبليغ. والمراد: تبليغ ما أنزل من القرآن المأمور به من الله سبحانه وتعالى. انظر الآية (٦٧) من سورة المائدة صفحة ١٥٠. ﴿رسالاته﴾: المراد: وتبليغ رسالاته التى يوصيها إلى سبحانه على لسان جبريل لتفصيل أنواع العبادات، وبيان كيفياتها، كالصلاة والزكاة والحج، وغير ذلك من كل ما تحتاج إليه الدعوة.

- (١) المساجد. (٢) يدعو. (٣) بلاغا. (٤) رسالاته. (٥) خالدين. (٦) عالم.

سورة المزمل

المفردات: المزمّل: أصل المتزمل، وهو الملتف بقبابه. والمراد هنا: المعتكف حرّاً ممّا يقول المشركون. رقم الليل: اتفق العلماء على أن هذه هي أول صلاة فرضت على النبي ﷺ وعلى من آمن معه بمكة. كما سيأتى بيان ذلك فى آخر السورة. فكان ﷺ يصلى هو وأصحابه فى بيوتهم اتقاء لشدة إيذاء قريش ويستعمل رفع هذا الغرض عن الأمة فيما بعد.

﴿نصفه﴾: بيان للقليل، كأنه قال: هذا القليل هو النصف. وإنما سماه قليلاً للإشارة إلى أن الزمزم الذي يغلو من ذكر الله قليل مهما كان كثيراً، بل يستحق أن يكون لا شيء، وأن العامر بالنصف، بمنزلة الأكثر بل بمنزلة الكل؛ وفيه حث للمؤمن على أن يشغل أوقاته بذكر ربه.

﴿انقص منه﴾: أي من النصف العامر بالعبادة. ﴿ورز عليه﴾: أي أيضاً على هذا النصف العامر بالعبادة حتى يكون أكثر من النصف، وما سيأتي في الآية (٢٠) من هذه السورة يدل على أنه **كَثِيرٌ** لم يعم هو والمؤمنون مقدراً من الليل يصل إلى الثلثين. ﴿ورتل القرآن﴾: أي اقرأه على مهل فإن ذلك يساعد على التدبر. ﴿وقولا قليلاً﴾: هو القرآن.. لمصفيه من التكليف الشاق على النفوس. ﴿ورأيت الليل﴾: أي العبادة التي تنشأ في الليل. ﴿وأشد وطأ﴾: أصل الشاق على النفوس. ﴿ورأيت الليل﴾: أي العبادة التي تنشأ في الليل. ﴿وأشد وطأ﴾: أصل اللوط وضع القدم على الأرض في ثبات. والمراد: أشد ثباتاً ورسوخاً في النفوس من عبادة النهار. ﴿واقوم قبلاً﴾: القيل هو المقال، وأريد به هنا القرآن المعرّو، وأقوم أي أحسن وأفضل؛ لأن السكون يساعد القلب على استحضار المعاني. ﴿هسيحاً﴾: المراد تحركاً فيما يشغلك من المهام. ﴿ورتل﴾: أصل التبتل الانقطاع، والمراد: جرد نفسك لمراقبة ربك متوجّهاً إليه بقلبك. ﴿والمشرق والمغرب﴾: أي مشرق الشمس ومغربها، انظر الآية (٤٠) من سورة المعارج صفحتي ٧٦١، ٧٦٢ والمراد: رب العالم كله.

المعنى: روى البخاري وغيره من كتب السنة أن أول ما نزل من القرآن بعد ﴿اقرأ باسم ربك﴾ هو أول سورة المدثر إلى آخر الآية (٥)، انظر ما تقدم في شرح الآية (١٠) من سورة النجم صفحة ٧٠١، وعندما أعلن ﷺ رسالته، اجتمع صناديد الكفر من قريش وتأمروا فيما بينهم للتصديق به من أتباعه ﷺ فقالوا نقول عنه إنه ساحر، أو كاهن، أو شاعر.

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۖ (١٧)

(٧٣) سُبْحَةَ الْمَسْرِ فَلَمَّا كُنَتْ
وَأَيُّهَا عِشْرَتُكَ

أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِنشَاءُ

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ ﴿١﴾ ثُمَّ الْتَبَلْ أَأَقْبِلُ أَمْ أُقْبَلُ مِنْكَ قَبِيلًا ﴿٢﴾ أَنَا سَأُنْفِي عَنْكَ قَوْمًا قَبِيلًا ﴿٣﴾ إِنَّا سَأُنْفِي عَنْكَ قَوْمًا قَبِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا لَنَكْفِيكَ الْقَبِيلَ مِنْ أَلْمَدَةِ وَنَكْفِيكَ قَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّا لَنَكْفِيكَ الْقَبِيلَ مِنْ أَلْمَدَةِ وَنَكْفِيكَ قَبِيلًا ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَمَرَ رَبِّيكَ وَنَكْفِيكَ قَبِيلًا ﴿٧﴾ رَبُّكَ الْقَبِيلُ وَالْغَيْبُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَبِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْقَبِيلِ وَالْغَيْبُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَبِيلًا ﴿٩﴾

المفردات: ﴿١٣٨﴾: تقدم معناه في الآية (٩) من هذه السورة صفحة ٧٧١ وانظر مسدلول ذلك في الآيات (٢١٠، ٢١١، ٢١٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢ والآية (٩) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

﴿يُطِيعُكُمْ﴾: أي الرسول المرتضى.
﴿أُتِلِفُوا﴾: المَرَادُ جَمْعَةُ الرُّوحِي مِنْ
الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ مَعَهُمُ الْعَرَسُ.
﴿أُحْاطُوا بِمَا لِيَهُمْ﴾: الْمَرَادُ: عِلْمُ
أَحْوَاطِ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ.
يُسَبِّحَانَهُ جَمِيعُ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ.

﴿أُحْصِيَ كُلُّ شَيْءٍ عِدَدًا﴾: المراد: شمل
علمه سبحانه عدد كل شيء مما كان وما
سيكون من كبير وصغير.

المعنى: أنه سبحانه إذا أراد إبلاغ رسول من رسله على بعض الغيب الذى يتعلق برسالته فإنه يحيط هذا الرسول بحرس شديد من الملائكة والشهب حتى يحفظ هذا الغيب من تلاعب الشياطين فلا يتسرب إليه دخیل، كما تقدم فى شرح الآيات من (٧ إلى ١٠) من سورة الصافات صفحة ٥٨٧. ومن أهم هذا الغيب ما نزل من القرآن، وقد تكلم سبحانه بحفظه حتى لا يتطرق إليه ما تطرق إلى غيره، انظر الآية (٩) من سورة العنكبوت صفحة ٣٢٨. والمعنى أخير سبحانه بكل هذا الحرس الشديد ليعلم الرسول الذى ارتضاه علما قاطعا أن رسل الوحي من الملائكة قد أبلغوه رسالات ربهم كلها من غير تخليط. والحال أنه سبحانه قد علم بما لدى رسل الوحي، وكيف لا يعلم أحوالهم وهو الذى أحصى عدد كل شيء مما كان وما سيكون من كبير وصغير، انظر الآية (٥٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧١ والله تعالى أعلم.

(٤) البطل.

(۳) اَلْقُرْآنُ .

(۲) الفيل.

(١) رسالت.

وجه، وبأى ذكر. ووجد نفسك لمراقبته سبحانه، لأن فى ذلك طمأنينة القلب، انظر الآية (٢٨) من سورة الرعد صفحات ٣٢٥، ٣٢٦، ثم بين سبحانه ما يؤيد وجوب الاعتماد عليه وحده فقال: رب المشرق.. الخ، أى ربك أيها النبي هو رب الكون كله، لا إله إلا هو.

المفردات: «هجرًا جميلاً»: هو مالا عتاب معه.

«ورنى والمكذبين»: أى تركنى وإياهم، والمراد: أرح نفسك منهم فابنى قادر فابنى قادر على عقابهم.

«أولى النعمة»: أى أصحاب النعمة بالأموال والأولاد، وهم صناديد الكفر كما

فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا ۝ وَأَصْبَحَ عَلَى مَا يَقُولُونَ ۝ وَأَنذَرْتُ الْكَافِرِينَ ۝ أَنِلَ النَّعْمَةُ ۝ وَهَلَلَهُمْ قِيلًا ۝ إِنَّا لَنَبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَطَعْنَا دَاغَ غَضَبٍ ۝ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ۝ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مُّهْبِلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا ۝ رَسُولًا شَاهِدًا ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَى فِرْعَوْنُ أَوْسُرَ ۝ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ۝ فَكَفَيْتَ تَقْوَىٰ إِيَّاهُ ۝ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ۝ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ إِنَّمَا نَبَأُكَ الشَّمَاءُ ۝ مُنْقَطِعًا ۝ كَانَ وَعْدُ مَعْمَرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاكَ سَبِيلًا ۝ قَدْ نَبَأَ الْخَلْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ * إِنَّا رَأَيْنَاكَ بِعَمَلٍ ۝ أَنَّا لَنَعْرِضُكَ ۝ أَدْنَىٰ مِنَّا ۝ نَبِيٍّ ۝ أَنَّا لَنَرِضُّهُ وَلَنَعْمُ ۝ وَطَعْنَا دَاغَ غَضَبٍ ۝ وَأَعَذَابًا أَلِيمًا ۝

تقدم، وفيه إشارة إلى سبب تكبرهم.

«مهملهم»: أى أتركهم برفق وعدم ميالة.

«قليلاً»: أى زماناً قليلاً.

«لدينا»: أى عندنا من العذاب ما أعددناه لهم إذا استمروا.

«أنكالا»: جمع نكل بكسر فسكون. وهو القيد الثقيل، انظر المادة فى الآية (٦٦) من سورة

البقرة صفحة ١٣.

«جميعاً»: أى نارا شديدة التوقد.

«ذا غصة»: الغصة اسم لما يشق فى الحلق فلا يخرج ولا ينزل فى الجوف، كالعظم

- (١) شاهدا.
- (٢) فاختدنا.
- (٣) الولدان.
- (٤) (٥) الليل.

ولما بلغ ذلك النبي ﷺ حزنًا شديدًا من مقابلة قومه وعشيرته له بهذا الافتراء. ودخل بيته والتف بشيابه ونام يفكر كما يفعل المهمل. فاتاه جبريل وهو على هذه الحال وبلغه قوله تعالى: (يا أيها المزمل) .. الخ. وإنما ناداه سبحانه بهذا الوصف تأنيصًا له وملاطفة كما هى عادة العرب إذا أرادوا تخفيف هم واحد منهم وملاطفته فإنهم ينتزعون له اسمًا من حالته التى هو عليها.

ومن ذلك قوله ﷺ لعلنى بن أبى طالب لما دخل عليه ووجده نائمًا على التراب: (قم يا أبا تراب) ومن هذا تعلم أن قول بعضهم إن المذثر نزلت بعد المزمل إنما يصح إذا كان يريد أن يقية المذثر بعد الآيات الخمس الأولى هو الذى نزل.

والمعنى: يا أيها الملتف فى شيابه ألما من قومه، قم وصل لربك نصف الليل، أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد على النصف قليلاً. والمراد لا حرج عليك إذا صليت مقدار ما مما ذكر، فقدر ظروفك، ولا تحمّل نفسك ما لا طاقة لك به بشرط أن لا تنقص عما حددنا لك أنت وأمتك من هذا الزمن، ثم خفف سبحانه عنهم بما سيأتى فى آخر السورة من قيام مقدار ما من غير تحديد بزمن معين، إلا أن هذا القيام حتى مع التخفيف كان فرضاً عليه ﷺ ومندوباً لأمته، رفع سبحانه فرض قيام الليل عن الأمة وأوجب صلاتين عليها وعليه ﷺ، صلاة العصر وصلاة الصبح، وكل صلاة كانت ركعتين، كما ستعلم آخر السورة.

وروى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: إن الله عز وجل افترض على النبي ﷺ قيام الليل فى أول سورة المزمل فتقام الليل هو وأصحابه مدة من الزمن ثم خفف عنه فى آخر السورة. وقال ابن عباس بما قالت به عائشة.

وقال سعيد بن جبير: مكث ﷺ يقول هو وأمته هذا المقدار من الليل مدة ثم نزل آخر السورة بالتخفيف عنهم وبقي الفرض عليه ﷺ وحده من آية (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) .. الآية (٧٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥ كما سيأتى آخر السورة؛ وأقرأ القرآن فى صلاة الليل على مهل فإن ذلك يساعذك على تدبره. وإنما أمرناك بذلك لأن الصلاة تساعذك على تحمل المشاق كما فى الآية (٤٥) من سورة البقرة صفحة ١٠، ونحن سنلقى عليك قرآنا ثقيل التكليف على النفوس. فعود نفسك ومن آمن معك على ذلك؛ لأن العبادة التى ينشئها أى يوجددها العابد فى الليل أشد تأثيراً فى النفس من عبادة النهار، والقراءة فيها أفضل من قراءة النهار، لأن انقطاع الأصوات وحضور القلب فيها متوفر. وإنما رغبناك فى قيام الليل لأنك فى النهار مشغول بمهام الرسالة الأخرى، ومهام أسرارك، ودأوم على ذكر ربك ما استطعت على أى

بعد ما أصابهم الفرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عطية ﴿ الآية (١٧٧) من سورة آل عمران صفحة (٩١) والذين استجابوا لهم محسنون متقون.

المننى: الفعل المطلوب منك أيها النبي، وفوض أمورك لربك فإنه يكتفيك كل شيء. وأصبر على ما يقول الكفار من الباطل. وأهجرهم هجرًا جميلًا حتى لا تمكنهم من النصف. وأرج نفسك من هؤلاء الذين أغرامهم التمتع الكثير على تكذيبك. ومهلهم زمنا قليلًا وترى بعده ما يعمل بهم. إنا أعدنا لهم في جهنم قيودًا ثقيلة توضع في أرجلهم وهم في الجحيم. وإن عندنا لهم طعامًا معه ما تقف في حلوقهم فلا يخرج ولا ينزل فلا يستريحون. وفوق ذلك عذابًا شديد الألم لا يعلمه إلا هو سبحانه. لدينا كل هذا سنعذبهم به يوم ترجف الأرض والجبال عند الانفخة الأولى. وتصير الجبال كالرمل المتناثر. ولا تنس ما قيل في شرح الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧.

ثم وجه سبحانه الخطاب للمكذبين أصحاب النعيم لينذركم بما حصل لمن كذبوا برسولهم من الماضين فقال: إنا أرسلنا إليكم أي يا أهل مكة رسولًا سيكون شاهدًا عليكم يوم القيامة كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا هو موسى، فعصى فرعون رسولَه فعاقبناه عذابًا شديدًا. وإذا كان الأمر كما ذكر فخيروني بأي شيء تتقون - إن بقيتم على الكفر - هول يوم يجعل الولدان شيبًا. أي كل واحد منهم يكون من الهم كالرجل الأشيب، السماء تتشقق من هوله. وكان ما وعد به سبحانه لا يد من حصوله، إن ما ذكر من هذه الآيات تذكير وعظة، فمن شاء النجاة منكم ومن غيركم يسلك طريقًا يوصله إليها وليس إلا الإيمان والعمل الصالح. وبعد ذلك أراد سبحانه أن يخفف عنه ﷺ وعن أصحابه الذين قاموا الليل مثله، وذلك أنهم كانوا لجهلهم مقادير الليل لا يعرفون النصف والثالث بالتحديد، فكان الواحد منهم ربما قام إلى قبيل الفجر محتاطًا وفي هذا من الشدة ما فيه.

قال ابن جرير روى سعيد بن جبير أنه قال: لما أنزل الله سبحانه على نبيه (يا أيها المزمل) مكث ﷺ يقوم الليل كما أمره ربه مدة من الزمن، ويقوم كما تقوم طائفة هي كل من آمنوا بالله عز وجل معه ﷺ، فانزل سبحانه بعد ذلك: إن ركب يعلم أنك تقوم أدنى أي أقل من ثلث الليل ولكن فوق النصف، وتقوم أيضًا نصفه، وثلثه، وتتقدم معك طائفة هم المؤمنون والله وحده هو الذي يعلم مقادير الليل والنهار بالتحديد.

والشوك، والمراد: طعامًا مصعوبًا بشيء يشع بوقفه في الحلق، فيحدث ألما شديدًا. ونظيره في قوله تعالى (يتجرعه ولا يكاد يسيغه...) الآية (١٧) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٢، وانظر الآية (١٢) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٠ والآية (٤٢) وما بعدها من سورة الدخان صفحة ٦٥٩ والآية (١) وما بعدها من سورة الغاشية صفحة ٨٠٥.

﴿ترجف الأرض﴾: أي تضطرب وتتزلزل عند الانفخة الأولى، انظر الآية (١) من سورة الحج صفحات ٤٢٢، ٤٣٣. والآية (١) من سورة الزلزلة صفحة ٨١٧، والمراد هنا: وحذرهم هول يوم ترجف الأرض. وتخوف المشركين في عهد الرسول ﷺ بقيام الساعة مهود في القرآن.

﴿كثيبًا﴾: الكتب هو الكومة من الرمال. ﴿مهيلًا﴾: أي متناثرًا.

﴿شاهدًا عليكم﴾: انظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧.

﴿ويؤيلا﴾: أي ثقيلًا شديدًا، انظر الآية (١٥) من سورة العشر صفحة ٧٣٢.

﴿السماء منظر به﴾: أي مشتقة كما في الآية (١) من سورة الإنفطار صفحة ٧٩٥ والآية (١) من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٩.

﴿به﴾: أي بسبب هول هذا اليوم، وإنما جاء بصيغة المذكر، ولم يقل (منفطرة) لأن السماء تذكر باعتبارها سقفا. كما في الآية (٣٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٣.

﴿وعده﴾: المراد ما وعد به سبحانه من حوادث يوم القيامة.

﴿فمفعولاً﴾: أي حاصلًا لا محالة.

﴿هذه﴾: أي آيات القرآن المتقدمة.

﴿تذكرك﴾: أي تذكير وموعظة.

﴿يقدر الليل﴾: أي يعلم مقاديره ويعصمها بدقة.

﴿وطائفة من الذين معك﴾: (من) في قوله (من الذين معك) بيانية لا تبعية أي طائفة هم الذين آمنوا معك، ومثلها (من) في قوله تعالى ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الآية (٣٠) من سورة الحج صفحة ٤٢٧، وكل الأوثان رجس، وفي قوله ﴿الذين استجابوا لله والرسول من

وكان بعضهم يصليه معه وبعضهم يصليه في بيته. ثم خففه بالنسبة للمؤمنين بالاكتماء لصلاتين. ونفى قيام الليل على أنه سنة.

أما بالنسبة له ﷺ فإنه بقى فرضاً عليه ﷺ. لكن بدون تحديد زمن معين، انظر الآية (٧٩) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٥. ويعد ما بين سبحانه أن سبب التخفيف هو صعوبة ضبط الأوقات على المؤمنين. الأمر الذي أوقعهم في مشقة أراد سبحانه أن يبين سبباً آخر للتخفيف فقال: علم أن سيكون.. إلخ. أى علم سبحانه أن الحال الثابت وقوعه فى المستقبل هو وجود مرضى منكم، ومسافرون للتجارة يطلبون من فضل الله ربحاً، ومقاتلون فى سبيل الله. وإذا كان الأمر كذلك، فاقربوا ما تيسر من القرآن فى صلاة الليل، وأقيموا الصلاة التى فرضت عليكم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب كما تقدم. وآتوا الزكاة، وأنفقوا بعد ذلك فى وجوه الخير يجازيكم عليه سبحانه أجراً مضاعفاً. وكل خير تقدمونه لأنفسكم فى حال صحتكم مما ذكر سابقاً وما لم يذكر تجدون ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما وصيت بإنفاقه بعد الموت. ثم بين بعض وجوه هذه الخيرية، فقال: وأعظم أجراً، أى يضاعفه سبحانه أضعافاً كثيرة ولما كان الإنسان لا يخلو من قسربط. أُرشد سبحانه لكثرة فى جميع الأحوال. والله يفتر لمن يستغفره لأنه سبحانه كثير المغفرة، واسع الرحمة.

سورة الحديد

المفردات: ﴿المثَرُ﴾: أصلها المِثْرُ، أى لايس الدثار؛ والدثار بكسر الدال هو ما يغطي الجسم؛ وقد بُيِّنَا سبب تدرؤه فى شرح الآية (١٠) من سورة النجم صفحة ٧٠١، وحكمة مناداته بهذا الوصف فى الآية (١) من سورة الزمرا، صفحة ٧٧٢.

﴿أَنْذَرُ﴾: أَيْ حَذَرُ وَخَوْفُ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ أَوَّلًا ثُمَّ جَمِيعِ النَّاسِ ثَانِيًا، أَيْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

المعنى: قد علمت في شرح الآية (١٠) من سورة التَّجْم صفحة ٧٠٢ أن الوحي كان قد انقطع عنه ﷺ مدة ثلاث سنين حتى حزن حزناً شديداً. وفي يوم كان وحده على جبل حول

يَقُولُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَهِونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَجُوا
الْقُرْآنَ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ
يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَا تَبْغِزُونَهُ وَأَقْبِرُوا
الْأَضْرَاءَ وَأَمَّا الزُّكُورُ وَالْقُرْصَاءُ فَاللَّهُ قَرِصًا حَسَنًا وَمَا
تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يُعْجِدُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا
وَأَعْلَمُ أَجْرًا وَسَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مُجِيبٌ (٥٥)

وَأَنزَلْنَاكَ مَائِدَةً وَمِيقَاتٍ
(٧٤) مِيقَاتِ الْمَيْدَةِ وَكَيْدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبَهَا الْمَدْرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③

الجزء التاسع والعشرون ٦٤٨

المفردات: ﴿أَنَّ لَّنْ﴾: تنطق ألن والمراد: أنكم لن تحصوه، انظر الآية (٣) من سورة القنامة صفحة ٧٧٩.

أجزاء الليل بدقة. وبهذا تقومون في مشقة لو طلب منكم قناب مقدار محدد منه.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: المراد: خفف عنكم، بأن تفعلوا ما تيسر لكم.

﴿فَأَقْرَعُوا مَا تيسر لكم﴾: المراد: صلوا
قارئین القرآن فی صلاتکم بدون تحديد
بزمان معين، انظر الآية (١١٠) من سورة
الانساء صفحة ٣٧٩.

آن سیکون: (آن) اصلها آنه وهی مثل
ساختها.

﴿يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: أى يسافرون للتجارة، انظر الآية (١٠٦) من سورة المائدة صفحة ١٥٨. ﴿يُطْلَبُونَ﴾: أى يطلبون. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تيسرَ مِنْهُ﴾: ذكره ثانياً لأنه هنا مرتباً على أسباب الإخلاء للتخفيف عند السبب الأول، وهى المرض، والسفر، والحجاء.

﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: هذه هي الصلاة التي فرضت بعد تخفيف قيام الليل وكانت ركعتين في العصر ومثلها في الصبح، روى مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إن استسلمت ألا تغلبوا على صلاة طلوع الشمس وقيل غروبها يعني العصر والفجر، ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء كما هو موضح هناك.

﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾: كانت الزكاة مفروضة بصفة من غير تحديد مقدار معين، انظر شرح الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحة ٧٠. ﴿مَنْ خَيْرٌ﴾: (من) تدل على أن (خير) بعدها بيان لـ (ما) قبلها. من سورة الحديد صفحة ٧٠. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: تقدم في الآية (١١)

- | | | |
|-------------|------------|---------------|
| (١) القرآن. | (٢) آخرون. | (٣) يتناولون. |
| (٤) الصلاة. | (٥) آتوا. | (٦) الزكاة. |

يسيرا كما هو حال المسر في أحوال الدنيا، انظر الآية (٥) من سورة الشرح صفحة ٨١٢.

هو زنى ومن خلقت: المراد: لا تشغل نفسك به واترك لى عقابه، انظر الآية (١١) من سورة المزمل صفحة ٨٧٤.

هو حيداً: أى فريداً فى كل أحواله من مبدأ ميلاده كما فى الآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨. ثم بعد ذلك جمع من الصفات ما لم يوجد فى غيره، فمن صفات الذم ما فى الآيات (١٠ - ١٥) من سورة القلم صفحة ٧٥٨. ومن مظاهر الدنيا ما ذكر هنا فكان أوجه العرب فى عصره حتى لقيوه (بالوحيد) وهو الوليد بن المغيرة، وهو أحد الرجلين اللذين تمنى المشركون أن يكون الرسول واحداً منهما، انظر شرح الآية (٣١) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠.

هو لا ممدوداً: أى مبسوطاً كثيراً. فكان له بين مكة والطائف من الإبل والنعم والعبيد والبساتين ما ليس عند غيره.

هو بين شهود: أى حثروا فى المحافل معه بمكة، يتمتع بهم لا يشغلهم عن ذلك شئ، وكانوا أكثر من سبعة. ما توالكهم على الكفر مثله إلا ثلاثة فإنهم أسلموا منهم (خالد بن الوليد) القائد المشهور المظفر فى جميع مواقعه.

هو مهدت له يمهيداً: أى هيأت وبسطت له من المال والرياسة جاهاً عريضاً حتى كانوا يلقبونه (ريحانة قريش).

هو كلاً: أى زجراً له عن هذا الطمع.

هو أنه كان: علة الزجر. هو آياتنا غيباً: أى شديدين المعاندة للقرآن. حتى قال فيه ما سيأتى فى آيتى (٢٤، ٣٥) هنا.

هو سارقه صعداً: (ارقه) أى أحمله شدايد، انظر شرح الآية (١) من سورة الجن صفحات ٧٧٠ - ٧٧١. وأصل الصعود العقبة التى يصعب تخطيها، ويستعار لكل شاق. فالمراد سألحله مشقة من العذاب (إنه فكر) بيان لسبب تغذيته، والمراد فكر فى شئ يطمئن به فى القرآن بعد ما سمعه.

هو قدر: أى قدر الذى يمكن أن يقال. هو قتل: دعاء عليه.

هو كيف قدر: استهزاء مراد به لفت النظر للتعجب من شناعة حالة استهزاء به.

وَبَشِّرِ بِكَ فَطْمَرٌ ۝ وَارْجِعْ فَأَنْجُرٌ ۝ وَلَا تَحْنُ
تَسْتَكْبِرُ ۝ وَلَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ وَأَدَّائِيهِ الْأَنْجُرُ ۝
فَأَنَّكَ بَوْمِيذٌ بِمِمْسِرٍ ۝ عَلَى الْكَثِيرِ نَحِيرٌ
بَسِيرٌ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَكَ مَالًا
عَدِيدًا ۝ بَيْنَ يَدَيْهِ ۝ وَهَدَيْتُ لَكَ الْبَحِيرَ ۝
فَمَنْ يَطْمَعُ أَنْ أَرِيدَ ۝ كَلَّا ۝ أَتَدْرِكُنِي الْأَيْتَانِ عِيدًا ۝
سَائِرُهُ صَوْدًا ۝ أَتَدْرِكُنِي وَقْدَرٌ ۝ فَتَنْبَلُ كَيْفَ
قَدَرٌ ۝ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَرٌ ۝ ثُمَّ تَقَر ۝ ثُمَّ تَسِ
وَسِر ۝ ثُمَّ أَتَدْرِكُنِي وَاسْتَكْبِر ۝ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
خَيْرٌ يُؤْتَى ۝ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشِيرِ ۝ عَلَّمِيهِ
سِرًّا ۝ وَمَا دُرَيْكٌ مَأْسُورٌ ۝ لَأَنْتَ لَا تَدْرِكُ
لِرَأْمَةِ الْبَشِيرِ ۝ عَلَّمِي شِعْمَةَ غَيْرٍ ۝ وَمَا جَعَلْنَا

مكة فترأى جبريل بصورته الحقيقية. فراجع خائفا وقال لتخديجة رضى الله عنها: دثرونى دثرونى. فنزل عليه جبريل يقول الله تعالى: يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر. أى وخص ربك بالتكبير والتعظيم ونزهه عما يفتريه الكافرون.

المفردات: هويا بك فطمر: قال ابن عباس: ذلك كناية عن تطهير الباطن من العيوب، يقول العرب: فلان طاهر الثياب، نقى النيل. إذا كان بعيدا عن كل عيب.

هو الرجح: يضم الراء وكسرها، قال مجاهد: المراد بالرجح هنا الصنم الذى يعبد، وله معان أخرى، منها ما فى الآية (١١) من سورة الأنفال صفحة ٢٧٨.

هو لا تمنن: من المن، وهو الإتيان، أى لا تعط غيرك شيئا لتأخذ أكثر منه، بل أحمله لوجه الله.

هو تستكبر: جملة تستكبر حال من فاعل (تمنن) وهو النسي هو لا تعط غيرك شيئا حال كونك طالبا أكثر مما أعطيت.

هو إذا نقر فى الناقور: (إذا) ظرف منصوب بفعل مستفاد من معنى جملة (فذلك يومئذ) إلخ. وتقدير هذا الفعل: أشتد الهول فى وقت النقر. و(نقر): أصل النقر الضرب على شئ يحدث صوتا وأريد به هنا النفيخ فى الصور الذى يحدث الصوت الذى يخرج الناس من القبور كما فى الآية (٣٨) من سورة الزمر صفحة ١١٥ و(الناقور) أصله مكان النقر، وأريد به الصور المشار إليه سابقا.

هو فذلك: أى فذلك الزمن الذى ينفخ فيه فى الصور، وهو مبتدأ وخبره (يوم عسير) التى (يومئذ) بدل من (ذلك) المتقدم. هو غير يسير: المراد: لا يمكن أن ينكشف عصره حتى يرجع

صَفَحَتِي ٢٢٤، ٢٢٥ والآية (١٠) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧. وسيلقى أعداؤك عاقبة كفرهم يوم ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية. فذلك اليوم يوم عسير على الكافرين، لا ينفرج كربهم أبداً. وكان الوليد بن المغيرة أكبر صناديد الكفر بمكة، ولما سمع القرآن هجم عليه الحق وكاد يؤمن، ولكنه لما رأى حزن قومه من ذلك استكبر وأصر على العناد. وقد ورد أنه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ عند الكعبة انصرف وقال: ما هذا الذي يقوله محمد كلام أنس ولا جن، وأنه لا يملو عليه كلام قط. فلما سمعت بذلك قريش شملهم الحزن خوف أن يؤمن فينتبهه العرب. فذهب كبارهم إلى بيته وعلى رأسهم أبو جهل وسألوه. فقال: لا يصح أن تقول إن محمداً مجنون. لأننا لم نره يخفق نفسه، ولا كاهن: لأننا لم نره يتعاطى الكهانة.

فقالوا فماذا تقول أنت فيه؟ ففكر كثيراً إلى آخر ما سيأتي. فنزل قوله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ) .. إلخ. أي أرح نفسك أيها النبي واتركني وأنا أكفيك شر هذا الذي أوجدته فريداً في كل أحواله. ليس له مال ولا جاه ولا شيء مما سيأتي ذكره. ثم جعلت له مالا كثيراً. وبنين وجهاً يملأون المخالف. وهيات له من كل ذلك جاهاً عريضاً. ثم بلغ من تكالبه على الدنيا أنه يطمع في المزيد منها. كلا لن أزيده بعد اليوم. بل سأنقصه لأنه مستمر على شدة المعاندة للقرآن مع علمه بأنه حق. وكفر العناد أفحش أنواع الكفر. سأحملة من مشاق عذاب الدنيا والآخرة مالا يقدر على حمله. وقد حصل أنه زال عزه ومات حقيراً. ثم بين سبحانه سبب تعذيبه فقال: (إنه فكر) .. إلخ. أي فكر لعله يجد شيئاً يطمئن به في القرآن. وقدر في نفسه الذي يمكن أن يموه به على الضعفاء. فآثله الله كيف يقدر هذا الباطل، ثم نظر في وجوه القوم وهم ينتظرون منه ما يزيل خورقهم من إيمانه، ثم قطب جبينه ألماً من صعوبة العثور على منفذ. ثم أسرع إلى وجهه شكل قبيح. ثم تصادى في الإعراض. وبالحق في الاستكبار عن الخضوع للحق. وقال ما هذا الذي أتى به محمداً إلا سحر تعلمه من غيره. ألا ترونه فرق بين الرجل وزوجه وولده ففصار أحدهما يتبعه والآخر ثابت على دين آباءه؟ ثم أكد ما سبق فقال: ما هذا إلا قول البشر من رجال السحر فتأمل كيف حملة العناد على إنكار ما قرره أولاً بأن البشر لا يقدر على هذا الكلام. ولذا قال سبحانه: أصأليه.. إلخ. أي سأدخله سقر. ولا تدرى أيها السامع ما أهوال سقر. إنها لا تبقى على سلامة من يدخلها. ولا تتركه يخرج منها. تسود الجلد تسويداً شديداً. يشرف على تعذيب من فيها تسعة عشر.. إلخ.

﴿ثُمَّ قَاتِلْ﴾: مبالغة فيها سبق.
﴿ثُمَّ نَظَرْ﴾: أي في وجوه القوم وهم ينتظرون رأيه.
﴿عَبَسْ﴾: أي قطب ما بين عينيه متألماً من عدم العثور على مطمئن.
﴿بَسَرْ﴾: أي تغير شكل وجهه. وقبح منظره بتقلص شفتيه وبرز أسنانه من شدة الكرب، انظر الآية (٢٤) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: تأكيد لما قبله.
﴿يُؤْتِرْ﴾: أي يروى ويتعلم عن أهل بابل بالعراق، انظر الآية (١٠٢) من سورة البقرة صفحة ٢٠.
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: تأكيد لما قبله.
﴿سَاصِلِيهِ سَقَرٌ﴾: سأدخله جهنم.
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾: تقدم المراد من هذا التركيب في الآية (٣) من سورة الحاقة صفحة ٧٦١.

﴿لَا تَبْقَى﴾: أي على شيء مما يطرح فيها بل تحرقه.
﴿لَا تَذَرْ﴾: أي لا تتركه يخرج منها. بل كلما أراد الخروج أعيد فيها، انظر الآية (٧٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٧.

﴿لَوْحَةٌ﴾: أي شديدة التسيود للجسم. من قولهم لوحته الشمس بحرها: إذا سودت جلده.
﴿لِبَشَرٍ﴾: اسم جمع لبشرة. كيقر وبقرة. والبشرة ظاهر للجلد.
﴿تَسْعَةَ عَشَرَ﴾: لا ندرى هل هم رؤساء ملائكة العذاب أو أنواع منهم والذي يهمنا أنهم جنود من جنود الله الذين سخرهم لتعذيب أهل النار. انظر الآية (٣١) الآتية من هذه السورة.
المنفى: وابتعد أيها النبي قلبك ونفسك وأعمالك عن كل عيب من العيوب الباطنة والظاهرة كالعقد والحسد والبخل والرياء وغير ذلك حتى لا يمسك شيء من عيوب المشركين. ولا تعط خيراً لأحد منتظراً منه أكثر، بل اعط ابتغاء وجه الله وحده ولا كت متاجراً، فاصبر على إيذاء المشركين ومشاق التكاليف لتأل أجراً بغير حساب. انظر الآية (٢٢) من سورة الرعد

﴿ومثلاً﴾: المراد بالمثل هنا الشيء المستغرب، وهو حال من اسم الإشارة، انظر الآية (٣٦) من سورة البقرة صفحة ٧٠١.

﴿وجنود ريك﴾: المراد بالجنود هنا المخلوقات التي سخرها سبحانه لما يريد ومنها الملائكة، انظر الآية (٤) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨ والآية (٧) من نفس السورة صفحة ٦٧٩. ﴿وما هي﴾: اسم سقر المتقدمة في الآية (٢٦) من هذه السورة صفحة ٧٧٦. والمراد ما الحديث عنها إلا ذكرى... إلخ.

﴿ذكرى﴾: أي تفكير وتنبه. ﴿كلاً﴾: حرف يدل على زجرهم من الاستهزاء المفهوم من قولهم ﴿ماذا أراد الله﴾... إلخ. ﴿هو القمر﴾: أي وحق القمر.

﴿وإذا﴾: حين. ﴿وإذا بر﴾: معنى. وهو كناية عن ذهاب الليل، انظر آيتي (١٨، ١٧) من سورة التكوين صفحة ٧٩٤. ﴿وأنسر﴾: أي أضاء وظهر.

﴿إنها﴾: أي سقر. وهذا هو المحطوف عليه. ﴿إلحدى﴾: أي واحدة من الكبر. ﴿الكبر﴾: جمع الكبرى وهي الداهية الكبيرة.

﴿ونذيراً﴾: النذير هنا بمعنى الإنذار كما في الآية (١٧) من سورة الملك صفحة ٧٥٦.

﴿ومن شاء﴾... إلخ: يدل من (البشر) يدل مفصل من مجمل.

﴿وإن يتقدم﴾... إلخ: أي يتقدم إلى الإيمان والخير، أو يتأخر إلى الكفر والشر. انظر الآية (١٨) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٣٦١، ٣٦٧ والآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤، ٢٨٥. ﴿رهينة﴾: من الرهن أي الحبس، أي مرهونة في النار بقدر عملها، والهاء فيها للمبالغة كالهاء في (فلان علامة). أي كثير العلم.

﴿وأصحاب اليمين﴾: المراد بهم هنا المؤمنون الكاملون. فإن كثرة حسناتهم تفك رقابهم من النار. ﴿فيتساقون﴾: أي ينساق بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين كانوا معهم في الدنيا وما حل بهم، نظير ما في الآية (٥٠) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٠.

﴿المجرمين﴾: هم الكافرون، كما في الآية (٢٩) وما بعدها من سورة المطففين صفحة ٧٩٨. ﴿وما سلككم﴾... إلخ: أي ما هو الذنب الذي أدخلكم في سقر.

أَعْيَبُ النَّارِ إِلَّا مَنَظَرُكَ وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادُوا
الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثِي الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَيُقُولَ الَّذِينَ فِي ظُلُمِهِمْ رُسُخٌ مِّنَ الْكُفُورِ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَـ
أَلَّا ذَكَرَى لِّئَلَّا يَعْلَمَ كَذَلِكَ وَلَئِيَّا لِّلْأَعْمَى بُدْرًا
وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرْنَا لِيَسْتَزِنَا يَسْمُرُ أَن يُعْطَمَ أَرْيَانَهُ كُلِّ
لَيْلٍ وَمَا كُنْتَ بِرُؤْيَاكَ إِلَّا تَحِيُّنًا لِّلْجَنِّ
فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ عَنِ الْمَجْرَمِينَ مَا سَلَكُوكُمْ
فِي سَفَرٍ فَأُولَٰئِكَ مِنَ الْمُحْلَبِينَ وَلَا تَنفَعُكُمْ

المفردات: ﴿وأصحاب النار﴾: المراد بهم هنا الموكول إليهم تعذيب من يدخلها.

﴿إلا ملائكة﴾: لما فيهم من الصفات المذكورة في الآية (٢) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢.

﴿وما جعلنا عذابهم﴾: العدة العدد، والمراد: وما أخبرنا عن جعلنا لهم بهذا العدد... إلخ. انظر نظير ذلك في تفسير (الإخبار) في الآية (٢٩) من سورة الحديد صفحة ٧٢٤ والآية (١٢) من سورة الطلاق صفحة ٧٥١، ٧٥٠.

﴿فتنة الذين كفروا﴾: المراد من الفتنة هنا الامتحان الذي تظهر به طبيعتهم.

وقد روى أن أبا جهل لما سمع عددهم قال: يا شجعمان قريش، هل يعجز كل عشرة منكم أن يبش بواحد من هؤلاء التسعة عشرة؟ وهذا شأن المضللين مع ضمايف العقول، انظر نظير ذلك في الآية (٣٦) من سورة البقرة صفحة ٧٠٦ والآية (١٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢ والآيتين (١٢، ١٣) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠. ﴿ليستيقن﴾: أي ليكتسب اليقين بصدق الرسول وكتابه. ﴿والذين أوتوا الكتاب﴾: من اليهود والنصارى لأنه موافق لما في دينهم. ﴿ولا يرباب الذين﴾... إلخ: المراد: ولا يطراً عليهم بعد اليقين وزيادة الإيمان شك في المستقبل أبداً. ﴿ومرض﴾: هو النفاق، كما في الآية (١٠) من سورة البقرة صفحة ٤. وبما أن النفاق لم يظهر إلا في المدينة فيكون هذا من إخبار القرآن بالغيب المستقبل، وقد حصل فعلاً واشد منه. ﴿ماذا﴾... إلخ: استقهم فصدوا به الإنكار. ﴿بهذا﴾: أي بعدد ملائكة النار.

(١) أصحاب.	(٢) ملائكة.	(٣) الكتاب.	(٤) أموا.	(٥) إعطاء.
(١) أنكأب.	(٧) الكافرون.	(٨) النيل.	(٩) أصحاب.	(١٠) جنات.

المفردات: **فَنَخْوُضُ**؛ أي ندخل في كل باطل. النظر الآية (٦٨) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٢، ١٧٣.

يَوْمَ الدِّينِ؛ يوم القيامة.

الْيَقِينِ؛ المصاد: الصوت. انظر الآية (٩٩) من سورة الحجر صفحة ٣٤٤.

التَّذَكُّرُ؛ أصلها بمعنى التذكير، وأريد به هنا: التمرن مبالغه في قوة تذكيره حتى كأنه هو التذكرة نفسها.

حَمَرٌ؛ جمع حمار. والمراد به هنا حمار الوحش: لأنه هو المعروف عند العرب بشدة النور.

مُسْتَفْرَءٌ؛ تقول العرب: نقرت الدابة

إذا شردت، شردوا عاديًا. واستفرت إذا شردت بقوة، كمجيب واستعجب.

تُرْوَى؛ كل امرئ **يُرْوَى**؛ إلخ. عطف على مقدر مفهوم من السياق والأصل لا يكتفون بذلك

الآن **يُرْوَى**؛ أي أسد.

هذا **مُتَشَارَفٌ**؛ أي مشفورة غير عطوية ولا مغلفة حتى يقرأها كل من يراها. انظر نظير هذا **الْمُتَشَارَفُ** من الآية (١١٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٣ والآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء ومنصفتي ٣٧٦، ٣٧٧.

فَلَا يَكُنَّ؛ أي فليترجروا عن افتراح المعجزات نعمتنا.

الْعَاجِزِينَ؛ (٣) شفاة.

الشَّاهِقِينَ؛ (٥) الآخرة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

الْأَسْرَارَ؛ (٦) القيامة.

المعنى: يقول سبحانه: وما جعلنا المشرفين على تعذيب أهل النار إلا ملائكة. لشدهم وطاعتهم وقدرتهم على كل ما يؤمرون به. وما جعلنا عدتهم.. إلخ. المراد وإنما أخبرنا عن عدد ملائكة جهنم بهذا العدد الذي تسبب في بروز فتنة الكافرين لحكمة سامية هي اكتساب أهل الكتاب يقيناً بصحة نبوته ﷺ لأنهم يعرفون هذا العدد من دينهم. وزيادة إيمان المؤمنين عندما يعلمون تصديق أهل الكتاب لذلك. ويظهر ذلك واضحاً بعد إيمان بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود وكثير من النصارى المشار إليهم في الآية (٨٢) وما بعدها من سورة المائدة صفحة ١٥٣، وأيضاً ثلثا يعترى أهل الكتاب والمؤمنين شك بعد ذلك أبداً. ومن حكم الإخبار بهذا العدد أيضاً ظهور تضليل المنافقين والكافرين في المستقبل فيقولون على سبيل الإنكار: ما الذي أراد الله تعالى بهذا العدد المستغرب ولم لم يجعل الملائكة آلافاً حتى يمكنهم تعذيب هذا العدد الضخم. فمرادهم لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد القليل.

كهذا المذكور سابقاً من إضلال المنافقين والكافرين لإعراضهم عن النظر في البراهين وهداية المؤمنين لإخلاصهم. يضل الله من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته على النظام الذي اختاره لهذه الحياة، انظر بيان ذلك في شرح الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحتي ٧٦، والآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. ثم سفهم سبحانه على ما يقولونه فقال: (وما يعلم جنود ربك).. إلخ. المراد إنكم لا تعلمون شيئاً عن حقيقة هذه التسعة عشر وعن قوة بطشهم، فضلاً عن كل جنود الله التي لا حصر لها. وما الحديث عن سقر وصفاتها إلا تذكير وتنبية للبشر. فانزعجوا عن هذا الاستهزاء وحق القمير حين مضى وذهب ضوؤه والليل إذا ولي.

والصبح حين ظهر ضوؤه إن سقر لهي إحدى الدواهي الكبيرة التي أعدها سبحانه لمن يكفر به. أي فلهم عنده سبحانه بلايا غير محصورة. أخبرناكم بها لإندثار البشر لمن شاء منهم أن يتقدم للخير أو يتأخر عنه. وهذا وعد للمؤمنين ووعد للكافرين.

ثم بين سبحانه المال لكل عامل فقال: (كل نفس).. إلخ، أي مرهونة في النار بقدر عملها، فمنهم من يخلد، ومنهم من يخرج بعد استيفاء جزائه، إلا المؤمنين الصادقين فإنهم لا يدخلون النار أبداً، بل هم من أول الأمر في جنات يتساءلون عن حال الكافرين الذين كانوا يعرفونهم في الدنيا. وعندما يروونهم في جهنم يقولون لهم ما الذي أدخلكم سقر؟ يقولون لم نك في الدنيا من المصلين للفرات ولم نك نطعم المحتاج. والمراد لم تعبد ربنا ولم نجس إلى خلقه.. إلخ.

المراد إنكم لا تعلمون شيئاً عن حقيقة هذه التسعة عشر وعن قوة بطشهم، فضلاً عن كل جنود الله التي لا حصر لها. وما الحديث عن سقر وصفاتها إلا تذكير وتنبية للبشر. فانزعجوا عن هذا الاستهزاء وحق القمير حين مضى وذهب ضوؤه والليل إذا ولي.

والصبح حين ظهر ضوؤه إن سقر لهي إحدى الدواهي الكبيرة التي أعدها سبحانه لمن يكفر به. أي فلهم عنده سبحانه بلايا غير محصورة. أخبرناكم بها لإندثار البشر لمن شاء منهم أن يتقدم للخير أو يتأخر عنه. وهذا وعد للمؤمنين ووعد للكافرين.

ثم بين سبحانه المال لكل عامل فقال: (كل نفس).. إلخ، أي مرهونة في النار بقدر عملها، فمنهم من يخلد، ومنهم من يخرج بعد استيفاء جزائه، إلا المؤمنين الصادقين فإنهم لا يدخلون النار أبداً، بل هم من أول الأمر في جنات يتساءلون عن حال الكافرين الذين كانوا يعرفونهم في الدنيا. وعندما يروونهم في جهنم يقولون لهم ما الذي أدخلكم سقر؟ يقولون لم نك في الدنيا من المصلين للفرات ولم نك نطعم المحتاج. والمراد لم تعبد ربنا ولم نجس إلى خلقه.. إلخ.

المراد إنكم لا تعلمون شيئاً عن حقيقة هذه التسعة عشر وعن قوة بطشهم، فضلاً عن كل جنود الله التي لا حصر لها. وما الحديث عن سقر وصفاتها إلا تذكير وتنبية للبشر. فانزعجوا عن هذا الاستهزاء وحق القمير حين مضى وذهب ضوؤه والليل إذا ولي.

والصبح حين ظهر ضوؤه إن سقر لهي إحدى الدواهي الكبيرة التي أعدها سبحانه لمن يكفر به. أي فلهم عنده سبحانه بلايا غير محصورة. أخبرناكم بها لإندثار البشر لمن شاء منهم أن يتقدم للخير أو يتأخر عنه. وهذا وعد للمؤمنين ووعد للكافرين.

المعجزات؛ لأن المانع لهم ليس قلة الأدلة بل المانع الحقيقي هو كفرهم بالآخرة، ولذلك لا يبالون بالأدلة.

فلينزجروا عن الإعراض عن الأدلة وعن عدم الإيمان بالآخرة؛ لأن القرآن تنكير بالغ النهاية في الكناية، فمن شاء أن يتذكره بإخلاص سهل عليه سبحانه تذكروه. وما يتذكرون في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى على النظام الذي وضعه لهذا العالم. هو سبحانه أهل لأن يتقى غضبه تعالى بالإيمان به وبرسوله. وأهل المغفرة ذنوب عبده إذا رجع إليه بالتوبة الغالبة.

(سورة القيامة)

المفردات: ﴿لَا أَقْسَمُ﴾.. إلخ: المراد: إن بعثنا الخلاق يوم القيامة لا يحتاج في ثبوته وتحققه إلى قسم، ونظيره في الآية (٧٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧. فالمحطوف عليه هو أنكم ستبعثون يوم القيامة وحلف ما يعلم شائع في كلام العرب، ومنه في القرآن ما في الآية (١١١) من سورة الأنعام صفحة ١٨١، والآية (٣١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٦، والآية (١٠) من سورة النور صفحة ٤٥٨.

﴿لِلرَّامَةِ﴾: أي التي تقوم نفسها دائماً، إن قصرت فعلى التقصير، وإن أحسنت فعلى عدم الزيادة فيه. فهي يقطعة دائماً لما يشقها.

المعنى: لا أحلف بيوم القيامة. ولا بالنفس المؤمنة به على أنكم ستبعثون فيه، لأن ثبوته أوضح من أن يحتاج إلى حلف.

المفردات: ﴿أَوَيْتُمْ﴾: أي هل يظن، والاستهزاء للتوبيخ على هذا الحلف.

﴿الإنسان﴾: المراد به هنا: الكافر المتمكر ليوم القيامة، فهو جمع في المعنى.

﴿أَنْ لَّنْ﴾: الأصل (أن لن)، انظر الآية (٢٠) من سورة المزمل صفحتي ٧٧٤، ٧٧٥.

﴿لجميع عظامهم﴾: انظر إنكارهم في الآية (٤١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١ والآية (٧٨)

من سورة يس صفحة ٥٨٦ والآية (١١) من سورة النازعات صفحة ٧٨٩.

﴿بَلْ﴾: حرف يدل على الانتقال من تعنتهم إلى بيان سببه، وهو إنكار يوم القيامة.

﴿لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: المراد: يتكبرونها. فلذلك لم يبالوا بالتعنت.

﴿كَلَّا﴾: زجراً لهم عن إنكار الآخرة.

﴿إِنَّهُ﴾: أي القرآن وما فيه من الأدلة والعبر.

﴿تَتَذَكَّرُ﴾: أي تتذكر بلوغ لمن يثبسط ضميره، وأراد الالتفات به مخلصاً. فإن الله تعالى يسهل له ذلك.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: انظر ذلك في شرح الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ والآية (١٠٤) وما بعدها من سورة الأنعام أيضاً صفحة ١٨٠.

﴿أَهْلُ التَّقْوَى﴾: أي أهل لأن يتقى غضبه، وعقابه، فلا يعصي.

﴿أَهْلُ الْمَغْفَرَةِ﴾: أهل لأن يغفر لمن رجع إليه بالتوبة.

المعنى: يقولون في بيان سبب دخولهم جهنم إنا كنا نمنع الخير عن المساكين. وكما ندخل في كل باطل مع المبطلين. وكما مع ذلك من المكذبين بيوم القيامة. وبقينا في غفلاتنا حتى أتانا الموت.

ثم بين سبحانه حالهم بعد ذلك فقال فما تفهمهم شفاعة الشافعين. لو فرض وشفع فيهم أحد وهو مستحيل لما سبق في شرح الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦. وإذا كان هذا الذي سيحصل قطعاً فما الشيء الذي دهاهم حال كونهم معرضين عن القرآن مع توافر الأدلة على صدقه.

ثم صور قبح إعراضهم أبيض صورة فقال: كأنهم.. إلخ. أي يتفرون من سماع القرآن تفور حمير الوحش من الأسد الذي يريد اقتراسها وهذا منتهى البله حيث خافوا مما هو منشأ الأمان.. ومن المعجب ألا يرضى هؤلاء بهذا القرآن الذي أعجز الإنس والجن.

بل يريد كل واحد منهم أن يأتيه من الله كتاب مفتوح عند كل تكليف يكلفه به. وروى عن السلف أنهم قالوا له ﷺ: إن أردت أن نبتك فأت كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان. وفيها الأمر من الله بما يريد. فلينزجر هؤلاء عن اقتراح

مطلوبة منه لم يعملها أو من أثر سبب تركه في الناس بعده يعملون به. ولا تظن أن الأمر محتاج إلى أداة تثبت للإنسان ذلك. بل أعضاء خير شاهد عليه إذا أنكر. ولو أتى بكل عذر بعد ذلك فإنه لا يقبل منه، بل في نهاية الحساب يجرع عن الاعتذار كما في الآيتين (٣١، ٣٥) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٥، وشرح الآية (٢٤) من سورة النور صفحة ٤٦٠، ولما كان ﷺ في أوائل عهده بالوحي شديد الحرص على حفظ الفاظ القرآن مخافة أن يفلت منها شيء. فكان ﷺ يحرك لسانه بحروف الكلمات في أثناء سماعها من جبريل، فنزلت الآية الآتية والآية (١) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٣ وذلك لزيادة تظمته ﷺ على عدم دهاب شيء منه.

وقال عامر الشعبي: إنه ﷺ كان تارة يقرأ مع جبريل الجملة من شدة حبه له وحلاوته على لسانه فإراد سبحانه أن ينبهه إلى أنه بعد أن كفل له بحفظه فما عليه إلا أن يرغب في الاستزادة من علم أسراره، ونزل في ذلك الآية (١١٤) من سورة طه صفحة ٤١٧. ولله ﷺ حصل منه تحريك لسانه بحروف الكلمات عندما كان يلتقي ما سيحصل يوم القيامة في هذه السورة. فامر سبحانه جبريل أن يباه به ما ذكر هنا، ثم يتابع الكلام مع الكفار ثانيًا. ولعل مما حسن وضعها هنا أنها تلوح بتفريع الذين يحبون العاجلة، كأنه يقول أنتم يا بني آدم مخلوقون من عجل فصرتم تحبون كل شيء عاجل، فإذا كان ﷺ يُمنع من العجلة حتى في الشيء النافع فكيف يكون حال من يستعجل الشيء الرائل. والله تعالى أعلم.

وقد قال تعالى هنا: لا تحرك به لسانه.. إلخ. أي لا تحرك أيها النبي بقراءة القرآن لسانك. لتأخذه على عجلة خوف أن يفوتك منه شيء، لأننا ضمنا لك جسمه محفوظًا في صدرك، وضمنا لك أيضًا سهولة قراءتك له. وإذا كان الأمر كذلك فإذا قرأه عليه جبريل. فالتفريع قراءته على مهل، ثم إن علينا بعد ذلك ما أجمل من موعظة له لتوضيحه للأساس، أنظر الآية (٤٤) من سورة النحل صفحة ٣٥١.

وبعدما أُرشد سبحانه نبيه إلى كيفية تلقي القرآن. رجع إلى الكلام عن الكفار وبيان الباحث على جهالتهم فقال: (كلا بل).. إلخ. أي انتهوا أيها الشاغلون فإنكم لا تشكرون الميت والحساب لتليل قام عندكم بل حيككم لمناخ الدنيا هو الذي جعلكم تهللون النظر في الآخرة وما فيها من المخاطر. ثم بين حال الناس فيها فقال تعالى: (وجوه).. إلخ. أي في هذا اليوم تكون وجوه المؤمنين بهجة مستبشرة، إلى ربها تاضرة.

دعوى الزجر فيها تكلف. الموضع الأول هنا والثاني في الآية (١) من سورة الانفطار والثالث والرابع في الآيتين (١٨، ١٧) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧ والخامس في الآية (١) من سورة العلق صفحة ٨١٤. ولذا قال ابن هشام إنها في مثل هذه المواضع الخمسة بمعنى (ألا) يفتح الهمزة الموضوعة في الآية (١٥١) من سورة المصافات صفحة ٥٩٥، فهي حرف يفيد تنبيه السامع لأهمية ما يلي بعده ويسمونه (حرف استفتاح).

فويل تحبون: (بل) للانتقال من حال يوم القيامة إلى سبب مصيرية الكفار العنصرية، (وتحبون) خطاب للكفار المضمومين من (الإنسان) في الآية (٣) السابقة.

والعاجلة: المراد متاع الدنيا. فثبثون الآخرة: أي تهملون اعتبار يوم القيامة، انظر الآية (٣٧) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٣.

فإنصروا: بهجة مشرقة، انظر الآية (٢٤) من سورة المطففين صفحة ٧٩٨، والآيتين (٣٨، ٣٩) من سورة عبس صفحة ٧٩٢.

المعنى: هل يظن كل كافر باليوم الآخر أن الواقع هو عدم جميع الله لعظامه. فلهذه باطل؛ لأننا سنجعلها حال كوننا قارين على أن توجد أطرافه، أصابعه كما كانت، وهي أرق من عظامه صلبًا، أي ومن قدر على ذلك فهو على إعادة العظام أقدر. ثم انتقل من توبيخهم على هذا الظن الفاسد إلى بيان أنهما الكافر في ملذات الدنيا. فقال: بل يريد الإنسان.. إلخ. أي، أن الكافر مصمم على مداومة الفجور فيما يستقبله من الزمان.

لا يتركه ولا يتوب: ولهذا فإنه يسأل استهزاء متى يكون يوم القيامة. فرد سبحانه ببيان بعض ما سيكون في يوم القيامة، وما سبقه بأدبته من الأحوال فحذف آسمالي: هو أيًا بوق البصر. إلخ. أي إذا اشتد لعمان البصر فزكًا، وذهب ضوء القصر وشغل الفناء الشبهس والقصير. إذا حصل هذا يقول الإنسان في هذا اليوم هل هناك طريق للفرار؟ فيزجر من هذا التمس، ويقال له: لا ملجأ لك اليوم بتحريك من العصبان والمقاب: لأن مستقبلهم الأخلاق راجع إلى الله وحده. فبحسبهم وبعجزهم، وفي هذا اليوم يخبر الله سبحانه الإنسان بكل ما قدم من عمل خير أو من أثر حسن تركه في الناس بعده يعملون به. وكل ما أخر من أعمال

المؤمن صفحة ٤٥٦ والآية (٧) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٠.

مقدم صفحة ١٧٥. (سدى) : أهملا بلا تكليف، ولا حساب، انظر الآية (١١٥) من سورة

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: قطعة دم متماسكة تعلق في أعلى الرحم، انظر

الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفة ٤٤٦، ﴿هَسَوْنِي﴾: أي جعل أعضائه سوية سليمة مناسبة لما أراد. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ مِنْهُ﴾: أي من الإنسان المذكور. ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: تقدم في الآية (٤٠) من سورة هود صفة ٢٩٠، ﴿وَالذِّكْرَ وَالْأُنْثَى﴾: بيان للزوجين. ﴿الْبَيْسِ﴾: الهمة للاستفهام الإنكاري. ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: وهم المؤمنون. ﴿وَرَدَّ فَوْجَاهُ﴾: عطف (الْبَيْسِ) المقيدة لألفي أيضاً صدار المعنى مثبتاً، فالمراد أنه قادر. ﴿يَقْدِرُ﴾: الزام الإنكار، ثبت ما بعده، لما قبلها.

المؤمن: إن ويبدو العجيبين الذين يؤمن بالقيادة مشرقة ناظرة إلى وجه ربها الكريم على حالة لا تدركها العقول الآن. ووجه الكافرين فيمنع المنظر تيقن أنه سيقع بها داهية. فارتدعوا أيها الكفار من كفركم وتبوهوا لها سيلاقيكم عند الموت الذي من أهواله أنه إذا بلغت الروح الحلقوم وقيل من يجوار المستنصر: هل من طلييب ينقذه؟ ويتقن هو أن ما حصل له هو نهاية فراقه الدنيا التي كان يحبها. ووضع في كفنه بعد موته. إذا حصل كل هذا تقبل

الملائكة: لا يخرج لك اليوم إلا إلى ربك ليحجزك على عملك، ثم يبين سبحانه ما كان عليه القافر في الدنيا. فترسل: هذا صديق، الخ. أي لم يترك ملاً. ولم يصل ولكن كذب القرآن والرسول وأعرض عن عمل الخير. ثم ذهب إلى أهلته فيختر: لأنه مادام لا يؤمن باليوم الآخر لا يهجه إلا شهوة له. انظر الآية (١١) من سورة المطففين، والآيتين (١٢، ١٤) من سورة الانشقاق.

فَقَالَ: (أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا) ... أَلَيْحَ أَيُّ قُرَاقِطٍ أَمْلَكُ اللَّهُ فِيهَا إِمْتِخَانًا هَلَّاكَ فُوقَ هَلَاكِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
وَبُيُوتِهِمْ عَلَى خُفْيَاتِهِمْ إِنَّهُ لَأَلْبَسَ الْإِنْسَانَ) ... أَلَيْحَ أَيُّ هَلْ يَظُنُّ الْكَافِرُ أَنَّ اللَّهَ سَيُتْرَكُهُ هَمَلًا
وَيُؤْتِيهِمْ سَلَامًا ۖ وَيَوْمَئِذٍ أَرْسِلُ مِنْكُمْ ثَمَانِيَةَ مِائَةٍ مَخْلُفَةً مِنَ الْكَافِرِينَ عَنِ الْعَاقِبَةِ وَجْهَ إِلَيْهِ الْخُطَابُ بِالتَّهْدِيدِ
وَالْمُخَالَفَةِ ۚ وَبُيُوتِهِمْ سَلَامًا ۚ ۷۸۹

لما يكافئه بما فيه صلاح العالم، ولا يبيته ويحلمته، لا يصح له أن يظن ذلك لأن الله الذي خلقه من نطفة مكونة من متى وضع في الرحم، ثم صار علقة، فخلقه فسواه إنسانا كاملا فيعمل منه فطما على إحيائهم العصاب والجزاء، نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

✓✓

[illegible]

المفردات: ﴿باسرة﴾: أى قبيلة المنظر،
انظر الآية (٢٢) من سورة المدثر صفحة
٧٧٦.

﴿تَنْظُنْ﴾: الممراد من الظن هنا: اليقين،
كما في الآية (٤١) من سورة البقرة صفحة
١٠.

من حزن العمود انفتق بالظهر.
فتارة ينزع الناء أيضاً، وهي الحزرة الواحدة
الطهر، أي عظامه، و(فُتَار) بفتح الفاء جمع
«فأقرة»: أي داهية عظيمة، تكسر فتار

﴿كَلَّا﴾: هنا زجر للكافر على تفصيل
العاجلة على الآخرة.

يُشْفِيهِ بِالرَّقِيَّةِ. ﴿ظُلْ﴾ : المراد يُقَيِّضُ الْمُحْتَضِرَ الْمَقْتُولَ مِنْ رِيقِ الْكَلَامِ
أَسْخِلَ الْعِنَقَ. ﴿مَنْ رَاقَ﴾ : (مَنْ) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، أَيُّ مَنْ الَّذِي يَرَقُّهُ. وَالْمُرَادُ هَلْ يَرَقُّ بِمَنْ يَرَقُّ
٧١٧. ﴿التَّرَاقِي﴾ : جَمْعُ تَرَقُّوةٍ يَضَعُ فُسْكَونَ فُضْمٍ وَفُسْخَ. وَهِيَ الْحِطَامُ الْمَسْتَوِيَّةُ إِلَى الْأَرْضِ
﴿بَلَغَتْ﴾ : أَيُّ الرُّوحِ الْمَقْهُومَةِ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ. انْظُرِ الْآيَةَ (١٧) مِنْ سُورَةِ الْوَاوِةِ، ص ١٠٤.

فأنته . أي ما حل به . فالتفرقة : أي مقسمات ذرايق الدنيا . فالتقسيم : تقاسم . والسباق : أي
عند وضعه في كفه . المساق : أي المرجع . فلا تصديق : ولا تصديق واحد مع زيادة التثنية

ثم غلب استعماله في قرب الهلاك ثم صار يستعمل دواء بالهلاك. وأريد به هذا القولين "وَمِنْ دَعَاءِ الْيَهُودِ عَلَيْهِ الْبَهْلَاكُ وَذَلِكَ كَتَحْدِيثٍ مِنْ مِثْلِ عَمَلِهِ وَكَثَرَتْ لَهُ لَأَتَأْكُلُ الْفُضَارُ الْأَيَّةُ (٧٠) مِنْ سَبْعِ وَرَقَةٍ يَتِيمَطِي" أي يتختر افتخاراً غير مقدر العاقبة، فخرافاً في ذلك فها هو يهلك: أصل (أهبار) أصل

(۱) الانسان .

(۲) بقادر.

(١) الإحصاء.

﴿أمشاج﴾: تقول العرب مشبجت الشيء بالشيء كخاملته وزنا ومعنى، والناجح من هذا الخلط يسمى مشبجاً وجمعه أمشاج.

فالمشيج هو المكون من عناصر مختلفة باختلاف مواد الغذاء التي تكونت منها النخلة، والمشيج آيتي (١٣١٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦ .

﴿يُتْلَى﴾: الإتيان. الإبتلاء: ختصام مريدين إبتلاءه بالعبادة، انظر الآية (٥٦) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٦.

﴿هَدَيْنَاهُ﴾ : المراد : ووضعتنا له .

﴿السبيل﴾: المراد: طريق الخير وطريق الشر، انظر الآية (١٠) من سورة البلد صفحـة ٧٠٧.

﴿اعتدنا﴾: أي أعدنا وهيئنا.

﴿سلاسل﴾ .. إلخ: تقدم في الآية (٧١) من سورة غافر صفحۃ ١٢٧.

﴿الْأَبْرَارُ﴾: جمع ﴿رَبٍّ﴾: بوزن (ب). وهو المطيع المتوسع في أعمال الخير.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أمثلة اسماء للإنماء إذا كان فيه شراب، وقد يطلق على الإنماء وحده أو على الشراب وحده، والمراد به هنا الشراب بديل ما بعده.

﴿مُزَاجِهِ﴾: أي ما يمزج به. كالحزام لما يمزج به.

﴿كافور﴾: اسم ماء في الجنة، والذي ينقطع به أنه لا يخضر على قلب بشر، لحوته وهو يشبه الكافور في رائحته وبياضه. والعرب كانت تتلذذ من رائحته، انظر الآية (٤٦) من سورة الصافات ص ٥٨٩.

﴿عِيسَى﴾: بيان الكافور، ولا تنس أن ابن عباس قال: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء. أما الحقيقة فلا تعظم على قلب بشر.

وَيَشْرَبُ بِهَا : الْمَزَادُ : يَشْرَبُونَ لِيَرْتَوُوا بِهَا .

(۱) یضربونها بالاسریر و یردون تصریفاً عجیباً

﴿مستطير﴾ : أي منتشر غاية الانتشار، انتشارا خفيفا.

(٧٦) سُوْرَةُ الْاَنْصَانِ صَلَاتِيْهَا
وَلَا يَخِيْنُهَا اِجْدَادِيْ وَلَا اَلَامُوتُ

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حُجَّتٌ مِّنَ الدِّمْرِ إِن يَكُن مَّقْذِفًا
مَذْكُورًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُفُثٍ أَشَاجٍ يَتَّبِعُهُ
جَمَلَتُهُ يُهْمًا يَعِيرُهُ ﴿١٠١﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا عَلَّمَنَاهُ
وَبَيَّنَّا كَوْرَهُ ﴿١٠٢﴾ إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَابًا زَاقُوا
وَسِيرًا ﴿١٠٣﴾ إِنَّا أَلْبَسْنَاهُمْ مِن فِاسٍ كَانَتْ مِرَاجِمًا
فَكَوْرًا ﴿١٠٤﴾ يَمِينًا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿١٠٥﴾ يُوفُونَ بِالْإِسْذَرِ وَيَخْتَلُونَ بِوَرَاءِ كَلَامِهِمْ
مُسْتَعِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَيُطْعِمُونَ الْقَامَةَ عَلَى حُجَّةٍ مَّكِينَةٍ

سورة الإسفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المفردات: ﴿هل أتى﴾: ﴿هل﴾ حرف بمعنى ﴿قد﴾ الدالة على تحقيق ثبوت ما بعدها، والمراد: قد أتى... إلخ.

﴿الإنسان﴾: المراد به هنا جنس الإنسان لا شخص معين.

«وحين» : مقدار من الزمان، محدداً، قليلاً
كان أو كثيراً : انظر الآية (١٠٦) من سورة
المائدة صفحة ١٥٨، والآية (٢٥) من سورة
أنعام صفحة ٣٢٢ .

علا الد. هـ. ر. ح. : وهو الزمن المستعمل غير المعدد

بنهاية. ولأنه يمكن شيئاً: انظر الآية (٦٧) من سورة مريم صفحة ٤٠٣.

فونظفهم: إذا لاحظت أنه سبحانه أجبرنا في الآية (٣٧) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ أن النطفة من المني، وأن هذا المني يعني في الرحم يظهر لك أن النطفة من الرجل، وأن المتصود منها هو ما يسمى في العصر الحديث (الحيوان المئوى) كما تقدم تفسيره في شرح الآية (١٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦ .

وَيُؤَيِّدُ هَذَا ظَاهِرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (يُخَيِّرُوا لِنَفْسِكُمْ وَلَا تَخْضَعُوهَا فِي غَيْرِ الْإِكْفَاءِ)، انظر شرح الأيتين (٧٠٦) من سورة الطارق صفحة ٨٠٢.

﴿على حبه﴾: أى مع حبه، انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفتى ٣٤، ٣٣، والآية (٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨، أما إنفاق المكروه فهو مذموم، انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٣٥٢.

المعنى: قد أتى على جنس الإنسان طائفة محدودة من الزمان الممتد لم يكن فيها شيئاً معروفاً بأنه إنسان. وإنما كان شيئاً آخر هو عناصره التي تكون منها فيما بعد. ثم شرع سبحانه في بيان كيف أوجده بعد ذلك فقال: إنا.. إلخ. أي إنا خلقنا هذا الإنسان من نطفة خليط، من عناصر مختلفة، مريدن امتحانه بالتكاليف بعد كمال عقله.

لهذا جمعنا هذه التفسيرات لكل ما يرشد للحق، بصيراً لكل الأدلة الدالة على وجودنا
 شكر لخدمة ربه مؤمن به مختار لطريق النجاة، وأما شديد الكفر معرض عن إرشاد ربه
 والآية (٤) وما بعدها من سورة الليل صفحتي (٨١١، ٨١٠).

وقد تقدم بعض ذلك في شرح (٢) من سورة التغابن صفحة ٧٤٥، ثم بين سبحانه مصير كل من الضريقتين فقال: **إنا اعتدنا للكافرين سلاسل يمسجون بها، وأغلالاً في أعناقهم، ونارا مستعرة، أما عباد الله الأبرار فيخرجون من النار مخرجا مبررا** (سورة الأبرار الآية ١٢٩).

ثم بين أن هذا الماء المسمى كافوراً كثير فنتال تعالى: عينا يشرب بها أى يشرب ليرتوى بها عباد الله يصعرونها تنجيها غريبا فتجربى أو تصمد إليهم حيث شاءوا.

ثم بين سبحانه ما لأجله استحقوا هذا الجزاء فتعال: (يوقفون)... إلخ. أى أنهم كانوا فى الدنيا يوقفون بنذرهم إذا نذروا، ويخافون يوماً يكون شره منشرًا ويطمعون الطعام - مع حبهم له - وحاجتهم إليه - المحتاجين من المساكين وغيرهم ابتغاء رضاء الله عزوجل.

لَوْ لَوُاْ مُشْرِكُوا ۖ وَإِذَا رَأَيْتُمْ رِيْعًا مِّمَّا وَلَدْنَا
وَنَطَوَّفَ عَلَيْهِمْ وَإِذَا تُمَحَّدُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ حَبِيبَهُمْ
* مِرَاجَهَا زَجَجِيلاً ۝ عَيْنًا فِيهَا نَسَمَى سَلِيْبِيلاً ۝
فَضِيَّةٌ قَدَرُومًا تَقْدِيرًا ۝ وَسُقُوقُونَ فِيهَا كَالْمَاءِ كَانِ
مِنْ فَضِيَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝ قَوَارِيرًا مِنْ
وَدَّالَتْ فَطَوَّفَهَا تَذَكِيرًا ۝ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ فَلَانَهَا
فِيهَا عَشَا وَلَا زَهْوَرًا ۝ وَدَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَانَهَا
جَنَّةٌ وَحَيْرًا ۝ مُشْكِيْنٌ يَجِيْءُ عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ
وَلَقَدْهُمْ نَفَقَةٌ وَسِرُورًا ۝ وَخَرَجَتْ مِنْهَا صَبْرًا
يَوْمًا عَبْرَةً لَا طَرِيْقًا ۝ قَوَّوْهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَاكَ الْيَوْمِ
مِنْجَحًا بِرَأَى وَلَا مُشْكِرًا ۝ إِنَّا نَحْنُ مِنْ رَبِّكَ
وَبَيْنَا وَأَسْرَارًا ۝ إِنَّا نَقُصُّكُمْ لَوْ بَدَأَ لَا يُرِيدُ

﴿نضرة﴾: أى بهجة يظهر أثرها على الوجوه، كما فى الآية (٢٤) من سورة المطففين

. V9A 2x10

﴿الْأَرْثَاءُ﴾: تصدم في الآية (٣١) من سورة الكهف صفحة ٣٨٥.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا...﴾ إيج: المراد لا يشعرون فيها بحر، ولا برد، بل يحو يشبه الظل انهم، انظر الآية (٣٥) من سورة الرعد صفحة ٣٢٧.

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾: انظر شرح الآية (٤١) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٦.

ذلت: المراد: جعلت سهلة التناول.

- (١) فوقاهم.
(٢) لثاهم.
(٣) خزاهم.
(٤) ضلالها.
(٥) يائية.
(٦) قوارير.
(٧) ولدان.

سورة البقرة صفحتي ٣٣، ٣٤ .

﴿استرأ﴾: لأنه لا يملك حيلة يكتسب بها.
﴿عبوساً﴾: أصله شديد العُيوس، كالأسد
عندما يريد الهجوم على فريسته. والمراد
هنا: مخيفاً ..

﴿قَطْرًا﴾: أى شديد الغيوس والكرب.
﴿وَقَاهُمْ اللَّهُ... إلخ﴾: أى نجاههم من
تشرم.

لَقَاهُمْ : المراد أعطاهم.

أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام، واختار ابن جرير أن الأسرى هنا يشمل كل ممنوع من التمتع بحريته كالمسلمين من المسلمين، والأسرى من المشركين - قائلين بلسان حالهم إنما نطمعكم رجاء الله ووثابه.

لا نريد منكم مكافأة، ولا أن تشكرونا عند الناس؛ لأننا نخاف من ربنا في يوم شديد الكرب مخيف، هو يوم القيامة. فلا خلاصهم هنا دفع الله سبحانه عنهم شر ذلك اليوم، وأعطاهم حسناً في الوجود، وفرحاً في القلوب، وجزاهم سبحانه بسبب صبرهم على أداء الواجبات واجتناب المعصيات جنة يدخلونها. وحريراً يلبسونه حال كونهم متبكين في الجنة على السرر الموزية. لا يشعرون بحر مزعج، ولا يبرد مؤلم، بل جو واحد معتدل.

ونعيمها ورفاهيتها قريب منهم في كل لحظة. وقطوف فاكهتها سهلة التناول ويطوف عليهم الخدم من الرلمان الآتى ذكرهم في الآية (١٩) من هذه السورة بأباريق من فضة ملأى بالشراب، وأكواب أوجدها الله تعالى حال كونها جامعة بين صفاء الزجاج وشفافيته، ولباض الفضة وبقائها. يأتي الخدم بها فيها من الشراب على قدر حاجتهم، ويسقونهم فيها خمرًا مبرجة بماء يشبه الزنجبيل.

ثم بين الكأس بأنها عين تسمى سلسيلاً أى غاية في السلاسة. وسهولة الشرب.

ثم ذكر سبحانه أوصاف الخدم وهم يطوفون على مجالس أهل الجنة فقال: ويطوف عليهم ولدان خلادون لا يموثون. إذا رأيتهم أيها النبي في انتشارهم لتقصاء حوائج ساداتهم، وكثرتهم، وصباحة وجههم، ورشاقة أجسامهم وحسن ثيابهم. طينتهم لؤلؤاً منثوراً. وإذا رأيت ما هناك في الجنة وسعتها رأيت نعيمًا عظيمًا لعباد الرحمن. وما كما أى مملكة لله كبيرة.

ومع كل هذا الإطنايب في الترضيب في نعيم الآخرة فكثير من الناس غلبت عليه شوقته.

﴿قطوفها﴾: تقدم في الآية (٢٣) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.
﴿آنية من فضة﴾: هي الأباريق المملوءة بالشراب، انظر الآية (١٨) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤.

﴿كانت قوارير﴾: ﴿كانت﴾: أى وجدت ﴿قوارير﴾: جمع قارورة وهي إناء رقيق من زجاج يوضع فيه الشراب، وهو منصوب على أنه حال من ضمير ﴿كانت﴾ المعائد على الأكواب والمراد: وجدت تلك الأكواب حال كونها رقيقة.

﴿قوارير﴾: بدل من الأول.

﴿من فضة﴾: الكلام على التشبيه. أى تشبه الفضة في البياض.

﴿قدروها﴾: المراد قدر الخدم ما فيها على مقدار طلب الشراب تقديرًا دقيقًا. وهذا أنه له.

﴿كأسًا، مزاجها﴾: تقدم في الآية (٥) من هذه السورة صفحة ٧٨١.

﴿زنجبيلًا﴾: المراد: شراب يشبه الزنجبيل في بعض خواصه التي كان العرب يخلطون بها، وانظر ما قبل في ﴿كافورًا﴾ سابقًا.

﴿سلسيلاً﴾: السلسيل هو السهل الانحدار في الحلق.

﴿ولدان مخلدون﴾: تقدم في الآية (١٧) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤.
﴿ثم﴾: أى هناك في الجنة.

المعنى: إن عباد الله الأبرار يستنون إلى المحتاجين الذين لا يستطيعون الحصول على قوتهم - سواء أكان المحتاج مسكينًا أو يتيمًا أو أسيرًا.

قال ابن عباس: كان أسراؤهم من المشركين، وقال قتادة: أمر الله سبحانه بالإحسان إلى الأسرى، وكانوا يرسلون من أهل الشرك، وقال ابن كثير: ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر

المفردات: ﴿عاليهم﴾: أي مستعليها عليهم. والمراد: لابسين. وهو منصوب على أنه حال من الضمير المنصوب. أي على المقيمين من أهل الجنة في ﴿يرطوف عليهم ولان﴾... إلخ. والمراد: لابسين ثياب سندس... إلخ. كما تقول ﴿رباب حديد﴾: أي رباب من حديد.

﴿استبرق﴾: معطوف على ثياب بتقدير مضاف، أي وثياب استبرق... إلخ.

سندس، استبرق: تقدمتا في الآية (٣١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٥.

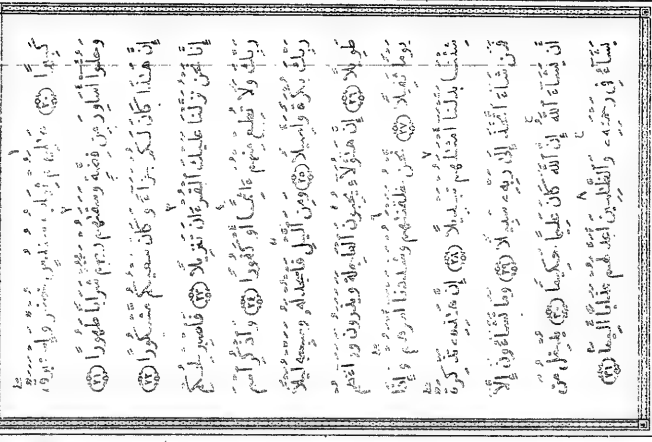
﴿حلوا﴾... إلخ: أي حللهم ريشهم بأساور... إلخ.

﴿ومن فضة﴾: هذا لبعضهم وللآخرين من ذهب كما في الآية (٣٣) من سورة طهار صفحة ٥٧٦: ﴿لئن جزأهم في اليبس يخالط، ياخذخلاف، أعدهم كما لا اختلاف، فمن نوع إلى آكل فيهم﴾.

كما في الآية (١٥) وما بعدها إلى الآية (٣٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥، ٧١٦، و٧١٧.

الآية (٧٤) من سورة الزمر صفحتي ٦١٦، ٦١٧.

- (١) عاليهم.
- (٢) سقاهم.
- (٣) القران.
- (٤) أنما.
- (٥) الليل.
- (٦) خلقناهم.
- (٧) أمثالهم.
- (٨) الظالمين.



﴿وسقاهم ريشم شراباً طهوراً﴾: هذا شراب آخر غير النوعين السابقين في آيتي (١٧، ٥) من هذه السورة صفحتي ٧٨٢، ٧٨١. الممزوجين بالكافور والزنجبيل وهذا أعلاها، ولذا أُسند سبحانه سقاهم منه لنفسه.

﴿والطهور﴾: معناه شديد الطهارة فهو طاهر في نفسه مطهر لغيره.

﴿تنزيلاً﴾: أي مخصوصاً مقسماً على ٣٣ سنة لحكم بين بعضها في الآية (١٠٦) من سورة الإسراء، والآية (٣٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤.

﴿لحكم ربك﴾: أي لقضائه.

﴿ولا تطع منهم﴾: انظر بيان ذلك في شرح الآية (٨) من سورة القلم صفحة ٧٥٨.

﴿أنما﴾: هو الفاجر المداوم على الإثم، وفسره ابن كثير بالمنافق، انظر الآية (٤٨) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٧.

﴿أو كفوراً﴾: ﴿أو﴾ بمعنى الواو أي ﴿ولا كفوراً﴾ يقول العربي: لا تقرب (القتل أو السرقة) بريد لا تقرب القتل ولا السرقة، و﴿كفوراً﴾ أي شديد الكفر.

﴿وإذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾: المراد: كن دائماً في نهارك على ذكر من ربك؛ لا تنصرف في شيء إلا تحت مراقبته سبحانه، والبكرة أول النهار، والأصيل ما بين العصر والمغرب. والمراد: دائماً.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾: المراد: وصل لربك بعض الليل على ما هو منين في الآية (٢٠) من سورة المزمل صفحتي ٧٧٥، ٧٧٦.

﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾: المراد: واجعل جزءاً كبيراً من الليل مشغولاً بتسبيح ربك وتقديسه، وكل هذا ليساعده ﷻ على تحمل إيذاء قومه.

﴿هؤلاء﴾: هم كفار مكة.

ربهم: إن هذا جزاء على أعمالكم الحسنة. وكان سعيكم مشكوراً عند الله، فجازاكم على الغليل بالكثير.

وبعدما بين سبحانه أن الإنسان منه الطائع والمعاصي، وبين ما أعد له لكل منهما. أراد أن يقوى قلب رسول الله ﷺ، ويخفف عنه تألمه من عذاب قومه، فقال: إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلًا، أي تنزيلًا محكمًا حسب الوقائع ومقتضى الحاجة.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فاصبر أيها النبي لحكم ربك. ولا تطع منهم آثماً ولا كفوراً إذا حاولوا صرفك عن تبليغ ما أنزل إليك. وداوم على ذكر اسم ربك فإنه أعون لك على الصبر، قال الطبيب: إنه سبحانه لما نهى جيبه ﷺ عن طاعة الآثم والكفور وحثه على الصبر على أذاهم وشدة عذابهم أراد سبحانه أن يرشده إلى الإعراض عنهم بعد ذلك، فأمره تعالى باستعراق أوقاته من صلاة وغيرها بما يطيق.

ثم شرح له طبيعة كفار مكة فقال تعالى: (إن هؤلاء)... إلخ. أي إنهم فتنوا يجب الدنيا وأنهم كوا في لذاتها وتركوا الخوف من يوم شديد الأهوال سيلاقتهم فلم يعملوا ما ينقذهم من أهواله.

ثم ويخبرهم على الكفر به مع أنه هو الموجد لهم على أحسن حال، فقال: (نحن خلقناهم)... إلخ. أي نحن خلقناهم لا غيرنا. وأحكمنا ربطاً: أجزاء أجسامهم بعضها ببعض.

ثم هددهم فقال: (وإذا شئنا)... إلخ. أي وإذا شئنا أهلكناهم وجئنا ببدلهم خيراً منهم، إن هذه الآيات المتقدمة تذكير وعظة لمن كان له قلب يفقه. فمن شاء منهم أن يسلك طريقاً يوصله إلى ربه سبحانه وتعالى فليعمل، وما تشاءون ذلك إلا على الحال التي شاءها الله وروضع لها نظامها كما سبقت الإشارة إليه. إنه سبحانه عليم دائماً بما يستحقه كل واحد. حكيم فيما يفعل ويشرع. يدخل من يشاء في رحمته بالتوفيق للطاعة متى تبه لإرشاداته سبحانه، ويهين الظالمين الذين أغمضوا أعينهم عن أدلة الحق بأنه يد لهم سبحانه وتعالى عذاباً أليماً. نسأل الله السلامة.

﴿العاجلة﴾: أي الدنيا.

﴿يذرون﴾: أي يتركون.

﴿وراءهم﴾: المراد أمامهم، انظر الآية (٧٩) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢ والآية (١٠٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٤.

﴿يومًا ثباتًا﴾: المراد: شديد الهول.

﴿شددنا﴾: أي قويتنا.

﴿أسرهم﴾: الأسر في الأصل الشد والربط، وأطلق على ما يشد به كما هنا والمراد به الأعصاب التي تربط المفاصل.

﴿وبنا أمثالهم﴾: انظر الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٥ والآية (٩) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٢.

﴿هذه﴾: أي الآيات القرآنية المتقدمة.

﴿تذكروا﴾: أي تذكروا وعظما.

﴿وما تشاءون﴾... إلخ: انظر بيان ذلك في الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

﴿والظالمين﴾: منصوب يفعل يدل عليه ما بعده مثل (أهان): أو (توعد): وتوعد الظالمين وأعد لهم... إلخ.

المعنى: إن لباس أهل الجنة الحرير، ومنه سندس هو الرفيع الذي يلبس على الجسد مباشرة. ومنه الإستيق وهو السميكة الذي له برق يلبسونه في الظاهر كما هو المعمود. وحلالهم ربهم بأساور تارة من فضة وأخرى من ذهب. وسقامهم ربهم شراباً شديد التطهير لبواطنهم من عيوب الدنيا كالجسد وغيره. انظر الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١ وشرح الآية (٧٤) من سورة الزمر صفحتي ١١٦، ١١٧، ويقول لهم

﴿الفارقات﴾: المراد: الحاملات ما به الفرق بين الحق والباطل، حملاً أميناً لا يتسرب إليه

شك، انظر آيتي (٢٨، ٢٧) من سورة الجن صفحات ٧٧٢، ٧٧٣.

﴿المقايات﴾: أي على الأنبياء والمرسلين.

﴿ذكرا﴾: أي وحيًا من كتب، وحكمة، وغير ذلك من كل ما يذكر بالله.

﴿عذرا﴾: أي لأجل إندار الصالحين والمحقين، أي قبول أعتذارهم ومحو سيئاتهم.

﴿ندرا﴾: أي لأجل إنذار المبطلين، وتخويفهم من عقاب الله.

﴿إنما توعدون﴾: أي ما وعدكم الله به من قيام الساعة والبعث والجزاء، وهذا هو

جواب القسم.

﴿طمست﴾: أي محقت وذهد نورها.

﴿فرجت﴾: أي انشقت، كما في الآية (١) من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٩.

﴿الجيال نسفت﴾: أي انتقلت من أماكنها بسرعة، انظر الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة

٢٨٧.

﴿أقنت﴾: أي عين لها وقت تجتمع فيه للشهادة على أممها، انظر الآية (١٠٩) من سورة

المائدة صفحة ١٥٩ والآية (٦٩) من سورة الزمر صفحات ٦١٥، ٦١٦.

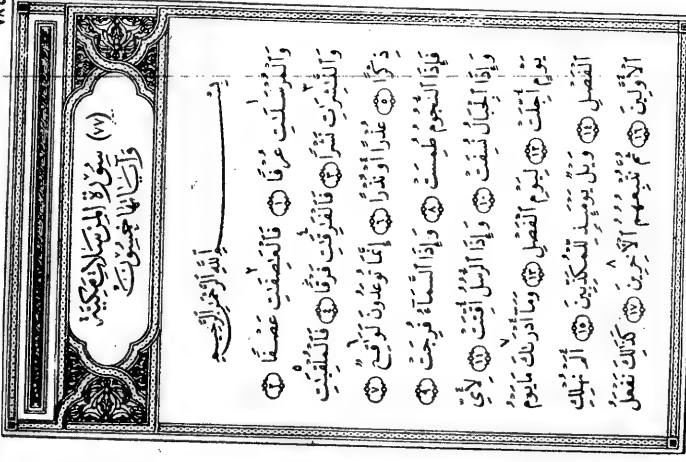
﴿لأي يوم أجلت﴾: أي لأي يوم أجلت تلك الأمور السابقة، وهذا أسلوب فيه تخويف وتهديد.

﴿ليوم الفصل﴾: الأصل أجلت ليوم الفصل. أي بين الخلائق.

﴿وما أدراك﴾... إلخ، انظر المقصود من ذلك في شرح الآية (٢٧) من سورة المدثر صفحة

٧٧٦.

﴿ويل﴾: أي هلاك وعذاب.



سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿المرسلات﴾: المراد بها:

الرياح، انظر الآية (١٦) من سورة فصلت

صفحتي ٦٢١، ٦٢٢، ولا تنس ما تقدم في

القسم بال مخلوقات في سورة الصافات

صفحة ٥٨٧.

﴿عرفا﴾: أصل العرف في الخيل، هو

الشعر الذي فوق أعناقها والعرب تشبه به

الشئ المتتابع، وكثر ذلك حتى صار كأنه

حقيقة فيه، فالمراد هنا: متتابعات، وهو

منصوب على الحال من المرسلات، انظر الآية

(٧) من سورة الحاقة صفحات ٧٦١، ٧٦٢.

﴿العاصفات﴾: هي الرياح القوية التي لها صوت شديد، انظر الآية (٢٢) من سورة يونس

صفحة ٢٦٩، والآية (١٦) من سورة فصلت صفحات ٦٢١، ٦٢٢، وآيتي (٢٥، ٢٤) من سورة

الأحقاف صفحات ٦٦٩، ٦٧٠، وآيتي (٤٢، ٤١) من سورة الداريات صفحة ٦٩٥، فعطف

العاصفات على المرسلات من قبيل عطف الصفة على موصوفها.

﴿فوالناشرات﴾: هذا مقسم به آخر، ولذا جاء قبله بواو القسم وعطف صفاته عليه بالفاء

كالسابق، والمراد: الملائكة التي تنشر أجنحتها في الجو عند نزولها بالوحي نشرًا عجيبيًا،

انظر الآية (١) من سورة فاطر صفحة ٥٧١.

(١) المرسلات.	(٢) العاصفات.	(٣) الناشرات.	(٤) الفارقات.
(٥) المقايات.	(٦) لواقع.	(٧) أدراك.	(٨) الآخرين.

﴿أحياء وأمواتاً﴾: الأصل تكفتم أى تضمكم فى حال حياتكم على ظهورها، وفى حال موتكم فى بطنها.

﴿رواسى شامخات﴾: أى جبالا عالياً.

﴿فراثا﴾: أى شديد العذوبة، انظر الآية (٥٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٦.

(ظل): المراد به شئ يخرج من جهنم شديد السواد والحرارة، انظر الآية (٤٣) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥.

﴿ذى ثلاث شعب﴾: قال المفسرون: إنه يتشعب العظمته كما هو شأن الدخان العظيم، ويجوز أن يكون المعنى أنه يحوطهم من أعلاهم وأسفلهم وجوانبهم فتكون الآية (١٦) من سورة الزمر صفحة ٦٠٨ تعرضت للأعلى والأسفل، والآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٤ تعرضت للجوانب، وهذه الآية التى معنا تعرضت للجميع. والله تعالى أعلم.

﴿لا ظليل﴾: أى لا يدفع حر ذلك اليوم كما يدفع ظل الدنيا حر الشمس.

﴿إنها﴾: أى النار التى يخرج منها هذا الظل.

﴿جمالة﴾: جمع جمل كحجارة جمع حجر.

﴿صفر﴾: جمع أصفر. ويطلقه العرب غالباً على ما يخالط صفاره سواد.

﴿لا ينطقون﴾: أى بعد أن يحاسبوا ويجادلوا عن أنفسهم.. كما فى الآية (١١) من سورة النحل صفحة ٣٦١ وبالاعتذار الباطل... كما فى الآية (١٧) من سورة الأحزاب صفحتى ٥٦٠، ٥٦١ وبالإلحاح مرة أخرى... كما فى الآية (٢٣) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، ثم بعد ذلك يختم سبحانه على أفواههم كما فى الآية (٦٥) من سورة يس صفحة ٥٨٥.

﴿لا يؤذن لهم﴾: أى فى الاعتذار إذا طلبوه بعد ثبوت جرائمهم، انظر الآيات ١٠٦-١٠٧، ١٠٨ من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥.

﴿كيد﴾: المراد حيلة للخلاص من العذاب.

المعنى: كما أهلكنا المكذبين فيما مضى نهلك كل مجرم مكذب مثل كفار مكة. والربيل يومئذ للمكذبين. وبعدما هددهم سبحانه بما حصل لأمثالهم أراد أن يذكرهم بما يدل على أنه وحده هو المنعم عليهم وعلى أنه قادر على إحيائهم يوم القيامة لأن القادر على الابتداء يقدر على الإعادة، فقال: ألم نخلقكم... إلخ.

أى يجب أن تقرروا بأنى خلقتكم من ماء مهين. فجعلناه أول وجوده فى مكان حصين وحفظناه فيه إلى المدة التى قدرناها لبقاء الحمل تقديراً محكماً. فنعم المقدرون نحن.

ثم بعد ذلك تتكرون فضلنا وتتكرون قدرتنا على بعثكم. وبلى لكم أيها المكذبون. ألم تروا أننا جعلنا الأرض جامعة لكم أحياء على ظهورها. وأمواتا فى بطنها. وجعلنا فيها جبالا عالياً كما فى الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٣٤٧. وأسقيناكم ماءً شديد العذوبة. وبلى يومئذ للمكذبين. ثم انتقل سبحانه لبيان ما سيحصل لهم يوم القيامة فقال: انطلقوا... إلخ. تقول لهم الملائكة توبيخاً: انطلقوا إلى ما كنتم تكذبون به فى الدنيا من عذاب الآخرة.

ثم بين بعضه فقال تعالى: انطلقوا..... إلخ. أى اذهبوا إلى كتل من جهنم تشبه الدخان تتشعب حولكم. لا تدفع الشمس ولا تمنع لهب جهنم. إن النار التى يخرج منها هذا الظل ترمى بشرر كالبناء العظيم فى ضخامته وكالجمال الأصفر فى لونه وكثرتة وانتشاره.

ويل يومئذ للمكذبين، هذا اليوم الذى هو يوم القيامة لا ينطقون فيه بعد الختم على أفواههم، وظهور كذبهم، وإذا أرادوا الاعتذار لا يسمح لهم به..... ويل يومئذ للمكذبين.

هذا هو يوم الفصل بين المحسن والمسيء. جمعناكم يا مكذبي خاتم الرسل مع الأولين مكذبي رسلهم الذين كنتم تقتدون بهم. فإن كان لكم جميعاً حيلة فى دفع العذاب فافعلوها.....

ثم بين سبحانه نعيم المتقين بعد بيان مشقاء المكذبين فقال: إن المتقين منعمون في رفاة من العيش بين غيرهم. وتحت قعسورهم. وفراكه مما يشتهون. تقول لهم الملاذكة كلوا واشربوا اكلاً وشرباً هنيئاً جزاء أعمالكم الصالحة. وإن من عدلنا أن نجزي كل محسن على إحسانه مثل هذا الجزاء. وملك يومئذ المكذبين لوعدها ولرسلا.

ثم وجه سبحانه الخطاب للنفار مكة مهدياً فقال: **كُلُوا... إلخ.** أى كلوا كما تاكل الأنعام أيها الكافرون. و**تسمِعُوا** زمناً قليلاً ينتهى حتماً بولتكم لأنكم مستمعون على الإجراء بتكذيب ربيكم. و**يل يومئذ لكم من هذا التكذيب.**

ثم بين بعض أسباب ما استحقوا به العقاب فقال: (وإذا قيل لهم: لا يَخضعون إلا لأوامر ربكم لا يخضعون بل يعرضون مستكبرين ويل يومئذ للمكذبين. فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المعجز فبئس حديث غيره يؤمنون؟ المراد أنهم أشدّ عنادهم لن يؤمنوا أبداً. انظر آيتي (٧، ٦) من سورة البقرة صفحة ٤ .

سورة التنبأ

المفردات: ﴿عَم﴾: أي عن أي شيء، وأصله ﴿عَمًا﴾: فحذفت ألف ﴿ها﴾ الاستفهامية تخفيفاً.

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: اى يسال بعضهم بعضاً: هل محمد رسول حقاً... إلخ.

المعنى: لما بعث ﷺ كان الكفار يسأل بعضهم بعضاً هل محمد رسول الله حقاً وما حقيقة هذا الخبر المهم الذي جاء به من أنه سيأتى يوم يبعث فيه الموتى، ويحاسبون إلى غير ذلك؟ فعكى سبحانه وتعالى ما حصل منهم فى صورة استهتام أريد به تهجين شأن ما يسألون عنه. ثم بين المسئول عنه بأنه النبى العظيم.

فَكَبِيرٌ ۝۵۰ وَعَلَىٰ بَيْتِكَ لَلْكَذِبِينَ ۝۵۱ إِنَّا لَنَجِدُهُنَّ فِي ظُلُمٍ مُّدْمُونٍ ۝۵۲ وَلَوْ كَرِهْتَ لَسَمِّتَهُنَّ ۝۵۳ كَلَّا ۖ وَاتَّخَذُوا هَيْثًا شَاءُوا مَعْلَمِينَ ۝۵۴ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُعْتَصِينَ ۝۵۵ وَعَلَىٰ بَيْتِكَ لَلْكَذِبِينَ ۝۵۶ كَلَّا وَاعْمُرُوا قَرْيَاكُمْ إِنَّا كُنْهُرُكُمْ ۝۵۷ وَعَلَىٰ بَيْتِكَ لَلْكَذِبِينَ ۝۵۸ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنَةً رَبُّكَ ۝۵۹ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمَكِيدِينَ ۝۶۰

(٧٨) سُوْرَةُ التَّيَّابِيَةِ
وَلَيَّا مَاهَا اَرْجَعُوْنَ

١٠٠

عَمَّ يَسَاءَ لَوْ أَنَّ

المفردات: ﴿فكيدون﴾: أي فاحشوا حالنا
عائنا حتى تغفلوا من عقابنا، إن استطعتم.
﴿فى ظلال﴾: جمع ظل. وهو عند
العرب جو المكان الذي لا تشمس فيه سواء
أكانت تطالع عليه الشمس فى بعض
الأوقات أم لا. ومن الثانى ظل الجنة وظل
الغار الذى يكون فى باطن الأرض، ويعبر
العرب بالظل أيضاً عن العصفى والعز
والرفاهية فيقولون: فلان فى ظل فلان أى
فى كنفه وعزه. وفلان فى ظل النعمة، أى
فى غصارة عيش ورفاهية. وما هنا من
هذا الأخير.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾: هذا خطاب تهديد منه سبحانه لكفار مكة ومن على شاكلتهم.

﴿اركعوا﴾: أى اخضعوا لأوامر الله تعالى، انظر الآية (٢٣) من سورة البقرة صفحة ٩
والآية (٥٥) من سورة المائدة صفحة ١٤٨.

﴿بعد﴾: أي بعد القرآن الذي هو أحسن الحديث. كما في الآية (٢٣) من سورة الزمر
صفحة ٦٠٩.

المفنى :- يقول سبحانه وتعالى لجميع الكفار يوم القيامة توبيحاً وتعجيزاً ان كان عندكم جميعاً حيلة تدفعون بها العذاب عنكم فاحثالوا بها اليوم علينا ان كنتم تستطيعون . ولن يكون ذلك . والويل لكم الآن لانكم كنتم بهذا العذاب .

(١) ظلال

(۲) فواكه

﴿مَعَاشًا﴾: أصل معنى المعاش الحياة أو ما به الحياة والمراد به هنا: وقت تحصيل ما به الحياة، انظر بيان ذلك في الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٣٣٩.

﴿سَمَاءًا﴾: هي السموات. ﴿شَدَادًا﴾: أي قوة البيان لا يتهدم منها شيء على طول الزمن مع أنها بلا عمد كما في الآية (٢) من سورة الرعد صفحات ٣٢٠، ٣٢١. ﴿سَرَّاجًا﴾: هي الشمس. ﴿وَهَاجًا﴾: أي شديد التألُّؤ.

﴿المعصرات﴾: هي انسحاب الممثلة ماء. مأخوذة من قولهم أعصرت السحابة إذا حان وقت عصيرها، أي نزول مائها، كقولهم: أحصد الزرع إذا جاء وقت حصاده، وأيسر فلان إذا جاء وقت يسره.

﴿نَجَّاجًا﴾: أي منصبا بكثرة. ﴿حَبًّا﴾: أي لقوت الإنسان. ﴿نباتًا﴾: أي لقوت الحيوان، كالنبت والحشائش، انظر آيتي (٥٢، ٥٤) من سورة طه صفحة ٤١٠.

﴿النفَّاثُ﴾: جمع لقيف، كشریف وأشراف، والقيف تقدم في الآية (١٠٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨، والمراد هنا: ملتقة أعضائها بعضها على بعض لجودتها.

﴿مِيقَاتًا﴾: أي وقتا محدداً لجمع الخلائق فيه للحساب والفصل بينها. ﴿يوم ينفع﴾: ﴿يوم﴾ بدل من ﴿يوم الفصل﴾ قبله ﴿أفواجًا﴾: أي طوائف كل أمة مع رسولها، انظر الآية (٧١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٤.

﴿فَنفُثَتِ السَّمَاءُ﴾... إلخ: كناية عن تشققها قبل أن تمر وتنفث، انظر الآية (٩) من سورة الطور صفحة ٢٩٧، والآية (٢٥) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٣، والآية (١) من سورة الانشقاق صفحة ٧٩٩.

﴿سِيرَتِ الْجِبَالِ﴾: انظر شرح الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٣١٧، والمراد: وكانت قد سيرت الجبال: لأن ذلك يحصل قبل النفخة الثانية، انظر كل ذلك في الآيات من (١) إلى (١٤) من سورة التكوين صفحات ٧٩٣، ٧٩٤. ﴿مُرْصَادًا﴾: أي موضعاً يرصد فيه خزنتها من يستحقونها، ويسحبونهم إليها. ﴿مَآبًا﴾: أي مرجعاً. ﴿لَا بَيْنَ﴾: أي ما كُتِبَ.

﴿أَحْقَابًا﴾: مفردتها حُقب بضمطين، والحُقب جمع حُقبه بكسر فسكون وهن مدة من الزمن غير محددة، فالأحقاب جمع الجمع.

فَمِنْ فِيهِ يُخَلِّقُونَ ۝ كَلَّا سَيَلْمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَلْمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝ وَلِجِبَالٍ أَوْدَادًا ۝ وَخَلَقْنَا أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَرًّا ۝ وَجَعَلْنَا ظَنَاهُ ۝ وَمَعَالًا ۝ وَبَيْنَا وَبَيْنَ الْأَصْفَادِ ۝ وَمَجْلًا ۝ سِرًّا وَمَعَالًا ۝ وَأَرْزَاقًا مِنَ الْعُصْرَةِ ۝ مَاءً نَجًّا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّارَ ۝ إِذْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَادُونَ ۝ أَوَّاعًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ۝ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلظَّالِمِينَ مَقَابًا ۝ لِيُبَيِّنَ فِيهَا أَهْقَابًا ۝ لَا يَذْكُورُونَ فِيهَا بَرًّا وَلَا تَفَرًّا ۝ وَلَا يَحِيسَا وَشَقًّا ۝ بَرًّا ۝

المفردات: ﴿هَمَّ﴾: أي كثار مكة.

﴿مُخْتَلِفُونَ﴾: فبعضهم يقطع بعدمه كما في الآية (٢٨) من سورة النحل صفحة ٣٥٠، وبعضهم يشك فيه كما في الآية (٣٢) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤.

﴿كَلَّا﴾: تقدم الكلام عليها في شرح الآية (٢٠) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩، والمراد: انزجروا عن هذا التساؤل والتكذيب.

﴿سَيُعْلَمُونَ﴾: أي بعد الموت لأن الميت يعلم بعد الموت كل شيء.

﴿كَلَّا﴾: تأكيد للزجر السابق.

﴿سَيُعْلَمُونَ﴾: عند البعث يوم القيامة أنه حق. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ﴾: المراد من هذا الاستفهام حملهم على الإقرار بأن الذي خلق هذه الأشياء التسعة الآتية بهذا الإحكام قادر على البعث يوم القيامة، وأنه يستحق الشكر.

﴿مِهَادًا﴾: هو المهد، وأصله الفراش المهيأ لراحة الطفل. والمراد: أن في الأرض راحتكم. ﴿أَوْدَادًا﴾: أي كالأوتاد في حفظ توازنها، انظر الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٣٤٧. ﴿أَزْوَاجًا﴾: أي ذكرًا وأنثى ليبقى النوع بالتوالد.

﴿سَبَاتًا﴾ ﴿لِبَاسًا﴾: تقدم في الآية (٤٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٥.

(١) مهاد.	(٢) خلقناكم.	(٣) أزواج.
(٤) الليل.	(٥) المعصرات.	(٦) جبال.
(٧) ميقات.	(٨) آتوآيا.	(٩) للظالمين.
(١٠) سبأ.	(١١) لا بين.	

المعدرات: «ووفقاً» أي موافقاً لعلهم.

«ولا يرجون حساباً» أي لا يتدرون أن الله تعالى سيبيعهم ويحشرهم ويحاسبهم.

«وكذا» أي تكثيراً شديداً محمداً بالعداء.

«واحصيناه كتاباً» أي ضبطناه وكتبناه.

«كتاباً»: مصدر مؤكّد لـ «واحصيناه».

من معناه، كما تقول قعدت جلوساً، تريد قعدت قعوداً محققاً، فالمراد هنا كتيبناه كناية لا شك فيها بإحصاء دقيق، وحاصل المعنى: اإحصيناه في كتاب أعمالهم بكل دقة، انظر الآية (١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦.

والآية (٤٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٧، ٣٨٨.

«مغزاً»: أي مكان فوز بالنعيم.

«وكواعب»: جمع كاعب وهي الفتاة التي بدأ ثديها يستدير، ولم يزد على مقدار الكعب.

«وتراباً»: جمع ترب يكسر فسكون، وهي من تساوى غيرها في العمر. والمراد: متساويات في العمر.

«وهذا»: أي بملوءة والمراد بما يشتهون.

- | | |
|---------------|----------------|
| (١) باياتنا. | (٣) احييناه. |
| (٢) كتاباً. | (٤) اعاناه. |
| (٥) كذاباً. | (٦) السموات. |
| (٧) الملائكة. | (٨) مايا. |
| (٩) النوراني. | (١٠) يا ليتني. |
| (١١) تراباً. | |

«يرزأ»: المراد هوان رطب يخفف حرها. «وحيماً»: ماء شديد الحرارة. و«ففساقاً»: ما يسيل من صديد أهل النار.

المعنى: عن أي شيء يتسالم هؤلاء. ثم رد سبحانه بقوله: عن النبأ... إلخ. على سبيل التوبيخ. أي هل عن النبأ العظيم المقطوع به يصح التساؤل والاختلاف؟ فليزجر هؤلاء عن هذا التساؤل فسيعلمون عند الموت كل شيء. ثم سيعلمونه أوضح عند البيعت من القبور. ألم يعلموا أننا نحن الذين جعلنا الأرض مهددة راحة لهم. وجعلنا الجبال حافظة لتوازن الأرض كالأوتاد. وخلقناكم مزدوجين ذكراً وأنثى لبقاء النوع. وجعلنا نومكم قاطعاً لمتاعكم، وجعلنا النهار وقت سعي على ما تعيشون به، وبنينا فوقكم سبع سموات قويات محكمات، وجعلنا فيها شمساً كالسراج، شديدة التوهج، وأنزلنا من السحاب ماء كثيراً لنخرج به حبا تقتاتون به. وبنينا لأنفاسكم وحنات مشابهة لانغمسان لجودتها.

وبعدما بين سبحانه قدرته على هذه الأشياء العظيمة، شرع سبحانه في بيان سر تأخير ما يسألون عنه، فقال تعالى: إن يوم الفصل... إلخ. أي إن يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق كان في علم الله محددًا بوقت لا يتقدم ولا يتأخر، انظر آيتي (١٠٤، ١٠٣) من سورة هود صفحة ٢٩٩.

ثم بين ما سيحصل فيه، فقال: يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية فتحيون من القبور وتأتون المحشر أفواجاً. ولما كان يوم القيامة يطلق على الزمن الطويل الذي يبدأ بالنفخة الأولى المذكورة في الآية (٧٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ والآية (١٣) من سورة الحاقة صفحة ٧٢، وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.... تقول لما كان بهذا الطول فهو يشمل كل ما يقع فيه، فصح أن يقول سبحانه: وقتعت السماء، أي تأتون أفواجاً. والحال أنه في هذا اليوم تشققت السماء ومارت سيرت الجبال وتطارت وفي هذا اليوم تكون جهنم موضعاً يرصد فيه خزنتها من يستحقون دخولها ويسحبونهم إليها، ثم بين سبحانه من هم أصحابها، فقال: اللطافين مايا، أي كانت مرجعاً لكل من ملغى وكفر. مقيمين فيها دوراً لا نهاية لها. لا يذوقون فيها راحة الهواء البارد، ولا شراباً يطفئ ظمأهم، لكن يشربون ماء يغلي مخلوط بالصديد الذي يسيل من أجسام أهل جهنم، انظر الآية (٦٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩١.

﴿كذابا﴾: المراد به هنا: مجرد التكذيب. فهو غير ما تقدم في الآية (٢٨) من هذه السورة.

﴿عطاء حسابا﴾: المراد: كثيرًا كافيًا، تقول حسبك درهم. أى كافيك.

﴿لا يملكون منه خطابا﴾: المراد: لا يمكن سبحانه أحدًا من مخاطبته، ففي اليوم الذي يقوم فيه الروح، بطلب زيادة ثواب، أو إنقاص عقاب... إلخ. وهذا من قبيل قولهم: ملك فلان من محمد درهما أى أن محمدًا ملك فلانًا درهمًا، فالمعنى والله أعلم، أنه سبحانه مع واسع رحمته التى كان يجب عليهم أن يستجليوها فإنها فى هذا اليوم الشديد الكرب لا يملك سبحانه كلا الطائفتين السابقتين ﴿الطائغين﴾ و﴿المتقين﴾ خطابا يستطيعون به تخفيف العذاب أو زيادة الثواب، فالكلام استئناف مقدر لما دلت عليه الربوبية العامة من غاية العظمة الإلهية، وانفراده سبحانه فى ذلك اليوم بالجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد من خلقه تدخّل فيه، انظر الآية (١٠٥) من سورة هود صفحات ٢٩٩، ٣٠٠.

﴿الروح﴾: هو جبريل عليه السلام، انظر الآية (١٩٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١.

﴿الملائكة﴾: انظر الآية (١٧) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢.

﴿لا يتكلمون﴾: تأكيد لقوله تعالى: ﴿لا يملكون﴾... إلخ، لأن هؤلاء الذين هم أقرب الخلائق إلى الله تعالى، ولا يعصون له أمرًا، إذا لم يقدروا على الكلام إلا بإذنه سبحانه من شدة الهول، فكيف يكون الحال بالنسبة لغيرهم.

﴿مآبًا﴾: أى أوبًا ورجوعًا إلى الله بالتوبة والطاعة.

﴿أنذرناكم﴾: أى حذرناكم.

﴿قريبًا﴾: أى قريبًا حصوله، وهو عذاب يوم القيامة الآتى الذى لا شك فيه، فكل آت قريب.

﴿يا ليتنى كنت ترابا﴾: أى ياليتنى بقيت على حالتى الأولى فى الدنيا، ولم أصبر إنسانًا مكلفًا. ونظير هذا قول عمر بن الخطاب لكن فى مجال الخوف من الله: ليت أم عمر لم تلد عمر، انظر الآية (٣٧) من سورة الكهف. صفحة ٣٨٦.

المعنى: يجازى سبحانه الكفار بما سبق منهم جزاء موافقًا لأعمالهم، ثم فصل بعض أعمالهم هذه فذكر منها شيئين هما أفضلهما فقال: إنهم كانوا... إلخ. أى إن الذى جرأهم على الكفر والتسوق أنهم ما كانوا ينتظرون يوم الحساب، وأنهم كذبوا بجميع أدلة التوحيد وصدق رسولهم وكتابتهم تكذيبًا شنيعًا، كانوا فى الدنيا فى غفلة، ونحن نحصى عليهم فى كتابهم الذى سيترءونه يوم القيامة بأنفسهم كل شىء عملوه فى الدنيا ليجازوا به، انظر الآية (١٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، ثم نقول لهم بعد دخولهم جهنم: وبما أن هذا عملكم فذوقوا جزاءه ولا تنتظروا أن نزيديكم إلا عذابا، انظر آيتى ٥٨، ٥٧ من سورة ص صفحة ٦٠٢.

ثم بين سبحانه جزاء المؤمنين فقال: إن للمتقين مفازًا: وبنيته بأنه حقائق فيها كل فاكهة خصوصًا الأعناب، وأن لهم فى هذه الجنات زوجات ناشئات أبكارًا كلهن فى عمر واحد، ويشربون كأسًا مليئة بما يشتهون، لا يسمعون فى الجنة كلاما لا فائدة فيه ولا تكذيبًا يؤلم كما هو المعروف عمّن يشربون خمر الدنيا، جزأهم ربك أنها النبى بهذا وأعطاهموه جزاء وعطاء من فضله كافيًا وافيًا.

ثم وصف الرب المعطى سبحانه بأنه رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن، ومع ذلك فمن شدة الهول فى هذا الموقف فلن يقدر أحد من أهل السموات والأرض على الإقدام على مخاطبته فى زيادة ثواب أو تخفيف عقاب فى ذلك اليوم الذى يقوم فيه جبريل عليه السلام والملائكة جميعًا مصطفين فى انتظار أوامره سبحانه وتعالى، انظر الآية (٢٢) من سورة الفجر صفحة ٨٠٧. لا يتكلم واحد منهم بكلمة واحدة إلا من أذن له الرحمن فى الشفاعة بشرط أن تكون شفاعته فى محلها، انظر تفصيل ذلك فى الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦. ذلك اليوم المعد للفصل بين المحققين والمبطلين هو الحق الثابت حصوله ممّن شاء أن يتقى شره فليتخذ طريقًا يرجعه إلى ربه عز وجل، ثم رجع سبحانه إلى تهديد المعاندين فقال: إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا ستجدون مقدماته بعد الموت مباشرة وأهواله تجدونها يوم ينظر الإنسان ما قدمت يداه، فيسر المؤمن، ويندم الكافر ندمًا شديدًا، حيث لا ينفع اليد، ويتمنى لو كان ترابًا لم يخلق، أو يصير بعد البعث ترابًا، كالبهائم، نسأل الله تعالى السلامة فى الدنيا والآخرة..

﴿الرافعة﴾: هي الأرض عند زلزلتها. انظر الآية (١٤) من سورة المزمل صفحة ٧٧٤.

﴿الانزعاج﴾: هو السواء التي تتبع الأرض في اضطرابها وتشتتها. ﴿الرافعة﴾: شديدة الارتفاع. ﴿رفى الحافرة﴾: أي ذليلة كسيرة. ﴿يقولون﴾: أي الكفار في الدنيا. على وجه الإنكار للبعث. ﴿رفى الحافرة﴾: أصل الحافرة: هي الطريق المحفورة بتكرار المشي فيها. يقولون: رجع فلان في حافره أي في طريقه التي جاء منها، والمراد هنا: الحالة الأولى. وهي الحياة التي كانوا عليها في الدنيا. ﴿نخرة﴾: بالية جوفاء تمر فيها الرياح، فيسمع لها صوت. ﴿كررة﴾: أي رجعة. ﴿خاسرة﴾: الموزد خاسر أصحابها كقوله ﴿وعيشة راضية﴾ أي راض صاحبها. ﴿هي﴾: أي الرجعة إلى الحياة. ﴿الرجرة النفضة﴾: الصور والمراد: أن الرجعة إثر تلك الرجرة. ﴿فإذا هم﴾: الفاء تدل على سرعة حصول ما بعدها مرتباً على ما قبلها.

﴿الساهرة﴾: هي الأرض البيعضاء، سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها. من قولهم: (عين ماء ساهرة) أي ماؤها جار لا ينقطع، أي فهي أرض فضاء شاسعة. ﴿هل أتاك﴾: تقدم المراد من مثل هذا في الآية (٩) من سورة طه صفحة ٤٠٦. ﴿الوواد المقدس طوى﴾: تقدم كذلك في الآية (١٢) من سورة طه أيضاً صفحة ٤٠٧.

المعنى: يقول سبحانه وتعالى أقسم بأنواع من الكواكب، والنجوم والشمس، والقمر، إظهاراً لعظم شأنها، وإتقان نظامها، وكثرة منافعها، وأنها مستورة لخالقها، وخاصمة لأمره، أن كل الأمم سيعبثون بعد الموت، يوم ترجف الأرض وما عليها، وتتبعها السماء وما فيها. يومئذ تزعج قلوب الكفار، وتخشع أبصارهم، ثم ذكر سبحانه بعض ما استحقوا به ذلك فقال تعالى: يقولون... إلخ. أي يقول كفار مكة استهزاء وإنكاراً للبعث، هل نحن حقاً مردودون للحياة بعد الموت كما يقول محمد؟ ثم بالغوا في ذلك فقالوا: هل نرد للحياة بعد أن نكون عظاماً بالية لو لمست لتفتت؟ هذا لا يكون، وراودوا في الاستهزاء فقالوا: تلك الرجعة - إن صح مايقول محمد - رجعة خاسر أصحابها. فردد سبحانه عليهم استبعادهم للبعث بقوله: فأنما هي... إلخ. أي لا تظنوا أن رجوعكم صعب على الله بل هين لأنه لا يحتاج إلا إلى ضيعة واحدة لا ثاني لها.

فإذا الناس جميعاً أحياء محتممون على وجه الأرض الخلاء وبعد ما رد عليهم سبحانه أراد أن يهددهم بعذاب الدنيا أيضاً. ويخفف على رسوله تألمه منهم فذكر الجميع بقضية موسى مع فرعون. وقد كان فرعون من الجبروت مالميس عند كفار مكة، ومع ذلك أهلكه الله، ونصر نبيه، فقال تعالى: هل أتاك حديث موسى؟ إذ - أي حين - ناداه ربه بالوادي المقدس الذي هو طوى؟

(٩) سورة التازعات

سورة التازعات
بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿النازعات﴾: انظر الحلف بمثل ما هنا في صفحة ٥٨٧. والنازعات هي الكواكب التي تجسرى من قولهم نزع الفرس، أي جرى.

﴿غزقاً﴾: أي نزحاً ذا غرق، أي إغراق وهو المبالغة في الشيء، والمراد نزحاً شديداً.

﴿الناشطات﴾: هي الكواكب المستقلات من برج إلى برج من قولهم نشط الرجل، إذا خرج من بلد إلى بلد.

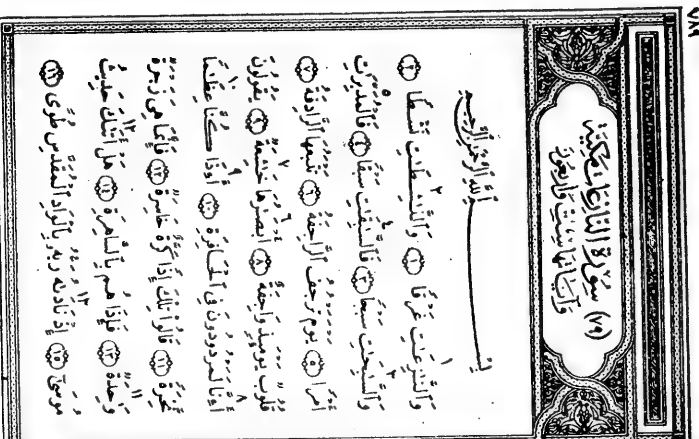
﴿السايعات﴾: هي الكواكب التي تسير في الجو سيراً هيناً.

﴿السايفات﴾: هي الكواكب التي تتم دورتها في مدة أقل من غيرها، كالقمر الذي يتم دورته كل شهر، مع أن الشمس تتمها كل عام.

﴿المندبرات أمراً﴾: المراد: المستسيبات في حدوث الأمور المترتبة على سيرها، من اختلاف الفصول ومعرفة عدد السنين وحساب مواقيت العبادات والمعاملات بين الناس، انظر الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٥، ٣٦٦.

﴿يوم ترجف﴾: هذا متعلق بجواب القسم المعدوف للعلم به من المقام كما في آيتي (٢٠١) من سورة القيامة صفحة ٧٧٨، والأصل: أقسم بهذه الأشياء التي تدركون منافعها، أن كل الأمم سيعبثون (يوم ترجف)... إلخ. ﴿ترجف﴾: أي تهتز وتزلزل.

(١) النازعات.	(٣) السايحات.	(٥) المندبرات.
(٢) أبصارها.	(٨) أباد.	(١٠) عظاما.
(١١) واحدة.	(١٢) ناداه.	



﴿الآخرة﴾: أى الحاصل فى الآخرة بعداب جهنم، وهو عبرة من جهة أن الله تعالى أخبر بأنه سيقع قطعاً، ونظير ذلك ما فى الآية (٣١) من سورة المدثر صفحات ٧٧٦، ٧٧٧ .

﴿الأولى﴾: الحاصل فى الدنيا وهو إغراقه، انظر الآية (٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠ .

﴿أنتم﴾... إلخ: استقهام أريد به تبرع وتوبيخ منكرى البعث.

﴿خلقاً﴾: أى إيجاداً.

﴿سمكها﴾: أصل السمك إقامة الشيء، والمراد جعل مقدار اتجاهها إلى جهة العلو مرتفعاً

﴿فسواها﴾: أى فعدّلها بوضع كل جزء فى موضعه، وجعلها سليمة من الشقوق، انظر الآية (٣) من سورة الملك صفحة ٧٥٤ .

﴿أغطش ليلها﴾: يقال غطش الليل بوزن ضرب أى أظلم، وأغطشه الله أى جعله مظلماً.

﴿وأخرج ضحاها﴾: الضحى ضوء الشمس أول النهار، ويطلق على زمنه، انظر الآية (٥٩) من سورة طه صفحة ٤١٠ والآية (١) من سورة الشمس صفحة ٨٠٩، والمراد: أبرز نور شمسها .

﴿دحاها﴾: تقول العرب: دحا يدحو، كدعا يدعو، ولهذا اللفظ عندهم معنيان: الأول البسط، والثانى الدفع أى التحريك.

يقولون: دحا المطر الحصا عن وجه الأرض، أى دفعه عن مكانه، وجرفه إلى مكان آخر ومنه (المِدْحاة) يكسر فسكون، وهى خشية يلعب بها الصبيان فى دحو الحجر مثلاً. يلقع فى حفرة، والمعنيان جاءا فى القرآن. فمن الأول ما فى الآية (١٩) من سورة نوح صفحة ٧٦٩، ومن الثانى ما يفهم من عموم (كلّ) فى الآية (٤٠) من سورة يس صفحة ٥٨٢، لأن المعنى كل شىء مما ذكر فى هذه الصفحة من أرض وشمس وقمر... إلخ.

﴿مرعاه﴾: أصل المرعى مكان الرعى، وأريد به هنا كل ما تنتجه الأرض من قوت الناس والحيوان.

أَنْفَبَ إِنْ فَرَعُونَ إِنْهَ ثَقْنِي ۝ فَكُلْ هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَرْكَبِي ۝ وَأَعْيِدْكَ إِنْ تَرَكَ فَتَخَنِي ۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ أَذْرَيْنِي ۝ فَخَرَّتْ رَنَادَى ۝ فَتَلَّأْنَا رُبُكُمُ الْأَعْلَى ۝ فَأَعَدَّ اللَّهُ تَكْلَافَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْتَنِي ۝ وَأَنْتُمْ لَأَشْدُّ تَنَادَامُ السَّمَاءِ بِنَبَأِهَا ۝ رَجَّعَ تَحَكُّمَهَا فُتُونَهَا ۝ وَأَنْفَطَشَ نِيلَهَا وَأَخْرَجَ مُخْجَهَا ۝ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَى ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ۝ فَمِنَ الْكُرِّ وَالْأَتَمِّ كُرٍّ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَافُ ۝ الْكُبْرَى ۝ يَوْمَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانُ مَا سَمَى ۝ وَبَرَزَ الْجَحِيمَ لِمَنْ بَرَى ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقَنِي ۝

﴿فخشر﴾: أى أرسل من يجمع له السحرة، انظر آيتى (١١٢، ١١١) من سورة الأعراف صفحة ٢١٠ .

﴿فنادى﴾: أى فأعلن فى الجمع قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾: تقدم المراد من هذا القول فى شرح الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١ .

﴿فأخذ الله﴾: أى عاقبه.

﴿نكال﴾: النكال بمعنى التكيل وهو التعذيب المقصود به منع الغير من الوقوع فى أسبابه، انظر الآية (٦٦) من سورة البقرة صفحة ١٢، وهو منصوب على أنه مفعول لأجله، أى عاقبه الله لأجل عقابه فى المرة الأولى والآخرة عبرة لغيره.

(١) خاراه.	(٢) الآية.	(٣) الآخرة
(٤) التهم.	(٥) بنائها.	(٦) فسوها.
(٧) ضحاها	(٨) دحاها	(٩) مرعاه.
(١٠) أرساها	(١١) لأنامكم	(١٢) الإنسان.

ثم بين كيف أنشأ سبحانه السماء ونظمها فقال: بناها. أي جعلها عالية البناء سليمة من كل نقص، وجعل ليها مظلماً ونهارها مضيقاً: للحكمة المشار إليها في الآية (٧١) وما بعدها من سورة القصص ٥١٧.

وبعد ذلك دحى الأرض أي جعلها تسبح في فلكها كما تقدم لتحصل الفائدة المترتبة على ذلك مما هو معروف عند علماء الهيئة. أو مهدداً وجعلها صالحة للسكنى فأخرج منها الماء والمرعى وأرسى فيها الجبال لتمتعها من اختلاف توارثها. انظر الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٣٤٧. فعمل سبحانه كل ما ذكر ليشتمعوا بما فيها أنتم وأنعامكم التي يتوقف عليها نظام حياتكم.

وبعد هذا فهل يصح أن يكون القادر على ذلك كله غير قادر على بعثكم أيها الكفار وبلق بآله حكيم أن يخلق هذا العالم على هذا النظام ثم يتركه هملًا بدون مجاسبة ومجازاة المحسن والمسيء، انظر الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ والآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦.

وإذا كان لابد من الحساب فاعلموا أنه إذا جاءت القيامة بأهلها الكبرى وحيثما يتذكر الإنسان عمله خيراً أو شراً. والمعنى يتذكر كل واحد ما عمله بأن يشاهده مدوناً في صحيفته بعد أن كان نسيه من شدة غفلته، أو قسوة ما لقي من هول القيامة.

قال تعالى: ﴿لِيَوْمَ يَجْتِئُهمُ الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾ أخصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴿الآية (١)﴾ من سورة المجادلة صفحة ٧٢٥. وتبرز الجحيم ليرأها العاؤون كما في الآية (٩١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥. وإذا حصل كل هذا انقسم الناس إلى شقي طائغ، وإلى سعيد يخاف الله، كما في الآية (١٠٥) من سورة هود صفحة ٣٩٩. فاما من طغى... إلخ.

(تنبيه) قد يتوهم الناظر العابر أن ظاهر الآية (٣٠) هنا يختلف مع ظاهر الآيات (٢٩) من سورة البقرة صفحة ٧ و(١١٩) من سورة فصلت صفحة ٦٢٠، ٦٢١. حيث يدل ظاهر الآية الأولى على تقدم خلق السماء وما فيها على خلق الأرض وما عليها وعلى العكس ما في الآيات صفحات ١٣٠، ١٣١. ولكن التفسير بأساليب العرب لا يشترط إليه هذا -الوهم لأنه يدرك أن قوله سبحانه هنا (بعد ذلك) ظاهر في تقدم خلق السموات على الأرض وهو ما اختاره

﴿فما تالكم﴾: أي لأجل أن تتمتعوا به أي تنتفعوا.

﴿وأنعامكم﴾: تقدم في الآية (١٤٢) وما بعدها من سورة الأنعام صفحة ١٨٦، ١٨٧.

﴿الطامة﴾: هي الداهية التي تعلم أي تغلو على سائر الدواهي.

﴿الكبرى﴾: أي أكبر الطامات وهي القيامة التي تبدأ بالنفخة الثانية، انظر الآية (٧٨) من سورة الزمر صفحة ١١٥ وهي المعبر عنها بالصاخة في الآية (٣٢) من سورة عبس صفحة ١٩٣. وانظر بقية أسمائها في الآية (١) من سورة الحاقة ٧٦١.

﴿يوم يتذكر﴾: ﴿يوم﴾ ظرف بدل من ﴿إذا﴾ في إذا جاءت.

﴿فما سمع﴾: أي الذي عمل، والمعنى يتذكر أعماله.

﴿برزت الجحيم﴾: أي أبرزها الله لأعين الكافرين لزيادة إزعاجهم. انظر الآية (١٠٠) من سورة الكهف صفحة ٣٩٤.

المعنى: قال سبحانه لموسى اذهب إلى فرعون لإصلاحه لأنه تجاوز الخد في الكفر والفساد. وقل له متلفها هل لك ميل إلى أن تظهر مما أنت فيه، وأذلك على طريق معرفة ربك الذي خلقتك فتخافه وتمتنع عما أنت فيه فتتجو من العذاب؟ فلما سمع موسى ذلك من ربه ذهب إلى فرعون وبلغه كما أمره ربه. فلم يصدقه فرعون وطلب منه دليلاً. فراه موسى المعجزة الكبرى فاستمر على التكذيب، وعصى رسول ربه. كما في الآية (١٦) من سورة المزمل صفحة ٧٧٤.

ثم أعرض عن الإيمان وهو يسعى في الكيد لموسى ومعارضته، وكان مما فعله أنه أرسل من حشر أي جمع له السحرة والأبغاح، فنادى فيهم قائلاً: أنا ربكم الأعلى، أي فلا تسمعوا قول موسى. فآخذ الله أخذ عزيز مقتدر، ليجعل تعذيبه في الآخرة بالأحراق وفي الدنيا بالإغراق عبوة لمن تعدته نفسه بمثل عمله. إن في هذا الذي حصل للفرعون وجنوده عبرة عظيمة. ينتفع بها من يخشى الله. ثم رجع سبحانه إلى توجيه الخطاب لكفار مكة المنكرين للبعث بأسلوب فيه تفرغ وتغيبه فقال: ﴿وأنتم﴾... إلخ. أي هل أنتم أيها المغرورون أصعب على الله إيجاداً أم السماء التي هي أكبر منكم بالمشاهدة كما في الآية (٥٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٥.

المحققون من العلماء. وأن الآيات الأخرى جاء فيها ذكر خلق السماء معطوفا (بثم) وحرف (ثم) يأتي في كلام العرب كثيرا لإفادة الترتيب في الذكر والحكاية لا في الوجود؛ فيقول أحدهم: أنا أحسنت لفلان بكذا وكذا، ثم أنفذته من كذا. يريد بالعبرة الأخيرة ذكر نوع آخر من الإحسان ولو كان سابقا في الوجود على ما قبله. فهو على معنى قولهم في بعض الأحيان (وغير ذلك فملت معه كذا) وجاء هذا المعنى في القرآن في الآية (١٥٤) من سورة الأنعام صفحة ١٩٠ بعد آيات ١٥١: ١٥٣ صفحة ١٨٩؛ لأن إيتاء موسى الكتاب كان قبل أمره سبحانه لخاتم الرسل ﷺ بما ذكر في تلك الآيات.

ولكنه عندما أراد الإخبار أخره في الذكر فقط، كأنه يقول أمرك بكذا ثم أخبرك بكذا. وكذلك ﴿ثم﴾ في الآية (١٧) من سورة البلد صفحتي ٨٠٩، ٨٠٨ بعدما في الآيات (١١، ١٦) فإن الأعمال الصالحة التي في هذه الآيات لا تعتبر إلا إذا سبقها الإيمان مع أنه مذكور بعدها معطوف ﴿بثم﴾ وليس التأخير إلا في الإخبار فقط، إذا فما الحكمة في تقديم الأرض في بعض الآيات والمكس في البعض الآخر؟ الحكمة أن ذلك يختلف باختلاف المقامات. فإن كان المقام للامتثال على الإنسان بتعداد النعم فإنه يحسن تقديم ذكر أقرب مصادر النعم إليه وهي الأرض التي يعيش فوقها.

ولكن إذا كان المقام لبيان كمال قدرته تعالى على الانتقام من الكافرين أو على نعمهم يوم القيامة. فإنه يحسن تقديم ما يدل على ذلك وهو خلق السموات وما فيها. وهي أعظم من الأرض. وإن كان المقام يصلح للاعتبارين صح تقديم كل منهما. انظر مقام بيان القدرة في الآية (١٠٧) من سورة البقرة صفحة ٢١ والآية (١١٧) من سورة البقرة أيضا صفحة ٢٣ والآية (١٨٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٣ والآية (٩٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨ والآية (٨١) من سورة يس صفحة ٥٨٦، والذي يهمننا في هذا المقام هو العلم بأنه سبحانه خلق هذا العالم بالتدريج الذي لا يعلم حقيقته غيره تعالى كما في الآية (٥١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨. وإنما ذكر لنا ما يدل على كمال قدرته وعظيم حكمته. أو يدل على سابغ فضله وحكمته. ولم يرد سبحانه سرد التاريخ لتكوين العالم بالتدريج، كما تفعل كتب التاريخ؛ لأن هذا ليس من مقاصد الدين الأصلية. وإنما مقاصده كلها ترمى إلى الهداية والإرشاد إلى الصواب. والله تعالى أعلم.

وَعَالِمُ الْغَيْبِ ۚ ذِي الْجَلَالِ ۚ ذِي الْإِكْرَامِ ۚ
وَمَا مِنْ عَاقٍ مَقَامٍ رَءِيٍّ ۚ وَذِي الْقُدْرَةِ ۚ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي النَّارِ ۚ يَتَنَزَّلُ فِيهَا السَّائِغَةُ ۚ إِنَّ
مُرْسَهَا ۚ لَيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا ۚ إِنْ رَأَيْتَ
مُسْتَهْزَأًا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ مُنْذِرٌ مِنْ عَذَابِنَا ۚ كَانِهِمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا يَتْلُونَهَا إِلَّا عُنَىٰ أَوْ تُحْمَلُهَا ۚ

(٥٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَلَا يُلَاقِيهَا غُلَامٌ لَّا يَشْعُرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَسَىٰ وَتَوَكَّلْ ۚ أَنْ يَسَاءَ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّكَ بَرْحَىٰ ۚ أَوْ لَدَّرَ فَتَنَنَّهُ ۚ أَلَمْ تَكُنْ أَتَمَّ ۚ

المفردات: «أثر الحياة»: أي اختارها وفضلها.

«المأوى»: أي المكان الذي يأوي إليه ويستقر فيه.

«مقام ربه»: تقدم في الآية (١٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٢ والآية (٤٦) من سورة الرحمن صفحة ٧١١.

«الساعة»: المراد بها القيامة عند النفخة الثانية كما في الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

«أيان»: أي متى وفي أي وقت.

«مرسها»: المرسى معناه الإثبات، انظر الآية (١٨٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٣، ومنه الجبال الرواسي انظر الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٣٤٧ والمراد: متى يوجد لها الله يقولون ذلك استهزاء وإنكاراً لها.

«قيم أنت»: الخ: الأصل «في». ما «و» «وما» اسم استفهام إنكاري يفيد النفي والمعنى: في أي شيء من العلم أنت النبي حتى تذكر لهم وقتها؟

- (١) الر.
- (٢) الحياة.
- (٣) يسألونك.
- (٤) مرسها.
- (٥) ذكرها.
- (٦) مستهاها.
- (٧) يحشأها.
- (٨) ضحأها.

سورة عبس

المفرقات: ﴿عبس﴾: أي قطب وجهه ﷺ متألماً؛ لأنه كان مشغولاً بهداية كبار القوم.

﴿وتولى﴾: أي أعرض بوجهه.

﴿أن جاءه﴾: أي لأجل أن جاءه.

﴿والأعشى﴾: هو عمرو بن قيس بن أم مكتوم، جاء للنبي ﷺ يسأله عن علم يزداد به إيماناً.

﴿يرى﴾: أي يتطهر. والمراد: يزداد طهراً من آثار الماضي.

﴿أو يذكر﴾: أي يتعظ.

﴿فتفقه﴾: ينصب الفعل جواب (لعل) كقوله تعالى: ﴿فماطلع إلى إله موسى﴾ الآية (٣٧) من سورة غافر صفحات ١٢٢، ١٢٣.

المنى: وسبب نزول هذه السورة، أن عمرو بن قيس بن أم مكتوم، جاء يوماً إلى النبي ﷺ في وقت كان عنده فيه صناديد قريش يحاول هدايتهم للإسلام، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله.

وكان اهتمام النبي ﷺ بهداية من في مجلسه شديداً، فلم يلتفت إليه، فصار عمرو يكرر قوله، وهو لا يشعر بتشغله ﷺ بالقوم. فكره ﷺ أن يقطع كلامه فعبس وأعرض عنه. وبعد انصراف القوم ورجوعه ﷺ إلى بيته نزل الوحي بقوله تعالى: (عبس وتولى)... إلخ.

فكان ﷺ لا يراه بعدها إلا ضمه إليه ويقول: مرحباً بمن عاتبنى فيه ربي، وتكرر لفظ الأعشى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلامه صلوات الله عليه مع القوم وللإشارة إلى أنه أحق بالرفق، وقوله: (وما يدريك) ... إلخ. معناه أي شيء يدريك حال هذا الأعشى، والمراد أنت لا تعلم حاله حتى تعامله هذه المعاملة؛ لأنه قد يزداد بإقبالك عليه تطهراً من آثار الماضي بما يتعلمه منك، أو يتعظ بما يسمعه منك فتفقه الموعظة. فالذي يرجى منه الانتفاع تعرض عنه. أما الذي استغنى عنك... إلخ.

أي لا علم لك به؛ لأنه مما لا يعلمه غيره سبحانه، والمراد: أن السؤال عما لا يعلمه إلا الله لا يكون إلا من متعنت لا يريد الحق.

﴿إلى ربك منتهاها﴾: المراد منتهى علم وقت حصولها موكول إلى ربك وحده.

﴿ومنذر﴾: أي محذر من هولها.

﴿لم يلبثوا﴾: أي لم يمكثوا في الدنيا، وفي القبور.

﴿وعشية﴾: هي طرف النهار الأخير.

﴿وضحاها﴾: أي ضحى تلك المشية، والضحى أول النهار.

المنى: أما من طغى وفضل متاع الحياة الدنيا وانهمك في لذاتها ولم يفكر في آخرته فإن جهنم هي مقره ولا مقر له سواها وأما من راقب جلال ربه، ومنع نفسه عن شهواتها، وضمها بالصبر على الشدائد، فإنه لا مسكن له إلا الجنة.

ثم انتقل سبحانه إلى تسفيه كفار قريش على إنكارهم القيامة، وكان من أساليب الإنكارهم، أنهم يسألونه ﷺ عنها استهزاء.

فقال سبحانه: (يسألونك)... إلخ. أي يسألك كفار قريش عن القيامة قائلين متى يوجدها الله؟ في أي شيء أنت من ذكر وقتها لهم حتى يسألوك عنه، والمراد ليس هذا من شأنك؛ لأن مرجع علم وقتها إلى الله وحده، فهو ليس من وظيفتك. إنما وظيفتك أنك تحذر من أهوالها من يخشاها ويخافها فينتهي ربه.

ثم بين سبحانه شدة هولها فقال: كانوا يوم يرونها... إلخ. أي أنهم عندما يشاهدون كرنها وشداها، يظنون أن جميع الأزمان التي قضاها في الدنيا أو في القبور ما هي إلا لحظة كمشية أوضعت يومها، انظر الآية (٥٢) من سورة الإسراء صفحة ٢٧١، والآية (١١٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، والآية (٥٥) من سورة الروم صفحة ٥٢٨، والآية (٣٥) من سورة الأحقاف صفحة ١٧١، ١٧٢.

﴿بررة﴾: جمع بار أى كثير الخير.

﴿قتل الإنسان﴾: أصل معناها الدعاء والمراد أنه استحق الهلاك، فالإنسان هنا يراد به الكافر.

﴿ما اكفره﴾: أى ما أشد كفره ببره الذى غمره بإحسانه. انظر ما سبق فى الآية (١٧٥) من سورة البقرة صفحة ٢٢.

﴿من أى شئ خلقه﴾: استفهام أريد به التحقير، انظر شرح الآية (٣٩) من سورة المعارج صفحة ٧٦٦.

﴿من نطفة خلقه﴾: بيان لهذا الشئ الحقير.

﴿فقدروه﴾: أى قدر وجوده على أدوار مرتب بعضها على بعض، كما فى الآيات (١٢) وما بعدها من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

﴿السبيل يسره﴾: المراد يسر له معرفة طريق الخير والشر ليسلك الأول ويجتنب الثانى، انظر الآية (١٠) من سورة البلد صفحة ٨٠٨.

﴿فأقبره﴾: أى ألهم الأحياء أن يقبروه، وذلك لمواراة جيفته تكريمًا له، ولم يتركه على وجه الأرض يستقذر منه الناس. انظر الآية (٣١) من سورة المائدة صفحة ١٤٢.

﴿أنشره﴾: أى أحياء يوم القيامة، تقول العرب (أنشره ونشره) بمعنى واحد، انظر الآية (٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٠.

﴿كلا﴾: زجر للإنسان عن الكفر.

﴿لما يقض... إلخ﴾: ﴿لما﴾: حرف يدل على عدم حصول الفعل بعده إلى وقت التكلم، أى إلى الآن لم يفعل الإنسان ما أمره به ربه. انظر ﴿لما﴾ فى الآية (٨) من سورة ص صفحة ٥٨٨.

﴿إلى طعامه﴾: أى إلى تدبير وجود طعامه. ﴿أنا صببنا الماء﴾: بيان للتدبير.

﴿قضياً﴾: أصل القضب مصدر لفعل قضب الشئ أى قطعه بوزن ضرب ومنه كلام مقتضب: ويطلق العرب القضب على كل نبت يقطع بعضه وهو أخضر ليؤكل ويخرج مكانه غيره، كالكرات، والنبات المعروف فى مصر (بالبرسيم) الذى تغلف به الدواب.

أَسْتَفْتَى ۝ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ ۝ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا
بِرُكْنِي ۝ وَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَوَعْدَتُنِي ۝
فَأَنْتَ عَلَيْهِ تَلْهَى ۝ كَلَّا إِنَّا نَذْكُرُ ۝ فَمَنْ شَاءَ
ذَكَرْهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ قِيلَ الْإِنْسُ
نَا أَكْفَرُوا ۝ مِنْ أَنْ تُقَالُ ۝ عَلَقٌ ۝ مِنْ عَلَقٍ ۝
عَلَقٌ قَدَرٌ ۝ ثُمَّ الْبَيْلُ يَسْرُو ۝ ثُمَّ آمَنُوا
فَاتَّبَعُوا ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ انْشَرُّوا ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْقُضْ
مَآمَرُهُمْ ۝ فَلَيَنْفِخَنَّ الْإِنْسُ فِي نَفْثِهِ ۝ أَنَا
صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَضَعْنَا نَخْلًا ۝ وَزَيْتُونًا
وَتَلَّحًا ۝ وَحَلَّاقًا غُلْبًا ۝ وَتَنْكِحُهُمُ الرَّبَابُ ۝

﴿كلا﴾: أى لا تفعل مثل ذلك. ﴿إنها﴾: أى آيات القرآن.

﴿تذكرو﴾: أى فيها تذكير بالحق وعظة.

﴿ذكرو﴾: أى ذكر القرآن المشار إليه بالآيات والمراد: تذكرو واتعظ به.

﴿فى صحف﴾: أى أن تلك الآيات القرآنية مثبتة فى صحف ... إلخ.

﴿مكرمة﴾: أى عند الله تعالى. ﴿مرفوعة﴾: أى فى القدر والمنزلة.

﴿مطهرة﴾: أى منزهة عن كل عيب.

﴿سفرة﴾: جمع سافر، بمعنى سفير، كجمع كاتب على كثرة، قال ابن عباس: هم الملائكة الموكول بهم فبلغ وحيه سبحانه إلى أنبيائه، انظر الآية (٢) من سورة النحل صفحة ٣٤٥.

(١) الإنسان.
(٢) فأكفه.

المفسر: استفتى: أى عن الإيمان بك، وعما جئت به من العلوم والفضائل والخير.

﴿تصدى﴾: الأصل تتصدى، وحذفت إحدى التائين تخفيفاً، والمعنى تتعرض للإقبال عليه.

﴿وما عليك﴾: أى ليس عليك لوم فى أن لا يتركى.

﴿يركى﴾: أى يتطهر بالإسلام من دنس الشرك.

﴿يسعى﴾: أى يسرع لطلب الخير.

﴿تلهى﴾: الأصل تلهى، والمراد: تتشاغل عنه بالحديث مع غيره.

﴿غلبا﴾: جمع غلباء يفتح فسكون. كحمر جمع حمراء، والغلباء، هي العندقة المنسجمة الأشجار المتلفة الأغصان. ﴿وَأَيُّهَا﴾: قيل هو الممرى الذي بنيت بيوت تدخل زارع من الشر - والله تعالى أعلم - ولا يهتما إلا أن تعلم أن الله نعمًا كثيرة يجب شكره عليها.

المعنى: أما من اشتغل عنك أيها النبي واستغنى عما جئت به فانت تخسه بالإقبال عليه. ولما عليك لوم في بقاءه بدنس الغرور، وأما من جاءك مسرعًا يطلب زيادة ما يقربه إلى ربه وهو يخشى الله تعالى ويحاف الضلال، فانت تعمل تشاغلك قاصرًا عليه. لا تعد لمثل ذلك أيها النبي ولا تشق نفسك مع من يظهر العناد والغرور؛ لأنه لا ينتظر منه رجوع عما هو عليه. وروى أنه ﷺ ما عبس بعد ذلك في وجه ضعيف أبدًا. ولا اشتد اهتمامه نفي. ولما كان معش شعاء من استغنى هو إعراضه عن القرآن، بين سبحانه أنه لو تأمل هذا القرآن لجاء. فقال: إنها تذكرة أي أن آيات القرآن موعظة عظيمة، لو أراد الهداية لانتفع بها، فمن شاء الوصول للحق تذكرة تذكر اعتبار وهذه الآيات مثبتة في صصف مكرمة عند الله، مرفوعة القدر والمنزلة، مفرقة عن كل نقص، بأيدي ملائكة سفراء بين الله تعالى وأنبيائه، كرام عليه تعالى كثير خيرهم، وبعدما أرشد سبحانه إلى طرق الهداية، وكان الكافر في غفلة عنها. قال سبحانه: قتل الإنسان ما أشد وكفره بربه الذي غمره باحسانه.

ثم بين بعض أسباب استحقاقه للدعاء عليه فقال: من أي شيء خلقه؟ أي ألم يعلم أنه خلق من ماء مهين. ثم جعله في أطوار مختلفة حتى صار خلقًا كاملاً. ثم بين له طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليجتنبه.

ثم لما أماته كرمه، ولم يتركه جيفة قدرة تأكلها سباع الطير والوحوش. ثم إذا شاء أخياه للحساب والجزاء أحياء في الوقت الذي قدره زجرًا لهذا الإنسان عن غفلته: لأنه إلى الآن لم يفعل شيئًا مما أمره به ربه مما فيه نجاته. وبعد ما عدد سبحانه على الإنسان نعمه في أصل وجوده شرع في بيان نعمه عليه لحفظه وبقائه فقال: (فليظروا...) إلخ. أي وإذا كان الإنسان في غفلة عن فضل ربه عليه في أصل وجوده فهل يصح أن لا ينظر إلى تدبير ملأمه وكيف وصل إليه؟ ثم بين ذلك فقال سبحانه: أنا صببنا الماء صيا، أي منظمًا على قدر الحاجة ولم نغرقهم كما حصل لقوم نوح. ثم شققنا الأرض شققا لا تقا بكل نبات صغيرًا كان أو كبيرًا، وشكلا، فأنبتنا فيها حيا وعنبًا ونباتا يأكله الإنسان والحيوان. أخضر طريا، وزيتونا ونخلًا. وحائق صنعة الأشجار: ثم خص الفاكهة بالذكر لأنها خاصة بالإنسان، وأخرج منها أيضا مريض لا يكلف الإنسان عناء.

المفردات: ﴿ومتاعا لكم﴾: الخ. تقدم في الآية (٣١) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠. (إذا جاءت): جواب إذا مفهوم من معنى الجملة الآية في الآية (٣٧).

﴿الصناعة﴾: أصل معنى الصنخ الضرب بالحديد مثلاً على كل جسم صلب مثله. فيحدث صوتاً مزعجاً... والمراد هنا: هذا الصوت المزعج الناتج عن النفخة الثانية في الصور المذكورة في الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ١١٥: جاء في مختار الصحاح الصناعة: هي الصيحة التي من شأنها أنها تصم الأذان لشدتها وهي الممعبر عنها بالطامة في الآية (٣٤) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠.

﴿يوم يفر﴾: ﴿يوم﴾: بدل من ﴿إذا﴾: السابقة كما

قيل في مثلها في الآية (٣٥) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠. ﴿وصاحبته﴾: أي زوجته. ﴿شأن﴾: أي حال. ﴿رفيقه﴾: أصل معناه: يكفيه لتوجيه جميع قواه لنفسه، والمراد: لا يشغله إلا نفسه. ﴿مفسرة﴾: مضملة، ﴿مستبشرة﴾: أي متمكن منها البشر والسرور عندما ترى النعيم. ﴿ترهقها قفزة﴾: أي تفشها غمامة سوداء انظر الآية (٢٦) من سورة يوسف صفحة ٣٧٠. ﴿الفجرة﴾: جمع فاجر، وهو المعلن للفسق والخروج على الشرع، وأصل معنى ﴿الفجرة﴾ الشق ومنه الفجر وهو أول النهار لأنه يشق ظلمة الليل بضوئه.

المعنى: خلق سبحانه كل ما تقدم ليعتمتع به الإنسان والأندام التي خلقت له، انظر الآية (٥) من سورة النحل صفحات ٣٤٥، ٣٤٦. وبعدما بين سبحانه مبدأ خلقهم وما به معاشهم شرع في بيان أحوالهم يوم القيامة فقال: فإذا جاءت المصاحة، أي ما تقدم فيما تفصل به عليكم في الدنيا، فإذا جاءت الداهية التي تصم آذانكم بضجتها في يوم القيامة - في هذا

المفردات: ﴿الوحوش حشرت﴾: المراد أن الوحوش مع شدة نفرتها في الدنيا من الإنسان، وشرورها في الصعاري والغابات واحتراس ضعيفها من قوتها. فإنها في هذا اليوم من شدة الهول يختلط بعضها ببعض، ولا تخاف من بني آدم، بل تسرع إلى مكان التجمع طلباً للحماية.

﴿سجرت﴾: أي امتلات ناراً، كما في الآية (٦) من سورة الطور صفحة ٦٩٧.

﴿النفوس زوجت﴾: أي زوجت الأزواج بأبداها بعد النفخة الثانية فتعود إليها الحياة.

﴿الموءودة﴾: هي الطفلة التي كان يدفنها

والدها تحت التراب وهي حية حتى تموت، خوفاً من الفقر أو العار، وقلها (وإد، يند)، انظر الآية (٥٩) من سورة النحل صفحتي ٣٥٢، ٣٥٣.

﴿سئلت﴾: أمام والدها لتبكيه كما يسأل عيسى عليه السلام أمام النصارى في الآية (١٦٦) من سورة المائدة صفحتي ١٦٠، ١٦١.

﴿الصحف نشرت﴾: انظر الآية (١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦.

﴿كشطت﴾: المراد أزيلت.

﴿سمرت﴾: أي اشتد تأرجحها.

- (١) الموءودة
- (٢) الليل
- (٣) راء
- (٤) شيطان
- (٥) للعالمين

اليوم يضر المرء من أخيه لا يسأل إلا عن نفسه، بل يحاول أدهى من ذلك، انظر الآية (١٠) إلى (١٤) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥، بل يزيد به الكرب حتى يضر من أخيه وأمه وأبيه، بل حتى من زوجته التي هي الصق الناس به، وقد كان يضحى في الدفاع عنها بحياته، بل ويضر من بنيه الذين كان يشقى في الدنيا ليسعدهم، ذلك كله لأن لكل واحد ممن يشاهد هذا الهول ويخاف مناقشة الحساب شأناً يشغله عن سواه. وهذه الجملة الأخيرة هي المشعرة بجواب ﴿إذا﴾ في قوله ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ والأصل فإذا جاءت الصاخة ورأها الإنسان الذي كان في الدنيا غافلاً عنها فإنه يحاول الفرار من كل عزيز عليه في الدنيا، ظاناً أن ذلك ينجيّه. ثم قسم سبحانه أهل الموقف بعد الحساب إلى قسمين فقال: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة. وهي وجوه الأتقياء، ووجوه يومئذ عليها غبرة تعلوها ظلمة، أصحاب هذه الوجوه القبيحة هم الذين جمعوا بين الكفر بالله والفجور والمعاصي، نسأل الله تعالى السلامة.

سورة التكويد

المفردات: ﴿كورت﴾: أصل التكويد لف الشيء بعضه على بعض، والمراد هنا: اختفى ضوءها، انظر الآية (٥) من سورة الزمر صفحة ٦٠٦.

﴿انكدرت﴾: أسرعت في الزوال وتناثرت، انظر الآية (٢) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥.

﴿الجبال سيرت﴾: تقدم بيان ذلك في الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧. ﴿المشار﴾: جمع عشار يضم العين وفتح الشين، وهي الناقة الحامل إذا بقي على وضعها شهران فقط وهي أحب الأموال عند العرب. ﴿عطلت﴾: أي تركت بلا راع ولا مرعى من شدة الهول، وقال القرطبي: هذا كناية عن انشغال الإنسان بنفسه فينسى كل ما يملك.

المعنى: ذكر سبحانه اثني عشر حدثاً ستحصل يوم القيامة من أول النفخة الأولى إلى انقضاء الحساب وإعلان الجزاء فيدخل فيه ما بعد النفخة الثانية، وقد يسمى كل هذا الزمن يوم القيامة تسامحاً؛ لأن أصل زمن القيامة هو ما بعد النفخة الثانية، التي يقوم فيه الناس من القبور. آخر هذه الأحداث في الآية (١٣)، فقال تعالى: إذا الشمس كورت أي طويت وذهب ضياءؤها، وإذا النجوم تناثرت، وإذا الجبال سيرت بعد نسفها ثم صارت هباء، وإذا النوق الخوامل أهملها أصحابها من شدة الهول..

﴿أذى العرش﴾: هو الله سبحانه وتعالى.

﴿مكن﴾: صاحب مكانة وشرف.

﴿مطاع ثم﴾: ﴿ثم﴾: أي هناك، أي مطاع في جميع من في الملأ الأعلى.

﴿أمن﴾: أي على الوحى وكل ما يسند إليه.

﴿ماحكم﴾: المراد به النبى ﷺ.

﴿مجنون﴾: تقدم فى الآية (٢٩) من سورة الطور صفحة ٦٩٨.

﴿أراد﴾: أى رأى النبى ﷺ جبريل وهو بالآفق المبين.

﴿الآفق﴾: تقدم فى الآية (٧) من سورة النجم صفحة ٧٠.

﴿المبين﴾: الموضح لما فيه.

﴿وما هو﴾: أى وليس النبى ﷺ.

﴿الغيب﴾: المراد به: كل ما يحى به عن ربه من أخبار يوم القيامة، ووافق الوجود الذى

تختفى على كثير.

﴿بضين﴾: أى يبخيل، والباء لتأكيد نفي ما بعدها عما قبلها.

﴿يقول شيطان﴾: أى كما يقول المشركون، انظر الآية (٢١٠) من سورة الشعراء صفحة

٤٩٣.

﴿رحيم﴾: مرجوم بالمعانيات إلى يوم القيامة.

﴿فأين تذهبون﴾: استهزاءم أريد به بيان ضلالهم عن طريق الحق.

﴿إن هو﴾: ﴿إن﴾ حرف نفي بمعنى ما.

﴿ذكر﴾: تذكير وعظة.

المعنى: إذا حصل ما تقدم، واجتمعت الوحوش مع غيرها، وفعلت عن عاداتها من شدة الهول، وغلت مياه البحار، وردت الأرواح إلى أبدانها، وسئلت الطفلة المقتولة ظلمًا أمام قاتلها

﴿أزلفت﴾: أى قربت، انظر الآية (٣١) من سورة (ق) صفحة ٦٩٠.

﴿علمت نفس﴾: هذا هو جواب ﴿إذا﴾ فى أول السورة و﴿إذا﴾ تدل على زمان ممتد من أول النفخة الأولى إلى انتهاء الحساب والمراد: كل نفس، انظر الآية (٣٠) من سورة آل عمران صفحة ٦٨، ٦٧.

﴿ما أحضرت﴾: المراد: ما عملته فى الدنيا وكانت سببًا فى وجوده حاضرًا أى مسجلًا فى

صحيفتها وقت الحساب، انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٨، ٣٨٧.

﴿فلا أقسم﴾: انظر الآية (٧٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧.

﴿الغنس﴾: جمع خانسة من حنّس الشيء، إذا تأخر ورجع، والمراد بها: النجوم التى تجرى

مع الشمس فى النهار دون أن ترى، فإذا غابت الشمس وظهرت صارت كأنها تأخرت عن

الشمس، ورجعت عن السير معها، فهذا الغنوس يترقب عليها ظهورها ليلاً.

﴿الجوار﴾: أصلها (الجوارى) جمع جارية.

﴿الكس﴾: جمع كائسة، وأصلها الظبية التى دخلت فى كاسها يكسر الكاف، وهو بيتها

الذى تتخذ من أغصان الشجر، والمراد النجوم التى تختفى عند طلوع الشمس، فالأوصاف

الثلاثة للنجوم باعتبار حالاتها المختلفة، وأقسم سبحانه بها لما فيها من هذا النظام البديع

الدال على قدرة مدبرها، انظر شرح الآية (٤٠) من سورة يس صفحة ٥٨٢.

﴿عسعس﴾: أى أقبل ظلامه.

﴿نفس﴾: أصل التنفس إخراج النفس من الجوف فيستريح صاحبه، والمعنى أن أول النهار

كأنه شخص مهموم من ضغط الليل عليه، فإذا ذهب الليل تقبّس مسرورًا وأشرق وجهه،

والكلام كناية عن ظهور ضوئه.

﴿إنه﴾: أى القرآن ﴿لقول رسول... إلخ﴾: الرسول هنا جبريل عليه السلام، والمراد أنه

سبحانه إجراء على لسانه عند تبليغه لمحمد عليه الصلاة والسلام.

﴿أنى قوة﴾: تقدم فى الآية (٥) من سورة الإنجم صفحة ٧٠٠.

توبيخاً له. فيقول لها الله سبحانه وتعالى: بأى ذنب قتلتك والدك؟ وفى هذا تقرير لا تتحمله الحجارة الصلدة.

وقد بلغ من قوة قلوب بعض العرب فى الجاهلية أن أحدهم إذا بلغت ابنته السنة السادسة من عمرها يقول لأهلها لأزور معها أقاربها بعد أن يكون قد حضر بئراً فى الصحراء. فإذا بلغ البشر يقول للطنطة انظري ما فى هذا البشر فإذا نظرت دفنها من الخلف ثم يهيل عليها التراب حتى يسوى البشر بالأرض. ولا سبب لهذه الوحشية إلا خوف الفقر أو العار كما يزعمون، فانظر كيف حارب الإسلام ذلك فى مواضع من كتابه الكريم غير ما هنا مثل ما فى الآية (١٥١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩ والآية (٣١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٨ حتى تحولت تلك القلوب المتحجرة إلى قلوب إنسانية مرهفة مفعمة بالرحمة. يتقرب أصحابها إلى الله سبحانه بالإحسان إلى النبات وإجادة تربيتهن. وذلك بتوجيه الرسول الأكرم. فقد قال ﷺ: «مَنْ رَزَقَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بَشِيءَ فَاحْسَنِ إِلَيْهِنَّ وَأَجَادَ تَرْبِيَتَهُنَّ كُنْ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ» فشكرا لك يا رب على نعمة الإسلام.

وأرسالك رسولك الذى بعثته رحمة عمت الأطفال حتى الحيوانات. وإذا نشرت صفح الأعمال ورأى كل مكلف عمله، وكشطت السماء عن مكانها. وسعرت الجحيم. وقرت الجنة للميتين. عند ذلك تعلم كل نفس ما عملته لأنها تجده حاضراً.

ملاحظة: قال المرحوم الشيخ محمد عبده فى معنى «السماء كشطت» هنا: أنه سبحانه ذكر فى هذه السورة (١٢ حدثاً) من أحداث يوم القيامة ٦ منها مما يحدث بعد النفخة الأولى. التى يحصل بها خراب هذا العالم وآخرها ما فى الآية (٦). وذكر (٦١) مما يكون بعد النفخة الثانية التى بها يمث الأموات من القبور وآخرها ما فى الآية (١٣). انظر الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥.

ولما ذكر سبحانه «السماء كشطت»: وسط الأحداث التى تكون بعد النفخة الثانية فلا بد أن يكون لها معنى يناسب وضعها. وبما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فيحسن تفسير ما هنا بما جاء فى سياق ذكر تلك الأحداث من سورة «ق» صفحة ٦٩٠، ٦٩١ من أول الآية (٢٠) إلى (٣٥). فيكون كشط السماء هنا هو كشف الغطاء هناك، وذلك لأن من معانى السماء (السقف) كما فى الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥.

ومن شأن السقف أنه يحجب ما فوقه. ويكون المراد بالسماء هنا الغطاء الذى كان يحجب الإنسان عن حقيقة أعماله. ويكشفه يظهر لكل نفس عملها فتبصر ما حجبتها عنها الغفلة من تفصيل كل كبيرة وصغيرة منه. انتهى.

وقال صاحب تفسير «روح البيان» ما يفيد أن المراد من كشط السماء هنا لازمه. وهو ظهور ما وراءها من الجنة والعرش وغير ذلك مما كان محجوباً بها. فاختر لنفسك ما يروقها. والله تعالى أعلم بأسرار كتابه.

وبعد ما حذر سبحانه كمار مكة من أهوال يوم القيامة أقسم لهم أن ما جاء به النبي حق وأنه تلقاه من أمين الوحي جبريل عليه السلام فقال: فلا أقسم... إلخ. أى أقسم لكم قسماً مؤكداً بهذه الحجج التى تهدتون بها وهى تجرى على هذا النظام البديع. انظر الآية (٩٧) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨ والآية (٧٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧. وأقسم لكم بالليل إذا أظلم. وبالنهار إذا أضاء. وما فى ذلك من النعم عليكم كما فى الآيات (٧٣: ٧١) من سورة القصص صفحة ٥١٧.

أقسم لكم بكل ما تقدم أن ما يقوله النبي هو قول تلقاه بإذننا من جبريل رسول الوحي. الكريم علينا، صاحب قوة على تنفيذ ما يؤمر به. صاحب مكانة عند ربه. مطاع الكلمة فى الملأ الأعلى. أمين على كل ما يوكل إليه. وأقسم لكم أن محمداً الذى صاحبكم مدة طويلة. وعرفتم خلقه. ليس مجنوناً كما يفترى بعضكم. وأنه يعرف جبريل حق المعرفة فهو واثق بما يلقيه إليه.

ولقد رآه فى صور مختلفة حتى فى صورته الحقيقية سادا الأفق من عظمه. وأنه ﷺ ليس حريصاً على ما عنده من الغيب بخلا به. فيستحيل عليه أن يكتم عنكم منه شيئاً طمناً فى أخذ أجر منكم كما يفعل الكهان. وليس الذى جاء به رسولنا قول شيطان ملعون. كما يقول بعضهم.

وإذا كان الأمر كما ذكر فأى طريق تسلكونه بعبما أحاط بكم البرهان من جميع جهاتكم. واعلموا أن ما يتلوه رسولنا عليكم ليس إلا تذكيراً وعظة للمؤمنين. ثم بين من ينتفع من هؤلاء فقال تعالى: (لَمَنْ شَاءَ)... إلخ.

فيا أيها الإنسان ﴿: خطابه بهذا العنوان للإشارة إلى أنه عاقل مفكر فلا يليق به ما ذكر بعده. ﴿وما غرك ربك﴾... إلخ: المراد: أي شيء خدعك وجراك على عصبان ربيك.

﴿وقسواك﴾ أي سوى أعضائك وجعلها معدة لمنافعها.

﴿فعدلك﴾ أي جعلك معتدل القامة متناسب الخلق. لا كالحيوان الذي يمشي على وجهه.

﴿وفي أي صورة ما﴾... إلخ: حرفي: متعلق بـ ﴿ركبك﴾ و﴿فأى﴾ لإفادة التعميم في ﴿مصوره﴾ و﴿وما﴾ لإفادة تفخيم الصورة. والمراد: ركبك في صورة فخمة بديعة، اقتضتها مشيئته تعالى وفق حكمته من الصور المختلفة في الطول والقصر واللون ومراتب الحسن وغير ذلك.

﴿كلا﴾: حرف يفيد تنبيه السامع لأهمية ما يذكر بعده، انظر ما سبق شرحه في الآية

(٢٠) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩. ﴿ول﴾: حرف يفيد الانتقال من موضوع إلى موضوع.

﴿الدين﴾: أي الحساب والعزاء يوم القيامة، تقدم في الآية (٤) من سورة الفاتحة صفحة ٢.

﴿حافظين﴾: هم الملائكة الذين يحفظون العبد، أي يسجلون على العبد كل شيء عمله، ويكتبونه في صحيفة أعماله، انظر الآية (٨٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥.

المعنى: يقول سبحانه: إذا السماء انفطرت، أي تصدعت، وإذا الكواكب تناثرت، وإذا

البحار تصدعت حواجزها فاختلط حلوها بمالحها. وإذا القيور ظهرت ما في باطنها على ظهرها. إذا حصل كل هذا تعلم كل نفس عند الحساب ما قدمت وأخرت من عمل صالح وغيره. وبعد ما بين سبحانه ما سيكون يوم القيامة وجه الخطاب للإنسان الغافل عما فيه

الخطر فقال: يا أيها الإنسان... إلخ. أي يا أيها العاقل المفكر أي شيء خدعك وجراك على عصبان ربك الكريم الذي كان مقتضى كرمه أن تقابله بالشكر والطاعة. ولا عرضت نفسك لأشد العقوبات: لأن ربك كما أنه كريم فهو أيضاً عدل حكيم لا يسوي بين المؤمنين والكافر

والصالح والفاجر، انظر آيتي (٧٨، ٧٧) من سورة ص صفحة ٦٠٠ وآيتي (٣٦، ٣٥) من سورة القلم صفحة ٧٥٩. أي فكأن حق كرمه أن يبرزك عن عصبانته ويدعوك إلى المبالغة في طاعته. ربك الذي من آثار كرمه أنه جعل مخلوقاً سوياً. وبعد ذلك وفي أحسن صورة ركبك.

تبه أيها السامع وأعلم أن السبب الأصلي في إقرار الإنسان الجاهل أنه يكتب يوم الحساب والعزاء، والحال أنه عليكم أيها الناس ملائكة يحصون كل ما تعملون.

نَاءَ يَمْكُرُ أَنْ يُسَيِّئَ ۖ وَتَأْتَاهُنَّ الْأَنْبَاءُ
الْأَرْبُ التَّائِيَّةُ ۝

(٨٦) سُرَّةُ الْإِنْفَاتِكُمْ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

بِشَيْءٍ أَنْزَلْنَاهُ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَثَرَتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُيِّنَتْ ۖ هَبَّتْ نَفْسٌ مَقْدَمَتْ وَأُخِّرَتْ ۖ تَالِيَا
الْإِنْسَانَ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ
فَرَسَكَ فَمَدَّكَ ۖ فَبُذِيَ فِي صُورَةٍ مَائِيَّةٍ ۖ رَكِبَكَ
كَلَامًا بَلَّ كَلْبًا ۖ يَنْبُذُ الْبَرِّي ۖ وَإِنْ عَلَيْكَ لَحِيطٌ ۖ

المفردات: ﴿وما تشاؤون﴾: ﴿وما تشاؤون﴾... إلخ: تقدم

مثلها ومرجعها في شرح الآية (٣٠) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٣.

المعنى: إن هذا القرآن تذكير ينتفع به

من وجه إرادته لأن يستقيم على طريق الحق.

أما من صرف نفسه عن ذلك. ولم يرد إلا

الاعوجاج فإن القرآن لا يؤثر فيه لغفله عنه.

وما تشاؤون... إلخ: أي إن إرادتكم مخلوقة له

تعالى ولو شاء لسلبها وأجركم على الطاعة

فكنتم كالملائكة. لا تكليف ولا جنة ولا نار

إلى آخر ما سبقت الإشارة إليه في صفحة ٧٨٣.

سورة الانفطار

المفردات: ﴿وانفطرت﴾: أي انشقت انظر الآية (١٦) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢، والآية

(١) من سورة الإشراق صفحة ٧٩٩ ﴿فجبرت﴾: أي شقت جواربها فزال ما بين الملح والحو

من العواجز، انظر الآية (٥٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٦.

﴿بعثت﴾: يقول العرب: بعث فلان متاعه وبعث أي فرق ودد، والمراد بعث ما في جوفها.

أي خرج على ظهرها، انظر الآية (٩) من سورة العاديات صفحة ٨١٨.

﴿علمت نفس﴾: هذا هو جواب ﴿إذا﴾ انظر ما قبل في مثلها الآية (١٤) من سورة التكاوير

صفحة ٧٩٤.

﴿وما قدمت وأخرت﴾: تقدم في الآية (١٢) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩.

(٤) لحافظين.

(٣) مشواك.

(٢) الإنسان.

(١) المالمين.

المفردات: ﴿كَاذِبِينَ﴾: لكل صغيرة وكبيرة تصدر عنكم، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٧، ٣٨٨.

﴿الْأَبْرَارَ﴾: تقدم في الآية (٥) من سورة

الإنسان صفحة ٧٨١.

﴿الْفَجَارَ﴾: تقدم في الآية (٢٨) من سورة

ص صفحة ٦٠٠.

﴿يُصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: إذا رجعت لما

قيل في شرح الآية (٥٦) من سورة الواقعة

صفحة ٧١٦ تعلم أن المراد هنا بقوله تعالى

﴿يُصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ هو الحكم عليهم يوم

الدِّينِ.

﴿يُنَافِئِينَ﴾: الباء للنص على عموم نفى

ما بعدها عما قبلها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: تقدم المراد من ذلك في الآية (٣) من سورة الحاقة صفحة

٧٦١.

المعنى: أنه سبحانه جعل الملائكة مراقبين عباده يكتبون أعمالهم عن علم بكل ما يفعلون. وتكون نتيجة هذا التسجيل أن يظهر العباد قسمين: أبرار كثير خيرهم، وفجار كثير شرهم. فيدخل الأبرار دار النعيم، ويدخل الفجار دار العذاب المحرقة، يقاسون حرها يوم الحساب الذي كان كثير منهم يكذب به، ويهمل العمل الذي ينجيهم من هولاء. وما هم عن جهنم بغائبين. لحظة، بل هم خالدون فيها أبداً، ثم فخم سبحانه أمر ذلك اليوم فقال: وما أدراك ... إلخ، أي من الذي أعلمك أيها الإنسان حقيقة ما يجري في هذا اليوم وشدة هولاء. ثم أكد التهويل بقوله: وما أدراك ما يوم الدين. ثم بين شيئاً من هولاء فقال: (يوم لا تملك نفس) ... إلخ، أي

(٢) بنافئين.

(١) كاذبين.

كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٥﴾ يَتَلَقَّوْنَ مَا تَتْلُو ﴿١٦﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ الشَّارِكِيْنَ جَحِيمٍ ﴿١٨﴾ يُصَلُّونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٩﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢١﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٣﴾

(٢٣) سُبْحَانَ الْمَظْفُوفِ كَرِيمَةٍ
وَلَيْسَ الْهَائِلُ بِشَيْءٍ وَلَا الْإِلَهِ

إِنَّهَا أَزْوَاجُ الْحُسِيِّينَ

وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿٢٤﴾ الدِّينَ إِذَا اكْتُمِلُوا عَلَى النَّاسِ
بِمَنِّهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِهِمْ يُحْسِنُونَ ﴿٢٥﴾

اذكر أيها النبي لهم يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، أي فلا تعمل عنها دنياً ولا تخفف عذاباً، والأمر يومئذ لله وحده، لا ينازعه التصرف فيه منازع، نسأله تعالى السلامة في هذا اليوم.

سورة المطففين

المفردات: ﴿وَبَلِّغْ﴾: أي عذاب وهلاك، ﴿المطففين﴾: أصل المطفف هو الذي يأخذ الشيء الطفيف أي القليل التافه بغير حق.

﴿الذين إذا اكْتَالُوا...﴾: إلخ، صفة موضحة لحال المطففين الذين استحقوا به العذاب.

﴿اكتالوا على الناس﴾ تقول العرب: كُتِلْتُ فلاناً طعاماً وكُلتَ له طعاماً، كل منهما بمعنى أعطيته طعاماً مقدراً بالكيل، وتقول اكتلت عليه الطعام مثلاً أي أخذته منه مكيلاً، فكانت تقال في جانب المعطى، واكتال تقال في جانب الأخذ. ولما كان المطففون إذا كان لهم شيء عند الغير يعتقدون أنه حق لهم لذا قال: على الناس أي أخذوا الذي كان لهم على الناس، ولكنهم لا يشعرون بذلك إذا كان للغير حق عندهم، فاستحقوا بهذه التفرقة الهلاك والعذاب، وإذا توعد سبحانه بالهلاك من يأخذ حقه كاملاً ويعطى غيره ناقصاً فكيف يكون حال الذين إذا اكتالوا على الناس يأخذون أكثر من حقهم، وإذا كالوهم أنقصوهم. لا ريب سيكون عذابهم أشد ولهم ويلان. ويل على ما أخذوه أكثر من حقهم وويل على ما أنقصوه من حق غيرهم.

﴿يستوفون﴾: أي يأخذون حقهم كاملاً وأحياناً، ﴿كالوهم أو وزنوهم﴾: أي كالوا لهم أو وزنوا لهم، تقول العرب: وزن محمد خالداً الطعام أي أعطاه له مقدراً بالوزن، ويقولون: اتزن محمد الطعام من زيد أي أخذ منه مقدراً بالوزن، ﴿يخسرون﴾: أي يوقعونهم في الخسارة، والمراد: ينقصونهم حقهم، فكيف بمن هو أخسر حالاً من هؤلاء، ممن إذا أخذوا زادوا لأنفسهم، وإذا أعطوا أنقصوا حق الغير؟ أولئك لهم ويلان لا ويل واحد نسأل الله السلامة.

المعنى: هلاك وشقاء للمطففين الذين إذا كان لهم حق على الناس في شيء يكال أو يوزن وأرادوا أخذه منهم فإنهم لا يأخذونه إلا تاماً وأحياناً، وإن كان للناس عندهم حق في مكيل أو موزن أعطوهم إياه ناقصاً، وألقوا بهم الخسارة، واكتفى في مقام الاستيفاء بذكر الكيل لأنه لا شيء عليهم في الاستيفاء، فاكتفى بذكر نوع من المعاملة فيه، ولما كان الجرم إنما يقع منهم عندما يعطون غيرهم فإنه فصل فيه لأنه أشرع، فكانت يقول: كان الواجب عليهم ما داموا يحرصون على الاستيفاء أن يكونوا منصفين، فيوفوا غيرهم، لكنهم بلغ بهم من الجرم أنهم كانوا إذا كالوا للغير أو وزنوا له فإنهم يظلمونه، وهذا هو مجل الذم.

﴿مسجعين﴾: اسم للمصحف التي سجلت فيها أعمال الفجار، وهو لفظ يشعر بالتسفل. في حين أن مقابله الخاص بالأبرار يشعر بالعلو.

﴿وما أدراك﴾: تقدم المراد منه في الآية (٣) من سورة الحاقة صفحة ٧١١.

﴿كتاب مرقوم﴾: ﴿كتاب﴾: هنا من القسم الثالث فيما سبق شرحه.

﴿مرقوم﴾: المراد: معلم بعلامة تدل من براه من أول وهلة على أن ما فيه كله شر.

﴿ومتمد﴾: أي متجاوز حدود العقل والشرع.

﴿ثيم﴾: أي كثير الأثام، أي الذنوب.

﴿أساطير الأولين﴾: أي أكاذيب كما تقدم في الآية (٥) من سورة الأنعام صفحتي

١٦١، ١٦٠، والآية (٥) من سورة الفرقان صفحتي ٤٧٠، ٤٧١.

﴿كلا بل﴾: ﴿كلا﴾ هنا حرف يفيد الزجر عما قبله، و﴿بل﴾ حرف يفيد الانتقال من كلام

إلى آخر.

﴿إن﴾: أي غطى ومنع التيقظ لأسباب الهداية.

﴿كلا إنهم﴾: ﴿كلا﴾: مثل سابقتها.

﴿صالوا الجحيم﴾: أي داخلو جهنم.

﴿كلا إن﴾: ﴿كلا﴾: هنا مثل ما في الآية (٧) السابقة.

﴿كتاب الأبرار﴾: ﴿كتاب﴾: هنا من القسم الثاني فيما سبق شرحه، ﴿الأبرار﴾ تقدم في

الآية (٥) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١.

﴿عليين﴾: اسم للمصحف التي سجلت فيها أعمال الأبرار، وهو لفظ يدل على العلو

والشرف.

﴿وما أدراك﴾: تقدم المراد منه ﴿مرقوم﴾: المراد: معلم بما يدل على أن ما فيه خير

رفيع.

أَلَمْ يَلْمِزْ أَرْبَابَهُمْ بِمَا سَمِعُوا ۖ لَيْسَ عَلَيْهِمْ ۖ
يَوْمَ يَوْمِ الْقَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ لَبِئْسَ مَا يَحْكُمُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَحْكُمُ ۖ كَتَبَ
مَرْثُومٌ ۖ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ الْإِنشِ
يَكْفُرُونَ بِوَعْدِ اللَّهِ ۖ وَمَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا كُلُّ مُبْتَدِ
أُنْثَى ۖ أَفَأَنْتَ عَلَى بَيِّنَةٍ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ الْأَوَّلِينَ ۖ
كَلَّا بَلْ رَأَى عَنْ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ
كَلَّا إِسْمَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَسْمَعُوا ۖ ثُمَّ إِسْمَ
لَهُمْ أَلَّا يَحْكُمُ ۖ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَبِئْسَ مَا
يَحْكُمُونَ ۖ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَبِئْسَ مَا
يَحْكُمُونَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَحْكُمُونَ ۖ كَتَبَ مَرْثُومٌ ۖ يَتَّبِعُهُ
الْمُفْرِدُونَ ۖ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَبِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ ۖ عَلَى الْأَرْبَابِ

المفردات: ﴿ألا يظن﴾: ﴿ألا﴾: مركبة

من همزة الاستفهام المقصود بها التوبيخ

و﴿الناقية﴾: والمعنى هل لا يظن... إلخ.

﴿ليوم عظيم﴾: المراد لحساب يوم... إلخ.

﴿ليوم يقسموم الناس﴾: ﴿ليوم﴾: بدل من

﴿ليوم﴾ قبله باعتبار محله وهو النصب

﴿يقوم الناس﴾: أي من قبورهم للحساب

أمام رب العالمين.

﴿كلا﴾: حرف تنبيه مثل ما تقدم في

الآية (٩) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥.

﴿كتاب﴾: جاء لفظ كتاب في القرآن على

أربعة معان: أولها المصدر أي الكتابة وهي

ضم الحروف بعضها إلى بعض بالقلم كما في

الآية (٤٨) من سورة آل عمران صفحة (٧٠) والآية (٣) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١.

وثانيها: المكتوب في المصحف كما في الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١ والآية

(٣) من سورة البينة صفحة ٨١٦.

وثالثها: المصحف كما في الآية (٧٨) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧.

ورابعها: المصحف المكتوب فيها، كما في الآية (١٣) من سورة الإسراء صفحة ٣١١ والآية

(٢٩) من سورة التمل صفحة ٤٩٧. والمراد هنا: المعنى الثاني، أي المكتوب من أعمال

الفجار.

﴿الفجار﴾: تقدم في الآية (١٤) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٦.

- | | | | |
|---------------|-------------|--------------|------------|
| (١) العالمين. | (٢) كتاب. | (٣) أبرار. | (٤) كتاب. |
| (٥) أياتنا. | (٦) أساطير. | (٧) كتاب. | (٨) أرباب. |
| | | (٩) الأرباب. | |

﴿يشهده﴾: أى يحضر كتابته.

﴿المقربون﴾: أى الملائكة الذين لهم عند ربهم منزلة خاصة وشرف كبير والمقصود من ذلك تشريف الأبرار، انظر الآية (١٧٢) من سورة النساء صفحتى ١٣٢، ١٣٣ .

﴿الأرائك﴾: هى السرر، كما تقدم فى الآية (٢١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٥ .

المعنى: إن من يختلس أموال الناس لا يكون إلا شخصاً لا يظن أنه سيبيعت يوم القيامة ويحاسب. ولوطن لما فعل خوفاً من بعثه فى يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس لانتظار حكم رب العالمين وقضائه.. ولما كان العبد يعرض عليه كتابه فى الموقف نبه لخطر ذلك فقال: كلا... إلخ. أى تنبه أيها العبد فإن ما يكتب على كل فاجر من أعماله مسجل فى كتاب يسمى ﴿سجين﴾. ولا يوق أحد شر ذلك الكتاب. يعرف صاحبه خطره من أول نظرة إليه كما فى الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتى ٢٨٧، ٢٨٨. هلاك عظيم فى ذلك اليوم لكل من يكذب به. وما يكذب به إلا كل متجاوز حد العقل والشرع كثير الآثام بلغ من جرمه أنه إذا يتلى عليه القرآن يقول هذا من أكاذيب الأولين، وليس من عند الله. فلينزجر هؤلاء عن هذا الفحش فإن القرآن حق كالشمس. ولم يمنعهم عن الإيمان به شك فيه، بل الذى منعهم هو أعمالهم السيئة التى ظلمست كثرتها على قلوبهم فأعمتها عن نظر الحق، فلينزجروا فإنهم إن استمروا فسيحرمون من النظر إلى وجه رب كريم. وهذا هو أعلى نعيم فى الجنة كما فى شرح الآية (٢٦) من سورة يونس صفحة ٢٧٠ .

ثم إنهم لداخلون الجحيم يحرقون فيها. تقول لهم الملائكة تقريراً هذا العذاب الذى أنتم فيه هو ما كنتم فى الدنيا تكذبونه. تنهوا أيها الناس للفرق بين حال الفجار والأبرار. وأعلموا أن كتاب الأبرار لضى عليهم ولا يعرف شرف يعلو عليه، وهو كتاب معلم بما يدل على سعادة صاحبه، يحضر كتابته تشريفاً لصاحبه ملائكة مقربون عند الله تعالى.

وبعد ما بين حال كتاب الأبرار شوق سبحانه فى بيان محاسن أحوالهم فى الجنة فقال: إن الأبرار لضى نعيم متكئين على الأسرة كما يجلس الملوك.

يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَقَرًا نَارِيًّا ۝
يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي عَنَّمْ ۝ خَشِمَتْ رُءُوسُهُمْ فِي الْآثَانِ ۝
ذَلِكَ فَلْيَتَنَزَّلِ الْمُتَكَبِّرُونَ ۝ وَمَرَجَعُ الَّذِينَ
تَسْتَعِجُونَ ۝ عَنَّا يُثَرَّبُ بِهِ الْمُقَبَّرُونَ ۝ فَأَنذَرْتُ
أَنجَرًا ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ وَأَنذَرْتُ
مُرَايِمًا ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ فَأَنذَرْتُ
أَنظَرًا ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ فَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ۝ فَأَنذَرْتُ
نَقَالُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَطِيئَةً ۝
قَالَتِ الْيَهُودُ ۝ وَأَنذَرْنَا ۝ فَأَنذَرْنَا ۝ فَأَنذَرْنَا ۝
الْأَرَائِكِ ۝ يَنْظُرُونَ ۝ مَلَأَتْ تَوْبَةُ الْكَافِرِ أَكْثَرًا ۝
يَنْظُرُونَ ۝

المفردات: ﴿ينظرون﴾: أى إلى ما أعد لهم من النعيم.
﴿تعرف﴾: أى يا من تراهم فى ذلك الوقت.
﴿نضرة النعيم﴾: أى بهجة التمتع، انظر الآية (٢٢) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩ والآية (١١) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٢ .
﴿رحيقي﴾: اسم لأجود أنواع خمر الجنة.
﴿مختموم﴾: المراد مغلفة أو انية بغطاء كما هو شأن الشيء النفيس.
﴿ختمامه﴾: قال الراغب: أى خاتمة شربه تعطى رائحة المسك فى الطيب، والمراد: بيان كمال نفاسته. وإلا فما فى الجنة شيء لا يدرك أهل الدنيا حقيقته.

﴿وفى ذلك﴾: المشار إليه هو النعيم

السابق؛ والمراد: فى طريق الوصول إليه

يجب أن يتنافس... إلخ. ﴿يتنافس﴾: أى يتسابق فى الوصول إليه، ونظير ذلك ما فى الآية (٦١) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠. ﴿مزاجه﴾: أى ما يمزج به، انظر الآية (٥) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١. ﴿تسليم﴾: أى ماء يأتى من مكان مرتفع. ﴿عينا﴾: تفسير للتسليم. والأصل: أريد بالتسليم عينا... إلخ. فكان عينا بيان للتسليم. ﴿يشرب بها﴾: المراد: يرتون بسببها، انظر الآية (٦) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١. ﴿الذين أجروا﴾: المراد بهم بعض صناديد الكفر كابى جهل، والوليد بن المغيرة. ﴿الذين آمنوا﴾: المراد بهم فقراء المؤمنين كبلال، وعمار بن ياسر. ﴿يتغامزون﴾: أى يفتخر بعضهم بعضاً، ويشيرون إليهم بالجفن والحابج استهزاء. ﴿انقلبوا﴾: أى رجع هؤلاء المجرمون... إلخ. ﴿فكهيئ﴾: أى متلذذين باستهزائهم بالمؤمنين، انظر الآيات (١٠٨: ١١١) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥. ﴿هؤلاء﴾: أى المؤمنين مطلقاً.

- | | |
|--------------|-----------------|
| (١) ختامه. | (٢) المتنافسون. |
| (٤) حافظين | (٥) آمنوا. |
| (٦) الأرائك. | (٣) آمنوا |

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المغفرات: ﴿انْشَقَّتْ﴾: انظر الآية (٢٥)

من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢ والآية (١)

من سورة انفطار صفحة ٧٩٥.

﴿أَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾: تقول العرب: أذن فلان

لفلان، بوزن علم إذا سمع كلامه وانقاد له.

والمراد: حصل ما أراده سبحانه منها من

الانشقاق، نظير ما في الآية (١١) من سورة

فصلت صفحات ١٢٠، ١٢١.

﴿وَحَقَّتْ﴾: أي حق لها أن تمتثل لأنها في

قبضة قدرته سبحانه وتعالى.

﴿وَمَدَّتْ﴾: المراد أنها بعد دكها كما في الآية (١٤) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢ وذهب

جبالها، تمتد كما يمد الجلد، فتنفذ جميع ما في جوفها إلى الخارج ولهذا

قال سبحانه بعده ﴿وَوَالَّتْ مَا فِيهَا﴾: أي خلت خلواً تماماً مما كان في جوفها.

﴿وَكَادَحَ إِلَى رَبِّكَ﴾: يقول العرب: كدح فلان بوزن قطع، إذا سعى بجهد واجتهاد، والمراد: إنك

سارع بجهد في أعمالك سائر إلى لقاء ربك بالموت.

﴿وَفَمَلَاكِيهِ﴾: الملاك ضمير يعود على الكدح المفهوم من (كادح)، والمراد: فملاق جزاء

كدحك، أي عمالك من خير، أو شر. ﴿فَيُثْقَلُ﴾: أي يرجع. ﴿وَالْمُرَادُ﴾: من يسره

وجودهم معه في الجنة، انظر ما قبل في الآية (١٩) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.

﴿فَوَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: المراد: يأخذه يشماله من وراء ظهره، انظر الآية (٢٥) من سورة الحاقة

صفحة ٧١٢، والكلام يشعر بكرهته لتناوله لأنه حجة عليه.

(٤) يدعو.

(٤، ١٣) كتابه.

(٢) فملاكيه.

(١) الإنسان.

﴿فَضَالُونَ﴾: أي يبعدون عما كان عليه الآباء والأجداد. ﴿فَوَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: جملة حالية

من ضمير. ﴿فَوَقَالُوا﴾: فحافظين. أي موكلين بهم، محكمين في تصرفاتهم.

﴿فَوَالْيَوْمِ﴾: أي يوم القيامة، وبعد دخول المؤمنين الجنة. ﴿فَوَعَلَىٰ أَرَاتِكَ يَنْظُرُونَ﴾: أي

متكئون على السرر ينظرون إلى صنع الله بمن كان يستهزئ بهم.

﴿وَمَلْ ثَوْبَ الْكِفَارِ﴾: إلخ. التثريب المجازاة، يقال ثوبه بتشديد الواو، وثأبه أي جازاه.

واشتهر في المجازاة بالخير. ويكون استعمله في مجازاة الكفار على سبيل التهكم كما في

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية (٢١) من سورة آل عمران صفحة ٦١. والجملة الاستهلامية

مستبقة بقول مقدر وقع حالا من ضمير ﴿يَنْظُرُونَ﴾ والأصل يجلسون على الأرائك في حال

قوله تعالى لهم لزيادة سرورهم: هل جازينا أعداءكم بما كانوا يفعلون بكم؟

المعنى: إن الأبرار يجلسون على الأرائك إلى نعيم الجنة. تعرف في وجوههم بهجة النعيم

يا من تراهم في ذلك اليوم. يسبقهم الخدم خمرًا مختومًا على أئنتها بالمسك. وفي طريق

هذا النعيم العظيم ينبغي أن يتسابق المتسابقون وما يبرز به هذا الخمر هو ماء عين في

مكان عال شريفًا لها، يشرب منها المقربون من ربهم. وعندما بين سبحانه ما أعد للنجار في

الآخرة. وما أعد للمتقين. أراد أن يبين ما حصل من الفجار في الدنيا بالنسبة للمتقين. وما

سيجازون به على عملهم هذا.

فقال تعالى: إن الذين أجروا، أي من صناديد كفار قريش وأغنيائهم كانوا يضجعون

من حال الفقراء الذين آمنوا استهزاء بهم. وإذا مر هؤلاء المجرمون بالفقراء المؤمنين يغمز

بعضهم بعضًا ويشيرون بأعينهم إليهم احتقارًا لهم، وإذا رجح هؤلاء المجرمون إلى بيوتهم

تفككوا بحكاية ما يعيرون به المؤمنين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء الذين تبعوا محمدًا

لأنهم تركوا دين آبائهم. يقولون ذلك والحال أن الله تعالى لم يرسلهم مراقبين لحال

المؤمنين ويعلمون بصحة أعمالهم أو عدمها: لأن هذا من وظائف الرسل. هذا ما كان منهم

في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة صلب الدين آمنوا يضجعون من الكفار حين يرونهم أذلاء

مغالين في السلاسل يسحبون إلى جهنم. يضحك الذين آمنوا وهم جالسون على الأرائك

كالملوك ينظرون إلى صنع الله بمن كان يستهزئ بهم. في حال قوله تعالى لهم لزيادة سرورهم

هل جازينا هؤلاء الكفار بما كانوا يفعلونه معكم؟ الجواب: نعم يا ربنا. صدق وعيدك، فالك

الحمد والشكر العزيز.

المفردات: ﴿لن يحور﴾: أى لن يرجع إلى الله للحساب يوم القيامة.

﴿بلى﴾: حرف يفيد إبطال المظنون قبله.

وإثبات نقيضه، أى لا بد أن يرجع، انظر

تفصيل ذلك فى شرح الآية (١٧٢) من سورة

الأعراف، صفحة ٢٢١.

﴿فلا أقسم﴾: انظر شرح الآية (٧٥) من

سورة الواقعة، صفحة ٧١٧.

﴿بالشفق﴾: هو الحمصرة التى ترى فى

الأفق بعد غروب الشمس.

﴿وما أوسق﴾: (ما) اسم بمعنى الذى.

و(وسق) أى جمع، والمعنى: وكل الذى جمعه

اللبل وستره فى ظلامه.

﴿أتسوق﴾: أى تم نوره، ويكون ذلك فى ثلاث ليال، تبتدئ من ليلة ١٢ من كل شهر قمري.

﴿لتركبن﴾: المراد بالركوب هنا: الملاقاة، أى لتلاقين.

﴿طابقا عن طابق﴾: الطابق فى الأصل ما يطابق غيره مطلقاً، والمراد هنا الحالة التى

يطابق غيرها فى الشدة من موت بعد حياة، ثم حياة فى الآخرة، ثم سوق إلى المعحشر، ثم

وقوف للحساب إلى آخر ما سيكون مما لا يعلمه غيره سبحانه، و(عن) بمعنى (بعد) أى حالة

بعد، حالة، تقول العرب: فلان عظيم أباً عن جد، أى بعد جد.

﴿يودعون﴾: المراد: يهبطون ويضمرون فى صدورهم ضد الإسلام ورسوله ﷺ.

﴿فنبشروهم بعذاب﴾: المراد: أخبرهم معذباً لهم، وعبر بالشارة تهنئاً بهم، انظر الآية

(٢١) من سورة آل عمران، صفحة ٦٦ والآية (١٢٨) من سورة النساء، صفحة ١٢٦.

﴿غدير ممنون﴾: تقدم شرحه فى الآية (٨) من سورة فصلت، صفحة ٦٢٠.

(١) الليل. (٢) القوان. (٣) منوا. (٤) الصالحات.

﴿يدعو﴾: أى يطلب، ﴿ثبورا﴾: أى هلاكاً ليستريح، انظر الآية (١٣) من سورة الفرقان

صفحة ٤٧١، والآية (٤٠) من سورة النبا، صفحة ٧٨٨.

﴿يصلى سعيراً﴾: أى يدخل ناراً مستعرة، ﴿مسروراً﴾: أى غارقاً فى سروره بالشهوات،

حتى نسي ما أعد للعاقبين.

﴿ظن أن﴾: (أن) هذه كالتى تقدمت فى الآية (٢٠) من سورة المزمل، صفحتى ٧٧٤.

المعنى: أراد سبحانه أن يصور للمشركين هول يوم القيامة وما سيلاقيه الكافر والمؤمن

لعلهم يتعظون فقال: (إذا السماء) .. إلخ. أى إذا السماء تصدعت واختل نظامها وانتقدت لتأثير

قدرة ربها، وهى حقيقة أى جدية بالانقياد: لأن قدرة الرب لا يتعاصى عليها شئ.

وإذا الأرض مدت وقل فخنها وطرح ما فى جوفها وتخلت عنه فأصبح على ظهرها

وانتقدت لتنفيذ قدرة ربها وحق لها ذلك. إذا حصل كل هذا تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت،

كما تقدم فى الآية (٥) من سورة الإنفطار، صفحة ٧٩٥. ثم أراد سبحانه أن يوقظ الإنسان من

غفلته عما سيلاقيه فقال: (يا أيها الإنسان) .. إلخ. أى يا أيها الإنسان الذى من شأنه كثرة

الغفلة عن نهايته تنبه إلى أنك لست بخالد فيما أنت فيه، بل أنت مسرع إلى الموت، فكل

خطوة تخطوها فى عمالك هى خطوة إلى نهاية أجلك. ثم تلاقى بعد ذلك جزء عمك خيراً أو

شراً. وأول علامات ذلك أخذك كتاب أعمالك، فمن أخذه وهو مقبل عليه بيمينه فسوف

يحاسبه ربه حساباً سهلاً، ويرجع إلى من يسره رؤيتهم فرحاً بالنجاة من العذاب والنور

بالسماعة، والذى يأخذ كتابه بشماله كارهاً له مديراً عنه فإنه يتمنى الهلاك ليستريح،

وسيقاسى حر نار شديدة؛ لأنه كان فى الدنيا بين أهله مسروراً بما هو فيه غارقاً فى الشهوات

لا يراقب ربا ولا يخاف حساباً. وظاهر الكلام يفيد أن المذكور فى القسم الأول إنما هم

المؤمنون الكاملون الذين غلبت حسناتهم سيئاتهم كما فى الآية (٦) من سورة القارعة، صفحة

٨١٩. والقسم الثانى هم الكافرون، وأنه لم يتعرض للعصاة الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم

فى هذا المقام؛ لأن لهم أحوالاً خاصة فإنهم بعد الحساب يعذبون على قدر ذنوبهم، ثم

يخرجون من النار إلى الجنة، انظر الآية (١٠٥) وما بعدها من سورة هود، صفحتى ٢٩٩، ٣٠٠.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وَكَمَدُ ﴿١﴾ بِلِ الدِّينِ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ
مِنْ ذَوِّ أَرْوَاحٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٣﴾ بَلْ هُوَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾
فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٥﴾

(٨١) سُورَةُ الطَّارِقِ بَيِّنَةٌ

لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا عَاتِقٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنْهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا أَكْرَمُ قُوَّةً وَلَا

المفردات: ﴿هَمْزٌ﴾ هم يقوم نبي الله
صالح عليه السلام. انظر الآية (٦١) وما
بعدها من سورة هود صفحتي ٢٩٢، ٢٩٤.

﴿بَلْ﴾: حرف يدل على إبطال أسباب
تكذيبهم. وإثبات ما هو حق.

﴿مَجِيدٌ﴾: أي شريف رفيع المنزلة.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: أي محفوظ من كل

ما يمس قدسيته، وهو المشار إليه في

الآيات (٣٩) من سورة الرعد صفحتي ٣٢٨

و (٧٨) من سورة الواقعة صفحتي ٧١٧ و (١٣)،

(١٤) من سورة عيس صفحتي ٧٩٢.

المعنى هل أتاك أي النبي خبر ما حصل

لنمن جنودا أنفسهم لمحاربة رسلنا وهم

جنود فرعون وثمود. وكلهم أشد قوة من

كفار قومك. ومع ذلك أهلكهم الله ونصر

رسله. فهل اعتبر بذلك مكة؟ كلا بل لجوا في الغناد حتى غرقوا في لجة تكذيب كل ما

جاء به رسولنا. وبذلك لن يفلتوا من العقاب. لأن الله تعالى محيط بهم يعلمه وقدرته.

وتكذيبهم القرآن بقولهم عنه أنه أساطير الأولين سفه وحماقة منهم، بل هو قرآن شريف كريم

في لوح محفوظ من كل ما ليس صدقه وشرفة.

﴿سُورَةُ الطَّارِقِ﴾

المفردات: ﴿الطَّارِقُ﴾: هو اسم لكل ما يطرق أي يأتي ليلا. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾:
انظر معنى هذا التركيب والمراد منه في الآية (٣) من سورة العنقا صفحتي ٧٦١. ﴿النَّجْمُ
الثَّاقِبُ﴾: الذي يثقب بقوته ظلمة الليل. ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا عَاتِقٌ﴾: وهذا
أول جواب القسم ﴿لَمَّا عَلَيْهَا﴾: (لما) حرف بمعنى (إلا) الاستثنائية كما تقدم في الآية (١١١)
من سورة هود صفحتي ٣٠٠. ﴿حَافِظٌ﴾: المراد به هنا جنود من جنود الله كالملائكة يحفظون

- (١) دراهم. (٢) قرآن. (٣) أدراك. (٤) الإنسان. (٥) التراب. (٦) السرائر.

﴿الودود﴾: شديد المحبة لمن أطاعه. ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: انظر شرح الآية (٩) من سورة طه
صفحتي ٤٠٦. ﴿الْجَنُودُ﴾: المراد: الجماعات التي جندت أنفسها لمحاربة رسل الله.
﴿فَرْعُونَ﴾: بدل من الجنود على حذف المضاف. والأصل جنود فرعون وثمود.

المعنى: يقول سبحانه: أقسم بما تقدم و بكل رسول يشهد على أميته يوم القيامة وبألم
المشهود عليها. وفي هذا تحذير لكفار قريش من هذا اليوم. أقسم بكل ما ذكر أنه سجل
اللغة على أصحاب الأخدود. وهم قوم كفار كانوا يبعض بلاد اليمز. وكان بجوارهم نصاري
نجران عندما كان دينهم على التوحيد الخالي مما حدث في النصرانية بعد البعثة المحمدية.

فأراد الكفار إرغام نصاري نجران على ترك دينهم الحق. فلم يقبلوا. فحلفوا لهم خنادق في
الأرض. وملئوها بالوقود وأضرموا فيها النار. وصاروا يأتون بالمؤمن أو المؤمنة ويقولون إما

أن ترجع أي إلى الوثنية وإما أن تطرحك في النار. فكان المؤمنون يفضلون النار على الكفر.

فكانوا يرمونهم فيها. وهم جلوس حولها. وهم مع ما يفضله أتباعهم بالمؤمنين من التعذيب

الشنيع حاضرون يشاهدون. ولا تتحرك قلوبهم شفقة على المساكين المعذبين تمكن القسوة

منها. وليس للمؤمنين عيب عندهم يقتضي هذا التعذيب إلا أنهم آمنوا بالله الغالب الذي لا

يفلتون من عقابه. المحمود على كل حال. ثم بين سبحانه أنهم لن يفلتوا من عقابه بقوله: الذي

له ملك السموات والأرض. أي فلن يخرج شيء من سطوته. وهو شاهد على كل شيء. فلا

يغضى عليه شيء من أعمالهم. ثم بين سبحانه حكمه العام في كل من يفعل مثل ما ذكر فقال

تعالى: إن الذين... إلخ. أي إن كل ما يعذب مؤمنا أو مؤمنة ليرده عن دينه وفيهم كفار مكة

الذين عذبوا آل ياسر وصهيب وبلال وغيرهم. ثم لم يتوينا من جرهم هذا فلم يعذب عذاب جهنم

بكل أنواعه. ولهم على الخصوص عذاب اللهب المحرق. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

فلم يعذب عذاب جهنم. ذلك التيميم هو الثور الكبير. ثم هدد سبحانه

كفار مكة مخاطباً رسوله ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ (إن بطن ربك لشديد) شدة في منتهى الخطورة. ثم

برهن سبحانه على سعة قدرته فقال: (إنه هو يبدي). إلخ. أي أنه هو الذي يبدأ الخلق ثم

يعيده يوم القيامة للحساب والجزاء. وهو واسع المغفرة لمن رجع إليه بالتوبة كما في الآية

(٨٧) من سورة طه صفحتي ٤١٣. وهو سبحانه قوي المحبة لمن أخلص له العمل. ومن آثار

محبه كثيرة إحسانه. وهو سبحانه صاحب العرش العظيم. وهو فعال لكل ما يريد. لا يعجزه

شيء. ثم بين بعض ما يدل على شدة بطشه وأنه فعال لما يريد فقال: (هل أتاك). إلخ. أي

هل بلغك أيها النبي قصص أولئك الجنود الأشداء الأقوياء من جنود فرعون... إلخ.

وهو الرسالة مؤكداً له بالتسم على صدق القرآن الذي جاء به خاتم الرسل، فقال تعالى: (والسماء ذات). إلخ. فاقسم سبحانه بالسماء التي تفيض عليهم بمائها والأرض التي تخرج لهم معاشهم. وأيضاً في الماء الذي منه كل شيء حتى إشارة إلى حياة الإنسان الأولى. انظر الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، صفحة ٤٢٢. وفي خروج الثبات من الأرض إشارة إلى خروج الموتى من القبور يوم القيامة. فيكون القسم على صحة الرسالة متضمناً تنبيه الأذهان إلى دليل من أدلة البعث جاء التصريح به في مواضع أخرى منها ما في الآية (٣٩) من سورة فصلت صفحة ٦٢٥ والآية (٩) وما بعدها من سورة ق، صفحة ٦٨٩. أقسم سبحانه بما تقدم على أن القرآن قول فاصل بين الحق والباطل، وليس فيه شيء من رائحة الهزل والباس. بل كما جدد، فمن حقه قطعاً أن تخضع له الجباه، ويهتدي به الطفاة، ويعد ما بين سبحانه أركان عقائد الإسلام الثلاثة، وهي الألوهية والبعث والرسالة، شرع في بيان حال الكفار فقال تعالى: إنهم.. إلخ. أي أن كمار قومك أنها النبي يكيدون لك وللإسلام كيذاً عظيماً وأنا أمكر بهم مكرًا لا يشعرون به وإذا كان كيدى أقوى فلا تشغل نفسك بهم، وانتظر قليلاً حتى أمرك بقتلهم. وهناك ستكون الخسارة عليهم والنصر لك. والله تعالى أعلم.

﴿سورة الأعلى﴾

المفردات: ﴿الأعلى﴾: أي البالغ النهاية في العلو والرفعة.

﴿فسوى﴾: أي جعل المخلوق مهياً لما أعده له.

﴿قدر﴾: أي كل شيء بقدر معين يصلح به حاله. انظر الآية (٤٩) من سورة القمر، صفحة ٧٠٨.

﴿فهدى﴾: أي وجه سبحانه كل مخلوق إلى ما ينبغي له، انظر الآية (٥٠) من سورة طه،

صفحتي ٤٠٩، ٤١٠.

﴿المرعى﴾: هو ما يربعه الدواب. ﴿غشاء﴾: أي يابساً. ﴿أحوى﴾: أي مثللاً للسواد.

﴿ستترك﴾: قال الزمخشري: إن السنين إذا دخلت على فعل محبوب أفادت أنه واقع لا محالة، وبيان ذلك أن من معانيها إفادة الوعد بحصول الفعل المذكور بعدها، ودخولها على ما

يفيد الوعد يقتضى تأكيده، وتثبتت منه خصوصاً إذا كان الوعد صادراً عن القادر الذي لا يختلف الميعاد، ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ في الآية (١٣٧) من سورة البقرة، صفحة ٢٦.

﴿فيسكبهم الله﴾: وفي الآية (٧٦) من سورة التوبة، صفحة ٢٥٢.

﴿وأولئك سيرحهم الله﴾: فهذا يدل على أن كناية الله ورحمته حاصلاً بلا شك.

المعنى: نزه أنها النبي كل ما يدل على ذات ربك البالغ النهاية في العلو والترفع عن كل ما يليق بجلاله من الشبه بالمتخالفات في ذاته أو صفاته. ربك الذي خلق كل شيء فجعله مهياً لما خاف لأجله والذي قدر الأشياء بتقدير محكم فيسخي كلا منها إما أعد له. وهو الذي أخرج المرعى لأنعامهم، فجعله بعد خضرته يابساً غير يتكسر فيكون هشياً فتراباً كما كان. وفي ذلك إشارة إلى أن زخرف الدنيا سروع الزوال، انظر الآية (٢٤) من سورة يونس، صفحتي ٢٦٩، ٢٧٠. والآية (٤٥) من سورة الكهف، صفحة ٢٨٧. ويعد ما أمر سبحانه نبيه بأن ينزه كل ما يتصل به سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لتعلم منه أمته. شرع في وعده بأنه سيقترنه القرآن الذي فيه كمال تنزيهه تعالى وما يجب أن يعرف من صفاته. كما وعده بأنه لن ينسى منه شيئاً أبداً، فقال تعالى: (ستترك).. إلخ. أي ستترك ما نوحى به إليك على لسان جبريل وعندك بأن نفعناه لك في قلبك، فلا تنسى منه شيئاً أبداً. ولما كان الوعد السابق بعدم النسيان جاء بأسلوب التأكيد القاطع، وذلك ربما يوم أنه سبحانه لا يقدر على غير، أراد سبحانه أن قدرته لا يقف في طريقها شيء من المعوقات. وأن ما وعد به نبيه ﷺ إنما هو فضل صدر منه سبحانه بمحض اختياره، لكل هذا قال، إلا ما شاء الله. والمراد أنه إذا أراد أن ينميك أيها النبي ما وهبه لك فإنه لا يمنع من ذلك مانع. أي فكن دائم المراقبة لربك قائماً بواجب شكره، انظر نظير ذلك في آيتي (٨٧، ٨٦) من سورة الإسراء، صفحة ٢٧٦. ثم تم ما سبق بقوله تعالى: (إنه يعلم الجهر).. إلخ. أي أن الذي وعدك بما تقدم وفي قدرته أن يفعل ما يشاء عالم بجهرك وسرك. فلا يخفى عليه شيء من أحوالك وخطرات قلبك. وبفضل بك ما يناسب ما عندك. فاحضرن على رضى الله تعالى يوف لك ما وعد. ثم طمأنه ﷺ بأنه سيوفقه للشريعة السمحة فقال تعالى: (ونيسرك).. إلخ.

المفردات: «عاملة»: قيل: مستمرة في جهد ومشقة؛ لا ترى راحة أبداً. والله أعلم بحقيقة هذا العمل، وقد يكون منه ما في الآية (٧١) من سورة غافر صفحة ٦٢٧ والآية (٤٨) من سورة القمر صفحة ٧٠٨ والآية (٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١.

«ناصبة»: أي متصفة بالنصب يفتح النون والصاد، وهو التعب من كثرة العمل، يقال: نصب فلان بكسر الصاد، ينصب يشتحها نصباً يفتحها أيضاً، إذا عمل حتى تعب النظر قوله تعالى: «فانصب» الآية (٧) من سورة الشرح صفحة ٨١٣ مع الآية (٤٨) من سورة الحجر صفحة ٣٤١. وهذا مبدأ

جملة أخرى، والأصل: هي عاملة ناصبة أي في الدنيا؛ والمعنى أن خشوعها وذلها سببه أنه ظهر لها أنها كانت جادة في العمل في الدنيا بلا فائدة، فيزداد ألمها، وأما الوجه المؤمنة فإنه يظهر لها أن سعيها في الدنيا كان سبب خير لها، فهي له راضية كما سيأتي.

«تصلى ناراً»: تقاسى حرها. «فانية»: شديدة الحرارة، انظر الآية (٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١. «ضرب»: هو اسم لنوع من الشوك ترعاه الأبل إذا لم تجد غيره، لا يكسبها لحماً ولا شعماً، والمراد هنا طعام رديء لا يعلم مقدار رذائته إلا الله سبحانه وتعالى.

«ناعمة»: المراد: مستنمة في بهجة وحسن، انظر الآية (٢٤) من سورة المطففين صفحة ٧٩٨. «لسعيا راضية»: اللام بمعنى الباء، أي راضية بما عملت في الدنيا عندما ترى ثوابه.

«لاغية»: أي نفساً تقول لغوا، كما تقول سمعت المقرئ تريد قرأته؛ لأن كلام أهل الجلة الحمد والتسبيح والتسليم، انظر آيتي (٣٦، ٢٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤، وانظر وزن

(١) لية. (٢) لاغية. (٣) مسيطر.

فالمعنى هنا فذكر في المجال الذي تنفع فيه الذكرى، فسيتعظ من فيه استعداداً للخوف من الله تعالى. ويهمل الذكرى أشد الناس شقاءً وهو الكافر بريء، وسيدخل نار جهنم التي لا تغد نار الدنيا بجانبها شيئاً، ثم يبقى في عذابها لاميتها فيستريح ولا حياً حياة طيبة، انظر الآية (٣٦) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦، وبعدما نعود سبحانه الأشقياء أراد تعالى أن يبين مآل أهل الغشبية فقال: قد أفلح... إلخ، أي قد فاز بالسعادتين من طهر نفسه من خيائث الكفر والمعاصي، وتذكر ربه دائماً في كل أعماله وانقاد لأوامره وخشع لهيبته، ومن مظاهر ذلك الصلاة وما فيها. وبعد كل هذا فهل أنتم أيها السامعون لهذا الإرشاد عاملون به؟ كلا بل أنتم في غالبكم تتصلون بخارف الحياة الدنيا والعمال أن نعيم الآخرة أفضل وأدوم. ثم أراد سبحانه أن يؤيد الحق الذي جاء به ﷺ بأنه هو بعينه الذي جاء به إبراهيم وموسى، وإنما خضعهما عليهما السلام بالذكر دون باقي الرسل لأن إبراهيم عليه السلام صاحب ملة خالدة وإمام للناس، انظر الآية (١٢٤) من سورة البقرة صفحة ٢٤ والآية (١٣٠) من نفس السورة صفحة ٢٥ والآية (١٢٥) من سورة النساء صفحة ١٢٣، والآية (١٢٦) من سورة النحل صفحة ٢٦٣، وموسى صاحب شريعة كما أن خاتم الرسل ﷺ صاحب شريعة وموسى أيضاً صاحب كتاب جاء مقترناً بالقرآن في مواضع عدة، انظر آيتي (٩٢، ٩١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧ وآيتي (٤٩، ٤٨) من سورة القصص صفحة ٥١٣ والآية (٣٠) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١.

«سورة الفاتحة»

المفردات: «هل أنال»: انظر شرح الآية (٩) من سورة طه صفحة ٤٠٦.

«الفاشية»: هي الداهية التي تقش الناس، أي تعمدهم بأهوالها، والمراد بها: القيامة.

«وجوه»: المراد بالوجوه أصحابها كما يدل عليه ما سيأتي خصوصاً الآية (٩).

«فاشمة»: أي ظاهرها الظل والغزى؛ لأنها أدركت بطلان أعمالها في الدنيا.

المعنى: هل سمعت أيها النبي قصة يوم القيامة وما يقع فيه من الأهوال التي تعمّر الناس؟ في هذا اليوم يتقسم الناس إلى فريقين: فريق يظهر على وجوههم الظل والغزى لأنهم يعلمون أنهم من أصحاب النار، وفريق المؤمنين مسرورون كما سيأتي. نسأل الله تعالى

السلامة.

﴿لَمَّا﴾: أصل (للم) الجمع بين الأشياء المشتقة ووصف به الأكل للمبالغة في الشر والذي يعمهم عن التفرقة بين حلاله وحرامه. ﴿جماعاً﴾: أى كثيراً. والمراد مع حرص وشرة.

﴿كَلَّا﴾: أى ارتدعوا عن هذا العيب. ﴿دكت الأرض﴾: تقدم في الآية (١٤) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢. ﴿دكا دكاً﴾: المراد: دكا متتابعاً. يستوعبها. ولا يبقى منها شيئاً: كما تقول علمته الحساب باباً باباً أى كله. ﴿وجاء ربك﴾: علماء الخلف يرجعون مثل هذا إلى نظيره في الآية (٩٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨ والآية (٣٢) من سورة النحل صفحة ٣٤٩. فيقولون: جاء أمره بدعوة الخلق للحساب. وعلماء السلف يقولون: جاء مجيئاً تؤمن به ولا نبحث عن حقيقته. ونؤمن بأنه سبحانه ليس كمثله شيء من خلقه. ويقولون: إنما الذي يهمنا علمه من هذا الكلام هو أن سلطانه سبحانه سيكون هو المتحكم في هذا اليوم.

﴿والمملك﴾: المراد به: جنس الملك. فيشمل جميع الملائكة. ﴿صفوا صفوا﴾: المراد: مصطفين استعداداً لتلقى أوامر الملك القهار. ﴿ووجىء يومئذ يجهنم﴾: المراد: برزت وظهرت. انظر الآية (٩١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥ والآية (٣٦) من سورة النازعات صفحة ٧٨٠.

﴿يذكر الإنسان﴾: أى يتعظ عندما يرى قبح أعماله. ﴿وأنى له الذكرى﴾: (أنى) اسم استهتام تعيد معنى من أين. والمراد من الاستهتام هنا النفى، والذكرى: العظة والعبرة انظر الآية (٣٧) من سورة ق صفحة ٦٩١ والمعنى: ومن أين له الذكر الآن، أى لا ينفعه.

﴿لحياتى﴾: أى لأجل حياتى الخالدة. ﴿لا يعذب عذابه أحد﴾: أى لا يعذب أحد تعذيباً مثل تعذيب الله في الشدة لهؤلاء الطغاة. ﴿ولا يوق﴾: أى لا يربط بالسلاسل والأغلال.

﴿وثاقه﴾: الوثاق يطلق على الرباط الذي يوثق أى يربط به كَمَا فِي الآية (٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٢. ويطلق على الإيثاق بمعنى الربط كما هنا فالمراد لا يربط أحد مثل ربط الله لهؤلاء في القوة. ﴿المطمئنت﴾: أى يذكر الله تعالى. الراضية بقضائه سبحانه، انظر الآية (٢٨) من سورة البرعد. صفحات ٣٢٥، ٣٢٦.

﴿أرجسى إلى ربك﴾: أى إلى دار كرامته تعالى فهو نظير ما في الآية (٥٥) من سورة القمر صفحة ٧٠٨. ﴿راضية﴾: أى بما نالت، ﴿مرضية﴾: أى عنده تعالى. ﴿فادخلنى فى عبادى﴾: المراد: وقد جعلتك فى زمرة عبادى المقربين.

المعنى: ومن طبع بعض أفراد الإنسان أنه إذا امتحنه ربه بإعطائه ما يجب ليظهر هل يشكر ويعطف، على الضعفاء أم يجحد الفضل ويبدل، فإنه لا يلتفت لذلك بل بدل أن يشكر

يتبجح ويقول: ما أعطانى الله هذا إلا لأنى أستحق الكرامة عنده. ومن كان كذلك لا يهमे شيء. ولا يعاب عليه عمل. ويجهل أنه سبحانه قد يفتق الخير على كافر فتنة له لا لكرامته عنده. انظر شرح الآية (٣٢) وما بعدها من سورة الزخرف صفحات ٦٥٠، ٦٥١. وآيتى (٣٥)، (٣٦) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨. وأنه إذا امتحنه بتضييق الرزق ليظهر قوة صبره فإنه يفعل ذلك أيضاً ويظن أن ما حصل إنما هو إهانة منه تعالى له. فيستغضب على القضاء ويستولى عليه الجزع فيعجز فضيلة الصبر كما تقدمت الإشارة إليه في الآية (٥) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥. ولما كان هذا هو شأن أغلب أفراد الإنسان زجرهم سبحانه بقوله: كلا. أى لم أبتلهم بالفنى لكرامتهم عندي. ولا بالفقر لهوانهم علي. بل ذلك لحكمة عالية. ثم انتقل سبحانه من ذم أفراد الإنسان على القبيح من الأقوال إلى ذمهم على الأفعال من الأفعال فقال سبحانه: (بل لا تكرمون). الخ. أى قل لهم أيتها النبى ليس عيبكم مة صورياً على ما تقدم بل سببانه: (بل لا تكرمون). الخ. أى قل لهم أيتها النبى ليس عيبكم مة صورياً على ما تقدم بل

لكم أفعال أشد قبيحاً مما تقدم تدل على تهالككم على المال. فمع إعطائكم الكثير منه فإنكم لا تؤدبون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالإحسان إليه، ولا يصح بذهنكم بعضاً على إطعام المساكين. وفى الكلام إشارة إلى أن يظلم زاد. حتى أنه لم يشف عند البخل بالبذل بل تجاوز إلى البخل حتى بكامة نصح. فالمراد لا تبدلون ولا تأمرون غيركم به. وبلغ من فتنتكم بالمال أنكم تستولون على الموروث منه بشرة لا تفرقون بين حثكم وحق غيركم، ولا بين ما جمع من حلال أو من حرام مما يتعلق به حق الغير. ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال: وتعيون المال حياً جماً. ثم زجرهم صما تقدم بقوله: كلا. ثم علل الزجر فيما فيه تهديهم فقال: (إذا دكت الأرض). الخ. أى إذا قامت القيامة وتباعدت على الخلائق وأمدطقت الملائكة انتظاراً لأمر الواحد الشهد. وبرزت جهنم للميان فى هذا الوقت. وكفى، القطار عن النافل فيقطع، ولكن لا تنفذه هذه الموعظة له وإن وقتها، عند ذلك ينقسم ويقول: يا ليتنى قدمت عملاً صالحاً لأجل انضمامى به فى ميراثى الخالدة، فيوم يحصل كل ما سبق لا يهذب أحد. مثل عذابه تعالى لمن كفر به فى الشدة. ولا يربطه بالسلاسل والأغلال أحد مثل ربطه تعالى لهم، والمراد أن عذابه تعالى فى هذا اليوم لمن كفر به لا تنصور العقول شديده، وبعد ما حكى سبحانه ما سيعمل بمن كفر به وشغله حب المال عن واجب الشكر أراد أن يبين حال من، اطمان قلبه بنكر ربه ولم يفرط فى حق من حقوقه فقال تعالى: يا أيها النفس. الخ. المراد أنه سبحانه يوجه خطابه للمخلصين ويقول لكل منهم: (يا أيها النفس) التى كانت فى الدنيا لا تنفل عن ذكر ربها ارجسى اليوم إلى حظيرة رضا ربك حال كونك راضية بما نلت، مرضية عنك منه تعالى فادخلنى فى زمرة عبادى الذين اصطفيتهم وادخلنى فى جنات. اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك.

فإنهم نجعل له: المراد من الاستعظام حمل المخاطب على الإقرار بما بعده.

وعينين: أي يبصر بهما.

فولساننا: يبين به ما في ضميره.

فشفقتين: يستريح بهما فقه، ويستعين بهما على النطق، والأكلي، والشرب وغير ذلك.

فوهديناه: أي أرشدناه ووضعناه له.

فالتجدين: أصل التجدد يفتح فسكون: الطريق الذي فيه ارتفاع والمراد هنا: طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليحجته.

فوقلا اقتحم: قال ابن هشام في المعنى: إن (لا) النافية كما هنا إذا دخلت على فعل ماض فلا ينطق العربي الفصحى بهما إلا مكررة نعو (فلا صدق ولا صلى) الآية (٣١) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠، وهي هنا مكررة تقديرًا وسهل ذلك تقدم معنى المعية هنا. فالمراد فلا هو فك رقية ولا أعلم مسكنًا.

فأقتحم: أي تخطى.

فالمقربة: أصلها الطريق الصعيبي في الجبل. والمراد بها هنا: التكليف المشاققة كفعل الملمات، وترك المعاصيات، وإيراد من اقتحمها: فاعلمها.

فوما أدراك ما المقربة: تقدم المراد من ذلك هي الآية (٣) من سورة المقامة صفحة ٧٦١.

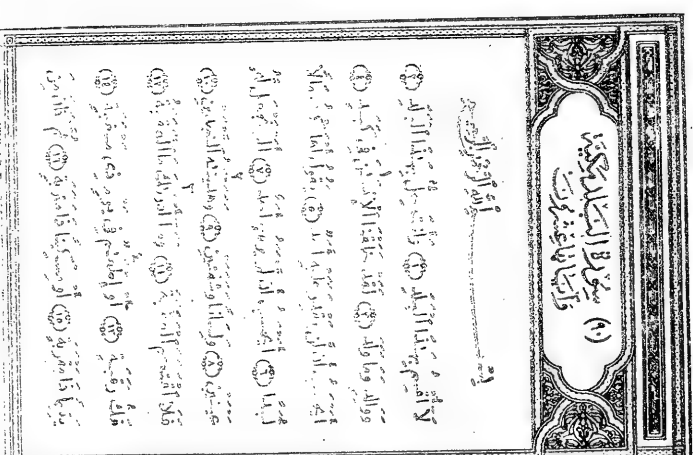
فإنك رقية: أي تخليصها من الرق، وهذا شروع في بيان أهم أفراد المقربة التي يقتضيها هذا المعام.

فوفي يوم نبي مسيق: (المسقية) المجاعة. ويوم ذو مجاعة أي: جاع الناس فيه. يقول العرب: (يوم ذو صيام) أي صيام الناس فيه.

ففيئما: مفعول (إطعام).

فإذا مقربة: أي صاحب قرابة لأن فيه صلة رحم وجبر خاطر لليتيم، فهو أولى بالإحسان، انظر الآية (٣١) من سورة الإسراء صفحة ٣١٨.

فإذا مقربة: (المقربة) مصدر المول (تربى) ينتج فكسر أي انتش وأهله من قواهم: تربى الرجل، أي التصق بدينه بالتراب.



سورة البيلد

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: فلا أقسم: تقدم بيانه في الآية (٧٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧ والآية (١) من سورة القيامة صفحة ٧٧٨.

فهذا البلد: هي مكة.

فحل: أي حلال كما في الآية (٥) من سورة المعادة صفحة ١٣٦، والمراد: أن كفار مكة استحلوا إيداهم وقسطه، فالكلام إشارة إلى تبرعهم على ذلك، انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٣٢١.

فولدت وما ولد: المراد: كل والد، وكل مولود من الموجودات التي تتوالد من دونها.

التي بقاء النزع: فضلاً عما يكلمه الولد في المعادة ما، والله مستأثر بالآية.

التي خلفنا الإنسان هي كبد: (الكبد) هو المشيمة والسرير.

فأحسب: تقدم معنى ذلك في الآية (٣) من سورة القيامة صفحة ٧٧٨.

فإن: لن: تقدم معنى ذلك في الآية (٣٠) من سورة الزمر، صفحة ٧٧٤، ٧٧٥.

فليدنا: جمع ليدة يوزن عُرف وعروق، وأصله المروءة، المستأثر، والله المستأثر بالآية والمراد به هنا كثيراً، يقول ذلك، انظر الآية (٧٧٢).

فإن لم: أن كسافتها.

(١) الإنسان. (٢) مدينة. (٣) أدراك. (٤) إطعام.

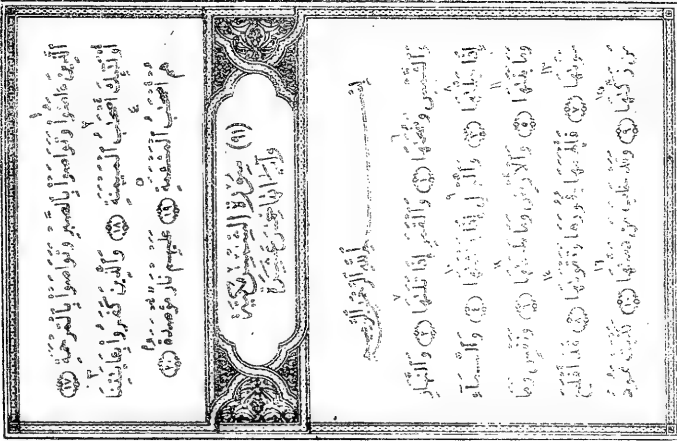
﴿ثم كان﴾: (ثم هنا للترقي في الرتبة، فالمراد: ثم كان قبل كل ما تقدم مؤمناً.. إلخ، لأن شرط قبول الأعمال الصالحة أن يسبقها الإيمان:

المعنى: لما اشتد إيمان المشركين للنبي ﷺ مع أنه مقيم مهم في مكة التي جعلها الله بلداً آمناً كل من فيه حتى الحيوانات، انظر الآية (٦٧) من سورة المائدة صفحة ٥٢٠. وكان من أشدهم إيماناً له ﷺ وانتهاكاً لحرمه مكة رجال منهم أسيد بن كنية الجهمي. وكان شديد الاعتزاز بقوة جسمه. ومنهم الوليد بن المغيرة. وأبو جهل. وغيرهم ممن كان ينشق المال الكثير لمعادية دعوته ﷺ. ولطلب الجاه عند الناس فأراد سبحانه وتعالى أن يخفف عن نبيه ﷺ ويعتله على الصبر، كما تشير إليه الآية (١٧) الآتية من هذه السورة.

وبتبه الفافل المفتون بقوة أو بكثرة ثقافته رياء، ليرجع إلى نفسه فيرى أنه في عقب فكرى أو جسماني مادام في هذه الحياة. فمن أسف، على فوات رغبة إلى مرض عزيز أو موته إلى غير ذلك. فقال تعالى: (لا أقسم).. إلخ، أي استعجاجة إلى القسم بهذا اليلد الأمين، والحدال أن الكفار من أهله استحلوا إبداءك أيها النبي الكريم، ولا إلى القسم بكل والد وولده لما أهم من الأهمية في بقاء الأنواع التي بها عمار الكون.

ثم ذكر المقسم عليه فقال: لقد خلقنا.. إلخ، أي إنا خلقنا الإنسان في هذه الحياة يكابد مشاقها ومتاعها، فالموفق من صبر وتخاص من شرورها، أما من ذره رية ما اعتظت فيفتخر بقوته فإنه جاهل لظنه أنه أصبح من القوة بحيث لا يقدر على إيلايه أحد. مع أن ما هو من مكابدة مشاق الحياة كاف لإيقاظه لمجزر، ويضطر بما ينشئه في وجوه الشر والرياء، فهل يظن أنه لم يره أحد وهو ينطق ذلك مما رزقه به من يقدر على معاصيته وعصاياه، إن ظن ذلك فهو مضطئ، لأن الله تعالى يراه ويراقب تصرفاته، ويستجاسبه ويجازيه بها، ثم أراد سبحانه أن يبين هؤلاء جميعاً أنه هو وحده الذي منحهم ما يفتخرون به من البصر والظن، والمقل المعين بين الخير والشر. وهو القادر على سلب كل ذلك منهم.

ومع ما وهبه لكل منهم من هذه النعم فلا هو تغضى العقبة فعذر رقية من الرق. ولا هو تغطاها بإطعامه يتيماً قريباً له، أو مسكيناً ليس عنده ما يفتات به في زمن اشتدت فيه المجاعة. ثم كان قبل كل ذلك مؤمناً بالله ورسوله.



المضدرات: ﴿المرحمة﴾: أي الترحام بينهم بأن يرحم قلوبهم ضعيفهم، وغنيهم فقيرهم.

﴿الميمنة والمثمنة﴾: تقدما في آيتي (٨، ٩) من سورة الواقعة صفحة ٧١٢.

﴿بياتنا﴾: أي القرآنية، كما في الآية (٣١) من سورة الأنفال صفحة ٣٣١، والكونية كما في الآية (٣٩) من سورة فصلت صفحة ٦٣٥.

﴿مؤمنة﴾: أي مخالفة عليهم من قولهم (أصعدت الباب) بعد الهمزة أي أغلقته.

المعنى: أن من يتخطى العقبات هو الذي

يقول ألم الحيات. ومع ذلك يكون من الله مؤمنين الذين لا يخشون أحدهم بأن يكون صابرا رحيما فقط بل ويأمر غيره بهما، هؤلاء الذين هذه صفاتهم هم أصحاب اليمين الناجون من هول يوم القيامة، أما الذين يكرهون بديلات الله المنزلة أو يخبروا كما تقدم فهم أصحاب الشمال الذين تتأخر عليهم أرواح النار ولا ينشرون منها أرواح.

﴿سورة النور﴾

المضدرات: ﴿الشمس﴾: أي شمس، ﴿الشمس﴾: أي شمس، ﴿الشمس﴾: أي شمس.

﴿تلاها﴾: أي تلا الشمس بعد يومها، ﴿تلاها﴾: أي تلا الشمس بعد يومها، ﴿تلاها﴾: أي تلا الشمس بعد يومها.

من كل شهر قمرى.

- | | | | |
|-------------|--------------|-------------|--------------|
| (١) أمراء. | (٢) أصحاب. | (٣) بياتنا. | (٤) أصحاب. |
| (٥) المشاء. | (٦) ضحاها. | (٧) علاها. | (٨) جلاها. |
| (٩) الليل. | (١٠) يمشاها. | (١١) بياها. | (١٢) حاحاها. |
| (١٣) سواها. | (١٤) تقواها. | (١٥) زكاها. | (١٦) دساها. |

المفردات: ﴿بسطواها﴾: أى بسبب طغيانها.

﴿انبسط﴾: تقول العرب: بعت فلانا للأمر فانبسط. أى كلفته بأمر فذهب لضمائه والمراد هنا: مذهبه لمقر النافذة.

﴿اشقاهما﴾: أى اشقى رجل قبيلة ثمود.

﴿رسول الله﴾: هو نبي، الله صالح عليه السلام.

﴿زافقة الله﴾: أى لا تقصدوا زافقة الله بليدائه انظر الآية (٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٧٠٩.

﴿وسقياها﴾: هو شربها فى يومها. أى لا

تغنىوها منه، انظر الآية (١٥٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٩ والآية (٧٨) من سورة القدر صفحة ٧٠١. قال الراغب: السقى والمسقى أى شربى وشربى، والمراد به هنا تسقيها من الماء، والمعنى: لا تقصدوا سقياها فى يوم شربها.

﴿قوة مروه﴾: المراد: قوتها الأبدى، بأمرهم فكانوا جميعاً منه، تركيز (قوة) القتل، انظر شرح الآية (٢٩١) من سورة الموم صفحة ٧٠١.

﴿ورهم عليهم﴾: يقال رهم عليهم أى أطبقه عليه. فالمراد أهل الكرم، أى كل من لم يبق لهم أثر على ظهرها.

﴿وسواها﴾: المراد: وسوى القبيلة بالأرض وسواوا لا وجود لهم على ظهرها.

سقيها.	(٧)
سقيها.	(٧)
الليل.	(١)
سواها.	(٥)
سواها.	(٢)

﴿جلاها﴾: أى جلى الشمس وأظهرها ساطعة، وهذا قسم بضمء الشمس فى صورة أخرى. ﴿ينشأها﴾: أى ينمى ضوءها. ﴿ومنا بناها﴾: أى ومن بناها وهو الله سبحانه وتعالى، والعرب تعرب (ما) عن الذات المصاحبة لوصف عظيم كما فى ﴿وبما وضعت﴾ فى الآية (٣٦) من سورة آل عمران صفحة ٦٨ و﴿ما طلب لكم﴾ الآية (٣) من سورة النساء صفحتى ٩٨، ٩٧ والمعنى هنا: والقادر العظيم الذى بنى السماء دالة على وجوده وكمال قدرته.

﴿وما طحاها﴾: أى ومن بسطها وجعلها صالحة للإقامة عليها، انظر الآية (٢٢) من سورة البقرة صفحة ٦. ﴿ومنا سواها﴾: أى من عدل أجزاعها وجعل كل جزء صالحاً لما أريد منه، انظر الآية (٧) من سورة الانفال. ﴿وقهالهمها فجورها﴾: الخ: المراد أفهمها فبيع الفجور وحسن التقوى ببيان طريق الشر وطريق الخير، انظر الآية (١٠) من سورة البلد صفحة ٨٠٨. ﴿وقد افطح﴾: ج: قلب الشمس. ﴿وركاها﴾: أى طهر نفسه من دنس الذنوب واليخل، انظر أصل معنى الركاة فى الآية (٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٥. ﴿وساسها﴾: أصل معنى (نسى) أنسى، والرساء: أنسى، وزاياً أنسى، أى بالوصول والفسوق. ﴿وكذبت ثمود﴾: اقتصر فى المبرة على ثمود من باب التخيبة بالثقل جزواً على الأكل، أى فقيرهم من باب أولى، وذلك أن عاداً وقوم ثموداً وقوم فخرهم مثلاً جميعوا مع الكفر جزائهم أخرى، افطح بكثير من جزائهم ثمود.

المعنى: ذرة راء، أى ذرة واحدة أقسم بالله من ركاها، وبالتحس حين يتبينها فيظهر ضوءه بعد ذهلي صغورها، هذه الآية روى، قوله: لا، الليل. فيبقى الضوء ليلاً ونهاراً ويكفها. حين يعلى وينطهر قوة فتور الشمس. وهذا قسم بضمء الشمس، سورة أخرى وبالأليل حين ينمى كل ضوء الشمس، وبالمعنى: فلا يكون على وجه الأرض، أى للشمس مثلاً، وذلك لا يحصل إلا فى ليال قابلة فى الشهور وأما ذلك، فى الأيام منه، بالوصول (ينشأها) الدال على أنه طارئ، قال ابن كثير: وأقسم سبحانه بالسماء والأرض ومن جعلها فرائداً، وبكل نفس ومن عدل خلقها وجعلها صالحة للعبادة. وبعد ذلك أرشدنا طريق الفجور للتجنيبه وطريق التقوى لتسلكه. أقسم سبحانه بكل ما ذكر من تلك الأمور المعظمة على أن من مكر نفسه من أذانس الفسور قد فاز بكل خير، وأن من دون نفسه فسدت أقدار الكفر والمادى، قد خاب وخسر كل من ذكر سبحانه وتعالى: (كذبت ثمود). الخ. ليكون ذلك عبرة لغير مكه فقال: (كذبت ثمود). الخ.

المفردات: ﴿لوما قلبي﴾: يقول العربي: قلبي الرجل أقلبه. بوزن رमित، أي أبغضته، فالمعنى: وما كرهك.

﴿ولآخره﴾: أي ولنهاية أمرك.

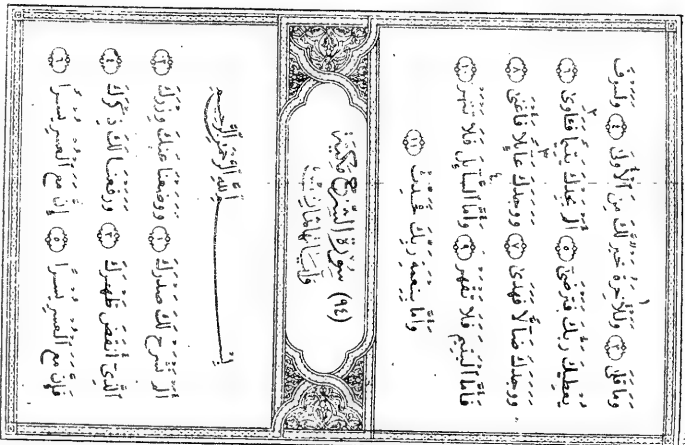
﴿الاولى﴾: أي بداية أمرك.

﴿لالم يعدك شيئاً﴾: الهمزة أصل معناها الاستغفار الذي يفيد طلب المتكلم من المخاطب أن يفهمه شيئاً خفي عليه علمه. لكنها هنا مستعملة في الإكثار الذي يمناه النفس. وبما أن ما بعدها هو حرف (لم) يفيد النفي أيضاً. ونفي النفي إثبات. فيصير مضمون الكلام شيئاً، ويكون قصد المتكلم بهذا التركيب هو حمل المخاطب على الاعتراف بما بعد النفيين. ويكون المعنى اعترف أيها النبي أن ربك سيعجلك وتعالى وجدك يتما فتاوتك لتكون بذلك شاكراً له عن وجل. ﴿ويعبدك﴾: المراد به يعامك.

﴿قارئ﴾: أي قارئك وضعت إلى من يكملك، وهو عمك أبو طالب.

﴿فضالاً﴾: قال الراغب: الضلال العدول عن الطريق المستقيم، ضد التهادية. قال تعالى: ﴿فمن اعتدى فلاناً يهتدي لنفسه ومن ضل فإنا مضل عليها﴾. ويطلق الضلال عن كل عدول عن الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً. ولا كإن الضلال قرأ الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً صريح أن يستعمل لفظ الضلال في فعل كل مغشط خطأ ما. ولذا نسب الضلال للكفار. وللأنبياء وإن كان بين الضلالين بوزن يفيد، فقال لخاتم الرسل ﴿ووجدك ضلالاً فعدي﴾ أي غير مهتد لما يسبق إليك من النبوة. وفي يعقوب

(١) لاخرة.
(٢) هوى.
(٣) عتلاً.
(٤) استأثر.



﴿ابتغاء وجه ربه﴾: أي لكن يفعل ما يفعل طلب رضا ربه فقط. لا ربا.

﴿ولسوف يرضى﴾: أي والله لسوف يعطيه ربه ثواباً حتى يرضى. انظر الآية (٥) في السورة الآتية صفحة ٨١٢.

المعنى: أما من يضل بجماله. وعد نفسه مستقيماً عن غيره. وكذب بكل ما يجب اعتقاده فسنهت له الطريقة المسيرة. فلا يرى راحة قلب المؤمن. ولا ينفعه ماله الذي يحل به شيئاً حين يتردى في قبره.

ثم أراد سبحانه أن يبين أنه لا يهراق أحداً إلا بعد أن يرشده إلى الصواب. ويعالج فقال تعالى: وإن علينا.. إلخ. أي أوجبتنا على أنفسنا مقتضى عدلنا وحكمتنا أن نعين للمكلفين طريق الهدى من طريق الضلال. أي وقد عدلنا ذلك بما لا مزيد عليه. ثم هددنا بالمصير إليه في آخر الأمر فقال تعالى: وإن لنا للآخرة.. إلخ. أي نتصرف، التام في الآخرة وفي الدنيا لنا وحدها تفسير للخير وثيق من أعطى واتقى وصدق.. إلخ. ونعاقب غيره. وبما أن الأمر في الآخرة لنا فاحذروا يا كفار قريش من أن أدخلكم ناراً تلتظي لا يدخلها حالداً إلا الكافر. الذي كذب رسوله وأعرض عن طاعة ربه. وسيعبد عنها فلا يدخلها أبداً أشد الناس تقوى. وهو الذي يعطي المساكين ماله حال كونه قاصداً بذلك تطهير نفسه من دنس الشح والمعاصي. أي ولم يعطه ربه. ولا رداً لمعاملة لأحد سبق أن أسدى إليه نعمة فأراد أن يعاذه عليها. لكن فعل ما قل طلباً لرضاء ربه رفيع المنزلة. ومثل هذا والله لسوف يعصيه ربه ثواباً في الجنة حتى يرضى. والله أعلم.

﴿سورة الضحى﴾

المفردات: ﴿والضحى﴾: وقت ارتفاع الشمس أول النهار.

﴿رسي﴾: أصل سجا الشيء سكن. والسراد: سكنون الناس فيه لراحة، انظر الآية (٩٦) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨.

﴿لما ودعك ربك﴾: ودع فلان فلاناً كتركه ورثاً ومعنى. وودعه بتشديد الدال أي بالغ في تركه والبعد عنه. والسراد ما تركك. ولا أهملك. كما يقول المصنفون.

المعنى: يقول سبحانه أقسم بالضحى وبالليل وقت سكون الناس فيه. وفي كل ذلك من الحكمة ودليل القدرة ما سبقته الإشارة إليه في شرح صفحة ٥٨٧. أقسم بما ذكر على أن ربك أيها النبي ما تركك بعدما اختارتك.. إلخ.

﴿إِنَّكَ لَنفَى ضَلَالِكَ التَّدْمِيمِ﴾ الآية (٩٥) من سورة يوسف، صفحة ٢١٧؛ وعن موسى ﴿فَلَمَّا نَظَرَ إِذَا أَنَا مِنَ الْخَاسِلِينَ﴾ الآية (٧٠) من سورة الشعراء، صفحة ٤٨١؛ وقوله ﴿فَأَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، صفحة ٦٠، ٦١، والى عقبى أن تنسى. والاضلال من وجه آخر نوعان: ضلال فى العلوم النظرية كالاضلال فى معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة النبوة ونحو ذلك. المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ الآية (١٣٦) من سورة النساء، صفحة ١٢٦. وضلال فى العلوم العملية كعدم معرفة الأحكام الشرعية؛ والاضلال البعيد إشارة إلى ما هو سبب كفر: والاضلال فى سورة الضحى هنا بمعنى الهدى عن معرفة الصواب، نتيجة العبادة المستدامة الناشئة عن عدم معرفة تفاصيل حقائق الواقع المستديم لا حيرة بين عقائه ﴿يَكْفُرُ بَيْنَ مَا عَلَيْهِ كَارِ قَوْمِهِ﴾. انظر الآية (٥٢) من سورة الشورى، صفحة ١٢١.

﴿عَائِلًا﴾: أى فقيراً. ﴿السَّاقِلُ﴾ المراد به هنا: التستقم عن علم ينفذه، فلذا ذلك ليتحقق التناسب بين الثلاثة التى أمر بها ﴿يَكْفُرُ﴾ وبين ما كان عليه هو قبل النبوة من الأحوال الثلاثة المذكورة سابقاً:

﴿ينعمه ربك فحدث﴾: المراد بالتحديث، بالنعمة هنا: شكر الله سبحانه عليها المستتبع للعطف على الفقراء، وبهذا يتحقق التناسب كما تقدم. ووجه ذلك أن الإخبار إذا وجد بين محتاجين فإنه يحاول إخفاء ما عنده، بل قد يظهر الشكوى من الفقر والحاجة، حتى لا يطلب منه أحد شيئاً.

المعنى: أنه ﴿يَكْفُرُ﴾ بعدما دأب من حلاوة الاتصال بربه سبحانه، أنه إلى عن طريق الوحي كان إذا فتر الوحي زمنياً غير معتاد يشهد شوقه صلاوات الله عليه إليه، وشدة الشوق قائماً تغاير من قلق وخوف. وقد علمت فى شرح آخر صفحة ٧٠٠ كيف يحزن ﴿يَكْفُرُ﴾ حزناً شديداً عندما فتر عنه الوحي. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كان ﴿يَكْفُرُ﴾ يعانى هو وأصحابه من شدة إيداء المشركين حتى استيطا بعضهم نصرته سبحانه، وتعالى، لهم أنه ﴿يَكْفُرُ﴾ الآية (٢١٤) من سورة البقرة، صفحة ٤٢. لكل هذا ربما يتوهم حدوث عهد بالإسلام أن الله سبحانه ترك رسوله ﴿يَكْفُرُ﴾ لاسيما أنه قد روى أن بعض المشركين أدانغ عندما دعاهم أن الوحي قد أوتى أن رب محمد ﴿يَكْفُرُ﴾ قلامه، أى كرهه، فلماذا أراد سبحانه أن يلقى الطمأنينة فى نفسه ﴿يَكْفُرُ﴾ وطمأن أصحابه فأكبره بما يطمئنه مؤكداً له بالاعفاف عليه فقال: والضحى... إلخ. أى أقسم بالضحى

والليل حين يسكن الخلق فيه ما تركك ربك أيها النبي منذ اختارك. ولا انغصك منذ أحبك. فلا تخف من شيء، فكل لحظة تقبل عليك ففيها خير لك مما فى سابقتها. والله لسوف يعطيك ربك كل ما فيه خير لك، من ظهور دينك، وسعادة أمتك، وجزيل نعمه عليك فى الآخرة حتى ترضى بما يسرك أما حكمة التسوية فى قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ﴾، فالتسوية يقتضى التراخي، فقد بينه المرحوم الشيخ محمد غنيد بقوله: لما اشتد ألمه ﴿يَكْفُرُ﴾ لتأخر الوحي بعد نزول أول آية وهى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.. إلخ. وممرت فترة طويلة قدرها بعضهم بثلاثة أعوام، وأشاع المشركون أن الله سبحانه وتعالى ودع محمداً أى تركه وأهمله، وقلاه أى كرهه، وكان ﴿يَكْفُرُ﴾ يجد فى نفسه أن للأمر تنمة لم تات، وهو شغفٌ بحصولها، فلم تكن نفسه راضية دون أن يبلغ ما أعد له من إكمال دينه، فأكد سبحانه له الوعد بأنه سيعطيه، ويعطيه. ولا يزال يعطيه حتى يرضى بإكمال دينه ﴿يَكْفُرُ﴾. وكان ذلك فى أكثر من ثلاث وعشرين سنة حتى نزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية (٣) من سورة المائدة، صفحة ١٢٥؛ ثم أراد سبحانه أن يعيد نعمه على رسوله فيما مضى ليطمئنه على أنه سيزيد نعمه عليه فى المستقبل. فقال تعالى: ألم يجدك... إلخ. أى يجب أن تقر أيها النبي أن ربك علم يتمك فضمك إلى عمك أبى طالب فربك فى كنفه؛ لأن إقرارك بذلك نوع من الحمد لله الذى طلبه منك سبحانه وتعالى، ووجدك ضالاً.. إلخ. من المقطوع به فى كل كتب السير والتاريخ أنه صلوات الله عليه لم يسجد لصنم طول حياته قبل البعثة. وأنه كان طاهر النفس لم يرتكب فاحشة قط. ولم يكذب أبداً حتى لقب بالصادق الأمين. وإذا كان هذا هو الواقع فلا يكون الضلال هنا معناه الانحراف فى العقيدة. والعمل الذى يطلب العبد من ربه اليعبد عنه، كما فى الآية (٧) من سورة الفاتحة، صفحة ٢. بل معناه الحيرة، وذلك أنه ﴿يَكْفُرُ﴾ قبل نزول الوحي عليه كان قاطعاً بفساد ما عليه قومه من الشرك، وكان يسمع عن النصرانية واليهودية، ولكنه كان يشك: فى سلامتها من التخريف، وكان فى حيرة أيضاً هل يستطيع أن يجهر بما يعتقد وسط فحول الشرك وصدائيد الكفر ثم يسلم منهم، ثم كان فى حيرة أيضاً من معرفة ما يضيح أن يتقرب به العبد إلى ربه وما لا يصح. وما هو الحال بعد الموت. ولما استولت عليه تلك الحيرة كان ينفر من الجماعات وينفرد فى غار حراء يفكر ويتلمس الهداية والخروج من ظلمة الحيرة. فإذا هداه ربه فنزل الوحي عليه إلى الصواب فى كل شيء، فهل هناك نعمة فى الحياة تدنو من هذه النعمة؟ ووجدك فقيراً لم يترك لك أبوك غير ناقة وجارية، فانتفاك بريح التجارة وما وهبتك زوجتك خديجة رضى الله عنها. ثم أراد سبحانه أن يرشد نبيه إلى العطف على

المفرقات: «ففرغت»: أي من غمك

الخاص بك وباهلك وأصعابك.

«فانصب»: أصل سمناء فسانع من
النصب بفتح النون والصاد. وهو التعب كما
تقدم في الآية (٢٨) من سورة الحجر صفحة
٣٤١، والآية (٢) من سورة النازية صفحة
٨٠٥، والمراد هنا: فاجتهد في كل عمل
يقربك من ربك. «والى ربك فارغ»: أي ولا
توجه رغبتك إلى غير ربك سبحانه وتعالى.

المعنى: إذا علمت أيها النبي أن مع العسر
يسرا فليكن كل وقتك بعد تمام فراغك من
يشئون الدنيا مشغولا دائما باجتهادك في
عبادة ربك وكل ما يقربك إليه سبحانه: قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنى أكره أن أرى
أحدكم فارغا. لا في عمل الدنيا ولا في عمل
الآخرة. ولا توجه رغبتك في شيء إلى غيره سبحانه وتعالى: فلا تغلب عونا إلا منه جل شأنه.

«سورة التين»

المفرقات: «فوالتين»: هو الشجر المعروف صاحب الورق المذكور في الآيتين (١٩، ٢٢) من
سورة الأعراف صفحة ١٩٤، ١٩٥ والآيتين (١٢٠، ١٢١) من سورة طه صفحة ٤١٧، ٤١٨.
والقسم به إشارة إلى عهد آدم كما سيأتي.

«والريتون»: هو أيضا الشجر المعروف. والقسم به إشارة إلى عهد نوح كما سيأتي.
«وطور سين»: هو طور سيناء المذكور في الآية (٥٢) من سورة مريم صفحة ٤٠١، والآية
(٢٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٧، والآية (٤٠)، والآية (٢٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٧، والقسم
به إشارة إلى عهد شريعة موسى عليه السلام. «وهذا البلد الأمين»: هي مكة المكرمة.
والقسم بها إشارة إلى أول عهد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم (الأمين): أي الأمن من أهله من

(١) الحاكمين.

(٥) المصالحات.

(٤) أمنوا.

(٢) سابقين.

(٣) رددنا.

(سورة التين)

لَوْ أَنزَلْنَاهُ قَارِعَةً ۖ وَتَرَكَ تَرْجَبَ ۚ

(٩) سُبْحَانَ الْمَدِينَةِ ۚ

وَالْأَرْضِ ۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتَيْنِ وَالْأَيْتُونَ ۚ وَطُورِ سِينِينَ ۚ وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۚ لَقَدْ عَلِمْنَا الْأَمْنَ فِي الْغَرَبِ
تَقْوِيرَ ۚ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ
فَأُبَيِّنْكَ بِعَمْدٍ الْبَلَدِينَ ۚ لِنَبِّئَنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ
كَ الْمَكِينِ ۚ

سورة الشرح

كل إنسان صادفته حالة من الحالات الثلاث التي مرت به صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (فاما اليتيم)... إلخ. أي
إذا علمت مرارة اليتيم فلا تدل يتيما بل كرمه بالأدب وهذبه بمكارم الأخلاق ليكون عضوا في
جماعتك نافعا. ربما أنك عانيت آلام العهل المورث للعبوة فلا تظهر من يسألك علما بزيل
حيرته. وربما أنك عانيت مشقة الفقر فأبدل مالك في إعانة المحتاج. هذا هو المراد من
التحدث بالنعمة، أما ذكر الثروة باللسان فقط فإن هذا من مظاهر التفاخر لا من مقاصد
الشرح.

«سورة الشرح»

المفرقات: «والنم نشرح»: الاستفهام هنا كالمستفهم في (ألم يجدك) وشرح المصدر كناية عن
السور واليساط النفس، بإخراجه صلى الله عليه وآله وسلم من العيرة، المتقدم ذكرها في السورة السابقة.
«ووضعتنا عنك»: المراد أسقمنا عنك.

«ورزك»: الرزق أصله الحمل الثقيل، والمراد به اهتمامه الشديد بهداية قومه. وفتح
أيضا لهم عنه.

«أنقض ظهرك»: أي أنقله.

«فإن مع العسر يسرا»: المراد أن كل شدة يعقبها فرج بسرعة حتى كأنه معها.

المعنى: إذا تنبهت لما ذكر في السورة السابقة تعلم كمال المناسبة بينه وبين ما هنا،
فقلوه: ألم نشرح لك. إلخ. معناه أعلم أيها النبي فضل ربك عليك لما شرح صدرك بإخراجك
من العيرة وأثار لك طريق الصواب وأزال عنك حمل الاهتمام الشديد بهداية قومت، النبي كان
يشغل كاهلك. ورفعتنا لك ذكرك في العالمين إلى يوم القيامة. وهل نال إنسان ما نلت أنت من
رفع الصوت عاليا بذكر اسمك بعد ذكر اسم الله كل يوم على المنابر عدة مرات في جميع
أنحاء الأرض. وغير ذلك من مواطن الصيت العالي كثير.

ثم أكد سبحانه استمرار الفرج فقال تعالى: (فإن مع العسر يسرا)... إلخ. أي أن بعد كل
شدة يعانيها المؤمنون الآن من فقر أو ضعف مع قوة العدو فرجا بالخروج منها والوقاية من
شرها. مادام العبد يسعى جهده في أسباب الخروج منها وإن مع كل شدة تصادفكم في
المستقبل من جنس ما تقدم أو غيره فرجا بيزالها حتى تنتصروا وتطروا كلمتكم بشرط الأخذ
في أسباب إزالة تلك الشدة. والله تعالى أعلم.

ما علمت، وكلها تدعو لما فيه سعادة البشر. ويجب أن تقرر بأن الله الذي هذا صنعه هو اتقن تدبيراً من كل مدبر. والله تعالى أعلم. المفردات: ﴿اقرأ باسم ربك﴾: هذا أول قرآن نزل عليه ﷺ إلى آخر آية رقم (٥). وكان ﷺ عند نزول هذه الآيات الخمس يتعبد في غار حراء. انظر تفصيل ما حصل عند ذلك وبعده في الحديث الطويل رقم (٣) في كتابنا (صفوة صحيح البخاري).

سورة العلق

﴿خلق﴾: أي خلق سبحانه كل شيء.

﴿خلق الإنسان﴾: أعاد الفعل مع بعض

أفراد المخلوقات لشرفه ولأنه المقصود بنزول هذا القرآن. ﴿علق﴾: جمع علقه وهي القطعة المتماصة من الدم. انظر الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

﴿اقرأ﴾: أعاده ثانية وذلك لتأنيسه ﷺ وتأكيده أنه يسير عليه سبحانه أن يجعله قارئاً.

﴿وربك الأكرم﴾: الذي يفوق كرمه كل كريم؛ لأنه يعطى بلا مقابل ويتعم حتى على من عصاه، قال أبو السعود: هذه جملة استثنائية جيء بها لإزالة ما أظهره ﷺ من العذر عن عدم القراءة بقوله ﴿ما أنا بقارئ﴾ أي أنا أمي فكيف اقرأ؟ فتقبل له: اقرأ وربك الذي أمرك بالقراءة هو الأكرم.. إلخ. والمراد: أنه لما اعتذر ﷺ بأنه لا يعرف القراءة، قال له: اقرأ وأنت واثق من أن ربك أكرم من كل كريم، فيسير عليه أن يفيض عليك نعمة القراءة، بدون معالجة أسبابها.

﴿علم بالقلم﴾: انظر كيف نقل الإسلام العرب من الأمية إلى العلم في شرح الآية (٢) من

سورة الجمعة صفحة ٧٤١.

(٣٠، ٢٠، ١) الإنسان.

(٤) وآه.

(٧، ٦، ٥) أرايت.

كل مكروه. انظر الآية (٤) من سورة قريش صفحة ٨٢٢. ﴿ففي أحسن تقويم﴾: أصل التقويم: الثقيف والتعديل. وأريد به هنا أثره. وهو الاعتدال حساً ومعنى. ﴿وردناه﴾: المراد: عاقبناه لما لم يشكر نعمة ربه عليه برده إلى أسفل سافلين. ﴿أنزلنا وأخبطنا﴾: أنزلنا من المنعطين بحسب الخلقة الأصلية وهي البهائم. انظر الآية (١٦٦) من سورة الاعراف صفحتي ٢١٩، ٢٢٠. ﴿غير ممنون﴾: أي مقطوع، تقدم في الآية (٨) من سورة فصلت صفحة ٦٣٠.

﴿فما يكذبك﴾: الاستفهام للتوبيخ والمعنى: أي شيء يجعلك أيها الإنسان الكافر تكذب؟

﴿ليس الله﴾: الاستفهام والتنفى بعده للتقرير كما تقدم في الآية (٦) من سورة الضحى

صفحة ٨١٢. ﴿بأحكم﴾: الباء لتأكيد ربط ما بعدها بما قبلها وأحكم أي أنقن تدبيراً.

﴿الحاكمين﴾: المراد: المدبرين.

المعنى: (والتين).. إلخ. قال المرحوم الشيخ محمد عبده: أقسم سبحانه بهذه الأشياء، الأربعة ليذكركم بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل من أول نشأته إلى بعثه خاتم الرسل صلوات الله عليه. فالتين إشارة إلى عهد أبي البشر حين كان يستظل في الجفة بئرق التين، وعندما بدت له ولزوجته سوء أتهما وصارا يضعان عليهما من ورقه، والزيتون إشارة إلى عهد نوح (آدم الصغير) عليه السلام. حين كان في السفينة. وأراد أن يعرف هل ارتفع غضب الله على أهل الأرض. وانقطع نزول الماء. فبعد البحث رأى طيراً يحمل ورقة زيتون خضراء فعلم أن الأرض قد ظهر بعضنها. فالتقسيم بذلك يذكركم وفق ما تقدم بأول من عمر الأرض بعد خرابها بالطوفان. وطور سينين إشارة إلى عهد شريعة موسى عليه السلام التي بقيت آثارها إلى عهد نبينا ﷺ وهذا البلد الأمين إشارة إلى عهد خاتم الرسل ﷺ. أقسم سبحانه بكل ما ذكر على أنه خلق الإنسان على أحسن صورة حساً ومعنى فجعله سوياً يمشى على رجليه. ويأكل بيديه.. إلخ. وجعله صاحب عقل ساد به كل ما على وجه الأرض. ومن كان هذا شأنه يكون عارفاً وجوه الخير. ساعياً إليها. ويعرف وجوه الشر فيبتعد عنها. ولما أفسد فطرته التي فطرنا عليها كما في الآية (٣٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤. صيرناه أخطأ من الحيوانات التي هي في الأصل أخطأ منه عندما كان إنساناً كاملاً. وذلك أنه لما أهمل غفله وغفل عما

ينبغي لسعادة المجموع انقلب أزدل من الحيوان الذي لا يعرف كيف يتفطن في إيصال الشر للغير إلا الذين آمنوا بمدير الكون الذي وضع الشرائع لسعادة البشر وبأنه يجازي فاعل الخير بالخير. ويجازي غيره بما يستحق وسارعوا إلى عمل الصالحات. فهؤلاء قد حفظوا منزلتهم من الإنسانية. وحافظوا على الاعتدال الذي خلقهم الله عليه، فيجازيهم بهم بأجر غير مقطوع فإذا كنت أيها الإنسان ترى كل ذلك فأى شيء يجعلك تكذب بالدين الذي من تعاليمه

الموهبة الجديدة. فوصف مغفلها سبحانه وتعالى بأنه هو الذي علم بالقلم، أي جعل القلم واسطة التغامع مع البعيد. كما أن اللسان واسطة علم للقريب، كما تقدم في شرح الآية (٤) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩.

وبما أن القلم آلة جامدة لا حياة فيها. وجعلها سبحانه واسطة علم فمن اليسير عليه سبحانه أن يجعل لسانك مفهوما للغير ما عندك من العلم. ثم أراد سبحانه أن يزيل شبهة استغراب القراءة من الأمي فقال: علم الإنسان.. إلخ. أي الذي أمرك بأن تكون قارئاً هو الذي علم سبحانه الإنسان جميع ما عنده من العلم بعد أن كان في أول خلقته لا يعلم شيئاً. انظر الآية (٧٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٦. ثم بعد ما بين سبحانه فضله على الإنسان أراد أن يبينه إلى وجود بعض أفراد هذا الفضل.

وبيان ذلك أن بعض صناديد الكفر بمكة كآني جعل حملته شدة غروره بقاءه وقوته على أن يعطف: لئن رأى محمداً يصلي عند الكعبة ليطأن عنقه برجله ويمقرن وجهه الشريف بالتراب حتى يمتنع عن ذلك. فقال سبحانه في ذلك ما مفناه. تنبه أيها السامع لبشاعة صنع بعض أفراد الإنسان الذي يتجاوز الحد في العصيان بسبب شعوره بأنه فني يرى نفسه فوق الجميع من هم أقل منه مالا. وهذه رذيلة محطمة لبناء الجماعة. انظر شرح الآية (٨) من سورة الليل صفحة ٨١٠. ثم هذه سبحانه بأن ما بيده زائل وأنه سيموت ويرجع إليه تعالى وحاسبه ويجازيه أشد جزاء.

ثم ذكر مثلاً من أمثلة طغيان هذا الإنسان في أسلوب الاستغراب والتبشيع، وأعقبه بتهديده فقال: (أرأيت الذي ينهى).. إلخ. أي أخبرني أيها السامع عن حال عقل هذا الذي ينهى عبداً عن الصلاة. والمراد: ما أسخف عقل من يطغيه الكبر حتى يعجز عن فهمي عبد من عباد الله عن الصلاة لربه إذا رآه يعلو. أخبرني أيها السامع عن حال هذا الرجل هل هو على هدى عندما منع عبداً من عبادة ربه. أو هو أمر بالتقوى حينما أمر غيره بعدم طاعة خالقه؟ الجواب: كلا ثم ترقى سبحانه فذكر بشاعة أخرى فقال: (أرأيت إن كذب).. إلخ. أي كذب بما جاء به الرسول وأعرض عن الطاعة، فهل يظن أنه نفلت من عقابنا؟ هذا جهل منه. ألم يعلم بأن الله يطلع على أعماله ويحاسبها عليه؟ يجب أن ينزجر هذا الطاغية وينتهي عن جرمه. والله لئن لم ينته لنقبضن على ناصيته ونفوره ونذله.

﴿وكلا﴾: هذا الحرف يفيد هنا تنبيه السامع لما بعده لأهميته، انظر شرح الآية (٢٠) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩.

﴿والإنسان﴾: المراد غالب جنس الإنسان، فقليل منه هو الذي يشكر ولا تطفيه النعمة. انظر الآية (١٢) من سورة سبأ صفحة ٥٦٤.

﴿يطغى﴾: أي يتجاوز حدود الله بكثرة معاصيه.

﴿أن رآه استغنى﴾: أي لأجل أنه رأى نفسه صار غنياً.

﴿الرجعى﴾: مصدر كاليشري. معناه: الرجوع إليه تعالى يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿أرأيت﴾: أي أخبرني أيها السامع العاقل عن: ﴿والذي ينهى﴾ وهو أبو جهل.

أيها السامع عن حال هذا الرجل. هل هو على هدى عندما منع عبداً من طاعة ربه، أو هو أمر بالتقوى عندما أمر غيره بعدم إطاعة خالقه؟ والمراد: إنه لم يكن لا هذا ولا ذاك.

﴿أرأيت إن كذب﴾.. إلخ. أي أخبرني أيها السامع عن حاله عندما كذب رسولنا، وأعرض عن طاعة ربه. فهل يظن أنه نفلت من عقابنا؟ كلا... ﴿لأنم يعلم﴾.. إلخ. استقهم تقريرى معناه: يجب أن يقر بأنه يعلم أن الله يرى أعماله ويحاسبها عليه وعبر ﴿بأن الله يرى﴾ لأن العرب تزيد الباء في المفعول لتقوية ربط الفعل به بقوة. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وهزى إليك ببعث النخلة﴾. الآية (٢٥) من سورة مريم صفحة ٣٩٨. ومثله ما في الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥ والآية (٢٥) من نفس السورة صفحات ٤٣٦، ٤٣٧.

﴿وكلا﴾: حرف يفيد هنا الزجر عما قبله، أي يجب أن ينزجر.

﴿لنستغنى﴾: تنطق في حال الوصل: (لنستغفن). بنون التوكيد أما عند الوقوف عليها فأنها تتصلق ألفاً كما هي، و(الشفع): التقبض على الشيء وجذبه بشدة والمراد: لنقبضن على ناصيته ونزيمه في النار.

المعنى: اقرأ أيها النبي مستغنياً باسم ربك. لا باسم غيره. ربك الذي خلق كل شيء خصوصاً الإنسان المقصود بهذا الشرح. خلق أفراد من علق. ولما كانت القراءة غريبة عليه ﴿كسر سبحانه الأمر بها﴾ فقال: اقرأ وليكن في علمك أن ربك هو الأكرم من كل كريم، فيستبدر عليه سبحانه أن يفيض عليك نعمة القراءة. ثم أراد أن يزيد ﴿أطمئنا لهذه﴾

﴿واقترَب﴾: أى اجتهد فى القرب منه سبحانه بكثرة الطاعة.
 المعنى: يقول سبحانه والله لئن لم يته هذا الطاغية عن طغيانه لنذالته وتقهرة لكذبه فى زعمه أن صاحب المال أعلا منزلة من الفقير والخطئه فى تجاوزه الحد فى الطفيان.
 ثم هدهه بالنقل والخزى فقال: (فليدع ناديه) .. إلخ. أى فليجمع أنصاره ويحارب المؤمنين إن استطاع. وإن حدثته نفسه بذلك فقد تعرض لنقمتنا لأننا سندعو لمحاربته من جنونا من لا طاقة له بهم فيهلكونه فلا تهتم به أنها النبى. وداوم على عدم طاعته واستمر على صلاتك، واجتهد فى كل ما يقربك من الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

﴿سورة القدر﴾

المفردات: ﴿انزلناه﴾: الضمير يرجع للقرآن الذى بلغ من الشهرة واشتغال الناس به حدا جعله حاضرا فى كل ذهن، انظر نظير ذلك فى الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٣٥٢.

﴿القدر﴾: المراد به العظمة والشرف. يقال فلان قدر عند فلان، أى شرف ومنزلة رفيعة.
 ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾: تقدم المراد من هذا الاستفهام فى الآية (٣) من سورة الحاقة.

﴿خير من ألف شهر﴾: المراد: ألف خالية من ليلة مثلها، فالخير فى هذه الليلة عميم، والعمل الصالح فيها شكرا لله على نعمة إنزال القرآن الكريم الذى فيه سعادة الخلق.

﴿تنزل الملائكة﴾ .. إلخ: أصلها تنزل أى تنزل تباعا ملائكة الرحمة وكبيرهم جبريل، بإذن ربهم لهم بذلك على العابدين الشاكرين.

﴿الروح﴾: هو جبريل عليه السلام كما تقدم فى الآية (١٩٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١. ﴿من كل أمر﴾: من بمعنى الباء أى بكل أمر.

﴿سلام هى﴾: أصل السلام هو السلامة من كل مكروه وأريد به هنا أنها سبب تام للسلامة والنجاة حتى كأنها هى السلام نفسه.

﴿حتى مطلع الفجر﴾: أى إلى وقت طلوع الفجر.

وَالْأَمْسِيَّةِ ﴿١﴾ نَامِيَّةٌ كَيْدِيَّةٌ عَائِلِيَّةٌ ﴿٢﴾ تَلْبَعُ نَادِمٌ ﴿٣﴾ سَنَدُ الزَّيْنَةِ ﴿٤﴾ كَلَّا لَيْلُهُ رَاجِدٌ

وَاقْتَرَبَ ﴿٥﴾

(٧) سُبْحَةُ الْفَارِ كَيْدِيَّةٌ

لَا يَأْتِيهَا مَجِيئٌ

يَتَمُ

إِلَهُ الْخَيْرِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَقْرَبَكَ مَاتِلَةٌ الْقَدَرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا يُفْزِذُ رَّسْمٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ عَلَى مَنَّاغِ الْقَدْرِ ﴿٥﴾

المفردات: ﴿بالناصية﴾: هى شعر مقدم الرأس. وتطلق أيضاً على الجبهة.

﴿ناصية كاذبة﴾: المراد: كاذب صاحبها، كما فى (راضية) فى الآية (٣١) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢.

﴿خاطئة﴾: أى خاطئ صاحبها أيضاً.

﴿فليدع ناديه﴾: أصل النادى: المكان الذى يجتمع فيه القوم، كما يطلق على القوم المجتمعين فيه. وهذا هو المراد هنا، والمراد: فليجمعهم عنده، وليحارب المؤمنين إن استطاع.

﴿سندع﴾: أصلها (سندعو) وحذفت الواو تخفيفاً، كما فى الآية (١١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥.

﴿الزبانية﴾: جمع زان، مأخوذ من الزنن يفتح فسكون وهو الدفع بشدة. وأصل استعمال الزبانية فى الجنود أعوان الولاة. ويطلقه العرب على كل قوى شديد البطش، والمراد بهم هنا الملائكة المشار إليهم فى الآية (٦) من سورة التخريم صفحة ٧٥٢.

﴿كلال﴾: كسابقتها.

﴿لا تطعه﴾: المراد: استمر على عدم طاعته فيما يريد من ترك الصلاة.

﴿واسجد﴾: أى داوم على صلاتك.

- (١) كاذبة.
- (٢) أنزلناه.
- (٣) أدراك.
- (٤) الملائكة.
- (٥) سلام.

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

هو المشركين: المراد بهم هنا كل من عبد غير الله كالأصنام أو النار، ولم يكن لهم كتاب. هم متفككين: أي متزركين هملا بدون أن ترشدتهم الحق، وتقيم عليهم الحجة؛ انظر الآيات ١١٥ من سورة المؤمنون صفحة ٤٥١ (٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٧ و (٣١) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠.

حتى تأتيهم البينة: أي إلى أن تأتيهم الحجة والمعنى: لا تركهم إلا بعد أن تقيم عليهم الحجة لتقطع عليهم العذر يوم

القيامة، وانظر معاني البينة في الآية (٥٧) من سورة الأنعام صفحة ١٧١.

فرسول من الله: بيان للبينة، باعتبار ما جاء به ﷺ من القرآن المعجز، انظر آتي (١٢٣)، (١٢٤) من سورة طه صفحة ٤١٩.

فياتو مصحفاً: المراد: يقرأ قرآنًا يصير فيها بعد مكتوبًا في مصحف... إلخ. فمطهرة: أي منزهة عن الباطل والتعريف.

فيها كتب: المراد من الكتب هنا: الآيات المكتوبات في المصحف، انظر ما تقدم في الآية (٧) من سورة المطففين صفحة ٧٨٧.

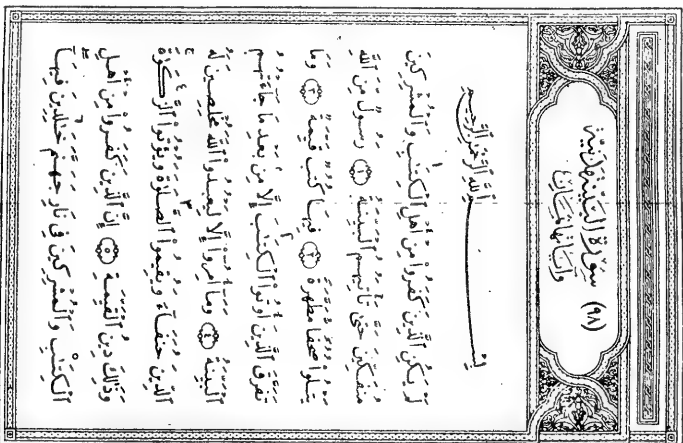
فقيمة: أي مستقيمة لا عوج فيها، انظر آتي (٢، ١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠.

فوما تفرق: إلخ... أي وما اختلفوا وصاروا شيعًا وأحزابًا، انظر الآيات (٢١٣) من سورة البقرة صفحة ٤١، ٤٢ و (١٠٥) من سورة آل عمران صفحة ٨٠ و (١٦، ١٧، ١٨) من سورة الجاثية صفحة ٦٢٢، والمراد: أن هذا هو شأنهم دائمًا. ﴿لَا يُعْبِدُوا اللَّهَ﴾: اللام بمعنى (أن) والمراد: إلا أن يعبدوا الله... إلخ. انظر شرح الآية (٨) من سورة الصف صفحة ٧٣٩.

(١) الخليلين. (٢) المصلاوة. (٣) الزكاة. (٤) الكتاب. (٥) خالدين.

(الجزء الثلاثون)

٨٦



سورة القدر

٧١٢ الجزء الثلاثون

المعنى: إنا بدأنا إنزال القرآن في ليلة الشرف والرفعة، وهل هناك شرف وعلو منزلة لزمان من الأزمان مثل شرف ليلة أنزل فيها سبحانه أجل نعمة تضيء طريق الهداية للناس كافة إلى يوم القيامة ولذا قال سبحانه: وما أدراك... إلخ. أي إن معرفة منزلة هذه الليلة باعتبار ما حصل فيها فوق مستوى قدرة البشر، ولا يعلم حقيقة شرفها إلا علام الغيوب جله قدرته. وإنما قلنا بدأنا إنزاله لأن التوكل بإنزال القرآن كله في تلك الليلة لا يستقيم إذا علمنا أن هذه السورة جاءت مخبرة عن إنزال القرآن، فلو كان المعنى إنزاله كله تكون هذه السورة ليست منه؛ لأنه لا يصح أن تكون مخبرة ومخبراً عنها في آن واحد. وبعدما شوق سبحانه النفوس لمحاولة إدراك فضلها، أراد أن يبين شيئاً مجملاً منه فقال: ليلة القدر خير من ألف شهر. أي إن خيرها عظيم، والعمل الصالح فيها - شكر الله على نعمة إنزال هذا القرآن - خير من العمل في ليل كثيرة غيرها. ثم ذكر سبحانه ما يشعر بشيء من فضلها فقال تعالى: تنزل الملائكة... إلخ. أي تنزل ملائكة الرحمة وكبيرهم جبريل عليه السلام على العابدين المشاكركين فيها بأمر ربهم لهم بذلك، تنزل بكل أمر فيه خير للعالمين من التسليم عليهم والاستغفار لهم والدعاء. كما يفعل حملة العرش لهم، انظر آيات (٧، ٨، ٩) من سورة غافر صفحة ٦١٨.

وطاعة الله في هذه الليلة فيها سبب للسلامة والنجاة من كل مخوف في الدنيا والآخرة. ويستمر نزول الملائكة على العباد فوجاً بعد فوج إلى طلوع فجرها. ومن يعلم أنه سبحانه أمرنا بصيام شهر رمضان شكرًا له على إنزال القرآن في ليلة من لياليه كما في الآية (١٨٥) من سورة البقرة صفحة ٢٥، ٢٦. يعلم سبب عنابة الرسول ﷺ بالبحث على قيامها، وأنه هو الشكر على هذه النعمة التي لا تساويها نعمة أخرى. وقد عرف عنه ﷺ حرصه على شكر ربه على كل نعمة حتى ما كان منها على من سببه من إخوانه الأنبياء. فقد جاءت الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يسمون يوم عاشوراء لأن الله تعالى نجى فيه موسى عليه السلام من الغرق. فقال ﷺ: نحن أحق بموسى منهم، وأمر أصحابه بصيامه.

المفردات: ﴿وأهل الكتاب﴾: المراد بهم كل من كانوا يدعون أنهم أهل كتاب وأنهم أتباع نبي من الأنبياء كالنصارى، والنصارى، والصائبين، انظر الآية (٦٢) من سورة البقرة صفحة ١٢، ١٣. والآية (١٩) من سورة المائدة صفحة ١٥١.

﴿حُفَاء﴾: جمع حنيف، وهو البعيد عن الباطل، المائل إلى الحق: انظر شرح الآية (١٣٥) من سورة البقرة صفحة ٣٦، والآية (٣١) من سورة الحج صفحات ٤٢٧، ٤٢٨.

﴿دين القيمة﴾: أي دين الأمة المستقيمة على طريق الحق.

المعنى: كان الناس قبل مبعث النبي ﷺ ما بين مشركين يعبدون غير الله، وأهل كتاب غلب عليهم ظلام الجهل بما يجب اعتقاده لله سبحانه، وما يجب عمله تقرباً إليه، ونسوا كثيراً من شرائع أنبيائهم كما في الآية (١٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٨ واعتمدوا فيما يعتقدون ويعملون على تقليد الآباء.. وكان أبائهم أدخلوا في شرائعهم ما ليس منها فسوء فهم أو لاستحسان بدع يتوهمونها خدمة للدين مع أنها أشد ضرراً عليه انظر شرح الآية (١٠٤) من سورة الكهف صفحة ٢٩٥. ويعملهم هذا خفى الحق في ظلام الباطل.

- وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد تقتضى الحكمة الإلهية إرسال رسول يوضح للناس طريق الحق ويزيل منه ما وضع فيه من أشواك شوّهت جماله. في كل هذا يقول سبحانه: لم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين، أي متروكين على ما هم عليه هملاً، المراد لا نتركهم إلا بعد أن تأتيتهم حجة تبين طريق الصواب، وتلك الحجة هي الرسول المؤيد بأدلة صدقه خصوصاً ما معه من القرآن الذي يتلوه عليهم. فإذا فعلنا ذلك نتركهم وشأنهم. فمن شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر. انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤، ٢٨٥. ثم أراد سبحانه أن يوضح أهل الكتاب - على الخصوص - على إعراضهم عن الإيمان به ﷺ فقال: (وما تفرق الدين).. إلخ.

المراد أنه لما جاءهم الرسول المؤيد بالمعجزات كان الواجب عليهم أن يهتدوا. ولكنهم لم يستفيدوا منه كما هي عادتهم السابقة مع أنبيائهم فإنهم لم يبالغوا في التفريق إلى شيع وأحزاب إلا بعد ما جاءتهم البينة على السنة رسلهم. فهذا شأنهم أيضاً مع خاتم الرسل ﷺ. مع أنهم لم يؤمروا على السنة الرسل مطلقاً إلا بأن يعبدوا الله مخلصين له الطاعة بعبدين عن جميع العقائد الباطلة. ويقوموا الصلاة على أصولها. ويؤتوا الزكاة لمستحقّيها. وهذا هو المذكور هو دين الأمة المستقيمة على طريق الصواب، ثم أراد سبحانه أن يبين حال الفريقتين - الكافرين والمؤمنين - في الآخرة فقال تعالى: (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها).. إلخ.

أَوَلَيْكُم مِّنَ النَّارِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَاشْرَؤْا وَعَمَلُوا
الْصَّالِحَاتِ أَوَلَيْكُم مِّنَ النَّارِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ

لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ ۝

(١٩) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
وَالْحَمْدُ لَكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَأَنْزَلْتُمُ الْأَرْضَ زَلْزَالًا ۖ وَأَنْتَرَجِبُ الْأَرْضَ
أَتَقَامًا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا مَكَامًا ۖ يَوْمَئِذٍ
يَخْتَلِفُ أَعْيُنُهُمْ ۖ إِنَّ رَبَّنَا وَهِيَ مَكَامًا ۖ يَوْمَئِذٍ

المفردات: ﴿البرية﴾: أي الخليقة.

﴿جنان عدن﴾: أصل مغنى (عدن) الإقامة، ثم استعمل اسماً من أسماء الجنة؛ لأن الإقامة فيها خالدة.

﴿رضى الله عنهم﴾: فأحسن ثوابهم.

﴿ورضوا عنه﴾: أي رضوا عن جزائه لهم،

وسرو به.

﴿ذلك لمن خشى ربه﴾: أي وهذا الجزاء

المتقدم لا يناله إلا من خاف مقام ربه، عند

كل تصرف.

المعنى: الذين كفروا ويدخلون جهنم يوم

القيامة هم شر الخليقة؛ لأنهم بإهمالهم

لعقولهم أقعوا أنفسهم في العذاب الدائم

فهم أضل من الأنعام كما في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. والذين آمنوا بالله

تعالى ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر وعملوا الصالحات أولئك هم خير الخلائق. جزاؤهم

عند ربهم بعد انتهاء الحساب يوم القيامة جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها

الأنهار خالدين فيها أبداً. رضى الله عنهم فأحسن ثوابهم. ورضوا عن جزائه لهم. ولما كان

ربما يظن قصير النظر أن مجرد الإيمان الوراثي الذي لم يقتصر بالبرهان القطعي وأداء بعض

العبادات كحركات الصلاة وإمساك الصوم مثلاً - يظن أن مجرد ذلك يكفى في نيل هذا

الجزء العظيم، ولو مع خلو القلوب من خشية الله تعالى التي توجب البعد عن المعاصي - لما

كان ربما يظن هذا، أراد سبحانه دفع ذلك ببيان أن هذا الجزاء لا يناله إلا من ملأت خشية

الله قلبه. فلا يصلح إلا خاشعاً، كما في الآية (٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٥، ولا ينفق

إلا لوجه الله. ولا يقرب معصية أبداً. وإذا وقع فيها سارع إلى التوبة منها. والله الموفق.

(١) آمنوا. (٢) الصالحات. (٣) جنات. (٤) الأنهار. (٥) خالدين. (٦) الإنسان.

المفردات: هيصدر الناس: تقول العرب: صدر فلان عن المدينة أي سافر منها وتركها وانتقل لغيرها؛ والمراد هنا: يخرجون من القيور.

هـ شتات ۴: أي متفرقين. تقدم في الآية (١١) من سورة النور صفحات ٤٦٨، ٤٦٩، وانظر الآية (٧) من سورة القمر صفحة ٧٠٥ والآية (٤) من سورة النازعة صفحة ٨١٩.

وأيروا أعمالهم: المراد ليرثم الله
جزاء أعمالهم. تقول العرب: عاش فلان
حتى رأى عمله. أي ثمره عمله.

﴿مُتَقَال ذَرَف﴾: تقدما في الآية (٤٠) من سورة النساء صفحة ١٠٧ والآية (٦١) من سورة يونس صفحتي ٢٧٥، ٢٧٦.

المعنى: في يوم القيامة عند النفخة الثانية المذكورة في الآية (٧٨) من سورة الزمر صفحة ١١٥ يخرج الناس من القبور متفرقين لا يسأل أحد عن أحد من شدة الهول. ثم يسألون إلى المعشر ليرثهم الله جزاء أعمالهم ثم فصل ذلك بقوله تعالى: (فمن يعمل) .. الخ، أي فمن كان عمل في الدنيا عملاً من الخير يوزن أصغر شيء في الوجود فإنه يرى جزاء عمله لا فرق في ذلك بين مؤمن وكافر لأن صريح نص الآية (٦٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥ يقتضي ذلك. والآيات التي تشيد بطلان عمل الكافر وعدم نفعه له المراد منها أنه لا ينفعه في رفع الخلود في النار. فلا يمنع أنه يخفف عنه بعض عذاب الذنوب الأخرى غير الكفر بمقتضى عدل الله سبحانه، أما الكفر نفسه فلا يخفف عنهم من عذابه شيء. ويؤيد هذا ما جاء في الأحاديث

يَعْبُدُونَ النَّاسَ أَتُتَىٰ رَأْيُكُمْ ۖ إِنَّكُمْ لَعِندِي قَلِيلٌ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

(١٠٠) سيرة العارفين
وأيانها اخذت عشرة

أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخِزْيَانَةُ الْأُولَىٰ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٢﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٣﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٤﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٥﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٧﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠٩﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١٠﴾

- (١) أعمالهم.
- (٢) العاديات.
- (٣) فالموريات.
- (٤) فالمنفريات.
- (٥) الإنسان.

سورة الزلزلة

المفردات: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾: أى الصنطريت، انظر الآية (١) من سورة الحج صفحتي ٤٢٢، ٤٢٣؛ وإذا علمت أن (إذا) هنا ظرف لزمان يوم القيامة، الممتد من النفخة الأولى إلى دخول دار العزاء (الجنة أو النار) تعلم أن المعنى: إذا تحركت الأرض حركة عنيفة عند النفخة الأولى ﴿وَأُخْرِجَتْ﴾: أى عند النفخة الثانية.

﴿زُلْزِلَ أَسْفَالُهَا﴾: المراد: الزلزال المخصوص بها في تلك الحالة، وهو زلزال شديد لا يعرف مقدار شدته إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى.

فَوُاعِزَتْهُمُ الْأَرْضُ: * أظهر ذكر الأرض ثانياً، ولم يكثف سبحانه بضميرها فيقول (وأخرجتم أنفسها) للإشعار بأن الأرض عند إخراج ما فيها تكون على حالة مغيرة لما كانت عليه عند الزلزلة، فهي أرض أخرى، انظر (يوم تبدل الأرض) .. إلخ الآية (٤٨) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٧.

﴿أَتَقَاتِلَ﴾: جمع قَتَلَ، بكسر فسكون. والمراد ما يقاتلها من كل ما في جوفها من أموات، وكوز، وغير ذلك، انظر الآية (٤) من سورة الانشقاق صفحة ٧٨٩.

هو قول الإنسان ﷻ: المراد بالإنسان هنا: الكافر لأنه هو الذي يفتاح بما كان يكره.

﴿مَالِهَا﴾: أى شيء حصل لها؟ والمراد: التعجب من شدة الهول.

﴿تحدث أخبارها﴾: أي تحدث الناس بلسان حالها، كما في (قالتا اتينا طامعين) الآية (١١) من سورة فصلت صفحات ١٣٠، ١٣١.

هَذَا رِبَكُ لَهَا ﴿۱﴾ الْبَاءُ لِلنَّبِيَّةِ. أَيْ بِسَبَبِ إِيحَاءِ اللَّهِ لَهَا. أَيْ أَمَرَهُ لَهَا بِأَنْ يَحْصَلَ مِنْهَا مَا حَصَلَ وَالْمَرَادُ: الْأَمْرُ التَّكْرِيفِيُّ الْمَشَارِقِيُّ الْآيَةُ (۸۳) مِنْ سُورَةِ يَسَ صَفْحَةُ ۵۸۱.

المعنى: إذا تحركت الأرض حركة عنيفة عند الانفخة الثانية، وأخرجت الأرض كل ما فى

جوفها مما كان يشغلها. ويقول الإنسان لما دهاه من المفاجأة: أي شيء حصل للأرض حتى لفطت ما في بطنها، إذا حصل كل هذا ابتداءً لسان حال الأرض بما يفهم منه إن ما حدث لم يكن بسبب من الأسباب العادية المعهودة في الدنيا، بل ذلك بسبب أن الله قال لها: كونى مضطربة مخرجة ما في جوفك، فكان ما أمر به سبحانه.

الصحيحة من قوله ﷺ أن حاتم الطائي يخفف عنه العذاب لكرمه وأن أبا لهب يخفف عنه لسروبه بمولده ﷺ حتى أنه اعتق جاريته (ثوبية) عندما بشرته بذلك. وأن أبا طالب عمه ﷺ لا تمس النار إلا قدميه وإن كان يغلى منها رأسه. لتفانيه في دفع أدنى فريش عنه ﷺ. ومما يدل على أن عذاب جهنم يتفاوت ما جاء في الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٢٨، والآية (٤٦) من سورة غافر صفحة ٦٢٤، وانظر شرح الآية (٤٩) من سورة الأنعام صفحة ١٢٩ و (٣٦) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٣ ومما يدل على انتفاع الكافر بعمل الخير ما نقلناه عن الحافظ ابن حجر في شرح حديث رقم ٢٢٧ في كتابنا صفوة صحيح البخاري وهو في باب المزارعة (من زرع زرعاً فيأكل منه طير أو... إلخ إلا كان له ثواب)... إلخ ومن يعمل وزن ذرة من الشر ير جزاءه شراً، لا فرق كذلك بين مؤمن وكافر، إلا إذا قاب منه المؤمن نساء الله تعالى السلامة.

﴿سورة العاديات﴾

المفردات: ﴿والعاديات﴾: جمع عادية. من العدو وهو الجري. والمراد: الخيل الجاريات.

﴿ضبحاً﴾: الضبح هو صوت أنفاس الخيل عند جريها، وأريد به هنا اسم الفاعل الواقع حال من العاديات، أي والعاديات حال كونها ضابحات أي مرتفعتات أصوات أنفاسها.

﴿الموريات﴾: جمع مورية من الإبراء. وهو إخراج النار من الحجر بالزناد مثلاً انظر الآية (٧١) من سورة الواقعة صفحة ٧١٦.

﴿قدحاً﴾: أصل القدح هو الضرب على الحجر لإخراج النار، والمراد: حال كونها قاذحات أي ضاربات بحوافرها على حجارة الأرض فتخرج النار.

﴿المغيرات﴾: جمع مغيرة، من أغار على العدو إذا هجم عليه.

﴿صيحاً﴾: أي وقت الصبح والعدو في غفلة.

﴿أثرن﴾: الإثارة هنا هي التهيج وتحريك الغبار.

﴿نتعاً﴾: أي غباراً.

﴿ووسطن به جمعا﴾: (به) أي بالصبح. أي دخلن وتوسطن في وقت الصبح داخل جمع العدو.

﴿إن الإنسان﴾: هذا أول المخلوف عليه. والمراد: أغلب أفراد الإنسان. وإلا فمَنْ عصمه الله لا يكون هكذا. انظر الآية ٢ من سورة العصر صفحة (٨٢٠). (لكنود): أي كفور. يقال فلان كند النعمة أي جحدتها ولم يشكر عليها. والمراد: لكثير جحود النعمة.

﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾: أي إن أعماله تشهد بأنه كفور لنعم ربه، فهي شهادة بلسان الحال، وهي أضدق من شهادة اللسان، انظر نظير ذلك في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة (٢٢١) والآية (١٧) من سورة التوبة صفحة ٢٤٢.

﴿الخير﴾: المراد به هنا: المال الكثير. انظر الآية (١٨٠) من سورة البقرة صفحتي ٣٤، ٣٥.

﴿بغثر﴾: أي نثر، كما تقدم في الآية (٤) من سورة الإنطار صفحة ٧٩٥.

﴿حصل﴾: أي جمع من صفح الملائكة، وأبرز ما انطوت عليه الصدور من نيات حسنة أو سيئة.

المعنى: - أقسم سبحانه بالخيال التي تجري في سبيل الله حال كونها ضابحات من شدة الجري. ويتطير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدمها للأرض الحجرية. والتي بهجم بها فرسانها على العدو في وقت الصباح ليأخذوه على غرة. والتي يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق في وقت الصباح. فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته. ومع ملاحظة أول شرح صفحة ٥٨٧ تعلم حكمة قسمه سبحانه بالخيال صاحبة تلك الصفات. وهي تبييه المؤمنين للعناية بكل ما يعلمهم الكر والفر ومقاومة شر الأعداء. ليكونوا دائماً على أهبة الاستعداد فيها بهم من تحدته نفسه بأضعافهم، انظر الآية (٦٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٦. ثم ذكر سبحانه المخلوف عليه فقال تعالى: إن الإنسان.. إلخ. أي إن طبع الإنسان الذي يظهر في أغلب أفراده أنه شديد الكفر لنعم ربه، فلا يؤدي حق شكرها بالإحسان إلى المحتاجين والصرف في مصالح الأمة. وأن تصرفاته في جمع المال والتسابق بشره عليه تشهد عليه بالباحث للإنسان غير الموفق على ذلك فقال: وإنه لحب.. إلخ. أي وأنه لشديد الحب للمال الكثير - ثم هدد سبحانه مَنْ كان هذا شأنه بقوله أفلا يعلم، أي هل جرفته الغفلة فصار لا يعلم ما سيلاقيه حين يخرج الموتى من القبور للحشر والحساب. وحين يجمع من صفح الملائكة ويبرز ما انطوت عليه الصدور من النيات الحسنة والسيئة وغير ذلك؟

﴿الفرار﴾: هو الطير الصغير الذي يتراعى على ضوء السراج ليلاً؛ ويضرب به المثل في الحيرة، والجهل بالعاقبة.

﴿المبثوث﴾: أى المنتشر، انظر الآية (٧) من سورة القمر صفحة ٧٠٥.

﴿وكون الجبال كالعهن﴾: المعن الصوف، انظر التفصيل في الآية (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧.

﴿ثقلت موازينه﴾: المراد: كانت حسناته أكثر من سيئاته، فكان له عند ربه اعتبار، انظر شرح الآية (٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٣.

﴿بعيثة راضية﴾: تقدم في الآية (٢١) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.

﴿خفت موازينه﴾: المراد: كانت سيئاته أكثر من حسناته فالويل لمن تكن له حسنات.

﴿أمه﴾: المراد مرجعه الذي يأوى كما يأوى الطفل إلى أمه، وهذا تهديد شديد، وأنه لن يجد مكان راحة حتى ما كان يظن أنه راحة فهو نار حامية، والكلام هنا من قبيل التحكم، كما في قوله تعالى ﴿فيشرهم بعذاب اليم﴾.

﴿هاوية﴾: هى المكان المنخفض كثيراً الذى لا يرجع من سقط فيه، وفسرها هنا بالنار.

﴿صاهية﴾: أصلها (ماهى) والعرب تزيد هاء ساكنة على آخر الكلمة، ويسمونها هاء السكت، كما سبق في قوله تعالى ﴿أقرؤوا كتابيه﴾ في الآية (١٩) من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.

المعنى: القارعة وما حقيقتها؟ شيء هائل. ولا شيء يدريك حقيقتها لشدة أهوالها. هذه القارعة تفرع الأسماك في اليوم الذى يكون الناس فيه كالفرش المبثوث في الكثرة والانتشار والاضطراب والطيش والضعف. وتكون الجبال كالصوف المنفوش في الخفة والتطاير في الهواء ثم الفناء. وعند عرض الخلائق على الحساب في هذا اليوم ينقسمون إلى من رجحت كفته عند ربه فيحيازه بعيشة هنيئة يرضى عنها غاية الرضا. وإلى من سقطت قيمته عند ربه لكثرة سيئاته فيجازى بإسقاطه في هاوية سحيقة لا يخرج منها. وتلك الهاوية هى نار شديدة

عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ وَأَرْسُلَ يَوْمَئِذٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾

(١) سَيُكْرَهُ النَّاسُ الْفَارِغِينَ ﴿٣﴾ وَالْجِبَالُ الْوَارِغِينَ ﴿٤﴾

وَالْأَرْضُ الْوَالِغَةُ ﴿٥﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَأَنزِلْهُ نَارَ الْهَارِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿١٠﴾ فَأُمِّرْ ﴿١١﴾ وَأَنزِلْهُ نَارَ الْهَارِ ﴿١٢﴾

وَالْأَرْضُ الْوَالِغَةُ ﴿٥﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَأَنزِلْهُ نَارَ الْهَارِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿١٠﴾ فَأُمِّرْ ﴿١١﴾ وَأَنزِلْهُ نَارَ الْهَارِ ﴿١٢﴾

المفردات: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لغيره: هذا كناية

عن مجازاتهم على أعمالهم في هذا اليوم.

﴿وَالْجِبَالُ الْوَارِغَةُ﴾ يعلم أحوالهم في هذا اليوم

وفى غيره، كما تقول مهدداً شخصاً:

سأعرف لك عملك هذا تريد ساجداً،

ومنه قوله تعالى ﴿سنكتب ما قالوا﴾ الآية

(٨١) من سورة آل عمران صفحة ٩٣. أى

سنجازى عليه لأن الكناية حصلت بمجرد

النقل بها.

المعنى: إن رب هؤلاء الناس عالم

بأحوالهم؛ والمراد أنه سيجازيهم في هذا

اليوم على ما عملوا. والله أعلم.

سورة القارعة

المفردات: ﴿القارعة﴾ ما القارعة... إلخ: انظر المراد بهذا الأسلوب في شرح الآيات (٢، ١) من سورة الحاقة صفحة ٧١١.

﴿والنارعات﴾: اسم من أسماء القيامة كالحاقة في صفحة ٧١١، والطامة في الآية (٣٤) من

سورة النازعات صفحة ٧٩٠، والصاخة في الآية (٣٢) من سورة عبس صفحة ٧٩٣، والغاشية

في الآية (١) من سورة الغاشية صفحة ٨٠٤، وسميت قارعة لأنها تفرع القلوب، أى ترعجها بأهوالها.

﴿يَوْمَ﴾: هذا اليوم يبتدئ من النفخة الأولى إلى انتهاء الحساب، انظر ما تقدم في ﴿وإذا زلزلت﴾ صفحة ٨١٧.

(١) أدراك. (٢) موازينه. (٣) أدراك.

﴿ثم لترونها﴾: أى بعد ذلك بدخولكم فيها وذوقكم عذابها. ﴿عين اليقين﴾: أى عيانا، وانظر ما تقدم أيضاً فى الآية (٩٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٨. ﴿ثم لتسألن﴾... إلخ: ﴿ثم﴾ للترتيب الإخبارى: لأن السؤال فى موقف الحساب قبل رؤية جهنم.

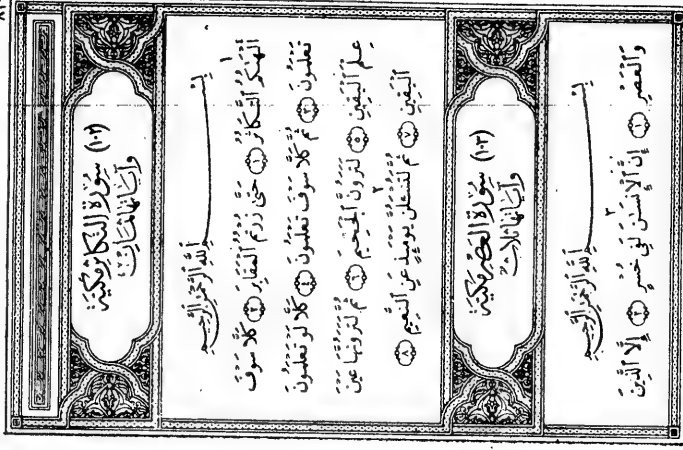
المعنى: شغلكم أهبها الضالون التسابق فى تكثير الأموال والأولاد والتباهى بهما، وصرف إلى ذلك اهتمامكم حتى غفلتم عما سيلاقىكم من المخاطر. ويقيم فى هذه الغفلة حتى دفنتم فى القبور، انزعجوا عن هذا التكاثر، ولا سوف تلمون بعد الموت خطاكم، ثم انزعجوا خيراً لكم فسوف تلمون عند البعث من القبور علم مشاهدة جزاء أفعالكم، لو تعلمون علماً يقينياً لصرفكم ذلك عن التكاثر من المتاع الزائل، ولدفعكم إلى السعى فيما فيه السعادة الخالدة. ثم أكد سبحانه ما تقدم مع تهديدهم فقال: لترون... إلخ. أى والله لترون الجحيم وهى بارزة لكم غير بعيد، كما فى الآية (٩١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥ والآية (٣٦) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠. ثم لترونها بعد ذلك بدخولكم فيها وذوقكم عذابها؛ ثم ختم السورة بما فيه توبيخ لهم فقال: ثم لتسألن يومئذ عن النعيم أى الذى كنتم تتكالبون عليه، هل رأيتم فيه حقوق الله. وراعى أحكامه فى الحصول عليه والتمتع به، فإن لم يكن كذلك كان ما تنعمت به سبباً لأبشع شقاء فى دار البقاء. نسأل الله السلامة.

سورة العصر

المفردات: ﴿العصر﴾: المراد به عصر النبوة مدة حياته ﷺ فإنه أشرف العصور. أقسم به سبحانه لأهمية ما حصل فيه، كما أقسم بالتين والزيتون وطور سيناء لما حصل فيها. فيكون سبحانه أقسم ببلده ﷺ باعتبارين. اعتبار توبيخ الكفار على انتهاك حرمة كما فى الآية (١) من سورة البلد. واعتبار شرفه لمبعثه فيه كما فى الآية (٣) من سورة التين صفحة ٨١٣. وأقسم هنا بعصره الذى عاش فيه لأنه أشرف العصور لما فيه من إنقاذ للبشرية من الشرور وعموم الرحمة، انظر الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣٢.

﴿الإنسان﴾: المراد به هنا: المكلف، ﴿لنى خسراً﴾: أى لنى خسراً فى تجارتى التى جعلها مع الشيطان انظر الآية (١٦) من سورة البقرة صفحة ٥.

المعنى: وحق عصرىك أهبها النبى الذى كان خيراً وبركة على العالمين إن الإنسان لنى خسارة عظيمة فى تجارتى التى جعلها مع الشيطان فيقدم له عصيان ربه لينال حظاً فانيماً فما ربحت تجارتى، انظر الآية (١٦) من سورة البقرة صفحة ٥، لكنه لو تاجر مع الله كما أرشده لربح ربحاً عظيماً، انظر الآيات من (١٠ إلى ١٣) من سورة الصف صفحة ٧٣٩، ٧٤٠.



الالتهاج. نسأل الله تعالى السلامة.

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿أهل الكرم﴾: أى شغلكم. ﴿التكاثر﴾: أى التسابق فى تكثير الأموال والأولاد والتفاخر بهما، انظر الآية (٣٠) من سورة الحديد صفحة ٧٧٢.

﴿ورثم المقابر﴾: المراد: حتى متم ودفنتم فى القبور. والتعبير بالزيارة لإفادة أن المكث فى القبور قليل سيئ يقبه سريعاً حساب شقيلاً، وقال ﴿ورثم﴾ مع أن المخاطبين لازالوا أحياء جرياً على عادة القرآن فى نسبة عمل الآباء لأبنائهم الذين ساروا فى طريقهم، فكأنه يقول شغلتمكم الدنيا كما شغلت آباءكم الذين ماتوا. ومن ذلك خطابه سبحانه لبنى إسرائيل الذين كانوا فى عهده ﷺ بما حصل من آياتهم فى عهد موسى، انظر موسى (٥٠، ٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠ وأيتى (٥٦، ٥٥) من سورة البقرة أيضاً صفحة ١١.

﴿كلا﴾: زجر لهم عما تقدم. ﴿سوف تلمون﴾: أى بعد الموت. ﴿ثم كلا سوف تلمون﴾: أى عند البعث من القبور علم مشاهدة جزاء أفعالكم.

﴿كلا﴾: كدر سبحانه زجرهم وذلك لتمكين شهوة المال من نفوسهم. ﴿لوتعلمون علم اليقين﴾: أى علماً يقينياً، انظر ما تقدم فى الآية (٩٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٨، وجواب ﴿لوى﴾ مقدر، أى لصرفكم ذلك عن التكاثر من المتاع الزائل، ولدفعكم إلى السعى فيما به السعادة الخالدة.

﴿لترون الجحيم﴾: المعنى: والله لترون الجحيم وهى بارزة لكم، غير بعيدة، كما فى الآية (٩١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥ والآية (٣٦) من سورة النازعات صفحة ٧٩٠.

﴿الهمزة﴾: أي كثير الهمز. وهو الطعن في الغير خفية. بالإشارة باللسان أو العين مثلاً. وقد يطلق على الطعن مطلقاً، ولو تغير هذه الكيفية، كما في الآية (٥٨) من سورة التوبة صفيحة (٢٥٠) والآية (١١) من سورة الحجرات صفيحة ٢٨٦ والثناء هنا كسابقتهما.

﴿جميع مالا﴾: هذه إشارة إلى ما جعله يهراً بالناس ويحط من أقدارهم ويسخر منهم، انظر الآية (١٤) من سورة القلم صفيحة ٧٥٨ والآية (١٢) من سورة المدثر صفيحة ٧٧٦.

﴿وعدد﴾: أي صار يعده المرة بعد المرة، شفقاً به وتلذذا بإحصائه. ﴿يحيى﴾: أي يظن. ﴿أخلده﴾: أي جعله خالداً لا يموت، والمراد: عمل كعمل من لا يظن الموت. ﴿وكللا﴾: زجر له عن هذا العمل؛ أي فليتردع عن هذا الظن.

﴿يبين﴾: أي والله ليطلعن. ﴿وفي الحطمة﴾: كثيرة الحطيم والتكسير لكل ما يليق فيها. ﴿وما أدراك﴾... إلخ: المراد من هذا التركيب تهويل الأمر وقد تقدم مثله في الآية (٢) من سورة الحاقة صفيحة ٧٦١. ﴿الموقدة﴾: أي الملتبئة اللهباً شديداً.

﴿وتطلع على الأفئدة﴾: الأفئدة هي القلوب والمراد: أن هذه النار تصل إلى أعماق قلوبهم، انظر ما تقدم في الآية (٧٢) من سورة غافر صفيحة ٦٢٧. ﴿ومؤصدة﴾: أي مغلقة كما تقدم في الآية (٢٠) من سورة البلد صفيحة ٨٠٩.

﴿وفي عمد﴾: العمد اسم جمع، واحد عمود، كما تقدم في الآية (٢) من سورة الرعد صفيحة ٢٢٠. ﴿وفي﴾: بمعنى الباء. أي مغلقة أبوابها بعدد... إلخ. ﴿ومعددة﴾: المراد: طويلة لشدة إنغلاقيها، وأشعارهم باليأس من الخروج منها.

المعنى:.. هلاك شديد لكل من يعيب غيره، أو يطعن في عرضه أو يسخر منه، الذي يجعله على ذلك كثرة جمعه للمال، وتلذذه بتعداده لأنه لا يرى شرفاً إلا به. فكما نظر إلى كثرة ما عنده انتفخ وطمأن أن كل من عداه دونه، وهو بعمله هذا يعمل عمل من يظن أن المال الكثير يغلد صاحبه فلا يموت. وبعدما هدد بالويل إجمالاً، فصل بعض تفصيل فقال تعالى:.. كلا... إلخ. أي فليتردع عن هذا الظن والآن والله ليطلعن في النار حقيراً ذليلاً. هذه النار التي تصل إلى أعماق القلب الذي يملؤه بحب المال والنيات السيئة والمقاصد الخبيثة. إن هذه النار تطلق عليهم ويوضع على أبوابها عمدان طويلة شدة غلقها وتأكيد بأسهم من الخلاص منها، وهل هذا كناية عن عدم تمكينهم من الخروج من النار؟ أو هو حقيقة؟ الله أعلم بأحوال الآخرة. انظر الآية (٢٦) من سورة الحج صفيحة ٤٢٦... نسال الله الهداية والسلامة.

عَبَّأُوا وَيَحْمِلُوا الْمُصْبِرِينَ وَتَوَسَّلُوا بِالنَّارِ وَتَوَسَّلُوا
بِالصَّبْرِ ⑤

(١٠) سَبِّحْ لِلَّهِ الْمَجْدَ فِي كِبَرِهِ
وَأَيَّانَا نَسْتَعِج ⑥

يَسْأَلُ الْوَارِثِينَ ⑦

وَبَلِّغْ لِكُلِّ مَجْرَةٍ لَبْرَةً ⑧ أَلَيْسَ جَمْعٌ مَالًا وَعَدَمٌ ⑨
يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ⑩ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ⑪
وَمَا أَزِيدُكَ مَالًا حُطَمَةً ⑫ تَرَاهُ الْوَارِثُونَ ⑬
أَيُّ قَلْبٍ قُلِعَ عَلَى الْوَارِثَةِ ⑭ إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ⑮
فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑯

المشردات: ﴿وتوأسوا﴾ بالحق: أي بكل ما هو حق.

﴿وتوأسوا بالصبر﴾: هو من عطف الخاص على العام، وخضع بالذكر لأهميته ولأنه كما قال الحديث، نصف الإيمان. والمراد: الصبر على مشاق كل ما يرضى الله.

المعنى: والذين آمنوا بكل ما يجب الإيمان به، ومنه تصديقهم بما يجلب الخير ويبعد الشر. واعتقادهم الفارق بين الفضيلة والرذيلة وكان إيمانهم هذا حاملاً لهم على أن يعملوا الأعمال النافعة لهم ولقومهم في الناس كافة ومن بين تلك الأعمال عملان مهمان هما أصل الفلاح، أولهما أن يوصى

بعضهم بعضاً باتباع الحق وهو كل ما يقره الشرع والعقل السليم. فكل من لم يأخذ على نفسه حمل غيره على الحق المقطوع بنفعه فهو من الخاسرين بمقتضى هذا النهي المصريح. وثانيهما أن يوصى بعضهم بعضاً على الصبر على مشقة العمل الطيب، واحتمال آلام المصائب بدون جزع. ولا يمكن حمل الغير على شيء من ذلك إلا إذا كان الأمر به قائماً بالواجب عليه، ولجلال هذه المبادئ وعموم نفعها قال الشافعي رضى الله تعالى عنه: لو لم ينزل من القرآن غير هذه السورة لكفت الناس.

سورة الهمزة

المفردات: ﴿ويلك﴾: أي هلاك. ﴿همزة﴾: أي كثير الهمز، أي العيب في غيره. والثناء فيه للمبالغة في الصفة، كما تقول فلان ضحكة أي كثير الضحك وقد تقدم معناه في الآية (١١)

من سورة القلم صفيحة ٧٥٨.

(١) أمثوا.

(٢) المصاحات.

(٣) أدراك.

المعنى: تشير هذه السورة لحادث الفيل المشهور عند العرب حتى أنهم جعلوه مبدأ تاريخ فيقولون: حدث كذا عام الفيل أو بعد عامين من عام الفيل مثلاً، وهو العام الذي ولد فيه النبي ﷺ. وحاصل هذا الحادث أن قائدا حبشياً يقال إن اسمه (أبرهة) - من قواد ملك الحبشة الذي كان متغلباً على بلاد اليمن في ذلك الحين - بنى كنيسة في (صنعاء) وأراد أن يرغم العرب على الحج إليها بدل الكعبة.

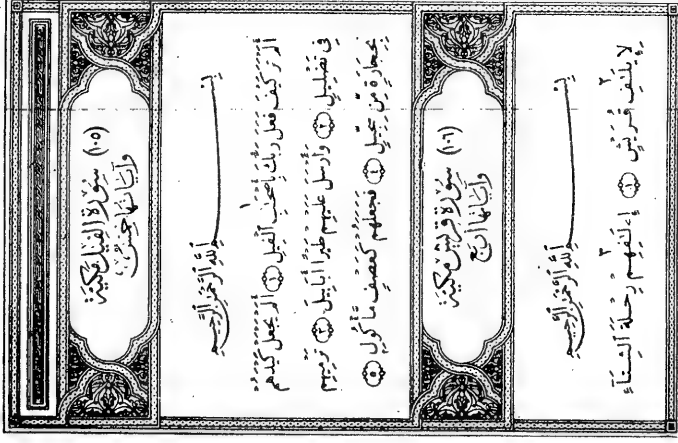
ولما لم يقبل عليها أحد أراد أن يهدم الكعبة حتى لا يجد العرب غير تلك الكنيسة فجهز جيشاً كبيراً وتوجه إلى مكة واستصحب معه فيلاً ضخماً ليذهب به قريشاً. وسار يتهر من يلاقيه في طريقه حتى قرب من مكة، فمسكروا خارجها، وأرسل إلى أهلها يخبرهم بأنه لا يريد حربهم، وإنما جاء ليهدم الكعبة، فإذا تركوه يفعل ما يريد فإنه لا يمسهم بسوء، فخافه أهل مكة وفروا إلى الجبال.

وفي هذا الحين أصيب جيش أبرهة بما ألقى في قلوبهم الرعب ومات منهم أكثرهم شرمية. وفي ذلك يقول سبحانه: ألم تر كيف... إلخ. أي ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟

أم يجعل تدبيرهم في ضياع فلم ينجحوا فيه؟

ثم بين كيف أضاعه فقال: فأرسل أي فسلط عليهم طيراً فرقا يتبع بعضها بعضاً. حتى لا يمكنهم التحفظ منها. وكانت هذه الطير تحمل شيئاً يشبه الطين المتحجر فألقته عليهم ففتت أجسامهم حتى صارت كالتبن الذي أكلته الدواب. والله أعلم.

هل كان منشأ هلاك هذا الجيش هذه الحجارة نفسها أو ما علق بها من مخلوقات فتاكة لاتدركها الأبصار؟. فقدره الله واسعة وما يعلم جنوده إلا هو. انظر الآية (٣١) من سورة الم نشر صفحتي ٧٧٧، ٧٧٦. وتكون العبرة أعظم كلما كان الطير أصغر، ليعتبر من يغتر بقوته. كالحبشي الذي اغتر بالفيل وضخامته. وقال بعض علماء التابعين: إن ما أصاب هذا الجيش كان مرض الجدري.



المفردات: ﴿ألم تر﴾: الاستفهام هنا للتقرير، مثل ما في الآية (١) من سورة الشرح صفحة ٨١٢ وتر: أي تعلم.

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أصحاب الفيل﴾: هم قوم من الحبشة كانوا يحكمون بلاد اليمن.

﴿ألم يجعل﴾: الاستفهام كالسابق.

﴿كيدهم﴾: أي تدبيرهم السيئ.

﴿تضليل﴾: أصل مادة الضلال تعيد معنى ضياع العمل عتياً، انظر الآية (٢٥) من سورة

غافر صفحات ٦٢٠، ٦٢١، والمراد هنا: أنه سبحانه أبطل كيدهم.

﴿طيراً﴾: الطير اسم لكل ما يطير سواء

أكان كبيراً أم صغيراً، فيشمل الذباب والبعوض، وغيرهما من جنود الله المهلكة التي لا يعلمها إلا هو سبحانه.

﴿أبائيل﴾: جمع إباله يكسر الهمزة وتشديد الباء. أصلها حزمة الحطب الكبيرة. شبهت بها جماعات الطير في تضامها والتصاقها، والمراد: أنها كثيرة جداً.

﴿ترميمهم﴾: الأصل رمتهم ولكنه جاء بالفعل المضارع لاستحضار الصورة العجيبة.

﴿سجيل﴾: الطين المتحجر كما تقدم في الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦.

﴿عصف﴾: أي تبن كما تقدم في الآية (١٢) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩.

- (١) أصحاب.
- (٢) إبلاف.
- (٣) إبلافهم.

وقال إن هذا كان أول جدري حصل في بلاد العرب. وكان شديداً حتى تساقط منه لحم من أصيب به. والله تبارك وتعالى أعلم.

﴿سورة قريش﴾

المغردات: ﴿الإيلاف﴾: متعلق بآخر السورة السابقة، أي جعلهم كهمسف أي مفتتين هالكين لأجل إيلاف قريش. وإيلاف مصدر ألفت الشيء بعد الهمزة إيلافاً. أي تعودته وأنسنت به فهو من الإلف والعادة.

﴿قريش﴾: اسم للقبائل العربية المتفرعة من النضر بن كنانة، انظر ما تقدم في الآية (١٢) من سورة العجرات صفحتي ٦٨٦، ٦٨٧ :

﴿إيلافهم﴾: بدل من إيلاف الأولى وإنما جاء به مطلقاً بدون تقييد أولاً لتشويق النفوس للقيد الذي سيذكره بعد ذلك في المرة الثانية.

فاذا ذكر بعد ذلك كان أوقع وهذا القيد هو قوله: ﴿ورحلة الشتاء﴾... إلخ.

﴿ورحلة الشتاء﴾: كانت إلى اليمن للتجارة.

المعنى: كانت لقريش رحلتان: رحلة لليمن في فصل الشتاء، والأخرى للشام في فصل الصيف، يعجب تجارها فيهما الأقوات لأن مكة ليست ببلاد زرع ولا صناعة مشهورة، ولأنهم خدام بيت الله، كانت قوافلهم معروفة عند العرب محترمة في نفوسهم فكانوا أميين في أسفارهم، على الرغم مما كان شائعاً عند العرب من كثرة النهب والسلب. فكان للبيت واحترامه فضل عليهم في أمنهم وفي أسفارهم حتى ألفوا تلك الأسفار، ولم ينفروا منها كبقية العرب.

وسخر الله لهم حادث الفيل فزاد من احترام العرب لهم. لكل هذا قال سبحانه: (إيلاف قريش)... إلخ. أي أهلك سبحانه جيش العجشة لأجل دوام إلف قريش رحلة الشتاء وزيادة أطمئنتهم باحترام العرب جميعاً لهم.

المغردات: ﴿والصيف﴾: أي إلى الشام للتجارة أيضاً.

المعنى: فعمل ربك ما فعل بأصحاب الفيل لأجل زيادة احترام الناس لقريش خدام بيته فيزيد إثمهم وأنسهم لرحلتهم شتاءً وصيفاً التي بها يرزقون قوتهم ويربحون في تجارتهم. وإذا كان هذا من فعل رب البيت الذي كان سبب أمنهم فيجب عليهم أن يعبدوه وحده لأنه هو الذي أطمعهم فأنفذهم من جوع مهلك وأمنهم من خوف مطلق في وسط قبائل مشهورة بالسلب والنهب، انظر الآية (١٧) من سورة التكاوت صفحة ٥٢٠

سورة الماعون

المغردات: ﴿أرأيت الذي يكذب﴾:

الاستفهام هنا مقصود به حمل المخاطب على التعجب من صنع هذا المكذب، مع وضوح الأدلة على صحة هذا الدين. والرؤية هنا بمعنى المعرفة.

﴿بالدين﴾: المراد به هنا: كل العقائد والتعاليم التي جاء بها الرسول ﷺ. وفي مقدمتها أنه سيأتي يوم يحاسب فيه الله عباده على أعمالهم، ويجازيهم عليها.

﴿يبيع البيت﴾: أي يطرده بصفوة وخشونة، ويزداد قبح ذلك إذا كان هذا الطرد لمنع حق من حقوقه، انظر الآية (١٢) من سورة الطور صفحة ٦٩٧.

﴿ولا يحضن﴾: أي لا يعتن غيرهم. ﴿وعلى طمام﴾: ﴿وقول للمصلين﴾: أي هلاك وعذاب شديد لهم.

﴿ساهون﴾: أي غافلة قلوبهم عما يتولونه ويفعلونه في الصلاة حتى صارت خالية من الخشوع. فعذرهم الشوز انظر آيتي (١، ٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٥، وإذا كان هذا هو جزاء المصلين الساهي: فالقول الأشد التبارك، كبراً. نسأل الله السلامة.

يقولون: يتر محمد، أي قطع نسله، فلن يبقى له من يحيى ذكره، لاعتقادهم أن الذي يبقى ذكر الرجل هم أبناءه، وكانوا يصورون لضعاف العقول أن ذلك عيب من عبويه ﷺ لينفروا الناس من أتباعه، ردت عليهم الآية الثالثة فإن شائتك هو الأيتش أي إن عدوك هو الخائب المقطوع الذكر.

سورة الكافرون

المفردات: ﴿وما تعبدون﴾: ﴿وما﴾ اسم موصول بمعنى الذي. أي الإله، الباطل الذي تعبدونه. ﴿وما أعبد﴾: أي الإله الحق الذي أعبدته أنا. والله سبحانه وتعالى يصح أن يعبر عنه بـ ﴿من﴾ كما في الآية (١٦) من سورة الملك صفحتي ٧٥٥، ٧٥٦. وأن يعبر عنه أيضاً بـ ﴿وما﴾ كما هنا، وكما في الآيات (١٣٢) من سورة البقرة صفحتي ٢٦، ٢٥ و (٧١، ٥) من سورة الشمس صفحتي ٨٠٩.

﴿وما عبدكم﴾: ﴿وما﴾ هذه مصدرية تجعل ما بعدها في معنى المصدر، أي ولا أنا عابد عبادكم الباطلة، وكذا ﴿وما﴾ التي بعدها.

المعنى: تقدم في شرح الآية (٦٤) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ سبب نزول هذه السورة وأمثالها، وهو طمع كفار قريش في تحويله ﷺ عما هو عليه، فطمع سبحانه أطماعهم بقوله لنبية: قل بأنها الكافرون... إلخ. أي لا أعبد الإله الذي تزعمون أنكم تعبدونه لأنه في تصوركم يتوكل إليه بالأصنام كما في الآية (٢) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٦، ٦٠٥ ويستشعق إليه بها كما في الآية (١٨) من سورة يونس صفحتي ٢٦٨. ويتخذ ولداً كما في (١١٦) من سورة البقرة صفحتي ٢٣ فإذا تحولتم عن هذا المعبود الذي تصورتونه ورجعتم إلى الإله الحق فإنتم معكم، ولا أنتم عابدون لشدة عنادكم الإله الذي أعبدته أنا الذي لا يقبل شفاعته إلا من الاتقياء فيمن يرضى عنهم. وهذا الإله أنتم لا تعبدونه، بل تعبدونه وتخالقون أمره، وتعبدون إلهاً خيالياً لا وجود له، ثم أكد البعد عنهم والبراءة منهم بقوله: ولا أنا عابد عبادكم الباطلة. ولا أنتم عابدون عبادتي الصريحة، أي فلا معبودنا واحد. ولا عبادتنا واحدة، فلكم وحدكم دينكم، لا يعتمدكم شره إلى غيركم، ولا ديني - أي لا يملككم خير. أي إنني بركي منكم، وأنتم بركيتون مني. انظر الآية (٤١) من سورة يونس صفحتي ٢٧٢ والآية (٢١٦) من سورة الشعراء صفحتي ٤٩٣.

﴿الأيتش﴾: المراد: المنقطع الذكر الحسن، فلا ينافي أن بعضهم بقى له الذكر السبيء وهو خالد معهم حتى في جهنم، انظر الآيات (١٦١، ١٦٢) من سورة البقرة صفحة ٢١ و (٥١، ٥٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠ و (١) من سورة المسد صفحة ٨٢٥.

المعنى: اشتملت هذه السورة على ثلاث آيات، ردت كل آية منها على مشركي مكة ما صدر عنهم من قول زائف، وعمل باطل، فقد كانوا إذا رأوا فقر المسلمين وضعفهم يظهرون الاستخفاف بهم ليوهمو الناس أن الفقر والضعف دليل على بطلان دين محمد ﷺ، لأنه لو كان رسول الله حقاً لجعله غنياً فيغدق على أصحابه كما في آيتي (٨، ٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٦.

ولما كان بعض الضعفاء من قريش العهد بالإسلام ربما تمر بنفوسهم بعض خواطر السوء خصوصاً عندما تشتد عليهم حلفات الضيق ويكثر تحليل المشركين، لما كان كل هذا أراذ سبحانه أن يظهر قلوب المؤمنين من وساوس الشيطان، ويعطى الكافرين فأكبر نبيه عليه الصلاة والسلام خيراً مؤكداً بأنه هو صاحب الخير الكثير في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: (إنا أعطيناك)... إلخ. أي إنا قضينا بإعمالك الخير الذي لا تجد له غاية من سعادة الدنيا بالنصر، والذكر الدائم، والنصبت الرفيع، وسعادة الآخرة من كل وجه، انظر شرح آيتي (٥، ٤) من سورة الضحى صفحة ٨١٢.

ولما كان مشركو مكة يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله ويفخرون ذبائحهم باسمها فقد ردت الآية الثانية عليهم إلى أنه بعد ما أعماه الله هذا الخير الكثير فإنه يجب عليه الشكر على ذلك، وأفضل الشكر إخلاص العبادة لله وحده وعدم التوسل إليه بشيء، كما كان يفعل المشركون، فقال تعالى: (فصل لربك)، إلخ. أي اجعل صلاتك لربك وحده، وانعز ذبيحتك له وحده وباسمه، ولا تعمل كما يفعل كفار قومك من التوسل بالأصنام والذبح لها، انظر الآيات من (١٦٤ إلى ١٦٦) من سورة الأنعام صفحتي ٩١، ٩٠ و (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥.

ولما كان المستهترون من كفار قريش كالعاص بن وائل وأبى لهب وغيرهما إذا رأوا أبناء النبي ﷺ المذكور وهما الناقس وعبد الله الملقب بالطاهر يموتان وهما صغيران

يذا فلان أى خسرو هلك، كما فى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، أى لا تعرضوا أنفسكم لها، انظر الآية (١٩٥) من سورة البقرة صفحة ٣٨. وقوله تعالى ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ الآية (١٠) من سورة الحج صفحة ٤٣٤، والجملة دعاء على أبى لهب لقنه سبحانه للمؤمنين ليقرئوه إلى يوم القيامة.

﴿أبى لهب﴾: هو، عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، وكان أشد الناس عداً له ﷺ، وكفى بأبى لهب لشدة إحمراز وجهه فذكره سبحانه بهذه الكنية تهكماً به، كما تهكم بأحد زعماء الكفر فى الآية (٤٩) من سورة الدخان صفحة ٦٥٩.

﴿وتب﴾: الواو خرف عطف.

و ﴿تب﴾: أى هلك وهذا إخبار منه سبحانه بأن هلاكه مقطوع به، حتى كأنه قد حصل.

﴿وما أغنى عنه ماله﴾: أى لم ينفعه ما جمعه من المال شيئاً.

المعنى: روى البخارى وغيره أنه لما نزل عليه ﷺ قول الله تعالى ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾ الآية (٢١٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٣. وقف ﷺ على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته، يا معشر قريش فلما حضروا قال: أرايتم لو أخبرتكم الآن أن عدواً يريد أن يغير عليكم هل تصدقونى أم لا، فقالوا جميعاً: نصدقك. والله ما جرئنا عليك كذباً، فقال: إني رسول الله إليكم أحذركم من الشرك به. فانصرفوا عنه فى سكون إلا أباه جهل فإنه قال: تباً لك، ألهذا جئنا؟ فأنزل الله قوله: (تبت يدا أبى لهب).. إلخ، أى اطلبوا منى أيها المؤمنون أن أهلكه وقد قضيت بهلاكه. وسيحصل قطعاً.

وقد تحقق الوعد الإلهى، وأصيب أبو لهب يوم يشبه الطاعون، فلما مات به خشى الناس القرب منه حذر العداوى حتى كادوا يهملون دفنه. ثم واروه التراب بطريقة مهينة. وكان ذلك بعد غزوة بدر بسبع ليال. وما نفعه ماله الذى كان يفخر به وينفقه فى محاربة النبي ﷺ.

(١٠) سُوْرَةُ الْمَصْرَاتِ
وَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
ۖ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

(١١) سُوْرَةُ الْمَسَدِ كَثِيرًا
وَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَتَبَّ
ۖ

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المفردات: ﴿نصر الله﴾: أى لك أيها النبي ولدينه وللمؤمنين على أعدائكم.

﴿والفتح﴾: هو فتح مكة.

﴿أفواجاً﴾: أى جماعات كثيرة.

﴿واستغفره﴾: مما كان يضيق به صدرك،

ويشتد له حزنك من شدة إيذاء قومك، وعدم

إيمانهم، انظر الآيات (٢٢) من سورة الأنعام

صفحة ١٦٧ و (٩٧) من سورة الحجر صفحة

٢٤٤ و (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥ و

(٨٤) من سورة فاطر صفحات ٥٧١، ٥٧٢ وانظر ما تقدم فى الآية (١٩) من سورة محمد

صفحة ٦٧٥، والآية (٢) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨.

المعنى: إذا جاء نصر الله لك أيها النبي على أعدائك، وفتحت لك مكة المكرمة التى أخرجك منها أعداؤك، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله الحق الذى جئت به حال كونهم طوائف كثيرة كأهل مكة جميعاً وأهل الطائف وهم أقوى العرب. وكذا سائر القبائل حتى الذين فى اليمن. فسبح بحمد ربك شكراً له، واستغفره أنت والمؤمنون معك مما يكون قد يجول فى نفوسهم من استيلاء نصر الله، وتوبوا إليه من هذه الهفوات فهو يقبلها منكم لأنه كثير القبول للتوبة.

سورة المسد

﴿تبت يدا﴾: التبت والتباب والتتيب كلها بمعنى الخسران والهلاك، انظر الآية (١٠١) من سورة هود صفحة ٢٩٩ والآية (٢٧) من سورة غافر صفحات ٦٢٢، ٦٢٣، والعرب تقول: تبت

المعنى: ولم يتبع أباً لهب ما كسبه من أعماله الشريرة طول حياته في إيصال نشر الإسلام بل باع كل مساعيه بالفشل، ثم هدده سبحانه مصيره النهائي فقال: سيصل ناراً ذات لهب أي شديدة التوقد والحرق، يستصلاها معه زوجته. أقصد بهذه الخبيثة حمالة للميعة والوشاية توعد بها نار العداوة بين الناس. وتعرق بها ما بينهم من الروابط. ولزيادة تشييع صورتها قال تعالى: (في جديها) ... إلخ. والمراد والله أعلم أنها في تكليف نفسها المشقة بالإفساد بفنزلة من يعمل على ظهره حطباً مشدوداً في عنقه يحبل خشن. والمراد: لم كل هذا العناية وباليقظة صرقتها في صالح الناس. ومن إعجاز القرآن أنه أخبر قبل موت أبي لهب وأمراته بأنهما من أصعاب جهنم، وكان يمكن أن يؤمنا، ولكنهما ماتا على الكفر فدخل جهنم فعلاً، وصدق الله العظيم.

سورة الإخلاص

المفردات: (واحد): أي واحد في ذاته وصفاته، وأفعاله، ليس أجزاء ولا ثان أما الواحد فإنه يقال له ليس له ثان ولذا لا يقال أحد في الإثبات لغير الله فلا يقال معتمد أحد في الدار، وإنما يقال واحد في الدار أي ليس معه ثان فيها. والمراد: منفرد بتصرف العالم. (والسمد): هو السيد الأعلى الذي لا يقصد في قضاء الحوائج غيره. (والمؤثر): أي مكافئاً ومثالاً.

المعنى: قل أيها النبي وعلم أمتك أن تقول: الله هو الواحد في كل صفات الكمالات، وهو المصور وحده في قضاة كل ما يحتاجه المخلوق. فلا يصح التوجه فيما وراء الأسباب إلى غيره. وهو الذي لم يلد ولداً لأنه غنى عنه. ولم يلد له لأنه قديم أزلي. والمولود حادثة. والنتيجة أنه ليس له نظير أبداً. كما قال سبحانه عن نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. الآية (١١) من سورة الشورى صفحة ٦٣٩.

سورة العلق

المفردات: (والماتق): هو المسيح الذي يخلق صوره ظلمة الليل. المعنى: قل أيها النبي أعود وأتحدث برب الصبح الذي يزيل الظلام، فيخرج كرب الأناس، أي ومن قدر على ذلك يتندر على أن يعطيك من شر كل مخلوق.

كَبَّ سَيِّئَاتِكُمْ تَارَةً تُصِيبُكُمْ وَكَمْ تَارَةً هَيَّأَ لَكُمْ آَلًا ۝ فِي جَهَنَّمَ جَلُودٌ مُّتَمَدِّدَةٌ ۝

(١١٦) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ السَّامِعُ ۝

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ السَّامِعُ ۝

قُلْ مَوْلَاهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ أَفْسَدُ ۝ تَزَيَّ وَرَ ۝ يُؤَيَّةُ ۝ وَلَا يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ ۝

(١١٦) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ السَّامِعُ ۝

قُلْ مَوْلَاهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ أَفْسَدُ ۝ تَزَيَّ وَرَ ۝ يُؤَيَّةُ ۝ وَلَا يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ ۝

قُلْ مَوْلَاهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ أَفْسَدُ ۝ تَزَيَّ وَرَ ۝ يُؤَيَّةُ ۝ وَلَا يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ ۝

المفردات: (ووما كسب): أي لم ينفعه ما كسبه من الأعمال السيئة في معاريفه. بل باع كلها بالفشل، انظر الآية (٣١) من سورة الأنفال صفحة ٧٢٢.

(وسمى ناراً): أي سيد ظلها ليحترق بها. (وذا لهب): أي صاحبة توقد. وشدة حرارة.

(وامراته): أي استصلاها أيضاً زوجته واسمها (أروى بنت حرب) أخت أبي سفيان وفي عمه مغاربة وكانت تكنى أم جميل، ولأنها كانت عوراء، قال ابن العربي: هي الموراء، أم قبيح.. وكانت من سادات نساء قريش، وكانت تشجع زوجها على الكفر، ومحاربة النبي ﷺ، والوقوف في وجه دعوته، وبلغ من كرمها له صلوات الله تعالى وسلامه عليه، أنها كانت تصنع القاذورات في طريقه، وهو ﷺ، ذاهب إلى الكعبة.

(وحمالة العطب): حمالة منصوب بفعل مقدر مفهوم من السياق يشعر بذمها، والأصل أقصد بهذه المرأة الشقية حمالة العطب... إلخ.

(ووجمالة العطب): كناية عن أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمة والوشاية توعد نار الفتنة والعداوة بين الناس، انظر الآية (١٤) من سورة المسائدة صفحة ١٥٠-١٤٩. (وأي في علقها).

(وأي من مسد): هو ما قتل من الحيات قتلاً شديداً ويكون من اللبث وغيره، والمراد من جملة (وأي) جديهما حبل من مسد: تقوية الكناية السابقة، وإظهارها بصورة مستيقظة، انظر نظير ذلك في الآية (٣٠) وما بعدها من سورة الحاقة صفحة ٧١٢.

سورة الناس

المفردات: «ملك الناس»: أي حاكمهم ومدير أمورهم. «الوسواس»: أصل الوسوسة الصوت الخفى، والوسواس الذى يوسوس كثيرا، يوزن الشرار الذى يتكلم كثيرا، والمراد: الذى يدس الشرور فى النفوس، ويغري عليها بطرق خفية:

«الخناس»: الذى من عادته أن يخفى أى يختفى، ويرجع كلما رأى مانعا، انظر المادة فى الآية (١٥) من سورة التكوين صفحة ٧٩٤.

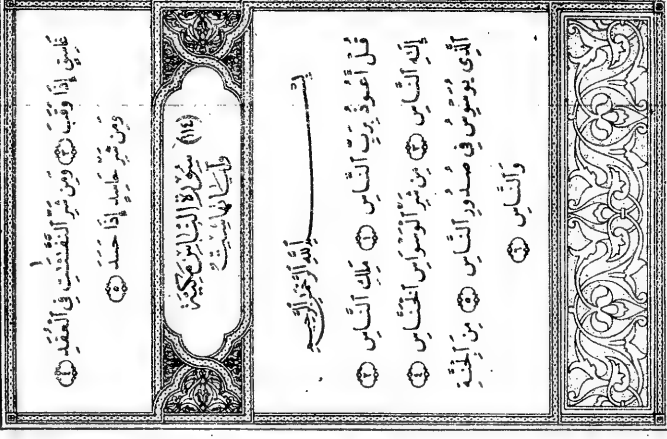
«يوسوس فى صدور الناس»: المراد يلقي فى قلوبهم بأسلوب مكر قد لا يشعرون به.

«من الجنة والناس»: «من» بيانية لما بعدها بيان للوسواس. والجنة أصلها كل ما استتر عن العيون، ويطلق على الملائكة كما فى الآية (١٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩٦، وعلى الجن المعروف كما فى الآية (١١٩) من سورة هود صفحة ٢٠١.

المعنى: قل أيها النبى وعلم أمتك أن أعوذ أى أتحصن وأطلب الحماية من خالق الناس، وحاكمهم ومدير أمورهم ومعبودهم الحق، من شر نوع آخر من الخلق وهو الذى يدس الشرور ويغري على المفاسد بطرق خفية. وقد يلبس فاعل ذلك ثوب الناصح للتفجير والتضليل. ولهذا إذا أدرك أن الموسوس له يتيقظ لمكره سرعان ما يخفى وراء مبادئ أخرى أو يتوارى نهائيا فيرجع خائبا. وهذا النوع المفسد تارة يكون من العالم الخفى الذى ترى أثره ولا تراه وتارة يكون من الناس الظاهرين للعيان. ومثل هذا النوع الشرير لا يغترس إلا من كان غارقا فى لجاج الغفلة عن الله سبحانه. أما العبد المتيقظ فإنه إذا أحس بخطر هذا النوع فإنه يسرع إلى حماية ربه يتحصن بها، فيحفظه ويقيه شرهم. وهو سبحانه خير الحافظين وملجأ اللاجئين.

سبحانك ربى لا أحصى ثناء عليك. أنت كما أقيمت على نفسك. سبحانك ربى ما أكرم نعمتك على عبادك المفرطين. وما أوسع رحمتك بعبادك المذنبين. نتوجه إليك ضارعين أنا تعبدنا من وساوس الشيطان الرجيم ومكايده. وأن توفقنا لدوام مذاكرة كتابك الكريم بفهم أسرارهم. فهو متعة أرواح المؤمنين. ورحانة نفوس المتقين. وأجمل ياربى عملنا هذا خالصا لوجهك الكريم. يا نعم المولى ويا نعم المجيب.

وقد كان الفراغ من هذا العمل المتواضع بالقاهرة عاصمة الديار المصرية فى صبيحة غرة شهر الله المحرم أول سنة سبع وسبعين بعد الثمانمائة والألف من هجرة خاتم النبيين ﷺ وعلى آله وصحبه الأبرار وسلم إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.



المفردات: «خاسق»: أصل معنى الخسق يفتح فسكون «المنيل»: يقال خسقت العين إذا سال دمعها، والمراد من الخاسق هنا الليل إذا جرت ظلمته فى الكون. «وقب»: أى دخل دخولا عميقا. «التفاثات فى العقد»: العقد جمع عقدة، وهى فى الحبل معروفة، وتستعمل العقدة مجازا فى كل علاقة بين اثنين أحكم ربطها. كالرباط الذى بين زوجين، انظر الآية (٢٢٥) من سورة البقرة صفحة ٤٨. والتفث هو: التفخ الخفيف، وقد يكون معه رشاش من ريق النهم، والتفاثات جمع تفاتهة، التفاتهة من صبغ المبالغة كالعلامة بتشديد اللام، الفهامة يستعمل فى الذكر والأنثى، أى كثير العلم والفهم، وفسر بعضهم التفاثات بالنفوس الشريرة التى تعالج انسحر لتقسمد به بين الناس ويفسرها آخرون بالنفوس النمامة التى تقطع روابط الألفة بين الناس بالنميمة.

«حاسد»: هو الذى يتمنى زوال نعمة المحسود.

«إذا حسد»: إذا نفذ مقتضى حسده بالسعى فى إزالة نعمة المحسود.

المعنى: نتحصن بالله وأطلب منه الحماية من شر الليل إذا دخلت ظلمته. فإن هذا الوقت يحررك فى النفوس الشريرة عوامل الفساد لسهولة اشتغالها بلباس الليل. فقد يؤخذ البرى من حيث لا يدرك. أو يسلب متاعه إلى غير ذلك. وأعوذ برب الخلق، أى من شر نوع آخر من أنواع النفوس الشريرة وهى التى تسلك لأشهر طريقا خبيثا تقسد به الروابط، وتقطع العلائق. فيجعل المراء بين الناس محل الصفاء، ومن شر نوع ثالث مائل قلبه للعقد وكراهة نعمة الله على غيره. فصرف همه فى زوالها. نسال الله تعالى السلامة.

(١) التفاثات.

خاتمة الطبعة الثالثة

طبعت الطبعة الأولى من هذا التفسير عام ١٩٥٧م ونفذت بالكامل ولقد شهدت هذه الطبعة عدة إضافات وتعديلات وزيادة في الشرح والتحليل سواء في شرح المفردات أو المعنى الكلى للآيات. وقد انتهى فضيلته من هذه التعديلات قبل لقاء ربه بعامين وكان الفضل بعد المولى عز وجل في إخراج هذه الطبعة كوكبة من العلماء الأفاضل الذين يجب علينا أن نقدم لهم عظيم الشكر والعرفان ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد هداية الذي قام متطوعاً بإضافة التعديلات والإضافات التي أعدها فضيلته والتي استغرقت أكثر من عشر سنوات، وفضيلة الشيخ محمد عبد الجليل عيسى الذي تولى المراجعة للتحقق من كافة التعديلات والإضافات.

كما نتقدم بأطيب آيات الشكر لفضيلة المرحوم الإمام محمد متولى الشعراوي الذي قدم لنا صادق العون والمشورة والتي كان لها عظيم الأثر في خروج هذا العمل بهذه الصورة.

شكر لجنة المراجعة بالأزهر

نتقدم بوافر الشكر لفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة، والسادة العلماء الأفاضل الذين قاموا بالمراجعة:

شكر الهيئة المصرية العامة للكتاب

نتقدم بوافر الشكر والتقدير للهيئة المصرية العامة للكتاب ونخص بالشكر السيد الأستاذ الدكتور ناصر الأنصارى رئيس الهيئة والسيد الأستاذ الدكتور وحيد عبد المجيد نائب رئيس الهيئة، والسادة المراجعين الذين بذلوا جهوداً صادقة حتى يخرج هذا العمل بهذه الصورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور:

- نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للمرحوم - بإذن الله - فضيلة الأستاذ الشيخ/ عبد الجليل عيسى أبو النصر شيخ كلتي اللغة العربية وأصول الدين بالأزهر الشريف سابقا
- وعضو مجمع البحوث الإسلامية
- ولد فضيلته بقرية الرملة التابعة لمركز الخادمية بمحافظة كفر الشيخ في سنة ١٨٨٨ ميلادية.
- حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، ثم التحق بمعهد الجامع الأحمدي بطنطا سنة ١٩٠٣.
- ثم التحق بالجامع الأزهر حيث نال شهادة العالمية ١٩١٤.
- ثم عُيِّن مدرسا بمعهد أسباط ثم مدرسا بالقسم الثانوي بالأزهر الشريف سنة ١٩٢٣.
- ثم عُيِّن مدرسا بمعهد دمياط سنة ١٩٢٥.
- ثم عُيِّن مدرسا بالقسم العالي بالأزهر الشريف سنة ١٩٢٦.
- أُحيل للمعاش بالأمر الملكي سنة ١٩٣١ مع جمهرة من علماء الأزهر لمواقفهم الوطنية احتجاجا على قيام سلطات الاحتلال الإيطالي بليبيا بإعدام المجاهد عمر المختار.
- أعيد إلى العمل سنة ١٩٣٥ مدرسا بكلية الشريعة بالأزهر في عهد المرحوم الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي.
- ثم عُيِّن في نفس العام سنة ١٩٣٥ مفتشا بالمعاهد الأزهرية.
- وفي سنة ١٩٣٧ صدر المرسوم الملكي بتعيينه شيخا لمعهد دسوق الديني.
- وفي سنة ١٩٣٨ صدر المرسوم الملكي بتعيينه شيخا لمعهد شبين الكوم الديني.
- وفي سنة ١٩٤٦ صدر المرسوم الملكي بتعيينه شيخا لكلية أصول الدين.
- وفي سنة ١٩٤٧ صدر المرسوم الملكي بتعيينه شيخا لكلية اللغة العربية.
- ثم عُيِّن عضوا بمجمع البحوث الإسلامية - وعضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والمجلس الأعلى للثقافة.
- لقي ربه في يوم الجمعة أول رمضان الموافق ٢ يوليو ١٩٨١ عن عمر يناهز ٩٣ عاما.

الخاتمة

٧٩٢
الرائعة مؤكدين هدف الهيئة السامي بنشر الثقافة الدينية ميسرة للعامة - بجانب الثقافة التاريخية والأدبية والفنية.

أهم مميزات هذا التفسير

- ١ - إعالة القارئ العادي على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة
 - ٢ - اليسر والسهولة ووضوح الأسلوب في إيصال المعنى للقارئ.
 - ٣ - البعد عن القمص والإسرائيليات.
 - ٤ - البعد عن التعمق في المسائل النحوية والبلاغية والفقهية وغير ذلك مما يخرج التفسير عن جوهريه.
- وأجد أنه من الضروري أن أشير هنا إلى قيام الدكتور أحمد عشاوي زيدان المدرس بكلية أصول الدين (جامعة الأزهر - المنوفية) بإعداد رسالة دكتوراه في منهج الشيخين: عبد الجليل عيسى وحسين مخلوف في تفسيرهما للقرآن الكريم.
- وقد نال درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠٦.

- ٣ - جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في أكتوبر سنة ١٩٨٠ من السيد الرئيس محمد أنور السادات وكان بذلك أول شخصية أزهريّة تال هذه الجائزة.
- ٤ - نوط الامتياز من الطبقة الأولى في إبريل سنة ١٩٩١ من السيد الرئيس محمد حسني مبارك باسم المرحوم فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر.

أعماله للخير ابتغاء مرضاة الله:

- ١ - بناء مسجد الرحلة - مسقط رأسه - من ماله الخاص وأوقف مساحة ٢ فدان وثلاثية قراريط المصروف من ريعها على هذا المسجد.
- ٢ - أوصى في وصيته بأن تهدى مكتبته العامة بكتب التراث الإسلامي والمراجع وأمّهات الكتب النادرة في الفقه والسنة إلى معهد كفر الشيخ الديني ليستفيد بها طلاب العلم بالمعهد وأبناء محافظة كفر الشيخ.

مؤلفاته العلمية:

- ١ - صفوة صحيح البخاري سنة ١٩٢٥ حيث قام باختيار ٧٠٠ حديث صحيح، وطبع هذا الكتاب في أربعة أجزاء وتقرر تدريسه بالقسم الثانوي بالأزهر الشريف من ذلك التاريخ وذلك بتكليف من المرحوم الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر.
- ٢ - اجتهاد الرسول ﷺ كتبه في سنة ١٩٤٨ وتم طباعته ونشره عن دار البيان بدولة الكويت سنة ١٩٦٩.
- ٣ - تفسير التفسير، صدر في سنة ١٩٥٨ وهو تفسير باللغة الميسرة لسهولة قراءته وفهمه للطبقة العادية من القراء.
- ٤ - المصحف الميسر - تفسير للقرآن الكريم مختصر عن السابق.
- ٥ - ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين وهو كتاب يبين فيه أن هناك أساسيات في بعض المسائل الدينية والشرعية التي لا يجوز فيها للمسلمين أن يختلفوا فيها سواء أكانت في العقائد أو العبادات.
- ٦ - سلسلة مقالات تحت عنوان (إنا نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) نشرت في مجلة منبر الإسلام. وذلك على سنوات طويلة كذلك نشرت هذه السلسلة في مجلة الوعي الإسلامي بدولة الكويت.

الإعتمادات والجوائز والأنواط الحاصل عليها:

- ١ - كسوة التشرقة الملكية من الدرجة الثالثة أثناء عمله مفتيًا بالأزهر الشريف عام ١٩٣٥.
- ٢ - كسوة التشرقة الملكية من الدرجة الثانية أثناء عمله شيخاً لمعهد شيبين الكوم. عام ١٩٣٧.

سورة الروم.....	٣٧٨
سورة لقمان.....	١٢
سورة السجدة.....	٣٥٨
سورة الأحزاب.....	٣٤
سورة سبأ.....	١٧
سورة فاطر.....	٣٠١
سورة يس.....	١٢١
سورة الصافات.....	١٤١
سورة ص.....	٣٦١
سورة الزمر.....	٨٧١
سورة غافر.....	٨١٨
سورة فصلت.....	٢٤٣
سورة الشورى.....	٣٦٨
سورة الزخرف.....	٧٨٨
سورة الدخان.....	٣١٨
سورة الجاثية.....	٣٨١
سورة الأحقاف.....	٥٦١
سورة محمد.....	١٥٨
سورة الفتح.....	٦٦٨
سورة الحجرات.....	٣٧٨

٦٦٦	سورة الإنسان
٦٧١	سورة المرسلات
٦٨٣	سورة النبا
٦٩٠	سورة النازعات
٦٩٩	سورة عبس
٧٠٤	سورة التكويد
٧١٠	سورة الانفطار
٧١٣	سورة المطففين
٧١٩	سورة الانشقاق
٧٢٢	سورة البروج
٧٢٥	سورة الطارق
٧٢٨	سورة الأعلى
٧٣٢	سورة العاشية
٧٣٦	سورة الفجر
٧٤٢	سورة البلد
٧٤٥	سورة الشمس
٧٤٨	سورة الليل
٧٥٠	سورة الضحى
٧٥٤	سورة الشرح
٧٥٥	سورة التين
٧٥٧	سورة العلق
٧٦١	سورة القدر
٧٦٣	سورة البينة
٧٦٦	سورة الزلزلة
٧٦٨	سورة العاديات
٧٧٠	سورة القارعة

٢٩٦	سورة ق
٤٠٧	سورة الذاريات
٤١٩	سورة الطور
٤٢١	سورة النجم
٤٥٠	سورة القمر
٤٦٢	سورة الرحمن
٤٧٤	سورة الواقعة
٤٨٩	سورة الحديد
٥٠٥	سورة الجاثية
٥٢٠	سورة الحشر
٥٣٤	سورة الممتحنة
٥٤٥	سورة الصف
٥٥١	سورة الجمعة
٥٥٨	سورة المنافقون
٥٦٤	سورة التغابن
٥٧٢	سورة الطلاق
٥٨١	سورة التحريم
٥٨٨	سورة تبارك
٥٩٨	سورة القام
٦٠٩	سورة الحاقة
٦١٨	سورة المعارج
٦٢٦	سورة نوح
٦٣٣	سورة الجن
٦٤٣	سورة المزمل
٦٤٩	سورة المدثر
٦٥٩	سورة القيامة



AL-AZHAR

ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT

for Research, Writing & Translation

الأزهري

مجمع البحوث الإسلامية

الإدارة العامة

للبحوث والتأليف والترجمة

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

تفقد الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه لا مانع لديها من
مطبعة كبرى للطباعة والنشر في القاهرة والاسكندرية
المكتوب بالخط الكوفي والفنزي . طبع مطبعة الهيئة العامة للأوقاف ...

على أن يقدم للإدارة عشر نسخ بعد الطبع للمراجعة بلجنة مراجعة المصاحف
مراجعة نهائية تمهيداً للتصريح بالتداول ولا يجوز توزيع هذا المصحف ونشره الا
بعد الحصول على تصريح التداول من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
مع الزامكم بوضع صورة من تصريح التداول بكل نسخة من نسخ المصحف قبل نشره
وعرضه للجمهور .

والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمين العام

البحوث والتأليف والترجمة

لمجمع البحوث الإسلامية

طابعه

١٩٨٨